سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب



جزء ٥٠ — ٥٩

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

i23727597

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
باخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال) ثم أعاد على دمدرى القصة وما صنع هرمس وقال له خذ معك أصحابك الذين قدمتك عليهم وسير الى لقاهم حتى تفرح بلقاء مثلك لأن ماعندى اليوم أجل قدرا منك والثانى فانى خائف عليه من ملطية لايكون خبره قد سبق الى المسلمين لأنهم شياطين لهم من يحدثهم بكل شيء يجرى ولا سيما أبو محمد البطال الذى يدخل فى ثياب الإنسان ويسرقه منها ويتركها معلقة بلا أحد فيها فصلب دمدرى على وجهه وقال ويلاه فلا يقوم يأخذنى ويقع بى وتبقى ثيابى معلقة وأنا ما أدرى به فضحك أرمانوس وقال لا تفزع انما قلت لك هذا على صفة المبالغة والا فما يقدر أحدا يأخذ بنى آدم فطمن قلبك فخرج دمدرى وفى قلبه بعض ما فيه وكان قد أرسل قبله حرب بن شيبان فى العرب المتنصره وقال امضى الى هذا الرجل والتقيه فاذا رآك يعلم انه قد تنصر من هو أوفى منه وأفصح لسان ولا يخالفك فيما تريد على هذه النية وسار دمدرى (وأماميمونه) فان سيرها كان حساب لهرمس لأنها لما نظرت الى كثرة الناس الذين خرجوا الى لقائه ولقاء أم عبد العزيز وأخواته ورأت أرمانوس قد أرسل العرب والروم الذين كان يعتمد عليهم بعدما كانت هى عدته وعمدته التى يرجع اليها ويعتمد عليها أخذت الملعونة الغيره والحسد وظنت فى نفسها ان أرمانوس يتركها ويشتغل بأخوات عبد العزيز فجمعت سودانها وغلمانها وقالت لهم اعلموا انى من حين أتيت الى عند الملك ارمانوس ما رأيته أكرم أحدا هذا الإكرام ولا اهتم به هذا الاهتمام ولو كان المسيح وأخاف أن يكون الشيخ

عقبة قد كتب يوصف له حسن الصورة التى لاخوات عبد العزيز وأقول أن عقبة قد أنفد إلى الملك وأطنب فى وصفهن وما فعل هذا الا حسداً لى حتى يأخذنى الملك غير لأنى بقيت كما ترون بفرد عين فى هوى ارمانوس وهو يأخذ غيرى وقد نقصت منزلتى عنده ولا بقى لنا عند الروم قدر لاننا الساعة محسودون على هذه المنزلة لأجل أنكم كلكم تلبسون البطارقة من الديباج والأطلس وغير ذلك بعد أن كانت على رؤسكم قلانس الفرو والآن أمركم نافذ فى القسطنطونية فقالوا أى شىء تقدر نعمل قالت أخرجوا غدا كلكم على نية الصيد والقنص وأخرج أنا معكم ونأخذ على الطريق الوعر ونسبق الكل إلى هرمس ونظن أنا ما نعرفه ونرغم أنفه ونلوح حتفه ونأخذ النساء منه فان كانوا من الحسن والجمال بالموضع الذى قد اختلج فى قلبى ضربت القوم بالسيوف القواطع وأرسل البنات إلى ملطية عند أخيهم عبد العزيز فيكون لى عنده اليد البيضاء وما يضيع عنده ذلك إنى قد أطلقته من الأسر مرة أخرى ويكون لى عنده هذه الكرة حتى إذا وقعت عند المسلمين فى أسر أو شدة خلصنى ولا يضيع الأمل فقالت لها السودان نعم ما رأيتى فافعلى ما بدا لكى ثم باتوا على هذه النيـــة إلى أن برق ضياء الفجر وركبت ميمونة وسوداها وأصحابها وغلمانها فقال لها أرمانوس أيتها الملكة الكريمة إلى أين قالت الصيد والقنص لأن صدرى قد ضاق من المقام فى البلد فقال مالى أرى أصحابكى بالعدد وأهبة القتال والرماح الطوال والخيول العوال فقالت نعم لأنى ما أترك الحزم لأن لى أعداء كثير ولا سيما الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فى الثغور وأنا أريد أبعد فى الصيد والقنص وأخاف من غارة النفاق ثم سارت على الوصف الذى ذكرنا حتى أشرفت على الأمير كما قدمنا وبانت لها رايات بنى كلاب فعرفت ذلك وأبصرتها الروم والعرب المتنصرة وهرمس وظهرت وقد ظنت أن خيل ملطية وعساكر الثغور كلها هناك وبقيت الأميرة ذات الهمة بين أربع كراديس وعشرين ألف والمقدم عليها البطريق ذمدرى والمتنصرة فى أربعون ألف من المتنصرة وهرمس ومن معه وميمونه وسوداها فأيقنوا بنو كلاب بالعطب وتغيرت ألوانهم فقالت لهم الأميرة ما بالكم قد ظهر عليكم الحزن أهذا فزعا من الموت أو طمعا فى الحياه فقالوا والله ما نطمع أننا مخلدون لقول الله تعالى فى كتابه العزيز وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ولكن مالنا طاقة بهذا العدد ونزايد المدد والساعة تتسامع بنا بلاد الروم ويأتوا الجميع ونهلك كلنا بالسيف وما أنت ممن إذا رأيتى الغلبة تهربين حتى أننا نهرب معكى فيسلم البعض فقالت لا والله فى الهرب قط ما تطمعون ولا بد لى والله أن أروى سنانى من دم الكفار وأسقى

السيوف من الأجساد ثم نظرت ميمونه فعرفتها لأن حرب بن شيبان عند أقبالها مال اليها وسلم عليها وكذلك سائر العرب المتنصرة والبطريق دمدرى لأجل ما يعلمون أنها عالية المنزلة عند أرمانوس وقالوا لها أيتها الملكة ما الذى أزعجكى قالت سمعت أن ذات الهمة دخلت إلى بلاد الروم من جواسيس كانوا فى بلاد الاسلام ففزعت عليكم فشكروها على ذلك وأرسلت الأميرة اليها رسولا يعتبها على ذلك فلما صار الرسول بين يديها قال لها أيتها الملكة الأميرة تقول لكى معلوم أن الصلح بيننا باق على حاله وبين الملك وخليفتنا وسائر المسلمين ونحن ما غدرنا بكم بل هذه علامة غدركم بنا لأن هذا الملعون عابد النار قد أخذ أخوات عبد العزيز وأمه تعديا علينا وأنا قد دخلت خلفه لاخلص الاسارى منه وأعود بالإنفصال أما أن يقتلنى وإما أن أقتله وأنتم قد جئتم اليه ودرتم حوالينا تعديا علينا وأنا أرعى لكى العهد وأقول أن منزلتك عندى مثل منزلتى عندكى فقولى لهذا الشيطان يسلم الينا العجوز والبنات العلويات المأسورات حتى نعود أجمعين وإن كنتم نقضتم العهد والصلح فما بلد الاسلام عنا ببعيد ولا أسلم أنا روحى حتى تأتى الينا عساكر المجاهدين فقد تركها خلفى سائرة ومر نحو مائة ألف عنان من سليم وبنى كلاب والسودان الأنجاب وأحلافها مائة ألف أجعل بها بلاد الروم خرابا دكا ولا يبقى فيها من يعتقد شركا ولا يفترى على افكا (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك الكلام والخطاب وقع على قلبها أحلى من الجلاب وقالت لأصحابها ائتونى بهذا الرجل هرمس حتى أنظر هذه النوبه كيف هى فأحضروا هرمس بين يديها وأبصرت رجلا أوحش خلق الله تعالى خلقا وخلقا فقالت له أعرض على هذه النسوة اللاتى قد أتيت بهن معك حتى أراهن فقال سمعا وطاعة أيتها الملكة ثم أحضر الهوداج وأخرج أخوات عبد العزيز فنظرت ميمونة إلى وجوه كالشمس الضاحية فى السماء الصاحيه فقالت فى نفسها هذا الشيطان هرمس هو تمام مصيبتى ومعه هؤلاء البدور التى هن أحسن من كل من لبس قناع وما أنى بهن هذا القرنان الا ليقلعانى ثم قالت ياأمير كيف أخذت هؤلاء القوم فأعاد عليها ماجرى له وكيف لاقى البنات فى الحرب وقاسامنهن مرارات الطعن والضرب وانهن أوفا من الأبطال الشجعان اذا برزن الى حومة الميدان قالت وهذه أخرى كنت أدلى على الملك بشجاعتى وإذا وقع له من هو مثلى فى القتال وهن بهذا الحسن والجمال كيف يرجع يكون له بال إلى أو نظر ثم قالت ياهرمس لقد أخطأت فى أخذك من لاتعرفه الاانك معذور الاانك ماعلمت ان بيننا وبين المسلمين صلحا لانقدر نفسده وهذه ذات الهمة قد لحقت بك وهى امرأة لايصطلى لها بنار وخلفها عساكر عظيمة

تتبع آثار هؤلاء والرأى عندى أن تسلم اليها هذه البنات العلويات وترجع معى الى الملك أرمانوس حتى أساعدك وما يأتيك الأمر إلا كما تريد فقال هرمس أنا ما أفعل هذا ولا على من صحبتكم ولا من صلحكم أنتم وأنا ما أخذت هذه البنات الا من أعداء المسلمين وهى غنيمتى ولا أسلمهن الا غضبا ولا بد لى أن أقدمهن على الملك أرمانوس كما أمرنى صاحبى وصديق عقبة فان صلحن للملك يأخذهن وان لم يصلحن له فأنا أحق بهن ولو اجتمع أهل الأرض على أن يخلصوهن من يدى لما قدروا على ذلك فقال حرب بن شيبان صدقت أيها الأمير ما يفلت عدوه الا قليل الرأى (قال) وكذلك قال دمدرى وسائر الروم والعرب المتنصره فلما رأت ميمونه الكل مالوا مع هرمس وصاروا عليها قالت لهرمس تحتاج تسلمهن بطيبة وإلا أخذتهم غصيبة وأنت غير طيب النفس فلما سمع هرمس ذلك من كلامها قال وحق النار والنور لو مددت يدكى اليمين اليهن لقطعتها فقالت وقد زاد بها الغضب دونك والحرب أنا وأنت فمن قهر صاحبه أخذهن فقال سمعا وطاعة لارجعت عن هذا وأنا لاأرجع وحق المسيح فعندها ترجل هرمس من على جواده وحل حزامه حتى بال وعاد استوفى حزامه وركب وبرز إلى ميمونه والشر يقدح من محاجر عينيه والدم يشخب من منخريه ثم أشار الى ميمونه وقال لها دونكى والحرب والطعن والضرب ياسودة الوجه والقلب ويانسل الكلب (قال الراوى) وماهى الأن سمعت هذا الكلام وتحققت مابه من الغبن والغيظ حتى صاحت صيحة هائلة وحملت مثل اللبوة القاتلة فلما رأى ذلك حمل عليها وحملت عليه وأخذا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد وقد حملت ميمونه على هرمس لأجل مقاله الذى قابلها به وكان هذا كله من غرض حرب ابن شيبان لآنهم كانوا قد فضلوه عند أرمانوس لأجل شجاعته الا أن الفارسين تضاربا ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر حتى طلع عليها الغبار وقد حجبهما عن الأبصار من شدة الغبار وشخص كل من نظره وجرى بينهما حملات منكره حتى أخذت الخيل فى القهقره ورأى كل واحد منهما من صاحبه ما أبهره فلما نظر هرمس الى قتالها وشاهد نزالها أخذ الاهبه الصادمة وعلم انه إن تهاون بها كانت له ماحقه ودام الجولان بينهما الى أن حميت الرمضا واكفهر الحصا وتوقد الجلمد وأوى كل طير الى وكره وصار وقت القيلوله هنالك صرخت ميمونة صرخة الغضب المعروفة وأكبت على هرمس فالتقاها بقلب أقوى من الصخرى وجنان أجرى من تيار البحر وصرخ هو أيضا صرخة نفرت منها الخيل وانخلعت قلوب الحاضرين وحمل عليها وتطاعنا (قال الراوى) فسبقها بالطعنة وقد أفلح وأقلب الرمح أسرع من البرق بشىء لاتعرفه ميمونة وطعنها فى

صدرها أقلبها على جوادها مع ثقل جسمها فغشى عليها وانه لما طعنها لو أراد قتلها لفعل لكن خاف من عتب الملك أرمانوس الا أن العرب والروم لما نظروا الى ذلك عظم هرمس فى أعينهم وقالوا ما على وجه الأرض مثله ولا عاين أحدا شكله ثم انهم تبادروا الى ميمونة شالوها وتوجع لها حرب بن شيبان والملك دمدرى لما يعلموا من علو منزلتها عند الملك أرمانوس وخافوا كلهم من شره وسطوته لأجل عشقه لها ومحبته (قال) وكان رزق رزقته منه وانها لم تكن للمحبة أهلا وانما الملك نظر اليها بعين المحبة والهوى فهجر زوجته وسراريه لاجلها (قال) وانهم شالوها ورشوا على وجهها الماء وقالوا لها أيتها الملكة الحرب هكذا مايدوم لاحد وهو يومان يوم لك ويوم عليك وما فينا الا من قد كسر وأسر وقهر وما هذا عند الفرسان عيب ولا عار ولا نقص ولا شنار ومع ذلك فما خصمكى بالدون وقد سمعت كلام الشيخ النجيح فى حقه وقوله وانه اشجع من الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وسائر بنى كلاب وعقبة قد ضمن للملك انه يفتح به البلاد ويبلغ به المراد (قال الراوى) هذا وهرمس لما أن نظر انحدارهم اليها وخوفهم عليها عمل أيضا مثل مافعلوا واعتذر الى ميمونة وقال ما فعلت هذا أيتها الملكة الا من خوفى على هذه الأسارى ان تغصبينى عليهم وتقولى سلمهم إلى هذه الأميرة ذات الهمة وأنا قتلت رجالى وفنيت أبطالى حتى أخذتهم وما تركت بلاد الاسلام ودخلت بلاد الروم إلا من أجلهم وهذا شيء لا أفعله أبدا وان كان خوفكى من الملك ارمانوس أن يأخذهم لنفسه فأحلف لكى انى ما أسلمهم اليه الا أن يكون عن اذنكى وإذن الشيخ النجيح عقبة فلما سمعت ميمونة ذلك الكلام قالت وقد طاب قلبها وقبلت عذره وقالت الآن طاب قلبى وسوف ترى ما أصنع معك عند الملك ارمانوس وأتركه يقطعك أكثر بلاد الروم لأنك تستاهل ذلك وانا وأنت نملك ثغور المسلمين وفرسان الموحدين فقال هرمس ياملكة ومن فى الثغور فارس مذكور أو بطل مشهور وحق النار والنور مافيها من قد ظهر له افتخار إلا هذه الواصلة اليكم والقادمة عليكم ولولا قدومكم الساعة واشتغالى بكم كانت الساعة فى ذل الأسر والاعتقال والقيود الثقال وقد وقع هؤلاء الخيال (قال) فلما سمعت ميمونة ذلك قالت إن أنت خرجت اليها وأخذتها فما يبقى للمسلمين حامية بعدها ثم جعلت تصفها وتطنب فى وصفها وحرب بن شيبان يصدق قولها الى أن غضب دمدرى البطريق وقال لقد عظمتم غير عظيم وأذللتم شريعة المسيح وأنا الساعة وحق المسيح آتيكم بها وبرجالها أسارى وما أخرج اليها الا فى عدد قومها ثم وثب وانتخب من قومه الف بطريق بالخيول الاعوجية والدروع السابجيـة

ومعهم القنطاريات الخلنجية والتراس الافرنجية والزرديات اليونانية والمزاريق الهرقلية وطلب ناحية الاميرة وهى واقفة بين أصحابها وهى تقول السعيد من اعتبر بغيره والله لقد عظم فى عينى هذا الملعون هرمس وما هو الا فارس زمانه وأوحد عصره وأوانه بعد ان قهر ميمونة وأنتم تعرفون شجاعتها على ان الحرب تارات وعلى كل حال ماهو الا شيطان من الشياطين وما لنا خلاص من هذا الجمع العظيم لانى أعلم ان الكل الينا يرجعون ومابقى لنامخرج الا أن يأتينا الله بالفرج (قال) فهى مع أصحابها فى الكلام وإذا بالبطريق دمدرى قد انفصل من العسكر اليها بألف فارس فلما رأت ذلك قالت لقومها هذا قد أقبل علينا بمثلنا وها هو يريد الآن قتالنا لا محاله وما هو الا لشىء جرى بينهما حتى أنصفونا وأخرج هؤلاء إلى قتالنا وهم غرباء من أهل الجزاير لان ماعليهم زى أهل القسطنطونية وعلى كل حال مامقدمهم الامنصف لانه يريدنا فى عددنا وهذا يدل على أنه فارس زمانه (قال) وحمل دمدرى وأصحابه من غير كلام وشرعوا فى ضرب الحسام وكان دمدرى قد قال لأصحابه أريد أختبر قتالهم قبل برازهم (قال) فلما حملوا التقاهم المجاهدون وجرى بينهم ساعة عجيبة بقيت الدماء فيها تجرى مثل الماء فى السواقى وطارت الرؤس عن الابدان الى أن توسط النهار وانفصل الجمعان وأخذوا فى البراز الى أن أمسى المساء وبات كل واحد وقد اختبر صاحبه والاميره تقول لقومها ماشاهدت مثل قتال دمدرى وأصحابه وباتوا يحرسون أنفسهم والعرب المتنصرة والروم قد داروا بالاميره ذات الهمه كيلا تهرب وقد أنفذوا العلوج الى الملك أرمانوس يخبروه بالخبر ان الأميرة قد دخلت فى فارس خلف هرمس ونحن مشرفون على أخذه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح عادت الرجال الى ضرب الصفاح وخرج دمدرى البطريق كانه الفنيق لأنه عظيم الخلقة جافى الجثة ولما خرج وطلب المجال خرج اليه فارس من بنى كلاب ودام بينهما الطعان والضراب حتى أهلكه البطريق وخرج اليه الثانى فقتله وثالث فأراده ونادى دعونا من براز هؤلاء الأندال وأخرجوا منكم صناديد الرجال أين أميرتكم ذات الهمـــة أخرجوها إلى لأنى قد ضمنت هلاكها فلم يتم كلامه حتى ظهرت اليه الأميرة على جواد سابق كانه البرق البارق يصهل مثل الرعد الخافق ومعها سيف ماحق ورمح خارق وحملت عليه ولما حقت عليه الحقائق التقاها الملعون بقلب إلى قتالها شائق وكانت الاميرة قد خرجت بعد ما أخذتها حمية الدين (قال الراوى) وأرادت أن تقوى قلوب المجاهدين لما رأتهم قد أيسوا من سلامتهم فحملت على درمدى وتطاعنا وتضاربا وتباعدا وتقاربا هذا كله وهرمس ينظر إلى قتالها ويقول

لاصحابه والله ما فى العرب مثلها وأثبت منها فى مقام الحرب ولا أحسن فى موقف الطعن والضرب (قال) وصاحت الاميرة بالجواد وقامت فى البداد وضربت دمدرى ضربة خبير جواب ضربته وكان قد ضربها فوقع سيفها على أذنه طلع من تحت أضراسه فوقع إلى الارض فانفجرت بطنه وصاحت الاميرة خذهاءن يد فاطمة بنت مظلوم ونظر أصحابه اليه وقد وقع كانه الفتيق فصلبوا على وجوههم وحملوا على الاميرة من شدة الحنق فحملت بنو كلاب وكذلك باقى أصحاب دمدرى وهم عشرون ألف فعملت السيوف فى المفارق وحقت الحقائق ولم يزالوا كذلك جسد مذبوح أوجسد بلا روح أودم مسفوح حتى ذهب النهار وأقبلت غياهب الإعتكار وقد رجعت الطائفتين من ضرب البتار وقد قتل من أصحاب الأميرة ثلاثمائة فارس ولما انفصلوا أحدقوا الروم بالمجاهدين من كل جانب وقال هرمس أنا غدا أبارزها وإذا أنا أخذتها من الميدان فما يبقى للباقين ثبات وما يمنعنى من الخروج اليها الساعة إلا أنها قد قاتلت وتعبت وأخاف إن أخذتها يقال كانت تعبانه فاغتاظت ميمونة من هذا الكلام وحنقت على هرمس وأضمرت له الغدر وأن الأميرة باتت تلك الليلة وقد أحدق بها الكفار من كل جانب ومسكوا عليها سائر الطرق وأضرمت النيران وتصايحت عبدة الصلبان وعدو الله هرمس قد أضرم بين يديه النار وصار يسجد لها من دون الملك الجبار والأميرة ذات الهمة تسبح وتقدس وتوحد وتمجد وكذلك أصحابها وهم سبعمائة وسبعة وأربعون والباقون استشهدوا ولم يزالوا يسبحون الله عز وجل طول الليل بالباقيات الصالحات التى ما يقولها عبد فى ليل ولا نهار إلا وانفتح له أبواب السعادة وتنزل عليه الرحمة من الله تعالى وهى سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم هذا وحرب بن شيبان قد جمع العرب المتنصرة من رجاله وكانوا ثلاثين ألف فارس وقال لهم اعلموا أن هذا الرجل القائم علينا ما فينا إلا من يعرفه واسمه قد ملأ الأرض وأنه هرمس المجوسى وكان قد انقطع ذكره عنا فى بلاد الإسلام وقد أعطاه خليفة الزمان أقطاعا فى العراق والساعة قد دخل يطلب الزيادة من بلد الروم وما هو إلا أن يأخذ الأميرة ذات الهمة وقد صار عند الملك أرمانوس بالمكان الرفيع والمحل المنيع ونصير نحن فى أدنى المراتب وربما قال الملك هذه التى كنتم عجزتم عنها طول الزمان قد أخذها هذا فى الميدان ولا يبقى لنا ذكر فقالت رجالهم فما الذى نعمل لعل أن تشير علينا برأى يكون فيه ضرب رقابنا بأن تقول لنا أبرز وإلى ذات الهمة حتى يكون لنا الذكر وان كنت أنت تريد ذلك أخرج اليها لعل المسيح ينصرك عليها فضحك من قولهم وقال وحق

المسيح ما فينا من يطمع نفسه فى برازها لأن خير القول أصدقه ولكن ها نحن فى هذا العسكر وإذا أصبح الصباح يخرج هرمس إلى برازها فنسبق نحن ونهجم كلنا على ذات الهمة فى أربعين ألف عنان ونهب لحمها على كل سنان وأنا أرسل الساعة إلى بطارقة دمدرى وأقول لهم خلوا هذا القتال حتى تأخذوا بثاركم ولا تقصروا عن ذلك فتنقص عند الملك منزلتكم ويصغر جاهكم ولا يبقى لكم عنده مقام وان عدتم إلى أوطانكم يقول لكم ملككم قتلتم ولدى وعدتم وما أخذتم له بثار فقالوا العرب هذا هو الصواب افعل ما بدالك فعندها أرسل حرب بن شيبان إلى فرسان دمدرى بهذه المقاله وأجابوه إلى ذلك وقالوا وحق المسيح ما نمكن هرمس من أخذها ولو بقى معنا شخص واحد وأن عارضنا قتلناه هو ورجاله وأبطاله فلما سمع حرب بن شيبان هذا الجواب فرح بذلك وأراد الإستظهار فأرسل الى ميمونة يقول لها لى معكى حديث وأريد أن آتى اليكى لأجله فقالت دعه يجىء وكانت عن ميسرة ذات الهمة تحرسها حتى لاتهرب فأتى اليها حرب بن شيبان فى عشرة من وجوه عشيرته فلما دخل عليها قامت له وأخذته إلى جانبها فاظهر لها التوجع وقال لها وحق المسيح لقد صعب على ما جرى من هذا الكلب عابد النار الذى لا هو مسلم ولا هو نصرانى ولا له دين يرجع اليه وقد كان ما كان والحرب ما هو بحكم الإنسان اليوم قهرك غدا تقهرينه لأن موضعك معروف وكان الواجب عليه أن يحترمك حيث أنك زوجة الملك ونحن ما ندرى ما نقول ولا نتكلم فزعا من الشيخ النجيح لأن كتابه معه وهو واسطه بينه وبين الملك ونحن نعرف منزلة عقبة عنده وعند جميع الناس والنصرانية ولو قال لهم أقتلوا البترك فعلوا ولو أمر الروم أن تضع سيوفها فينا فعلوا وان أراد قطع أخبارنا وقال أطلبوا بلاد الإسلام وكنا نهلك بلا محاله وحق المسيح ما قلنا أنه يقهركى فى الحرب والا كنا أرغمنا أنفه ولو كنا هلكنا عن آخرنا الساعة قد مضى ما مضى وقد عول أن يخرج إلى ذات الهمة ويأخذها ويصير هو عند الملك فى أعلى منزله من جميع الناس فقالت ميمونة وقد وقع عندها هذا الكلام بموقع عظيم وحق المسيح أيها الأمير أنا ما جرى على ما جرى إلا من غير بى على الملك أرمانوس لأنى رأيت هذه البنات العلويات الملاح التى كانهن البدور والطوالع فقلت فى بالى ان وقعت عين الملك على احداهن هجرنى ولأجل هذا ما علمت أين أضع حسامى والساعة قد فعل بى تلك الفعال ولقد كان القتل أهون على منه فسوف ترى كيف أقتله ولو تعلق بالنجوم أو غاص فى التخوم فقل أنت أى شىء فى نفسك تريد أن تفعل فى غداة غد فقال نحمل على الأميرة ذات الهمة بالعرب والسودان ونأخذها أخذا

باليد قبل خروج هذا الشيطان هرمس حتى يكون الذكر لنا لا له فقالت نعم ما رأيت أيها الامير فان هذا هو الصواب وأنا أيضا عينك وان رأيت هرمس قد سبقنا أمرت عبيدى ان تخرج اليهم ويحملوا عليهم ويرمرا من عبيده الجماجم وإذا تكلم الملك فى هذا بشىء كان جوابه على (قال) فخرج من عندها حرب بن شيبان وهو بذلك فرحان وباتوا إلى أن أصبح الله بالصباح فكان أول من ركب هرمس وكان ذلك شوقا الى ملاقاة الأميره وكانت عبيده من حوله وهم يقولون له احفظ نفسك منها فان الحديث عنها عظيم وهو يقول لهم طيبوا نفسا وقروا عينا فانها لو كانت هى والروم والسودان والعرب أسقيتهم شراب العطب ولا كان لهم من سيفى مهرب (قال) وكانت أم عبد العزيز وبناتها لما رأوا ماوقعت فيه الأميرة من كثرة المواكب وما قد أحاط بها من الكتائب حملوا همها ونسيوا ماجرى عليهم بسببها لأنهم كانوا أملوا لما رأوها أن يكون فرجهم على يديها فانقطع رجاهم وخاب مناهم وزاد بلاهم وقالت أمهم احل بهذه الأميرة وماجرى عليها ذلك إلا من أجلنا وما أصيبت إلا بسببنا فليتها كانت رجعت قبل أن وقعت فى هذا البحر الزاخر الذى ليس له أول من آخر (قال) فهم فى الكلام واذا بحرب بن شيبان قد ركب فى جماعة الرهبان ونادوا كلهم الى هرمس ياهذا ماهذا يوم براز نحن نريد الانجاز وذلك من أمرين أحدهما ان هذه الأميرة أقرب الى بلاد الاسلام من بلاد الروم وما نأمن أن يلحقنا ابنها عبدالوهاب فى فرسانه وأبطاله وشجعانه ونحن نعرف أنه اذا جاء فى مائة ألف كسر عساكر الروم ولو كانوا بعدد النجوم والأمر الثانى أننا ماخرجنا من عند الملك إلا وقد أمرنا أننا لانبطىء ساعة واحدة وقد أجل لنا أجلا فما نقدر نتعداه فلما سمع هرمس كلامهم علم مرادهم لانه كان أصله من بلاد العجم وكان قد ربى بأرض العراق وصاحب لصوص البصرة ونام فى غابات السباع وتسلق الحصون والقلاع فعلم من لعنته انهم يريدون أن يكون الذكر لهم فقالوا له أصحابه أيها السيد دعهم يفعلون ما يريدون ولا تشوش حالنا عند خواص الملك أول قدومنا اليه فما يكون لنا معهم مقام هذا وقد حملت الروم والعرب على الأميرة وأصحابها وهم ذلك الخلق الكثير وقد أيقنت أصحاب الأميرة بالعطب فقاتلوا قتالا شديداً قتال من نظر الى علم الجنة قد لاح وبذلوا فى طاعة ربهم الارواح وطمعوا فيما وعدهم الله به على لسان سيد المرسلين حيث قال من له الفضل والمنه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ورميت اليهم الاحجار من سائر الاقطار وأرموا عليهم بسهام مثل الغمام فصبروا على الحرب صبر الكرام وصبروا على الكرب واختاروا الطعن والضرب والاميرة فى وسط العجاج تقول ايه ياأحباب الله هذا يوم الحق الذى وعد الله

به عباده المؤمنين بالجنة وهى على ذلك الشأن إذ نظرت الى حرب بن شيبان فقالت له ويلك ياعدو الله الى متى تعيش ياالعين اليوم أريح منك المسلمين ثم قالت ويلك ياملعون انت ماتعلم أن بيننا صلحا وهدنه ايش الذى أحوجك الى قتالنا والهدنة بيننا فقال حرب أنتما نقضتم الهدنة والصلح وإلا فايش الذى أدخلكم الى بلاد الروم فقالت ويلك نحن مادخلنا لاجلكم وانما دخلنا من أجل هذا الشيطان هرمس انها حملت عليه وأنشدت تقول

أياحرب هذا يوم معترك القنا ☆ وطعن سنان كذاك ضرب يمانى
أياحرب والله العظيم الذى له ☆ يسبح فى كل الامور لسانى
لقد أصبحت روحى تحن الى اللقا ☆ وتطلب كاسات الردى لمانى
فواحدة سؤلى الى الله ربنا ☆ وقرب نعيم فى مقام أمانى
مع السيد المختار سيد رسله ☆ نبى الهدى بل سيد الثقلان
ولابد لى مما أزودك ضربة ☆ تصير بها نهبا بكل سنان
ولو كنتمو امثل النجوم وبعدها ☆ كمثل رمال الارض يجتمعان
لقاتلتكم حتى يرى السيف أحمر ☆ من الضرب مادامت يدى وسنانى
وماهى الا موتة قد رضيتها ☆ لضيعة عمرى وانقضاء زمانى

(قال) فلما فرغت الاميرة من شعرها ضايقت حرب بن شيبان وكان هذا اللعين عمدة المتنصرة وفى قلوب الحنفاء منه نار مسعرة وكان إذا أسر من المسلمين من له قدر وشأن فيفدونه به وكانت الاميرة دائما تقول لولدها عبد الوهاب والله ياولدى انى أخشى أن أموت وما أثرت فى أمراء العرب المتنصرة أثر وكان حرب ابن شيبان فارس الصلبان (قال) وان الاميرة ضايقته ولاصقته وقاربته وطعنته طعنة واصلة فانحرف حرب بن شيبان عنها فجاءت فى جانبه الايمن طلع بعض الرمح من جانبه الايسر ثم نفضته الاميرة فوقع الى الارض فلما نظره ولده أبو الشيص مجندل كشف رأسه وصاح وا أبتاه واعزاه واذلاه وا أيتماه واقلة ناصراه ويا مصيبتاه واذل النصارى بعدك يا أبتاه واشتغلت العرب من أجل أميرها وكذلك البطارقة ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل الى أن أقبل الليل بالاعتكار ومضت جوهره النهار وقد قتل من الكفار أربعة آلاف وبقى مع الأميره من أصحابها مائة وثمانين وأكثرهم مجرحين فلما رأتهم الأميرة على تلك الحالة والدما يفيض من جراحاتهم عادت دموعها مثل المطر مما جرى عليها من العبر وأيقنت بهلاكهم وهلاكها ثم أنها نظرت الى هرمس وكان نازلا تحت سن جبل خارج وما عليه طريق لمن يريده ولا لأحد عليه تسليق فقالت لاصحابها وقد انضموا اليها ما الذى بكم فقالوا أيتها الأميرة ما بنا شىء نحن أشهى

الى القتال من العطشان الى الماء الزلال ولكن كنا نريد من يوصل أخبارنا الى ملطية فقالت ابشروا من الله بالعيشة المرضية فى الجنان العليا فذلك أحب اليكم من كل من فى ملطية ومع ذلك فان هذا الجبل الذى خلف هرمس لو كنا تحتيه كان أحمى ظهورنا الى أن يفرج الله عنا إما بالموت وإما بالفرج وما فى الأمر الا اننا نطلب هذا الجبل مادامت الروم قد نزلت لعلنا نلتجىء اليه ونطرد هرمس من موضعة والا إن نزلنا من على ظهور الخيل فى هذه الليلة لا نأمن من شر هؤلاء الملاعين أن يعملوا على كبستنا عند غفلتنا لأن كل طائفة منهم تريد أن تيميز على الأخرى بأخذنا فلما سمع أصحابها قولها قالوا لها افعلى ما بدا لكى فنحن قد أيقنا بالموت فلما رأت نياتهم خالصة حملت تطلب نيران هرمس بلا ضجة ولا صياح (قال) وكان هرمس فى ذلك اليوم لم يقاتل مع الروم من غيظه عليهم فما أحس بالمجاهدين الا وهم معه فى الخيام فثار وثارت معه عبدة النار وقاتلوا أصحاب الأميرة تحت ستور الظلام والاعتكار الا انه لم يكن أكثر من ساعة حتى قتل من أصحاب هرمس اللعين أكثر من خمسين وقتل من أصحاب الأميره ثلاثة وصار الجبل من وراء ظهورهم واستقبلوا الاعداء بصدورهم وصار قتالهم من جهه واحدة لأنهم باتوا فى بحر ماله قرار ولما نزلوا جعلت الأميره تفتقد جراحاتهم وجعلت تبشرهم بما أعد الله لهم فقالوا أيتها الاميرة لاتظنى أنا نخجل بنفوسنا فلنا أسوة بكى فوالله العظيم مافينا الا من اشتاق الى لقاء الله تعالى ولقد تهيأنا للرحيل من الدنيا الى دار البقاء (قال) فدعت لهم الاميرة وقالت أو يأتيكم الفرج من الله تعالى فانه سميع مجيب (يا سادة) وكان ملك الروم لما وصل اليه كتاب الملعون حرب بن شيبان بخبر الاميره ذات الهمة كان قد أنفذ عشرين ألف بطريق من خوفه عليهم منها (قال) ونظر مارس وأخوه دارس الى ذلك فقال الواحد للآخر والله اننا نخاف على الأميرة اذ هى فى هذه القلة من الفرسان الذين ذكرهم فى كتابه هذ الشيطان حرب بن شيبان وربما أن يكون ولدها عبد الوهاب ما عنده خبر من هذا ولا علم ولا يعلم بما جرى لها فى بلاد الروم ونخاف تلومنا على ذلك وما لنا الا اننا ننفذ كتاب الى ملطية الى عند عبد الوهاب ونقول له بادر اليها والا هلكت هى ومن معها من الأصحاب ثم انهما كتبا كتابا يقولان فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير الاجل اعلم أن الخبر وصل الى الملك فى كتاب من عندعقبة بأن يخرج الى لقاء هرمس المجوسى الذى أخذ أخوة عبد العزيز والدته ففعل الملك ذلك واخرج الى لقائه ستين ألف فارس وبعد ذلك وصل الينا كتاب من عند حرب بن شيبان يقول أن ذات الهمة قد دخلت فى فارس تطلب خلاص الاسارى وقد وقعنا بها ونحن

مشرفون على أخذها وقد فرح الملك بذلك وأنفذ اليها أربعين أخرى وهذه خلائق مالذات الهمة بها طاقة وان تدركها فهى هالكة لامحاله والسلام ثم انهما علقا الكتات على جناح الطائر فكان آخر النهار فى ملطية فأخذه البراج وأتى به الى عمرو بن عبيد الله (قال) فلما سمع عمرو قصة ذات الهمة وما جرى لها مع هرمس وكيف تطلب الخلاص وقد مضت الى خلاص اخوة عبد العزيز وخروج الروم الى لقائهم وكان فى آخر الكتاب يقول العجل العجل والا هلكت الأميره ومن معها (قال) فلما علم الأمير عمرو تلك الأسباب جميع بنى سليم سرا من بنى كلاب وأعاد عليهم مافى الكتاب وقال ما ترون فى هذه الحال فقالوا اذا قلنا لك قولا تقبله فقال نعم قالوا اطفىء السراج فى هذا الكتاب ولا تطلع عليه أحدا من بنى كلاب ودع يجرى ما يجرى فقال والله وهكذا كان فى خاطرى لأن ذات الهمة لما سمعت بخراب بلاد هرمس سارت وحدها حتى تنال الذكر عند الخليفة يأخذه فاذا أخذته هددته بالقتل حتى يقول لامير المؤمنين ما حملنى على فعل هذا الا عقبة ويريدون أن يوقعوا بينه وبين عبد العزيز العلوى بحيث انه تكلم فى حق عقبة عند أمير المؤمنين أليس بالامس زوجنى عبد الوهاب بالجارية ائتونا وأطمعونى بها ورجعوا بذلك علموها حتى قالت أنا ما أريد الا عبد العزيز العلوى هذا كله ماهو من شدة الحسد فقالوا بنى سليم كل هذا من يدك لأنك تجمع المال وتدخره وعبد الوهاب ماهو كذلك بل اذا حصل له ماله استخدم به رجال ومتى كان مثلك ماله منكوز ما ينفعه الامير الا رجاله وأبطاله وكرمه ولو كان معك رأى أنفذت الى بعض أمراء العرب وأتيت به وبرجاله وخلعت عليهم وأعطيتهم المال وتركتهم معونة على أعدائنا على كل حال ونعطيهم نصف ما فى أيدينا من الاقطاع والضياع ويكونوا لك أنصار إذا دهمك عدو وإذا سرت الى مكان وأنت تعلم أن عبد الوهاب ماصار له ذلك ببنى كلاب وإنما صار له ذلك بالسودان مثل أبو الهزاهز وسملق وقراقد وقرقود وميمون الجماس وغيرهم من السودان (قال) فلما سمع الأمير عمرو ذلك قال سوف أفعل ذلك وانا أقول أن ذات الهمة لم بقيتوا ترونها أبدا لاهى ولا من معها وإذا ذهب الأصل فلا يبقى للفرع ذكر من بعده أبدا (قال الراوى) لقد نظرت فى كتاب الحسد فما نظرت قط مثل هؤلاء القوم الذين ما كانوا يجتمعون الا بسيوف بنى كلاب ولايفك لهم أسير إلا بهم وكانت هذه الفعال فعالهم مقابلة جميلهم (ياسادة) فلما كان فى اليوم الثانى وصل الأمير عبد الوهاب والامير عبد العزيز والألف فارس الذين معهم بعد مادارو جميع أرض الحجاز ونزلوا الى حلل العرب وطافوا الاودية والشعاب والاقطار

والرحاب فما سمعوا خبر ولا وقفوا على أثر فقال الأمير عبد الوهاب للأمير عبد العزيز وقد رآه جارى الدمعة وقد أيس من اخوته وأمه اعلم ان الله تعالى وعد الصابرين الجنة فقال عبد العزيز والله أيها الأمير لم أجد الى الصبر من سبيل وكيف يكون لى صبر وقد كنت أسمع أبى يوصينى بهذه البنات ومات وهو حامل همهم وعلى فى هذا عار عظيم وشنار ولا سيما الأم الكبيرة التى ماظفرت منى باللقا وبقى دمعها دائم لا يرقا وكان لها معى وداع مابعده اجتماع فقال الأمير عبد الوهاب والله انى أنا خائف أن يكون الذى حسبه أبو محمد البطال وقاله لناصح من أمله الملعون عقبة فارجع بنا أيها الامير إلى ملطيه فان كان فى بلاد الروم خبر فان لنا فى القسطنطونية قوم وهم على دين الحنيفية فقال عبد العزيز سر بنا أيها الامير إلى أى موضع أردت فأنا أصبحت كما قال بعضهم :

وأصبح لايدرى وان كان حازما ٭ أخير له قدامه أم وراءه

(ياسادة) هذا وقد عاد عبد العزيز مع الامير عبد الوهاب حتى وصلوا إلى ملطيه فاستقبله الامير عمرو بن عبيد الله وسلم عليه وعلى عبد العزيز فرد عليهم الامير السلام وسأله عن الاميرة ذات الهمة فقال دخلت إلى بلاد الروم فقال لعبد العزيز مادخلت إلى بلاد الروم إلا وقد سمعت بأخبار اخوتك ووالدتك وها أنا سائر فى أثرها ولا أقعد عنها (قال) ثم ان الامير نادى فى بنى كلاب بالاخبار ونهض فى جيش جرار وعول على المسير فصعب ذلك على بنى سليم وتمنوا لو أن عبد الوهاب أبطأ قليل حتى تهلك الاميرة (قال الراوى) ثم ان الامير عبد الوهاب بقى حائر لايدرى أين يقصد ولا إلى أى الجهات يطلب وهو بين المصدق والمكذب فهو كذلك وإذا بالبراج دخل عليه وفى يده طائر وعليه كتاب فقال الامير من أين هذا الكتاب قال يامولاى من بلاد الروم ففتحه وإذا فى أوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد فانى متعجب من هذه الغفلة التى نزلت بكم ان يكن فيكم نخوة تخلصوا أم عبد العزيز وبناتها وأم الامير عبد الوهاب من أيدى اللئام فأى حظ يبقى لكم فى الإسلام لان الاميرة قد أحدق بها ثمانون الف من الكفرة والتبع اليها واصل وأكثر مابقى معها سبعين فارس أو ثمانين وما أقول إلا انكم ماتلحقوها إلا قتيلة أو أسيرة وهذا ثانى كتاب قد كتبناه اليكم العجل يا أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب مافى الكتاب قامت عليه القيامة وبكى حزنا على بنى كلاب وقال متى وصل الكتاب الاول فقال يامولاى من أيام قلائل فدق الامير بيد على يد وقال لمن أعطيته فقال الأمير عمرو

ابن عبيد الله فبكا على والدته ومن معها من بنى كلاب وقال هذا يجرى من عمرو وبنى سليم ثم نادى فى أصحابه وقال لايلتقى أحد إلا ويركب ويسير معى فركبت بنو كلاب فى مائة ألف وركب عمرو أيضاً لوداع الامير عبد الوهاب وقل أيها الامير أراك مشغول البال وأنت من أمرك على استعجال فلم يكلمه الامير من شدة غيظه بل أشار اليه بهذا البيت يقول :

إذا قلت ان أبى من بيت مكرمة ٭ قالوا صدقت ولكن بئس ماولدا

ثم قال ياعمرو هذا جزاءنا منك ان تفعل فى حقنا هذه الفعال وفى حق الاميرة حيث ما كان فيك نخوة تنتخى لنا كنت أعلمت بنى كلاب حتى كانوا يسارعوا الى خلاصها ولكن ياعمرو أقول كما قال مجنون ليلى فى شعره حيث يقول :

ستعلم ليلى أى دين تداينت ٭ وأى غريم للتقاضى غريمها

ولكن لو كنت أعلمت بنى كلاب حين وصل اليك الخبر كانوا الساعة عند الاميرة وأعانوها على الكفار ولكن الايام تتقلب بالانتقام والدهر مايدوم على فرد حال فان كان ثم على والدتى أمرا من الامور فلا أنا ولا أنت نبقى فى ملطيه الا إن أراد الخليفة واحد منا أقامته فى البلد ويخرج الآخر مطرود فقال عمرو هذا ظنك يا عبد الوهاب أطردانا وتقيم فى ملطية انا ما قعدت عنها إلا أنها سارت وما أعلمتنا بحالها وبخرها إلا كانها سارت إلى دعوه أو إلى غنيمة ما تريده من يزاحمها عليها هذا وقد اجتمعت بنو كلاب وسمعوا الخبر فوقع البكاء فى البلد على الرجال الذين قتلوا وركبت افتونا لأجل الأميرة ذات الهمة وعبد العزيز وعبد الوهاب لايأخذهم قرار لأن المصيبة كانت واحدة صارت اثنتان فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما أصبحت قاتلت حتى بقى معها سبعين فارس وضيقوا عليها وكتبوا إلى الملك أرمانوس بهذا الخبر ففرح الفرح الشديد وقال ألف فارس من بنى كلاب ذهبت على السيف أحب إلى من قتل مائة ألف من عساكر العراق لأنه ما على الروم أضر من بنى كلاب فأرجو من المسيح ان يمكننا من الأميرة ذات الهمة حتى يكون فرحا ثانى ثم سير عشرين ألف فارس آخر فقاتلت الأميرة ذلك اليوم والثانى والثالث والرابع والخامس حتى قتل كل من معها ثم أثخنت بالجراح ولم يبق فيها قوة تدفع عن نفسها وأخذت أخذا باليد وقد صلبت الروم على وجوهها من حسن صبرها وقتالها وأرادوا أصحاب دمدرى قتلها عوضا عن ملكهم فقالوا أصحاب حرب بن شيبان ما نقتلها إلا عوضا عن أميرنا فقالت ميمونة خلوا عنكم الهذيان ما يقدر أحدا منكم يمد يده اليها حتى أسيرها

الى الملك يقتلها كيف تريدون تصلوا كلكم الى تاركم فقالوا نعم ما رأيتى أيتها الملكة ثم شدوا الأميرة ذات الهمة كتافا وحملوها على جمل عالى والدم يسيل من جراحاتها وهى لاتفزع من الموت بل تنظر لأخوات عبد العزيز وهم يبكون فتبكى لبكائهم ومن عظم ما جرى عليها جعلت تقول

سلام على الدنيا الدنية لم تزل . أمور بها منهلة ومصائبا
اذا عمرت يوما من العز جانبا . تعيد خرابا بالحوادث جانبا
فان فرحتنا بعض يوم تقلبت . بنائم كافتنا بذاك نوائبا
فمن مبلغ عنى الأمير وصحبه . فان يد الأيام ولت مصائبا
ففرقت الأبطال حتى رأيتهم على . الأرض صرعى شرقها والمغاربا
وما قتلوا حتى اشتفوا من عداتهم . وقد بذلوا فيهم سيوفا قواضيا
وقد أخذونا والليالى بصرفها . تجور وتبدى كل يوما عجائبا
فان كان لى عمر فسوف ترونى . أطالبهم بالثار فيمن أطالبا

(قال الراوى) يا سادة وخرجوا من الشعب وانبسطوا فى ذلك المرج حتى ثار عليهم غبار من خلفهم حتى ملأ الأقطار وغابت منه شمس النهار ثم انكشف عن قعقعة اللجم واصطفاق الرماح وصهيل الخيل وهمهمة الأبطال وازدحام الرجال ونظرت الروم الى ذلك واذا فى أوائل القوم الأمير عبد الوهاب وعبد العزيز وكثر التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلما رأوا ذلك تمخضوا وأرسلوا الى الملك ارمانوس يعلموه أن عساكر الثغور قد أدركتهم هذا والأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك وما قد حل بوالدته ما أبدى خطاب بل حمل فى بنى كلاب وقد وقفت الروم لأنها واثقة ببلادها وديلها طويل وناصرها غير قليل وعادت ميمونة والعرب المتنصرة وهرمس ونظرت الأميرة ذات الهمة الى ولدها عبد الوهاب وقد أقبل فصاحت الله أكبر الله أكبر مرحبا بك يابنى هذا والله وقت القدوم فلا زلت سيفا على الروم وكانوا أخوات عبد العزيز قد أخرجن من الهوداج متهتكات واركبن على الجمال وهن حاسرات هذا وقد نظرن الى العسكر ففرحن بذلك ونظروا أيضا الى عبد العزيز فعلموا أنه أمير الجيش ونظروه وهو مكشوف الرأس وذوائبه مدلاة وهو ينادى واعجوزاه وا أماه واأخواتاه اليوم اهجم على الأعداء وصوته قد ملا البيداء فلم تكن الا ساعة حتى اصطدمت المواكب وظهرت العجائب وعملت الصوارم فى الجماجم وقطعت العلاصم وجعلت الخيل تجول والدم يسيل والرجال تميل حتى أكتست الأرض حلة أرجوان مما ضرب عليها من رقاب الشجعان

وسالت دماءهم سيلان ولم يزل الصارم فيهم حاكم حتى كان وقت الظهر وقد قتل من الروم والعرب المتنصرة خمسة وعشرون ألف فارس ولما نظروا الى ما حل بهم طلبوا الجبل الذى كانت التجأت اليه الأميرة ذات الهمة وطرح الاسارى من وراء ظهورهم هذا والملعون هرمس قد فتك فى بنى كلاب وقتل منهم جماعة من أبطالهم وكذلك ميمونة وأصحاب دمدرى قاتلوا القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أنسدل الظلام وقد قتل من الكفرة اللئام تمام السبعة وعشرون ألف وقتل من المسلمين ثمانمائة ونصر الله فى ذلك اليوم المسلمين وطائفة الموحدين وخذل القوم الكافرين وطائفة الملاعين ونزل الأمير عبد الوهاب والامير عبد العزيز العلوى وأما الملعون هرمس فانه أقبل على الروم من ليلته وقال لهم ياويلكم أنتم فى الحروب كلا شىء وقد كنت أحسبكم أبطال فى موقف الحرب والقتال وقد مضى اليوم ثلثكم ولو طال النهار عليكم لكان تشتت شملكم فاذا كان فى غداة غد خلونى وأصحابى وبطارقة دمدرى نتولى الحرب والاضاع الصواب وان جرى براز فأنا أكفيكم مؤونة الجميع وأريد أن تورونى أين يقف عبد الوهاب حتى أعرف مستقره وأكفيكم شره وكذلك عبد العزيز العلوى فقالت ميمونة دع الاعجاب فليس هذا بصواب وأنت مالك معرفة بهؤلاء القوم وان لم نقاتل نحن بأجمعنا وإلا أفنونا ونخاف أيضا من الملك أرمانوس ان جرى عليك أمر يقول لم تخليتم عنه وتركتوه مع عبد الوهاب وبنى كلاب حتى أهلكوه وما فى الأمر إلا القتال حتى تأتينا عساكر الملك والساعة تأتينا أهل القلاع القريبة منا والحصون التى خلفنا وترى ما يأتى من الخلق وكيف تهلك الأعداء فسكت هرمس عنهم وعلم انهم ما يريدون أن ينفرد بشىء دونهم فاجتمع بأصحابه وقال لهم وحق النار والنور لاقاتلت معهم غدا ولا عاونتهم لأنى ما أقمت عندهم ولا أخذت منهم درهما واحد بل قد تركت بلادى وضياعى واقطاع والدى الذى كان فى يدى وقد قتلت عبيدى ولقيت فى البرية ما لقيت وما حصلت بعد ذلك على طائل وهذا كله بتدبير الشيخ عقبة فلا كان ولا كانت ساعته ولا كانت أيام رأيناه فيها لأنه أفسد حالنا مع المسلمين والروم فما أراهم يفلحون وها أنا أقيم اليوم وغدا أشاهد الحرب مشاهدة فان كانت الكثرة للروم فما يدخل على فى ذلك لاهم ولا غم وان كانت للسلمين فأنا أريكم بعد ذلك ما أصنع بهم وكيف أبيد المقدمين عليهم المذكورين ويبقى الباقون مثل الغنم بلا راعى وأقام الناس على الحرس الى أن طلع الفجر وأذن مؤذن عسكر المسلمين وصلوا

المسلمون صلاة الفجر وبعضهم وقوف فى وجوه الأعداء ولما صلت الطائفة الأولى تقدمت إلى وجه العدو وصلت الطائفة الأخرى واصطفت الصفوف فى وجه الأعداء وكذلك الروم دقت نواقيسها وقبلت صلبانها وكفرت بخالقها ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم اعتمدت الرجال على الصفاح وركوب الخيل وهمهمت الرجال همهمت الأسود هذا وميمونة فى أوائل القوم وأبو الشيص بن حرب بن شيبان فى أوائل العرب المتنصرة وكان هذا الملعون أشد من أبيه وأشجع فبينما الناس معولين على الحملة وإذا بفارس قد ظهر من عسكر المسلمين على جواد مليح الصفرة طويل الوفرة مليح الخطرة يسوى ألف بدره وعلى ظهره فارس رشيق القد وعلى صدره زرد مثل عيون الجرد لايعمل فيه الصارم المهند ومن فوقها ثوب أسود لباس أهل الحرب وشعر الفارس مسبول على أكتافه وهذا زى العرب إذا أخذت العرب نساءها وسبوا حريمها يلبسون السواد وينشرون الشعور ولا يقصون شعورهم ولا ينزعون السواد عن أثوابهم إلى أن يخلصوا الحريم يضربون القمم وكان ذلك الفارس الذى برز عبد العزيز العلوى رضى الله عنه لأنه ما وجد الصبر بعد ان رأى اخواته مسبيات ونادى بصوته فأوقع الروم والعرب وقال معاشر النصرانية من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا عبد العزيز العلوى والحرم التى مع هذا الملعون هرمس هن والدتى واخواتى ومالى منكم خصم إلا هذا الكلب هرمس الذى تعدى على وأخذ أهلى من غير سابقة كانت منى اليه ولا عداوة كانت بيننا وما فعل هذا إلا حتى يتقرب به إلى ملك الروم وكفى بهذا مذلة بين الناس وقلة لأنه ما أخذ الانسوان لايدفعن عن نفوسهن ضراً ولا نفعاً فهو كما قال القائل :

كفى بك ذلا أن تكون مبارزا ٭ حريما وتبغى عند ذاك المعاليا
وما نلت عزا بل غدوت بذلة ٭ وما أنت إلا مخزى النفس عاريا

والآن فقد مضى مامضى يخرج إلى حتى آخذ منك بطارى وأكون قد أرضيت الخالق البارى ولا اعتراض على القضاء ثم انه أنشأ وجعل يقول :

معاشر جمع الروم لاتتعرضون لى ٭ فقلبى على نار الأسى يتفطر
فلى منكم خصم أريد برازه ٭ لعلى أن أحظى بطارى وأظفر
وقولوا لمن قد سود الله وجهه ٭ وأصبح يغتال الحريم ويفجر
وما هكذا فعل الكرام ومثل ذا ٭ قبيح لعمرى فى البرية يذكر
فيبرز نحوى كى ترى الناس بيننا ٭ قتال يشيب الطفل منه ويذعر

ويبقى على الأرضين ثاوى مجندلا ⋄ يحوم عليه الطير والوحش ينفر
حلفت وحق القاصدين إلى منى ⋄ ومن طاف حول البيت وهو مصقر
لاقتحمن الجمع فى جحفل ترى ⋄ به الخيل تجرى والصوارم تشهر
وأمنحكم ضربا ترى الأرض بعده ⋄ عليها رؤوس من جسوم تنثر

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة والعرب المتنصرة ذلك من شعر عبد العزيز قالوا لقد انصف هذا الرجل وما تعدى ثم انهم اقبلوا على هرمس وقالوا هذا صاحبك اخرج اليه فقال هرمس قد عرفت أن المعنى لى ولكن ما أخرج الى هذا الصبى الصغير السن الذى ماله ذكر ولا شجاعة فقالوا له أما ماذكره وحق المسيح انه أوفى من عبد الوهاب عند الروم وقدفعل مالا يفعله والملكة ميمونة تشهد بما رأت ولقد أجهدت أن تأخذه فى مقام الحرب فما قدرت (يا سادة) فلما سمع هرمس كلامهم نادى بعبد من عبيده يقال له زحاف وكان فارسا لايطاق يقتنص السباع من الآجام ويطحطح الابطال عند ضرب السيف وعند ضرب الحسام فأجاب مولاه فقال له دونك وهذا الفارس اقتلعه من سرجه حتى تنظر العساكر فعلك فقال يا مولاى ماظننت الا انك تقول لى أخرج الى كل المسلمين والا هذا الفارس سوف آتيك به أسير وأقوده ذليل حقير ان شئت تقتله وان شئت تأسره ثم انه صاح بجواده فخرج مثل الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب ومد اليه الاسمر الكعوب ثم أنشد وجل يقول

الا أيها المغرور دونك زحاف ⋄ لارواح الاعادى بذا الرمح خطاف
لاقتحمن الجمع بالسيف هاجما ⋄ ولو كنتم أضعاف ذلك آلاف
اخواتك ياهذا على غير فرحة ⋄ بذلة أسر المذلة أشراف
تلاطمهم أيدى المجوسى ومارعت ⋄ لهم حسبا لما تسمون أشراف

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه بعد أن أجاب له عبد العزيز على شعره وقال هذه الابيات

ستعلم يازحاف انى زاعف ⋄ اليك بلا شك لروحك خطاف
ستعلم انى فى الحروب غضنفرا ⋄ اذا حطمت فيها رماح وأسياف
وما ضرهم لطم العدو وقدرهم ⋄ يباهى به الا ملاك علوا واشراف

(قال الروى) ولا صقه عبد العزيز وطعنه بالرمح فى صدره اطلعه من ظهره فكبرت المسلمون وعظم ذلك على هرمس ونادى بعبد له يقال له نضانض فحمل على عبد العزيز حملة منكرة وكان نضـــانض ماهو فى رمى الحراب فلما تقربا

ضرب عبد العزيز بحربة فأخذها عبد العزيز فى ترسه فنفدت منه وأصاب طرفها يده ثم أن عبد العزيز هجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه من علائقه ونادى برفيع من صوته ويلك يا هرمس دع عنك التعلل بالمحال واخرج الىّ فلما سمع هرمس ذلك عول على الخروج اليه فتعلق به عبده جحفل وقال يامولاى أصبر علىّ حتى أخرج اليه وافديك بروحى فان انا ظفرت به فيقال أخذه غلام من بعض غلمانه ثم انه قصد الأمير عبد العزيز وحمل عليه وهو يقول

انى أنا الضرغام ادعى جحفلا ليثا عشوما ضيغما مزلزلا
دونك حربى كى تلاقى رجلا لايرهب الموت اذا مانزلا

(قال) فما رد عبد العزيز عليه جواب بل حمل عليه مثل البحر العباب وتطاعنا بالرماح ساعة حتى تقصفت الرماح وتقابضا بالايادى واحتك الركاب بالركاب وتماسكا بالازياق وتعلقا بالاطواق ورأى عبد العزيز من جحفل فارسا لايطاق قوى عند الانطباق وهو مثل الجمل الهايج (قال) والحديد يفرق بين الضعيف والشديد وعبد العزيز رشيق من الرجال كانه الغصن الميال فرآه جحفل على ذلك فطمع فيه عند العراك فهزه وجذبه واذا هو مثل الصخرة الصماء التى لاتزول من مكانها ولم يزالا كذلك الى أن خذلت منهما السواعد هذا وعبد العزيز قد تذكر سكين المنطقة فأخرج يده من تحت يد جفل وجذب السكين وضربه فى خاصرته اليسرى شرطها الى اليمين فوقع الى الأرض صريع يمج علقما ونجيع وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار هذا واخوات عبد العزيز يشاهدون قتاله وينظرون الى نزاله والايام تقول لبناتها أنا كنت حاملة هم أن أموت وما رأيت أخاكن والثانى ما كنت أعلم ما يجرى عليكن من بعدى من هؤلاء والآن فهذا عسكر الإسلام مايتخلى عنكن أبدا ولا بد لهم ان شاء الله تعالى من خلاصكن والساعة قد أنبل شوقى من ولدى وما أبالى ما يكون منى بعد طول مدتى وما قضيت من طول عمرى وقد فكرت فى حالى فانى أمرأة كبيرة السن فان مت قبل الاجتماع به فقبلوا عوارضه عنى واعلموه شدة شوقى اليه واحملونى معكم الى بلاد الإسلام وادفنونى فى قبورهم عسى يكون بالقرب منى رجل صالح فيعتقنى الله من النار ببركاته ثم أنشأت تقول

بناتى بحق الله إلا قرأتم سلامى الى من حل ذكراه فى كبدى
وضموه ضم المشفق الواله الذى يخال لهيب الشوق فى القرب والبعد
وقولوا له أن العجوز لقد مضت الى الله جل الله من صمد فرد

وفى كبدى شوق اليه مبرح ... يزيد على حد الغرام مع الوجد
ترى يجمع الرحمن بينى وبينه ... قريبا وأتى بعدذلك فى لحدى
غرام مقيم ما أراه مفارقى ... وقلبى من الأشواق والبعد فى جهد
أرى ولدى فى معرك الحرب واقفا ... تطالبه الأعداء بالحدو الحقد
وقد نثر الاعمار عزا ونخوة ... وبالأسمر اللون الكعوب وبالهندى
وأرجوا من الله الكريم يحيطه ... بحفظ واسعاد يفوق على السعد
لينقذنا من ضيقه الاسر سرعة ... وأرشفه رشفا ألذ من الشهد

(قال الراوى) ثم بكت وأنطرحت وضعفت قوتها حتى ظنت بناتها أنها فارقت الدنيا فجعلن البنات يبكين عليها وهم يقولون والله أننا بعد كى ما نطمع فى الحياة فى هذه الدنيا ولا الخلود وما الدوام إلا للملك المعبود الذى تفرد بالبقاء وقهر العباد بالموت والله ما نخشى أن تموتين وما تزودتى من عبد العزيز بنظرة فقالت ان كان ما قلتن لى فى السابق فسوف يكون وان كانت الأخرى فلله الأمر من قبل ومن بعد فما أنا بأول من بلى فى هذه الدنيا بالفراق لأنها دار نكد ولاتصفو لأحد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهن فى الكلام وإذا بفارس قد خرج من عسكر المتنصرة كأنه شعلة نار وعليه ثوب رومى ملكى مطرز مدثر يأخذ بالبصر ودرع أضيق من عيون الجرد برد الصارم المهند وهو راكب على جواد مطاوع اللجام يسبق البرق فى ذيل الغمام سريع الانهجام مليح الخطره بصاص الشعره وبيده قنطارية زائد الطول عليها سنان مصقول كانه جمة عقرب أو نار ذات لهب وكان هذا أبو الشيص بن حرب بن شيبان وكان فارسا مذكور وبطلا مشهور والسبب فى خروجه أن العرب المتنصره أجروا ذكر أباه وكيف مضى بلا نار فلما سمع ذلك خرج إلى براز عبد العزيز وهو ينشد ويقول

أعبد العزيز الأمير الأجل ✡ يضرب اليمان وطعن الاسل
أنا ابن حرب مبيد الجيوش ✡ وسيفى صقيل لقطع الأجل
فان لم أبيدكم سرعة ✡ وإلا فأطعمت لحم الجمل

(قال الراوى) يا سادة فلما سمع عبد العزيز كلامه علم أنه فارس ندب خبير بالحرب عند شدة الطعن والضرب فناداه ويلك أنت بن حرب بن شيبان فقال نعم فقال مالى ما أراه فقال قتل (قال الراوى) يا سادة يا كرام فضحك عبد العزيز حتى كاد أن يغشى عليه على ما هو فيه من شدة الغيظ وقال من قتله قال العجوز الأميرة ذات الهمة

التى قد أمكن المسيح منها وأما أنت فلا بد لى من قتلك مثلها فدونك والحرب فقال عبد العزيز أما أبوك فقد وصلت روحه إلى مالك خازن النار وأما أنت، فسوف تلحقه عن قريب ثم أنه أجابه على شعره يقول

أيا ابن حرب أتاك القضا ✡ ومن الخطوب بكم قد نزل
أبوكَ مضى نحو نار الجحيم ✡ وأنت سترحل مع من رحل
أنا عَبد من لم يزل ستره ✡ على الخلق منسبل منسدل
تعودت فى الحرب قطع الرؤوس ✡ وخطف النفوس وخوض الأجل
بقلب قوى وفعل رضى ✡ وضرب يهد أعالى الجبل
أتاك الحمام بضرب الحسام ✡ وطعن السنان فعال البطل
وركض الخيول وهدم الطاول ✡ وقرب النزول بأرض الجبل

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم حمل بعضهم على بعض وجالا طولا وعرض حتى حميت الشمس على الخافقين وتقصفت الرماح من أيدى الأثنين فأرميا بقية الرماح وتضاربا بالصفاح التى هى أعجل لقبض الأرواح وأخذا فى الجدوتر كالطريق المزاح هذا وقد التصقا بالفارسين وتقابضا باليدين فعندها هزه الأمير عبد العزيز العلوى بساعده القوى أقتلعه من سرجه وحمله إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فتسارعوا اليه الرجال فأخذوه منه وعاد الأمير عبد العزيز العلوى إلى مقام الحرب والقتال وطلب البراز والنزال فعندها صاح به الملعون هرمس صوتا عاليا وقال له أرجع الى قومك وأسترح باقى يومك وليلتك وفى غداة غد عد الى قتالى حتى أريك فى الحرب فعالى فعجبت الروم من انصافه وعاد عبد العزيز الى أصحابه وخرج من بعده الأمير سيف الحنيفية باقى يومه الى البراز فتقتل من الروم عشرة ومن المتنصرة ثلاثة ومن عبيد هرمس اثنين وانسدل الظلام وخفيت مواضع الأقدام وبات الناس يتحارسون الى ان طلع ضياء الفجر وعول الأمير عبد العزيز العلوى الخروج فمنعه الأمير عبد الوهاب من ذلك وقال أنا لهذا الشيطان عابد النار هرمس أودع غيرك يخرج اليه فبينما هم فى الخطاب واذا هم بفارس من بنى كلاب قد خرج الى مقام الضراب وكان يقال له خويلد وكان بطلا من الأبطال وقيلا من الاقيال لايهاب الرجال ولا يكترث ساعة الأهوال فحمل على الروم فقتل منهم فارس وحمل على المتنصرة فقتل منهم فارس وحمل على أصحاب هرمس فبادره هرمس بطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره ثم صاح فى جواده فخرج من تحته مثل البرق وقارب الصفوف وطلب البراز وسال الانجاز فلم يخرج اليه أحدا فحمل عليهم فقتل منهم فارس وقتل آخر من العرب ونادى بعد ذلك أين غريمى بالأمس لم لا يبرز الىَّ فى هذا اليوم فهم الأمير

عبد الوهاب أن يبرز اليه فسبقه عبد العزيز وهو يقول

ألا أيها المغرور بالنار شقوة ✲ بهاويك يوم العرض تلقى معذبا
أسرت بنات من خدور عواتق ✲ يعدون عند الفخر أصلا ومنسباً
لهم منصب فوق الثريا مكانه ✲ بفخر النبي الهاشمي المقربا
فدونك حربي يا لئيم فانني ✲ خبير بهذا اليوم طعنا ومضربا

(قال الراوي) فلما سمع هرمس شعر عبد العزيز ضحك ضحكا عالياً وقال سوف ترى الجواب عند الضراب وأنشأ يقول

ألا يا فتى الفتيان دونك فارسا ✲ له فى الوغا فعل يفوق على الفعل
فلو رام صيد الأسد لم يبق ضيغم ✲ يطوف بأقطار البلاد على الرحل
رقيت العلا حتى علوت بهمتي ✲ على أهل عصري ثم من كان من قبلي

(قال الراوي) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فما شاهدت العيون ولا نظرت الناظرون مثل ماجرى لهرمس الملعون وعبد العزيز الميمون (قال) وعلمت أم عبد العزيز ببرازه لعدو الله هرمس فجعلت تضج بالدعاء لرب السماء وتبكى بكاء الوالهة الثكلا وأنشأت وجعلت تقول :

أيا من يجيب الخائفين اذا دعوا . وينقذهم من حوزة الخوف والزجر
أعن ولدي واحفظه من كل آفة . وأقبل دعاء الشيخ من سالف الدهر
فمالى سوى هذا البنى إذا أتت . صروف الليالى كان عونا على الأمر
وقد انتخى من أجل دينك صادقا . ومن أجلنا ياذا الجلال وذا النصر
وان تكن الأخرى فلا عيش بعده . ولا ملتقى يبقى الى آخر الحشر

(قال الراوي) ثم أطبق هرمس على عبد العزيز ولم يزالا كذلك الى أن رفع النهار من الأرض أطنابه ونشر الظلام على الخافقين جلبابه ورجع كل واحد من الإثنين إلى أصحابه فأما عبد العزيز فانه لم يصدق بالمساء مما رأى من هرمس وان أصحاب هرمس تلقوه وبالسلامة هنوه فضحك وقال وحق النار والنوراني رأيت من هذا الفارس مالم أراه من غيره ولقد لاحت لى عليه مضارب الهلاك ولكن شفقت على مثله ولو علمت أنه أخذ اخوته وأمه ويرجع الى ديني وأعيش أنا واياه بقية عمري لفعلت ذلك وما طاولته هذا اليوم الا قلت لعلى آسره فرأيته كلما جاء الى زيادة ونشاط وقوة وانبساط لايكل من القتال ولا كأنه فى مقام الاهوال وفى غداة غد ان لم أرى لى فيه مطمع زودته بضربة أذهب بها روحه وأسكنه ضريحه (قال) ثم ان القوم باتوا تلك الليلة

إلى أن أصبح الصباح فكان أول من برز هرمس الملعون ثم نادى لايخرج الا الغلام البازل ومن هو فى الأوصاف كامل هذا والامير عبد الوهاب قد قال لمن حوله من الفرسان أى جهاد يفوت هذا المسكين فى سبيل الله تعالى والله العظيم انه بطل من الأبطال (قال) وطلب هرمس البراز ونادى باسم عبد العزيز فحمل عليه الأمير ظالم وقاتله الى نصف النهار فانكسر رمح الأمير ظالم فأرماه من يده وجذب سيفه فلم يمكنه الملعون من ذلك بل هجم عليه وأخذ ظالم أسير وقاده ذليل حقير بعد ماعاركه على السرج وسلمه الى عبيدة وأمرهم بشده ثم طلب البراز فخرج اليه سيف الحنيفية بهمة عليه وصفيحة هندية وقناة خطية وهو على حجرة عربية تسبق الرياح الغربية وتطاعنا ساعة زمانية فضحك هرمس ونادى وقال ياعبد العزيز ما كان فى صاحبك كفاية حتى خرجت اليه ان تعاونه على لما علمت اننى قد ظهرت عليه فلما سمع سيف الحنيفية ذلك من كلامه ظن انه صدق فالتفت ينظر ان كان كلامه صحيح أم لا فعاجله هرمس وطعنه طعنة واصله أرماه الى الأرض وانقض عليه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وقد ظن أنه هلك من الطعنة وكان لما يريده الله تعالى من سلامته جاءت الضربة ساطحة ولم تكن متمكنة (قال) وخرج من بعده الأمير مؤتم الأشبال الأقطع فأخذه أسير وحمل عليه هارون العلوى فملكه حقير ولم يزل الملعون كذلك حتى أسر من أمراء المسلمين عشرة وكان الحادى عشر الأمير قشعم وكان من الفرسان المذكورة والأبطال المشهورة فقاتله إلى الليل ورجع منه سالما وباتوا الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فخرج الأمير قشعم كأنه الأسد الضارى وهو مع ذلك ينشد ويقول:

الى الله أشكوا من لعين تمردا ۞ يدين بدين النار لله يجحد
سيعلم انى لاأهاب لقاءه ۞ وآخذ تارى منه فى اليوم أوغد

(قال الراوى) وكان هرمس قد ركب وخرج إلى الميدان وهو فرحان بما أسر من الفرسان فحمل على قشعم كأنه سرحان ولم يزالا فى صدام ولزام وضرب وقتال الى وقت الظهر وقد ضجر هرمس مما لاقى منه فعندها ضرب جواد قشعم قتله ووقع قشعم الى الأرض فانقض عليه هرمس أخذه أسير وهو يظن أنه هلك ثم انه جال وطلب البراز والقتال هنالك ترجل الأمير عبد الوهاب عن جواده وافتقد حزامه وشده ووثب على ظهره واعتقل بقناة طويلة وعول على الخروج فسبقه الأمير عبد العزيز وصار فى مقام المجال وأنشد وجعل يقول .

أنا الثاكل المحزون من أجل نسوة ۞ مقيمات فى أسر وضنك على ضر

وما كان هذا فى حسابى وانما ⋆ صروف الليالى خائنات مع الدهر
سأبذل روحى دونهن حمية ⋆ وأطعن فى أعداءهم بالقنا السمر

(قال الراوى) فلما سمع هرمس كلامه شخر ونخر وطغى وكفر وتجبر واستكبر وذكر الشمس والقمر وجرد سيفه وكان صفيحة هندية وهو مثل الدرابة فنظر الناس إلى سيف هائل لم يروا مثله ولا عاينوا شكله ولا طوله ولا عرضه وصاح بعبد العزيز وأطبق عليه وهاجمه وقصد اليه وضربه بذلك السيف فستر عبد العزيز رأسه بترسه فوقعت الضربة عليه صفحا لان هرمس قلب قائم سيفه فى يده فجاءت مثل الجبل العظيم كادت تطحن رأسه فوقع الى الأرض لايدرى أين هو فأكب عليه هرمس ليأخذه أسير فلم تصبر بنو كلاب بل حملت وحملت ميمونة واختلط سائر العرب والروم وطلع الغبار مثل الغموم وصارت الخيل تقع وتقوم وفى الدماء تعوم ولم يزل الحرب يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى أن أقبل الليل بالاغساق وطلبوا الخلاص والافتراق فما قدرت المواكب على ذلك من كثرة الاختلاط ولم يزل السيف يعمل بينهم طول الليل فى الرجال والخيل ومافيهم من يعرف صاحبه بل كل منهم ينكر من يكون الى جانبه والظلام قد أطبق بغياهبه إلى أن اسفر الصباح وأقبل وولى جيش الظلام ورحل وقد أصبحوا هلكا من السهر والتعب الا انهم ماقدروا على الانفصال حتى تضاحى النهار ونزلوا وقد محق الله جيش الكفار وقد أخذوا الراحة الى وقت العصر وركب هرمس وهو معجب بنفسه مفتخر على أبناء جنسه ثم انه دعا الأمير عبد الوهاب الى البراز وكان ظنه أن عبد العزيز قد هلك وكان عبد العزيز قد خلصوه المجاهدين لأنهم كانوا أسبق اليه من الروم الا انه متوهن من شدة الوقعة وكان قد وقع لهرمس فى قلبه هيبة ورهبة (قال) الا ان هرمس لما أن طاب براز الأمير عبد الوهاب ونادى باسمه خرج اليه على جواد بازل صحيح كامل أغر محجل يطرب السامع إذا صهل واسع الخطوة قليل الخطرة فسيح الصدر قصير الفقارة والظهر وعليه درع واسع الأكمام مليح النظام ومن فوقه ثوب مثمن غالى الثمن ومن فوق رأسه بيضة عادية مليحة مجلية وصار فى الوقت فى الميدان وفى قلبه من أجل المأسورين النيران وكان هرمس وميمونة قد اشتوروا عند الصباح ورأوا انهم فى خسارة ونقصان وقد أشرفوا على الهلاك وأجمعوا رأيهم على أن ينفذوا جميع الأسارى الى القسطنطونية مع عبيد ميمونة وتوصيهم انهم يستحثوا الملك على المسير إليهم بعساكر النصرانية وقالت ميمونة نحن نطاول القوم ونقاتلهم وان نكبنا أو أسرنا فيكونوا هؤلاء القوم فداؤنا فرأى هرمس ذلك صواب فلم يخالفها فى هذا الخطاب ولما استقرت بينهم هذه الأسباب اخذوهم

وسلموهم الى ثلاثين من عبيد ميمونة فأخذوهم العبيد وساروا وخرج هرمس وطلب البراز من الأمير عبد الوهاب وبرز اليه كما ذكرنا وهو يقول دونك والحرب حتى تعلم أين أصبر فى مقام الكرب (قال) وكان الملعون هرمس قد خرج ذلك اليوم وهو يهز تلك الصمصامة فى يده وقد ستر بالحديد سائر جسده وهو كأنه الفيل العريض الطويل وتحته جواد عالى من الخيل نبيل سبوق لحوق كأنه السهم المروق (قال) إلا أن الأمير عبد الوهاب لما ان صار فى الميدان أنشد وجعل يقول

خرجت بقلب مايلم به كرب * وماقصده الاالجهاد الذى يصبوا
صبور على يوم الهياج اذا بدت * بهالبيض والسمر القناودنا الخطب
لانصر دين الهاشمى محمد * رسول أتى سادت به العجم والعرب

(قال الراوى) ثم حمل على هرمس وصار معه ورأى هرمس ذلك فصاح صوتا عظيما وصدم الامير وأجابه على شعره يقول

دع الهزل يا هذا فقد أمكن الجد * وخلى التمنى قد ألم بك الجهد
أنا هرمس مازلت للنار عابدا * تروع لى من خوفها فى الفلا الاسد
وقد عرفتنى الخيل فوق متونها اذا حلت فى الهيجاء ليس لها رد

(قال الراوى) ثم انطبقا واندمجا ودخلا فى أبواب الحرب وخرجا وحلوا الاقاح بالصفاح وطلب الارواح بأسنة الرماح ورنت اليهما الأبصار وتطاولت اليهما اعناق النظار واتسع عليهما الميدان وشبعا ضربا وطعان والتقيا بالصدرين وتصادما بالجوادين واستعجز سواهما من الفريقين وكانا الإثنين كانهما تحت الغبار الفين ونظر عبد الوهاب من هرمس قسورا هماما وليثا هجاما وعلا عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار فتارة يظهر أن فى الميمنة وتارة يظهر أن فى الميسرة ولم يزالا على هذا الشأن حتى اختلف بينهما ضربتان سبق الأمير عبد الوهاب بالضربة جاءت فى درقة هرمس وكانت الدرقة يمانية وهى ثلاث طبقات فقبضت على سيف الامير عبد الوهاب وعلم الامير أن الضربة جاءت فى درقة هرمس وبطلت فجذب سيفه اليه فطلع فى يده القائم فعندها عطف عليه هرمس بضربة هائلة مستقيمة غير مائله بتلك الصفيحة الهندية التى ذكرناها فالتقاها الامير بترسه فقطعت منه بعضه فرماه الامير من يده وسل سيف الركاب بعد ماخرج من تلك الضربة سالما وقد عجبوا الناس من قوة صارم هرمس وشدة ساعد الامير وكان الصارم الذى مع هرمس صاعقة نزلت فى أرض الهند فأخذوها الهنود صنعوها سيفا وخرج بها قوم تجار يريدون بها بنى العباس فلقيهم هذا الملعون وأخذ

القافلة وأخذ السيف فى الجملة (قال) الا أن الأمير لما خرج عن الضربة سالما سل سيف الركات وقاتل هرمس الى وقت الغياب هذا والأمير قد حمى نفسه وهو بلا عده (قال) ولما انفصلا سالمين باتو الناس يتفكرون فى ماجرى بينهما والمسلمون يقولون أن أخذ الأمير مايبقى منا باقيا لأن الأميرة ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفية وضيغم وسائر الأمراء قد أسروا وعبد العزيز فما يقدر يواجهه بذلك (قال) وباتوا الى أن أصبح الصباح وركب الأمير عبد الوهاب كانه الأسد الغضبان وقصد الى الميدان وخرج اليه هرمس عابد النيران وركبت سائر المواكب ينظرون مايجرى بينهما من العجائب (قال الراوى) هذا وقد حمل كل واحد على صاحبه وجرى بينهما قتال مايقع عليه عيار ساعة من النهار ووقف كل منهما ينظرالى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا (قال) ومن حرص الأمير عبد الوهاب على دين الإسلام قال لهرمس لو كنت على دين الحنيفية ماضاعت فيك هذه الفروسية وكنت أساويك بروحى وأعطيك نصف مالى وأقدمك على رجالى ويكون المال يرفع من بلاد الروم اليك وترى منى مايقر عينيك وكيف ينبغى لمن يكون له عقل أن يعبد النار ويترك عبادة الملك الجبار الذى نور الانوار وأدار الفلك الدوار وكل شىء عنده بمقدار وأما النار التى تعبدها أنت التى أوقدتها اذا طرح عليها الماء تخمد وتطفأ وتصير رمادا تذروه الرياح والله تعالى لايحول ولايزول ولاتغيره الازمان والدهور فهو الصمد الذى لايضام خالق الضيا والظلام. رافع السموات من دخان وازاجر البحار من نيران فعود اليه قبل الممات وبادر قبل أن تفنى هذه الانفاس المعدودات فلما سمع هرمس ذلك الكلام من الأمير عبد الوهاب صغى اليه وقال اذا كان الامر كذلك فأنا أجيبك الى ما تريد ولا يكون عقلى انقص العقول على انى ماأريد مال ولا نوال الا اننى أعلم أن العار يركبنى فى جميع الأرض طول وعرض ويقال رجع هرمس عن دينه بعد أن اكتهل وطعن فى السن واكتمل فقال الأمير أما هذا فو الله ماهو عار وإنما العار الكفر بالملك الجبار وان عدت على عبادة النار كما أشرت اليك فتكون قد شكرت خالقك على بعض نعمه عليك فقال هرمس أخاف أن فعلت ذلك من الخليفة لا يقبل إسلامى وأخاف أن يأمر بقتلى لأنى أكلت اقطاعه وعاهدته وكذبت وبعد ذلك فعلت هذه الفعال وأسرت هذه البنات العلويات وسقتهم الى هاهنا وسيرتم ميمونة الى بلد الروم فكيف بقى لى وجه أرجع به إلى بلاد الإسلام فقال الأمير عبد الوهاب ما عليك من أمرهم شيئاً فان الله تعالى أوقعهم وهو يخلصهم وأما ما ذكرت من أمر الخليفة فلك منه الذمام وأنت تكون معى

مثل أخى فى الله فقال هرمس اذا كان الأمر كذلك على ما ذكرت فاعطينى يدك واحلف لى بالله العظيم وبحق ماتعتقده من دين الإسلام أن تقوم بما ذكرت ولا تغدر بى فيما بعد ولا يكون فى نفسك على حقد (قال) فمال الامير اليه وهو لايعلم مافى نفسه وأعطاه يده وقال والله العظيم انى أوفى لك بما ذكرت فقال هرمس الساعة طاب قلبي ثم انه أظهر انه يعاهد الأمير وصاح فيه صيحة أذهل الناس بها وقبض على يد الأمير وهزه وصرخ فى الجواد فخرج من تحته وبقى الامير معلق فى يده فصاحت الروم صيحة واحدة وحملت بنو كلام تطلب خلاص أميرها وقد علموا أن الامير ما أخذ الا بحيلة لافروسية (قال) وكان الأمير عبد الوهاب رجل سليم القلب لاعنده من المكر خبر فجعل يهز نفسه من يد هرمس قد ملك يده فوقعا إلى الأرض وبعضهما عالق ببعض إلا أن اصحاب هرمس كانوا أسبق اليه فأخذوا الأمير عبد الوهاب من يده وعمل القتال بعد ذلك إلى أن فرغ النهار ورجع الجيشان عن القتال ولما نزل هرمس أحضر الأمير عبد الوهاب بين يديه وقال له كيف رأيت فعلى فقال له الأمير عبد الوهاب وأى فعل فعلت هل يليق بمثلك إلا الغدر فلو دمت على القتال لكان طال عليك أنك تأخذنى فى مقام المجال (قال) فضحك هرمس وقال أما تعلم أن الحرب خدعة وحق النار لاصلبنك على باب القسطنطونية فى الموضع الذى أردت أن تصلب فيه عقبة ثم أنه أمر برفعه والإحتفاظ به وباتوا الناس الى أن أصبح الصباح فخرج هرمس إلى مقام الحرب فعوّل طارق الحجازى على الخروج اليه وقد عظم عليه ما فعل مع الأمير وقال والله لو لم يخدع الأمير لما كان وصل اليه فقال بعض الرجال والله ما هذا الملعون الابطلا من الأبطال وعبد الوهاب رجل أنحله الصيام وطول القيام وكثرة الجهاد فى النهار والظلام هذا وهرمس يجول بين الصفين ويلعب بين الفريقين ويقول يا بنى كلاب هل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزاهز أين أبطالكم أين رجالكم فهم طارق أن يخرج اليه وإذا بفارس قد خرج من عسكر الروم وهو مثل القضاء المبرم وهو يقول بلسان الرومية أيها العرب دع المسلمين والتفت إلى ودع عنك الاعجاب ودونك والقتال والضراب لأنك طمعت فى بداية أمرك وأخرقت بالملكة ميمونة ونحن احتملناك على فعلك والساعة فقد أخذت طابق الجولان وحدك واصطليت الحرب بنفسك تريد أن تفوز بالذكر على سائر الفرسان وتأخذ الطبقة على جميع الأقران وأنا اليوم آخذ بثار الطائفتين منك لأنى قد ضمنت للملك قهرك وقد كذبنى عنده قوم وأنا أريد أوفى بوعدى وأوضح عند الملك قولى حتى لا أكون

عنده بصورة كذاب ولا خائن مرتاب (قال) ثم صاح بجواده وكان جواد أصفر مليح المنظر حسن الخبر تكل الألسن عن وصفه ويجوز الطرف بملاحته ويفوت البرق براعته ويدرك السهم عند رميته محجل الاربع مثل الرياح ثم مد بين يديه قنطارية خلنجية تدب فيها المنية وجال هرمس ساعة زمانية وقرع رأسه بالقنطارية فضجوا الروم وقالوا وحق المسيح ما هذا الا مليح ترى من أى الفوارس هذا فقال بعضهم لبعض ما يكون هذا إلا من القسطنطونية من بطارقة الملك الخاص وقال قوم آخر ما هذا إلا فارس عظيم واختلفت الأقوال وعلت الضجات وأعجب ميمونة هذا الحال وفرحت سائر الروم وشمتوا بالعرب المتنصرة لأجل أن هرمس عربى وكذلك بنى كلاب ايضا شمتوا بهرمس وقال بعضهم لبعض نخاف أن يكون قرع رأسه بالرمح صناعة لا فروسية وربما أن يكون هذا الفارس لايقدر على قتله ونحن نريد أن يقع بينهم على الحقيقة لعل الله تعالى أن يهلك عابد النار لأنه قد استطال على المسلمين الأبرار هذا وهرمس قد نادى بالرومى وهذا الذى فعلته صناعة لافروسية فان كنت تقدر على شىء غير هذا فافعل وان كنت تدعى القتال تعدى نفسك من الأبطال فالق هذه الرماح من أيدينا ونعتمد على ضرب الصوارم بلا الباس (قال الراوى) فلما أن سمع البطريق كلامه حذف الرمح من يده إلى الارض كأنه صارى مركب ثم جذب سيف بتار مثل شعلة نار ماضى الشفار قوى المسمار ثقيل الوزن وأراد أن يهجم على هرمس فلم تصبر ميمونة بل صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق البارق أو النجم الخارق وأرادت أن تعرف هذا الفارس الذى قدم على هرمس اللعين وقالت فى نفسها ما يكون فى الروم مثله وما هو إلا من أهل الجزائر من أصحاب دمدرى لأنى سمعت أن لدمدرى ابن عم موصوف بالشجاعة وما هو إلا هذا وقد خرج إلى هرمس وأنا الساعة أخرج اليه (قال الراوى) ثم أنها قفزت اليهما ونادت من أنت أيها البطريق الذى أعجب سائر الناس والروم أحفظ نفسك من هذا الشيطان هرمس فانه أفرس أهل الأرض فى طولها والعرض وأنه حنق على قتلك لامحالة فخذ حذرك منه وكان قصد ميمونة أن يتلف أحدهما على يد الآخر ولا يبقى عند الملك من يشار اليه بالفروسية والشجاعة غيرها (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الفارس كلامها غضب غضبا شديد وقال لها بالرومى وحق دينى أن هرمس عندى والذى لم يخلق سواه فلا تعظمى أننى أمره حيث أنه أسرى فى مقام الحرب وما وصل اليكى الا ونيتكى قد تغيرت عن دينكى لأن من صحبت دين الإسلام أكثر عمرها وما كان لها فيه رعاية كيف يكون لها فى دين النصرانية نية وأنا لابد لى من قتل هذا الملعون

هرمس وأن جرد أرمانوس على قتاله عندى طاعة (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة هذا الكلام قامت عيناها فى أم رأسها وهمت أن تحمل على البطريق فالتفت البطريق إلى عسكر الروم أسرع من البرق وقال ياقطاروس أخرج إلى هذه المرتدة التى نفخ فى معطسها الشيطان وهى تظن أنها تفتح بلاد الإسلام بقوة بأسها وتقول ان الملك مختار سواد فعالها على بياض فعالنا وأنا أعلم أن الذى أرسلنى الى نصرة دينه قادر على نصرتى وأن يبلغنى من الأعداء ارادتى (قال) فمدت الروم أعينهم الى من يخرج وقد حاروا من ذلك وإذا قد ظهر بطريق مثل العتيق على جواد مثل الحريق وهو لصاحبه نعم الرفيق ثم حمل على ميمونة فبليت منه بمالا تطيق هذا وقد زاد من المسلمين الصياح ونظرت بطارقة الروم الى ذلك فتقدم المقدمون منهم الى صاحبهم بلباس وقالوا يامولاى أما ترى إلى المسلمين وقد فرحوا بهذه المصائب ووجدوا بها راحة لأجل الخنف الذى وقع بينهم وهذه الأربعة لابد مايهلك كل واحد منها على يد الآخر وهذه الأربعة يريدون من فى بلاد الإسلام فاخرج اليهم واصلح بينهم وقل لهم الرأى أن تحملوا على المسلمين لتفوزوا بالفخر عند الملك وحسن الثناء ويخلع عليكم ويرضيكم فعندها خرج بليناس مقدم القوم وترك ولده دوغورس مكانه ولما صار بليناس فى الميدان صاح فيهم وقال ويلكم لقد أغضبتم المسيح بهذا الفعل القبيح فان المسلمين قد فرحوا لكم بهذا الخلف الذى جرى بينكم فخلوه ولا تفعلوه وارجعوا عنهم واحملوا أنتم الأربعة على عسكر المسلمين وأبذلوا مجهودكم فى نصرة الدين فان الأمراء الذين لهم قد أخذناهم وهدمنا أركانهم وما بقى الا أن تصدقوهم فى القتال بحملة واحدة وقد ولوا بين أيديكم منهزمين وللنجاة طالبين وتنهبوا الأموال وتبلغوا الآمال وهذا الذى تريدوه مايفوتكم افعلوه فى القسطنطونية قدام الملك حتى ينعم عليكم وخلوا هذا البغى على بعضكم فهو الذى أهلك من كان قبلكم وكل واحد منكم له منزلة عند الملك وان أبيتم ذلك سلطت عليكم الروم فيفنوكم فى جملة واحدة حتى لاتطرحوا فى الروم الفتنة وترموهم فى المحنة (قال) فسكتوا الكل ولم يتكلم غير البطريق الأول الذى خرج الى هرمس فانه قال أيها السيد كل قولك صحيح الا انك تعلم ان هذا الشيطان ماله دين لأنه يعبد النار فلا يجب عليك أن تحود من أجله فانى ماقتلت رجلا نصرانى وأيضا فانى لما قرعت رأسه بالقنطارية قال هذه صناعة ليست فروسية وما بقى لى بد من قتاله وحربه ونزاله فقال لاتفعل ياأخى فان الساعة ملة النصرانية قائمة بكم وان تم منكم هذا القول فهو سبب فسادها فان هذا الرجل وان كان على غير ديننا فهو محب ملكنا أرمانوس لينصر ملته وفى خدمته ولا سيما الشيخ

النجيح قد وعده عن الملك بكل جميل فلا تفعل أنت فى حقه هذا الفعال على انك أنت ما أنت من رجاله ولا تعد من أشكاله لأنه قد ظهر على فرسان المسلمين وأبهرهم الذين عجزتم عنهم طول السنين فقال البطريق أما قولك راعية لأجل الشيخ فهذا شيء لا أفعله فانى أعلم أن مشورة الشيخ النجيح ردية على أهل ملة النصرانية وكلما أشار بمشورة أخرب بيوت أهل المعمودية وتكون السعادة لأهل دين الحنيفية وأما قولك عن هذا هرمس انى ماأنا من رجاله ولا أعد من أشكاله فقد كذبت وقلت المحال وسيبان لك ما يجرى بيننا من القتال فلما أن سمع بلبناس كلامه وتكذيبه له انتضا سيفه فصاح البطريق يابرطس فخرج اليه بطريق طويل مقلد بسيف صقيل على جواد نبيل عريض وهو غايص فى الزرد النضيد ما باين منه غير حماليق الحدق وتداوير الأمق فحمل على بلبناس فانذهلت اشدته عقول الناس (قال) فزاد الأمر على البطارقة وقالوا وحق المسيح ان هذا لهلاك النصرانية سبب فانظروا من يخرج اليهم ويصلح بينهم فما فيهم من أبدا جواب الا ولد الملك دوغورس فانه صاح بجواده من شدة الحنق وصاح وحمل على البطريق الأول فصاح البطريق ياشيخالون أخرج الى هذا الكاب الملعون فخرج اليه فارس شديد غايص فى الحديد وحمل على ولد الملك دوغورس ونظرت البطارقة الى ذلك فخرجت عشرين من البطارقة الموصوفين المذكورين من المذبحة الذين هم خواص الملك وقالوا ويلكم ايش هذه الفعال التى أغضبتم المسيح من أجلها وإذا سمع الملك بهذا الخلف الذى جرى بينكم ضرب رقابكم فما هم الا أن وصلوا اليهم حتى خرج اليهم عشرة وحملوا عليهم وفى أوائلهم فارس فى يده قنطارية عليها صليب ذهب أحمر مرصع بالدر والجوهر وأطبقت العشرة على العشرة ونظرت بقية الناس الى ذلك فزاد ضجيجهم وكثر عجيجهم واختلفت الأقوال ووقع بالناس الانذهال ونادى جيش الاسلام ياربا خالف بين كلمتهم فانك الفعال لما تشاء وبعد ذلك خرج خمسين بطريق وفى أيديهم السيوف والعمد وفيهم جماعة من القسوس على أنهم يفرقوا بينهم فما هم إلا أن قالوا ايش هذه الفعال حتى خرج اليهم مثلهم ومعهم رايات وأعلام وبيارق وصلبان وحملوا عليهم فقالت البطارقة هذه قضية قد خفيت علينا بواطنها وظواهرها ولا نعلم أولها من آخرها وما يكون هذا البطريق الذى خرج لهرمس فى الأول إلا من بعض ملوك الجزائر وقد خرج خارجيا على الملك ارمانوس واختلط بعسكره فى عسكرنا وكلما خرج منا قوم خرج اليهم مثلهم فعندها قالوا الرهبان نحن نخرج اليهم ونزيل الشر من بينهم ثم خرج عشرين راهب وعشرة قسوس وخمس مطارنه

وشماسان وقد رفعوا أصواتهم بقراءة الإنجيل (قال الراوى) وهذه عادة الروم اذا وقع بينهم فتنة خرجت علماء دينهم على هذه الصفة ولو أن بينهم الدماء. وقد قتل الأولاد والأبناء احترموهم وكفوا عن ما هم عليه من اللجاج إلا أنهم لما وصلوا اليهم صاح فيهم البطريق الأول وقال معاشر الرهبان والقسوس الذى أدخلكم بيننا وقد سمعتم ما بدا منى الكلام ولا بد لى من خصمى الذى جرى بينى وبينه ما جرى والسلام فقالوا الرهبان يا قوم وأى ذنب جرى من هذا الرجل هذا ما أتى الا حماية لدينكم فلا تؤاخذوه بما فعل الواجب أن يحتمل وتتركوا عنكم هذا العناد القبيح فقد أغضبتم المسيح وتبرأتم من الدين الصحيح وقد أرادت جميع الروم أن تحمل عليكم ويشيلوكم على أسنة القنطاريات والرماح ويمزقوا جلودكم ببواتر الصفاح ويسقوكم بحد المشرفيات شراب الآفات فما مكناهم من ذلك فقال البطريق الذى خرج فى الأول وقد صعب عليه هذا الكلام كذبتم يا كلاب الرهبان ويا عبدة الصلبان ويلكم قد جاءنا النصر من عند رب البرية أنا حاملة الأثقال القوية أنا هادمة دولة النصرانية أنا فاطمة العامرية وصاح البطريق قطالوس الذى فى مقابلة ميمونة أنا ناصرة الملة الاسلامية والشريعة المحمدية أنا ظالم أخو سيف الحنيفية وصاح شيخالون ظهرت الأسرار الخفية أنكشفت الكرب عن الطائفة المحمدية والعصابة الإسلامية أنا من السلالة العلوية وصاح آخر أنا من قرابة الشجرة النبوية وصاح آخر أنا زينب الحجازية وصاحت سائر الفرسان وكلنا من الشريعة الاسلامية المحامين عن دين محمد سيد البرية وقد تبرأنا من كل نصرانى ونصرانية ونحن نستغفر الله من كل ذنب وخطيه ونستعين به على كل خطب وبليه ونائبه ورزيه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم حمل كل انسان على خصمه هذا وميمونه قد ذهلت من خلاصهم (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة رضى الله عنها قد صاحت فى هرمس وقالت دونك والحرب يا كلب المجوس فهذا يوم عليك منحوس ووافقك فيه العكوس والنحوس فقال هرمس ويلكى من الذى خلصكى من وثاقكى فقالت سيدى ومالكى ثم قالت ويلك دع عنك السؤال فما هذا وقت المطال فقد بان الصدق من المحال وستعلم على من يكون الوبال (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم أن الأميرة وأصحابها لما أخذوهم السودان بتوع ميمونة على أن يوصلوهم إلى بلد القسطنطونية ساروا ذلك اليوم وكانوا ثلاثين أسود من سودان ميمونة ولحقهم فى الطريق بطريق يقال له يانس ومعه خمسون فارس من الجزاير من بطارقة دمدرى وكانوا قد انهزموا وضلوا عن الطريق لأنهم غرباء الجزاير من تلك الديار فلما أن عاينوهم السودان سألوهم عن حالهم

فقالوا نحن من بطارقة ونحن ضالين عن الطريق فصبوهم وساروا معهم يومين وفى اليوم الثالث نزلوا عند رأس المضيق وآخر المرج عن التحقيق (قال الراوى) وكانت هذه الأرض اذا كان عسكر كبير لايقدر يجوزها ولا يسلك فى طريقها لأجل تراكم الثلج الذى فيها صيف وشتاء وكان نزولهم فى تلك الأرض أول الليل للبيت ولما صاروا على وجه الارض أخذوا فى كفرهم وذكرهم للمسيح وجحدوا خالقهم ورازقهم الملك الاعظم فلما سمعت الاميرة ذلك أخذت فى قراءة سورة المائدة حتى لاتسمع الكفر إلى أن وصلت إلى قوله تعالى وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس أتخذونى وأمى آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أنك أنت علام الغيوب) وقرأ الامير عوف سورة الاحزاب إلى قوله تعالى (إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجا منيراً) (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت السودان ذلك خشعت قلوبهم لما سمعوا الوعد والوعيد والتخويف والتهديد فى كتاب الملك المجيد وكان عابس قد قرأ قوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) قال فعندها قال بعضهم لبعض ويحكم ما هذه الغفلة التى شملتنا ما كأننا سمعنا بهذا القرآن قط ولا كأننا علمنا بهذه الشريعة قط ولا كأننا صلينا الخمس صلوات ولا حضرنا الجمعة والجماعة ويلكم بعد صلاة الجمعة صرنا مع القسوس فى البيع والله لقد خسرنا الدنيا والآخرة لاجل الدين وهذا دين النصرانية ما حلالنا ولا حق على قلوبنا وما نحن الا مثل الدواب ننهمك على الشهوات ونعرض عن الطاعات لاجل متابعتنا لهذه الملعونة ميمونة خسرنا ديننا فقال بعضهم والله العظيم أن هذا القرآن قد حلا فى قلوبنا ومن يوم عدمنا سماعه عدمنا الآخرة وأيضا فاننا كنا على دين الاسلام نتوضأ ونصلى واذا لم نجد الماء تيممنا بالتراب وقد صحت صلاتنا وان هؤلاء الكلاب يخرون ويبولون وبالنجاسات يصلون وبذلك يفتخرون وبعضهم يقول لى خمسين سنة ما لمست فيها ماء وفيهم من يقول لى سبعين سنة ما لمست فيها ماء ثم انهم يأتون بنات البطارقة ويقولون لهم نحن غفرنا لكم كان المغفرة صارت لهؤلاء النجسين حتى انهم يفتون لانفسهم بهذه الفتوات وأما المسلمين فعندهم اذا زنا العبد وجب عليه مائة جلده لقوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة حتى أن النظرة يعاقب عليها وهذا دليل على صحة الإسلام ونحن نعرف ذلك ولو علمنا أن الله تعالى يقبلنا فى هذه الرجعة رجعنا اليه من قريب لعلنا نقدر على نجاتنا من النار ونرزق دار القرار فقال بعضهم أما القبول فان الله يقبل ذلك منكم فانه عز وجل مافتح باب

التوبة لعباده ويغلقه فى وجه من يتوب اليه وقد نطق بذلك قوله تعالى قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (قال) وجعل بعضهم يقول أنا أحفظ سورة الكهف وآخر يقول وأنا أحفظ سورة مريم وكل واحد يقول انا أحفظ شيئاً من القرآن فقال بعضهم هل فيكم من حفظ شيئاً من الإنجيل الذى يقولونه هؤلاء الملاعين فقالوا لا والله الا نراهم يعوون مثل الكلاب ونحن الساعة قادرون على رضى رب الأرباب بهؤلاء البنات العلويات المأسورات وأمهم والأميرة ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفية والأمير عوف وعابس ومن معهم من الرجال ونطلق لهم السبيل فى هذه الليلة وننزل على هؤلاء البطارقة الذين معنا وعبيد هرمس فوالله ان فعلنا هذه الفعلة لتكونن لكم يد بيضاء وأمور أحدها انكم تخلصون هؤلاء القوم من الاسر والثانى انكم تجاهدون فى سبيل الله تعالى فاذا أخذنا ورجعنا الى عسكرنا ربحنا الثواب من الملك الوهاب وان قتلنا فى سبيل الله أدخلنا الجنة بغير حساب وان سلمنا عدنا الى ملطية ويكون لنا أسوة بسودان الأمير عبد الوهاب ويكون لنا اسم المجاهدين ونحشر مع القوم الصالحين ثم انهم جمعوا رأيهم على ذلك فأول من تقدموا اليه الأميرة ذات الهمة فحلوا وثاقها وقطعوا كتافها وأعادوا عليها مادار بينهم وما قد عولوا عليه فباست الأرض شكرا لله عز وجل وقالت لهم والله أن رجوعكم الى دين الإسلام أحب الى من كل من فى الدنيا ومافيها وهذا كله ما كان الامن بركة القرآن ثم انهم لبثوا العدد وأطلقوا الأمير ظالم وضيغم وسيف الحنيفية وجميع أولاد الأمير وأطلقوا عابس وعوف وجميع من معهم من رجالهم وكذلك البنات العلويات الحرائر المسلمات واعطوهم السيوف المرهفات والتراس الروميات ثم أن السودان قالوا للأميرة ذات الهمة أيتها الأميرة خذى أصحابكى وامسكى على هؤلاء الروم المضيق الذين رافقونا حتى نكبر ونضع السيف فيهم وأى من هرب اليكى الى المضيق حمليه من البلاء مالا يطيق واسقيه انتى وأصحابكى كاسات التمحيق فنحن مانخلى أحدامن عندنا يعتدى الطريق فقالت الأميرة بارك الله فيكم فلقد نصحتم فى دين الإسلام وربحتم الثواب من الملك العلام ثم انها أخذت رجالها ومضت الى فم المضيق وكانت أعرف به من السودان على التحقيق هذا والسودان قد ثاروا الى الروم ونزلوا عليهم وهم ينادون الله أكبر الله أكبر لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربوا فى الروم وكانوا ثلاثين فقتلوا بعددهم وقام الباقون حيارى لأنهم كانوا قد انذهلوا لما سمعوا التكبير فظنوا أن المسلمين قد دهموهم أجمعين فولوا منهزمين والى نحو الدروب طالبين فوجدوا هنالك اللبوة الكاسرة ومن حولها السودان مثل السباع الهادرة فحاروا من هذه المصائب وأخذتهم السيوف من كل جانب وما أحسوا بها الا فى المفارق والجوانب

فوقعت الخذلة على الكافرين وعملت فيهم القواضب فلما رأوا ذلك عادوا يطلبون الهرب والسودان من خلفهم مثل البرازين فقلعوا منهم الأرواح من الاشباح وما برق ضوء الصباح حتى أفنوهم عن بكرة أبيهم فلما طلعت الشمس نظرت الأميرة الى الأعداء كلهم قتلى فشكرت الله على ذلك وقالت لأصحابها اعلموا انني قد عولت على رأى وهو انني آخذ ثياب هؤلاء البطارقة وألبسها للعرب والسودان الذين قد من الله عليهم بالإيمان وارفعوا على أيديكم هذه الصلبان ونرجع على الطريق التى جئنا منها فانها قريبة الى العسكر فلعلنا ننحدر على الروم من أعلى الجبل ونختلط بهم فاذا برق ضياء الفجر وعولوا على القتال والكفاح ضربنا نحن هرمس وأصحابه بالصوارم والصفاح وكذلك الملعونة ميمونة ومن معها من كل غاشم جحجاح ونكبر فى أوساطهم بذلك الملك العلام فيكون ذلك سببا لهزيمتهم ونهب أموالهم فلما سمعوا هذا من السودان ومن الأميرة رأوه صواب وعجبوا من ذلك الخطاب فأجابوها بالسمع والطاعة وقالوا نعم مارأيتى أيتها الأميرة ثم انهم ترجلوا عن خيلهم ولبسوا ثياب الروم وأخذوا عددهم بأيديهم وكذلك فعلت الأميرة وظالم وسيف الحنيفية وعابس وعوف وأخوات عبد العزيز وتركت الأميرة أم عبد العزيز فى بعض الكهوف وتركت عندها الزاد والماء وما تحتاج اليه بعدما قالت لها ابشرى بالثواب من الملك الوهاب فكونى هنا حتى يسهل الله لنا بالخلاص من هؤلاء القوم الكلاب وتنفصل هذه الحروب وننال من الأعداء المطلوب (قال) ثم تركوها وساروا الى عسكر الروم فكان دخولهم عند طلوع الفجر الثانى بعد ماصلت الأميرة صلاة الصبح فهاهم الاان اختلطوا بالعسكر حتى خرج هرمس يطلب البراز كما ذكرنا وخرجت اليه الأميرة فى الزى الذى وصفنا وجرى من القصة ما حدثنا وعدنا الى سياقة الحديث العجيب والأمر المطرب الغريب (قال الراوى) هذا وقد هجم كل واحد منهما على صاحبه وأخذوا فى الكر والفر والهزل والجد والأخذ والرد والوصل والصد والمعاركة والانهجام والضرب بالحسام هذا وقد نظرت ميمونة الى سودانها وهم فى زى بطارقة الروم وهم يقاتلون مع المسلمين بنشاط فعلمت أن المصيبة قد تمت من أيديهم فكادت مرارتها أن تنفطر من شدة الغيظ (قال الراوى) وكان أول مرقتل غربه واحد من السودان وخرج من بعده ثانى وثالث ورابع وخامس وخرج من بعدهم سيف الحنيفية وهو يقود بليناس مقدم الروم وقد شد وثاقه وخرج الأمير عوف وقد أخذ خصمه وخرج عابس وقد ترك خصمه على الأرض ناكس ولم يبق غير ميمونة وظالم والأميرة ذات الهمة وهرمس وكانت ميمونة قد قالت لظالم من خلصكم من الأسر والهوان

وايش فعلتم بأصحابى السودان حتى رجعوا الى قولكم وصاروا من حزبكم فقال أماقولك عن أصحابك السودان فانهم نزغوا فى الدنيا من سيوف بنى كلاب وفى الآخرة من النار ذات الالتهاب ثم انه عاد اليها وعادت اليه وكذلك ذات الهمة وهرمس فى قتال شديد وحرب ماعليه من مزيد وقد حميت على أبدانهم الحديد هذا والأميرة أضجرته وضايقته وما كان بقى فى أيديهما من السيوف غير المقابض من شدة الضرب الدايم فتعاركا على ظهور الخيل وأن الأميرة صدمته بالترس فى صدره وقبضت على عنقه كانت أن تخلع رقبته فصاح الى عبيدة وقال ويلكم الحقونى والا هلكت من يد هذه العجوز فزاد غيظ الاميرة من ذلك وهزته وجذبته اقتلعته من سرجه (ياسادة) ونظرت عبيدة ماجرى عليه فحملت تطلب خلاصه وهيهات أن تخلص الفريسة من اللبوة القانصة (قال) ونظر ظالم الى ذلك فحمل خوفا على جدته وحمل أيضا الامير عبد العزيز وقد انشرح صدره للقتال وملاقاة الابطال وقد دخل قلبه من المسرة لشىء كثير لما رأى اخوته قد خلصوا من الاسر الا انه بقى متفكر فى أمر والدته وهو لايدرى هى سالمة ام عاطبة (قال) ولم يمكنه السؤال عنها فى ذلك الوقت بل حمل وحملت بنو كلاب وعملت الصوارم فى الرقاب وحملت أيضا أصحاب بليناس وأما ميمونة فانها كانت لقيت من ظالم أمرا عظيما وخطبا جسيما وأشرفت على الهلاك وسوء الارتباك لانها كانت تقاتل وقلبها مشغول على أصحابها وكيف رجعوا الى دين الاسلام الا انها رأت العساكر من كل جانب قد أطبقت وولت من بين يدى ظالم هاربة واختلطت بين المواكب وطلب ظالم أسرها وكانت ذات الهمة قد حطت هرمس من يدها بظاهر العسكر وكذلك فعلوا بباقى خصومهم ووكلوا بهم جماعة من بنى كلاب وعادوا الى ما كانوا عليه من الحرب والقتال وذات الهمة تقول لاصحابها ويحكم احملوا بنا حملة رجل واحد الى الناحية التى فيها عبيد وهرمس فان ولدى عبد الوهاب هناك لعلنا نخلصه ثم انها حملت وحملت وراءها بنى كلاب فلله درهم من رجال بذلوا أنفسهم أشفار السيوف وجاهدوا خوفا من العرض والوقوف بين يدى الملك الرؤوف وقد لذ لهم الموت واستعذبوه فى طاعة الرب الذى يعبدوه وهم ينادون بكلمة الاخلاص الماحية للذنوب والمعاصى التى من قالها نجى ومن تركها ضل وغوى وهى قول لاإله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياسادة) هذا والروم قد نظروا الى بليناس قد أسر وهرمس قد خذل وقهر عظم عليهم وكبر لديهم وخافوا من الملك أرمانوس أن يقتلهم فأرموا أنفسهم الى البلاء وهم طامعون بكثرتهم وأما ميمونة لما انهزمت بين يدى ظالم ضاقت مذاهبها وماصدقت تصير فى وسط سودانها ولما أمنت على نفسها قالت لسودانها تبثوا حتى أشرف

على العسكرين وأشير عليكم بما تعملوا ثم انها ميزت فرأت العساكر تلتطم مثل البحر الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر وقد عملت السيوف البواتر فى الرقاب والمناحر ورفعت الخيل يديها وبقت قائمة على رجليها من شدة ماجرى عليها الى أن بقى الليل والنهار سوى وغابوا عن عيون الورى وأظلم الفلك حتى بقى بلا ضياء وهطلت عليهم سحائب الغمام وتكردست الخيل الفواخر وطلع الغبار إلى المناخر ودارت على الجميع الدوائر وغليت نار الحرب غليان المراجل وقد حمى الشجاع المقاتل وكانوا بين رابح وخاسر ومقهور وقاهر ومبهور من خصمه وباهر وكان ذلك اليوم مثل يوم العرض على رب السموات والارض فلما رأت ميمونة ذلك وعلمت أن عساكر الروم هالكة بلا محاله لانهم بقوا مثل الغنم بلا راعى فقالت ميمونة أطلبوا ياويلكم الجبل قبل الزحام فانى أرى النار النار عليكم شديدة الاضطراب وآجالكم قد دنت بالانصرام وكانكم بالروم قد ولت بالانهزام (قال الراوى) فلما سمعت السودان هذا الكلام أداروا رؤوس الخيل وطلبوا الجبل وميمونة فى أوائلهم وهى تقول أطلبوا بنا موضع عبد الوهاب حتى نأخذه معنا الى الملك ليرتفع قدرنا عنده به فقالوا ومن أين لنا اليه وصول والاميرة قد مالت الى عبيد هرمس وربما تكون قد خلصته وما ذات الهمة ممن اذا حملنا عليها ترتد ولو كان بين يديها السد الاقصى ومن العوالم مالا يحصى فضحكت ميمونة وقالت ياويلكم قد علمت ذلك وأما عبد الوهاب فانه ما هو هناك بل قد سبقت ذات الهمة اليه وجعلته فى موضع أريده لانى قد جربت قتال هؤلاء القوم وأنهم لابد لهم ما ينصرون علينا ولى بقى منهم عشرة أنفس وأنا قد أرسلت عبد الوهاب مع أربعة أنفس من عبيد هرمس إلى هذا الجبل من قبل أن تروح فاطلعوا بنا اليه فانه محبوس هناك وتعلقوا أصحابها فى الجبل وتركوا المعمعة وما عندأحد من ذلك خبر وهم فى شدة الحال والضجر وقد أتى الله سبحانه وتعالى الذل على من كفر وتضحضح جيش الشرك وأنكسر هنالك الهرب وتمكنت منهم سيوف العرب وسقوهم شراب العطب وعمهم الويل والحرب فمنهم من طلب الهرب ومنهم من طلب الصعود الى الجبل فأما الذين طلبوا الهرب أدركتهم بنى كلاب وسقوهم شراب العطب وبعضهم طلبوا القسطنطونية لعلهم ينجوا من المنية فأدركتهم أيضا بنى كلاب بخيل أسرع من الحمام وضربوا منهم الرقاب وأخذوا عددهم ومالهم من الخيل والاسلاب وأحاط بهم الهلاك والذهاب (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة قد قصدت المكان الذى فيه عبيد هرمس فلم تجد ولدها فأصاب قلبها عليه أعظم مصاب وأما ميمونة فانها لما سبقت الى الجبل وجدت الأربع عبيد الذين لهرمس هناك

فقالت لهم ويلكم أين أسود بنى كلاب فقالوا لها هاهو معنا وقد حفظناه لكى ومعنا أيضا بشارة تسركى قالت وما هى قالوا اننا سمعنا فى بعض الكهوف حس وقصدناه ودخلنا اليه إذا فيه العجوز أم عبد العزيز الذى كانت معنا أسيرة وقد أخذناها ولم نجد أحدا من بناتها ففرحت ميمونة بذلك وأخذت الأمير عبد الوهاب وأم عبد العزيز وصارت تطلب القسطنطونية (قال الراوى) وقتل بعدها من الروم مالا يعد ولا يحصى وهرب من هرب وغنم المسلمون غنيمة ما غنموا قط مثلها من ذهب وفضة وجواهر وجواشن ودروع وثياب ديباج وغير ذلك هذا والاميرة ذات الهمة قد نزلت مكانها عند اياسها من ولدها وأقامت يوم وليلة وجمعت الخيول والاسلاب فوجدوه شيئا ماعليه احصاء هذا وعبد العزيز قداجتمع باخوته وبل شوقه منهم وسأل الاميرة ذات الهمة عن أمه فأخبرته أنها تركتها فى مغارة فى الجبل ثم ان الاميرة أنفذت الرجال فى طلبها فضوا وعادوا يخبروا انهم ما وجدوا لها أثر ولا سمعوا عنها خبر ووجدوا بعض السودان قد اندق فرسته وبقى فى الجبل منقطع عن ميمونة فلما رأته الأميرة سألته عن ولدها فأخبرها أن ميمونة قد أخذته هو وأم عبد العزيز وسارت (قال) فلما سمعت الاميرة ذلك قالت والله لقد كنت خائفة على ولدى الايكون بعض الاعداء قد ظفر به وقتله وبعدأن أخذته ميمونة فهى ما طلب به الا الملك ارمانوس تطلب بذلك التقرب إليه وأنا أعلم أن أرمانوس ما يقتله لأنه يعلم انى خلفه وأنا قد عولت على المسير واقصد مدينة القسطنطونية بعد ثلاثه أيام لوجوه عدة أحدها لأجل الأميرة الكبيرة والسيدة الخطيرة أم عبد العزيز العلوى واخلصها من أعدائها لئلا تكون امرأة شريفة فى أيدى الكفار والثانى من أجل الملعون هرمس الذى فعل فعلا مافعله أحد من الناس فوالله لابد لى من صلبه على باب الذهب وأنال بذلك خصلتين أحدهما تعتبر به الناس ولا يبقى أحدا من الخوارج والمخالفين يفعل مثل هذه الفعلة فى بلاد الاسلام ولا يطيع عقبة أحدا من اللئام والثالث فانى أريد بصلبه حتى نجرب صلب عقبة إذا صلبناه فان الامر قد اقترب ان شاء الله تعالى فانى مابقيت أقبل فيه سؤال أحد لامن الخليفة ولا من غيره ثم انها بعد هذا الكلام أمرت باحضار هرمس إلى بين يديها فقدموه اليها رجالها فقالت له ويلك ياملعون اخبرنى من الذى جسرك على هذه الفعال فقال الشيخ عقبة لعب بعقلى وها معى كتاب بخطه الى الملك ارمانوس يشير عليه أن يفعل بالبنات العلويات الشريفات المأسورات ولو كنت وصلت الى بلاد الروم قلت كلما أروم على انكم ماتقدرون أن تقتلونى لأن أميركم عبد الوهاب قد سار مع عبيدى الى القسطنطونية وأنا أعلم أن دمى بدمه مرهون لأن الملك متى سمع بقتلى قتل عبد الوهاب

وسقاه كاس العطب والذهاب وأنا فما أحول عن ديني الا أن يكون الى عبادة الصليب والزنار لأنه دين عتيق فعند ذلك بصقت الأميرة على وجهه ولطمته على رأسه كادت تطير أضراسه وقالت له ياملعون سوف ترى مايكون وتعلم من هو منا مغبون (قال الراوى) هذا وعبد العزيز قد تقدم اليه وجعل يجلده بالسوط الذى فى يده على وجهه وجنبيه بما فى قلبه عليه ثم ان الاميرة أحضرت رحله فوجدت ثياب عقبة الى أخلعها عليه المعتصم وفيها الكتابات التى تقدم ذكرهما ففتحت الكتاب الاول واذا فيه إيمان مغلظة قد حلفها عقبة لهرمس المفتون بالمسيح ودين النصرانية (يا سادة) وكان قصد الأميرة أن يصدق عبد العزيز أن عقبة نصرانى فلما رأى عبد العزيز ذلك انذهل قلبه وزاد منه الشك باليقين وتيقن كفر عقبة اللعين لما ظهرت له الدلائل والبراهين ووجدت الثياب التى خلعها عليه أمير المؤمنين ووجد فى الكتاب الآخر الذى كتبه عقبة الى ملك الروم يقول فى أوله كلمة الكفر ونحن نقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول فى الكتاب بعد ذلك اعلم أيها الملك انى قد عملت حتى حصلت لك مثل هذا الفارس والبطل المداعس وهو يفنى أبطال المسلمين ويذل فرسان بنى كلاب أجمعين ومع ذلك فقد أخذ أم عبد العزيز وأخواته برأى فاذا هم وصلوا اليك وصاروا بين يديك أسلبهن ثيابهن فى الكنائس وأهتكهن عند سائر الروم حتى تشتفوا من عبد العزيز فى مقابلة فعله معكم وأقتل بعد ذلك العجوز أشر قتله واحتفظ بالبنات الى حال حضورى الى القسطنطونية حتى أقول لك ماتصنع وأدبر فى هلاك الموحدين ونصرة هذا الدين (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز ذلك رفع صوته ونادى وقال ياعقبة لاستر الله عليك ولا على أبوك ياقرنان ان كنت أراك بعدها وما أقلع عينك الصحيحة أو أعلوك بالسيف فتبسمت الأميرة من كلامه وقالت تبين لك الآن ياولدى باننا صادقين فيما قلنا لك فقال أى وحق رب العالمين وأنا معتذر اليكم فيما كنت أرد عليكم فى حقه من المقال والله لقد احتملتمونى غاية الاحتمال ولابد لى مما أعتذر الى أبو محمد البطال مما كنت أتجرأ عليه فى المقال وأنا الساعة أريد أن أشتفى من هذا الملعون هرمس عابد النار وآخذ منه بالثار لأجل مافعل بالبنات الابكار وكذلك بما فعل بالأمير عبد الوهاب الا انه ما قدر عليه وأخذه الا خديعة وهى خصلة شنيعة وأما أنا فانه ضربنى تلك الضربة وأخذتها فى جحفتى ولو علمت أن فيها تلك القوة كنت خرجت عنها وكان قلبى أيضا واثق بأن الصواعق لاتعمل فيه فوقعت الضربة صفحا وكانت الجحفة على رأسى والخودة ضيقة فكبست على أصداغى حتى غاب رشدى وعميت عيناى فوقعت مغشيا على من

شدة الضربة وقد كنت كبست البيضة على مقاتلى فقالت الأميرة صدقت يابنى لأن الحرب تارات وقد أسرنى اناث ماهم فى الحرب ولا فى طبقة هرمس فى الفروسية ولما حملت فى هذه النوبة عليه ما كان فى يدى إلا مثل الريشة فى يد الأسد على أننى قد كبر سنى وذهبت قوتى فقال هرمس تكذبى يا عجوزة السوء والله أن ملك الموت ما يفعل فعالك فاتركى عنكى هذا المكر والخديعة (قال) فضحكت الأميرة وكل من كان حاضر فقالت الأميرة يا ملعون أننى ضعيفة كما قد قلت مما فى قلبى من خوف الله تعالى لأننى ما أعلم على ماذا أقدم عليه يوم المعاد فان الأعمال موقوفة للعبد من الله تعالى أما عن القبول واما على الرد فان قبلها سعد العبد وأن ردها هلك وأما القوة التى رأيتها عند أخذك فانها قوة الإيمان وحمية الدين وصدق اليقين ثم أن الأميرة رضى الله تعالى عنها بعد هذا الكلام جمعت الغنائم وأدعت بالأمير سماق وأضافت اليه فارس من بنى كلاب وألف من السودان الانجاب وقالت له اعلم يا ولدى إننى سائرة إلى بلاد الروم وأخرب القسطنطونية وما حولها من البلاد وأنهب الأموال وأخرب ديار الكفار والأطلال ولا أفارقهم إلا بولدى عبد الوهاب وأم عبد العزيز نخذ أنت هذه الغنائم وسر إلى ملطية وأتركها تحت حوزتك وضم هذه الخيل وأتركها عندك حتى نعود إلى البلد ونقسمها على الرجال ولا نعطى لبنى سليم منهـــا عقال وساعة وصولك إلى البلد تطلب صاحب الخبر وتعلمه أن يكتب الى أمير المؤمنين بالقصة التى جرت علينا من أولها إلى آخرها وكيف قعدت بنو سليم حتى هلكت الألف فارس ويأمره أن ينفذ خلفى العساكر الى بلد القسطنطونية فان ارمانوس قد نقض العهد وفعل ما فعل ولا بد إن شاء الله تعالى مما أذله وأصلبه على باب الذهب ولو كان هلاكى قد اقترب فان بلغنى الله تعالى ما فى قلبى فلله الحمد وأن تكن الآخرى فقد بذلت المجهود فى طاعة الملك المعبود فان وقعت بالملعون عقبة قلت له هذا على سبيل التجربة وإلا فما المطلوب غير هرمس (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال سمعا وطاعة والرأى عندى أن تقيمين أياما قلائل بقدر ما تنفذ إلى الخليفة وتكون النجدة قد وصلت من بغداد والا أن دخلتى الى بلد الروم ونزاتى على القسطنطونية فيحث عليكى سائر البلاد ويحيط بكى عالم عظيم فقالت الأميرة أنا والله ما أتيت الى هذا المكان الا ولا بد لى ما أطلب ما عولت عليه من خلاص ولدى ويعلم كلب الروم أننى ما أنا عن طلبه قاعدة وأخاف أيضا أن يجرى عليه أمرا من الأمور فاذا أنا رحلت وعلى باب القسطنطونية نزلت وأن أرسل الى الملك يقول اعلمى أن الذى فعله هرمس ما كان باختيارى وأنا مقيم على صلحكم أقول إذا كنت مقيما على

فاعطيني ولدى عبد الوهاب وأم عبد العزيز ونلنى من صلب الملعون هرمس على باب الذهب فقد جرى منى إيمان لم أجد لها كفارة فان فعل ذلك طاب قلبى والا أقاتل كل من فى بلد الروم ولو كانوا بعـــدد النجوم وأرجوا الإعانة من الحى القيوم ولو جاءنى كل كافر فى الآفاق حتى تصل عساكر العراق ونطلب الاعانة من الملك الخلاق (قال) ثم أنها أمرت الناس بالرحيل فضربت الكوسات ونعرت البوقات ورحلت الأميرة والعرب قد تحيرت من عظم همها وشدة عزيمتها وكيف قد قدمت على هذا الأمر الذى ما يقدر عليه أحد إلا بالعساكر العظيمة (يا سادة) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سملق فانه سار يقطع الأرض فى الطول والعرض إلى أن شارف ملطية وكان الأمير عمر وفى ذلك الوقت فى الميدان وحوله جماعة من بنى عمه من أكابر بنى سليم يسيرون كما جرت العادة واذا بالغبار قد ثار حتى سد الأقطار فضحك الأمير عمرو والتفت الى أصحابه وقال هذا عبد الوهاب قد وصل منهزم وهذه خيل بنى كلاب فما عليها ركاب ولا فوقها أصحاب وقد تفرقوا يمينا ويسار فلأجل هذا طلع ذلك الغبار الذى قد سد الاقطار وغير لون النهار (قال الراوى) وكان هذا القول من كثرة تجاربهم وخبرتهم بالحروب على طول الازمان عرفوا أنها خيل خالية من ركابها ولكن ما سبق إلى أوهامهم أنها غنيمة (قال) فعندها أرسل عمرو بن عبيد الله عشر فوارس من بنى سليم يكشفون له الخبر فمضوا وغابوا ساعة وعادوا وقد تغيرت منهم الألوان وأنهدمت منهم الاركان وقالوا لعمرو أيها الامير والله ما عملت معنا خير فى هذه النوبة الذى ما سيرتنا مع الامير عبد الوهاب لما سار وكنت قلت له لابد ما تأخذنا معك أو جماعة من بنى سليم فانك لو فعلت ذلك كنا الساعة قد ساويناهم فى قسم الغنيمة التى ملأت الارض فى الطول والعرض فان فيها أكثر من خمسين ألف حصان ومن الاموال مالا يعد ولا يحصى ويكفيك أن معهم أموال مبدده وهم يسوقوها فلا تساق والاميرة ذات الهمة قد تخلصت وكسرت عسكر الروم ودخلت فى أعقابهم القسطنطونية وعولت على حصارها وصلب هرمس على بابها وقد ذكر سملق أنها ما تفعل ذلك الا تجربة لصلب عقبه اذا أنجزوا وعده (قال) فضحك عمرو ضحكة باردة من ذلك الكلام وقال هى والله أحقر من أن تصل اليه وأمير المؤمنين قد عرفه وعرف دينه وله به عناية وانما دخلوها الى القسطنطونية حتى تخلص ولدها عبد الوهاب من أسر الروم وأما هذه الاموال التى وصلت معهم فايش يقولون فيها فقالوا بنو سليم نحن شركاؤهم فيها نأخذمنها مثل ما يأخذون لان الامارة لنا والتقدمة فينا ونحن اليوم فى عسكر عظيم ونقدر نأخذ هذه الاموال كلها غصبا أن يعطونا لم قسمنا منها (قال) وكان الامير عمر بن عبيد الله من هذه الايام قد أنفذ

الى أمير من أمراء العرب يقال له ناقد بن فهد العبسى ونقله الى ملطية هو وقومه وكان فى خمسة عشر ألف فارس من بنى عبس وكان سبب ذلك أنه كان غضب على أخيه الامير فوفل ورحل برجاله الى ملطية لانه كان بينه وبين الامير عمر وصداقة عظيمة ومحبة جسيمه من أيام أبيه عبيد الله فلما بلغ عمرو أنه غضب على أخيه أرسل اليه هدايا والتحف والاموال والطرف وطلبه فسار اليه وقدم عليه فانزله فى دار حسنه وأعطى له له ولقومه خمسين قرية وثلاث حصون وأقام القوم مستوطنين (قال الراوى) وبنو عبس هم جمرة العرب فقوى قلب الامير عمرو بهم وزاد طمع بنى سليم فى بنى كلاب من ملطية ويتركك أنت ورجالك مكانهم ويعطيكم الاقطاع التى لهم فقال اذا فعلت ذلك جمعت لك قبائل العربان من كل جانب ومكان مقدار مائة ألف عنان يحفظون ثغرك ويشدون ازرك ولما وصل الامير سملق الى البلد دخل بالغنائم كما أمرته الاميرة ذات الهمة هذا وقد انفطرت مرائر بنى سليم كما ذكرنا مما شاهدوا من الاموال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما أمسى المساء وأظلم الليل أنفذ سملق الى صاحب الخبر الذى للخليفة فأتى اليه وسلم عليه وفرح بسلامته فنهض له سملق وخدمه وذكر له وصية الاميرة وأمره أن يكتب الى أخره بأمر غير هذا فانك لولا وصولك فى هذه الايام كانت الفتنة وقعت بين نساء بنى سليم ونساء بنى كلاب وربما كانوا نساء بنى سليم بحماقتهم نهبوا بيوت بنى كلاب ونفوا نساءهم من بيوتهم وقد عولت أن أكتب الى الخليفة بجميع ما جرى وأما أنتم تكونوا على حذر من أنفسكم من الأمير عمرو بن عبيد الله فان مالكم به طاقة فقال سملق ياأخى كيف ذلك وايش الذى جرى بين النسوان فقال اعلم أن بعض سودان بنى سليم اختصمت هى وامرأة من بنى كلاب فى هذه الأيام فقالت السلمية وكان حولها جماعة من سودان بنى كلاب مابقى لكن فى ملطية إلا القليل وتخرجون منها وتسكن بنى عبس فى دوركم ومنازلكم فقلن ما أتين عليه فلما سمعن نسوان بنى كلاب ذلك الكلام لم يسكتن لهن بل وقعن فى السلميات وضربوهن ضربا شديدا وسمع الأمير عمرو بذلك فانفذ إلى الكلابيات يقول والله العظيم لئن لم تقصرن عما أتين عليه لأخرجكن من ملطيه فانفذن اليه يقلن له والله أنت أقل من ذلك وأقصر أيادى عن ذلك يا ترى بأن لساى نقول لنا ياعمرو هذا المقال أما علمت أنك ما أعطيت الامارة إلا برضا رجالنا وأيضا بمراعاة الأمير عبد الوهاب ولو أن أحدا جاء يقول لنا أخرجن من البلد من غير إذن أمير المؤمنين لكان تكون سيوفنا إلى هامه أقرب من لسانه إلى كلامه ولكن أين كان هذا الكلام ونحن فى أرض الحجاز والنجابة تاتى إلى رجالنا بالكتب من عند أمير المؤمنين

يسالوهم على نصرة الدين دين سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وكان أمير المؤمنين فى الموصل محصور مقهور وملك الروم نازل عليه وقد أشرف على هلاك التنفس حتى أدركته رجالنا برماح سدت شعاع الشمس وحجبته أن يصل إلى الأرض وبنى سليم خمصان البطون حيارى وآخرين منهزمين وآخرين فى الأسر واقعين وهم فى القيود والاغلال والأسر والاذلال (قال) فلما بلغ عمرو ذلك أنفذ اليهن بقول أما قولكن أنا أسرنا ورجالكن تخلصن فياطال ماخلصناهم من الحتوف وأدركناهم بشفار السيوف ومع هذا فأنتن نسوه مامنكن كلام وأما الكلام فما يكون إلا مع رجالكن إذا عادوا فلما سمع سملق هذا الكلام من صاحب الخبر صارت عيناه مثل الجمر وقال والله ما يكون فى الحماقة أكثر من هذا والساعة يا أخى على ماذا عولت فقال عولت أن أكتب هذا كله إلى الخليفة وأعرفه به فقال سملق هذا هو الصواب ولقد أتيت بأمر لا يعاب فعندها كتب صاحب الخبر الكتاب وكلما أوصته به الأميرة ذات الهمة ثم أنه جنح الرقاع على خمس طيور حتى إذا ضل بعضها أو هلك يصل البعض (قال) فلما كان آخر النهار وصلت الكتب إلى بغداد وأعرضت على المعتصم فعجب من ذلك وقال والله أن هذا حديث لو كتب بالذهب لما يغلا لما فيه من العجب ثم التفت إلى قائد الجيوش وقال الساعة تسير أنت وعساكر العراق خلف الأميرة ذات الهمة حين تهين الكلب المهين أرمانوس فكم يحلف ويكذب ويعاهد ويكذب ويعاهد وينكث ويصالح ويغدر والله لقد رأت الأميرة الصواب فى صلب هرمس الملعون حتى يتأدب به غيره وأما حديث عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والله لقد قبحوا على بنى كلاب الف مرة وبنو كلاب يحسنون اليهم وبعد ذلك فما رأينا نحن قط لبنى سليم بارقة ولا أفلحوا قط وما برحوا محتاجين إلى بنى كلاب وبنى سليم يجتمعون بسيوفهم وقد ضاق صدرى لأجلهم واستجار لى من عبد الوهاب وذات الهمة لأننا فعلنا فى حقهم كل يوم فعال لو أننا فعلناها فى حق غيرهم لما عادوا أبدا اتعرضوا لخدمتنا بل كانوا دخلوا إلى بلاد الروم ويفروا منا وأنا والله مالى فى بنى سليم حاجة ولا فى خدمتهم ولا فى أميرهم عمرو فدعهم يمضون عنا ويطلبون لهم بلاد غير بلادنا فان الأرض لهم واسعة ثم أنه أمر الوزير أن يكتب كتاب إلى عمرو وأن ساعة وصول هذا الكتاب يرحل هو وبنى سليم عن ملطية إلى أرض الحجاز وانى لهم غير محتاج فدعهم يرحلوا يوم يصل اليهم الكتاب فانى قد غضبت عليهم لبغيهم واكتب فى آخر الكتاب أن وصل عسكرنا إلى ملطية وهم فيها فقد أمرت برمى رقابهم كلهم وأول ماتضرب رقبة عمرو أميركم ثم زاد به الغيظ وصار يشكر بنى كلاب ويذم بنى سليم ثم

أمر برفع الطائر بالكتاب وأن يطلقه من ساعته (قال) فعندها تكلموا الذين كانوا يعتصبوا لعقبة ولبنى سليم وقالوا ياأمير المؤمنين اعلم أن للامير عمرو بن عبيد الله ولبنى سليم على مولانا خدم كثيرة وهؤلاء قوم عرب وبينهم مصاهرة ونسب وان اختصموا اليوم اصطلحوا غدا والأمير عبد الوهاب على كل حال تربية الأمير عبيد الله وهو يرعا له ذلك فمولانا حرسه الله تعالى لايفرق بينهم فما لهم إلا بعضهم البعض ومع هذا فنحن نكتب إلى عمرو ونعرفه ما كنت عزمت أن تفعله فيهم وجميع ماجرى عليك وأننا سألناك العفو عنهم ثم أننا نأمره فى الكتاب يسير فى سائر بنى سليم وبنى عبس ومن قد جمع من العرب خلف الأميرة ويعينها أن تصل عساكرنا اليها فبينما يصل عسكرنا إلى ملطية يكون عمرو قــد وصل إلى القسطنطونية ويقاتل مع الأميرة مع مامعها من الجيوش فاننا ما ندرى ما يكون أما الأميرة فانهـا سارت فى جمع يسير فلما سمع المعتصم ذلك صغى اليهم ثم قال ويجب أن تنفذون جميع ما ذكرتم وما ذكرت أنا فى أول الكتاب الى عمرو وما كنت أنا معول عليه فى حقه فقالوا سوف نفعل ذلك يا أمير المؤمنين (قال) الا انهم لم يزالوا يسألون حتى أجابهم الى ذلك ثم كتبوا الى الأمير عمرو يعنفوه ويهددوه ويلوموه على ما فعل فى حق بنى كلاب ويعلموه بما جرى فى حضرة المعتصم وبما أراد أن يفعل فى حقهم وبما أثنا على بنى كلاب من الثناء الحسن ويعلموه بما أراد أن يفعل فى حقك من النفى عن ملطية واننا قد طيبنا القضية بكذا وكذا فاذا قرأت هذا الكتاب لايكون لك جواب الا أن تجمع كل من عندك من الاعراب وتلحق بالأميرة الى القسطنطونية لأن أمير المؤمنين قد عرض له مرض وإلا ماكان سائر الا بنفسه وها هو قد جهز ثلاث مائة ألف فارس ترك وعجم وأكراد وديلم وعرب وغيرهم والعسكر بعد صلاة الجمعة معول على المسير فاجهد جهدك وطاعتك وسر من وقتك وساعتك لعل أن ينصلح أمرك مع بنى كلاب وإلا إن توانيت كان سببا لنفى بنى سليم من ملطية الى آخر الأبد ما قام قائم وقعد فانكم ما أنتم مثل بنى كلاب فانهم لو نفاهم الخليفة من هذه الديار خرجت اليها الكفار وما تركت فيها ديار وما يكون فيكم ما تدفعون عن أنفسكم ولا عن أوطانكم فيحتاج أمير المؤمنين حفظه الله أن ينفذ الى بنى كلاب ضرورة وأما أنتم بخلاف ذلك اذا نفاكم أنتم ما يبالون لأن فيهم من يحموا الثغور ويضربوا رقاب كل فاجر كفور (قال) ثم أنفذوا هذا الكتاب الى الأمير عمرو بن عبيد الله فلما وصلت اليه الكتب جمع بنى سليم اليه وقال قد جاءنى كتاب من عند أمير المؤمنين فما فتحته ولا أدرى ما فيه ولا شك ان القاضى عقبة قد حرك على بنى كلاب ساكن وقد أنفذ الخليفة يأمر بنفيهم

وإبعادهم عن أرض ملطية وقد نلنا من نفيهم الغرض وأنا أعلم انى لو كنت كاتبت الخليفة فى أمرهم كان قد نفاهم من هذه الأرض والديار وسعة هذه الأقطار ثم انه فتح الكتاب ونظر ما فيه من الخطاب فاصفر لونه وذبلت شفتاه وصار وجهه عبرة لمن يراه فلما رأوه بنى سليم على هذه الحالة قالوا ماشأنك أيها الأمير أليس ماقلت أنت لنا قال لا والله يابنى عمى ماتم شىء مما قلت لكم ثم انه أعاد عليهم ما فى الكتاب فتغيرت وجوه بنى سليم وقالوا له ايش الرأى الذى تراه لنا فيه المصلحة أيها الأمير فقال قد عولت على المسير فانى ما بقيت أقدر على المنام بعد ما وصل الى من الكلام وأنا أعلم انه ماجرى علينا هذا الا بغيبة ابن عمنا عقبة والا لو كان حاضرا ما كان أحدا على هذا الكلام قادر ثم نادى من يومه فى ملطية يأمر الناس بالرحيل الى صوب القسطنطونية ثم انه خرج من ساعته وخرجت بنو سليم وأحلافها وبنو عبس فكانوا سبعون ألف فارس ومن الغد وسار يطلب القسطنطونية وقد زادت بغضته لبنى كلاب فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من بلاد الروم وأخبارها فان ميمونة وصلت الى القسطنطونية ومعها الامير عبد الوهاب وأم عبد العزيز ودخلت على ملك الروم وأعادت عليه ما جرى من الكسرة فقال لها بعد ماسلمتى أنتى ما أبالى بما جرى ولا سيما ومعكى أسود بنى كلاب فانما كسرنا على الموصل سواه ولابد لى من قتله وأريح النصرانية من شره ثم انه سألها عن هرمس المجوسى فقالت أسرته ذات الهمة ونهبت سائر أموالنا ورحالنا ولا شك انها تعود الى بلاد الإسلام من شدة فرحتها بما كسبت من الأموال وبعد ذلك تكلمنا من أجل ولدها عبد الوهاب وخلاصه فقال الملك أرمانوس وحق المسيح ما بقى عبد الوهاب يخلص من يدى أبدا ولو خرج كل من فى الأرض ثم قال الملعون ولا بد لى ما أشفى قلبى وقلب الشيخ النجيح وفى غداة غد أضرب رقبته وأصلبه على باب البلد وان بعث الخليفة يعتب على فى ذلك احتجيت بأصحاب دمدرى وأقول انهم قتلوه لأجل انه قتل ملكهم وما قدرت ان أمنعهم لأن ماكان لى بهم طاقة لأجل كثرتهم ولو تعرضت عليهم نهبوا القسطنطونية وقتلوا كل من فيها فلما ان سمعوا الملوك ذلك قالوا هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب وفتحت لهلاك الاسود أحسن باب ثم انهم باتوا على أكمل مسرة وكذلك بطارقة الروم وعوام البلد (قال) وبلغ الحديث الى الرساتيق والاديرة فجاؤا الجميع الى القسطنطونية يهرعون من كل فج عميق وواد سحيق حتى سدت بهم الطرق وجميع الافق حتى ان الرهبان نزلوا من الصوامع وهم يقولون مادام المسيح يقلع عنا عبد الوهاب ما نبالى بمن سواه من سائر الاعراب فان بعد هلاكه تتفرق سائر الاعراب وبنى كلاب فهم الذين

يرمون الروم بالعذاب (قال) وفتحت كنيسة صوفيا وهى الكنيسة الكبرى وعلق فيها الصلبان الجوهر وقناديل الذهب والفضة وأظهر الروم أموالا عظمية لاتخطر على قلب بشر وشىء يذهل الفكر من الدر والجوهر وخرجت النسوان من الخدور والدور والقصور وهم فى غاية مايكون من السرور وراخين على أكتافهم الشعور وسكبن الخمور وكان يوم مشهور وأقبل سياف الملك وبيده سيف مشهور وكان اسمه نقولا وهو كافر فجور وكان عبد الوهاب قد قتل أباه فى زمن الرشيد وقتل أخاه فى زمن المأمون وقتل له ولدين فى زمن المعتصم فأتى اليه وقلبه ملآن بالغيظ عليه وبات تلك الليلة يعذبه وقد طار النوم من عينيه (قال) وكان كل ساعة يهز السيف فى وجهه ويهدده بالقتل (قال) وفى تلك الليلة دخلوا أصحاب دمدرى على الملك أرمانوس وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا أيها الملك والقيل الجسيم نريد من تفضلك واحسانك واكرامك وامتنانك انك اذا قتلت أسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب أن تعطينا رأسه فقال لهم وما الذى تصنعون به قالوا تكون معنا حتى إذا رجعنا الى بلادنا وسألنا الملك عن ولده نقول هذا الرأس الذى قتله والمسيح اليه نقله لأن ملكنا جبار من الجبابرة لم يولد فى زمان الجبابرة اعتى منه ولا أجبر ولا أقبح فعال وقد سمى نفسه غضب وأيضا أنه اذا سمع بجارية مليحة بارعة فى الحسن والجمال يروح يأخذها من أهلها غصبا ثم انه لايبالى ان كانت زوجته أو ابنته أو أخته وماتحمل اليه إلا مزينة بالجوهر والحلى والحلل فتبيت عنده تلك الليلة فاذا أصبح الصباح ركب الى ميدانه ثم يعوم يدخل اليها ويقول اعلمى ان المسيح غضب على لأجل نومى معكى ثم انه يخلع عنها ثيابها والحلى التى عليها ويأمر غلمانه بقتلها فيقتلوها وفى البحر يرموها وقد قتل بهذه الفعال من النساء مالايقع عليه احصى بعدد الرمل والحصى وهذا ولده دمدرى قتل مأتى الى ههنا الافزعا من أبيه لانه كان له ولدين أحدهما يقال له عبد الصليب وهذا دمدرى الا ان عبد الصليب كان أكبر وانه فى بعض الأيام استنقص فعل أبيه فلامه عليه فوثب اليه وطرح يده على رأسه وكبس عليه أخرج مخه من بين أذنيه وبقى هذا دمدرى فلما كبر ورآه على طريقة البغى والتجبر أراد أن يعتب عليه فى ذلك فنصحه بعض البطارقة وقال له يادمدرى إياك ثم إياك أن تحدثه فى ذلك فيفعل بك كما فعل بأخاك بل ان قدرت تلاطفه فافعل فقال دمدرى سمعا وطاعة ثم انه وثب من وقته وساعته ودخل على أبوه وجعل يلاطفه ويعاتبه على فعله وقال له ياأبتاه اعلم ان هذه الفعال التى تفعلها من جملة الجهل لأنه فعال كل اثيم وأخاف أن يشيع عنك هذا الكلام فى سائر الأقاليم وتسمع الملوك بفعلك وانك تطلب من الانسان أخته أو بنته فاذا امتنع من ذلك

أنفذت اليه أنت و تأخذها غصبا حتى انك اذا خلوت بها و نلت منها غرضك أصبحت قتلتها وهذا مما يعرض مملكتك الى الزوال و نفسك الى الوبال واعلم أن الناس قد سألونى أن أسألك وأريد منك أن لاترجع تسمى نفسك غضب المسيح واذا طلبت جويرية ووصلت اليك فلا تصبح تقتلها بل إذا فرغ لك منها ردها الى أهلها أو اتركها عندك مثل بعض الجوار ياملك الزمان فلما سمع أبوه ذلك صعب عليه وقال له ويلك أنت تعايرنى بشىء أمرنى به المسيح ائن عدت تتكلم بهذا الكلام مرة أخرى لأفعلن بك كما فعلت بأخيك الذى قتلته وهو عبد الصليب فلما سمع دمدرى ذلك من أبيه اغتاظ غيظا شديدا وخرج من عنده غضبانا فجمعنا من الرساتيق والقرى وسار بنا الى ههنا والساعة فهو قد قتل أيها الملك كما علمت ونحن نريد نرجع الى الأوطان ونحن نعلم ان لم تكن رأس الأسود عندنا حتى نريه لملكنا ونقول له هذا الذى قتل ولدك والا هلكنا عن آخرنا ويكون قتل ولده سببا لهلاكنا وسبى نسائنا وأخذ أموالنا (قال) فلما سمع ارمانوس ذلك تعجب غاية العجب وبقال وحق المسيح عمرى أنا ماسمعت بهذا الحديث ولا أعجب منه لاننى كنت أسمع حديث بلادكم وجزائركم ويقال ان عندكم الزمرد ومنابت الذهب ومعادن الجوهر والنحاس والزيبق شىء كثير لايوجد مثله فى غير تلك الأرض وسمعت أن ماخاف بلادكم عماره لأن سيدنا المسيح ذكر فى الانجيل قسمة الدنيا وقد سمعت أن المسلمين ذكروا أن نبيهم قال مثل ماقال المسيح أن الأرض مسيرة خمسمائة عام ويقال ان بلادكم آخر العمار وأول الخراب وأما هذه الأخبار التى ذكرت عن ملككم فقد سمعت بقوته وشدته وسمعت أن ملوك القسطنطونية المتقدمة كانت خائفة منه أن يخرج اليها ويأخذ الملك لان عندهم من القسطنطونية ماتصلح ان تكون رستاق لبلادكم لأجل مافى أرضكم من الأشجار والأثمار التى لايوجد مثلها فى سائر الأقطار وكذلك التى ذكرتها لكم لان دياركم البلاد القديمة وهى التى نزلت فيها قدرة المسيح وبلاد الروم عند الحكماء مقسومة أقسام أما طولها فانه عند الحكماء ثلاثة أسباع والجنة سبعين اقليما واما بلادكم فانها أربعة أسباع وهى أطيب البلاد والقلاع والضياع ومع ذلك فان أمركم عجيب لأنكم فى هذا العالم العظيم والخلق الكثير فأى شىء يحملكم حتى تفعلوا هذا الفعل الزميم فقالوا له أيها السيد انما نصبر طاعة للمسيح فصلب ارمانوس على وجهه وقال ويحكم المسيح امركم أن تسلموا الى هذا الشيطان بناتكم فقالوا نعم أيها الملك وذلك أن ملكنا اول مانعرض لهذه الأشياء تشاجر هو وأهل الجزائر وثاروا فى كثير من العساكر وغيرهم فلما أن رأى الى ذلك منهم حلف لهم انه لايرجع الى مثل ذلك الى ثلاث سنين ثم دخلنا الى البيعة الكبرى التى نزلت فيها أنوار السيدة مريم أم

النور فرأينا القسوس كلهم قد كشفوا رؤسهم والبترك مشدود الوسط بينهم وقدعلا صياحهم ورموا الى الأرض نفوسهم فتأملنا ماعندهم فرأينا بين أيديهم طائر على هيئة الباز الا انه كبير الجسدمثل النسر العظيم جناحاه من الزمرد الاخضر وعيناه جوهرتان تسوى كل جوهرة منهما ملء هذه الأرض ذهبا وبدنه كله ذهبا وهو مرصع باليواقيت والزبرجد المنتخب وعليه من الجوهر مالا قيمة له ورجلاه من المرجان وهو قائم على سرير من الفضة البيضاء مارأينا قط مثله ورأينا السرير يمشى به من غير أن يرفعه أحد وكنا فى ذلك اليوم أكثر من عشرين فارسا ثم انه رفرف بجناحيه ونحن ناظرين اليه ثم انه صاح صوتا ماسمعنا قط مثله من آدمى وهو يتلوا الإنجيل فوقفنا مثل ماتقف سائر الرهبان والقسوس ونحن باهتين اليه مكشوفين الرؤوس ثم الطائر جعل يزهدنا فى هذه الدنيا ويأمرنا بالمواظبة والعبادة والاحسان للغريب ولبعضنا البعض وقال أعلموا اننى ابن المسيح وهاهو قد أرسلنى اليكم أجمعين حتى أكون حجة لكم على المسلمين وأمرهم أن يدخلوا فى هذا الدين واعلموا أن الدنيا قد حان أرتحالها ودنى زوالها فانعكفوا على العبادة واعلموا أن المسيح قد من عليكم بهذا الملك لاجل ما رأى من عبادتكم له فما وجد لكم ملك مثله لأنه حسن السيرة صافى السريرة وأن ذلك الفعل الذى أن يفعله وانكرتم عليه فهذا من باب الامتحان حتى يعرفكم سيركم وطاعتكم للمسيح بذلك يرحمه وينتقل الجارية الى النعيم ويوصلها الى الناسوت العظيم (قال الراوى) ثم قالوا البطارقة أيها الملك انا لما سمعنا هذا الكلام ونحن جماعة نادينا كلنا سمعا وطاعة وكان أول من قال ذلك البترك الكبير وحمل ابنته الى الملك وبنا الملك على ذلك الطائر قبة من الرخام وصفحها بالذهب الوهاج ورصعها بالدر وأصناف الجوهر وجعل عليها بابا من العود القمارى يقفل من الذهب وكان لايظهر الا من السنة الى السنة فيعلم الناس بما يأكلون فى بيوتهم وما يعملون يظهرون وما يتحدثون به مع نسائهم ويعلم بأسماء الاولاد الصغار وكل من يكون عندهم فى الدار مثل ماكان يفعل المسيح وقد صار الناس ينذرون له النذور من سائر الاقطار وفى هذه الايام وصل الينا من بلادنا جماعة وأخبرونا انه قد أمر الناس بالجهاد الى بلاد الإسلام وان الملك معول على الخروج فى هذا العام الا اننا نخاف اننا اذا عدنا اليه وأخبرناه بما شاهدناه من أمراء المسلمين ومن شجاعتهم لايخرج الى هذه الديار ولايقرب هذه الامصار (قال الراوى) فلما أن سمع الملك كلامهم قال لهم نعم ماقلتم والصواب الذى به أشرتم فما أنتم الا قد نظرتم وشاهدتم منهم ماشهدتم فانى لا أقدر أقتل عبد الوهاب الا بحجتكم

وأنا أعلم أن امه اذا سمعت بقتله ماتقعد عنا ابدا (قال) وبقى الملك أرمانوس فى قتل عبد الوهاب مقدم مؤخر لأنه مايدرى على ماذا يقدم ويخاف انه أن قتله يندم ثم انه بعد ذلك أقبل على الملوك والبترك الذى له وقال وحق المسيح أن هذه الآية التى ظهرت فى ديار هؤلاء القوم أن الحج اليها مثل الحج الى قمامة ولو علمت الروم بذلك لسارت اليه بأسرها فليت المسيح انزل عندنا آية أخرى ويأمر الروم الذين فى هذه الأقاليم ما أمرهم فى ذلك الاقاليم فقال البترك أنا أراك تخلط فى كلامك أنا ماعندى هذا صحيح (قال الراوى) هذا وقد عزم الملك على قتل الامير وأمر سيافه أن يجرد السيف وكان عبد الوهاب حاضر وقد سمع جميع الحديث الذى تحدثوا به فهم كذلك واذا قد دخل جماعة من البطارقة وهم يصرخون ويجلبوو فقال لهم وقد انذعر ويلكم ما الخبر فقالوا له أخرج أيها الملك أنت والعساكر الى القتال والحرب والنزال فان الاميرة ذات الهمة قد وصلت الى مرج الجبل وهى فى غداة غد تنزل على القسطنطونية وقد أخذت فى طريقها ثلاثين الف أسير ما بين أمرأة وراهب وقس وطفل صغير وقد أقسمت بدينها انه أن سقط من راس ولدها شعرة واحدة قتلت كل من معها من الاسارى ولا تبرح من القسطنطونية حتى تفتحها وتقتل كل من فيها كبير وصغير وتصلب على بابها أبونا البترك (قال) وكان البترك حاضر يسمع فقال أيها الملك ماهذا الا خبر طيب أن كان قتلى وقتل أهل بلدك يرضيك وانت أيضا لابد أن تكون فى الجمله فانى أعلم انها ماتخليك فى عافيه فوالله انك لاتتعرض لهذا الرجل الا بالخير فانها والله ماتحلف قط وتكذب وبهذا هى معروفة فليتها لاتدخل بى فى الوسط ولا جعلت يمينها معلقة بى فقالوا البطارقة وحق المسيح ياأبونا لقد حلفت وجعلت يمينها فى موضعها لأنك أنت أوفا النصرانية كما أن ابنها أوفا الحنيفية فقال البترك كنت أريد أن أكون مافى بلد الروم ولا فى بلد الاسلام أحق منى ولا يكون بينها وبينى معامله (قال) وكان هذا الأمر من تدبير مارس وأخيه درس وذلك انهم ادعوا بعشرة من البطارقة وقالوا لهم اعلموا أن الملك قد عول على قتل هذا الرجل عبد الوهاب وسمعنا أن أمه قد عولت على المسير إلى هذا البلد وأنا أعلم أن الحرارة ماتقع إلا فى الرؤس من الروم لأنها تضرب رقابهم وتنهب جميع أموالهم وما فى الأمر إلا أننا نخدع الملك ونرده عن غرضه ونحذره من جانبها ونقول له كذا وكذا حتى لايقتل عبد الوهاب ونقول أن هى وصلت وإلا أنت قادر على قتله ويكون هذا الفعل عند عبد الوهاب موضع كبير ويراه لنا يوما من الدهر إن أنتم وقعتم فى شدة يكون لكم عونا عليها فانه رجل ما يضيع معه الجميل وأنتم تعلمون كيف أخص المودة مع يانس المتغرب حتى أن

ملوك الروم إذا أرادوه لم يصل اليه أحد ولا يقدر عليه أبيض ولا أسود فلما سمعت البطارقة كلام مارس قالوا هذا هو الصواب فعندها أعطا مارس لكل واحد منهم ألف دينار حتى أرغبهم فى ذلك ففعلوا ماذكرنا ودخلوا على الملك كما شرحنا فلما أن سمع الملك كلامهم وكلام البترك عظم عليه وكبر لديه وأمر أن يرفع عبد الوهاب إلى موضعه الأول ونادى بعد ذلك المنادى فى القسطنطونية بالخروج إلى القتال فأخذت البطارقة أهبتها وهم يقولون ذات الهمة ماتأتى إلى القسطنطونية إلا فى بنى كلاب لاغير وإن كان ذلك الأمر كذلك ففرسان هذه البلد يأخذوهم ويفنوهم وإنما الملك فعل ذلك حتى لايقتل عبد الوهاب فانه خائف من المسلمين وقد قال القائل الفال موكل بالمنطق وكانت الأميرة فى ذلك اليوم قد نزلت على مرج الجبل حقيقة وبات الملك تلك الليلة وقد أنفذ له خيل تأتيه بالخبر فساروا وغابوا ذلك اليوم وفى اليوم الثانى عادوا اليه وهم صارخين وأخبروه أن الأميرة قد وصلت إلى قريب البلد وفى يدها أكثر من أربعين ألف أسير فلما سمع الملك ذلك صح عنده الخبر وقال صح الحديث وحق المسيح وقد زاد عدد الأسارى عما كنا سمعنا ولقد سلمنا أن نقتل عبد الوهاب وما كنا بعد ذلك ندرى ما يجرى علينا (قال الراوى) إلا أنه لم يصبح الصباح لم يدرى إلا ورايات الأميرة قد طلعت والاعلام الاسلامية قد ظهرت وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بعضها مكتوب نصر من الله وفتح قريب (ياسادة) فعندها خرج ارمانوس فى عالم عظيم وخلق كثير وقد فرح لأجل وصول الأميرة فى بنى كلاب لاغير وأيقن أنها فى كفه وقد أخذها فكتب على أجنحة الطيور إلى الأقاليم القريبة منهم يستنفرها ويحثهم على المسير اليه والقدوم عليه ويستعجلهم فى مسيرهم ثم أنه بعد ذلك أرسل إلى الأميرة ذات الهمة يقول لها أيها الأميرة أخبرينى ايش السبب الموجب للدخول إلى بلدنا والفساد فى أرضنا بعد الصلح والهدنة الذى بيننا فان كان هذا طمع فينا فسوف يعود بغيكم عليكم فلما أن وصلت هذه الرسالة إلى الأميرة قالت للرسول ويلك ياملعون قل للذى أرسلك سوف تعلم على من تدور الدوائر والله لافعلن فى حقه مالا فعلته فى حق أحد من الروم أيعايرنا الملك باسمه بالغدر ويكسونا ثوبه فى المكر فاننا ما غدرنا فى قول ولا خنا فى يمين بل هو الذى احتال علينا وأنفذ عساكره مع زوجته الينا فنصرنا الله عليه لأن الله ولى المؤمنين وجار الخائفين وقد أخذنا عدونا أسير وقدناه ذليل حقير وهو هذا هرمس الشرير ولا بدلى من صلبه على باب القسطنطونية بلا محالة فمن كان الملك قد رجع عن فعله وهو كما ذكرتم مقيم على الصلح فيطلق الأمير عبد الوهاب ويدعنى أصلب

هرمس على باب الذهب من غير اعتراض وأن هو أبا ذلك فما بيني وبينه شيء غير السيف (قال الراوى) فعندها عاد الرسول اليه وقد رأى من الأميرة فى ذلك اليوم مالا رآه منها فى ذلك اليوم مالا رآه منها فى غير هذه النوبة من الحراد فلما وصل إلى الملك أعاد عليه ماسمع فغضب غضبا شديدا ونادى فى الروم فركبوا وإلى نحو الأميرة طلبوا وكانت الاميرة رضى الله عنها فى مائة ألف فارس من بنى كلاب لاغير وكان قد قتل منهم جماعة فى الوقعات المتقدمة وكان فيهم عشرين ألف أسود عليهم صدور الزرد وفى أيديهم السيوف والعمد كأنهم سباع الرصد (قال) وتصادمت الجيشان واختلط الجمعان وعمل الصارم اليمان وطارت الرؤس عن الأبدان (قال) وكان عدد الروم فى ذلك اليوم ثمانمائة ألف والأميرة فى مائة ألف فارتجت بهم الارض فى طولها والعرض من شدة الركض هذا وقد انحنت فى قرابيص السروج واختبطت العرب والعلوج وقطعت الأيادى وأرميت وتارت نار الحر واشتعلت واستعانت الرجال بالصوارم فعملت والعقول مما عاينت قد اندهشت واندهلت وفاضت الدماء من الآماق وهطلت وارتجت الأرض وتزلزلت وأرمت السودان أنفسها عن الخيل وترجلت وهللت وكبرت وزمجرت ونادت باختلاف ألسنها وهمرت بأصواتها مثل الرعود إذا صاصات ونظرت الروم إلى نعالها فصاحت من الفزع وولت هذا وقد حمل منهم سهلب وقراقد وقرقود وعبد الواحد والمساح وأبو الاذان وملابط البغال والراقد وأبو الهزاهز وحامد وسملق والمجاهد والمجالد وطمطم وطماطم وباب الدروب وأبو العرقوب والضبيع والهلوب والقمام وأبو الفراقع والصراع ومناطح الصخر وأبو مقلاع والمخلوع وأبو عزيز وأبو كراع الأصم والشيص والشيصبان وباقى السودان وهجموا على الروم وعرقبوا الخيل وأرموهم بالخبال والويل وأرموا فى الحال عشرين ألف حصان ووقعت من على ظهورها الفرسان فداسهم الجميع بالعدد ودرسوهم بثقل العمد وداسوا عليهم وهجموا على مواكبهم فانهزموا خوفا على خيولهم وصار الرومى يقول لرفيقه روح ويلك ياقرنان قبل أن يعرقبوا جوادك السودان ويخرجوا بالعمد مخك مع الآذان (قال الراوى) فوقعت الروم على بعضهم بعض وهجوا على وجوههم إلى أن وصلوا إلى خيامهم فعظم ذلك على الملك ارمانوس وخرجوا اليه الناس من البلد بقدر عدد الأوائل ووصلوا أيضا أهل القرى والسواد إلى أن صاروا فى عدد لايحصى بعدد الرمل والحصى وأنهم أحاطوا بالأميرة ذات الهمة وأصحابها من كل جانب ومسكوا عليهم مطرقات والمذاهب هذا والاميرة تهيج فى وسط العجاج وتفنى الروم بقوة الضار بها والامير عبد العزيز إلى

جانبها وقد صدموا الروم بصدورهم وكذلك الامير ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وأمراء بنى كلاب وقد قاتلوا بقلوب نقية وأسرار مضية وهمم عليه ونصروا الشريعة المحمدية ولم يزالوا كذلك الى وقت الظهر فوصلت عساكر اللان فى مائتى ألف مستريحة وكانت الاميرة وأصحابها فى غاية من التعب إلا أنهم صبروا صبر الكرام وضربوا فى وجوه الكفرة اللئام وجاهدوا فى طاعة الملك العلام إلى أن صار من الاوقات العصر فاندفعت الاميرة إلى ورائها وقد رأت بنى كلاب قد تعبت وتتعتعت الا أنهم صبروا الى الليل وباتوا يحرسون أنفسهم إلى الصباح فعندها حملت الطائفتين وتقابل العسكرين وكانت السودان أصحاب العمد الحديد يضربون فى وجوه الخيل فتهرب من بين أيديهم ولا سيما اذا ثاروا اليهم بسيوفهم هذا والبترك قد جعل يوبخ الروم ويقول ياويلكم هذا حالكم وأنتم أضعافهم مرار وأنتم كل يوم فى زيادة وهم فى نقصان وما بقى يرجع الى ديارهم منهم انسان (قال الراوى) يا سادة يا كرام وباتوا فى غاية من التعب الى أن برق ضياء الفجر ودار قرن الشمس خرجت الاميرة فى أوائل الناس وقد اصطفت الصفوف وأشهرت السيوف فخرجت من بين الصفين وصارت فى وسط العسكرين ونادت هل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزاهز دونكم واياى أنا مقدمة الجيش وأم الذى لم يعتريه كسل ولا طيش الأمير عبد الوهاب الذى عندكم فى الاسر والعذاب ها قد خرجت الى الطعان والضراب فاما أن تأخذونى وأكون عندكم أنا وولدى أسارى أو آخذ منكم من يكون لولدى الفدا فقال الملك أرمانوس لاوهبكى المسيح عافية الساعة تصيرى عند ولدكى (قال الراوى) فلما قال ارمانوس ذلك أقبل عليه ملك اللان وقال له أيها الملك هذا يقبح من مثلك أن تقول فى حق هذه المرآة هذا المقال وتصد الناس عنها وتخوفهم منها فضحك ارمانوس وقال وحق المسيح والإنجيل الصحيح إنى لصادق فيما قلت فى حقها فان كان فيك أن تخرج اليها فما تكون إلاعلى خطر عظيم منها فقال ملك اللان أنا أخرج اليها فاذا أنا أخذتها تمكننى من أخذها معى إلى بلادى فقال ارمانوس لا وحق المسيح بل إذا أنت ملكتها قتلتها فى بلدى القسطنطونية وإذا قتلتها أعطيتك رأسها ويكون معك أيضا رأس أبنها فلما سمع كلامه فرح بذلك وحمل على الأميرة وكان يقال له شعشعونا بن ديدين وهو جبار من الجبابرة الموصوفين والأبطال المعروفين وقد رأى ما أوعده به الملك فحمل على الأميرة وأشار اليها بالرمح وكان تحته حصان مليح عربى ورمح خطى وسيف هندى ودرع داوودى وعلى رأسه بيضة عادية مثل الفضة النقية ثم حمل وهو يقول دونكى والبراز كما زعمتى وها أنا قد أجبتكى الى ما طلبتى فلما سمعت

الأميرة كلامه حملت وهى تقول

الا أيها البطريق دونك لبوة ☆ معودة يوم الوغا بالهزاهز
لها عادة فى موقف النقع دائما ☆ ولا تنثنى عن حرب قرن مناجز
سيعلم هذا الجمع من كان خاسرا ☆ إذا التطم الشجعان منا وفائز

(قال الراوى) ثم حمل بعضها على بعض وتعاركا مليا وتضاربا قويا إلا أن الأميرة صاحت فيه صوتا أذعرته وأذهلته وطيرت عقله وأدهشته وخيلت له أنها تضرب جواده فستر جواده بالبطارقة فرفعت الأميرة الرمح اسرع من البرق فطعنته فى فاه طلع السنان من نقرة قفاه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم نادت هل من مناجز هذا يوم الهزاهز فعند ذلك خرج اليها أخو المقتول وحمل عليها بطعنة مصممة فلم ترهب طعنته بل عطلتها وضربت رمحه بالسيف طيرت أعلاه فرمى باقيه من يديه وسل حسامه من غمده وزحف اليها وحملا وتقاتلا حتى تعجبت النظار منهما إلا أنهما لم يزالا كذلك الى أن حك الركاب بالركاب وقد تعجبت سائر العالم وقد علت منهما الضجات واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الأميرة ذات الهمة فوقع السيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه فوقع صريع يمج علقما ونجيع ثم برز اليها آخر فقتلته وآخر جندلته ولم تزل كذلك إلى أن قتلت من الروم خمسة عشر من أبطالهم واقيالهم فعندها صاحت الروم على وجوههم وقالوا وحق المسيح لو خرجنا الى قتالها من الساعة الى السنة الآتية واحد بعد واحد لما كان أحدا منا سالم فدعوا عنكم هذه الأهوال الذى خطرت بقلوبكم واحملوا عليها كلكم قبل أن يحدث من الأمور مالم يكن فى الحساب فان خليفة المسلمين مايسمع بها ويقعد عنها لأنها سيفه المشهور وحصنه على ممر الأيام والدهور (ياسادة) فعندها حمل الملك أرمانوس فى جميع البطارقة وأولاد العمالقة ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالإعتكار وعادت كل طائفة إلى مكانها وباتوا الروم ومالهم حديث إلا فى ذات الهمة وقالوا ما طول المسيح فى عمرها الا حتى يزداد علينا شرها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب أرمانوس وصاحت الرهبان والقسوس ودق الناقوس وأما المسلمون فانهم ضجوا بالدعاء إلى الملك القدوس وحمل بعضهم على بعض وإذا بغبار قد علا وقتام قد نما وهو من جانب بلاد الاسلام وبعد ساعة انكشف الغبار وظهر من تحته مائة ألف عنان من بنى سليم الفرسان يقدمهم الامير عمرو بن عبيد الله وجماعة الابطال المعروفين والشجعان الموصوفين (ياسادة) الا أن الأمير عمرو لما رأى الحروب قائمة حمل وحملت بنو سليم ونظر ارمانوس الى ذلك فانفذ

يكشف الخبر فقيل له بنى سليم قد جاؤا لنصرة الأميره ذات الهمة فلما سمع بذكر بنى سليم قال وحق المسيح لقد كنت خائفا من غيرهم و مادام انهم من بنى سليم فما أبالى بهم فانهم طعاما لسيوفنا ولو كان عسكر العراق له قصد فى المجىء لجاء مع عمرو بن عبيد الله وان الملك طمع فيهم وحمل فى الحال وعمل البتار واجتمع عمرو مع الأميرة وقال أيتها الأميرة لأى شيء دخلتى بلاد الروم وما أعلمتينى ولو كنتى أعلمتينى ماتخليت عنكى فقبلت الأميرة عذره وأكثرت من شكره (قال) ولما أصبح الصباح عمل القتال أربعة أيام (يا سادة) فتزايد الأمر على المسلمين وبان فيهم التقصير ووصل الى الملك ارمانوس نجدة أخرى من بلاد الافرنج فى مائة وسبعين قنطارية ووصلت أيضا عسكر البنجاك من الجزائر ووصل البرغل والمغلبيط واليونان والدوقس والأرمن والملافطة والبنادقة والفرنسيس وأصحاب الحصون المنقطعة وأهل السواد والقرى والفلاحين وكثرت الرجال حتى ضاقت بهم الدنيا (قال الراوى) فلما رأت الملعونة ميمونة هذا الجمع طمعت فى أخذ ذات الهمة وكل من معها وعولت على أمر لوتم لها ما سلم من المسلمين أحد وذلك انها اجتمعت بالملك أرمانوس وتحدثت معه بما تريد أن تصنع فى أمر المسلمين فقال لها ديرى ماتشتهى لعل المسيح يجعل هلاكهم على يديكى (قال) فلما جرى ذلك هاهنا يرجع الحديث الى الأمير عمرو بن عبيد الله فلما نظر إلى ما أحاط بهم من العساكر والأمم أقبل على بنى سليم وقال والله لقد وقعنا فى بحر عجاج متلاطم بالأمواج فقالوا والله لقد صدقت وإن لم تدركنا عساكر العراق والا فنحن هالكون ولا نفسنا مفارقون على ان الخليفة بنفسه إذا جاء مايقدر يلقا هذا الجيش وهذه الاميرة ماتنظر فى عاقبة الامور ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وهذه الأميرة يحملها هذا الامر الذى شاع لها فى الشجاعة تريد أن تصححه بين الناس وذلك من حرقة قلبها على ولدها تخاف عليه من الهلاك ونحن الساعة بقينا فى وسط الأعداء ولو جاؤا الينا عساكر العراق لما وصلوا الى عندنا لأن خلفنا من الروم مايلقاهم جميعهم ويردهم خائبين فقال الأمير عمرو مانحن إلا حسبنا هذا الحساب اننا إذا نزلنا على القسطنطونية تنفتح علينا البلاد من كل جانب إلا أننا ماقدرنا نقعد لأنكم قد سمتم ماجاءنا فى الكتاب من عند الخليفة وكيف كان معول على نفينا من الثغور إلى الحجاز وكانت الاعداء شمتت بنا فقالت بنى سليم والله ان النفى أسلم من هذا الحال فيا ليت كنا نسلم وندخل إلى بلاد المسلمين ودع بنفينا الى ما تطلع الشمس فضحك عمرو من كلامهم ودخل منهم جماعة على الاميرة ذات الهمة ودخل عمرو أيضا حتى ينظر على ماذا عولت على القتال أو على الهرب فلما دخل عليها رحبت به وقامت له قائمة على قدميها وقالت

لهعسى حاجة فتقضى أيها الأمير فقال عمرو أيتها الأميرة ماأتيت إلا حتى أعلم ما أتى عليه من القتال أو من الهرب فضحكت الأميرة وقالت أيها الأمير أن لى ستين سنة أطلب من الله حاجة لعل أن يكون قد سهل قضاؤها قال وما هى الحاجة أيتها الأميرة قالت الشهادة فى سبيل الله تعالى ولا بد ما أضرب فى قمم القوم كل ليلة ويوم إلى أن أفوز بالشهادة وأتعلق بالسعادة وأعلم أن الجهاد فرض علينا والموت لابد منه ولو عاش الانسان عمر نوح عليه السلام فلا بد من الموت ولنا اسوة بمن سلف وما كان لنا بد من هذا لأن العسكر الذى لأعدائنا قد كثر من حولنا فان أدركتنا عساكر العراق فالحمد لله تعالى وإن كانت الأخرى فمرحبا بالموت على هذه الحالة التى تتمناها الأولياء ومن يكون أسعد منا أن قتلنا فى طاعة الله تعالى ومرضاته ونصرة دينه فنكون رابحين من سائر الوجوه فلما سمعوا بنى سليم كلام الأميرة قالوا جميعهم بس بس ما كان لنا شغل ولا نسأل إلا الله تعالى أن يسهل لنا من يضرب رقابنا أكان الموت يفوتنا حتى نستعجله وإن كان قضى علينا بالقتل فلا مرد لأمر الله تعالى من قضائه وإن كان غير ذلك فان السلامة أحب الينا من القتل على كل حال ولكن إذا عولنى على الحرب لابد من الطعن والضرب ونرمى نفوسنا فى أمر صعب ونموت كرام ولا نعيش وكذلك قال الأمير ناقد العبسى لأنه عاد وجمع أصحابه وقال لهم اعلموا أنكم ما بيضتم وجوهكم قط وما كان لكم شغل الاشن الغارات بعضكم على بعض وهذا يوم تمحى عنكم فيه السيآت وما قدمتم من الخطايا ولا سبيل لكم إلى ذلك إلا بالقتال الخالص من الرياء والنفاق فى طاعة الملك الخلاق فلما سمعوا كلامه قالوا سوف ترى والله منا أيها الأمير صدق الطوية فى نصرة دين محمد خير البرية وأفضل من مشى على الأرض المدحية صلى الله عليه وسلم ولا بد أن نقاتل فى غداة غد حتى نبيض وجوهنا عند الله وعند الناس (قال الراوى) وباتت الناس إلى أن أصبح الله بالصباح فثارت الروم مثل قبائل الجان ورفعت الصلبان والمسلمون قد رفعت أصواتها بتلاوة القرآن وتوحيد الرحمن وقدمت الأميرة السودان فى أول الناس بعد ما قسمت العسكر أربعة أقسام حتى يقع القتال من اليمين والشمال ومن سائر الجنبات (قال) ولم تكن الأميرة قاتلت قط مثل هذه النوبة وكان الأمير ناقد وبنو عبس والأمير عمرو ومائة ألف من بنى سليم فى وجهه والأميرة ذات الهمة فى بنى كلاب جميعا فى صدر ملك الروم والروم قد صوبت القنطاريات اليهم وكان الأمير عمروا فى وجوه البجناك والأمير ناقد فى وجوه الانجاز والسودان نصيبهم الافرنج وهم أشر الطوايف وأصبرهم على القتال وارتجت الأرض من كثرة الركض ووقعت الخيل من شدة الصدام شمال ويمين

واختلطت الكفار بالمسلمين وصرخت الرجال على خصومها وعملت الصقال فى جسومها وارتفعت العجاج مع غيومها وصبرت عصبة الاسلام على الامر الجسيم والخطب العظيم وذلك العالم الذى لايحصيه إلا السميع العليم فأما البجناك لما تكاثرت عليهم فأيقنوا بالهلاك وقاتل عمرو قتال شديد ما عليه من مزيد إلا أن الخلق كثير والجمع غزير فقتل من بنى سليم عالم عظيم إلا أنه ما قتل منهم واحد حتى قتل من الروم الفارس والاثنين فلما زاد عليهم الامر اندقوا طالبين عسكر الاميرة وكانت الاميرة قد وقعت بين أمم لاتحصى بعدد الرمل والحصى وهى فى قتال شديد وقد دار بها عشرة من بطارقة الروم وكان أحد العشرة ميمونة والثانى بطريق يقال له شماس وكان معروفا بالقوة والباس والشدة والمراس وكذلك بقية البطارقة العشرة كل واحد منهم بعد برجال ويلتى الابطال فلما وقعت الاميرة بينهم ورأت منهم صدق الطلب حققت أنهم عرفوها هنا لك هللت وكبرت ولربها ذكرت وضربت شماس على الرأس نزل السيف إلى الاضراس ثم عطفت على الثانى قتلته وكذلك الثالث جندلته والرابع أهلكته ولم تزل تلقطهم واحد بعد واحد إلى أن أهلكت منهم تسعة ولم يبق بين يديها غير ميمونة إلى ذلك فعلمت أنها وقعت فى شباك الخذلان وجعلت تطلب الخلاص من يد القناص نخاب منها الدليل ولم تجد إلى ذلك سبيل فايقنت بالرحيل فنادت ياذات الهمة قليل قليل فان ولدكى عندنا وهو سالم وأما أنا فانى كنت طردت عن دين الاسلام وحكم بذلك الملك العلام فأنا ما أنسى حق الامير ولا أدع أحدا يصل اليه بأذيه وأما أنتى فمالى وجه أقابلكى به فدونكى وقتال غيرى فانني ما أنسى جميلكى السالف فدعيني حتى أعود إلى الملك أرمانوس وأتحدث معه فى حق ولدكى عبد الوهاب وأتركه يعتقه من الاعتقال وأبلغك من خلاصه الآمال وترحلى أنتى وولدكى لبلاد الاسلام ولا تقابلى هذا العالم العظيم فمالكى على قتالهم جلد لانهم كل يوم فى زيادة وأنتم فى نقص من العدد فقالت الاميرة ويلكى ياسوداة الوجه والقلب ويامطرودة عن باب الرب دعى عنكى هذا المقال ودونكى والقتال فما أنا عن ينطلى عليه محالك وأنا ما أبالى إن كان ولدى سالم أوهالك لأن الموت لابد منه لقوله تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وأما أنتى أجلك يا ملعونة قد أقترب فلما سمعت ميمونة ذلك أرمت روحها على الأميرة وقد أيقنت أنها لها قاتله والبها واصلة وقد ذكرناما فى ميمونة من الشجاعة الى أبعدغاية وأقصى نهاية فقاتلت قتال يذهل الإنس والجان ويحير الفرسان والأقران إلا أن الاميرة ضايقتها وهمت أن تضربها وإذا بالناس يدق بعضهم ببعض فنظرت الاميرة إلى ذلك واذا هم بنى

سليم وهم منهزمين من سيوف البجناك ومستجيرين ببنى كلاب فنظرت الأميرة الى ذلك فصعب عليها وصاحت ويلكم الرجعة الرجعة التار التار هنالك وجدت ميمونة لها غفلة فولت ولم تعطف على قتال الاميرة لانها خافت أن ترجع تنابشها فلا يكن لها خلاص من يديها وأما الاميره ناقد العبسى فانه قاتل قتالا شديدا ما شاهدت العيون مثله ولا نظر أحد أشكله لانه يطحن هو وأصحابه الطائفتين التى كانت بين أيديهم بعدما قتلوا منهم أكثر من عشرة آلاف فولوا عنهم ولم يردهم الا طائفة البجناك واللان الذين كسروا بنى سليم فان المنهزمين انضافوا اليهم وعادوا الجميع الى بنى عيسى وقد صاروا فى عالم عظيم فكسروا نافد وصحبه وتبعوهم الى أن ألجؤهم الى عسكرين كلاب وأما السودان فانهم كانوا كما ذكرنا عشرين ألف وكانت الاميرة ذات الهمة أوقعتهم فى مقابلة الافرنج وكان ملكهم يقال له برطس وهم فى مائة ألف وصدموهم السودان صدمة أفنوا فيها من الافرنج خلق كثير وكانوا مستظهرين على الافرنج ولكن لما جرى لبنى سليم من الفناء ما قد جرى وأنكسر وأطحن بعضهم بعضا وقد تأخرت المسلمين من مواضعهم وبأن النقص فيهم لقلتهم ولم يبين فى الروم لكثرتهم وباتوا طول ليلتهم يسمعون البوقات تضرب لقدوم الروم قوم بعد قوم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الاميرة أقبلت على الامير ظالم وعبد العزيز العلوى وسيف الحنيفية وباقى الامراء وقالت أريد منكم عشرين فارس يهبوا نفسهم لله تعالى فى غداة غد نفوز بالمنا أو نقع فى الهلاك والعنا فقالوا وما نفعل قالوا تحملوا بنا حملة واحدة ونطلب بها كلب الروم فان نحن قتلنا نلنا كل المنا وكلما أردنا فقالت مشايخ بنى كلاب أيتها الاميرة أعلمى أن ملوك الروم قد عرفوا هذه الفعلة على طول الزمان وصاروا يأخذون حذرهم ولا سبيل لكم الى ذلك لان الملك معه عسكر غظيم فلا تغرى نفسكى وبالمسلمين فقد قال رب العالمين «(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)» ولكن ان كان غير هذا الرأى فافعليه (قال) فلما سمعت ذلك قالت والله لقد صدقتم لكنى أريد أن ألقى نفسى الى هذا البلاد لأجل مارأيت فيه من الناس وأيضا من أجل ولدى عبد الوهاب فما كان أحوجنا فى هذا الوقت الى الأمير أبو محمد البطال فانه ما غاب عنا الا لشؤم بختنا إلا أنى أعلم أنه ما انقطع عنا الا لكون انه غضبان من كلام الأمير عبد العزيز العلوى وأنا أسأل الله تعالى أن يأتى فى عسكر العراق هذا وقد باتوا الناس على ذلك إلى أن أصبح الصباح وداموا فى القتال والصدام ثلاثة أيام الى أن نحلت سواعد الرجال الكرام وقدعز على المسلمين العلف والسودان وما بقى لهم سبيل الى البلاد هذا والروم كل يوم فى زيادة

وبقت الأميرة غايصة فى بحار فكرها وقد دهمها هما عظيما وفكرا جسيما لانها لاتدرى ماتصنع وانها أدعت بجماعة السودان وقدمت عليهم سملق والهدلموس وأبو الهزاهز وقراقد وأمرت على بنى كلاب عبد العزيز العلوى فقالوا لها أصحابها على ماهذا عولتى قالت سوف تعلمون ان شاء الله تعالى ثم أخذت ظالم وسيف الحنيفية وراشد بن ضمرة وطارق الحجازى وهارون الفلوى وتمام العشرين فارس وقالت للسودان أبصروا كيف تكونوا فى قتال الروم ولا تقصروا دون أن ترموهم على باب القسطنطونية فقالوا سمعا وطاعة ثم أنها صبرت حتى انسدل الظلام ولبست لبس البطارقة هى والعشرين أمير المذكورين وعلقوا الصلبان فى أعناقهم وصاروا تحت ذيل الدجا الى أن اختلطوا بالروم وقد عولت الاميرة على الدخول إلى القسطنطونية من الغد لعلها أن تجتمع بمارس ودراس وتسألهم عن الامير عبد الوهاب وتأخذ خبره فان كان عاطبا أيست منه وان كان سالما سألتهم المعونة على خلاصه ليكون مساعدا لهم فى هذه الشدة وباتت فى عسكر الروم والملك قد أيقن أنه فى اليوم المقبل يأخذ المسلمين (قال الراوى) فلما كان وقت الصباح توائبو الناس إلى الكفاح واذا بغبار قد علا وقتام قدنما من صواب بلاد الاسلام وسمعوا التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير من حد أربع فراسخ

﴿تم الجزء الخمسون ويليه الجزء الحادى والخمسون﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

ووَلدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما رأى الملك ارمانوس ان عساكره قد انزعجت من هذا الغبار وارتعبوا وقالوا هذا عسكر العراق قد أتى مع الخليفة فعند ذلك قال الملك ارمانوس لأصحابه ويلكم ماهذا الفزع الذى قد ملأ نفوسكم أنا قد وصلنى الخبر على جناح الطائر من دير ميخائيل يخبر أن القادمين من مجمة العراق وليس فيهم الخليفة وماهم الا غنيمة لكم ثم أدعى بأربع ملوك وقال لهم اسبقوا الى هذا العسكر القادمين الينا وامنعوهم أن يصلون الى أصحابهم ونحن نفرغ من هؤلاء الذين بين أيدينا الى أن تعودوا أنتم لأنهم ما بقى لهم زاد ولا علاف وخيلهم قد ضعفت وسواعدهم قد كلت ونفوسهم من القتال قد ملت فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك فقالت ميمونة يامولاى أنا أكون المقدمة على الجميع وأكفيك أمر عساكر العراق ففرح الملك بقولها (ياسادة) وكانت ميمونة قد عولت على هذه الناحية فزعا من الأميرة ذات الهمة كى لا تلتقى بها مرة أخرى فى مقام الحرب ولا تجد لها منها خلاص فسارت معولة على لقاء العساكر القادمة كى تشغلهم عن الوصول الى هذا الجيش الذى قد ضعف بين أيديهم (ياسادة) وأما الأمير عبد العزيز فانه ركب فى أبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وأبطال بنى سليم وعبس وزحفوا الى القتال وقد تعلقت قلوبهم بغيبة الأميرة لانهم يعلمون انها مامضت الا فيما يعود نفعه عليهم والتحم القتال بينهم وبين النصرانية وكان كلب الروم ارمانوس قدم ناحيه بنى سليم اثنى عشر بطريق وهم على رابيه وهو فوق مكان عالى لينظر مايجرى بينهم وقد حملت الرجال بعضها على بعض وكبر الأمير

عبد العزيز وحمل وكبرت افتونا وحملت الى جانبه وهى لاتفارقه واشتغل الناس بالقتال الى الضحى (ياساده) هذا والأميرة ذات الهمة قد علمت باشتغال الناس بالقتال فدخلت الى القسطنطونية فوجدت الباب مفتوح والناس منه داخلين وخارجين بالعدد والزاد والعلوفات وغيرها فدخلت الأميرة مع جملة الداخلين هى وأصحابها فرأى القوم ثيابهم وصلبانهم فلم ينكر أحدا عليهم فلما حصلت داخل البلد هى وأصحابها قال لها سيف الحنيفية الى أين تمضى بنا فى وسط بلد العدو ولو وقعت بنا غمره أو وقعت علينا عين ماكان يقوم لأصحابنا بعدنا قائمة فقالت لهم الأميرة اعلموا أن من أراد عظيم خاطر بعظيم وقلبى مايطاوعنى على الصبر عن أبيكم وأرجوا أن يكون عاقبة أمره الى خير وهاأنا قاصدة الى دار مارس ودارس ثم سارت الى أن وصلت إلى باب دار مارس ووقفت على بابه فوجدت البواب جالس فقالت له بالرومى مارس فى الدار فقال نعم أيها البطريق ماله فقالت له ادخل اليه وقل له رسول الملك على الباب فقال لها الساعة قدجاء هو وأخوه من عند الملك وهم فى أكل الطعام وشرب المدام وأنا لاأقدر أعبر اليهم فقالت له ويلك ياملعون هذا رسول الملك على الباب فان معى أمر ايسر خاطرة (قال الراوى) فعندها قام ودخل على مارس وأخبره أن رسول الملك على الباب فأذن لهم بالدخول فلما رآهم لم يعرفهم وظن ان الملك قد أرسلهم اليه فوثب لهم قائما وقال لهم ما الذى يريد والساعة أتينا من عنده فقالت له الأميرة يامارس ما للمؤمن فى هذه الدنيا راحة فلما سمع مارس كلامها بالعربى عرفها وفرح بها فرحا شديدا ومال اليها وسلم عليها وكذلك دارس وسلما على باقى الأمراء وقال لها مارس والله لقد كنت أريد الاجتماع بكى لأمور يطول سرورها اليكم ويعود نفعها عليكم فقالت الاميره ها أنا قد دخلت ومعى أسود الغاب أولاد الأمير عبد الوهاب حتى اذا طلعنا واطلع أحدا علينا ماكان فينا ما ندافع عن نفوسنا اليوم واليومين فتعجب مارس من قوة قلبها وعظم همتها وقال لها بالله عليكى هل سمعتى بخبر أبو محمد انه دخل البلد البارحه فى الحديد ومجيئك من أجله فقالت ذات الهمة وأبو محمد هنا فقال نعم فقالت حدثنى حديثهم يا مارس وكيف كان أخذه ودخوله والله العظيم لقد جاء فى وقت الحاجة اليه (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم أبو محمد أمر عجيب وحال غريب وذلك انه أقام فى طرابلس كما ذكرنا فيما تقدم من حديثنا وكان الامير جوال قدقضاتها حاله بها فأكرم أبو محمد غاية الإكرام وعظمه غاية الاعظام وكذلك مشايخ طرابلس فان استقام كانوا كل يوم يدخلون على البطال وينظرون اليه وكل أكابر البلد يأتون للسلام عليه

ويجلسون عنده ويتحدثون معه وينظرون اليه سيما من كان لم يكن شاهدة لأن اسمه كبير ومكانه عظيم خطير ودخل اليه مع جملة الناس مانع بن ضابط البخيل وقد ذكرنا ما كان جرى بينه وبين الأمير جوال من الاحوال (يا سادة) وانه لما دخل على الأمير أبو محمد وكان أبو محمد يبغض البخلاء فقال له أيها الأمير لم تبغض الأمير جوال وهو قد جاهد فى سبيل الله تعالى ومع هذا فهو كريم والله تعالى يحب الكريم فقال له يامولاى ما أبغضه وانما كان يفزعنى بالكلام ويقول لى أنت بخيل حتى تولد من ذلك اشتباك الخصام ومع ذلك فما دام انت والأمير عبد الوهاب تشكرن منه فأنا عبده أكراما لكما فشكره أبو محمد على ذلك (قال الراوى) وخرج مانع من عنده الى داره وهو شديد الغيظ وجمع أولاده ومن يلوذ به من أهله وقال لهم ما بقى لى فى طرابلس مقام وقد قيل فى المثل الشد بالقد ولا مقاساة الضد وأنا أبغض هذا جوال ولا أشتهى أحضر معه فى مكان لان له فى قلبى حرارات وهو رجل متفرط وأريد أن أكون مثله وانما المال الذى رفع قدرى وأنا أريد أن أرفع قدرهم ولا أفرط فيه أيضا فمالى طاقة أن أخرج درهما واحدا فى غير وجهه الا وتخرج روحى معه وان أقمت ههنا فما أكون طول عمرى الا مصفوع مقهور وتشمت بى الاعداء لأن هذا جوال قد صار خليفه عبد الوهاب ومثل هذا أبو محمد البطال الذى تفزع منه الإنس والجان ومالى الا الانتزاح فقال له انت كثير المال فان انت خليت مالك ههنا وطالت غيبتك ذهب مالك وأخذ وان انت أخذته معك فأى بلد وصلت اليه واستقرت بك الدار طمع فيك سلطان ذلك البلد وأخذه منك (يا سادة) فلما سمع ذلك من كلامهم قال لقد صدقتم ولكننى قد عولت أن أمضى الى بلد لايؤخذ منى فيها درهم واحد فقالوا له وأين ذلك البلد قال البلد القسطنطونية لأن فيها مسلمين كثير ساكنين بها فأقيم بها بينهم واهدى للملك أرمانوس شيأ وأقيم فى بلده إلى أن أموت ولا أقيم ههنا على أننى أعلم أنه ما يطيب لى فيها عيش ولكن الضرورة تحوجنى إلى ذلك، فقالوا له افعل ما بدالك فنحن كلما أين سرت سرنا معك فقال ما الذى آخذ معى إلى الملك هدية قالوا خذ معك من عمل ديار مصر من القلانس الرفاع وغيرها مما لا يوجد فى بلاد الروم مثله (قال) أما هذا فلا سبيل اليه لأنى لو فعلت ذلك ما كان تم من مالى إلا أكثر من ألف دينار وأزيد وما يطيب قلبى أن أخسر هذا كله ولكن أنا أعمل على هذا الشيطان أبو محمد حيلة وعلى هذه الصناديق التى معه فى الدار التى هو ساكن فيها لأنها كلها مال ومتاع وارفع الكل إلى بعض مراكب الذين فى البحر وأقلع

إلى القسطنطونية فما يدخل على قلب الملك مسره أعظم منها إذا سلمت اليه البطال لأنه أحب اليه من كل من فى بلاد الاسلام فقالوا وهم منكرون ونعطى للملك كلما فى الصناديق فقال نعم لأنه ماهو من مالى وكان يظن (ياسادة) إن الذى فى الصناديق مال ولم يعرف أن فيها رجال وشومدرس وعقبة شيخ الضلال (ياسادة) فتفكروا فى هذه الاشياء كيف تجرى وهى كما قال فيها القائل مصائب قوم عند قوم فوائد وأن مانع بن ضابط كان له فى البحر مراكب بعضها تقلع إلى الغرب وبعضها إلى بلاد الروم وانه رفع كلما يملك الى مركب كبير وكل ذلك فى كتمان من أمره وأخفى سره الا أنه لم يبق له فى البلد مايساوى درهم واحد وكان فى المراكب مركب قد وصل من بلد الملافطة وفيه مائة تاجر وقد باعوا واشتروا مايصلح لبلد الروم وهم معولون على الاقلاع وان مانع اجتمع بهم وتحدث معهم وأعاد عليهم ماهو معول عليه ففرحوا وقالوا وحق المسيح أن ملك الروم كان يغنيك ويغنينا ولا يأخذ منا جزية أبدا فافعل هذا ونحن لك أعوان على كلما تريد فقال لهم أريد منكم الليلة ثلاثون رجلا يكونون عندى فى دارى حتى إذا كان وقت الظلام أحمل إلى أبو محمد أسفاط ومال وثياب وغير ذلك وأقول له ياأمير اخبأنى فى حسبك وأريد أن أكون فى حضارتك ولا تشمت بى الاعداء ويكون الداخلون اليه عشرون يحملون الطعام والاسفاط والثياب فاذا طرحوا مافى أيديهم قبضوا عليه وعلى غلمانه وعلى مذبحون ولده ونأخذ الصناديق التى فى الدار عنده فقالوا قم معنا فنحن نخاطر بأنفسنا ولنا أسوة بك ففرح بذلك فرحا عظيما وصبر الى أن هجم الظلام وقد حصل هؤلاء عنده فى الدار من النهار ثم انه عمد الى عشرة أسفاط وحملها على أيدى الرجال الذين ذكرناهم وعشرة حملهم حلاوات وسكر وغير ذلك وسيوفهم تحت أثوابهم وقد تبطنوا بها وساروا إلى أن وصلوا إلى دار أبو محمد البطال وقد انصرفوا من عنده الناس ولم يكن الامير يخلى أحدم ينام عنده حذره على عقبه ومن معه وهو لا يعلم بمافى الغيب من العجب وأن مانع الملاوقف بالباب طرقه طرق خفى وكان أبو محمد فى تلك الساعة قد أخرج عقبه وهو يبصق فى وجهه ويقول له ياملعون هذا الذى كنت أريد من الله تعالى أن أتمكن منك ولا يمنعنى عنك مانع ولا يعارضنى فيك معارض ولا يمنعنى عن عقوبتك أحدا فلما طرق الباب رده إلى مكانه وقال للؤلؤ وصندل ابصروا من بالباب فخرج إلى الباب ونظر إلى مانع بن ضابط ومعه تلك الثياب والطعان على أيادى تلك الخدام فى الظلام فعاد الى أبو محمد وأخبره بالحال فقال لاشك انه يريد أن ينفى عنه إسم البخل وقد ظن انى أتعصب له وأترك الأمير جوال وأنا فما كنت بالذى أفعل ذلك لأنه رجل مسلم وما بينى وبينه إلا الخير

ولكن نحن على سفر وأى شىء جاءنا نفعنا وهذا رزق قد ساقه الله الينا فعودوا وقولوا لهم يدخلون فأول من دخل كان مانع بن ضابط فلما وصل الى البطال قال يا أبا محمد أريد أن أكون تحت نظرك (قال) ودخلوا الرجال فى أثره وحطوا مامعهم من الطعام والحلو والثياب وهو شىء كثير ومع دخول هؤلاء العشرين أراد لؤلؤ وصندل أن يغلق الباب وإذا بعشرة قدهجموا عليهم وبأيديهم السيوف وقبضوا على الاثنين قبضا باليد وكتفوهما وسدوا أفواهما وهؤلاء آمنين مطمئنين فى بلاد الاسلام وما عندهم هم ولا غم وأطبقت الرجال على البطال فقال أبو محمد لمانع ويلك ما هذه الفعال فقال سوف يبان لك أوله من آخره تذكر وأنت تنهرنى بالأمس وأنا بين شيوخ طرابلس والله لأسلمنك إلى أعداء أعداءك فقال أبو محمد كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (يا سادة) ثم سد فمه وغمض عينيه وفعل بغلمانه كذلك ثم دخلوا إلى الصناديق فحملوها إلى مركب مانع وأمر الرجال أن يحملوا أبو محمد وغلمانه إلى المركب وهم لايعلمون مافى الصناديق ورفعوا الشراع وأقلعوا ولججوا فى البحر هذا وأهل البلد ماعندهم مما فعل مانع خبر بل يظنون أن الملاقطة قد أقلعوا الى بلادهم والمركب الآخر قد علموا انه لمانع بن ضابط وله فيه غلمان يسافرون الى البلاد (يا سادة) وكان مانع من خبثه قد أغلق باب الدار الذى أخذ منها أبو محمد حتى لايطلع أحدا على أبا محمد ولما أصبح الناس جاؤا الى السلام عليه كما جرت به العبادة والأمير جوال فى أوائلهم فوجدوا باب الدار مغلوق والمنازل خالية فعادوا وقالوا قدأضجروه الناس مما يدخلون اليه وربما يكون له اليوم شغل وقد خلا بنفسه (يا سادة) وان الأمير جوال كان عنده خبر عقبة لان الامير أبو محمد كان أعلمه به فقال فى نفسه لاشك أنه يريد أن يعاقبه ثم أنه أقام الى الليل فوجد الباب على حالته فبات وأصبح والباب على حاله ثلاثة أيام فأنكر ذلك وأمر بعض غلمانه فصعدوا من دار آخر ونزلوا من أعلا الدار وفتحوا الباب فما وجدوا فيها خبر فقال جوال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فما هو الا أن أبا محمد قدخشى أن أعوقه على المسير وقد أقلع فى مركب مانع الى ديار مصر ثم أرسل إلى ديار مانع يكشف الخبر فما وجد فيها أحد بل أخبره بعض جيرانه أن مانع قد دخل إلى ديار مصر فعظم عليه وكبر يديه وقال ماصعد أبو محمد الى مصر إلا معهم وربما أن يكون قد سمع أن عبد الوهاب قد أنفذ اليه يترضاه فطلب العجلة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مانع فانه أقلع فى البحر ذلك اليوم وتلك الليلة (يا سادة) فلما أمنوا على نفوسهم قال مانع قد اشتهيت أن أرى مافى

هذه الصناديق ثم انه وثب الى الصندوق الذى فيه عقبة ليفتحه وكان عقبة قد أحسن من نفسه انه فى البحر وظن أن أبو محمد قد أخذه وأقلع يريد ديار مصر الى بلاد المغرب فسمع كلام رجل لايعرفه فقال لعل أبو محمد قد استأجر ملاحين (قال الراوى) واشتد بعقبة الفزع والجزع فلما أحس بالصندوق بتحرك من داخله فقال أن كنت تريد أن نسلم معك الى موضع تحملنا اليه فاطمعنا ما يسد رمقنا فلما سمع الكلام من داخل الصندوق قام شعر رأسه وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ايش أنت فما عاد عقبه الكلام (قال) فداروا من حول الصندوق الرجال وجردوا النصال وأتوا إلى الصندوق فكسروه واذا بعقبة جالس وركبتيه فى صدره وهو فى حال منحوس فرفعوه من الصندوق ومدعينه الصحيحة فوجد أبو محمد البطال مكتوف ملقى على وجهه وكذلك لؤلؤ وصندل ومذبحون والبطارقة من الملاعطة يتضاحكون فكاد قلبه أن يطير من الفرح وكلم الملاعطة بلسانهم وقال لهم من أنتم الذى منَّ الله علىَّ بكم قالوا فأنت من تكون قال أنا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة بن مصعب وكان هذا الكلب المحتال الأمير أبو محمد البطال قد احتال علىَّ وأخذنى كما رأيتم فلما رأوه وعرفوه فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا لمانع ابشر ياشيخ فهذا تنال به عند الملك كلما تريد ثم أحلوا كتافه وفكوا قيده فقال أخرجوا من فى تلك الصناديق وانتحوا الثلاثة الاخرى واخرجوا غلام عقبة ومطرون وشومدرس ونزلت على الملاعطة فرحة ما فرحوا قط بمثلها فلما فكوا قيودهم أكلوا شيئا من الطعام وسقوهم المدام فقويت أنفسهم وقال عقبة قد سقيتمونى الخمر وأريد أنتقل فقالوا بماذا فقال دعونى حتى أضرب البطال مائة سوط حتى أشفى بها غليل صدرى فقالوا دونك وما تريد فعندها مد الملعون أبى محمد البطال ومن معه وضرب كل واحد إلى أن غشى عليه وكلم الملاعطة بلسانهم وقال من كان السبب فى خلاصى فأعادوا عليه حديث مانع بن ضابط فقال هذا ما فعله لأجلى ولا لاجلكم ولكن هذا بينه وبين جوال معانده وقد هرب خوفا على ماله وكلما يملكه الساعة فى هذه المركب الآخر وهو يزيد على مائة ألف دينار وقد ساقها المسيح إلىَّ رزقا وسوف أهبكم منها شيئا وأوصى الملك بكم يراعيكم ولكن اقتلوا هذا المسلم مانع وغلمانه حتى نصل بأبو محمد البطال الى الملك ويكون الحمد لنا ولا يكون الشكر لغيرنا ولا يقول هذا أنا الذى خلصته وأخذت أبو محمد البطال فيقولوا له صدقت فيما قلته وكان مانع كما قيل

٭ وساع سعا فى حتفه وهو لا يدرى ٭

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من أعان ظالما سلطه الله عليه (يا سادة يا كرام)

وان الملافطه لما سمعوا كلام عقبة وأنه يريد ان يقتل مانع فنى الحال قاموا اليه وهموا بقتله فقال ياقوم لأى سبب تقتلونى فقالوا لاننا كلنا نصارى وأنت مسلم فقال هو يرى من دين الاسلام داخل فى دين النصرانية ومارحلت من بلدى ولى فى الاسلام نية ففرح عقبة بذلك وقال له ياشيخ سلمت وسلم مالك وأولادك من القتل ونساءك وغلمانك وعلى ان أعوضك من الملك لأجل تركك قول لا إله الا الله محمدا رسول الله بكلما تحب وأنت اليوم أعز الناس عندى وساروا إلى أن دخلوا بلد الروم ووصلوا الى القسطنطونية وبلغ الخبر الى الملك فأنزلهم فى قصرهم فى قصره وأنزل أبو محمد الى عند الامير عبد الوهاب (وان الاميرة) لما دخلت الى مارس وأعاد عليها هذا الحديث عظم عليها وكبر لديها وقالت لاتقدر ان تدخل بنا الى القصر حتى أعمل على خلاصهم من القيود الثقال وسوء الحال ومع ذلك يادارس من وصل البطال إلى هذا المكان فقال جابه الشيطان وصندوق المحال والطغيان عقبة لعنه الله ومعه مطرون الذى كان أظهر لكم أنه مسلم خباثة منه وها هو فى القصر يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر ويعصى الرحمن ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم شومدرس فلما ان سمعت الاميرة ذلك بقيت حائرة وقالت له يامارس لايكون قد رأيت هذا فى المنام وأنت تحدثنى به فى اليقظة لان هذه الاضداد لاتجتمع وان اجتمعت لاتكون إلا فى سنة ردية وأما شومدرس فهو بالسويدية مأسور مقهور وتحت الأرض مطمور فكيف قدروا على الوصول اليه وتسببوا فى خلاصه وكيف اغتنموا الفرصة فى مناصه وهذا مطرون لعنه الله كان فى بغداد عنه الخليفة رئيس على الأطباء وهو لايفارقه ساعة واحدة فايش الذى حمله إلى شومدرس وأبو محمد جاء فى كتابه أنه فى أخلاط فما الذى جمعه مع هؤلاء فى سفينة واحدة وهذه قصة منكرة وأنا فيها متحيرة وما يصدق قلبى هذا ولا يشك فى قولك والقصة ربما أن يكون قد تخيل لك أن أبو محمد قد وصل إلى بلاد الملاغطة حتى أخذوه فقال لها مارس ومتى رأيتى من قولى محال حتى يكون الساعة والله ماقلت لكى إلا بالحق والبارحة كان القتال على البلد ودخل الملك قصره لاجل عقبة وقدومه عليه وعانقه وفرح به وتحدث معه وسر به سروراً عظيما وكذلك بالراهب شومدرس وأصلح عقبة بين الراهب مطرون وبين الملك أرمانوس وقال هذا يكون لنا معين فى بلاد الإسلام لانه أوفى منى اهتمام وقد صار عند الخليفة بمكان عظيم وهو المقدم على سائر الحكماء ومع ذلك فان الخليفة لايشرب الماء إلا برأيه وهو إذا ضاقت به الحيل يسقى الخليفة شربة يكون فيها هلاكه وتشوش البلاد لاجل ذلك وتخرج أنت فى عسكر النصرانيه وتكون البلاد قد تشوشت فتملك الارض وإنما أخرت ذلك حتى تقتل ذات

الهمة وعبد الوهاب وتخلص منهم فقال الملك ارمانوس وكيف يقتلهم الخليفة وهم سيوفه على الشدائد وحصونه على الاوابد فقال عقبة هذا الراهب قد ذكر لى أنه يوقع بينهم وبين الخليفة ولا يخليه حتى يضرب رقابهم فقال الملك أما عبد الوهاب فقد كفاكم المسيح مؤنته وهو عندى أسير ذليل حقير وأما ذات الهمة فقد وقعت هى وبنى كلاب بأسرهم فى أضيق الاشراك وقد أحدق بهم من العالمَ مالا عين رأت ولا أذن سمعت وما بقى لهم إلى الخلاص سبيل (ياسادة) فلما سمع عقبة ذلك من كلام الملك ارمانوس باس الأرض شكرا للمسيح وقال اخبرنى عن هرمس المجوسى وأخوات عبد العزيز ماكان منهم فقال الملك خلصتهم ذات الهمة ولكن قد قتل ألف فارس من بنى كلاب وقتل من الروم خلق كثير فقال عقبة والساعة هرمس معها مأسور فقال نعم وان ذات الهمة حلفت أن لاتبرح من على القسطنطونية ولا ترجع إلى بلاد الإسلام حتى تسود وجهه وتصلبه على باب الذهب فضحك عقبة وقال ما هذا الهذيان الذى مايهدد الناس إلا بالصلب وما يقدرون يصلبون الكلب ولعل المسيح ما أوصلنى إلى هذا المكان وجابنى فى هذا الاوان الا حتى أصلبهم قبل خروجى من القسطنطونية على باب الذهب وأسقهم بالكاس الذى أرادوا أن يسقونى به (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام مارس قالت والله أن هذا العجب أليس عقبة فى قصر الملك قال نعم وكذلك أبو محمد لاسبيل لكم اليهما الا أن يكون بالليل لأن الملك الليلة فى نفسه ان يدخل الى القصر ويأكل ويشرب مع عقبة والراهب شومدرس ومطرون ويخلع على المتنصر الجديد قالت الأميرة ومن يكون ذلك قال رجل من طرابلس يقال له مانع بن ضابط (قال) وسمعت عقبة يقول للملك هذا كان سبب خلاصنا وأخذ أبو محمد وغلمانه وقد وعده الملك بكل جميل وأعطاه فى القسطنطونية دارا من دور البطارقة الخاص وفى هذه الليلة يطعوه لحم الخنزير ويسقوه الخمر العصير ويخلعوا عليه فلما سمعت الأميرة ذلك علمت أن مانع بن ضابط هو خصم جوال ولاح لها وجه القصة وقالت ماأبو محمد البطال الا قد أخذ الثلاثة من مواضعهم ورحل الى طرابلس ليشتفى منهم فتم عليه هذا الأمر وهذا جزاء كل من يستعجل فى الأمر وطلب ان يأكل وحده ثم قالت الأميرة لمارس يا أخى فأنا وأصحابى نكون فى دارك هذه الليلة لأن عساكر العراق وصلت والروم قد سارت اليهم يرومون قتالهم وأصحابى فقد قتل منهم خلق كثير وقد علموا أنى مادخلت الى القسطنطونية الا لأمر قدره الله وأراده لابد من اتمامه ولعل الله تعالى قد فعل هذا السبب فى مقابلة فعل عقبة ومجيئه يشاهد صلب هرمس على

باب الذهب ليستقر عنده حالته وان أعانني الدهر والمقادير وصاحب التدبير ومن هو على كل شيء قدير ووقع في يدي أضفته اليه وأصلبهما جميعا وتكون قد جاءت رمية من غير رامي وأرجو من الله تعالى التمام بالإحسان ودع يجري مايجري وأن نكلم المعتصم في ذلك بحرف واحد طلبت الحجاز أو دخلت إلى بلاد الروم وفتحت بعض الأقاليم بسيفي وتدبيري وأقمت فيه (ياسادة) فقال مارس وهو يضحك اخلصوا قبل كل شيء من هذا البلاء الذي قد أحاط بكم فقالت يابطريق البطارقة أن قلبي يحدثني بهذا وما وعدني ربي إلا بالخير (قال الراوي) وأقامت الأميرة ذات الهمة وأصحابها ينتظرون الليل ودخول الملك أرمانوس إلى قصره وحضور عقبة إلى عنده ولعله يقع في أيديهم أو يخرج أبو محمد وعبد الوهاب برأي عقبة حتى يضربوهم ونحن نكون من جملة البطارقة حتى نشاهد ذلك ونعرف مواضعهم فلعل الله تعالى أن يسهل خلاصهم على أيدينا (ياسادة) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد العزيز العلوي فانه لما أصبح وركبت الروم واصطفت صفوفها وحملت ألوفها وقاتلوا في ذلك اليوم قتالا شديدا (قال الراوي) والحرب سجال يوم لك ويوم عليك فقاتل الأمير عبد العزيز في ذلك اليوم قتالا ما شوهد من عبد الوهاب ولا تقدر عليه ذات الهمة ولا بطل من الأبطال لأنه رأى نفسه وقد تقدم على عساكر المسلمين وأخذته الحمية في الدين وجاهد في الكافرين في طاعة رب العالمين ونظرت بنو كلاب إلى فعاله وتشبهوا به وقاتلوا مثل قتاله (قال الراوي) ولله در الأمير عوف فلقد قاتل حتى تخضبت شيبته بالدماء مما يقطر عليها من ذباب السيف من الأعداء وأما عابس فانه اشتفى ما بفؤاده من الغليل وأرضى الملك الجليل وفعل فعلا غير قليل وقاتلن أخوات عبد العزيز أيضا مع أخيهن قتالا هتكت منه الرجال وقصرت عن مثله الأبطال والتصقت اليهن المملكة افتونا وجعلت تنكس الرجال وتلعب بمهج الابطال ونظر الامير عبد العزيز إلى فعالها فأحبها لاجل مارأى فيها من الشجاعة والقوة والبراعة والشهامة والنصيحة في الدين وكان قتالها كله لأجل هواها ومحبتها له وكلما نظرت اليه تحمل على الكفار والفجار وتحطمهم بالصارم البتار تطلب بذلك القرب وهكذا شرط المحبة أن تعادي من عادى محبوبك وأن توالي من والاه (قال الراوي) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى وقت العصر وقد هبت على المسلمين رياح النصر وانفصلوا عن القتال وعادت عنهم أهل الشرك والضلال وتمايلت الاقيال من التعب والكلال وفرحت على سروجها الابطال وتبسمت طربا بالرنين السيوف الصقال وقد ملت من القتال وطلبت الراحة

من التعب والكلال وخلو البال (ياسادة) وأما ميمونة لعنها الله فانها سارت على ما تقدم ذكره والتمت بعساكر المعتصم الذى أنفذها لنصرة الامير وكان قد قدم بعض الامراء الاشراف وضرب اليه العرب والاكراد والعجم والترك والديلم وكان مقدم الديلم فارس قدم على الخليفة فى ذلك الأوان يقال له كوشان بن هامان ولم يكن له مثل فى الديلم قط لأنه كان قويا شديدا مصارعا ملاكما يقاتل بالرمح والسيف والناجح والحدافات والخشوت والسهام وكان قد ضمن للخليفة لقاء كل بطل فى الأرض أنه يبارزه ويأخذه أسيرا ويجندله حقير فخلع عليه المعتصم وسيره فى جملة العساكر وكان قد قدم عن الاكراد بطلا منهم يقال له موسى بن صالح وكان حدثا إلا أنه أطغى على الاكراد على صغر سنه وله حديث عجيب وذلك أن الامارة كانت فى أبيه فجاءت بينه وبين واحد من الاكراد يقال له شاذبخت حروب فقتله شاذبخت وملك موضعه (قال الراوى) وكان موسى هذا صغير فعاش يتيم وكان فى ضر عظيم إلى أن صار له عشرين سنة فنشأ نشئاً طيبا وعافر الأبطال ومارس الرجال إلى أن صار يقتنص الاسد فى الدحال والبرارى والجبال ويهجم الغابات ويفتخر بفعله على السادات فقال له بعض أقاربه فى بعض الايام ياموسى دع عنك صيد هذه السباع فانها كلاب جياع وخذ بثارك من قاتل أبيك واكشف عارك وخذ مكان والدك (ياسادة) وكان قال فمن هو قاتل أبى فقال شاذبخت الملك هو الذى قتل أباك صالح وأخذ مكانه لأن أباك كان مقدم على سائر الاكراد فقتله وصار ملكهم عوضا عن أبيك فقال إذا كان الامر على ما ذكرت فأنا قاتله غدا عن قريب غير بعيد فقال له ان أردت أن تعزم على ذلك فليكن على وجه الغفلة منه وإلا ألحقك بأبيك فقال والله لا كان ذلك أبدا ولا كان قتله مستيقظا يدافع عن نفسه ثم أن موسى قصده وهو مشتملا بسيفه وكان جالس بين الاكراد وهم من حوله والشرور يقدح من عينيه فسلم على الجماعة وقال له ياشاذبخت فقال له ما تريد وقد غضب حين سماه باسمه من تكبيره وتجبره وكيف لم يسميه بالامارة فقال له ياولد الزنا ما الذى تريد فقال له أريد أقطع قذالك وأرمل عيالك وآخذ تارى بيدى لأنك قتلت والدى وتحسب أنه يمرحان بلا خراب روق وخذ حذرك فانى قاتلك (ياسادة) فلما سمع شاذبخت ذلك من كلامه قامت عيناه فى أم رأسه وامتشق حسامه وقام اليه مثل البعير الهايج وقد جرد الامير موسى سيفه وحمل على خصمه وحمل خصمه عليه وتطاولا وتطاعنا وتضاربا على الجحف ضربا يؤدى الى التلف (قال الراوى) وكان موسى مدافعا نحريرا فجعل يبطل ضرباته ويخمد صولاته ويصغر سطواته الى أن أتعبه وأوراه أنه يريد أن يضربه فوقانى فاستتر شاذبخت بجحفته فحط يده أسرع من البرق

وضرب قوائمه من أسفل ركبتيه فقطع ساقيه ووقع الى الارض قتيلا جديلا (قال الراوى) فرقصت الاكراد طربا وخاطبوه بالامارة وقالوا خلصتنا من جوره وتجبره ونحن أيها الأمير كلنا صنعات وصنعا لابيك فاستولى مكانه (ياسادة) فلما سير السلطان العساكرالى بلاد الروم اجتمعت الفرسان والاكراد الى الامير موسى وقالوا الصواب أن تنزل الى خدمة الخليفة وتذكر اسمك عنده وتبين قدامه ماتقدر عليه من الخدمة فان الملوك ماتتقدم الا بالخدمة فاذا رأى فعالك وقوة عزيمتك وشريف همتك وانك تصلح للامارة قدمك على جميع الاكراد وخلع عليك وشرفك وتكون امارتك بأصل من عنده لان اليوم لو أعطيت بلادك أو أحد منهم ماتريد انك تكون مقدما علينا ونحن قدمناك علينا ونحن نصرفاك عنا فقال والله العظيم لقد صدقتم فيما قلتم ثم تجرد فى خمسة آلاف من الأبطال الأكراد الأنجاد والرجال الأجواد وقدم على المعتصم فى بغداد فخلع عليه وشرفه بعد أن عرفه ونظر الى فروسيته وشجاعته فقلده الامارة وأنفذ معه من غلمان الدار الأتراك جماعة وسار الأمير موسى بجد الى أن وصل الى ملطية ولحق بعساكر العراق وصار معهم (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة وانما ذكرنا بدومنشاه وقصته وذكرنا أباه حتى يعرفه من قرأت عليه هذه السيرة العجيبة من الخلفاء وان هذه السيرة رواية نجد بن هشام ومحمد بن الشيخ صالح الهمدانى وعبد اللطيف العلوى ونجم بن الرفاعى وشهاب الدين الطرابلسى ومحمد بن أبى أيوب والقاضى علم الدين ويوشع وحسن الدمشقى وحازم بن الناظر وكمال الدين المقيعى وتمام أربعين راوى الكل مشايخ علم وفضل يحلفان لأمير المؤمنين الواثق انهم رأوا بصحة ماعاينوا وأحكموا لنجد بن هشام رضى الله عنهم وعنه وجعلنا ذلك ليدخل فى مسامع الظرفاء ممن يميل الى أحاديث القدماء الذين سبقوا وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده وليس كل طبع يميل الى استماع الأحاديث ولا يفهم الحديث لانها أرواح عميت بصائرها وبردت الحراره المتوقدة فى القلب فلا يفهم صاحبها مايقال ولا يسأل عماجرى فى الزمان ومنها طباع بخلاف ماذكرنا تشتاق إلى سماع ماجرى فى الآفاق من سير المتقدمين وأخبار الأولين وتجد النفس به الراحة كأنها قد عاشت فى ذلك الزمان وعاينت من أهله بالسماع ماقد كان وان الذى حملنى على جمع هذه السيرة وتصنيف أخبار الأميرة وماجرى من أخبار المجاهدين الذين ذكرهم باقى الى يوم الدين وذلك لأجل جهادهم فى الكفار وطاعتهم للملك الجبار ونصرتهم لشرع محمد المختار شيئان (أحدهما) انى أردت أن أعلم الناس مكارم الاخلاق لان فيها كل حكاية صحيحة وأعجوبة مليحة وحسن صبر الامير عبد الوهاب وثبات أمه ذات الهمة وخبرتها بالامور وصبرها على أذى عقبة الكفور حتى تنفذ فيه

القدرة وماجرى للامير أبو محمد البطال فى مرضاة الرب المتعال ويكون ذلك للأمراء والوزراء والملوك والخواص من الناس ومن يكون من العوام له همة الايمان فلما كلفنى ذلك لم أجد بدا منه فدخلت بعض السنين إلى القسطنطونية وأخذت كتب اليونان وجميع كتب المتقدمين من قديم الزمان وكيف تفرعت أصناف الروم من العيص ويهود أولاد يعقوب وغيرهم الى زمان بناء ملطية فى دولة أمية وما جرى فيها من العجائب مما لو كلفت الطيور إلى سماعه لوقفت تسمعه فلازمت ذلك ثلاثة أعوام حتى كمل هذا الكتاب وهو كتاب راحة القلوب الى أن وصل الحديث إلى بعض البعض وبكل عجيبة على وجه الارض وكملت الحديث للخزانة المجلية الهاشمية القرشيه العباسية الواثقية (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان وصول عسكر السلطان فى ثلثمائة ألف مع الأمير موسى بن صالح الكردى وملتقاه بابن هامان وكانت ميمونة فى أربعمائة ألف إنسان واختلطت الجيشان وتصادمت الفريقان وعمل الصارم اليمان ورفعت القراء أصواتها بالقرآن وطارت الرؤوس عن الابدان وحميت نار الحرب من العسكران واكتست الارض حلة كلون الارجوان ولم يزل الصارم يعمل والرجال تقتتل الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونشر الليل أجنحة غربانه ومطارق عرفانه وخمد مرجل الحرب من غليانه ورجع كل بطل الى مكانه وبان كل واحد من الفريقين ماسك بشكيمة حصانه خائف من كبسة عدوه فى ظلام الليل وعدوانه الى أن ظهر الصباح وركبوا الجرد القداح واصطفت الصفوف واعتدلت المئاة والألوف هنالك خرج كوشان بن ماهان الديلمى فارس الموحدين حتى يظهر للناس شجاعته وكان على جواد أحمر مليح المنظر حسن المخبر بكفل مدور ومعه صارم أبتر رقيق الشفرتين أخضر وقد هدر بالديلمية وزمجر وضجب وغضب وهمر وطلب البراز وسأل الانجاز (قال الراوى) فخرج اليه قيل من الاقيال وعمليق من العمالقة الاقيال وحمل بعضها على بعض ولم يمكث بينهما القتال أكثر من ساعة حتى أعدم الديلمى نفسه وأضاعه فخرج اليه ثانى فتركه مرمى على ذراعه وثالث قص منه أضلاعه ولم يزل كذلك إلى أن قتل من الروم قبل الظهر تسعة عشر فارس وكان العشرين فارس شجاع فبرز منهم فارس كمى وحمل على الديلمى وهو فى أكمل هيبة وقد لبس فوق الدرع ثوب أطلس أخضر كانه نبات الزهر اذا أزهر والدر على أكمامه ينور وفى وسطه منطقة جوهر وهى مركبة على ديباج حرير أحمر وهو كالعروس ينجلى على كل من حضر وحمل على مواكب المسلمين حتى يورى الديلمى قوته ثم أنه طعن واحد من المسلمين فى صدره أطلع السنان من ظهره فخرج اليه فارس آخر ثم حمل على الديلمى

وتصادما مصادمة الجبال وتقاتلا قتال الابطال هرهما وهمهمة الأسد الديال وتقصفت منهما الرماح وتثلمت الصفاح والنصال واعتمدا على ضرب العمد وقد اشتدت الأهوال وكان هذا شغل الديلمى لأن من عادته المعالجة والصراع فضربه بالعامود على هامته أدخل رقبته الى نصف قامته فوقع إلى الأرض فأخذ سلبه وجواده وطلب البراز فخرج اليه أربعة فى مرة واحدة فلم يكثر بهم والتقطهم لقط الحمام لحب الآكام (قال الراوى) يا سادة يا كرام فخرجت اليه الملعونه الميمونة فعرفوها عساكر العراق فصاحوا به ارجع الى وراءك فلم يرى على نفسه أن يرجع وقال لهم أنا ما أحسن أفارق أحدا من القتال الابالإنفصال أما أن يقتلنى واما أن يقتلنى وأما أن أقتله وسوف أسقيها ضربة بهذا العامود أنسيها دين النصرانية ودين اليهود (قال) وكان قد سمع حديثها وماهى عليه من الشجاعة فحمل عليها والتحما بعضهما ببعض وفتحا فى الأرض ميــدانا وأجادا ضربا وطعانا وتقابا وتضاربا حتى بطلت السيوف وأختطف العمد وكانت ميمونا ما خرجت اليه الا بعد أن أخذت أهبتها وعرفت أنه ديلمى شديد فأخذت معها عامود حديد وزنه عشرون منا لوضربت به جمل قتلته أو فيل أهلكته ومن حنقها على بعضهما بعض رميا الاتراس وتقامضا بالأطواق ورفعا أيديهما بالعمودين وكل واحد منهما قدشاهد الموت على رأسه بالعين وصاح الديلمى أنا ا ن ماهان وصاحت ميمونة أنا أبنة الدمدمان وتضاربا بالعامودان فكان أول من سبق بالضربة كان الرجل الديلمى فوقعت ضربته على البيضة التى على رأس ميمونة فخسفها وهشم رأسها هشمة ظاهرة أشرفت منها على الهلاك والعطب وكانت كالجبل العظيم ضربته وعاجلته بضربة هشمت فكه ورمت أضراسه ووقع الى الأرض وقد هدت أساسه ومسكت أيضا ميمونة نفسها على الجواد ساعة الى أن وجدت الراحة وخلعت البيضه عن رأسها فوجدت الموضع قد أدمى فمسحته ومن حلاوة الظفر طلبت البراز فخرج اليها الأمير موسى بن صالح الكردى وكانت الملعونة قد غيرت لباسها وعدتها وتطاعنا طعنا شديدا فضربها الأمير موسى برمحه فانقطع وهجم عليها وضربها بالسيف بعد ما بطل عليها مضاربها فوقع على الترس الذى كان فى كفها فقطعه نصفين وهجم عليها وطمع فيها ونظرت ميمونة الى فارس ما شاهدت مثله وقد أبصرت اشتغاله وتوقده وحدته فعنت فعلمت أنها هالكة وأرادت أن تخدعه وقالت له ويلك اما كان فيك كفاية حتى تستعين بغيرك فقال لها يا كلبة الكفرة اخدعى غيرى فما أنا انخدع للتى تعودت اللصوصية وأنا كردى وعرفت الحيل والمكر من حين كنت فى المهد لأننى عشت يتيما وما كنت آكل الا أموال الناس وأتحايل عليهم وكل من غفل عن شىء

سرقته فادفعى عن نفسكى بغير هذا (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة هذا الكلام ايقنت بالحمام ولم يكن لها ملتجأ الا أنها صاحت بجوادها وقالت له ويلك يا ميمون لهذا اليوم قد خبيتك وكان سابقا من الخيل ثم همزته فخرج سابقا من تحتها مثل البرق (قال) ورأى موسى الكردى ذلك فصاح بجواده وقال له ويلك هل لك أن تخطبو بى خطوات خفيفات فى طاعة الله تعالى ثم تبعها فلم يلحق منها الا الغبار وحملوا المسلمين لحملته فكسروا العساكر الاربعمائة ألف وولوا منهزمين والسيف يعمل فى أقفيتهم باقى النهار الى أن أدركوا عساكر الاميرة وهم فى القتال الشديد وكانوا الروم قد أحدقوا بهم من كل جانب وضيقوا عليهم المذاهب فهنالك أكبوا رؤوسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا ونادوا الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر فلما سمعوا المسلمين التكبير من ورائهم كبرت شوكتهم وزاد نشاطهم ورجعت قوتهم وكبروا وحملوا هذا ميمونة والمنهزمين من الروم قد وصلوا الى العلم الاخضر والصليب الجوهر الذى للملك أرمانوس وعمل القتال الى الليل وانفصل (قال الراوى) وكان الامير عبد العزيز هو المقدم عن بنى كلاب والأمير عمر وعلى بنى سليم وأما الاميرة فهى فى القسطنطونية ما أنتجز لها أمر لأن أرمانوس طمع فى المسلمين وأقام يقاتلهم ليلا ونهارا ولم يدخل أرمانوس الى البلد وكان هذا برأى عقبة لعنه الله لأنه قال للملك هؤلاء المسلمين مالهم زاد ولا علف ولا نقدر عليهم الا بالتعب ولا نملكهم الا بالنصب فاياك والراحة فادا هلكون هؤلاء فما تقوم بعدها للمسلمين قائمة فقبل الملعون الكلام وواظبهم بالقتال وصبر الأمير عبد العزيز ومن معه من بنى كلاب وبنى سليم والسودان وغيرهم من بنى عبس وصبروا صبر الكرام وقتل منهم خلق كثير وقتل من الروم أضعاف ذلك وأشرفوا المسلمين على العطب من الجزع والتعب ووقعت الخيل من تحتهم وأيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك وصاح عبد العزيز أيضا ياقوم ترجلوا عن الخيل فما بقى لها قوة تمشى وابذلوا النفوس فى طاعة الملك القدوس فانها هى ساعة وتصلوا الى جنة الخلد ثم أنهم عولوا أن يترجلوا فى تلك الساعة واذا بميمونة قد وصلت مكسورة وعساكر الاسلام من خلفها مؤيدة منصورة وأعلام الخليفة منشورة الى أن وصلوا اليهم وفرقوا عنهم الاعداء وسقوهم كؤوس الردا وأظلم الظلام وأعطوهم العلف والطعام مما وصل معهم من العراق وملطية ومما أخذوا من الضياع والقرى (قال الراوى) وكانت هذه نعمة من الله تعالى عليهم فرج بها وقويت النفوس وصهلت الخيل لما أنعمت من العلف بعدما أشرفت على التلف وسأل مقدم عسكر الخليفة عن

الاميرة ذات الهمة وأولاد ولدها فقالوا أسأل صاحبها الامير عبد العزيز العلوى فسأله عن ذلك فقال قد مضت الى أمر مهم ولا شك أنها تريد تتوصل الى قرب الملك أرمانوس وتقتله فى وقت الهياج فاذا قتلته ما يكون الروم بعدها مقام ويقصد كل ملك من ملوك النصارى الانهزام ويقصد الى بلاده خوفا من عدو يتغلب عليهم عند هلاك أرمانوس فقال مقدم عسكر العراق لله درها والله لايصلح لهذا الجمع العظيم الا هذا التدبير لاننا قد ضعفنا عن هذا العالم وكيف كان حالكم قبل ما نصل لكم فقال الأمير عبد العزيز العلوى لقد أوسقناهم طعنا وضربا وأشبعناهم حربا ولكن كان النقص باين فينا دونهم ولولم تصلوا الينا كنا هالكون (قال الراوى) فلما أن سمع عمرو وبنى سليم مقال عبد العزيز عن الاميرة ذات الهمة ما أعجبهم لأنهم كانوا يريدون أن يكون الذكر الا لهم فى الجهاد (قال) لأنهم كانوا يتحاسدون على فعل الخير وما الغنائم فما كان قلوبهم أخف منها وأن عقبة هو الذى كان يلعب بعقولهم وكانوا يعرفون ظاهره ولا يعرفون باطنه (قال) هذا وقد وصلت ميمونة الى الملك وأعادت عليه ما جرى وتحدثت الروم والملك بما صنعت بالديلمى فقال لها أرمانوس قتل ذلك الشيطان أحب الى من فتح ملطية فجزاكى المسيح عنى خيرا وشكرك على فعلكى فلقد فعلتى فى هذا الدين كل فعل مليح فلا يكون على قلبك هم من هذه العساكر فقد دنا هلاكها وقد وصلنى الخبر بأن أهل بلد أفرنجه كلهم معولين على المسير الينا خدمة لنا وطلبا للغزو وهم ستمائة ألف يريدون العرب كلها ولكى البشارة أيضا فقالت بمن قال بأبى محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وآخر يقال له صند وقد أغديتهم بعبد الوهاب فى المطمورة وهم فى أقبح حالة وأسمج صورة وان الشيخ النجيح قدم الينا زائرا ومعه العالم الزاهد شومدرس بركة المسيح الذى قد طالت علينا غيبته ومعهم جمال المجالس وزين الرهبان والقساقس الراهب مطرون وهو معتذ مما كان منه مقر بدين الصلبان (قال) فلما سمعت ميمونة ذلك سلاما كان بها من الغم وفرحت وانقشع عنها الهم وقالت له أيش قعادك هاهنا أدخل بنا حتى نجتمع بالراهب شومدرس والشيخ النجيح ويذهب عنى هذا الهم الذى فى قلبى ونستريح ونعاقب البطال عقوبة نشتفى منه بها ونبصر كيف وقع فى أيديهم فقال الملك سمعا وطاعة وكان يحبها محبة عظيمة زائدة عن الصفة وأوفر عن الحد حتى انه هجر كل سراريه الروميات من أجلها وما هو الا أنه سمع حديثها حتى أدعى بالبترك وقال له يا أبونا حرض الناس على القتال فاننى أريد أن أدخل الى البلد وربما أقمت فيها الى غداة غد (قال) ودخل أرمانوس البلد ومعه ألف من المدبجة قابضين على قوائم سيوفهم وفى أوساطهم المناطق المرصعة باللؤلؤ

وعليهم أنواع الديباج كانهم زهر البستان فى زمن الربيع الى أن وصل الى القصر وجلس الملك على سرير ملكه وأخذفى نهيه وأمره وهوعلى سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج ونصب من حوله كراسى الذهب والفضة لخواص البطارقة ووقف الباقون قيام متكئين على قوائم سيوفهم (قال) ثم أن الملك أدعى بالشيخ النجيح وشومدرس ومطرون إلى بين يديه ومانع كذلك لأجل مافعل وادى بالدجاج والخنانيص والحلاوات والبوارد والحرارات وغير ذلك وقال لبعض البطارقة امضى وادع لنا الحاجب مارس ودارس فان لى يومين ما رأيتهما ولا شك انهما مما قاتلا قد جرحا فذهب البطريق إلى دارهما ودعاهما فقالا سمعا وطاعة وسألا عن الملك ومن عنده فأعاد عليهم البطريق الحديث وعرفهما من عند الملك فلما خلا مارس بالاميرة أعاد عليها جميع ذلك فقالت له ياأخى والله انى أحب أن أكون فى جملة الناس فهذه ليلة لله تعالى فيها رضاء عنى لعل الله أن ينصرنا على الأعداء وينفذ حكمه فيما قدره وقضاه (قال) فلما سمع مارس ذلك قال والله ماأخالفك فى أمر لعل الله تعالى أن يسهل خلاص الامير عبد الوهاب غير أن الذى عليكم ماهو زى البطارقة الخاص ثم أنه فتح خزانه وأخرج منها كل لبس مليح وقال لهم البسوا فلبسوا وشدوا المناطق فبقيوا كانهم بطارقة من ألف سنة إلا طماطم فانه كان بمناخير مشققة وعيون ملحقة وسواد ظاهر فقال له مارس اقعدها هنا ياطماطم وإلا فضحتنا فقال لا والله أنا أكون خلف أصحابى واقف مطاطى الرأس مطرق إلى الارض وهذا ليل ما يفطن بى أحد فقالت الاميرة ما نأسف عليه دعه يكون معنا (قال) وخرج مارس ودارس مع الرسول والاميرة وأصحابها من خلفهم وظن بواب القصر انهم مع مارس ودارس فلم يتعرض لهم الى أن صاروا مع جملة البطارقة وأن أرمانوس أكل وأكلوا معه البطارقة بأسرهم ثم أن عقبة رفع خنيص كبير ووضعه بين يدى مانع بن ضابط وقال له دونك هذا الخنيص أيها الشيخ المبارك الذى عليه الخير متدارك فقال له مانع وما هذا فقال له هذا اخنيص فجعل مانع يتحايده لأجل مافى قلبه من الاسلام وعقبه يلاحظه فقال له مالى أراك لا تأكل منه فقال يامولاى انى أخاف أن تقوم روحى منه واذا صار لى به أنس كان ذلك (قال الراوى) ثم رفعوا الطعام وقدموا الخمر بين أيديهم ودارت عليهم الكاسات فناول عقبه لمانع كاس وقال له خذ مايعينك على سنك ويزيد فى حيلك وذهنك فأخذه مانع وصار فى كفه ثم أنه بكا فقال له عقبة ما يبكيك أيها الشيخ وأنت فى حماية الملك وكذلك أولادك وزوجتك وجميع من فى دارك وما بقى لك أحد فى طرابلس فقال ياشيخ مابى هذا الذى تقول غير أنى والله أحفظ القرآن وأوحد الرحمن

وأكون فى آخر عمرى الى بالبعد والصد والهجران لان الذى جرى على كان فى طلب الدنيا وما علمت أن الحال يؤول إلى الانتقال عن الاديان وأنا استحى من مائة وأربعة عشر سورة وممن انزلها عليه إلا له الرحمن أن أحفظها وداخل عليها الحرام والاشراك بالملك العلام وأنا ماأفعل هذا ولو بليت أيضا بالهلاك والانتقام ولقد ندمت على ما كان منى ثم تذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال من بدل دينه فاقتلوه فهل لكم أن تأخذوا جميع مالى وهى مائتين الف دينار والله انى ما كنت اخرج عليها زكاة أبدا من بخلى على المال والآن طاب قلبى أن تأخذوها منى وتتركونى على اخراج إلى بلاد الاسلام أنوح على ما كان منى ولقد رأيت البارحة سيدنا محمد عليه من الله افضل الصلاة والسلام وهو يقول لى ياشيخ كيف يكون مالك إذا وقفت الخلائق بين يدى الملك الخالق وقال لعيسى بن مريم عليه السلام أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله تكون مع النصارى مع هذا التوبيخ أو من المسلمين المستغفرين من أمتى فقلت وهل بقى لى توبة قال نعم إذا رجعت أقالك من عثرتك (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام فقال له ياشيخ هاأنا احفظ القرآن مالم يحفظه أهل الأرض باختلاف وروايات وهو مع ذلك يشرب الخمر العصير ويأكل من لحم الخنزير وحق المسيح إذا لم تأكل الساعة من لحم الخنزير وتشرب الخمر العصير لاعذبنك العذاب الكثير فقال مانع وقد فاضت عيناه بالدموع ياشيخ اصنع مالهئت فوالله لا كفرت بالرحمن ونسيت قول خير الخلق ومجيئه إلىّ فى المنام وقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام من رآنى فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى فافعل مابدالك فقد طال ماحفظت مالى حتى ضاع دينى وأريد الساعة احفظ دينى وأضيع مالى فقال عقبة لا بد أن أعذبك أشد العذاب حتى أضاعف لك الثواب ثم قال الملعون اتونى بعبد الوهاب والبطال حتى اقتلهم جميع هذا والأميرة فاضت عيونها بالدموع من كلام مانع بن ضابط وقالت لأصحابها لولم يكن فى قلبه حلاوة الايمان لما كان بدا منه هذا وقد هان عليه ماله وأهله وولده وأنه مافعل هذه الفعال إلا وعلم أن الكفار مايبقوا عليه الاأن الله تعالى نظر اليه ويمن عليه بالخلاص من أيديهم وماأحسن حال من طرد عن باب الله ثم يعود اليه ويكون له واعظ من نفسه (قال) فهى فى الكلام وإذا بالبطارقة عادوا ومعهم الأمير عبد الوهاب (قال) وكان ملك الروم فى هذه النوبة ضيق عليه ولم يحسن اليه ولم يكن جرى قط عليه مثل ماجرى فى هذه النوبة وانهم كانوا عولوا على قتله ولما نزل اليه أبو محمد تعجب من حاله ونظر أيضا الى لؤلؤ وصندل فقال له ويحك ياأبا محمد من الذى مد شباكه اليك حتى أوقعك هاهنا فقال الذى حكم عليك بالأسر

فقال الأمير صدقت والله ولكن لكل شيء سبب وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فبقى الأمير متحير وقال والله لقد أطاقت علينا من شومدرس آفة عظيمة وشيطان مريد وأقاموا فى المطمورة الى أن أتوا البطارقة اليهم وأخرجوهم والى بين يدى عقبة أحضروهم وكانوا مكتفين (قال الراوى) فلما نظر اليهم شومدرس ضحك وقال مرحبا بهذه الوجوه الضوية فقال الأمير عبد الوهاب ياملعون والله انها الضوية رضية وأفعالها مرضية وطول عمرها فى نصرة دين الحنيفية والشريعة الاسلامية وهى صابرة على هذه البلية وحلول المنية لأنها طال ما أذلت رقاب النصرانية وقهرت أهل ملة المعمودية فضحك عقبة وقال ما هذا وقت عتاب ياعبد الوهاب وانما أحضرناكم للعتاب والعذاب لا للمحاورة والخطاب اجلس الساعة حتى يطيب قلبي بالشرب وحق المسيح ان طاب قلبي لأضربنكم حتى يرثى لكم العدو والحسود ولا تطيقون قياما ولا قعود ولأعذبنكم عذاب اليهود هذا ان طاب قلبي فقال له أبو محمد الله لايطيب لك قلب ولا يستر عليك فما أنت الا أنجس من كلب فضحك عقبة حتى بدت أنيابه وسال لعابه وفرح بجوابه وهموا الأميرين بالجلوس فصاحت ميمونة وحق المسيح ان جلس أحدا منكم لأضربن رقبه أيكون الملك ارمانوس جالس وأنتم جلوس لا كان ذلك أبدا بل تكونوا قيام الى أن يطيب قلب الشيخ النجيح ويفعل بكم ما أراد فقال لها عقبة لله درك فما أعرفكى بكل الأشياء وما هذا الا ببركة الشيخ النجيح وما يهدى لكى من الدعاء وكان ذلك على الأمراء أمر من العقوبة ثم صاح مطرون بمانع بن ضابط وقال له ياشيخ السوء قم قائما إذا كنت رجعت عن دين الملك فما بقى الا قتلك وقتل أولادك وزوجتك وأخذ مالك وتقطيع قذالك فوثب مانع قائم وقال والله انى قائم أنتظر منكم العذاب أحب الى من العقوبة بينكم فيما يغضب رب الأرباب لأن عذاب الدنيا يزول وعذاب الآخرة لايفنى ولا يحول فزاد غضب عقبة عليه وقال سوف أبدأ بك فى العذاب حتى تتعوده فى الدنيا قبل الآخرة ثم أمر البطارقة فمدوه على ظهره والملك أرمانوس يضحك والبطارقة كذلك وقد عملت الخمرة فيهم وجعل عقبة يضربه وأبو محمد حائر فى هذه القصة وكلما ازداد فى ضربه يرفع رأسه الى السما ويقول يامولاى اجعله كفارة لما مضى واعصمنى وارحمنى فيما بقى وكلما رآه عقبة كذلك وسمع كلامه غضب عليه وزاد حنقه ولم يزل يضربه حتى غشى عليه وهو رجل ترف لم يتعود الضرب على كل حال فلما نظرت الأميرة ذات الهمة إلى ذلك قالت لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قالت لأولاد ولدها والله لا أقدر أصبر على هذا البلاء بأن رجلا من أمة محمد المصطفى يعذب وأنا قائمة ولا أدفع عنه وأريد أبذل روحى دونه

فأما أن أكشف عنه ماهو فيه أو أصير فى بلاه وأواسيه فى قضاه حتى يكون عذرى قد قام عند الله (قال الراوى) فلما سمع سيف الحنيفية ذلك من كلامها قال لها أيتها الأميرة هذا كلامك مثلك ونحن فى قبضة الأعداء على سبيل التلصص ولو فطنوا بنا ما وصل الى الأرض من دمانا قطرة لأنهم يصيحون صيحة واحدة وقد أتى الينا كل من فى القصر ولهذا الرجل أسوة بالأمير عبد الوهاب وها نحن نراه فى هذا القصر الذى هو فيه وكذلك الأمير أبو محمد البطال وولده وغلمانه وكذلك زوجة الفضل أم عبد العزيز وما نرى لها خبر وربما يكونوا قتلوها والا ماكانوا أخفوها ولعل الله تعالى يحمل عليها شدة العذاب اذا علم صدق النية والفؤاد الذى هو متعلق بالأنوار القدسية وهذا الرجل المسكين فى محبته لدين الله يعذب ولم يحل عن دينه ولو كان على الجمر يتقلى (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة كلامه علمت أن قوله حقا وكلامه صدقا فصبرت على القضاء وبعد ساعة أفاق مانع فقال له عقبة كيف أنت يامانع فقال بخير والحمد لله بهذا ولا تخطفنى الكلاليب من على متن الصراط الى نار جهنم لقوله تعالى خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (قال) فلما سمع ذلك ضربه حتى غشى عليه وعادوا الى أكلهم وشربهم الى أن أفاق فقال لااله الا الله ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن كل شىء بقضاء الله وقدره ثم التفت الى أبى محمد وقال يا أبا محمد هذا نقمتك على بكل ماجرى لى فى اعانة هذا الظالم الغاشم عليك ومع هذا فان الله تعالى يقول (إلا من تاب وآمن) سألتك بالله أن تجعلنى فى حل فقد قرب منى مابعد وبالله مابقى لى حياة (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد ذلك من كلامه قال لك ذلك ولكن اذا قام هذا الشيخ النجيح الذى لا أفلح ولا أنجح ليعاقبنى احتسبت الله عليك فلما سمع مانع ذلك غشى عليه فلما قال البطال ذلك قال له الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد هذا وقت المزاح وقد بلغت التراق الأرواح وهذا الرجل روحه فى السياق وقد أشرف على الفراق وهو يتضرع الى الله تعالى الملك الخلاق وأنت فى هزلك ماتبوح فضحك أبو محمد من قوله وقال لو كانوا الملاعطة ضربوك معى حتى كسروا ركبك ماكان هذا كلامك فضحك عبد الوهاب من وسط غيظه وضحك عقبه ولو قدر عبد الوهاب على ضرب أبو محمد فى ذلك الوقت لضربه وأخذه الغيظ الذى لحقه وأما الشيخ مانع فانه أفاق مرة ثالثة وقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له عقبة كيف ترى حالك حتى ترجع عما أنت فيه حتى ينعم عليك الملك فقال ياشيخ أما أنا فان الملك الحق قد أنعم على وأحسن الى وأنا له شاكر ولبلائه صابر وللفرج منه منتظر (قال الراوى) فلما سمع أرمانوس ذلك ظن أنه أعناه بهذا الكلام فقال لعقبه أيها الشيخ النجيح على كل حال ماكان سبب خلاصك

ونجاتك وخلاص الراهب العالم شومدرس والشيخ مطرون وظفرك بعدوك غير هذا الرجل وقد قيل فى الانجيل ان طاعة الولد لوالديه واجبة والاحسان الى من أحسن الى الانسان واجب وهذا قد أحسن اليك وكان سبب خلاصك فاعف عنه وأناوحق المسيح كرامة لك ما آخذ من ماله درهم واحد بل أدفع ماله اليه وأشيعه الى بلاد الاسلام فقال عقبة لاعفى عنى المسيح ان عفوت عنه لان فعله الذى فعله فى حق ما كان ذلك منه وإنما كان من عناية المسيح ولا بد ما أنتقم منه فقال الملك إذا لم يكن عمل معك جميل وان هذا من فعل المسيح وعنايته الا أنه ماأذنب اليك ولاأذاك حتى تعاقبه فقال بلى وحق المسيح لوضربنى على قلبى كان أهون من قوله لاإله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عدوى وأناعدو من يقول هذه الكلمة من بنى آدم وانى أخاف أن أموت وهذه الكلمة باقية فى الدنيا وكنت أريد من المسيح ان كانت هذه الكلمة تبقى من بعدى تطرح على عظامى النيران حتى اذاكانت رائحتى فى الشرق وشمها من فى الغرب من المسلمين تأذى بها حتى أكون سببا لأذيتهم فى الدنيا والعقبى فضحك أرمانوس وشومدرس ومطرون وقال ارمانوس ما أقواك فى دين النصرانية افعل مابدالك فما أعارضك لأنك أخبر منا فى الدين ومصالح أهل الانجيل (قال الراوى) ثم ضربه عقبة حتى غشى عليه ثم أفاق فقال ياأبو محمد اجعلنى فى حل فان الفرج قد قرب وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى مابقى عليك شدة أكثر من هذه الساعة وتصل الى جنة المأوى فاجعلنى فى حل ولك البشارة انكم عن قريب تخلصون ووصيتى اليكم أولادى وزوجتى اخرجوهم من ديار الكفرة إلى ديار البررة فقال له أبوه محمد وهو يبكى أنت فى حل دنيا وأخرى وكذلك قال لؤلؤ وصندل ومذبحون هذا كان بقضاء الله تعالى وقدره فقال والله لقد صدقتم ان كل شىء بقضاء الله وقدره وما رأيت قط سفره أبرك منها أعقبتنى الجنة ورأيت رسول الله صلى عليه وسلم مرتين فى المنام فانجز ياعقبة بضربى فهذه العقوبة بما فعلت فى حقك من الخير وفى حق أبو محمد البطال من الشر فعند ذلك شال عقبة العصاة وضربه ضربة خفيفة لطيفة وقال له سوف يبين محالك اذا عشت بعد هذه الضربة فقال مانع أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنه قضى نحبه ومن ساعته لحق بربه فحركه عقبة فوجده قد فارق الدنيا فظن ان ذلك حيلة منه وأخذ سكينا وضربه بها فلم يختلج فصلبت الروم على وجوهها فقال عقبة أنه علم أنه يموت فقال ماقال وكان معه سما فوضعه فى فمه فمات وتخلص من العقوبة ثم انه صاح بالرجال وقال لهم لفوه فى

ثيابه واحملوه الى شراريف القصر والقوة فى البحر حتى يلقى ربه فى بطون السمك يوم القيامة ثم أقبل على أبو محمد البطال وقال ان كنت تحب أن تحشر مثل مايحشر فأنا ألحقك به الساعة فقال له أبو محمد ويلك ياعقبة خلى للصلح موضع فانك كما تدين تدان وبالمكيال الذى لنا به تكتال به لك يكال فقال عقبة هيهات ان أرجع أقع فى أيديكم ولا بقى لكم خلاص أبدا فقال أبو محمد تكذب ولا بد ماتقع فى أيدينا اما أنت واما الملك فاغتاظ عقبة من كلامه وضربه الى أن غشى عليه وادعى بالأمير عبد الوهاب ففعل به كذلك وزاد بالأميرة الألم على ضرب ولدها فقالت والله انى أحس بالضرب على كبدى فياليته جسدى هذا وعبد الوهاب يضرب ولا يسمع له كلمة غير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم توكلت على الله واستعنت بالله ثم انقطع كلامه وخفت حسه وعقبة يضربه فهمت الأميرة أن تصيح وتهجم عليه وقد عدمت صبرها فقال له أرمانوس بسك ياعالم النصرانية فما يفوتك الضرب أما تنظر إلى المسلمين وهم محاصروننا وقد كسروا بالأمس ميمونه وكانت فى أربعمائة ألف فعادت فى نصف العسكر وقليل المسلمين كثير وكم من مرة من قبل هذا ملكناهم وقدرنا عليهم ثم ينصروا علينا ومنا عالم عظيم وإن أنت قتلت هذا الأسود وظفروا بنا لايبقوا على صغير ولا كبير وأول ما يبعوا بى أنا يقتلونى فدع هذا الرجل فانا أردنا قتله من قبل أن تصل الينا أمه ولكننا فكرنا فى عواقب الأمور فان كانت الكسرة لنا فما نقدر على شيء بل نسلمه اليك وان كانت علينا وهو سالم كان سبب سلامتنا وإلا تصلبنا أده صاب الكراع ثم قال للملك أتدرى كيف صلب الكراع فقال نعم تكون الرأس إلى أسفل والأرجل إلى فوق فضحك عقبة من قول الملك وقال لعمرى هذا رأى ومن لم يحسب العواقب ماالدهر له بصاحب وما كان مراد عقبة ألا يبلغ مراده ودع يجرى إلا أنه ماقدر على مخالفة الملك وأمر بهم إلى المطمورة التى كانوا فيها وكانت الأميرة من جملة الموكلين بهم وساقوهم إلى المطمورة فطرحت يدها على رقبة أبو محمد محمد البطال حتى يعرفوها ويعلم الأمير عبد الوهاب إذا نزلوا فى المطمورة حتى يطيب قلبه فلم يرفع أبو محمد رأسه اليها من شدة الضرب فعصرت الاميرة على قفاه كادت تطحن رقبته فصاح من تحت يدها لاستر الله عليك ياولد الزنا ماكفاك ماأنا فيه من البلاء حتى تتعانى على ثم رفع رأسه لينظر من فعل به من البطارقة لعله أن يكافئه يوما من الدهر ويقابله بما صنع وإذا بها الأميرة فبقى بين المصدق والمكذب فقالت له نعم ياأبو محمد فلما عرفها قال لاصح الله بدنك ياعجوز ولولا انى أخاف من الله تعالى لصحت الساعة خذوا هذه العجوز السوء التى كادت تطحن رقبتى فتبسمت الأميرة

وساروا بهم إلى المطمورة وكانت الاميرة هى التى قفلت عليهم وأخذت المفاتيح وهم
يظنوها من البطارقة المذبحة الخاص وعادت وقفت على رأس الملك ولم يزل على ماهو عليه إلى
أن ذهب من الليل الثلث ثم أن أرمانوس صرف أكثر البطارقة وعبث بميمونه تقالت
له يامولاى قم بنا إلى المنام فانى أريد أن أخرج عند الصباح إلى لقاء المسلمين فانصرفوا
البطارقة ومضى الملك إلى بعض المقاصير وقال لعقبة امضى إلى الدار التى أعدت لك فى
القصر وخذ معك شومدرس ومطرون فقال لعقبة لأرمانوس أريد أسألك عن أم عبد
العزيز العلوى هى عندك أسيرة لأنى أريد أن أعذبها فى هذه الليلة فقال أرمانوس وحق
المسيح ماهى فى القسطنطونية لأن قبل قدومكم علىّ أتانى بعض التجار ورفع إلى هدية
سنية وطلب منى بعض الأسارى فما كان عندى غيرها وعبد الوهاب فدفعتها اليه ولا
أعلم من هو ولا أعلم أين مضى بها فقال عقبة الى لعنة المسيح لأنه ما أخذها إلا لأجل
عذابها (قال الراوى) وانصرف عقبة ومعه شومدرس ومطرون وقال الملك لمارس
ودارس ناما ههنا أنتما والبطارقة وكانوا البطارقة الباقون ثلثمائة وبقية الألف تفرقوا
وانضجعوا هؤلاء وهم سكارى والاميرة وأصحابها فى جملتهم إلى أن تنصف الليل هنالك
وثبت الاميرة وهى تقرأ قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سداومن خلفهم سدافأغشيناهم
فهم لا يبصرون وفتحت المطمورة وكان الامير عبد الوهاب يحدث الاميرة فقالوا له
ماهذا صحيح وكيف تدخل إلى القسطنطونية وفى وجهها عساكر الروم فقال عبد الوهاب
ياأبو محمد من ألم الضرب قد تخيل الك ذلك فقال كيف تخيل لى وقد كادت أن تطحن
رقبتى حتى أعلمتنى بمكانها فقال الامير عبدالوهاب ان كانت فعلتها فيالها من عجوزماأقدرها
على الأهوال ما أصبرها على النزال فقال أبو محمد وماأخلعها لرقاب الرجال فلا وهب الله لها
عافية فغضب الامير من قوله وقال تبذل نفسها لهذا الهول الهائل وقدم على الدخول إلى القصر
وذلك السم القاتل كل ذلك من أجلى وأجلك وأنت تقول لا وهبها الله عافية فقال لؤلؤ
والله ما تستاهل مولاتى هذا لأن مولاى مايدرى مايقول من الألم فقال أبو محمد أسكت
لو كانت تلك العصرة فى عظم رقبتك لما كان هذا كلامك وباب المطمورة فتح وكانوا ناموا
من الفرح فنزلت اليهم وقطعت كتافهم ولم يكن فى أرجاهم قيود لانهم كانوا فى العقوبة
وأيضا المطمورة حصينة والباب وثيق توثب الامير عبد الوهاب إلى أمه وضمها إلى
صـــدره وقبل رأسها وبكا فقال ضيغم لاتبكى يا أبتاه شد قلبك فنحن
خلفك فقال والله يابنى ما بكيت فزعا من الموت لأنى أعرف انه محتوم ولكن
تذكرت كلام مانع وقوله على لسان رسول الله الفرج قريب وهذه علامة

صدقة فالحمد لله الذى كان ذلك على يد الأميرة ثم قال من معكم فقالت الأميرة معنا وبنا لقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم (قال الراوى) ثم أن الأميرة سارت بهم الى البطارقة النيام وأخذوا من سيوفهم وزاد نشاطهم فرحا بخلاصهم وكان الذى تولى ذبح البطارقة البطال والغلمان ومذبحون وقالوا للأميرة ما فى الأمر الا أن تأخذوا أحدا ونذبح ميمونة لعنها الله وندبر على أخذ عقبة خزاه الله وصاحبيه مطرون وشومدرس ونفزع من هؤلاء البطارقة ونمضى الى دار مارس ونخرج فى زى عوام البلد ونحبس عقبة ومطرون وشومدرس وارمانوس فى مطمورة فى بيت مارس ولا نخرجهم من ههنا والا وأعينهم معصبين فقال البطال دونكم ساعدونا فى هؤلاء النيام لاتحس بكم ميمونة لأنها ماتنام الليلة من محبتها لارمانوس وان علمت بنا وصاحت ثاروا علينا النيام وربما يأتينا من الروم عالم كثير فقالت الاميرة انى ما أتيت اليك الا وغلقت باب القصر وأخذت المفاتيح من البوابين وهاهم معى فابدؤا بمن شئتم بهؤلاء اللئام وبادروا الى ثواب التواب (قال الراوى) هذا والبطال ومذبحون داروا بالخناجر فى القوم الفواجر فما كانت الا ساعة حتى فرغوا منهم بأسرهم الثلثمائة فقال مارس والله ماتصلح أنت وولدك الا فى دار البقر والغنم (قال الراوى) ودخلوا الدار التى فيها أرمانوس فوجدوا الغلمان فى الدهليز نيام فذبحوهم عن آخرهم ودخلوا واذا هم بسرير من عاج مصفح بصفائح من الذهب الوهاج وكان أرمانوس لما أراد أن يختلى بميمونه فرق الجوار فى المقاصير وكان لما يريده الله تعالى من أبقاك الملعونة ميونة وانفاد المسببات والقدرة قامت من عند أرماس من مغص فى بطنها لأنها حامل ويأتى منها ولد وله حديث يذهل العقول وسوف يأتى حديثه فى مكانه بعون الله سبحانه وتعالى (قال الراوى) ثم ان الأميرة هجمت هى ومن معها فوجدت ارمانوس نائم وهو يشخر كما يشخر الثور فجثمت الأميرة على صدره جثمة الأسد الغضبان ففتح عينه فوجد رجال فى أكفها سيوف يلمع من شعاعها الحتوف فهم ان يصيح فقالت له أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين ورفع قدر الحجرين وهو رب المشرقين والمغربين ان تكلمت لأرمين رأسك وأخمد أنفاسك ثم انها أدارت كتافه وعصبت عينيه وسدت فمه وقالت من يحمله فقال ضيغم أنا له ثم دخل من تحته وحمله وهو كأنه أكره وطلبوا ميمونة فما وجدوها فعظم عليهم ولم يمكنهم التفتيش عليها لأنهم فى أمرهم على عجل ثم ان البطال كان انفرد الى عقبة لأن داره كانت بالقرب من دار الملك وكان عارف بها (قال) وكان عقبة لما دخل الى تلك الدار كان على غاية من الحذر فجعل يدور فى الدار فلم يرى أحد فوقف وهو فى

حيرة من أمره وإذاهو ببيت منفرد وفيه سرير وعليه شيخ نائم بلحية شمطاء وقد سال لعابه على لحيته وعند رجليه آخر نائم فلما شاهده قال ياالها من طريق ما أبركها ثم دنا منه واذا به مثل الثور فقال للأميرة أدنى منه ولا تنبهيه واقطعى رأسه واسرعى اختلاسه حتى نكون برأنا ايماننا ثم تقدمت اليه وشالت عن وجهه الازار واذا به مطرون والذى عند رجليه علام عقبة وعقبة وشومدرس مالهما خبر (قال) وكان السبب فى ذلك أن عقبة خزاه الله لما دخل الى الدار وجلس على السرير أقبل على شومدرس ومطرون وقال لهما اعلما أن قلبى نافر من المسلمين فى هذه الليلة مما فعلت فى حقهم من الضرب وقتل مانع لاسيما ذلك الولد الزنا صندل فانه عمل معى دست ماسبقه اليه أحد وقد بردت غليلى بعقوبته وأنا فى غداة غد معول على قتلهم ومع ذلك انى ما آمن من البطال أومن بعضهم وأريد أن لايعرف أحد موضعى الذى أنام فيه حتى لاتنعكس القصة علينا ونرجع نقع فى البلاء وأنا معول على موضع أعددته فى القصر لا يهتدى اليه أحد فأكون فيه الى الصباح لأنى أعلم أن البطارقة اذا كان ميت بعيش ويقبضنى ويضربنى عوض الضرب كل واحدة عشرة فقال شومدرس وأنا معك أينما كنت ولى أسوة بك فقال عقبة الامر اليك (قال الراوى) ثم أن عقبة أقبل على مطرون وقال على ماذا عولت فقال وحق الدهر المقيم والزمن القديم انكما عيشكما من هؤلاء القوم فزعا ورعبا وهم فى المطامير فى عيش ذميم وقد ضربوا الضرب العظيم وهم مشرفون على العطب ان هذا عار عند الروم والعرب وأنا وحق علة العلل لا أبرح من مكانى ولا اتبعكما فى أمر وأبقى معيرة عند كل أحد (قال) فقال عقبة ويلك ما تذكر كيف أنفذ اليك الى بغداد على لسان ذات الهمة وساقك الى عنده كأنك تيس تساق الى المنحر فقال له صدقت ولكن بين الحالتين فرق بعيد لأنه كان مطلوقا وهو اليوم موسوقا وما أقول انه يسلم من كثرة الضرب الذى ضربته فقال عقبه أنت معذور وما عندك منه خبر وحق المسيح لو ضربته بكل خشبة فى الدنيا ما ازداد الا لعنه وشؤم وحيث ماأنت عازم على ذلك الأمر فأقم مكانك وأنت أخبر بشأنك فنحن لابد لنا من الخروج فقال دونكم وما تريدون ثم نام التعيس مكانه وخرج عقبة وشومدرس الى الموضع الذى ذكره عقبة وهو يعرفه من عهد منويل (قال الراوى) ولما دخلت ذات الهمة لم تجد غير مطرون فأخذته وأخذت غلام عقبة وخرجوا من القصر وأخرجت الاميرة المفاتيح وفتحت الباب وقد ستر عليهم الملك التواب ومارس ما يصدق أن يصل الى

داره وهو متعجب من هول ماشاهد من فعل الأميرة وقوة قلبها وهو يقول لأخوه دارس ما لهؤلاء القوم قلوب يجزعون بها فقال دارس ياأخى لولا هذه القلوب لما وصلوا إلى المطلوب فقالت الأميرة لمارس أريد أن يكون الملك ومطرون وغلام عقبة عندك فى مطمورة فقال لها ولم ذلك قالت حتى نخرج عند فتوح الباب مع أصحاب أرمانوس فقال والله انى أخاف أن ينكشف حالنا فقالت صدقت ولكن هؤلاء معصبين العيون والاكز فى أفواههم وهم تحت الأرض لايعلمون فى أى الاماكن إلى أن نأخذهم ونخرجهم على ماهم عليه فقال لها افعلى مابدالكى ومن تمام الأمور لما يريده الله تعالى لم ترجع ميمونة إلى فراش أرمانوس إلا عند الغلس حتى ذهب ما بها من الوجع والمغص فعادت تطلب سرير أرمانوس فوجدته مفقود فظنت أنه ذهب لقضاء بعض الحوائج فقعدت فى انتظاره فما عاد فلما أيست منه خرجت من باب المقصورة فوجدت الدماء على الأرض جامده والرؤوس من أصحابها حائده فصاحت صوت أذهل القصر وخرجت النسوان والخدم من المقاصير فشاهدوا ذلك الامر الخطير فعلا الصياح وارتفع الصراخ وتارت الناس من البلد طالبين إلى القصر من كل مكان كانهم السلاهب وفى دون ساعة صار فى القصر عالم بعدد الرمل والحصى وسألوا ميمونة عن الخبر فقالت الملك قد عدم وحق المسيح ومن الدنيا قد حرم ولو كنت عنده لذبحت مثل هؤلاء البطارقة فاطلبوا المطمورة التى فيها البطال فما دهينا إلا منها فتبادروا اليها فوجدوا مفتوح الباب مفتوح والقفل مطروح وما فيها من فيه روح فعلموا أن البلاء منها فقالت ميمونة واعجباه كيف قتلوا هؤلاء الخلق الكثير وما أظن إلا أن نكون دهينا من مكان آخر فهم فى الكلام وعقبة سمع الصوت فى القصر فقال جاء العمل هذا الحساب الذى حسبته فقال شومدرس أخرج ننظر ما الخبر فقال عقبة لا وحق المسيح ماأخرج من مكانى حتى أنظر المكان ملآن من الروم فقال شومدرس ولم ذلك فقال خوفا لا يكونوا فى القصر وقد غرهم الطمع وأخرج أنا فى أيديهم أقع ثم صبر إلى الصباح وخرجا إلى أن وصلا إلى ميمونة فقالت له ياعقبة تكون فى عافيه وبيوتنا عامره فلما تنظر إلى هذه الطلعة الميشومة والناصية المذمومة وأنا أريد أن أقتلك وأخلص النصرانية من شركك ومكرك فلعنك المسيح ولعن قومك فقال عقبة وقد ضحك ضحكة باردة خلى العتاب ياستاه واعلمى أن الذى فعل هذه الفعلة من البطال كان طال عليه أن يقتل هذه الرجال كلها وما هذه الفعال والأفعال رجال أقيال معودين بالقتال والمبارزة فى المجال وهم الذين خلصوا أبو محمد البطال وعبد الوهاب من الاعتقال والبلد بعد مغلوق الابواب فان كان لكم حاجة فى الملك فتشوا عليه دور

البطارقة فانه لايخلوا أن يكون أحدا فاسد على النصرانية وعمل هذا العمل على أهل ماء المعمودية وحق المسيح أن فى المدينة قوم من خواص الملك وهم مسلمين ويظهرون دين النصرانية فى الظاهر وهم بخلاف ذلك (قال الراوى) وقالت ميموتة من هؤلاء القوم حتى أقطف رؤوسهم وأخمد منهم نفوسهم فقال عقبه وحق المسيح على ما أعرف فهم على الحقيقة ولكنى أعلم أن قولى صحيح لأنى قط ماكاتبت ملوك النصرانية من عهد منويل وغيره إلا وأتى الخبر إلى بلاد الاسلام وإن أخذت شىء وأرسلته إلى ملك الروم إلا ويظهر خبره ويعمل البطال ويسرقه ويرده إلى بلاد الاسلام وقد عيل صبرى من هذا الحال (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك قالت وحق المسيح لقد صدقت لأنى لما كنت عند عبد الوهاب كانت تصل اليه الكتب من عيون ههنا بكل مايجرى إلا أنه ماكان يطلعنى على من كانت تأتى من عنده وما كنت أنا أسأله عن ذلك فهل تظن فى أحد فقال بلى وحق المسيح إلا أنى ماأقدر أواجهه فى ذلك فقالت من هو وأنا أكفيك مؤنته قال لها مارس وأخيه دارس لأن ما بقى من البطارقة الأول غيرهما فافعلى الآن مابدالك ولا تظهرى أن هذا منى بل خذى البطارقة واقصدى إلى دارهما وفتشيها فقالت وأنت أيضا تجىء معنا فقال الحق لأنى أريد أمضى إلى الراهب مطرون وما أخوفنى أن يكون فى هذه الليلة مطعون ثم سار هو وشومدرس حتى دخل إلى الدار المقدم ذكرها فما وجدوا فيها إلا الآثار (قال) فلما نظر عقبة إلى ذلك هز لحيته ورأسه وقال لشومدرس كيف ترى ياشومدرس وقد فزنا فى هذه الليلة فقال وحق المسيح لو وقعنا فى هذه الليلة لكانوا صفعونا من ههنا إلى ملطيه إلى أن صلبونا ثم أن عقبه حزن على غلامه وقال ما أهلك غلامى إلا مطرون بقوله ما نبالى وسوف ينزل فى رأسه صفع حتى يخرج منها الحكمة فقال شومدرس كيف يكون الحال فقال عقبه مالنا إلا الهرب فابصران كان فى المينا مركب فاجعله لنا معقلا حتى نشاهد هذه النوبة إلى آخرها فان أفلحوا الروم وإلا ركبنا فى البحر إلى بعض الجزائر فقال شومدرس هذا هو الصواب ثم قصد إلى باب المينا فوجدوا التجار جاؤا إلى الخليج من بلد أفرنجه وهم معولين على الاقلاع فأعاقهم وقال تصبروا لنا ثلاثة أيام فأنا الشيخ النجيح وأريد أن أسير إلى بلادكم حتى تصير بركتى عليكم فقال شومدرس لقد وفقوا أن وطئت إلى بلادهم فانه يكثر فيها الخيرات وتعود عليها البركات وينزل المسيح ليأتى بالحسنات (قال الراوى) فعلم عقبة أنه يتمأرز عليه فأسرها له فى نفسه ولما أنعموا له التجار وأجابوه إلى المقام ورجع هو يقول لشومدرس فى الطريق ويلك ياشومدرس تقول كذا وكذا فلو كنت خليتهم البارحة

يأخذوك أخذ التيوس ويصفعوك يامنحوس لما قلت هذا المقال يا كلب النصرانيـة والرهبان والقسوس فضحك شومدرس وقال أنا قلت ذلك من طريق الملاعبة والمزاح يا عالم الطائفتين وريس الدولتين وهذا ما أقوله إلا من محبتي لك (قال الراوى) وأما ميمونه فانها خرجت إلى القصر وهى معلنة بصياحها وقد شاع الخبر فى الناس فتبعها أرمانوس عن مائتين ألف من عوام البلد لأن فيها عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وهم يأكلون رزقه ويشركون به وهو سبحانه وتعالى يمدهم بالحلم لأنه حكيم حليم لا يعجل وجواد لا يبخل (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولم تزل إلى أن وصلت إلى دار مارس وأمرت البطارقة أن يجردوا السيوف ويزحفوا إلى الدار وهم معولين ان رأوا أحداً منهم يقتلوه وكانت الأبواب مغلقة فلما سمع مارس ذلك عظم عليه وكبر لديه وأمر غلمانه لايفتحون لأحد ثم أقبل على الأميرة وقال لها كيف ترى فى هذه القصة وهذه الملعونة تعد علينا كلما عملناه وما هذا كله الا برأى عقبة لعنه الله فقالت يا بطريق البطارقة مالك موضع تخبينا فيه لعل الله أن يستر علينا وإلا فهذه الدار عالية البنا واسعة الفنا ونحن نقدر نحمى نفوسنا منها شهرا بالقتال ونضرب القوم بالصوارم الصقال سيما هذه العامة فأن مالهم خبره فى الحرب ولا القتال (قال الراوى) فقال مارس ما هذا رأى لأن العامة هى السواد الأعظم وإذا اجتمعوا على شيء لابد لهم أن يبلغوه لأنهم عالم عظيم وهذه الدار ما تمنعهم وفى ساعة واحدة يقدرون ينقلون حجارتها إلى البحر فقالت الأميرة صدقت فكيف يكون التدبير لأننا ما ظننا أن الباب يبقى مغلوق إلى هذا الوقت فقال مارس ما فى الأمر إلا أن تكتفونى أنا وأخى دارس وتجعلون فى أرجلنا القيود حتى نكون كأننا معكم مأسورين وأنزلونا فى المطمورة عند ارمانوس وفى دارى الثانية مطمورة تحت الأرض كنت أجعل فيها ماء الأمطار لأيام نقص الأنهار وأطلب برودته فى الصيف فنزلوا اليها وبعض الجوار يطبقون عليكم الطابق ويفتحون الباب لهؤلاء الشياطين ويصرخون فى وجوههم ويقولون مارس ودارس عند الملك حتى يعلمون أننا قد فقدنا معه وتبرأ ساحتنا عند الروم وأن هم علموا بكم فمعكم سلاحكم فاخرجوا عليهم وادفعوا عن أنفسكم وأن عرفوا طريقنا نحن والملك فيجدونا فتبرأ ساحتنا ونعمل بعد ذلك على خلاصكم ولو طلبوا قتلكم ما قدروا على ذلك وأخوفهم من أصحابكم وأذكر لهم العواقب فعلمت الأميرة انه قال الصواب فقالت بارك الله فيك ثم فعلت بهما ما أمروها وأنزلوهما فى المطمورة وقصدوا إلى المغارة فوجدوها واسعة فدخلوا فيها وأطبقوا البلاطه عليهم فبقيوا لايعلم بهم إلا الله ومن له معرفة الدار ولما وصلت ميمونة

إلى الدار وصاحت فخرجت اليها الجوار وهن ولهانات ونادوا ما حالكم وأين موالينا ما نراهم معكم فقالت ميمونة ويلكم ما جاء مارس اليكن فقالوا لا وحق المسيح ما انتبهنا نحن إلا على صياحكم ففتحنا لكم وتطيرتم عقولنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت ميمونة منهم ذلك قالت وحق المسيح أن هؤلاء ما عندهم خبر ولكن ندخل الدار حتى يكون أبرأ لساحتهم وماهم الا أخذوا مع الملك وان كلام عقبة كلام خرفان عاد عقله ثم دخلت إلى الدار ودارت فيها فما وجدت فيها أحدا فعادت راجعة فتصايحت جوار مارس ونسائه وأظهرن الانتهاك ويقولوا لميمونة يا ملكة لا تتخلى عن مارس ودارس بحق المسيح فوعدتهم بكل جميل وقالت معلوم أنهما عدما مع الملك فان كانوا مأسورين خلصناهم بالمال وان كانوا هالكين فلهم أسوة بالملك ثم خرجت من الدار ومعها الرجال وقد حارت فى أمرها وأمرت أن لايفتحوا باب البلد فى ذلك اليوم حتى تبصر ما يكون من أمر الملك فهى خارجة وإذا بالملعون عقبة وصل وقال لها ما علتى أيتها الملكة قالت طفت الدار فما وجدت فيها ديار ولا شك أنهما أخذا مع الملك وأما زوجته وجواره فما عندهم خبر وقد انهتكن لما سمعن ذلك فقال عقبة يمكن أن يكون ذلك صحيح ولكن ما يعلم إلا المسيح أن الجوار والنساء مسلمين وقد اختبئا فى الدار حتى يقال أننا أخذنا مع الملك وأنتم مالكم خبره بالتفتيش أدخلوا حتى ترون منى العجب وأنا عقبة بن مصعب وما سميت عقبة الا وأنا عقوبة على المسلمين فلا وهب المسيح لى عافية ان تعدت لهم عن مضره ولا صح لهم اجسام ان ذكرونى بخير فى أول الزمان أو آخره واليوم أخرج أبو محمد البطال وعبد الوهاب أينما كانوا وأن صدقنى حذرى ما خلصهم الا ذات الهمة وقد دخلت الى البلد وهى فى كثرة ومعها جماعة من الأمراء مثل فلان وفلان وجعل يصفهم كأنه كان معهم ثم فتح الدار ودخلت ميمونة وقد دخل معها خلق كثير وأحدق بالدار عالم لايحصى وميمونة من حرقتها كأنها مجنونة (قال الراوى) وعقبة يطوف فى الدار يمين وشمال وفوق وتحت حتى أفضى به الأمن الى الرخام الذى فى صحن الدار فقلعه وميمونة تقول له ياشيخ أنت مجنون وعقبة يقول ما مجنون الا الذى ما يفرق بين القاتل والمقتول وأما أنا فسوف أوريكى مالا تعرفين (قال الراوى) وأما بنات مارس وزوجته وجواره فانهم أيقنوا بالبلاء واصفرت ألوانهم وقالوا هذه النوبة مايبقوا على أحد منا وكان خوفهم على المسلمين أكثر من خوفهم على أنفسهم فجعلوا يتضرعون الى الله تعالى ويتوسلون بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن لايهتك سترهم ولم يزل عقبة لعنه الله دائر فى الدار الى أن انتهى الى البلاطة التى باب المغارة التى فيها

الأمراء فوقف وضحك فقالت ميمونة ما بالك ضاحك فقال سوف ترون العجب ارفعوا هذه البلاطة فقلبي خائف أن يكونوا من تحتها فى مغارة أو مطمورة فصاحت به ميمونة وقالت هم صاروا جن يصيروا تحت الأرض وأنت تضحك وقلوبنا تتقطع فانخلع قلب عقبة من صيحة ميمونة (قال الراوى) وأما زوجة مارس فانها بكت سرا وقالت فى قلبها إلهى وسيدى ومولاى هؤلاء الذين تحت الأرض هم أولياءك وهؤلاء الذين قيام كلهم أعداءك فبحق المصطفى والأنبياء والأولياء لاتمكن أعداءك من أولياءك (قال الراوى) فأجاب الله دعاها وسمع نداها وأعمى بصيرة عقبة وانخذل وداخله الفزع من ميمونة وقال لها ياملكة أن قلبي يحدثنى بالأشياء وأنتى تكذبينى ولو تركتينى أفعل ما أريد لخرج خبر الملك ارمانوس ووقع بالأعداء الضر والبؤس فقالت ميمونة وكيف ذلك قال تمكنينى من هؤلاء الجوار ومن زوجة مارس حتى نأخذهم ونعاقبهم حتى يقروا فقالت له دونك وما تريد فصاح بالبطارقة خذوهم فلم يقدر أحد يتقرب اليهم خوفا من مارس أن يكافئهم يوما من الدهر فصاح عقبة بميمونة أطرحيهم الى الأرض فصاحت بالسودان فطرحوهم وأخذ عقبة بيده السوط وجعل يضرب الجوار واحدة بعد واحدة ثم قدم زوجة مارس وكانت من أدين الناس فجعلت تتضرع الى ميمونة وتقول أيتها الملكة ماكان ظنى فيكى الا أن تخلصينى فأمرتى بعقوبتى وسمعتى من هذا الظالم الغاشم الذى لاعقل له ولا دين وها أنت ترين تصديق قولى لاهو الى دين الإسلام راعيا ولا الى دين المسيح محافظا وانما هو على جميع العالم وبال وشدة نكال وقال لبعلى ألف مرة يامارس قل للملك ارمانوس الذى عمى قلبه فى محبة هذه السودة المتنصرة ميمونة العوراء ان يكف عن محبتها ويرجع الى محبة زوجته التى مافى قصور الخلفاء مثلها ولا أحسن منها لأنه يعلم ان مارس حاجبه ولا يقدر يعمل شىء الا برأيه ورأى أخيه دارس وهما لايجيباه الى ذلك وزوجى يقول لولا الملكة ميمونة ماكان لنا حال مع المسلمين وما تستاهل الجفاء لأنها فارقت زوجها وقتلت ولدها لأجل محبتها للملك والى دين النصرانية وأنا ما أتلكلم فيها الا بالخير فلأجل هذا يبغض زوجى ويريد هلاكه (قال الراوى) فلما سمعت ميمونه ذلك من زوجة مارس انقلب سوادها الى بياض لأنها كانت محبة لأرمانوس مفرطة فى هواه وكان فى بعض الأوقات يغلظ عليها ويتمنع لعلمه بمحبتها فلما سمعت من زوجة مارس ظنت ان ذلك التمنع والتجنى من كلام عقبة وظنت ان هذا حقا فقالت ياعقبة لقد بلغنى عنك هذا فى موضع آخر وما تذكرنى الا بالقبيح وما كفاك حتى على تحمل قلوبنا خواص الدولة وما جئت الى مارس الا من بغضتك وأنا أريد أن

أقطع بهذا السيف رأسك وأريح قلبي من شرك وأستريح من طلعتك فقال عقبة وقد مات في جلده فزعا وهلعا وقال هذه فتنة كنت في غنى عنها وما هو كثير ان تقتلني هذه السوداءة الوجه ثم جعل يبكي ويقول أيتها الملكة لاتفعلين ولا تسمعين فيّ كلام الأعداء ومن قد دخلت الى دارهم وروعتهم وضربتهم فقالت زوجة مارس دع عنك هذا المحال يا كشحان يا قرنان فما أنت لاشيطان ثم قالت أيتها الملكة أنا أخرج في هذه الساعة أربع كتب بخطه الى مارس وهو في بلاد الاسلام وهو يقول له بأن تقول للملك على لساني أن المسيح قد غضب عليك لهجرك لبنت ملك البحرين والجزاير وهو ملك المغلبيط كيف هجرها واختار هذه السودة العورة الذي لولاه عشقها ما كانت الآ آفة على النصرانية وهي مقدار ما تشبع منه فقتله وتطلب بقتله اصلاح حالها مع المسلمين لأنها امرأة مالها عقل ولا دين ولا وفاء وهكذا أكثر النساء ويدل على صحة قولي مافعلت بعبد الوهاب الذي كان زوجها قبل الملك لأنها قتلت أباها من أجله ورزقت منه ولدها بحرون وقتلته في هواها لأرمانوش والسلام (قال الراوي) وكان حديث زوجة مارس صحيح في حق عقبه والأصل في ذلك أن زوجة أرمانوس بنت ملك البحرين لما أعرض عنها الملك دخل على قلبها أمر عظيم ولم يطاوعها قلبها على فراق أرمانوس لأجل محبتها له لأنه كان مليحا فائقا في الجمال وإلا كانت رجعت إلى أهلها وصبرت على البلاء والقهر ثم أنها دخلت إلى البيعة ووصلت إلى البترك وخلت به سرا وقالت له يا أبونا اعلم أني في النار فقال لها لماذا فقالت من غيرتي على الملك لأنه مشغول بهذه السوداء ميمونه ولا ينام إلا عندها ولا يأكل ولا يشرب إلا معها ولو أنه كان يدخل إلى عندي ويتحدث معي لما أهمني ذلك من غير مواصلة (قال الراوي) فقال لها وحق المسيح لقد صعب عليّ ذلك ولقد عتبته ونهيته فلم يلتفت إلى قولي وقال ما رأيت من يفوت ولده لأجل هوى قلبه إلا ميمونة فقلت له بلي فقال أنا أحب ميمونة ومالي صبر عنها ساعة واحدة ولكن أنا أشير عليكي بشيء يكون فيه الصلاح فقالت بماذا قال لها تكتبين إلى الشيخ النجيح وتضمني له شيئا من المال فهو يقضي حاجتك فخلت بنفسها وكتبت إلى عقيه تسأله في اصلاح أمرها مع الملك أرمانوس وأرسلت مع الكتاب خمسة آلاف دينار وشكت اليه حالها فكتب إلى الملك كتاب وثاني وثالث يعتبه على ذلك في أمر ميمونة فلم يسمع منه فجعل يكتب إلى خواصه ويسألها أن يعاونوه على ذلك وكتب الى مارس أربع كتب في ذلك المعنى وفيهم الكلام الذي قالته زوجة مارس وعلم مارس أن الملك ما يسمع فيها كلام وخشي أن يبلغ ميمونه ذلك فما يعلم ما يلاقي منها فاحتفظ بالكتب لكي تنفعه يوما من الدهر وأن زوجة

مارس قالت أيتها الملكة اطلقيني حتى أجيب اليكى الكتب فأطلقتها فغابت ساعة وعادت ومعها الكتب ودفعتهم إلى ميمونه فلما وقفت على ما فيهم تار عقلها وقالت لو كانت هذه الكتب وصلت إلى الملك لكان سلانى وبالهجران قلانى ثم صاحت على السودان وقالت خذوا هذا الكلب الخوان فداروا به من كل جانب ومكان وأمرت ميمونه وللعوام بالخروج وغلقت الباب وبقيت فى خمسين أسود من غلمانها ومدت الشيخ النحس عقبه وكان شومدرس دخل حتى يبصر حكمته فبقى يرتعد من الفزع والخوف والجزع ولم تزل تضربه حتى نسى دين الصليب والمسيح ثم أعادت عليه الضرب مدة ثانية وضربته ضربا شديدا ما ضرب مثله البطال ولا غيره ثم جعلت السودان يتناوبون عليه بالسياط حتى جرى دمه ورجيعه على البلاط فقال شومدرس وهو فزعان على روحه ورأى عقبه وهو فى حالة الموتى أيتها الملكة ربما يكون عليه كذب وهذه الكتب زور ومحال وأيضا ان الروم إذا سمعوا ما عملتى فى هذا الشيخ يعتبوكى على ذلك فلما سمعت كلام شومدرس صاحت عليه خذوه وإلا انفطرت مرارتى من هذا الشيخ النحس وكلامه ولو جاءنى البترك وأكثر كلامه فعلت به هكذا فما بقى لى فى حياتى مطمع بعد الذى قلبى فى يده تقطع وقد ذهب صبرى وجلدى وما أبالى بعده بمن عطب ولا من سلم ثم مدت شومدرس وضربته حتى غشى عليه فلما أفاق نادى بحق المسيح دعينى أنا واسلخى عقبه من كعبه لأنه فضولى وإلا إيش له فى الناس وأزواجهم وحق المسيح أن حلاوة كلامك وعذوبة منطقك وعظيم هيكلك وسديد رأيك يشغل من له عقل فهدى غيظها عنه وأطلقته (قال الراوى) وخرجت من الدار وتركت عقبه فى أسوأ حال وقالت لزوجة مارس احفظى عليه الى حيث أسألك عنه فقالت سمعا وطاعة ولما صارت خارج الدار قالت لها الروم إيش عملتى أيتها الملكة قالت ان عقبه رجل مجنون فضولى كذاب وفعاله تدل على خراب بيوت الروم وما وجدنا فى الدار أحدا وضربته لأجل كذبه واليوم أكشف الأخبار فافتحوا الباب فاذا عدم الملك فأنا عوضه وانه كان يقف عند العلم الأخضر ولا يحضر قتال ولا حرب ولا نزال وأنا لا بد ما آخذ لكم بالثأر ولا آخذن من المسلمين أبطالهم فقالوا لها ما بقى لنا غيرك ولا نعتمد إلا عليكى ثم فتحت أبواب البلد وأمرت أن تزين الأصوار بالعدد والسلاح ففعلوا ذلك ولم يبق أحدا الا وخرج بالعدة الكاملة المليحة الشاملة على نية المقاتلة وخرجت ميمونه من القسطنطونية وبقيت الأبواب مفتحة والناس يخرجون أفواجا أفواج (قال الراوى) وكان الأمير عبد العزيز العلوى وبنى كلاب وغيرهم لما أبطت عليهم الأميرة ومن معها خافوا عليهم وكان عندهم من أجلهم المقعد المقيم ولما غلقت

الأبواب وانقام الصياح منها قبل خروج ميمونة تيقنوا أن الروم قد فطنوا بهم وانهم هالكين لا محالة فبكت المسلمين لذلك وانكسرت قلوبهم ولم يصبر الأمير عبد العزيز بل أمر الناس بالحملة وكذلك عسكر السلطان فى طائفة أهل الايمان وكذلك الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم والتقتهم الروم وتقابلت الخصـــوم بالحضور وجرى بينهم القتال حتى امتلأت الأرض من القتـــلى وجرت سواقى الدما وأرملت النسا ولم يجد أحد من أحـــد من المسلمين سبيل إلى القسطنطونية من كثرة عساكر الروم وتكاثرت عليه النصارى على ماهم عليه من شغل القلب وأخذ جماعة من عسكر العراق وبليت المسلمين بما لا يطاق وأخذوا ثقل عسكر العراق قال (الراوى) فبينما الناس على ذلك واذا بميمونة قد خرجت اليهم بتلك الامم وارتفعت أصواتهم فزاد فزع المؤمنين وقالوا لاشك أن أصحابنا هلكوا وقد خرجوا هؤلاء طامعين فينا فقال عبدالعزيز اعلموا رحمكم الله انما أنتم تقاتلون عن دين الإسلام ونصرة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام لالاجل الاميرة ولا لاجل الأمير عبد الوهاب بل تجاهدوا طاعة لرب الأرباب فالأمير عبد العزيز ينخيهم فى القتال واذا بغبرة طلعت وعجاجة ارتفعت من نحو بلاد الإسلام (قال الراوى) وبعد ساعة تمزقت من الرياح وانجلى ذلك القتام وانكشف عن ثلثمائة الف عنان من ترك وعجم وديلم وعرب وقد أمر القوم الإمام وعلى رأسه الرايات والأعلام وهو قد أتى لنصرة الاسلام ونخوة لشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام والأرض قد انقلبت من دق الكؤوسات ونعير البوقات ولما نظروا المؤمنين الى الروم وقد طمعت فى عصابة للاسلام فأشار الى العساكر بالحملة فحملوا وكشفوا عن أصحابهم تلك الشدة (قال الراوى) وكانت ميمونة لما خرجت أقعدت البترك مكانها فى البلد لعلمها أن الروم ماتخالفه وهى مقروحة الفؤاد على أرمانوس ولا تعلم أن كان سالم أم عاطب وقد وكلت بباب البلد الرجال وقالت أى من خرج ولا تعرفوه امسكوه فقالوا سمعا وطاعة ولم يفتح فى ذلك اليوم غير باب الذهب (قال الراوى) وتعالى النهار وقد عظم الصياح وجردت الصفاح وتقصفت الرماح وارتجت الأرض من وقع حوافر الخيل وصار ذلك النهار كانه ليل فهذا ماكان من أمر القتال (وأما ماكان) من أبوا محمد البطال وعبد الوهاب والأميرة ومن معهم من الأصحاب فانه لما خرجت ميمونة وفتح باب البلد واطمأنت قلوبهم من الارتياب فتحوا جوار مارس المطمورة وأخرجوا الأمراء وأخرجوا مارس وأخيه دارس من عند أرمانوس من المطمورة الاخرى وفرحوا بسلامتهم وشكروا الله تعالى على عوائده الجميله واجتمعوا

وأكلوا شيئا من الطعام فقالت الأميرة يا أبوا محمد قعودنا ماهو صواب وارسلوا من يكشف لهم أخبار ميمونة أن كانت فتحت الأبواب أم لا فرجع اليهم أحد غلمان مارس وأخبرهم أن ميمونة خرجت الى القتال بمن تعتمد عليه من الروم وباب الذهب قد فتح لاغير فقال البطال الصواب أن يركب ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وراشد بن ضمره وبقية العشرين فى زى البطارقة كما دخلوا فاذا صاروا فى عسكر الروم يصبرون الى الليل ويمضون الى عساكر الاسلام ويطيبون قلوبهم برؤيتهم واما نحن فنحمل مارس فى صندوق وكذلك دارس والملك أرمانوس ومطرون والأمير عبد الوهاب وغلام عقبة الكل فى الصناديق وألبس انا وغلمانى وولدى والأميره فى زى أهل المطبخ فاذا صرنا من خارج الباب طلبنا بعض القرى وبعد ذلك أقول لكم ما تصنعون فقالوا أفعل ما بدا لك (قال الراوى) ثم أطلعوا أرمانوس على ماهو عليه مكتوف والاكره فى فمه وعينيه معصبين وفعلوا بمارس ودارس ومطرون وغلام عقبة وعبد الوهاب فى الصناديق وركب ظالم واصحابه من خيول مارس بعد مالبسوا السلاح واخفوا أرواحهم بالزرد وخرجوا من باب الذهب وطماطم الاسود فى أوائلهم وهم يظنونه من سودان ميمونة وبقية أصحابه بطارقة خارجين للقتال وبعد خروجهم رفع أبو محمد الصناديق على البغال واخذ معه صندوقين اخرفيهم خراف مشويه وحلوا وطعام وغير ذلك (قال الراوى) وسار البطال والصناديق على البغال بما ذكرنا فقامت فى وجوههم البوابين وقالوا من أنتم وما هؤلاء الصناديق فقال البطال لابأس عليكم انما ينكر من لا يعرف وأما أصحاب الملك فلا ونحن معروفين غير منكورين وهذه الصناديق للمطبخ وانا شمعون وهؤلاء غلمانى وهذا مطبخ الملكة ميمونة وبعد ذلك لابد ما نطيب قلوبكم ثم فتح أحد الصناديق وأخرج منه خروف مشوى وقال كلوا وادعوا للملكة أن يرد عليها المسيح أرمانوس وبعد ذلك ماتحتاجوا الملكة أن توصيكم من لص المسلمين أن يخرج وما عندكم منه خبر فضجوا له بالدعاء ثم ساق البغال ومن فوقها الرجال وقد ستر عليهم الملك المتعال ثم انه عرج عن الطريق من وادى الى قرية خراب بعد أن قطع عن البلد قدر ثلاثة فرسخ فهذا ما كان من الأمير ظالم ومن معه فانهم وصلوا الى عند عبدالعزيز ففرح بهم ودخل بهم الى عند الامام ففرح بسلامتهم وسألهم عن الأمراء فقالوا يامولانا اليوم أوغدا يحضرون الى بين يديك فزاد فرحه وسأل عبد العزيز عن هرمس وقال أريد أن أنظره فاحضره عبدالعزيز بين يديه فبصق فى وجهه وقال يا كلب المجوس هذا جزاء نا منك بعد انعامنا عليك واوصلنا برنا

اليك وعفونا عنك بعد الفساد فقال يامولاى ماعلى أضر من القاضي عقبة فهو الذى قادنى الى النكبه ثم أخبره بما تقدم من حديثه وكفره ولعنته وذكر له الكتب الذى كتبهم بخطه لطابهم المعتصم فاحضرهم عبد العزيز فوقف عليهم عنده أن كلما يقال عنه صحيح (قال الراوى) ولما أن كان من الغد ركبت العساكر تريد الحرب والكفاح وقد وقف ظالم موضع أبيه تحت الأعلام فى القلب ووقف ضيغم فى الميسره وسيف الحنيفية فى موضع الأميرة فى الميمنة وركب الامام وعلى رأسه الرايات والأعلام ثم أمر العساكر بالجملة فحملت وعلى الله توكلت وعملت الصوارم وفصلت وانقطعت الآمال من الحياة وبالممات اتصلت والفرسان تصادمت والشجاع بان والجبان انهان وعمل الصارم اليمان وقاتلت ميمونه بغير اكتراث واشتغل قلبها على أرمانوس وقاتل ظالم وسيف الحنيفيه ومن يجرى مجراهم قتال شديد وأذاقوا الروم وبال عنيد إلا أن قلوبهم مشغولة على الغائبين وتضعضعت الروم لاجل غياب ملكهم لأن الجيوش بمقدمها وكانوا الروم ما أعجبهم ما فعلت ميمونه فى حق عقبه وقالوا هذه مجنونه وما يصلح لها أن تملك رقابنا وتقهقروا إلى خلفهم وكان من الأوقات اصفرار الشمس ووقت المغيب وأوصلت بنى كلاب فيهم الطعن إلى باب البلد وأمسى المساء وحجزهم سواد تلك الليلة الدهماء ودخلت العساكر إلى القسطنطونية ورجعت المؤمنين إلى خيامهم بعد ما أذاقوا الروم طعن شديد وحرب أكيد ورجعت الجواسيس إليهم أن عبد الوهاب وذات الهمه والبطال مفقودين فتعجبت ميمونه وقالت إن غيابهم له سبب وأى سبب (قال الراوى) وأما صاحب الأعمال أبو محمد البطال فانه لما أوى إلى تلك القرية كما قدمنا فتح الصناديق وأخرج من فيها فى الليل وأطعمهم ما يمسك رمق الفؤاد وقضوا حاجتهم وكان أخرج الأمير عبد الوهاب وأعطاه سيفا قرضاب وقال له أيها الأمير كن على أهبة فانى أخاف أن يأتى شيئا لم يكن فى الحساب لأن الأيام خوانه والأيام غير مأمونه فاذا كنت أنت والأميرة مستعدين طاب قلبي فقالت الأميرة لله درك ما أخبرك بعواقب الأمور وهموا أن يردوا الأسارى إلى الصناديق فطلبوا مطرون فما وجدوه فلم يمكنهم المقار بل رفعوا الصنديق بما فيها وساروا إلى أن وصلوا إلى عساكر الاسلام وكان على الحرس الأمير ظالم وضيغم وهما يتذاكرون الأمير والأميرة وإذا بهم ينظرون إلى أشباح قاصده اليهم فحركا جواديهما وناداهم ظالم من أنتم تكلموا من قبل أن تهلكوا فقال الأمير لله درك يا ظالم فلما سمع النغمة عرفها قال والدى ورب الكعبة ثم انهما ترجلا عن الخيل واعتنقا

ونظروا إلى الأميرة والبطال فزادت أفراحهم أفراح وسمعوا بنو كلاب فأتوا اليهم وجعلوا يقبلون الأمير والأميرة وبلغ الخبر إلى الامام فأمر باحضارهم فساروا وأبو محمد والدزاب معه إلى سرادق الخليفة وقبلوا الأرض بين يديه ثم نزلوا الصناديق وحملها إليه فقال ما فى هذه فتقدمت الأميرة وقالت يا مولانا اخلى لنا المكان فأصرف الحاضرين فقال الأمير أبو محمد يا مولانا إن الله تعالى علينا نعم باطنة وظاهره ومن جملتها خلاصنا من أيدى الأعداء وحصل الملك أرمانوس فى أيدينا فقال الامام وأين الملك قال فى أحد الصنديق ومعه مارس ودارس لأجل كتمان حالهم فقال الامام أحقايا أبو محمد فقال أى وحق نعمتك فقم وافتح القفل الذى عليه واجعل أموره إلى وانظر كيف أدبر النوبه وما يكون إلا ما تريد فقال الامام يا أبا محمد قبل فتح الصناديق أعد حديثك جميعه فحدثه بما كان ولما أصبح الصباح وصلى الامام قال يا أبا محمد قم واصنع مهما شئت ثم قام الامام من كثرة السرور أخذ المفاتيح وفتح على أرمانوس وهو مشكك فى ذلك فاخرجه والكتاف على منكبيه والاكرة فى فاه وقد فرحت أرباب الدولة ومد أرمانوس عينه فرأى الأمير أبو محمد فعلم من أين دهى فصلب على وجهه وقال ويلك يا شيطان كيف عملت أطرت فى الهوى كما يقولون فقال أو ما علمت انى أقدر على ما أريد باذن الملك المجيد فلابد من قتلك وقتل هؤلاء الاثنين مارس ودارس فقال أرمانوس فى نفسه ما هو إلا أخذ ميمونه وبقى متطلع ما فى الصناديق حتى أخرج مارس وأخيه فبكى على حالهم ثم أقعدهما إلى جانبه فقال الملك كيف أخذكما قالا كما أخذوك أخذونا فقال المعتصم يا أبا محمد أمرهم مسلم اليك قال البطال الرأى عندى تضرب رقاب هؤلاء الثلاثة فقال أرمانوس لا تفعل يا أبا محمد فكل أحد يقول عنك انك ما تتكلم إلا فى الخير ولك أنت فى نظير معاونتك عشرة آلاف دينار (قال الراوى) فلما سمع بذلك الحال قال أنت على كل حال أحب الينا من غيرك فضحك المعتصم وقال ما أخرج البرطيل إلا حكيم فقال البطال أين السياف فقال أرمانيوس ما الذى تريد قال أما أنت فلا بأس عليك وهؤلاء الاثنين فما قوام دين النصرانية إلا بهما فلا بد من قتلهم لأنهم لك ناصحين فقال أرمانوس للمعتصم بالله يا أمير المؤمنين بحق دينك لا تمكن هذا الشيطان من قتل هؤلاء لان لهم علينا خدم كثيرة فقال المعتصم أنا مالى فيهم حكم وأمرهم اليه نافذ فقام البطال وقد أحضر السياف فقال له السياف دع عنك هؤلاء حتى نصلب هرمس وبعد ذلك نبيع أرمانوس نفسه ومارس ودارس نقتلهم فتركهم البطال فى السرادق لأجل ما ينظروهم الروم وأيضا يعلم أن لابد لهم من جواسيس (قال الراوى)

هذا وقدعادوا الجواسيس وأعلموا ميمونة أن الملك عندالمسلمين ومارس ودارس فأرسلت الى زوجة مارس تطيب قلبها فشكرتها على ذلك وأما الملك أرمانوس فانه لما خلا مع مارس بكا بين يديه وقال له أيها الملك أنت تخلص بالمال ونحن موعودون بالقتل فبحق المسيح لاتتخلا عنا وارعى لنا قديم الخدم أماتسمع كلام اص المسلمين كيف يقول اننا ناصحين فطيب ارمانوس قلوبهم وقال لى أسوة بكم لأن مايطيب لى عيش بعدكم ولقد صح عندى أنكم بريئين مما يقول عنكم عقبه وانما نكرمه الا انه كبير والكبير يوقر ويحترم فأقلوا من هذا البكاء فالفرج قريب والعاقل مايعادى هذا الشيطان البطال لأنه أينما ذكر حضر (قال الراوى) وأما الامام فانه أحضر عنده البطال وجعل يحادثه ويسامره فقال ياأبو محمد مأأراك تذكر عقبه فقال يامولاى أنا خصم والخصم لايقبل له قول فقال دع عنك ذلك فقد صح عندى كفره وبان لى شره وقد شهدعليه هرمس المجوسى ورأيت خطه فعليك أنت احضاره ان قدرت عليه وعجل مادام نحن فى القسطنطونية ويأتى الأمير عبد الوهاب بالخشبة التى رآها فى المنام وأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلبه عليها ففرح الأمير أبو محمد البطال وقال لعل الله سبحانه وتعالى أن يكون أجله قد حضر ولما فرغ الامام من كلامه وثب عبد العزيز العلوى وقبل أبو محمد وقال أيها الأمير اجعلنى فى حل منك لأنى أرجيتك من أجله فقال ياعبد العزيز نحن نبتهل الى الله تعالى بمن أنت من سلالته الله لايؤاخذك لأن لك الظاهر والله متولى السرائر وانصرف الامام فرحان بماقال الامام فلما أصبح الصباح فتح باب القسطنطونية وخرجت العالم واجتمعت العساكر وركب الامام وكثر الزحام واصطفت الصفوف وتعدلت الألوف وتدانت الحتوف (قال الراوى) وانطبقت العساكر على العساكر وطلع الغبار الى المناخر وكان فى أوائل القوم الاومير الأحد وترس قبر النبى محمد الأمير عبد الوهاب صاحب السيف القرضاب وظالم وضيغم وقشعم والأميرة وهى كأنها اللبوة الكاسره وسيف الحنيفية دامغ النصرانية وبرد بن الأزهر وهارون العلوى وراشد بن ضمره وهياج الكردى وطارق الحجازى وعبد العزيز العلوى وأبو الهزاهز وطمطم وأبو الموت ومن يجرى مجراهم من بنى كلاب والسادات الأنجاب رحمة الله عليهم أجمعين (قال الراوى) وكان فى مقدمة العساكر هؤلاء السادات الذين لهم بالحروب غارات وصهلت الصافنات واختلطت والعبيد والسادات وحمل المعتصم بالله لأنه كما ذكرنا فى الشجاعة بمكان وفى الفروسية له شأن وأى شان فكان البتار يعمل فى أجساد الكفار وأعناق عبدة الصليب والزنار والمسلمين ضجوا بالصلاة على النبي المختار وقصرت طوال الأعمار وانعقد عليهم الغبار وغابوا تحت العجاج

والقتار وقدحت حوافر الخيل شرار فكم من دم قد فار ورأس قد طار وحصان قد غار وشجاع أذن له بالبوار كما قال الله الملك الستار (فريق فى الجنة وفريق فى النار) هذا وميمونة قتلت فى الأبرار وذات الهمة فرقت أصحاب الصليب والزنار وأجهدت نفسها فى طاعة الملك الغفار وطلبت ميمونة فلم تصل اليها من ازدحام الكفار وخاضت فى المواكب فما علمت لها قرار ولم يزل السيف يعمل فى قطع الأعمار الى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وقتل فى تلك الوقعة من الروم خلق لاتحصى ولاتعد وكانوا شيئا كثير ماله عيار ومن عسكر العراق ألف رجل لأن ميمونة مالت عليهم بسودانها وكانوا فى ميسرة المصاف وقتل من بنى كلاب ومن السودان ألف وخمسمائة بطل رحمهم الله وأمسى المساء ورجعت كل طائفة الى مكانها وباتوا المؤمنين ظافرين بأعدائهم لانهم أوصلوا الطعن فى ذلك اليوم الى باب القسطنطونية وعند المساء أتى الأمير عبد الوهاب الى المعتصم بالله وقال يامولانا قد بدأ للملوك رأى عن اذنك أقوله فقال له قل أيها الأمير فكلامك مقبول فقال نصلب هرمس هذا عابد النار حتى يشيع خبره فى سائر الاقطار وتحدث به السفار والتجار ويكون ذلك فى غداة غد على أثر هذه الكسرة فقال الامام أفعل مابدالك وفقك الله الى الصواب فقال الأمير يامولانا وان هم خرجوا الينا وأظهروا القوة علينا طرحنا أنفسنا عليهم ونستعين بالملك الجبار فقال افعل مابدا لك (قال الراوى) ثم أن الأمير اتخذ خشبة لهرمس لها شعبتان وأصبح الله بالصباح اجتمعت الأمراء بعضها على بعض وأقسم الأمير انه يرى رفعه على الروم فقالت بنو كلاب ونحن كذلك وقالت السودان نحن مانريد كسب مال بل نحمل ونقاتل أو نقتل دون مانؤمل فقال عبد العزيز هذا يوم كشف العار وأخذ التار من هذا المجوسى عابد النار لعلى أنال السعادة أو أرزق الشهادة فى طاعة الملك الغفار وفى دون ساعة اصطفت الصفوف من بنى كلاب ومن السادات الانجاب ومن عساكر العراق ونصبت الخشبة التى لهرمس هذا وقد فتحت أبواب القسطنطونية وخرجت ميمونة الكافرة المفتونة ومعها جميع الملوك وهم فى ستمائة ألف عنان هذا وقد رفعوا هرمس الخشبة بعد أن أعرضوا عليه الاسلام وهو كأنه البرج المشيد فأبى الملعون الاسلام وقال عن عبادة النار هذا ولما أن رأت الروم ذلك دقوا نواقيسها صاح راهبها وقسيسها وماجت الدنيا بأهلها وضاق بالناس وعرها وسهلها وقد كشف الأمير عبد الوهاب رأسه وخفف لباسه وأخرج يده من جلباب درعه وكذلك الامير عبد العزيز العلوى وراشد وسعيد وهارون وأولادك الامير مثل ظالم وقشعم وضيغم

(قال الراوى) ونظرت السودان إلى هؤلاء وهم مكشوفين الرؤس فرموا من على رؤسهم طراطيرهم وبقيت رؤسهم تلوح فى ضوء الشمس كانها كيزان الفقاع وأما عقبة اللعين المقطوع النخاع فانه كان واقف على الصور ومعه شومدرس الكفور فقال ياويلكم خلصوا هرمس مما هو فيه وإلا نخسف بكم الأرض ثم تقدم البترك وكسر عكازه وقال إن تم هذا غضب عليكم المسيح هذا وقد مالت الطوائف بعضها على بعض وارتجت من كثرة الركض فيالها من ساعة طارت فيها الرؤس وقتل كل بطل شروس وكل فارس عبوس وضعف الشجاع وأصبح منكوس من هول وقع السيف والرمح والدبوس وكثره الزحام تحت خشبة هرمس حتى زهقت النفوس وحاموا منه عبدة الصلبان ومنعوهم أولياء الرحمن وعقبة يحرضهم على خلاصه وشومدرس المعكوس فوجدوا ما أملوه بعيد والوصول صعب شديد هذا والأمراء ومن معهم فتكوا بالروم الكلاب والأمير ينادى أنا ترس قبر النبى الاواب والاميرة أبادتهم بضرب القرضاب فلم يثبتوا غير ساعة واندقوا بين أيديهم راجعين ونظرت الاميرة إلى ميمونة وهى إلى البلد طالبه فتبعتها إلى الباب وانكسرت عساكر أرمانوس وحل بهم الويل والبؤس ودخلوا إلى البلد وغلقوا أبواب القسطنطينية وصعدوا إلى الاصوار ورموا على المسلمين بالأحجار هذا وقد أمر المعتصم للاتراك أن يرشقوا هرمس بالنشاب ففرقوا اليه عشرة آلاف سهم فى رشقه واحدة فصار كانه قنفد وضربه بعض السودان بقارورة نفط فاحرق بالنيران هذا وعقبه يبكى دما على مصاب هرمس وقال وحق المسيح ما المسيح إلا مسلم والا ما كان أعان هؤلاء على هذه الفعال ثم قال فى نفسه وحق المسيح ليكونن لى يوم أعظم من هذا وسمع بعض السودان وهو يقول العاقبة لمن أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بصلبه على باب الذهب وأن هذا بدرا مبارك فالتفت عقبه إلى شومدرس وقال ياشيخ السوء لا ترجع أنت فطلب من المسيح نجده فما هو إلا قد أسلم ومن لم يدفع عن نفسه اليهود وهم أذل العالم يقدر يدفع هؤلاء القوم الكثيرين المظالم وأنا ياشومدرس مابقى لى مقام فى تلك الديار فان قبلت منى أعزم بنا على الاسفار فى ذلك المركب الذى للتجار ونتنزع من تلك الامصار لانى قد فزعت من ذلك الثعبان الارقط والذئب الامعط أن يسرقنى ويصح المنام الذى قاله نبيهم ولقد علمت أنه صح عند الامام انى كنت السبب فى أخذ أخوات عبد العزيز وأمهم وربما أوراهم خطأ هرمس ومع ذلك فقد كسرت عساكر الملك أرمانوس وهو عندهم فى الذل محبوس مثل بعض التيوس ولو بعث الخليفة طلبنى لسلمتنى هذه العورة المرتده ميمونة ثم انهما نزلا هذين الكلبين النحسين

وأتيا إلى المينا وقصدا إلى المركب الذى عرفوها فوجدوا التجار لهما فى الانتظار وكانوا طالبين إلى بلد الملافطة وأقلعوا فى البحر العجاج (قال الراوى) وكانت ميمونة لما ضربت عقبة فى دار مارس وخرجت أوصت عليه زوجة مارس كما قدمنا فى ذلك الديوان فقالت زوجة مارس ايش أصنع بهذا الشيطان يطلع على أحوالنا ثم قالت للجوار احملوه وألقوه بر الباب ففعلوا ذلك وكان شومدرس أيضا واقف وهو فى وجع من الضرب فحمله على كتفه ومضى به إلى المكان الذى كان مقر فيه حتى حضروا وشاهدوا صلب هرمس وهم وقوف على الاصوار وبعد ذلك نزل إلى المركب كما وصفنا فهذا ماكان من هؤلاء الخنزرين (وأما ماكان) من عساكر الاسلام فانهم باتوا فرحين مسرورين وقد غنموا مالا يقع عليه حد ولا عداد ولولا أن الليل أقبل عليهم لكانوا ملكوا القسطنطونية (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح قدموا أرمانوس قدام الامام ومارس ودارس وقال لأبو محمد لابد من ضرب رقابهم فقال أرغانوس للخليفة إن قتلتموهم اقتلونى قبلهم وأنا أقسم عليك ياأبو محمد إلا ما سألت الامام أن يبيعهم لى فقال الامام أمرهم عائد إلى البطال ولكن أنا أسأله فى ذلك الأمر لعله ينعم بذلك فقال أبو محمد السمع والطاعة لله ولك ياأمير المؤمنين وقدم ارمانوس وقال له أريد منك أم عبد العزيز العلوى وان أطير رقبتك برجلى وان تسلم إلى عقبة وتحمل المال فحلف ارمانوس أيمان مغلظة أن ماعنده من أم عبد العزيز خبر وأما عقبة فهو قسيس المسلمين ان كان عندنا أوصله اليك والمال أحمله اليك وإذا لم تعفوا والا هلكت العالم فأجاب الإمام إلى ذلك وأتى أرمانوس بأموال تعجز عنها الجمال والبغال وسأله عن عقبة فقال البطال لما فتح الباب درت عليه فما وجدته ووطىء الإمام رقبة ارمانوس برجله وحلف على أم عبد العزيز أربعين يمين أن يقفوا أثرها ثم رحل المعتصم بالله إبراهيم أبا إسحاق طالب الى ملطية والناس قد زاد فرحهم بهذا النصر والظفر والغنيمة العظيمة وقد تقدم الأمير عبد الوهاب فى أوائل الناس وقال لأبو محمد ماتركب معنا فقال لا والله يا أمير اننى أريد أن أتخف أنا وولدى مذبحون وندخل إلى مدينة القسطنطونية ونركب فى مركب من المينا ونكشف خبر الملعون عقبة وخبر أم عبد العزيز فسار الأمير وقد ودع أبو محمد وكذلك الأميرة وعبد العزيز ومن يلوذ بهم من الأصحاب (قال الراوى) وبعد ذلك سارت بنو كلاب والسودان الأنجاب وفى أوائلهم الأميرة ذات الهمة رحمة الله عليها ودارت الجيوش كتائب والمعتصم بينهم وقد ضاق بهم وسيع الفضا ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى أوائل الدروب وهو الدرب المسمى بالباطلين وإذا هم بالخيل

تدفع بعضها بعضا وتتأخر وتشخر فتأملوا الناس ما السبب الموجب وإذا بأسد قد ظهر عليهم هائل المنظر عظيم الخطر لونه أحمر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى إذا همهم وزمجر وقد وقف قدام العسكر ويحث الأرض بيديه وهو واقف على عجزه ورجليه يمنع من يصل اليه وقد اقشعرت الأبدان لرؤيته والبرق يلمع من جفون مقلته وقد ارتعبت الأجسام عند مشاهدته وكان هذا الأسد من قدر الثور أعظم ما يكون من الدواب (قال الراوى) فالناس على ذلك وإذا قد خرج اليه من العسكر فارس كأنه طود أو بعير حل من قود وهو على حصان كأنه قلة من القلل أو قطعة من جبل فتأملوا الناس ذلك الهيكل وإذا به أبو الهزاهز وان حصانه لما رأى الأسد شخر ونخر وفتح منخريه ورجع الى وراء ولم يطاوعه على الدخول اليه عندها ترجل أبو الهزاهز عنه وقد شمر عن سواعد كأنها الصوارى وأخذ سيف فى يمينه ودرقته بشماله وأدار أذياله فى دور منطقته وسار إلى الأسد ثم زعق عليه زعقة منكرة وقد خطا اليه ثلاث خطوات (قال الراوى) فلما رآه الأسد فتح فاه وحفر وهمهم وزمجر وضرب بذنبه جنباه وبعد فسمع صوت كأنه الرعد القاصف ثم زعق زعقة حلقت الخيل ركابها ورجع أوائلها على أعقابها لشدة تلك الصيحة ثم انه امتد حتى صار كمثليه واجتمع حتى صار كثلثيه ووثب على أبو الهزاهز وثبة أسدية فالتقاه أبو الهزاهز بنخوة عربية ثم انه أتاه وساواه وإذا جاء الأجل انقطع العمل وقلت الحيل فضربه أبو الهزاهز بالسيف مرت الضربة من على ظهر الأسد وقد نخع عنها ولم يبالى بها ثم ان الأسد مد مخلبيه الى أبو الهزاهز وكمش عليه وجذب فوقعت فى بطنه وقد جذبه فوقع على ظهره وصار تحته وجعل يلغ فى دمه وهو بارك عليه (قال الراوى) ولما ان رأى الأمير عبد الوهاب والأميرة الى ذلك فبكوا وبكت سائر الأمراء وقال الأمير كم قد شهد أبو الهزاهز معنا من المصادفات وكان مكتوب على جبينه هذه الموتة ولقد كان ركننا للمسلمين فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فبينما الأمير فى ذلك الكلام وإذا بفارس قد خرج كأنه برج بازخ أو جبل شامخ فتأملوه العالم وإذا به سملق فلما صار عند مصرع أبو الهزاهز بكى وأن واشتكى وأنشد يقول .

آه واحسرتى على أبو الهزاهز ٭ ذلك السيد الهمام المناجز
فارس الحرب والذى كان ركننا ٭ ورجاها فى الروم ليس بعاجز
كم له صولة على كل من كان ٭ عليه ويخشاه كل ليث مناجز
سوف آخذله من الأسد الثار ٭ وأردى الآساد بين الهزاهز

أو أكن لاحقا به لست أختار ✿ حياة بعد الأمير المناجز

(قال الراوى) فلما قرب سملق من الأسد ورأى دم أبو الهزاهز على الأرض جارى اسودت الدنيا فى عينيه وكان أبو الهزاهز أعز الناس عليه ثم انه خطا إلى الأسد ثلاث خطوات واتبع الخطوات بزعقة دوت لها الاماكن وتحرك لها كل ساكن ولما رأى الاسد لسملق مقبل اليه ضرب بذنبه جنبيه وامتد حتى صار كمثليه واجتمع حتى صار كثلثيه وصاح صيحة لو سمعتها الحوامل لوضعت واتبع الاسد مع الصيحة وثبة أعظم من الاولى فأخذ بها سملق ورماه بين يديه وعصر عليه بكفاه فأعدمه الحياة وصار الى الوفاة ومضى الى رحمة مولاه (قال الراوى) فبقى سملق عن يمينه وأبو الهزاهز عن شماله وهذا الأسد حكى عنه بعض الرهبان ان كان عمره مائة وعشرين عام وكان حاضر عند أمير المؤمنين فقال المعتصم كم لهذا الأسد فى هذه الأرض فقال له يامولانا أربعون سنة منها ثلاثين سنة كان هنا ومن عشر سنين ما رأيناه إلا أن كان ذلك الوقت (قال الراوى) فعندها بكوا المسلمين على سملق وأبو الهزاهز وبكى الأمير عبد الوهاب فقال له المعتصم يا أمير لاتبكى عليهم فهذه المونة كانت مكتوبة على جباههم ولقد حدثنى الفقيه عبد الرحمن وكان من المعمرين قال حدثنى الشيخ عبد العزيز وكان قد لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أنا وجماعة من أصحابى وكنا عشرة طالبين المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام فبينما نحن سائرين وإذا بحس خلفنا فالتفتنا ننظر إلى ذلك وإذا هو أسد كأنه ثور كبير فرأيناه وهو مقبل ويقبل موضع ما غشى ولم يزال إلى أن وقف بازائنا ثم قبل الأرض ثلاثة مرات وجعل يمرغ وجهه على الأرض ساعة زمانية ثم جعل يومىء بيده إلى صوب المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك رفع رأسه إلى السماء وصاح ثلاث مرات بصوت غير منزعج وتركنا ومضى ولم يؤذينا فقلنا لقد من الله علينا ثم سرنا إلى أن أتينا إلى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبركنا به ورأينا أنواره وآياته فسلمنا عليه وقد جلسنا بين يديه فقال لنا سيدنا محمد رسول الله ما الذى لقيكم فى طريقكم فقلنا وعيشك يارسول الله ما لقينا أحدا فقال لنا ما أديتم رسالة الأسد فتذكرناه عند ما ذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعدنا عليه ما فعل الأسد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بوسه موضع أقدامكم يقول هنيئا لأقدام سعت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم واما تقبيله إلى الارض فهو يقول هنيئا إلى من نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وقوفه لما وقف بإزائكم فهو يقول بلغوا محمد شواقى اليه وأما إيمائه بيديه إلى المدينة فانه كان يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأما إيماؤه إلى السماء وصراخه فقال

إلهى إن لى ثلاثة أيام لم أذق فيها شىء ولا سلطتنى على أحد من خلقك فبحق نبيك الا ماأشبعتنى فأشبعه الله تعالى ومضى عنكم فقالوا له يا رسول الله ومن أعلمك بذلك فقال أعلمنى به المطوق بالنور جبريل عليه الصلاة والسلام باذن الملك العلام فازددنا إيمانا على إيماننا وأسلم فى ذلك اليوم من المنافقين مائة رجل لأجل هذه المعجزة ورجعنا إلى إلى سياقة حديثنا بعد الصلاة على نبينا وحبيبنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم قال المعتصم بالله أيها الأميران هذا الأسد كان مسلطا على هؤلاء فبينماهم وقوف لوقفته وقد أحرم الناس العبور وإذا قد برز من جانب العسكر شاب كان وجهه دائرة قمر إذا بدر يكون من عمره عشرين سنة خصائله كلها حسنة وبيد هذا الشاب سيف هندى ودرقة حديد صينى فتأملوه الناس وإذا به عبد العزيز العلوى وكان محبا لأبو الهزاهز وسملق حبا عظيما فلما جرى عليهما ما جرى بكى وقال والله ما أريد الحياة بعدهما ثم أنشأ يقول

لى فؤاد قد عاد بالشوق محرق ٭ بعد فقدى رب المكارم سملق
فارس الخيل عند طعن العوالى ٭ وضرغام بالشجاع الموفق
ودموعى لأبو الهزاهز تجرى ٭ من جفونى على الخدود وتدفق
فارس منه الفوارس تغدو ٭ هلعا عند موقف الحرب تزهق
سوف أبكيهما كما بكت الخنسا ٭ ء صخرا فالبكا بى أليق
لو أكن أكلة لسبع اليفافى ٭ أوادده فى الأرض ملقا ممزق

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع المعتصم شعر عبد العزيز قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله أن قلبى يخشى على هذا الرجل الشريف النسب أن تكون أمه فى الأسر ويأكله السبع ثم إن عبد العزيز شمر أذياله ورفعها إلى دور منطقته وأخذ سيفه ودرقته وذكر والدته فجرت دمعته وتصاعدت زفرته ورجع إلى نخوته وطبع عربيته وأنشأ وهو يقول

ألا بلغوا عنى العجوز سلامى ٭ فانى فى وجد بها وسقامى
تفيض دموع العين اذا ماذكرتها ٭ ويعتاد فى حزن نزيد غرامى
ألا يانسيم الريح بالله بلغى ٭ وقولى لها أنى أريد حمامى
وأنى قد بررزت ليثا غشمشما ٭ يريد اختطافى ثم أكل عظامى
فان عاشنى رب السماء لقيته ٭ وأهلكته ضربا بحد حسامى
فلست أبالى ان قتلت فاننى ٭ أرجى بقتلى فى الجنان مقامى

ومابى إلا ما سمعت حديث من ☆ فؤادى بها لايستطيع طعامى
فلوكنت تدرى ياأبى شرح حالنا ☆ وأختاى أسرانى أذل مقامى
وقد جئت أبغى قتل ليث غضنفر ☆ صؤول على الاعداء بكل مرامى
وقد كان عونى أبو الهزاهز ماجد ☆ يكر ولا يعبأ بألف غلامى
عليهم من الله العظيم تحية ☆ ومغفرة أيضا ودار سلامى
وانى على الليث الغضنفر قاحم ☆ لاجعله فى الأرض طعم هوام
فاما خواتى الكل ينعون مصرعى ☆ إذا عدموا منى أجل محامى

(قال الراوى) ثم هجم على الأسد وقد تحير مما شاهد وزعق عليه الأسد زعقة عظيمة وضرب الأرض بيديه وأنشب فيها مخلبيه ثم وثب على عبد العزيز ووثب عبد العزيز عليه وضربه فمع حدة السيف وقوة ساعد عبد العزيز وحدة وثبة الأسد وقع السيف بين عينيه فخرج السيف من بين فخذيه فوقع الأسد نصفين كأنما جزره جزار أو نشر بمنشار فكبر المعتصم وكبر المسلمون ثم ان المعتصم خلع عليه خلعة من ملابسه وأعطاه ذهب ودنانير وغيره وشكره الأمير عبد الوهاب وجماعة بنى كلاب وقالوا لله در عبد العزيز فلقد توحد فى الفروسية فى عصره ولا يوجد فى الدنيا قطا مثله وانما كان لقاه لهرمس فى غير وقت محمود وأصابه ما أصابه لأجل انفاد مشيئة الله تعالى فى والدته وضيعانها وحرقة قلبه عليها ونرجو من الله تعالى أن يجمع بينهما عن قريب ولو سمعنا بها لما خرجنا من بلد الروم إلى بلاد الاسلام حتى خلصناها ولو هلكنا كلنا فى هواها ولكن الأمر إلى الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فشكرهم عبد العزيز وأثنى عليهم ودنا الأمير عبد الوهاب منه واعتنقه وهناه بالسلامة وكذلك الأميرة وسائر الامراء من بنى كلاب والسودان فعندها بكى الأمير عبد العزيز وأنشد يقول

نهى بما قد كان غيرى فليتنى ☆ رأيت وفاتى قبل ما قد دهانا
وكيف يلذ العيش والام أصبحت ☆ ترق لاعداها مخافة عاديا
إذا لطموها لاترى من يجيرها ☆ وان ابتلوها لاترى من محاميا
وان شتموها عنوة وتجبرا ☆ تنادى بذل مالى اليوم رائيا
ولا يرحموها حين يدعو ببعضهم ☆ تقول لهم ويلاه واسوء حاليا
ألا فاقتلونى اننى غير جلدة ☆ ولست أرجى بعد قومى خلاصيا
الا مبلغا عبد العزيز تحيتى ☆ وزينب بنتى حين أدعو بناتيا
أيا أخوتى والله ما كنت عالما ☆ بها لا ذقت القوم موتا مواليا

على انني من فقدها لست انثني ٭ عن الحرب حتى لا يقر بكائيا
فامضى إلى أرض الحجاز مسائلا ٭ مسائلها عنها عساها تناديا
واعلم سكان الحجاز بحالها ٭ لعلهموا يوما يرقوا لحاليا

(قال الراوى) فلما أن فرغ عبد العزيز من شعره وقع مغشيا عليه وكذلك اخواته يبكوا على أمهم ويتصارخون حول أخيهم فلم يبق أحدا من الناس الا وبكى ونسبوا كل ماجرى عليهم وزهدوا فى المال الذى فى أيديهم ولما أفاق عبد العزيز أقبلت عليه ذات الهمة وقالت له يا بنى أقسمت بالبيت ومن حج والتلبية ومن ضج وحق من تفرد بالدوام وكان قبل خلق الانام والضياء والظلام والدهر والاعوام اننى لو سمعت بخبرها لما خرجت من بلاد الروم إلا بها وها نحن متوجهين إلى ملطية وانفذ الجواسيس إلى بلد الروم وأبو محمد قد سار كما قد علمت وملك الروم فعليه الايمان ان لا يقعد عن طلبها ومتى ما سمعت بخبرها ملأت بلاد الروم خيلا ورجالا ولا نطلب الحجاز فلو جاؤا أهل الأرض معك مع انقطاع خبرها لما نفع ذلك وما عسى أن تصنع يا ولدى بالرجال وبين يديك رجالى وأبطالى وقال الامير عبد الوهاب مثل ذلك وقالوا بنى كلاب كذلك وقال الامير موسى بن صالح الكردى أنا والله وصحبى وبنو عمى أيها الاميرمتى ما أمرتنى سرت بين يديك وقال عمرو بن عبد الله وبنى سليم كذلك بطيبة قلوبهم لما قد شاهدوا من انتحابه وحرقته وحسن نيته على والدته وجودة بره لها وقلة صبره عنها وكذلك قال الامير ناقد العبسى (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز ذلك سكن عنه البكاء لا غير وأما الشوق والصبابة فزايده (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك الكلام اجتمعوا على دفن أبو الهزاهز وسملق وقد ورد على قلب الامير عبد الوهاب أمر عظيم لاجلهما وقال سبحان الله لكل أجل كتاب سلما من الوقائع والحروب فأتى لهم الاجل الذى لا مرد له فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أنهما جهزوهما ودفنوهما على رأس الدروب وقبورهما معروفة إلى يومنا هذا وإذا عبرت القوافل للتجار يترحموا عليهما ويقولون هذه قبور المجاهدين ولا يعلمون من هما ولا من قتلهما أبدا (قال الراوى) ولما ان فرغوا من دفنهما قاموا على قبورهما ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع بادروا الناس طالبين ملطية ومعهم أولاد مانع بن ضابط رحمه الله وحريمه وأمواله وكانوا قدأخذوهم كما أوصاهم قبل موته وساروا وقد امتلأت الدنيا من الغنائم (قال) ولما ان وصلت العساكر إلى ملطية أراح المعتصم ثلاثة أيام وبعد ذلك أمر باحضار الغنائم فأحضرت فأخرج لبيت المال منها الخمس وقسم الباقى على الناس فكان شىء كثير وقد استغنت الناس غنا لا فقر بعده وقد عجزوا

الناس عن حمله ثم أن المعتصم أخرج منها سهم وافر للامير عبد العزيز العلوى وأخواته فحلف عبد العزيز انه لا يأخذ من تلك الغنيمة لا قليل ولا كثير فقالت الأميرة للمعتصم يا أمير المؤمنين إن كان عبد العزيز ما يأخذ قسمه فان له معنا زوجة وهو ما دخل بها فجعل قسمه مع قسمها إلى حين يعبر بها فيكون معه صداقها وله ما تأخر (قال الراوى) فلما سمع المعتصم من الأميرة ذلك الكلام قال لها افعلى ما تريدى فعندها التفتت الأميرة إلى عبد العزيز وقالت له يا ولدى اعلم أن الخبر لا يغيب عنا لان مارس ودارس قد أكدت عليهما بأن يكشفان لى عن الأخبار ويطلعانى على الآثار واعلم أن هذه الأموال إذا لم تأخذها لا أنت ولا أخوتك فنحن ما نعطها لاحد بل نعطها للملكه انتونا على ما حصل لهـــا من سهمها هبة منا ومن المسلمين ومالك أنت أن تمنعها من ذلك لان كلما يدخل فى ملكها خارج عن ملكك إلا أن تهبه لك بعد ذلك فيكون على وجه الهدية (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز من الأميرة ذلك علم انهم لا يطاوعوه على مراده فقال لهم رأيكم أعلى افعلوا ما أردتم فأنا الذى لا اخلو بزوجة ولا افرح ما عشت أبدا حتى أسمع بخبر والدى (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من مطرون الراهب الملعون فانه لمـا أخذوه الأمراء مع الملك وأخرجوه ليطعموه وهرب منهم قبل وصولهم إلى المعتصم وأقام فى بعض قرى القسطنطونية وكان قد أخذ أخبار عقبة وشومدرس فسمع أنهما قد هربا فلم يقر له قرار بل قال هـذه العساكر قد مضت وما لقعودى أنا ههنا فائدة ثم انه سار طالب أرض ملطيه وكان المعتصم أيضا طالب ملطيه ثم أن الملعون عارض المعتصم فى طريقه فلمـا أن رآه عرفه فقال له أين كنت يا حكيم فقال كنت يا مولاى بأرض القسطنطونيه أجمع من الحشائش والعقاقير من كل شىء أعرفه ينفع المسلمين وأن أبو محمد رآنى فى الطريق فأخذنى ووضعنى فى صندوق حتى ما أراد أن يقتلنى وقد آلمنى بالضرب وقال على اننى نصرانى لأننى أعفى عن ذلك الشيخ المسكين عقبة فقال المعتصم لمـا سمع ذلك وقد عظم عليه وكبر لديه وقال قلنا أن عقبة خصمهم وهذا مطرون الطبيب الذى فيه نفع للسلمين ويعرف ما لا يعرفه أحد غيره فى صنعة الطب وهو شفوق على الناس (قال الراوى) ثم أنه أسرها فى نفسه إلى أن وصل إلى ملطيه وقسم الأموال وفرق الغنائم على الناس كما قدمنا ثم رحل طالب بغداد ولمـا أن وصلها زينت له الأسواق وزخرفت الشوارع وكان ذلك اليوم فى بغداد يوم مشهود لاجل دخول المعتصم اليها (قال الراوى) ولمـا أن استقر به المقام فى بغداد وكانت الامراء قد وصلوا أيضا مع المعتصم إلى بغداد ولم يتخلف فى ملطيه إلا الاميرة ذات الهمة

لا غير (قال الراوى) وأن المعتصم لما استقر فى ملكه أحضر مطرون الراهب وقال له حدثنى كيف كانت قصتك مع أبو محمد البطال فقال له اعلم يا مولانا أن حديثى عجيب لانى وحق دين الاسلام عزمت أننى أجمع الحشائش من بعد مداواة الاميرة ذات الهمة وإذا قد لقينى جماعة من بنى كلاب فعرفونى ولما أن عرفونى أخذونى وإلى هذا الامير حملونى (وكان الامير عبد الوهاب حاضر فى المجلس عند المعتصم) ولما أن حملونى اليه فقلت انهم لاجل إسلامى يكرمونى وإلى بغداد يوصلونى ولاجل قلب أمير المؤمنين يحفظونى فوحقك يا أمير المؤمنين ما هم إلا أن شاهدونى حتى آلمونى وقد طرحونى على الارض وعاقبونى وضربونى وقيدونى ثم غلغلونى وقد بقيت معهم أسـير كأنهم تملكونى فقلت يا قوم لاى شىء أخذتمونى وعلى ماذا تعاقبونى وبأى جهة تطالبونى فقالوا لى لاجل شهادتك مع القاضى عقبه عند أمير المؤمنين ولولاك كان قد قتله وأراح منه المسلمين وأيضا كان قد أراحنا وأراح قلوبنا فقلت لهم يا قوم أنتم تعلمون ما فى كتابكم وهو القرآن العظيم كتاب الله العزيز الكريم وما فيه من التهديد والوعيد لكاتم الشهادة وأنا أديت أمانة كانت فى عنقى فافعلوا فى ما شئتم إذا كان على هـذا الوجه فان الله تعالى يمضى عنى ذنوبا بذلك قد أسلفتها وأمور قد فعلتها وعلى كل حال فلابد للقاضى عقبة أن يسمع خبرى ويعلم ما بى ثم يوصل حديثى إلى أمـير المؤمنين ويأخذ حقى ممن ظلمنى فقالوا لى يا ويلك إن القاضى عقبة قد أخذناه وهو فى أشد مكان وأسوأ حال وكان قد قيل إنه ماضى إلى بيت المقدس فأوقعه الله فى أيدينا ونريد ننتقم منه ثم أنهم أورونى إياه وهو فى أسوأ حال وهو يقول لقد قال لى مولانا أمير المؤمنين لا تبرح لانك شيخ كثير الاعداء فلم أقبل منه حتى نفذ فى القضـاء والقدر وقد ضرب يا مولانا ضربا لوطرح على الجمال لما ثارت به وإن بعض المسلمين من عرب الحجاز رحمه وسرقه منهم وما أدرى إلى أين قصد من بلاد الله تعالى وإلا كانوا قد صلبوه على باب القسطنطونية مع هرمس الملعون وما كفاهم هذه الفعال حتى أرادوا بى القتل فقلت لهم ولم ذلك فقالوا لى نحن نريد قتلك فقلت ولم ذلك فقالوا لنا فيه غرض وما نعف عنك إلا أن تجيبنا إلى ما نريد ونعطيك العطاء الذى ماعليه من مزيد فقلت وما ذلك وقد أيقنت انى هالك فقالوا تشهد عند الخليفة بأنك رأيت عقبه فى القسطنطونية عند الروم وقد تولى عذاب المسلمين وقتل الموحدين فقلت لهم نعم قالوا وتقول أنه نصرانى وأنه عين على المسلمين وأنه يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر ويركب الفجور فقلت لهم أنا أقول هذا إذاكان يسعكم أنتم فى دينكم فأنا أشاركـكم فى هذا المعنى وحلفت

لهم أربعين يمين على ذلك ولولا ذلك ما كنت رأيتنى ياأمير المؤمنين ههنا أبدا وما برحت معهم على هذا الحال إلى أن وصلت اليك وحضرت بين يديك وقلت الذى قيل لى وأنا من خشية الايمان خائف وانما خوفى من الله تعالى أن أحدث عن ذلك الزاهد العابد الصالح الطيب الانفاس والروايح فى حضرة أمير المؤمنين بما يغضب رب العالمين وهذا ماعندى من الحديث وأنا أسأل أنغامك بأن لا تسلمنى اليهم فينتقمون منى وبعد هذا الكلام فان أردت قتلى فها أنا بين يديك ولا تسلمنى لهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلام مطرون تغير لونه واضطرب كونه وانقلبت عيناه فى أم رأسه ونظر الى الأمير عبد الوهاب وإلى الأرض ساعة فقال الامير عبد الوهاب وقد ألجم الملعون بما تحدث كانه صحيح فقال يامولانا لا تصدق هذا الملعون فى قوله وحق من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه أنه قد كذب فيما قال وابتدأ الامير يقص على المعتصم حديث أبو محمد البطال وماتم له فى طرابلس وحديث مانع بن ضايط ثم قال يامولانا وزوجته وأولاده قد خلصناهم بعلمك وأتينا بهم معنا من بلد الروم إلى ملطيه وهم مقيمون بها فابعث إلى الامير عمرو بن عبيد الله حتى يحملهم اليك ليحدثوك بالقصة التى ذكرناها فقال المعتصم الآن قد خلص من أيديكم وأنا انما أريد هذا وأنتم وربكم أخبر (قال الراوى) إن كان هذا من المعتصم غيظ عظيم لانه كان يتكلم ظاهرا وفى باطنه خلاف ذلك ثم قال لمطرون كن على ما أنت عليه من أمر الطب وعلمه ولا تدخل بين هذا الامير وبين عقبه بكلمة واحدة فهذا شىء قد طال فيه الكلام منهم وما هو شىء ينتهون عنه ولكل واحد منهم حقه على صاحبه من أسباب بينهم لا نقف نحن عليها ولو أراد هذا الامير قتله لكان قد قتله من زمان وبالله المستعان على كل أمر وحال (قال الراوى) وأن الامير بعد ذلك قام من المجلس وقد انكسر قلبه وخجل مما تكلم به الملعون مطرون من ذلك الكلام الذى ذكرناه (قال الراوى) ولما ان قام الامير من مجلس الخليفة اجتمع مع بنى كلاب وجعل يتحدث معهم بما جرى له مع مطرون وما تكلم به الملعون عند المعتصم فقالوا ياأمير كلما تم عليك من يدك وان كنت ضربت رقبته قبل ماهرب لكنت استرحت من هذا كله فقال عبد الوهاب انى قد تمنيت اننى لم أدخل إلى بغداد مما خجلت من هذا الخائن الشيطان وان كان أمير المؤمنين قد استحى منى وقال لى ماقال وما أدرى مافى نفسه وهذا الامر قد طال (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما انفض المجلس قال لشيوخ الاشراف الهاشميين ومن يتعصب لعقبه والله لقد تحيرت فى هذا الامر وهؤلاء القوم مالى عنهم غنى ومع ذلك

فقد بغضت إلى فعالهم بسوء مقالهم وردىء أعمالهم وقد سألتهم فى القاضى عقبه بنفسى وحلفوا برأسى أن لايعارضوه بعد هذا اليوم ثم انهم بعد ذلك تركوه إلى أن مضى إلى بيت المقدس يزور الصالحين ويطوف على العابدين فأخذوه إلى بلد الروم وفعلوا معه أقبح فعال ونكلوا به أشد نكال (قال الراوى) ثم أنه ادعى من وقته وساعته بمطرون وقال له كيف فعلوا فى عقبة فقال يامولانا لا تسأل عن حال عقبه فانك لو نظرت إلى شيبته وهى مخضبة بالدماء وهى مستجيرة بهم ويقسم عليهم بالقرآن ويتضرع إلى الرحمن وهم لايزدادون مع ذلك الايمان إلا تمردا وطغيان وأقول أنه هرب به بعض العرب أوقد أهلكوه وقالوا اهرب وإذا بلغ خبره إلى أمير المؤمنين أنكروه ويقولون مالنا به علم (قال الراوى) فلما أن تكلم مطرون بذلك الكلام لم يبق أحدا من المتعصبين لعقبه إلا وقد بكى وكانت السيدة زبيدة عند سماع كلام مطرون قد سمعت الخبر من بعض الخدم فجاءت إلى مقصورة المعتصم وجعلت تبكى عند سماع كلام مطرون ثم تكلموا بنو هاشم وقالوا ياأمير المؤمنين أن المسلمين كثير فانفذ إلى بلاد الغرب وبلاد المصامده والاندلس واطلب العساكر ثم ابذل لهم الاموال وأعطيهم الديوان وقد تأتك الامم من كل جانب ومكان وتنفد إلى بلاد الترك أيضا فما تحت السماء مثلهم أبدا وتسير بنفسك إلى بلادهم وتقيم هناك سنة أو سنتين أو ثلاث سنين حتى لايبقى فى بلادهم أحد إلا ويصير معك وازهد فى أموال الآفاق التى تحمل اليك واعطيها لهم واجعل تحت ركابك خمسمائة ألف فارس تغنيك عن العرب وغيرهم وابعد هؤلاء الشياطين الذين يدلون عليك بأفعالهم ولولا ما يأخذون من بلاد الروم من الأموال مادخلوا قط إليها الاجهاد ولا لغيره فقال مطرون بعدما سمع كلامهم فى هذا المعنى يامولانا قد كنت سألت مولانا أمير المؤمنين أن يعطينى الأمان وبعد ذلك لم أجسر أتحدث مع مولانا أمير المؤمنين خوفا من العاقبة لأننى أفزع من عبد الوهاب والآن مع غيبته لابد ما أقول ما عندى من الشفقة على أمير المؤمنين فقال له المعتصم وقد تغير لونه قل ماعندك فقال يامولانا اننى سمعتهم يقولون وعقبه يحذرهم منك وهو يقول ياويلكم أن يد الخلافة لاتطاولها يد وهم يضحكون من قوله ثم يقولون نحن مالنا خليفة الا عبد العزيز بن المفضل بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وهو خليفتنا فى ملطية وأعمالها وها نحن صابرين الى حين ينجز لنا مانريد وننصبه فى بغداد وما تركونى حتى حلفونى أربعين يمين وحلفوا الى أنهم اذا فعلت ما يأمرونى به أكون أنا الوزير وقد وعدونى باقطاع فقلت لهم وما عسى أن أفعل وأنا مالى مال ولا رجال فقالوا الى ما نريد منك لامال ولا رجال بل نريد

منك انك اذا وصفت للمعتصم دواء تطرح فيه ما نعطيك فاذا تم لنا ما نريد أعطيناك كلما تريد وقد أعطونى هذا القرطاس وأنا والله لا أعلم ما فيه (قال الراوى) ثم ان الملعون أخرج القرطاس وناوله للمعتصم ثم قال له يا مولاى أخرج من السجن من يستحق القتل أو عليه دم وجرب هذا الدواء فيه فعندها أمر المعتصم بذلك وقد تغير لونه وقد أخرج أربعة أنفس من السجن وأتى بهم إلى الملعون مطرون فأخذ من ذلك القرطاس دون وزن قراطين ثم طرحه فى اناء وصب عليه الماء وسقاهم اياه (قال الراوى) فما استقر ذلك الماء فى باطنهم حتى وقعوا موتى فى الحال فقال المعتصم هذا والله مما يطيب به القلب أخفاهم الله ما الذى فعلت فى حقهم حتى يجازونى بمثل هذا فقالوا بنى هاشم لو رضيوا بك خليفة وأرادوك لقبلوا سؤالك فى حق عقبة وكيف يخفى عليك هذا المقدار أنظر اليهم كيف لم يقدروا على هلاكك جهارا خوفا من الإسلام أن يلعنوهم مدى الأيام ويقصدوهم بالقتال وقد أرادوا أن يفعلوا هذا حتى يقال شرب دواء ومات ويبرؤنهم من اللعنة فهات الآن واعلمنا على ماذا عولت أن تفعل فقال اعلموا ان عقبة غائب وما كنا نريد الا رأيه لأنه يعرف كيف يحاربهم ويتحايل عليهم ولا بد ما أكشف عن حاله واستحضره وأدبر هذا الأمر برأيه لأنه ما يعمل الا ما فيه المصلحة للمسلمين وعسى ان أقبض على عبد الوهاب ان شاء الله تعالى غدا وأقول له ما تخلص أنت من عندى الا بعقبة حتى يحصل عند الناس من ذلك طرف بأنى قد قبضته من أجل عقبة ولا يلومونى فيه أحد وإذا وصل عقبة إلى يكون أبو محمد قد خرج أيضا من بلاد الروم لأن بلاءنا كله منه ومن تحت رأسه وهذا القرطاس الذى أرادوا به قتلى فاحفظه عندك يا مطرون لى حتى أسألك عنه فاحضره (قال الراوى) ثم انهم اتفقوا على قبض عبد الوهاب فى غداة غد وكان جوهر الخادم حاضر هذه النوبة جميعها وكان ممن يتعصب لعبد الوهاب فلما سمع ذلك خاف عليه وقال ان أنا غفلت عنه ولم اعلمه بهذه النوبة هلك (قال الراوى) ثم انه كتب كتاب وأرسله الى الامير عبد الوهاب يقول فيه يا أمير اظهر فى غداة غد انك مريض واستأذن فى العودة الى ملطيه والا تقع فى يد المعتصم فقد عول على قتلك بعد القبض عليك لا محاله واعلم أنه معذور فى ذلك لأنه قد سمع من مطرون مالو سمعته أنا فى حق ونفسى من رجل ما أبقيت عليه وكان تعرضك بهذا الشيطان مطرون من غاية الخطر ثم انه طوى الكتاب وختمه وأرسله مع خادمه فى الليل تحت الخفية فأخذه الغلام وسار به الى أن أتى الى الامير عبد الوهاب ففكه وقرأه (قال) فلما سمع الأمير ذلك كاد قلبه أن ينفطر وقد بات طول الليل تلعب أمواج الفكر به الى أن طلع الصباح وانفجر فجمع سادات بنى كلاب وأعاد

عليهم ما انفذا اليه جوهر فحارت منهم الالباب وحل بهم الفكر وقالوا أيها الامير الاجل والله العظيم لقد حرنا فى أمورنا لاننا نرمى نفوسنا فى كل بلاء عن الإسلام العداء وإذا حصلنا بين يدى الخليفة صار جميلنا عنده فهذه نوبة أعظم علينا من كل نوبة ومالنا غير الهرب الى ملطية كما أمر جوهر ونكون فيها مقيمين هناك فان كاشفنا بالعداوة كاشفناه وان سالمنا سالمناه وان أراد اننا لانقيم فى الثغور رحلنا وتركناه (قال الراوى) فلما سمع الأمير منهم ذلك فقال لهم هذا الذى ذكرتم هو الرأى ولكن مانقدر نرحل فى النهار ولانرحل الا فى الليل حتى يهجم الظلام ونقلع الخيام ونرحل الى ملطية ونكون فيها كما ذكرتم وان عرض لنا عارض دخلنا الى بلد الروم ونفتح بسيوفنا بلادا لايكون لأحد فيها نسبة ونقيم فيها الى أن يدركنا الموت لانى اذا كنت فى بلاد الروم آكل حلالا واعمل صالحا فما بقى فى العمر قدر ما مضى ووالله انى اشتهى لو كنت ما اخلق مما كان مطرون يتحدث بين يدين الخليفة بذلك الحديث الذى فتت به كبدى وانحل جسدى (قال الراوى) فبينما الأمير عبد الوهاب يتحدث مع أصحابه بذلك الحديث وإذا قد دخل عليه صواب وهو خادم المعتصم الخاص فلما رآه عبد الوهاب أظهر الوجع والتكسيل ثم قال يا أجل الخدام ما تريد فقال له ان مولاى أمير المؤمنين يطلبك فقال له أخدم مولانا عنى وخذ لى العذر فى تخلفى اليوم عن الخدمة لأنى قد أصبحت لا أقدر على الخدمة والقيام بواجبها لما أراد الله تعالى واظن ان ذلك من أثر السفر وتعب الطريق فقال له الخادم والله يامولانا ان أمير المؤمنين كثير السؤال عليك وقد أرسلنى اليك ومعى فرس النوبة لتركب عليها وقد أعد لك الخلع لكى يفرح قلبك وتقهر عدوك فقال الأمير لاعدمت همة مولانا لأنه لم يزل منعما على خدامه ومماليكه ولكن ما أقدر فى هذا اليوم على الركوب ولعل أن أكون فى غداة غد قد وجدت الراحة إن شاء الله تعالى وأركب إليه وأقدم عليه فأنا أفتخر بالنظر إليه فقال الخادم ليس هذا بصواب ولا بد من ركوبك ورواحك إلى مولانا حتى يذهب عنك الألم ويزول عنك السقم فقال له الأمير عبد الوهاب مالى إلى هذا سبيل والذى ترى من حالى فهو أوفى دليل فدع عنك يا عبد الخير القال والقيل (قال الراوى) فلما سمع الخادم ذلك علم أن الأمير علم بما قد جرى فعاد إلى المعتصم وقص عليه ما سمعه من الأمير عبد الوهاب فقال المعتصم من اليوم إلى غد قريب فقال مطرون وكان قد حضر مع الجماعة من جملة أرباب الدولة الخواص يا أمير المؤمنين الصواب أن تركب الساعة غلمان الدار ومن حضر فى بغداد من الأعراب والأجناد وتكبسوا عليه وهو على حين غفلة فيأخذوه وإلى بين يدى أمير المؤمنين يحضروه

فانى أقول أنه قد سمع ما أنت عازم عليه وقد أخذ لنفسه الحذر ويصبر إلى الليل ويرحل فقال المعتصم لا تظن بمثل هذا يا حكيم مطرون ومن ذا الذى عندنا يعلم عبد الوهاب بما يكون ويخاطر بمهجته واخذ روحه وهتك ذريته (قال الراوى) فسكت مطرون وقد علم أن عبد الوهاب على غاية من الحذر ولا يقع ولكنه ما قدر أن يرى رد الخليفة (قال الراوى) فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما أن مضى الخادم من عنده أمر بنى كلاب والسودان بالأهبة للرحيل ثم أنه أقام إلى أن أظلم الظلام واعتكر وسكنت الحركات أمر بهد الخيام وقد رحلوا تحت الظلام يقطعون الأرض والآكام فما أصبح الصباح الا وهم قد قطعوا بلاد بعيدة وقد أمنوا على أنفسهم من الطلب (قال الراوى) فهذا ما كان من الأمير عبد الوهاب (وأما الخليفة) فانه لما كان من الصباح صلى صلاة الصبح وقد أتوا الناس للخدمة وانفض المجلس بالقيام والقعود ووثبت الحجاب والشياب وقد رتبهم القبض على الأمير عبد الوهاب وسير الخدام بفرس التوبة والخلع ليأتوا بالأمير إلى حضرته فغابوا ساعة وعادوا والخادم مسلوب الفؤاد فقال له المعتصم ما حالك فقال له يا مولانا رحل عبد الوهاب تحت الليل وما أصبح فى مكانه غير النار (قال الراوى) فلما سمع الخليفة هذا الكلام كاد أن يقضى عليه من شدة الغيظ فقال له مطرون والله يا أمير المؤمنين لقد حسبت هذا الحساب ولكن هيبتك منعتنى من مرادده الخطاب فقال المعتصم وأين يقدر يهرب والأرض سائر جنبانها لى وولاتها فى البلاد والقلاع من قبلى ثم انه أمر قائد الجيوش أن ينفذ العساكر خلف الأمير عبد الوهاب وهو من شدة الغيظ وقع فى التحيير وإذا قد تقدم اليه أمير من الأمراء يقال له مياس الخداعى فقبل الأرض بين يديه وقال أنا أسير خلف هذا الرجل ولا تعرفه إلا منى يا أمير المؤمنين هو وجميع من معه من الأمراء والمقدمين (قال الراوى) ان كان هذا مياس الخداعى آفة من الآفات وبلية من البليات لأنه كان فى أول منشأه يقطع الطريق ويخون السبيل ويأكل الحرام ولا يتجنب للآثام إلى أن سمع الخليفة به وانفذ اليه جيش عرمرم فى خمسة آلاف فارس من عسكر العراق فكسرهم مياس وهو فى خمسمائة فارس من مجمعة العرب فلما بلغ الخليفة ذلك عجب منه وانفذ اليه الخلع وأمنه على نفسه وقد وعده بالاقطاع واستمال قلبه حتى صار فى جملة عساكره ثم قدمه على عشرة آلاف من عرب البصرة وصار عنده من خواص الامراء ولما أن رأى الخليفة ذلك اليوم ضيق الصدر لأجل الأمير عبد الوهاب وثب كما ذكرنا وقبل الأرض وتحدث بما تحدث وطاب قلب المعتصم بكلامه وعلم أنه كفوء بما قال فضم اليه ثلاثين ألف من

الاكراد والاتراك والديالم وقدمه عليهم وقد جهزهم من يومهم ثم أمرهم بالمسير فقال مطرون يا مولانا أريد أن تأذن لى بالمسير مع هذا الرجل حتى ادبر بما احتال على عبد الوهاب وآخذه بالحيلة والحكمة لأنه رجل لا يغلب بكسرة العساكر ولا يذل عند ازدحام الجيوش والدساكر وماله إلا الحيلة والاما يقع لأحد من الأنام (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الخليفة كلام مطرون الملعون استصوبه فأمره بالمسير مع مياس وأمره بطاعته والمسارعة الى ملاقاة الأمير عبد الوهاب وقد سارت العساكر وكان بينهم وبين الأمير عبدالوهاب يوم ونصف يوم (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولم يزلوا مجدين فى المسير حتى وصلوا إلى الموصل وسألوا عن الأمير عبد الوهاب فقالوا قد رحل من عندنا ضحى نهار وما علمنا أن حاله على فساد مع الخليفة والا ما كنا مكناه من المسير فعندها تجرد صاحب الموصل مع مياس فى خمسة آلاف لما أن رأى خط الخليفة مع مطرون وأنفذ إلى صاحب الجزيرة فسار معهم فى خمسة آلاف فارس وتبادروا فى المسير خلف الأمير عبد الوهاب وقد ساروا وراءه ركض وخبب فما وصل مياس إلى نصيبين إلا وهو فى عسكر عظيم ثم أنه سأل عن عبد الوهاب فقيل نزل البارحة وقت العشاء على ظاهر البلد ورحل فى الليل فسار مياس من يومه وقد جد فى المسير وقد أيقن بأخذ الأمراء والأمير من حين قطع نصيبين ثم أنه أراح نفسه وجعل يسير مسيرا الامن خلفه لتستريح الخيل من الكد والتعب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما أن قطع نصيبين أمن على نفسه وجعل يسير مسير الامن لقربه من آمد وميمون الجماس وما هو إلا أن أشرف على البارعية حتى ثار من خلفه الغبار وعلا القتار وملأ الأقطار فقالوا السودان وبنو كلاب ياويلكم خذوا أهبتكم للحرب والقتال لأن هذا بلا شك عسكر الخليفة وإن صدقنى حذرى فما هو إلا دون الخمسين ألف لأن غبارهم يدل على ذلك فقالوا وأن يكونوا خمسون ألف إيش يكونوا فوالله ما يرجع للخليفة من يخبر بخبر ونقلعهم قلع الجزر فقال الأمير عبد الوهاب دعونا من هذا التدبير ما فى الحرب أبلغ من الظفر وهذا خلق كثير ونحن فى عالم قليل ولاسيما أن يكون معهم خدام الخليفة إلى سائر البلاد وهذه البارعية قدامنا وهى قريبة منا ونخاف أن تشتغل بقتال القادمين فيميل بعضهم اليها ويوريهم خط الخليفة فينزلون الينا من خلفنا وهم خلق كثير من الارمن وكلهم يرمون بالنشاب ويرشقون بها الحجرة ولهم صاحب يقال له قحطان بن عوف وهو رجل له ذمام وله دين وهو يركب فى ألف فارس من العرب والصواب ان يطلق أحدكم عنان جواده ويطلع

اليه ويعرفه حالنا ومن نحن ويطلب لنا منه الامان والذمام فان فعل ذلك ألتجأنا اليه وتركنا حصنه وراء ظهورنا والتقينا القادمين بصدورنا وأنفذنا إلى آمد حتى يأتينا ميمون الجماس ومن معه من السودان ويعيننا على قتال عسكر السلطان وان لم يكن لنا عنده ذمام اتكلنا على الملك العلام والتقينا الكل بالحسام فقالوا أصحابه هذا هو الصواب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك أطلق أحدهم عنان فرسه وطلب حصن البارعية وصار الأمير يتلفت من ورائه والغبار يدنو منه وينقشع حتى صار الأمير تحت الحصن فانجلت الخيل للأبصار وبانت عساكر العراق للنظار وهم مثل البحر الزخار فخارت من بنى كلاب الافكار وقد تأهبوا للقتال وإذا بخيل البارعية نزلت نحو الأمير عولت ولما قربت ترجلت وإذا بقحطان فى أوائلهم راجلا يسعى إلى الأمير عبد الوهاب فوجدوه قد ركب فى أبطاله ورجاله الشجعان ومعه أجناده والأقران لأنه رأى من على القلعة غبار الأمير عبد الوهاب اليهم سائر وغبار الخليفة من ورائهم ثائر فركب فى وجوه قومه ليكشف الخبر وإذا برسول الأمير عبد الوهاب قد التقاه وحدثه بما حمل من الكلام وطلب منه المعمولة والذمام فقال أى والله ثم نزل فى ألفين فارس مثل الليوث العوابس منهم ألف عرب وألف أرمن شمسية ومن نصارى البلد وصار حتى وصل إلى الأمير عبد الوهاب وترجل له كما ذكرنا واعتنقا وسلما على بعضهم البعض وقال يا أمير كيف أنفذت إلى تطلب منى الذمام وأنا من بعض غلمانك والخدام فشكره الأمير على ذلك ثم أنهم أعادوا إلى ظهور الخيل وترتبوا للقتال واللقاء (قال الراوى) يا سادة يا كرام وانتشرت الجيوش والكتائب حتى ملأت المشارق والمغارب وأخذت عليهم الطرق والمذاهب وهم ينادون أين تأخذون يا منافقين ونحن لكم فى الطلب بالثارات القاضى عقبة بن مصعب والفقيه الذى هو فى العلم مجرب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها حمل الأمير عبد الوهاب وحملت السودان وبنى كلاب الأنجاب ثم حمل الأمير قحطان وتبعته الارمن والشمسية ومقدمهم وكبيرهم فى أوائلهم مثل البعير وكان من جبابرة الارمن يقال له لوكيك بن بولص وكان أرمى أهل زمانه بالقوس وأشدهم نفس فحمل ذلك اليوم فى أوائل الارمن واشتد وكثر المحن وجرت عليهم صروف الزمن ووقع الخيل بالخيل والضعف والوهن وقحطان صاحب البارعية حمل على الفرسان وأباد بطعناته الأقران ونكس بحسامه الفرسان وتفاضت بنى كلاب والسودان الانجاب وقد أرمت أرواحها بين يدى الامير عبد الوهاب إلى الهوان والأمور الصعاب ودام الطعان

والضراب وخذلت المناكب والاعصاب والابدان وقصرت الايادى عن قبض السنان ووقع النقص فى جيش الامير عبد الوهاب وقد تكاثرت عليهم العساكر مثل السحاب أو البحر العباب وقد قتل ثمانمائة من السودان وبنى كلاب وقتل من عسكر العراق خمسة آلاف وأضعاف ذلك فى الحساب ولما قرب المساء التجأت عساكر الامير إلى حصن البارعية مع جملة الارمن والعرب وقد حل بهم التعب وأشرفوا منه على العطب ودارت بهم العساكر عند هجوم الظلام وقد ضربت لهم الخيام ونزل مياس الخزاعى مقدم عسكر العراق فى مضربه ثم قال وأين الشيخ ناصر الدولة مطرون حتى يدبر فى كتاب نكتبته إلى صاحب هذا الحصن ونعلمه اننا عساكر الخليفة ونأمره أن يسلم خصمنا الينا وإلا هو يعلم مايلقاه منا ومن الامام والسلام (قال الراوى) فعندها طلب مطرون فى العسكر فلم طلع له خبر ولا وقع له على أثر فقال مياس ياقوم إلى أين مضى لأنه ماهو من رجال الحرب فقول قتل ولكن هو وعد الخليفة أن يأخذ عبد الوهاب بالحيلة وما أقول أنه غاب إلا فى هذه الأسباب (قال الراوى) ان كان السبب فى غيبة مطرون الملعون أنه لما التقى العسكران وانتشب القتال بين الفريقان ورأى الامير قحطان وقد شد من الامير عبد الوهاب كادت مرارته أن تنفطر وقال وحق المسيح لولا هذا الشيطان ماكان يثبت عبد الوهاب فى هذه الليلة إلا فى قيود الذل والهوان وما دام قد انتصر له ما بقينا نقدر عليهم لانهم يقاتلون إلى أن يرون منا الغلبة فيصعدون إلى هذا المكان الذى ما على وجه الارض مثله وربما أنفذ عبد الوهاب الى آمد فيأتى اليه ميمونة الجاس فى السودان وينكسر عسكر السلطان وأقع أنا مع الامير عبد الوهاب فيعذبنى عذاب ماعذب به انسان وما بقى فى الأمر الا الحيلة والاقصتنا طويله ثم انه ترك الناس فى القتال وطلب القلعة ولم يزل صاعد حتى صار عند الباب وقد لقى مشقة عظيمة من التعب ثم انه دخل فى زى الارمن وقصد الى البيعة الكبيره ثم دخلها فوجد فيها جماعة من النصارى والقسوس فاستقبل الشرق بعد أن سلم ووقف يصلى ويسمع مايتحدثون أولاد النصارى لعله يجد فى كلامه راحة واذا برجل قد دخل من باب البيعة ومعه جماعة من أولاد النصارى فى زى الغلمان ودخل بعدهم مشايخ النصرانية وعليهم ملابس بهية ولهم رائحة زكية وبينهم شيخ طويل اللحيه والشيبة عظيم الهيبة وهم الكتاب وأصحاب الحساب وأرباب الاقلام الأقلام وكلهم يعظمون الشيخ الذى بينهم ويبجلونه ويرفعون قدره ويخدموه ولم يزالوا سائرين الى أن توسطوا البيعة فقامت لهم القسوس والرهبان ويتلوا بين أيديهم الانجيل ودخل مع الشيخ المقدم ذكره راهب ومعه جماعة من الرهبان وتقدم بعدما كشف رأسه

وشد وسطه بزنار وقال قولا كفر فيه هو ومن معه بالملك الديان والتفت الى الرهبان والقسوس وقال لهم انظروا لايكون عندكم مسلم فقالوا لا وحق المسيح فقال لهم ابسطوا أيديكم حتى ندعو المسيح لعل يكف خبر الشيخ النجيح ونبلغه مناه من حساده وأعداءه قبل أن يدفن فى الناؤوس واعلموا يا أولادى انى مادخلت فى هذه الساعة للبيعة وأمرتكم بالدعاء للشيخ النجيح عقبه الا من غضبى من هذا الكلب قحطان وخروجه اليوم الى معونة أعدائنا وأعدائه ولكن لابد ما يبلغ الخليفة ذلك فينفذ يقلع آثارنا ويخرب ديارنا وأنا ما طلبت ذلك الا ليظهر خبر القاضى عقبة فيعمل معنا مثل عوائده الجيلة (قال الراوى) فلما سمع مطرون ذلك الكلام امتلأ قلبه فرحا وتقدم الى الشيخ وهو يبكى ثم قال أيها السيد أنا خليفة المعدوم والمجاهد المرحوم الذى زين به المسيح الأرض كما زين السماء بالنجوم واعلم انى أنا الشيخ الناصح لدولة خليفة المسلمين وسيد الحكماء والمقدمين مطرون الطبيب وخليفة عقبة وقت ما يغيب وما جئت الا فى طلب هلاك أعداه وأبذل روحى فى هواه لعلى أبلغه مناه (قال الراوى) ان هذا الشيخ الذى ذكرناه وزير الأمير قحطان صاحب البارعية وكان اسمه حجيون وهو خبيث ملعون ويحب النساء والبنات مفتون وانه لما سمع كلام مطرون قام له وخدمه وقربه وأكرمه وقال له أيها الشيخ الناصح ففى أى وقت دخلت علينا وكيف أقدمك المسيح الينا فقال دخلت كيما تعينونى لادبر حيلة على الأمير عبد الوهاب وأفنى كل ما معه من السودان دبنى كلاب وأشفى بذلك قلب الشيخ النجيح وأرضى السيد المسيح فقال الوزير اعلم ياأخى اننى وزير صاحب هذا الموضع والقلعة لحكمى واليه يرجعون وأنا أعاونك على كل ماتريده وأسلم إليك أعاديك وأبلغك فى جميع الأمور رضاك وأهلك صاحبى فى رضا الشيخ النجيح وهواك ولكن بشرط أشرطه عليك وأرجوا تمامه على يديك فقال مطرون وقد طار قلبه من الفرح وما هو يا مولانا اشرط ما شئت حتى أبلغك ما هويت (قال الراوى) فقال له أعلم أيها الشيخ الناصح انى لى خمس سنين أهوى امرأة صاحبى قحطان لأنها أحسن نساء أهل هذا الزمان وقد كان فى نيتى أن أقتل بعلها وأملك هذا المكان ولا أترك فيه من أمة محمد إنسان ولكن قد خفت من الخليفة أن يبلغه ذلك فيبعث إلى عسكر خراسان وجيوش لا يكون لى الى دفعها إمكان وأهلك أنا وعبدة الصلبان ولا يكون لى فى ذلك مساعد ولا معين فان كنت تأخذ لى منشور من الخليفة بالأمان سلمت اليك هذا المكان واعمل عملا على هلاك صاحبى قحطان (قال الراوى) فلما سمع مطرون الملعون ذلك الكلام قال أنا أحلف لك بالانجيل أربعين يمين أنى أنفذ لك من بغداد منشور بخط

الخليفه بأن لايعرضك فى هذا الموضع معارض من المسلمين فقال اذا كان الأمير على ما ذكرت فأنا أخرج الساعة واستحلف كل ارمنى ونصرانى فى الحصن حتى يكونوا لنا اعوان وإذا أنفصلت العساكر عند المساء من القتال وطلع الامير قحطان وعبد الوهاب أمير بنى كلاب والسودان الانجاب أمرت أنا كيلوك المقدم على الارمن أن يقبض على الجميع لانه قد تحدث معى فى هذا ألف مرة وأنا أقول له هذا الا يتم ولا يسمعون المسلمين بذلك ويقعدون عنا ولا يتركونا فى وسط بلادهم نعبد المسيح والساعة بعدأن تأتينا أنت بخط الخليفة ما يبقى علتنا فزع ولا خيفة فقال مطرون اعلم أيها الوزير ان هذا التدبير ما تبلغ به مراد لان عبدالوهاب ما يطلع إلىالحصن إلا فى جماعة من السودان وبنى كلاب وان تحرك من الارمن ساكن أفنوهم ولو كانوا بعدد التراب وما تقدر عليهم إلا بهذا الدواء (قال الراوى) ثم ان الملعون أخرج حشيشة كانت معه قد خبأها وكان قد أتى بها من بلاد الروم أقطع من البنج الاقريطشى وقال خذها معك فهى المراد لانه دواء أعرفه وإذا طلعوا القوم وهم تعابا من القتال أترك هذه الحشيشة فى خوابى الماء وأمر غلمانك أن يسقوهم منه على آثار التعب وإذا شربوا من الماء انصرعوا ولو كانوا عشرين ألف وتأخذهم أخذ بالكف ولا يسيل من أحد محجم دم ففرح جيحون بذلك وخرج وقد أنزله فى البيعة وأقام حتى أمسى المساء وانفصل القتال كما ذكرنا ورأى الامير عبد الوهاب نفسه تحت النقصان فأرسل فارسين بجدان المسير إلى آمد وقال لهم قولوا لميمون الجماس يلحقنا سرعة ومعه السودان والابطال أمرنا فى هذا المكان لان اليوم قد بان فى جيشنا النقصان ولولا هذا الامير قحطان ما كان أمسى المساء ومنا انسان فشكره الامير قحطان على ذلك وقال له أيها الأمير مالى وروحى وهذا الحصن وكل من فيه بحكمك وأريد الليلة أن تطلع معى فيمن تريدمن أصحابك حتى تحضر الجميع على الطعام ويصير بيننا حرمة وذمام (قال الراوى) فلما سمع الأمير كلامه استحى أن يرد سؤاله ثم صعد ومعه جماعة كثيرة من السودان وبنى كلاب ولما ساروا إلى الحصن وتقربوا منه التقاهم الوزير حيجون وهناهم بالسلامة ودعى للامير عبد الوهاب فقال قحطان للوزير ياحيجون أريد هذه الليلة أن تمد عسكر هذا الأمير بالاقامة والعلوفات والاكرام ولا تترك فيهم إلا من تحمل اليه العلف والطعام فقال السمع والطاعة يامولاى ومتى نرجع نرى مثل هذا الامير عندنا وحياة رأسك اننى أعددت كلما ذكرت من باكر النهار وفتحت خمس جبان شعير خدمة لهذا الأمير (قال الراوى) ثم أن حيجون صاح فى غلمانه ياويلكم صيحوا بمن فى القلعة من الارمن والشمسية وحملوا الطعام والعلف على الدواب حتى أتولى أنا بروحى خدمة

هذا الأمير (قال الراوى) ففعلت الغلمان ما أمرهم به سيدهم وسار هو قـــدام الأمير قحطان إلى الدار الكبيرة التى فى دار الامارة فوجدها قد كنست وفرشت وأنفذ اليها جميع مايحتاج اليها وماهم إلا ان ترجلوا ودخلوا وجلسوا وترتبوا حتى نقل اليهم من الطعام ألوان ومن المشاوى والمقالى والفواكه والحلاوات ووقف الملعون حيجون فى الخدمة وقد شد وسطه وجعل يصف الموائد والناس من شدة الجوع يأكلون ويتحدثون بما لاقوا فى ذلك اليوم من الحرب فلما فرغوا من أكلهم طلبوا الماء فأمر حيجون غلمانه أن يسقوهم من ذلك الماء المصنوع الذى قد ترك فيه الدواء الذى أعطاه له مطرون (قال الراوى) فوالله مارفعت الموائد وفرغوا الناس من أكل للطعام حتى لعب فى أعينهم المنام وكان أول من انطرح الامير قحطان صاحب البارعية وهو يظن ذلك من تعب الحرب والقتال واتعكا بعده الامير عبد الوهاب ونام موضعه وكذلك السودان ومقدمين بنى كلاب مافيهم إلا من نام موضعه والنوم قد حط عليهم وغلقت أجفانهم وقد نظر الوزير حيجون إلى ذلك فتعجب من حكمة مطرون ثم قال لبعض غلمانه ويلك ائتنى بالناصح مطرون ليشير على بما أفعل بهؤلاء الذين تطرحوا مثل الموتى فغاب الغلام ساعة وعاد ومطرون الملعون معه مثل الشيطان .

﴿ تم الجزء الحادى والخمسون ويليه الجزء الثانى والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال) فلما رأى حيجون مطرون ضحك فى وجهه وقال لله درك ياحكيم الزمان وفريد العصر والأوان فهذه حكمتك قد كملت وهذه أعداء المسيح قد وقعت وحصلت فما الذى تشتهى أن تفعل بهم اطلعنى حتى أعاونك فقال مطرون ما قصدى إلا أن أحملهم إلى عسكر الخليفة بهذه الحالة وأحضرهم قدام مياس الخزاعى حتى يحدث المعتصم بفعالى وأبلغ منهم آمالى فقال حيجون إذا أردت حملهم إلى عسكركم أنا أحملهم على البغال إن كانوا ما ينتبهوا فقال مطرون وحق المسيح لو قطعت من لحومهم ماأحسوا بها لكن قل لغلمانك يأتوا بالحبال لاكتفهم بها وترى العجب (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى حضرت الحبال فجعل الملعون يكبل الرجال ويشد الأبطال وهم مثل القتلى وأول ما كتف الأمير قحطان والأمير عبد الوهاب والسودان الانجاب وبنى كلاب وجعل يشد كل اثنين على بغل وقال لمطرون وغلمانه سوقوا أنتم الدواب حتى أتقدم أنا قدامكم حتى لاينكر أحدا من أهل القلعة أمركم وشأنكم ففعلوا ما أمرهم وساروا وهو بين أيديهم ولم يبق فى القلعة الانفر قليل من فرسان الأمير قحطان بمن ليس له قدر ولا شأن وهم نيام فى منازلهم وباقى من فى الحصن نصارى وأرمن وشمسية وما فيهم إلا من تحدث معه حيجون وحلفه على ما يريد أن يفعله بالإنجيل فلما وصلوا إلى باب القلعة خرج الوزير حيجون بين أيديهم حتى وصلوا إلى كيلوك مقدم الأرمن وهو على الحرس كما ذكرنا فلما أقبل عليه حيجون حدثه بما دبر ثم قال له هذا الذى كنت تتمناه على وتقول لى

كل يوم دعنا نملك القلعة ونقتل كل من فيها من المسلمين وأنا أقول لك نخاف من أمير المؤمنين وها قد خلى لنا المكان وأنا ما أريد منكم غير زوجة الأمير قحطان التى كتمت حبها فاطلع أنت الساعة إلى الحصن واقتل من قد تخلف من العربان حتى نمضى نحن وهؤلاء القوم إلى عسكر السلطان ونسلمهم إلى مياس ونقول له يكبس على باقى السودان (قال الراوى) فلما سمع كيلوك مقدم الأرمن ذلك فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقد طمع فى التقدمة وأن يكون هو الأمير فقال إلى حيجون امض أنت وافعل مابدالك وها أنا صاعد إلى الحصن وأبيد كل من فيه من الفرسان ولا اترك من أمة محمد انسان ثم أنه صعد يطلب القلعة وتم الوزير ومطرون والبغال وراءهم حتى وصلوا إلى عسكر الخليفة (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وأما مياس فانه زاد قلقه على مطرون وهو فى افتكار عليه وإذا هو بمطرون الملعون داخل عليه فلما رآه قام له قائما وقد اعتنقه وهناه بالسلامة ثم سأله عن سبب غيبته لحدثه بما قد دبر فلما سمع ذلك كاد قلبه أن يطير من الفرح ثم أنه خرج من خيمته فرأى الرجال على البغال فأمر بحطهم عن الدواب وأن يدخلوهم إلى الخيام وقد تعجب لما رآهم على تلك الحالة وقد أمر مطرون بالكبس على السودان فركب مياس من وقته وساعته وقد أمر النقباء أن يعلموا العسكر فداروا على العسكر وأمروهم بالركوب إلى القتال (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى ركبت القبائل من كل مكان ودارت بالسودان وهم آمنون فلم يحسوا إلا والعساكر قد طبقت عليهم من كل جانب فثاروا من المراقد وقد عملت الصوارم فى القاعد والراقد ثم انهم أخذوهم فى الحال من أوساطهم فجعلوا يحامون عن أنفسهم وهرب من هرب بعد أن أيقنوا بالعطب (قال الراوى) ولم تعرف السودان من أين دهيوا ولا إلى أين يذهبوا من كثرة العساكر والقتام على الخافقين قد طنب والصياح كادت الجبال منه أن تنقلب وصارت السيوف تعمل حول الحصن وعمل القتال من أسفله وأعلاه حتى انجلى الليل عن دجاه واقبل الصبح بضياه وأصبحت الدنيا ملآنة من القتلى والذى سلم من السودان وبنو كلاب طلبوا آمد تايهين على وجوههم وهم لايصدقون بالنجاة (قال الراوى) ولما أصبح الصباح كانت عساكر العراق قد أسرت من السودان وبنى كلاب خلق كثير وقد قبضوهم قبضا بالكف فشدوهم بأمر مياس الخزاعى ثم أضافهم إلى من معه من الأصحاب وسلم مطرون حيجون وكيلوك الحصن وأمره أن يقتل كل من فيه من أصحاب قحطان المسلمين وشالوا الأسارى على الدواب وهم مشدودين بالحبال وساروا يطلبون بغداد وهم بما فعلوا مسرورين فلما ان كان وقت الظهر أفاق الأمير من سكرة

الدواء ونظر الأمير نفسه على تلك الحالة وأبصر ماقد حل برجاله فظن أن الذى جرى عليهم من قحطان صاحب البارعية فمد عينه فرآه فى أول المأسورين مشدود الوثاق وهو يساق (قال الراوى) فلما رأى الأمير ذلك استغفر مولاه مما خطر بباله فى حق الأمير قحطان وعلم أن مصيبتهم كلها من الملعون مطرون ولم يزالوا سائرين إلى أن أمسى ووصلوا إلى نصيبين فنزلوا وباتوا إلى أن أصبح الصباح وعولوا على الرحيل وإذا هم بغبار من نحو آمد قد طلع وبعد الارتفاع قد تقطع وبان من تحته خيل كأنها العقبان وعليها فرسان سود الألوان مقدمهم ميمون الجماس وهو كأنه الأسد الغضبان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الفارسين الذى أنفذهما الأمير من البارعية قبل أن تتم عليهم تلك البلية لأنهم ساروا إلى آمد واعلموا ميمون الجماس كما ذكرنا فلم يجدوه فى آمد بل كان قد سمع برجل كردى يقال له سلاركان قد ظهر من بلاد الاكراد وأنه قد أكثر الفساد فى البلاد وقطع الطريق وقد صار يركب فى ألف فارس شداد فسار ميمون إليه ومعه الخلع والأموال حتى يستميل قلبه وقلوب من معه من الرجال ويجعله من جملة الأبطال فلما ان وصل إليه أفاض الخلع والأموال عليه وعلى رجاله وأقطعهم الاقطاع الجزيلة (قال الراوى) فلما أن رأوا منه الاكراد ذلك فأطاعوه إلى ما يريد وصاروا له من جملة العبيد وصاروا معه النسوان والأولاد وعاد ميمون طالب آمد وهو فرحان الفؤاد وإذا هو لقى الفارسين فى الطريق فأخبروه برسالة الأمير عبد الوهاب وأمره أن يسير اليه إلى حصن البارعية وقالوا له نحن قد أخذنا خبرك من آمد فسرنا نقفوا أثرك حتى تلحق بالأمراء أنت ومن معك من السودان وتعينوه على قتال عسكر السلطان (قال الراوى) فلما سمع ميمون الجماس ذلك قامت عليه القيامة ثم أنه أنفد إلى آمد أمير من السودان يقال له الأدهم فى خمسمائة فارس من السودان وأمره باليقظة والاحتراز وسار ميمون طالب البارعية فى أربعة آلاف أسود مدرعين بدروع الزرد وبأيديهم الليوت والعمد وسار معه سلار الكردى فى سبعمائة فارس من الأكراد طوال الأجسام كأنهم من بقايا قوم عاد بعدما أنفذوا الى آمد نساءهم والأولاد وساروا مع ميمون الجماس وهو يحدثهم بحديث الأمير عبد الوهاب وكيف أنفذ يطلب النجدة فقال سلار الكردى سير بنا اليه ونحن نلتقى عنه الأعداء ولو انهم ملؤا البيداء (قال الراوى) فشكره ميمون على ذلك وساروا الى أن قربوا من الحصن وإذا بالمنهزمين قد التقوه وكانوا ألفين من السودان وبنى كلاب فلما ان رأوه تبادروا اليه وقد أعلموه أن عسكر الخليفة كبستهم فى الليل وهم نيام وقد جرى عليهم مالايعرفون معناه فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال والله لأن وصل الأمير عبد الوهاب الى

الخليفة لا أبقى عليه ثم انه جد فى المسير حتى عبروا على نصيبين فوجدوا العساكر قد عولت على الرحيل وعبد الوهاب معهم أسير وقد أحدق به ذلك العسكر الكبير (قال الراوى) فلما ان رآهم مياس الخزاعى أرسل اليهم رسول وهو يقول من أنتم ومن تكونوا لأنه قد ظن انها نجدة قد أتته فلما ان وصل الرسول إلى ميمون الجماس قال له قد أتيت إلى الأمير عبد الوهاب فسير اليه وقول له افرج عن الأمير واطلق كل من معك منهم والا أطلقت عليك السودان وأبطال الحبشان يشربون دماءكم شرب الألبان ثم انه أرسل مع الرسول واحد من السودان كأنه فحل جاموس يقال له أبو الموت وكان شديد البأس قوى المراس لم يكن فى السودان أدعر منه ولا أكبر من خلقته ومثل فطسته برأس كأنها مرجل وعيناه كأنهما مشعل (قال الراوى) فسار لما ان وصل الى مياس مقدم عسكر المعتصم وأدى الرسالة وبلغ ماحمل بلا مطاله فالتفت الى أصحابه وقال لهم من هؤلاء القادمين فقالوا له انهم عسكر عبد الوهاب وكانوا فى آمد وقد أتوا الى خدمته حتى يخاصوه فضحك مياس وقال وبلغ من قدر هذا الأسود ان يكون له معاقل وبلاد ويجعل فيها رجال وأجناد ولكن قد وقع بأعماله وسوف يجازى على أفعاله ويهلكه الخليفة وأبطاله وننهب نحن لحريمه وعياله (قال الراوى) ثم انه قبل على مطرون وقال له ما الذى يكون جوابه فقال مطرون يكون جوابه الصفع ويكون صفعا جيدا وتقول له ارجع الى صاحبك وقل له اعلم ان هذا عسكر الخليفة أمير المؤمنين المعتصم وما أخذنا الامير عبد الوهاب الا بأمره وهو الذى أمرنا بذلك فارجع أنت ودع عنك الفضول ولا تدخل بين الخليفة وغلمانه والا أخذناكم معه ونبليكم بالنكال واعلم أن أمر الخليفة مطاع فى سائر الأرض والبقاع (قال الراوى) فلما سمع مياس ذلك الكلام من مطرون صاح على أبو الموت وقال له ياويلك اذهب إلى صاحبك وقل له يرجع فهو خير له فهذا رد جوابه ثم أمر بصفع أبو الموت فصفعوه (قال الراوى) فلما ان صفع أبو الموت انقلبت عيناه فى أم رأسه ثم قال ها أنا راجع إلى صاحبى وأعلمه ولا أعمل عمل بغير أمره والا وحق حام الأكبر وسواد الليل اذا اعتكر وما يشبهنى من الجواميس والبقر كنت الساعة أقلعكم قلع الجزر فضحك مياس منه ثم قال هذا الأسود مجنون (قال الراوى) هذا وقد رجع أبو الموت طالب ميمون الجماس وأخبره بالخبر فضحك ميمون من ذلك فقال سلار الكردى اذا كانوا هؤلاء القوم ماعندهم الا الصفع فارسلنى اليهم فانا أقيم الحرب والقراع فضحكوا السودان من كلامه (قال الراوى) ان كان هذا الكردى يسمى سلار المجنون والجن تخاف منه ومن بأسه وسرعة اختلاسه (قال الراوى) هذا ولما ان سمع ميمون الجماس من أبو الموت كلام

مياس زعق فى رجاله وأبطاله فلبسوا العدد وتدرعوا بالزرد وركبوا الخيل العربية واعتقلوا بالرماح الخطية وتقلدوا بالسيوف الهندية وتمنكبوا بالدرق اللمطية ثم زعقوا يا آل حام يا آل حام وقصدوا الخيام وطلبوا القتال والصدام ولم يكثروا من القيل والقال ولا أمهلوا على ماجرت به عادة القتال فلما شاهدوا عسكر الخليفة ذلك ركبت عن عن بكرة أبيها وجردت نصالها واشتهرت بصولها وقد تزلزلت بهم الأرض طولا وعرض وطلع الغبار الى ان غيب شمس نهارها وازدرت الأبصار وعمل الصارم البتار وقد زحفت الزحوف وأيقنوا بشرب كاسات الحتوف وجدعت الأنوف (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وباتوا الى الصباح فركبوا الجرد القداح فعند ذلك صف مياس عساكره وعبى دساكره وقد جعل عساكر الموصل ميمنة وعساكر الحيرة ميسرة وعساكر نصيبين والعراق جناحين ووقف مياس فى القلب بنفسه وهو يقول أنه يلتى أهل الأرض فى الطول والعرض (قال الراوى) ولما ان رأى ميمون ذلك عبا السودان والأكراد ثم صفهم ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وقد جعل فى الميمنة سلار الكردى وفى الميسرة أبو الموت ووقف هو فى القلب وتصايحت الرجال وهممت الأبطال واشتغلت الاقيال وعملت الصوارم الصقال واختلطت المحافل وامتزجت القبائل وطارت الرؤوس مثل ورق الاشجار وجرى الدم كجرى الانهار وصار النهار مثل ظلام الاعتكار وداركاس الموت على من حضر وفر الجبان وتأخر وتقدم الشجاع واشتهر وحكم فى ذلك النهار القضاء والقدر فسأل الأمير عبد الوهاب عند الصباح وقد استقصى عن الخبر فقيل له أن هؤلاء السودان أصحابك الذين هم مع ميمون الجماس وقد لحقوا عسكر السلطان الذى مع مياس فقال الأمير سبحان الله الذى يأتى بالفرج بعد الأياس (قال الراوى) هذا والملعون مطرون ما اشتغل بالقتال بل كتب إلى الخليفة كتاب يعلمه بما قد جرى من الحال وكيف قد لحقت بهم السودان والأبطال وأرسله مع نجاب هذا وقد دام القتال وقد أقامت السودان والأكراد على قتال عساكر الخليفة وكثرتها إلى أن أظلم الظلام وخفت مواضع الأقدام وعادت الطوائف إلى الخيام سكارى من شدة الصدام (قال الراوى) ولما أن أظلم الظلام افتقد ميمون الجماس رجاله وأبطاله فوجدهم على غاية من التعب والنكال مما قد لاقوا من الأهوال وقد شكوا اليه مالاقوا من القوم فأرسل إلى آمد يعلمهم بما جرى ويأمرهم أن يكتبوا للاميرة ذات الهمة كتاب بهذه الأسباب أن ولدها فى الأسر والعذاب (قال الراوى) فلما أن سمعوا رجاله منه ذلك الكلام رأوه صواب ثم قالوا إن أعدائنا كل يوم

فى زيادة ونحن فى نقصان ولابد لنـــا من قتالهم وحربهم ونزالهم ونقاتل بالسيوف والعمد ونخلص السيد الأوحد والبطل الأمجد فقال ميمون الجماس ما فى قلبى حسرة إلا من هـــذا الشيخ الذى من عسكر مياس الذى يقال له مطرون وأنا أقسم بمن لا تراه العيون لان وقع فى يدى لا ترك رأسه من الصفع مثل الحلاوة العجمية فضحك الناس من كلامه وباتوا إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح فوثبوا إلى الحرب والكفاح واعتقلوا بالرماح وجردوا الصفاح وكثر من عسكر العراق الصياح وحملت السودان والأكراد وتصادم الجيشان وعظم الشان وكل اللسان وعمل الصارم اليمان وبليوا بالحرمان وقطعت أيدى الفرسان وتكونت الشجعان والتقت حلق البطان هـذا وقد قاتل مياس الناس بالشره والباس ولا زال يخرق الصفوف إلى أن التقى بميمون الجماس فتضاربا وتصادما وتباعدا وتقاربا فانقلبت الأرض من شدة ركضهما وخشعت الأصوات من بريق لمعان سيوفهما وقد أيقنا أن الحرب لهما دون غيرهما فاختلفت بينهما ضربتان سبق ميمون الجماس بالضربة فوقعت على ترس مياس قطعته نصفين وصـــار السيف من شدة الضربه قطعتين وأما ضربة مياس فكانت ضربة هائلة فقطعت الترس الذى فى يد ميمون الجماس ووصل السيف إلى كتفه فجرحه جرحا أوهن به وهجم عليه ليأخذه فأدركه سار الكردى ثم منعه من ذلك وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجرى بينهما حرب شديد فنظر مياس من الكردى ما لم يره من ميمون الجماس ثم انهما انطبقا كما تنطبق الجبال وقد أخرجت عنهم الأبطال وتأخرت عنهم الرجال وتضاربا ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وقد اختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة سلار فلما نظر مياس إلى ذلك والضربة هى نازله عليه تحاجز عنهـا فوقعت على رأس الجواد فوقع الجواد فلما أن وقع الجواد صار مياس على وجه الأرض وبادر مياس وضرب جواد الكردى أبرأ قوائمه فلما رأى الكردى ذلك من مياس وثب من على ظهر جواده على الأرض فصاروا الاثنين رجاله على وجه الصعيد ينظر بعضهما لبعض وقد شهدت لهم الأبطال فى المعمعة بعلو المنزلة المرتفعة (قال الراوى) ثم انهما عادا إلى ما كانا عليه وقد عظم بينهما الحرب وتطاولت بينهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقد احتجبا تحت الغبار ساعة من النهـــار ثم هجم مياس على الكردى وضربه ضربة هائلة وطلب بهـا عنقه فأبان رأســه عن بدنه وعاد إلى ميمون الجماس كيما يقتله وإذا قد صـدمه أبو الموت بقوته وزعق فى وجهه وانطبق عليه وكان على جواد أصفر حسن المنظر يسوى عشر بدر وهو ينشد ويقول :

نحن بنى عبس الشداد الجلد   الضاربون الهام بالمهند
ونحن غلمان الأمير الأسود   عبد الإله الواحد الممجد
الأسد الليث ونعم الأسود   ترس النبي المصطفى محمد
دونك يامياس ضربا صرمدى   يقدم هام البطل المزرد
أنا أبو الموت الذى لم أقتدى   بل أحطم الهام بضرب العمد
فدونك الآن وضرب الأسد   وانظر إلى ضرب يقد الجلمد

(قال الراوى) فلما أن فرغ أبو الموت من شعره نظر اليه مياس عرفه وقال هذا رسول ميمون الجماس وكان ذلك اليوم قد عاين قتاله فعرف حربه ونزاله وكانوا غلمان مياس قد قدموا له حصان أبيض كالقرطاس يسبق الرياح ويطير بلا جناح صبور على الكفاح (قال الراوى) فلما قدم له ذلك الجواد فوثب من الأرض صار على ظهره ثم حمل على أبو الموت وهو ينشد ويقول :

الموت لا يلتقى الى الموت ☼ والفوت لاينفع منة الفوت
والليث لا يكره ندى الصوت ☼ إن قلت ليثا قال ذا ليتى

(قال الراوى) ثم انه بعد ذلك حمل على أبو الموت وحمل أبو الموت عليه وقدأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد وقد طلع الزبد على الاشداق وطار الزبد من أبو الموت مثل ضرايب القطن وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق فى أيديهما غير المقابض فتعاركا على الجوادين وتماسكا بالازياق وقد أشرفا على المحاق (قال الراوى) وكان أبو الموت يقاتل وهو يعج مثل الأسد فى الغاب ومياس قد أمل انه يأخذ أبو الموت (قال الراوى) فبينما هو كذلك واذا بمياس قد صاح صيحة أذهل بها الفريقين فتأملوا الناس اليه واذا به يقول ادركونى والحقونى وخلصونى فقد قصف هذا الشيطان أضلاعى (قال الراوى) وكان أبو الموت لما تقابضوا قبض على مياس وهزه هزة اقتلعه من سرجه وأخذه على يديه ولما أن رأت عساكر العراق ذلك فصاح مطرون على الرجال ياويلكم أحملوا وخلصوا صاحبكم قبل ما يهلك فعند ذلك حملت الامم والاكراد والعرب وكذلك السودان حملت تطلب خلاص صاحبها وكذلك ميمون الجماس حمل على جرجاس وعملت الصوارم فى الجماجم وصارت الأرض مثل لون الارجوان من أدمية الفرسان فما كنت ترى الاصدور مخسوفة وعورات مكشوفة وادمية مسفوحة واجساد مطروحة وايدى مقطوعة واناف مجدوعة وجماجم بالصوارم مفروعة واصوات غير مسموعة وقلوب

بالاسنة مفزوعة واحداق عقلوعة وبطون بافاعى الرماح ملسوعة هذا وقد دارت طاحون الفنا برؤوس القنا (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل الى وقت الغروب وأنفصلت الفريقين من القتال وانفصلت السودان وأبو الموت قابض على رقبة مياس كما يقبض الباشق على العصفور (قال الراوى) انه قد قتل فى ذلك اليوم من السودان اربعين رجل وقتل من عسكر الخليفة الف واربعمائة رجل من سائر الأجناس وفقد منهم الأمير مياس واظلم الليل وكلت الخيل وقل القوى والحيل وعم البلا والويل وقد نزلت كل طائفة قدام الاخرى وأضرموا النيران وصاحت حراس الفريقان وقال ميمون الجماس لابو الموت أعلم أن هذا مياس أمير القوم وهو يكون قدام الأمير عبدالوهاب فقال أبو الموت هذا شىء ما افعله وانا فى غداة غد آخذ ابطالهم واقتل بالسيف اقيالهم وانهب أموالهم وقتل هذا القرنان الذى غدر وخان (قال الراوى) فضحك ميمون الجماس من كلامه وقال أياك والكلام الردىء واعلم أن الله تعالى ما خلقك الا تقول الصواب والتواضع فى الطعان والضراب وكسب الثواب وملازمة الآداب والصبر على لقاء العدو والعذاب فقال أبو الموت هذا الكلام ما اسمعه وأنا ما أعرف إيش تقول وان وقع فى يدى ذلك الشيخ النحس مطرون جرعته كاس المنور واكشف رأسه واقرعه وارفع كفى واصفعه (قال الراوى) فتضاحكوا الناس من قوله وباتوا على غاية الشدة وباتت عساكر العراق على غاية من الهم والمضرة ومطرون يقول لهم الساعة ندخل الى نصيبين ونكاتب الخليفة وآمره أن ينفذ اليكم العساكر من كل مكان فقال صاحب الجزيرة وكان يقال له عابس بن سليم وهو أمير مقدم وسيد معظم وكان شجاع وبطل مناع وله أخ يقال له عازب وكان كل واحد منهما يبغض الآخر لأجل الاقطاع والديوان وكان عابس هو المقدم (قال الراوى) فلما سمع كلام مطرون قال له أيها الشيخ الصالح للنار اعلم أن هذا عار علينا لاننا فى خمسين الف فارس من كل بطل مداعس وما قد عدم منا غير مياس وهو من الرجال الموصوفين ولا من أبطال المعروفين وان ماطلع له عند الخليفة اسم الا بقطع الطريق وخون السبيل والا فما كان له أن يتقدم على العساكر فقال له مطرون صدقت أيها الأمير الاجل لاننا فى خمسين ألف ولكن أين كان هذا القول وقد قبض الاسود على صاحبكم مياس وما قدرتم على الخلاص منه فقال له عابس اعلم انه كان مع صاحبه وخصمه وظفر به وما قد جرت عادة المبارزين اذا أخذ أحدا خصمه أن يعاون عليه وانما أنت قلت لنا احملوا عليه بعد الفوات فحملنا وقد أخذوه وفات وما فى مذهب الانصاف أن يعان على تعبان وقد أخذ

خصمه فى الميدان ولو أرادت ترك الانصاف لما أمرناهم بالبراز (قال الراوى) فقال مطرون لما سمع ذلك أيها الأمير أن كان كلامك هكذا فأنا أيضا أخاف أن يحمل أبو الموت على ويطلبنى ثم انه يقبضنى وأستغيث أنا بكم فتقولوا خلوه وخصمه فقال عابس اذا هو حمل عليك مانخليه يصل اليك الا أن كان يضرب بسيفه عنقك فتقتل فما يكون فى أيدينا حيلة (قال الراى) فلما سمع مطرون ذلك الكلام قال قوى الله ظهرى بكم فلقد طيبتم قلبى وقد ذهب عنى كربى ولكن اننى من هذا أخاف أن أقع فى التلاف فقال عابس ما أنت الا قد دخل قلبك منه الفزع والجزع فالتفت مطرون وقال للعساكر اسمعوا منى كلكم وأطيعوه لأن هذا أميركم والمقدم عليكم فقالوا كلهم سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم انهم باتوا ليلتهم إلى الصباح ولما أن كان الصباح تارت الأكراد والسودان وركب ميمون الجاس فى رجاله الأجواد وقد رتبهم كما جرت العادة وأوصاهم بالقتال والنزال وتقدمت الأبطال هذا وان عابس من فرحته بالتقدمة قد أعطى مكانه لرجل من عسكر الخليفة وقد أمره أن يخلفه ثم خرج الى بين الصفين وجال قدام الفريقين فخرج اليه فارس من أجناد سلار الكردى فطال معه مقامه حتى أسره وخرج اليه ثانى فقتله وثالث فملكه ورابع أهلكه (قال الراوى) ولم يزل على كذلك إلى أن كل عن الجولان وهابته الفرسان فى حومة الميدان وموقف الطعان فنادى من شدة ماأصابه ياويلكم ياأندال العبيد أين أبو الموت فليخرج إلىّ عاجلا حتى يبان منا المبارز من العاجز ثم انه أنشد وجعل يقول

ألا أيها السودان أين شجاعكم ... وجاموسكم أعنى أبو الموت فى الحرب
تعودت ضرب الهام فى كل معرك ... اذا نشرت نفس الجبان من الكرب
فان كان مياس الخزاعى أسرته ... فسوف ترى منى همام بلا كذب
سآخذه كالقرد ثم أقوده ... إلى خير من فى شرقها اليوم والغرب
خليفة جبار السموات والذى ... تعم مطاياه الى سائر الصحب
وأحظى بما قد قال مطرون انه ... لنا ناصح وهو المعظم فى القلب

(قال الراوى) فما استتم كلامه حتى هم ميمون الجاس بالخروج فصاح به أبو الموت أيها الأمير لاتتعب نفسك على مابك من الجراح وأنا أكفيك شرهم وأصرم عمرهم ثم انه حمل عليه وقد أجابه على شعره يقول

ألا أيها المغرور بالزور والكذب ... رويدك فادنو اليوم بالذل من حربى
ستعلم من ينقاد للحرب نابح ... وأنت من الأندال فى موقف الكلب
ومن بعده مطرون أقطع دماغه ... لأشفى غليلا قد تمكن من قلبى

وحق النبي المصطفى سيد الورى ... وأكرم أهل الأرض فى الشرق والغرب
لقد جزتموا فى حكمكم وقبضتموا ... أمير كلاب كاشف الغم والكرب
وضارب هام الروم حقا بسيفه ... يمكننا فى كل يوم من النهب
وهيهات أن تمضوا به بل نعيقكم ... بكل شجاع لا يحل من الضرب

(قال الراوى) ثم انه صاح مثل صياح الأبالس وزعق على عابس وقد صدمه وبقى مطرون ينظر اليه لأنه خرج حتى شاهد قتال أبو الموت فكان كلما يشاهد حملاته يتغير لونه ويضطرب كونه وتنهد قوته وتنفطر مرارته هذا وقد تطاعنا بالرماح ساعة ولم يطل بينهما الخطب حتى هجم عابس على أبو الموت بطعنة شاذة وقد قصد بها فؤاده وقد ظن أنها قاتله فصبر لها أبو الموت حتى كادت أن تصل إلى صدره هنالك ضربها أبو الموت بالحسام أبراها كبرى الاقلام ثم خرج عنه موليا فتصايحت الفرسان من كل جانب ومكان وقد فرحت بذلك عساكر السلطان وقد ظنوا أنه قد انهزم وكذلك عابس ظن أن أبو الموت قد خاف منه وقد أراد أن يستر نفسه بين الفرسان فلذلك ما اكترث به فأراد أن يستر نفسه من الطعنة فبادره أبو الموت بالطعنة فى صدره مرق السنان من ظهره أرماه على وجه الارض (قال الراوى) فلما نظروا عساكر السلطان الى ذلك حملوا عليه بحنق ولم يبق راميا الا ورشقه هذا وأبو الموت قد صاح فى السودان وميمون الجماس وفيمن معه من الاكراد والعربان وعمل الصارم اليمان فى الابدان وجرت الدماء كالغدران وعلا الصياح من كل جانب ومكان وظهرت العجائب وتمت المصائب وتمايلت فى سروجها السلاهب وعضت الخيل على لجمها وتقطعت حزمها وعطشت أكبادها وغرقت أجسادها ولم تزل الحرب تضرم نارها ويتزايد شرارها ورجعت كل طائفة الى قرارها هذا وقدوقع بينهم الكلال وفقد جماعة من الرجال وهلك من عساكر الروم خلق كثير (قال الراوى) ولما أن رأى مطرون الى ذلك دخل البلد وأمر الناس بالدخول وقد وجدوا لذلك راحة عظيمة خوفا من السودان أن يكبسوهم فى الظلام (قال الراوى) ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أدعى مطرون بالأمير مازن مقدم الموصل وقال له لقد أعطينا الولاية لغير أربابها والأمانة لغير أصحابها والخلع والتشريف لمن لا يليق ولولا أن معنا لما قدمنا سواك والآن قد رجع الحق إلى أهله فدير أنت اليوم القتال فأنت المقدم على سائر الأبطال وعسى أن تكفينا شر أبو الموت فضحك مازن وقال والله إنك شيخ قرنان وقليل العقل تريد أن ترميني إلى البلاء لا ننى أنا أخاف من الموت تريد أن ترميني إلى أبوه هذا شيء ما أفعله أبدا ولا أسمعه ولو أعطيتنى ملء العراق وجميع

افاق ما لآخرجت أنا اليـــه ولا قدمت عليه فضحك مطرون من قوله وقال له أنت على كل حال مقدم وما بقى غيرك رجل مذكور ولا أقدر أقدم على عساكر السلطان الا من قدمه الإمام ولولا ذلك لما قدمك على هذه البلاد فقال مازن لاتشكرونى فما فى هذه العساكر أدبر منى فاختار أنت لهذه الولاية غيرى لئلا يجرد عليك الخليفة اذا سلمت الولاية لغير مستحقها ومع هذا اننى أقول لك وما أستحى منك وهو انك خرجت مع هذه العساكر من العراق بعد ماضمنت الأمير المؤمنين انك تأخذ الأمير عبد الوهاب وتأخذ معه أبطال بنى كلاب ونحن الآن ما نريد لنا مقدم سواك (قال الراوى) فلما سمع ذلك مطرون قال والله مارأيت قط أذل منك وأنا ما ضمنت للسلطان الا انى آخذهم بالحيلة وقد فعلت ذلك ومع ذلك انى ما أنا من أهل الحرب ولا فارس الطعن والضرب فقال مازن وأنا أيضا ماهذا شغلى بل ان كنت تجعلنى وزير فانا أفعل ذلك لأن أبى لما أراد أن يموت أوصانى بمكانه على سبيل النيابة والا فما أنا من أصحاب الحرب (قال الراوى) فلما سمع مطرون كلامه علم انها نوبة مدبرة فقال والله لقد قطعت ظهر المسلمين فلا كتب الله عليك سلامه ولا كانت ساعتك ولا ساعة رأيتك فيها فقال مازن وأى قرنان أشتهى أن يراك ولولا كتاب الخليفة جاء الينا ما أطعناك أبدا (قال الراوى) فعند ذلك أمر مطرون الناس بالقتال من غير براز ولا نزال فحملوا على السودان من كل مكان وحمل أيضاً ميمون الجماس ومن معه من السودان والأكراد وقد التطموا الجيشان من أول النهار الى أن أقبل الظلام ولم ينفصلوا لأن مطرون أمر بذلك فبات السيف يعمل فى الليل فكانت السودان الرابحون ولم يزالوا فى القتال الشديد والحرب الأكيد عشرة أيام هذا وقد اشتد الأمر على مطرون فعند ذلك انقدحت له حيلة يعملها فعول على انه يقسم الناس نصفين ويترك النصف الواحد يكبس به ميمون ويشغلهم بالقتال الى أن يصبح الصباح ويأخذ الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وغلمان الدار الذين للخليفة ويرحل فى أول الليل فما يصبح عليه الصباح إلا وقد قطع البلاد ولم يعلم بهم أحد من العباد (قال الراوى) فهو عول على ذلك الحال وقد أصبح فى اليوم الحادى عشر وهو يحدث نفسه لمن يريد أن يأخذه معه ويرتب العسكر وإذا بغبار قد سد الأفق وأظلم الطرق وحجب ضياء الشمس عن الأبصار وبعد ساعة ظهر من تحته عسكر جرار فشخصوا نحوه بالأحداق وتطاولوا بالأعناق وظنت كل طائفة انه لها فطلبوا منه الفرج (قال الراوى) هذا وأصحاب ميمون قد بان فيهم النقص لأجل من قتل منهم فعند ذلك أرسل ميمون من يكشف له الخبر ويعلمه بصحة الأمر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان كتاب

مطرون الملعون وصل الى الخليفة على جناح الطير وهو يعلمه بما جرى من السودان وميمون الجماس فلما سمع الخليفة ذلك صعب عليه وكبر لديه وقال هذا عبد الوهاب قد صارت له البلاد ورجاله وغلمانه ينجدوه فى كل مكان ولذلك ينافق على السلطان ويطلب أن يكون صاحب الوقت والأوان ثم انه أمر أن ينادى فى العراق وأعمالها بالخروج ومن امتنع ضربت رقبته فلم يتخلف أحد من الناس فتجردت العساكر فكانت سبعون ألف من كل ليث عابس وهو للحديد لابس وقد جعل المقدم عليهم فارس شديد وبطل صنديد يقال له معن بن مرة ثم أحضره بين يديه وأخلع عليه وقال له لاتترك من عسكر ميمون الجماس لا كبير ولا صغير حتى لايطمع أحدا فى ذلك الفعل ولا يفعل مثل فعلهم فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ولو نزلت بهذا الجيش الى بلاد الروم لفتحت الأقاليم كلها ثم أرجع بعد أن أجرع الملوك كاس ذلها (قال الراوى) فقال له المعتصم دع عنك هذا الهذيان لأن مطرون أرسل يقول لى ان السودان قد استظهروا عليهم وهم فى عسكر الجزيرة والموصل فقال معن ان لم أفعل ماقتلته والا يكون المعول على لأنك ما أرسلت من يستحق التقدمة على الكتائب وسترى منى ومنهم العجائب وتبلغ المأمول منى والرغائب (قال الراوى) ثم انه سار يقطع الأرض فى الطول والعرض ليل ونهار الى أن أشرف على العسكرين وبان له سواد الجيشين وقد بان غباره للطائفتين فهذا كان سبب ذلك وأما رسول ميمون فانه لما سار أخذ الخبر وعاد أعلمه بأن ذلك الغبار غبار عساكر السلطان وانها قد أتت نجدة لأصحابهم (قال الراوى) فلما سمع ميمون ذلك قال كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه قال والله ما بنا أرواحنا ولكن الساعة ينقطع رجاء الامير عبد الوهاب من الفرج ولا شك انهم يأخذوه والى السلطان يوصلوه ولكن نحن ما نمكنهم من ذلك ولا نخليه يسير مع الأعداء حتى شرب كؤوس الردا فقال أبو الموت دعوا عنكم هذا الهذيان وبحق أبو السودان والا يمسخنى ربى فى صورة البيضان لابد لى مما أطلب المقدم عليهم وأقوده برقبته وأفرق ما بين رأسه وجثته أليس أنا الموت ابنى وأنا أبوه (قال الراوى) فلما أن سمعوا القوم منه ذلك ضحكوا من كلامه وقالوا والله افعل ما بدالك ونحن كلنا نعينك على أفعالك يا أمير السودان والبيضان (قال الراوى) فهذا ما كان منهم واما الأمير معن فانه لما أن وصل أمر الناس بالنزول وقد ضرب السرادقات والقباب ونشرت الخيام والأعلام والرايات وكانت معه خمسة آلاف فارس من الترك والسنجق يرمون بالنشاب على الحدق ولما انهم نزلوا ملكوا على ميمون الجماس ذلك المكان وعلى أصحابه سائر الجهات من كثرة الكتائب وقد عزموا انهم يأخذوهم فى غداة غد قبضا

بالكف (قال الراوى) واجتمع ذلك اليوم الملعون مطرون مع الأمير معن وقال له كيف كان هذا القدوم فقال له كتابك إلى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وقد عظم عليه وكبر لديه ثم قال يامطرون والله ماأمركم الاعجب خمسين ألف فارس من عساكر المسلمين وأقيال الموحدين وفعل فيكم هذه الفعال وأبلوكم بالنكال فقال مطرون لا تلومنا على هؤلاء السودان فانى رأيت فيهم رجال كانهم عفاريت الجان ولا سيما هذا الرجل الذى يقال له أبو الموت ماأقدر أصف لك ماعمل من الأعمال (قال الراوى) فضحك معن من قوله وقال له أن الدليل بالدليل عارف وهذا الأسود يبان لك فى عقلك أنه شجاع عند عدم الأبطال وبعد هذا أنت مالك خبره بالقتال واعلم أن ما بقى لهذا الكلب حياة إلا باقى هذه الليلة وتنظر العجب (قال الراوى) ففرح مطرون بذلك وضحك وقد باتوا مسرورين إلى الصباح فأمر الأمير معن أن لايقاتل أحدا من العسكر ولا يرمى سهم ولكن قفوا انظروا ماالذى يجرى بينى وبينهم (قال الراوى) هذا وقد اصطفت العساكر ودارت بالسودان من كل جانب ومكان فما قولكم فى خمسين ألف وأربعين ألف قد أحدقت بستة آلاف ودارت بهم ومنعوهم من التصرف فى نفوسهم وقد أرسل معن يقول لميمون الجماس اعلم أن أمير المؤمنين قد قامت عليه القيامة من أجل فعالكم فابقوا على أنفسكم والا فما يبقى لكم حياة إلا بمقدار ماتحمل عليكم هذه العساكر فما يبقوا منكم باقية وان أنتم سلمتم نفوسكم سلمتم وان أنتم أبيتم ندمتم ولكم على الضمان أن أضمن لكم خلاصكم واصلاح مالكم أنتم وأميركم عبد الوهاب وكل من معه من الأصحاب (قال الراوى) فلما وصلت اليهم الرسالة مع الرسول وأخبرهم بما قال معن فقال ميمون الجماس قول لصاحبك أما ما ذكرت من اصلاح حالنا وحال أميرنا فان الله قد أصلح حاله دنيا وأخرى ولو أراد الله أن يصلح حاله معكم لكان ذلك من زمان ولكن أنتم قوم قد احتوى على قلوبكم الشيطان (قال الراوى) فرد الرسول الجواب على الامير معن فأمر العساكر بالحمله فحملوا على عسكر ميمون الجماس وقد تكاثروا عليهم وقد حمل على ميمون الجماس ألف فارس من أعيانهم فأثخنوه بالجراح وأخذوه أسيرا وأما أبو الموت فانه قتل منهم عالما عظيما وقد التقا بمعن فجال معه ولم تكن الا ساعة حتى أخذه أسير فصاح معن ياويلكم خلصونى من هذا الشيطان (قال الراوى) فلما سمعوا أصحابه ذلك الكلام من أميرهم أرموا أنفسهم على أبو الموت وخلصوه من يديه وتكاثروا عليه وقد أخذوه أسير ولم تكن إلا ساعة حتى انهزمت أصحاب ميمون السودان والاكراد وتفرقوا فى البلاد وبعضهم أخذوهم عساكر العراق وأخذ معن ميمون الجماس وأبو الموت وأصحابه الذين أسروا معه وأتى بهم الى الامير عبد الوهاب

وقحطان فلما رآهم سألهم عن حالهم فحدثوه بما تم عليهم فضاق صدره وقال لميمون ما أنفذت الى الاميرة تعلمها بالحال فقال ميمون نعم يامولاى لما وصل الى الخبر أنفذت اليها الخبر لأن معهم واحد يقال أبو الموت مايخاف من كل من فى الدنيا ولا يبالى بالرجال ولا يكترث بالأبطال وماله همة الا القتال وملاقاة الأقيال فقال له معن أما أبو الموت فقد أخذناه وهو معنا فى جملة الأسارى مع ميمون الجماس وجماعته (قال الراوى) وباتوا تلك الليلة ولما أصبح الصباح ركبوا الفرسان وقد وقع القتال وحملت الاميرة وبنى كلاب والسودان الانجاب حملة صادقة طيروا الرؤس واختلسوا النفوس واستعانوا بالملك القدوس فلم تكن إلا ساعة حتى نصر الله الأميرة ذات الهمة على الأعداء فولوا الأدبار وقد ملكت الأميرة ما تركوه ولم يكن لها همه غير الاسراء فخلصتهم وخلصت قحطان وهنوا بعضهم بالسلامة ثم أن قحطان قال للاميره وللامير عبد الوهاب أيها الأمير اعلم أن الذى عمل على هو وزير حيجون وأنا خائف على أهلى ومالى وزوجتى منه فقال الأمير لأصحابه عجلوا بالمسير إلى حصن البارعية حتى اننا نخلصه من الأرمن فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم انهم ساروا إلى الحصن فلما رأوهم الأرمن غلقوا باب الحصن وعولوا على القتال وقال لهم حيجون اياكم أن تفتحوا لهم الباب يكون سبب هلاككم فقالوا بعض الحاضرين نحن لك وبين يديك (قال الراوى) فهذا ماكان من الأرمن وحيجون وأما ماكان من الأمير عبد الوهاب فانه تقدم إلى تحت الحصن ونادى يامعاشر الأرمن افتحوا لنا الباب ولا تسمعوا من هذا الشيطان حيجون فيحل بكم الويل والهوان وإن فتحتم لنا الباب آمناكم من العذاب وأنتم لنا أصحاب وأنا أعلم أن هذا الشيطان حيجون هو الذى زين لكم حتى أخذتم الحصن من قحطان فافتحوه ولكم الأمان وان لم تفتحوه فتحناه قوة واقتدار وأخذناكم أخذ جبار لأنكم أشرار (قال الراوى) فلما سمعوا أهل الحصن ذلك الكلام من الأمير عبد الوهاب فلم يردوا عليه جواب بل رموه بالحجارة من أعلا الحصن فتأخر الأمير إلى وراه خوفا من الأحجار فقال قحطان ياأمير هذا الحصن لايقدر عليه أحد من الناس ولا يصل اليه وأنا فقد ذهبت أموالى وساءت أحوالى وما أعلم ماجرى لزوجتى وهذه أعظم مصيبتى فقال له الامير عبد الوهاب أنا الضامن لك أيها الامير أن أسلم اليك الحصن وأهلك وزوجتك إن شاء الله تعالى فقال قحطان أننى أخاف على زوجتى من هذا الشيطان حيجون لأنه كافر ملعون واننى قد سمعت من مطرون أنه هو الذى أعانه على ذلك وأنه ذكر زوجتى وقد زادت بليتى (قال الراوى) فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك من قحطان قال له ياهذا ان كان زوجتك كما تقول من أهل الدين والصلاح

فان الله لا يسلط عليها هذا الكافر ويحفظها من كل من على وجه الأرض (قال الراوى) ثم ان الامير بعد ذلك قال للسودان ياويلكم يعسر عليكم أمر هذا الحصن فقالوا لا والله أيها الأمير وسوف ترى ما نفعل من الفعال ثم انهم ثاروا مثل أفراخ الجان وداروا حول الحصن من كل جانب ومكان هذا وقد أمر الامير عبد الوهاب بنى كلاب أن يرشقوهم بالسهام فرمت الرجال بالسهام إلى أعلا الصور فكشفوهم عن الصور وتقدمت السودان كانهم الجان وتسلقوا من أعلى الحيطان (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى تسلقوا من على الصور وصاروا فى أعلا الحصن ثم نزلوا اليهم وقد نادوا الله أكبر وجردت السيوف وضربوا الارمن ونسفوهم نسفا وسقوهم شراب الحتوف وقد قتلوا منهم ألوف وهزموا الصفوف فما كانت إلا ساعة حتى كشفوهم عن الباب وفتحوه ودخلت الرجال وبنو كلاب وفى أوائلهم الامير عبد الوهاب ولما أن رأت الارمن ذلك صاحوا الامان الامان يا أهل الايمان فأمن لهم الامير عبد الوهاب بعد ما قبض على حيجون وأمر بضرب رقبته فضربت فى تلك الساعة وقد ضربت معه ألف رقبة من الارمن لانهم أبوا الاسلام فضربت رقابهم ولم يبق أحد منهم ثم أن الامير قحطان دخل إلى زوجته وسألها عن حالها فقالت له بخير وعافية ولم جرى على شىء فباس رأسها وباست صدره ثم أنه احتوى على ماله ومال حيجون ومال الارمن الجميع وبعد ذلك قال الامير عبد الوهاب أيها الامير لا تعد من اليوم تستخدم أحدا من الارمن ولا من النصارى لأنهم أعداءك فى الدين ولا ينظرون اليك إلا بعين البغض فقال قحطان صدقت والله أيها الامير (قال الراوى) ثم أن قحطان سأل زوجته عن حالها فقالت أنا من الله بعافية وخير وجملنى بستره الجميل ومنع هذا الكلب الذليل عنى ثم انها حدثته بما جرى عليها من حيجون الوزير ففرح قحطان وقال هذا لطف من الله وهو ولى الصنع والتدبير (قال الراوى) وأن الامير قحطان أقام بخدمة الامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب مدة ثلاثة أيام ولما ان كان اليوم الرابع عزم الامير عبد الوهاب على الرحيل إلى ملطية فسار وسار معه قحطان وقد سار الامير عبد الوهاب ثلاثة أيام وودع قحطان ورده وسار الامير يقطع الارض فى الطول والعرض ولا زال إلى أن وصل إلى ملطية وكان يوم وصوله يوم مشهود (قال الراوى) ولما أن وصل الامير عبد الوهاب إلى ملطية ورأوه بنى سليم قالوا كيف كان ذلك لأنه قد كان وصل الخبر إلى ملطية أنه مأسور وأن الأمير عمرو بن عبيد الله فرح بأسر الأمير عبد الوهاب وسائر بنى سليم وقال لهم عمرو لما سمع بمجىء الامير عبد الوهاب يا بنى عمى أن هذا أمر

عجيب كيف قبض على الامير عبد الوهاب والله لقد أسترخنا منه فلما قدم الأمير عبد الوهاب تلقاه الامير عمرو بن عبيد الله واعتنقه وقال له والله لقد صعب على ماجرى ولكن هذا كله بقضاء الله تعالى وقدره (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من الامير عمرو ذلك شكره على ذلك الخطاب هذا وأن الامير عبد الوهاب لما أن دخل إلى ملطيه وأجتمع باهله ورجاله (قال) ولما أن أستقر الامير عبد الوهاب القرار أرسل إلى قحطان أربعة آلاف من السودان وأرسل له الهدايا والتحف وامرهم أن يقيموا عنده فى حصن البارعية خوفا عليه من الخليفة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما ماكان منه وأما ما كان من مطرون فانه لما انكسرت العسكر لم يزل سائر إلى أن وصل إلى بغداد ودخل على المعتصم وهو فى أنحس حال وقد تغيرت منه الأحوال وقبل الأرض بين يديه فقال يامولانا أننا قد لحقنا بعبد الوهاب وقد احتما بحصن البارعيـة فأخذته وأخذت الذى أجاره أخذا بالكف هو ومن معه وسرنا طالبين بغداد ونحن فى وسط الفرح وإذا بخيل قد طلعت علينا مع رجل يقال له ميمون الجماس ومعه آخر يقال له أبو الموت لاكتب الله عليهما سلامة وان أبو الموت يامولانا مثل الكبش النطاح وأنا لم نزل معه فى قتال وحرب ونزال حتى أننا أشرفنا على الأخذ فأتى الينا معن فأخذهم أسارى ولم يبق الا أن نرحل وإذا بذات الهمة قد وصلت الينا فأهلكت الرجال وأبادت الابطال ولم تزل حتى خلصتهم من الاعتقال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما أن سمع المعتصم هذا الكلام فقال والله ان هؤلاء القوم مسعودين وما مضوا قط فى شغل إلا وكانوا ظافرين ولا أردنا بهم سوءا إلا كانوا علينا ظافرين ثم أن المعتصم سكت بعد أن قال ويلك يا مطرون لا يكون قد كذبت وخضت مع الخائضين وقعمل على الامراء المجاهدين حتى أفعل بهم فعال أبقى عليه نادم فقال اللعين لا وحياتك يا أمير المؤمنين وحق ابائك الطاهرين ما شهدت الا بما علمت وأن عبد الوهاب هو الذى أعطانى هذه السقيه التى أعطيتها لك وان قلبى ما طاوعنى أن أفعل ذلك فقال المعتصم الله يوفقك يامسكين (قال الراوى) ثم أن المعتصم أرسل الامير عمرو بن عبيد الله كتاب على جناح طير من طيور ملطية يقول فيه ويلك ياعمرو ما تقدر تقبض على عبد الوهاب وتوجهه إلى هو وأمه ومن معه من الاصحاب ويلك ما تريد أن يكون لك عندى اليد البيضاء يا ذليل يا مهان (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما أن وصل الكتاب إلى عمر وقرأه وجمع وجوه بنى سليم واستشارهم فى ذلك فقالوا له أنتظر وقت غفلة وأقبض عليه أو عسى ان نخرج يتصيد ونأخذه على غرة منه ونرسله إلى الخليفه كما أمر فقال عمر وهذا هو الصواب (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أنه جعل عليه العيون والارصاد وصار يترقب الأمير

النوائب وهو لايعلم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير والاميرة فانهما خرجا ومعهما عمرو وكان ذلك خشاء منه لان الامير والاميرة عزموا على زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلوا فصار معهم كما ذكرنا ولا زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عن خيولهم ودخلوا المسجد وزاروه وصلوا فيه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فما استقروا فى المسجد حتى خرجت عليهم خيل غابرة وهجموا عليهم فى المسجد وقد أخذوهم على غفلة منهم وهم مطمئنين فأخذوهم ثم قبضوا عليهم وشدوهم كتاف وحملوهم على ظهور الخيل وساروا بهم وهم فراحا وعبد الوهاب يقول لأمه يا أماه أنظرى كيف فعال عمرو بنا فقالت الأميرة ياوُلدى اعلم أن عمرو وبنى سليم ليس لهم بنا حاجة وأنهم ياولدى كلهم يبغضونا ونحن نراعيهم (قال الراوى) فبينما الامير والاميرة فى ذلك الكلام وما استقرت بهم ذلك الطريق إلا والخيل قد طلعت عليهم من رأس المضيق وصايح يصيح عليهم ويقول يا ويلكم يا كلاب العربان خلوا عن الامير والاميرة وقد حملوا عليهم مثل أسود الغاب وما كانت الا ساعة حتى شالوهم على رؤس الرماح وكان المقدم على هذه الخيل الوارده نافع ومعه سودانه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أنه لما أن خرج الامير والاميرة إلى زيارة مسجد الرسول فقال لهم نافع أننى أريد أن أجىء معكم فقال له الأمير لابل خذ معك جماعة من السودان والحقنى إلى ذلك المكان ولما أن سار الأمير جمع نافع السودان وركب فى سودانه وكانوا أربعة آلاف أسود وساروا فى اثار الامير فهو سائر وإذا بغلام الامير صواب قد التقى بنافع فى الطريق وعقله منه قد غاب فقال له نافع ما حالك وما الذى جرى لك فقال له صواب الحق الامير عبد الوهاب فقد وقع فى العذاب والسبب فى ذلك أننى كنت واقف بجواد الامير عبد الوهاب على باب المسجد والامير داخل المسجد وإذا بخيل قد غارت علينا وقد هجموا المسجد ودخلوا عليه وعلى الأمير عمرو بن عبيد الله ولما أن رأيت أنا ذلك ركبت الجواد وطلبت الهرب والذهاب وقد رأيتهم لما أن أخذوهم ساروا بهم على طريق بغداد (قال الراوى) فلما سمع نافع ذلك الكلام سار فى عاجل الحال وقد حث السودان على المسير فما كانت إلا ساعة من النهار حتى أدركوهم السودان وقد أخذوهم على رؤس الرماح وخلاص الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة (قال الراوى) إن كان عمرو بن عبيد الله لما أن أخذ الأمير والأميرة وضعهما فى الصناديق وأرسلهم مع الأرمن وعاد إلى البلد حتى لا يعلم به أحد وأما الأمير عبد الوهاب فانه فرح بخلاصه وقد عاد إلى ملطية فالتقى به عمرو وسلم عليه فقال له الأمير وأنت ياعمرو ما كنت معنا فى الصناديق فكيف

تخلصت دوننا بلا تعويق فقال عمرو أيها الأمير أن الأرمن لما حطوكم فى الصناديق قالوا لبعضهم بعضا هذا هو المطلوب بل خذوا منه المال واطلقوه فباعونى نفسى بخمسة آلاف دينار واطلقونى وهذا سبب خلاصى وما ادرى إن كانوا مسلمين أو كافرين (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك الكلام فسكت غيظا منه وقد علم أن قوله كذب وفشار وقد صار يأخذ ويعطى فى هذه الأخبار وساعة يقول هذا من دواهى عقبة ومطرون وساعه يقول من عمرو (قال الراوى) إن عمرو وقد كتب كتاب وأرسله على جناح الطائر إلى بغداد يعلم المعتصم بما قد جرى وما تم ولما أن وصل الكتاب إلى المعتصم قرأه وفهم ما فيه وما قد تم فقال فى نفسه كم أكابر فى هؤلاء والله ما هم إلا قوم مسعودين ومن رب العالمين مسودين ومن الرأى الصائب اننى لا أرجع أتولع بهم فهم حامية الدين (قال الراوى) فهذا ما كان من الخليفة وما تم له (وأما عبد الوهاب) فانه افتكر فى تلك الأيام الأمير أبو محمد البطال وقال لو كان حاضر عرف من عمل معنا هذه الأعمال فبينما هو كذلك وإذا برجل قد دخل عليه من بنى سليم وكان يحب الأمير وقال له أتدرى من فعل بك هذه الفعال وعمل عليك الحيلة ورتب الرجال فقال الأمير لا ولكن من هو قال عمرو بن عبيد الله وذلك ان المعتصم أنفذ اليه ثم انه حدثه بالكتاب الذى أتى به من عند الخليفة وما تم على جليته فلما سمع الأمير ذلك الكلام سكت على مضض ولم يتكلم وعلم أن عمرو هو الذى عمل عليه وأوصل الأذية اليه فأخذ حذره من جميع بنى سليم (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير والاميرة (وأما ما كان) من حديث أبو محمد البطال فانه لما سار هو وولده مذبحون فى طلب عقبة وشومدرس وانكشف على خبر الطير الذى كان فى ديار الملك كرفناس وانه سار ليلا ونهار يقطع البرارى والقفار فهو كذلك وإذا فى طريقه خياله مقدار ألف فارس من الروم ومعهم بطريق عظيم الخلقة وهو المقدم على الجميع (قال الراوى) إن كانوا الخياله والمقدم عليهم رسولا من عند ملك الملافطة ومعه الرجال وهدايا وتحف وهو سائر إلى عند الملك كرفناس يخطب ابنته لملك الملافطة فلما أن رآهم الامير أبو محمد تقدم اليهم وسلم عليهم فتقدم اليه المقدم ذكره وهو البطريق وسأله عن حاله فقال له أنا سواح وهذا ولدى فقال رسول ملك الملافطة للبطال وقد رآه هو وولده مذبحون فى زى الرهبان وقد أحنا البطال ظهره ودقنه على صدره فقال الرسول يا سيدى إلى أين أنت سائر فقال أنا سائر إلى دير الطير لازوره وأنال كل خير لا ننى سمعت ان المسيح ينزل فيه من السماء وهذا قول كل قليل العقل وانى سائر اليه وابين لكم فيه الحق والباطل

(قال الراوى) فلما سمع البطريق ذلك قال له لا تفعل يا راهب ولا تخاطر بروحك لأن هؤلاء القوم عندهم راهب يقال له سقراق لا يكون أحدا أعلم منه فى سائر الآفاق وانه لو لم يكن فى هذا أمر عجيب وغريب ما انطلى على الراهب سقراق وان كنيسة القوم الذى فيها هذا الطير الذهب فيها أربعين راهب والراهب سقراق مقدم على الكل والحاكم والمشار اليه وهو لا يخلى أحدا يعبر اليهم ولا يطلع على حالهم وسائر الروم يحتاجون لهم وأنت يا راهب رجل فريد وحيد غريب ومالك غير ولدك هذا فلا تتعرض للقوم فقال أبو محمد يا هذا الامر إلى الله ثم للمسيح وسوف يبان لك مع من هو الحق والقول الصحيح (قال الراوى) فلما سمع الرسول كلام البطال قال له يا أبونا المسيح يبلغك آمالك وينجح أحوالك فقال أبو محمد للرسول وإلى أين أنت سائر فقال أنا رسول ملك الملافطة سائر إلى الملك كرفناس فقال البطال سوف أساعدك بالمقال لكن فى أى شىء جئت اليه وايش تريد عنده فقال اخطب منه ابنته للملك ويكون بين يديك الكلام وأريد منك يا أبونا تساعدنا عند الملك كرفناس فقال البطال سوف ترى ما أعمل مع الطير الذهب (قال الراوى) ثم ساروا الى أن وصلوا الى بلد الملك كرفناس وان ابو محمد لما ان دخل البلد طلب الكنيسة ولما ان وصل اليها هم أن يدخل فمنعوه البوابين فقال البطال لاى شىء تمنعونى الدخول الى الكنيسة فقال له واحد منهم اعلم ان فى هذه الكنيسة أربعين راهب وأربعين راهبة والراهب سقراق سيدهم والحاكم عليهم ولكن اطلب الكنيسة الصغرى فلك فيها نصيب (قال الراوى) ان كانت الكنيسة الصغرى فيها رهبان وراهبات من كل فقير وفقيرة وهم صعاليك لايقدرون على شىء ولا يزورهم إلا الصعاليك والفقراء والكنيسة الكبرى فيها الطير وهم يرفلون فى النعيم والأكل والشرب ويحمل اليهم سائر الأشياء من الملك وغيره من أرباب النعم وعندهم راهبات بوجوه كأنها الأقمار من بنات الملوك والبطارقة الكبار وكانت بنت الملك كرفناس قد ترهبت وهى عند سقراق فى أكل وشرب (قال الراوى) فلما ان منع أبو محمد من الدخول إلى الكنيسة الكبرى فعاد هو وولده ودخل الكنيسة الصغرى وصبر البطال الى يوم الأحد وكان كل يوم أحد يدخل الملك الى الكنيسة الكبرى فيدخلون معه كل من أراد الدخول ويتبرك ويزور طول نهاره الى ان يخرج الملك منها فلا يقدر أحدا يدخلها (قال الراوى) فلما ان كان يوم الأحد أتى الملك ودخل الكنيسة ودخل من دخل فدخل أبو محمد فى جملة الناس وأول من تقدم الى الملك فى ذلك اليوم الرسول الذى لملك الملافطة وقال أيها الملك نشر عليك المسيح أعلام نصره وأمنك من حوادث دهره وكشف عنك ضره وجعل أمرك فى الروم مسموع

ورأيك دائم متبوع واعلم انى قد أتيتك خاطبا وفيك راغبا من عند ملك الملافطة وانه قد أنفذ لك معى أموال وذخائر وظرائف ومعى رجال فما يكون الجواب أيها الملك المفضال (قال الراوى) فلما سمع الملك كرفناس من الرسول ذلك الكلام قامت عيناه فى أم رأسه حتى اختشى من سطوته سائر جلاسه ثم قال للرسول ويلك ومن اين حتى يخطب ابنتى ملك الملافطة وحق الراهب سقراق الذى له عندى أربعين سنة ماغسل وجهه الا بالبزاق وإلا كفر بالطير الذهب الذى يرى منه العجب ويخبرنا بما نأكل ونشرب الذى فيه الحوارى بطرس ويرى فيه روح القدس لولا ان المسيح لايحب عنده قتل الرسول لكنت أقتلك قتلة عجب (قال الراوى) فلما سمع رسول ملك الملافطة ذلك الجواب امتثل أمر الملك وقد خرج من قدامه وأقام بين الرهبان يسمع مايكون بين البطال وسقراق من المناظرة فى هذا الأوان (قال الراوى) ثم ان البطال صبر الى ان انفض المجلس وراق له الوقت فرفع صوته بقراءة الإنجيل وقد جاوبه مذبحون بحسن الترتيب فأزعجوا ذلك المجلس وسمعوا الروم منه قراءة عجيبة ونغمة غريبة لم سمعوها فى طول أعمارهم وقد شخصت اليه أبصارهم وسمعوا القراءة من صوت ندى ونظر الملك كرفناس إلى ذلك فبقى حائر بين الناس وقد لذله قراءة البطال وطاب له ذكر الصوت الشجى والحلق الندى وقد دوت البيعة من حسن صوته وبعد ذلك فسر الإنجيل وبين مافيه من التحريم والتحليل ووعظ وخوف وحذر وأنذر من النار وارتكاب الفجور فى سائر الأقطار وشوق الى الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار فلما سمع الملك كرفناس ذلك الكلام كاد ان يزهد فى المملكة ثم قال ماهذه الدنيا الا مهلكة ثم انه قال وحق المسيح ما أظن هذا الشخص الا من بعض الحواريون لأن مايوجد أحدا مثل هذا الراهب فى سائر الناس أجمع (قال الراوى) فتقدم الملك بنفسه الى عند الأمير أبو محمد وقال له من أين أتيت ياأبونا فوحق الطير الذهب لقد شوقتنى الى الزهد والعبادة بقراءتك الإنجيل وعرفتنا ما فيه من التحريم والتحليل فقال أبو محمد ياملك أنا أنفذنى اليك السيد المسيح حتى أردكم عن ظلم أنفسكم وعن فعلكم القبيح وعن عبادتكم لهذا الطير الذى لايضر ولا ينفع ومن مثالكم لهذا يتبع (قال الراوى) فلما ان سمع الملك من البطال هذا الكلام كان ضاحكا مستبشرا صار وجهه معبسا أصفر مقطبا أغبر وغابت عيناه فى أم رأسه حتى خافت منه سائر جلاسه وقالوا له أيها الملك لقد أتى هذا الراهب بشىء نكرا فلا بد من قتله سرا وجهرا فلما سمع البطال ذلك المقال قال أيها الملك المسيح يديم سلطانك ويكثر اخوانك احملنى على بساط العدل فاننى ماجئت الا الى محل العدل والانصاف الذى شاع

فى سائر الآفاق وأريد أن تجمع بينى وبين الراهب سقراق حتى أتناظر أنا واياه فان قهرنى فاننى أتبع ماهو عليه وإذا تبعته تبعة كل نصرانى على وجه الأرض لأننى أقدر على كل من يجىء إلى بيت المقدس وان أنا قهرته فلا يرجع يتطرق اليكم بهذه الأحوال ولا ينطلى عليكم منه تلك الأعمال (قال الراوى) فلما سمع الملك كرفناس هذا الكلام وسمع البطال يقول احملنى على بساط عدالك راق وصغى من التكدير قلبه ثم انه أنفذ فى عاجل الحال خلف الراهب سقراق وقد انفض المجلس بالناس والخلق قيام بين يدى الملك كرفناس فقال له الملك يا أبونا كيف ذلك الحال فقال البطال أنا أبين لك ذلك (قال) فبينما هم فى الكلام واذا بالراهب سقراق قد أتى الى عند الملك فقام له قائم وقال له أيها الأب اعلم ان هذا الراهب قد أنكر عليك هذا الحال وقال ان هذا الطير لا تجوز عبادته وقال هذا فعل الجهال وها أنت وإياه (قال الراوى) فلما سمع الراهب من الملك ما قال فقال سقراق أيها الملك ولم لا ضربت رقبته ثم أعدمته مهجته فقال الملك ما أقدر عل هذا لأنه قال احملنى على بساط العدل فأرنى أى شىء تفعل من عملك حتى أنظر لانى لاأجور على أحد فقال الراهب سقراق وأين هو الذى تقول عليه فقال هذا الذى يسمع كلامك (قال) فعندها نظر سقراق اليه فرأى أبو محمد وإذا هو قاعد لا يتحرك ولا يتزحزح فقال للبطال يا راهب لأى شىء لا يكون عندك أدب وأى شىء حملك على هذا السبب فقال له البطال ياهذا وأى شىء رأيت على من سوء الأدب فقال له الراهب سقراق قد أتيت اليك وأقبلت عليك فما قمت لى ولا التفت إلى فقال الملك كرفناس صدق الراهب سقراق فيما قال وأنا الآخر أتيت اليك ففعلت كذلك فقال البطال أيها الملك هذا الذى فعلته هو الصواب فقال الملك وكيف ذلك قال البطال اعلم اننى لو قمت له وسلمت عليه توهم اننى فزعت منه وأنا الساعة لناظره بين يديك فان قهرنى سقراق يطول قيامى له إلى الأبد وقد أنكرت عليه لخدمته لهذا الطائر الذهب وهو الذى أساء الأدب فقال سقراق وما الذى أنكرت على فيه وقولك هذا قول رجل سفيه فقال البطال كل ما أنت فيه منكر وعلى الروم منه ألف ضرر فقال سقراق ما الذى تقول فى هذا للطائر قال أقول أنه طير من الذهب ولا فيه منفعة بل هو مضر ولا خير فيه واعلم أنه مصنوع صناعة حسنة وأنت تضل الناس به كذلك كذا سنة ولا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع ولو كان المسيح ينزل فى الطير ما الذى كان يمنع المسيح أن يقول فى صورة مليحة الهيئة كثيرة الأنوار ولا ينزل فى طير له منقار ويأمركم أن تأخذوا أربعين جارية أبكار كأنهن الأقمار تتمتعون بها عند المساء ووقت الأسحار فهذا مالا يجوز أن يكون فى سائر الأقطار فقال سقراق ويلك يازنديق ويارأس الفجار اعلم ان الحوارى ينزل فى هذا الطير ويخبرنا

بكلما فى الأسوار وبما نأكل وبما نشرب وبما ندخره فى بيوتنا مما يحير الأبصار ومن قال اليوم غير هذا فانه يشقى وان قولى هذا حقا وان شككت فى هذا فسوف تنظره ما تلقى منه من العذاب (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك الكلام فقال أيها الراهب أما أنت قلت أنه يخبركم بما تأكلون وما تشربون وما تدخرون قال نعم فقال له البطال أنا أحكمه على وعليك وهوان أخبرنى من أنا ومن أين أتيت وإلى أين أنا رايح وما أكلت البارحة فأنا أعلم حينئذ صلاحه وأنا وولدى نتبعك وأجعل أهل الأرض يتبعونك ويطيعونك (قال الراوى) فلما سمع الراهب سقراق ذلك قال رضيت بهذا السبب قم الليلة ههنا وانظر العجب وكان مراد سقراق أن يبيت البطال فى تلك الكنيسة حتى يقتله ويقول الطير قتله وكان سقراق خبيث ولكن كان البطال أخبث منه وأمكر فقال البطال اعلم اننى ما أبيت ههنا وما أبيت إلا فى الكنيسة الصغرى وعند الصباح تنظر الناس ما يجرى فقال الملك كرفناس نعم ما قلت أيها الراهب وقد داخل سقراق من ذلك وسواس وقد تواعد إلى غداة غد وتأتى الناس (قال الراوى) ثم ان البطال بعد انفضاض المجلس خلى بولده فى تلك الليلة وقال له يا ولدى اعلم ان لهذا الطير شأن وهو حديث عجيب وأمر غريب فقال مذبحون يا ابتى اعلم أنه كان فى بلاد الهند صنم عظيم وكانت أهل تلك البلاد يعبدونه ويبجلونه ويعظمونه وكان إذا سرق إلى أحد منهم سرقة أوضاع له شىء من الأمتعة يأتى إلى ذلك الصنم ويشكوا له حاله ويخبره بما جرى له فيقول له ذلك الصنم فلان بن فلان أخذ مالك فيروح اليه ويقول له هات ما أخذت لى فيأتى به ويجد متاعه عنده ولا يقدر يخفيه ثم فشى ذلك عند الناس أجمع وارتجعوا أهل البلد عن الحرام والبدع وصار لا يقدر أحدا يتعدى على أحد وخافه كل أبيض وأسود وأنه اتفق أن بعض اللصوص أخذ مال رجل فجاء صاحب المال إلى الصنم وحدثه بما قد جرى له فقال له فلان أخذ مالك فجاء الرجل الى السارق وقال له أنت سرقت مالى وكشفت حالى فقال السارق أنا ما أخذت لك شىء فقال له امضى معى الى الصنم ونحضر بين يديه فقال فى غداة غد أمضى معك اليه (قال الراوى) فلما أن راح صاحب المال من عند السارق صبر إلى الليل ومضى اللص إلى الصنم ومعه فاس فضرب الصنم طير من رأسه قطعة وقال له ها أنا قد كسرت رأسك وان تكلمت فى غداة غد وعندت على فأنا أعطى الرجل ماله وأرجع اليك الليلة الآتية أهدمك إلى الأساس وأجعلك مثل الزجاج وتركه ومضى إلى منزله (قال الراوى) فلما أصبح الصباح جاء صاحب المال وقال للسارق قم بنا إلى الصنم وامضى بنا إليه فقام معه وقد أتيا إلى الصنم وهو بما فعل مع الصنم واثق فلما أو أتيا إلى الصنم فتقدم صاحب المال وقال ياسيدى من أخذ مالى وها أنا أتيت

لك ومعى الذى قلت أنه سرق أمتعتى ومالى ثم سكت ولم يتكلم (قال الراوى) فقال الصنم وقدمال وتكلم وقال إن ذلك الزمان قدمضى بناسه وقدأتى هذا الزمان بفاسه لكل من تكلم الحق كسروا رأسه وقالوا نهد أساسه والعاقل فى هذا الزمان من يحفظ قماشه وقيل يا أبتى إن كان فى أرض مصر فى بر الجيزة عند مكان الاهرام شخص وهو من الحجر وكان يسمى أبو الهول وكان مثله وجرى له مثله (قال الراوى) فلما سمع البطال من مذبحون ذلك فقال له أنا أعرف ذلك من قبل أن تقوله لى لكن مانحن فى هذا ولكن قل لى كيف يكون العمل فقال مذبحون أنا أنزل فى هذه الليلة الى الطير وانظر ماهو واختبره وأعلمك بما هو فقال له أبوه البطال عول بنا على ذلك فى هذه الساعة والا أن أقمنا الى الصباح ولم نعمل عمل فاننا هالكون لا محاله ثم انهما خرجا من تلك البيعة الصغيرة التى كانا فيها وأتيا الى البيعه الكبيرة التى فيها سقراق فلم يكن بأعجل ما صار فى تلك البيعة وبقوا على أعلاها لأن مذبحون تسلق مثل الشيطان والبطال نصب سلم التسليق ثم طلع أسرع من طبق الجفن على الجفن ونزلا الى أسفلها وتقدما الى باب الحجرة التى فيها سقراق فرأوها حصينة ما لاحد عليها تسليق فلما رأى البطال ذلك ذهل وحار فقال له مذبحون ما الذى جرى عليك انظر العجب ثم انه أتى الى قبة المكان وتسلق من عليها مثل الشيطان وقد جعل رأسه لاسفل ورجليه الى فوق (قال الراوى) فلما نظر الى ذلك البطال فخرف له سلم التسليق فمسكه وفى أعلا البيعه شبكه فطلع البطال وفى ساعة الحال نزلا فى وسط الحجرة فرأوا فيها جارية مثل الغزال كانها القمر الطالع أم النور الساطع أم البدر اللامع لم يسمع بمثلها السامع ولا رأى أحدا مثلها فى سائر المواضع وقد اشرقت الحجرة من نور جبينها والحسن من شمالها ويمينها (قال الراوى) وكانت هذه الجارية بنت الملك كرفناس وكان الراهب سقراق يعشقها يموت وكانت هى أيضا تحبه وكانت قد ترهبت وصارت عنده فى البيعة وكان قد علمها قراءة الانجيل وتتكلم بكل لسان ولها عقل جزيل وكانت تروح فى كل يوم الى بيت أبيها كرفناس وتنظر ماهو فيه من الحال وما أكل وما شرب وما فعل من الفعال وتمضى الى بيوت أكابر البطارقة رائده وتنظر ماهم فيه وما يأكلون وما يشربون وما يفعلون ويأتى الى عند سقراق وتحدثه بجميع ما بدأ وما تبصر وما ترى وكان هذا الطير الذهب قد صنعوه مجوفا وله حجرة مليحة تحت ذلك الطير ينزل اليها بدرج وطالع منها فى أزج معقود صاعد الى الطير وكان وزن الطير خمس قناطير من الذهب الأحمر وهو مرصع بالدر والجوهر وكل نص مفتخر وكان اذا صلوا الناس يوم الاحد فى

الكنيسه تطلع الجارية الى جوف الطير وتقرأ شيئاً من الانجيل وشيئاً من المزامير فتطرب الوجود ويسجدون القوم قدام الطير ويقولون هذا هو الحوارى خادم السيد المسيح لاشك ينزل فى هذا الموضع يستريح (قال الراوى) ولما أن جاء البطال وانكر هذا الأمر والحال نخاف سقراق منه وقال فى نفسه ما أدرى هذا الكاب من أين أتى وقال ما قال ثم أن سقراق صبر الى الليل وقد حضرت بنت الملك عنده فقال لها سقراق يا منية القلب ويا راحة الصب اعلمى أن هذا الراهب الذى جاء الينا وقدم علينا فى هذه الايام انكر علينا مانحن فيه من العيش واللذة وأنا اخشى أن أفارقك فراق ما بعده تلاق وأقاسى الشدة فقالت وحق المسيح لأ فعلن كل فعل قبيح ولا تخاف فأنا أعمل عليه وأهلكه فى غداة غد ومنه نستريح فقال سقراق اعلمى أن الرأى عندى أن تقومين الساعة وتطلعين الى الطير وافتحى باب الطابق وانزلى فى الدرج واقعدى فى الطائر واذا تحاكمت أنا وهذا الراهب فى غداة غد ابصرى إيش تقولين فقالت سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم أن الجارية طلعت الى الطير وهو مكان ما يهتدى اليه أحد لأنه صنعة دقيقة لأن الطير فى طابقة من الرخام الأحمر فى جنب الحائط وما يعرفه أحد وما يظن الناظر الا أن الرخامة من رخام البيعة القائم (قال الراوى) هذا كله يجرى والبطال يسمع ذلك ويرى ماهما فيه ثم أن الجاريه طلعت الى الطير ومضى سقراق الى مقصورته فعند ذلك قال مذبحون انظر العجب وقد عولت الساعة اننى أطلع الى الباب الذى قال الراهب عنه واصعد الى الطير وأقعد فى جوفه وأقبض على بنت الملك وأكتفها وأتكلم أنا على لسان الطير واترك لنا فى هذه الديار مثلاسائرا واذا تحاكمت أنت وسقراق فى غداة غد ترى ما أفعل فقال البطال أخاف عليك أن الجارية تخدعك بحسنها وجمالها لأنى سمعت ما فى الدنيا مثلها وتقع يابنى فى أسرها ويصل الينا شرها فقال مذبحون طب نفسا وقر عيناً فوعزة الله ما أنظر اليها نظرة تغضب الله تعالى وما أفعل شيء الا لوجه الله فقال البطال هذا هو المراد ياولدى اذا كان هذا نيتك فوالله سوف ينصرنا الله تعالى على الأعداء (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن مذبحون بعد ذلك أتى الى الحجرة وكان بابها رخامة مزوقة فى الحائط كما ذكرنا وعليها عصفور من الذهب ما يدرى به أحد ثم انه نزل وطلع صاعدا فى الازج المذكور الى أن وصل الى جوف الطائر فرآه يسمع خمسة أنفس والمكان مفروش بأنواع الديباج وهو من الذهب الوهاج وان البطال رجع ونزل من الموضع الذى طلع منه طالب البيعة الصغيرة التى نام فيها وبقى قلبه عند ولده مذبحون (قال الراوى) فهذا ما كان من البطال وأما ما كان من الجارية ابنة الملك لما فارقت الراهب سقراق وصعدت إلى جوف الطائر نامت

وهى مطمئنة الخاطر فبينما هى غارقة فى المنام وإذا بمذبحون قد هجم عليها ومسك بيديها فلما أن أحست بذلك كاد أن يطير عقلها فقال لها مذبحون لاتفزعى وقد كلمها بكلامها ولسانها فأنست اليه ثم قالت له من أنت ياهذا فقال لها مذبحون يهدى روعك ويطمئن قلبك واعلمى أننى أنا ابن الراهب الذى أتى يناظركم فقالت وقد نظرت اليه وهوكانه القمر الطالع وله حسن بارع فبهتت الى مذبحون وله حاجب مقرون وله عيون أحد من المضارب وأمضى من القواضب فصار عقلها من حسنه غائب وكان مذبحون شاب لانبات بعارضيه وسقراط شيخ بذقن كبيرة وقد غطت وجهه وشقفه وخدوده وحاجبيه قد غطوا عينيه ولما ان رأته على تلك الحالة فقالت لهوايش تريد منى فقال لها مذبحون اعلمى اننى مانزلت الى هذا المكان الا حتى أعرف خبر هذا الطائر ومافيه من الشان ومن يتكلم فيه زور وبهتان وأنا الساعة ماوجدت غيرك فأنتى من تكونى من النساء لاننى لابد لى من ذبحكى فى هذه الساعة ودع يجرى مايكون وان أردتى أن تكونى معى تطاوعينى على ماأقول لكى وتسمعى وأنا أتخذك لنفسى وتكونى من أبناء جنسى (قال الراوى) فلما سمعت الجارية من مذبحون ذلك الكلام وقد افتتنت بحسنه والجمال فقالت له وحق المسيح ما أتكلم ومابقيت أفارقك بل ننام أنا وأنت الى الصباح فقال مذبحون الذى ذكرتيه ليس بحلال ولاهو لى مباح فقالت الجارية يقول سقراق انه مباح وذكر ان هذا يقربنى الى المسيح فقال مذبحون والله لقد كذب هذا الخنزير فى قوله سرا وعلانية واعلمى أن الله يعاقب الزانى والزانية فقالت الجارية فأى شىء علينا نحن من هذا يامليح فقم أنا وأنت الساعة ننام ونستريح (قال الراوى) إن كانت هذه الجارية أحسن من كل من فى البلد كما ذكرنا وقد شربت مع الراهب سقراق تلك الليلة وقد توردت وجناتها ورق كلامها واسودت عيونها وبقت فتنة للناظرين وكان مذبحون أيضا كانه القمر الطالع أو البدر البازغ أبيض أحمر بعذار أول مابدر وشارب أخضر وهو أبهى من القمر فقالت الجارية لمذبحون ياهذا قم واقضى منى وطر وتمتع بهذا الوجه الأزهر والطرف الأحور فقال لها مذبحون لايجوز ان يقرب الإنسان الزنالانه فعل قبيح عندنا فقالت الجارية ويلك أمرك عجيب لاننى وحق المسيح لوحصلت لعابد ويكون أعبد الناس ماأراد بى بدلا فمن أنت ياهذا حتى تقول هذا الكلام وتسوق التعفف وتقول هذا لايجوز لنا وهذا المذهب مذهب المسلمين الذين يقولون ان شرب الخمر حرام فقم بنا ودع عنك الكلام فأنت رومى وأنا رومية فمن أين أتاك الاسلام فان كان حلال فهو حلال وان كان حرام فهو حرام فقم بنا نجتمع فى هذا المكان فقد طاب لنا الامكان فقال لها أنا والله ماأريد الا الحلال كما أمر ذو الجلال والاكرام

فقالت له أنت مسلم وموحد على دين النبي محمد قال نعم فقالت له الجارية والله ان أمرك عجيب فأبوك راهب فصيح يقرأ الانجيل مليح وأنت رومى وتتكلم بلسان الروم فقال لها اعلمى أن أبي الآخر مسلم بن مسلم (قال الراوى) فلما ان سمعت الجارية من مذبحون ذلك الكلام أطرقت ساعة وهى متفكرة ثم انها رفعت رأسها وقالت له بحق المسيح هذا الراهب هو أبوك وماهو أبو محمد البطال الذى قلوب النساء والرجال ملآنة منه أحقاد وادغال وأنزل بالروم الوبال فقال لها أى وحق النبي المفضال الذى فرق بين الحرام والحلال فقالت الجارية فلا شك أنت ولده مذبحون من نورى بنت عين المسيح الذى كان أحد ملوك الحصون فقال مذبحون أنا ذلك فقالت وحق المسيح ان دينكم هو الدين الصحيح والاعتقاد المليح ولولم يكن ذلك كذلك ماكنتم تقدمون على هذه الأشياء والله يؤيدكم بتأييده ثم قالت لمذبحون أنا الآن أريد أن أكون لك أهلا أينما ذهبت أتبعك وأنفعك فى يومى هذا وأنا أقول أشهد ان لا إله الاالله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح مذبحون باسلامها حتى لم تسعه الأرض من شدة فرحه وقال لها نسأل الله الاعانة على مانفعل وان يسهل لنا مانعمل وكانت هذه الجارية اسمها مريم فقالت وحق الذى عرفته وهو الاله الأعظم انني فى غداة غد أفعل فعال ماتهتدى اليها الرجال ولايقدرون على مثلها الأقيال وحرمة النبي المفضال ثم انهما بقيا فى ذلك الموضع الى أن أصبح الصباح هذا ومذبحون طول ليلته يلقنها الفاتحة وسورة الاخلاص وشرح لها دين الاسلام وقد فهمت جميع ماقاله لها من الكلام (قال الراوى) وان الملك كرفناس جاء باكر النهار الى البيعة ونادى لايبقى أحدا من الناس الاويحضر فى ذلك اليوم وكان ذلك النهار كانه يوم القيامة وحشر الناس فى الصعيد الأعلى حتى مابقى لأحد موضع قدم من كثرة الخلق والأمم وان أبا محمد خرج من البيعة الصغرى وفى يده عكاز أبنوس مقمع بالفضة وفى وسطه زنار رفيع وعلى رأسه برنس أسود وهو زى عجيب ثم انه دخل الى الكنيسة الكبرى فرأى الملك كرفناس جالس على كرسى من الذهب وبطارقته قيام على أقدامهم (قال الراوى) وكان لهذا الملك كرفناس هيبة عظيمة لم يكن لأحد من الملوك مثلها وأن البطال رأى الناس على طبقاته وهم خلق عظيم نقدم إلى الملك وصار بالقرب منه وقرأ فصلا من الإنجيل أذهل كل من فى البيعة ثم أنه تقدم إلى تحت الطائر الذهب وقد قال سقراق للبطال أيها الراهب المفضال من يتكلم أولا أنا أو أنت فقال البطال تكلم أنت لأنك على كل حال صاحبه فقال سقراق نعم ماقلت ثم أن الراهب تقدم وهو واثق من ابنة الملك أنها تتكلم على لسان الطائر وتهلك البطال بالقول والفعال كما وقع بينهما الاتفاق من

أول الحال ثم أنه رفع صوته وقال أيها الشيخ النورى والمعجز البطريق وهو العالم بما أنا عليه من حسن طريقى انى أريد أن أخطب لك اليوم خطبة وافسم عليك أن تظهر للقوم المعجزة والآية وتقبل من الناس التوبة وأنا أقسم عليك اليوم بحق القس والمطران والمطرانه والرهبان ومن أكل بعكر الزيت القربان والذى اعلمك به أن الراهب الذى قد وصل إلى هذه الديار وقد انكر عليك غاية الانكار وقد ذكر انك لا تنزل فى هذا الذى له منقار فاسألك يامولاى أن تنفخ فى لحية هذا الراهب النار وتبين لهذا الملك أنه من القوم الفجار ولا تقبل له اعتذار بعد هذا الانذار حتى يعرف قدرى جهار فهو يحسب أن الزمر هيئة الطبل والطنبور مثل الكلام الفشار ثم سكت سقراق ساعة وانتظر من بنت الملك انها ترسل للنفط من الطير إلى البطال فلم يرى لذلك آثار فقال فى نفسه اياكى قد أصبحتى مخمورة من نشوه العقار ويلكى ما هذه المصيبة فضحك المسيح بين الحضار هذا وأبو محمد قد التفت إلى سقراق وقال له هل بقى لك كلام أو خطاب فقال لا وحق المسيح فعندها تقدم أبو محمد إلى الطائر وقال له أيها الطائر المصور الملمع بالفصوص والجواهر الذى لايضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع أسألك بحق الذى أمات وأحيى وأفقر وأغنى وأضل وأهدى وخلق الأشياء بلا سدا وأنهج النفوس وأجرى الماء وهوى الهوى وخلق الإنسان من طين لازب وهو رب المشارق والمغارب والذى تعلم به أيها الطير النادب أن هذا سقراق الراهب قد ارتكب الفجور وشرب الخمور وشهد الزور وأخذ البنات اللاتى كأنهن البدور وقال انك تنزل فى الطير الذى هو بمنقار وانك قد أحللت له البنات الابكار واهراق دم الاخراق وعمل الفجار الذين استحقوا يوم القيامة النار فان كان صادقا فأنزل على سوط عذاب ولا تسلبنى من الضيق ولا تسهل لى إلى الرجوع طريق وان كان هذا سقراق كافر زنديق وهو على غير طريق وهو جاحد ملعون وكافر مفتون وفاجر مغبون وهو يستحل كل حرام ويرتكب الآثام وأنه نجس ابن نجس من الفاسقين اللئام فاضرب لحيته بسوط من نار حتى تشهد هذه الحاضرين وتعتبر به ذوى العقول والأبصار الذين هم فى هذه الديار وغيرها من جميع الأمصار (قال الراوى) فلا وابيك ما فرغ البطال من كلامه وهذه الخطبة المليحة والألفاظ الفصيحة حتى انقلب الطير ودار وصواب إلى وجه سقراق المنقار وضربه بشهاب من نار فأحرق جهار وجرت النار لأذانه بالشرار وأتى القوم من جوف الطير كانه حقائق الرعد الهدار وقال أيها الناس أنا الحوارى الذى كنت مع المسيح فى البرارى والقفار وأن المسيح أجل قدر أن ينزل فى هذا الطير ويشبه به خلقا فى سائر الأقطار وإنما هذا

الطير مبارك ولا يجوز أن تقبلوا من سقراق هـــذا القول والخطاب لأنه على كل حال كذاب وإنما هذا الراهب الجديد أنا الذى أرسلته اليكم وقدمته عليكم وهذا سقراق فاجر كذاب وقد أفسد البنات وهتك المحصنات فاقتلوه ولا تستبقوه وإلا حل بكم العذاب (ياسادة يا كرام) ثم أن الطير زعق زعقة أوفى مما زعق أولا وضرب سقراق بشهاب آخر أحرق بقية دقنه ووجهه ونادى ويلكم اقتلوه وإلا أنزلت عليكم العذاب وقطعت بكم الأسباب فهنالك أمرهم الملك بقتل الراهب سقراق فأخذته السيوف من كل جانب وصار الشاطر يضربه ضربة حتى يتقرب بها إلى قلب البطال لما سمعوا من الطير ذلك المقال ولم يزالوا يضربوه بالسيوف إلى أن بقى قطعا هذا والطائر صاح صيحة أخرى ونفخ النار حتى امتلأت الكنيسة وقال لهم ويلكم هؤلاء الرهبان اقتلوهم عن بكرة أبيهم ثم قال الطائر ارفعوا هذا الراهب إلى موضع سقراق وسلموا إليه كلما فى الكنيسة فقدوهبه المسيح كلما فى الكنيسة إلا البنات والنسوان فليس فيهم حكم إلا إن أراد أن يتزوجن كما أمر المسيح فهو لهم مباح وأيضا حولوا الرهبان الذين فى الكنيسة الصغرى إلى هذه الكنيسة حتى يقسمون المال فقد كانوا فى جهد جهيد وأمر عتيد مما فعل بهم ذلك الشيطان المريد (قال الراوى) فانقلبوا الرهبان فى الحال إلى تلك المقاصير وأخرج الملك تلك البنات المساكين ولقد كانوا فى أمر مهين ثم شرع فى تجهيزهم وزواجهم هذا والبطال يتلو الإنجيل طول النهار عند الطائر والملك قد أقبل عليه وقال له يا راهب هل كانت ابنتى معهم أم لا وإن كانت معهم فتكون عند سقراق فى مقصورته لأنى ما أرى لها خبر ثم خرج الملك وقد سلم للبطال البيعة وما فيها ففرح بذلك وقال فى نفسه ياليت شعرى كيف يكون الخروج من هذه الديار وقد ذكر رسول الملافطة أن عقبة وصل اليهم ومعه شومدرس وأنا لابد لى منهما إن شاء الله تعالى هذا ورسول الملافطة قد سأل البطال أن يأخذ له الإذن فى الإنصراف وكان قد تعجب مما جرى فقال له أبو محمد البطال طيب قلبك فأنا أحوجه ان يزوج إبنته الصغيره لملككم فقال له الرسول تكون قد نلت الثواب من المسيح ويجازيك ملكنا بأعظم جزاء ويعطيك عشرة آلاف دينار ذهب لك هديه ان صحت هذه الحاجة مقضية (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع البطال ذلك خرج من الكنيسة ودخل على الملك وقال له أعلم أيها الملك أنك كنت فى وسط النار جالس والا فقد ظهرت القدرة من الكنائس وتركب ذلك الأمر الذى كنت عليه من الضلال وأنت كنت أعطيت أبنتك الكبيرة لسقراق وهذا ملك الملافطه ماله شبيه فى الجمال فزوجه أبنتك الصغيرة (يا سادة) فلما سمع الملك ذلك من أبو محمد البطال قال يامولانا وأبونا أبنتى بحكمك أفعل

بها ماشئت فامر البطال لرسول الملافطةان يحضر المال ففعل ذلك وقدم ألف ثوب أطلس وقال هذه هدية وأنا أريد منك أن يقطع المال النقد علينا ماشئت وها أنا أمضى وآتيك بالهدايا والأموال والتحف والظرف ولكننى أريد أنظر إلى العروس (قال الراوى) وهذا ما هو عند الروم عيب فعند ذلك أخرجت الجارية وهى كالبدر المنير فلما رآة الرسول فرح وانصرف هو وأبو محمد البطال والرسول يقول يا أبونا سوف أشكرك عند الملك وأصف له ما فعلت فى حقه ولولاك ما زوجه ابنته وأوفى لك ما ضمنت لك من الهدايا والأموال ثم ودعه الرسول وسار وأقام البطال فى البيعة وقد أجتمع بولده مذبحون وقال له يا ولدى اسأل من ابنة الملك وقل لها هل تقدرين لنا على سبيل حتى نمضى من هذه الديار (قال الراوى) فعاد مذبحون اليها وقال لها ذلك فقالت والله مالى علم بذلك لكن الملك يركب فى كل يوم فى سبعمائه ألف فارس ويدور فى البلد أكثر من فرسخ فما أعلم لنا خلاص فقال البطال لا كلام حتى يعود الرسول بتاع ملك الملافطه بالمال ليأخذ العروس لأننى أكدت عليه أن لايعود إلا ومعه جماعة من الرهبان والقسوس وأنا أعلم أن عقبة وشومدرس يصلون مع الرسول وأدبر إن شاء الله تعالى فى هلاكهم ثم عاد البطال الى الكنيسة وعاد مذبحون إلى نحو السرادب (يا سادة) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من رسول الملافطه فانه سار حتى وصل إلى بلادهم وخرج اليه الملك فليص ملك الملافطه وفرح بوصله ودخل قصره وأجلسه وسأله عما جرى له مع الملك، فأحكى له ما جرى للملك كرفناس وما تم عليه من أحواله وما رأى من أبو محمد البطال وولده وحديث الطائر وسقراق وكيف كان السبب فى إجابة الملك فى الزاوج فلما سمع الملك ذلك فرح واستبشر وأنفذ من ساعته خلف شومدرس وعقبة وكانا عنده فى المنزلة الرفيعة لأن الملعونين كانوا قد هربوا من القسطنطونية من وقعة أرمانوس وصلب هرمس المجوسى فاجتمعوا ووجدوا عسكر قد بقى منهم جماعة مقلمعين فقالوا لهم خذونا معكم فأخذوهم معهم إلى بلاد الملافطه واجتمعوا بالملك وكانا عنده فلما كان ذلك اليوم أمر باحضارهم فلما حضروا قام لهما الملك على قدميه وترحب بهما وأجلسهما إلى جانبه ثم قال للرسول حدث هؤلاء المشايخ بما رأيت من الاحوال وحديث الراهب وولده وكيف نهاهم عن الزنا مع البنات (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك المقال أظهر العجب وقال وحق المسيح ما قدأتى هذا الراهب وولده إلى كرفناس وردهم عن الخطاب والجهل من دين الناس وتكلم الحوارى من فم الطائر بفضلهم إلا ولهم أيادى عند المسيح والمعمدان ولا بدلنا ان سار الرسول بالمال وعول على أخذ العروس نمضى معه ونزور

هذا الراهب ونسأل له أن يسأل الحوارى المتكلم على لسان الطائر أن يمكننا من أعدائنا عبد الوهاب وذات الهمة والبطال الكلاب فقال لهم الملك لما سمع برواحهم صحبة الرسول وحق المسيح ما أشتهى فراقكم ولكن لا أقدر أمنعكم عن مرادكم (يا سادة) ثم أن الملك شرع فى تزويد الرسول بالهدايا والأموال والجواهر الغوال والتحف والظرف وأما عقبة فانه خلى بشومدرس وقال له ويلك وحق المسيح لابد لنا إلى بلد كرفناس إلى زيارة هذا الراهب وولده فان الحديث قد شاع صريحا فقال شومدرس أى وحق المذابح لابد لنا من الزيارة لهذا الراهب الا نجح فهو أوفق لنا وأصلح (قال الراوى) يا سادة يا كرام وفرغ الملك مما أعد من الأموال والرجال وبرز ذلك اليوم إلى خارج البلد وخرج الرسول وشومدرس وعقبة ورحلوا مع الرسول ولم يزالوا يقطعون المفاوز بالجهد الجهيد ويطوفون الاراضى قريب وبعيد حتى وصلوا إلى بلد كرفناس وقد ضاقت منهم الانفاس وعلم كرفناس بذلك فأخرج كل من فى بلده من الفرسان وأرباب الدولة وسائر الأبطال وأنفذ الى كنيسة القدرة يأمر البطال بالخروج هو ومن عنده من الرهبان فوصل الرسول إلى الكنيسة وسأل عن البطال فأخبروه الرهبان انه ليس بحاضر من مدة أربعة أيام لانه مضى الى دير المعمودية (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة البطال انه سمع ان بالقرب من المدينة دير يقال له دير الحاجة وهو مبنى بالرخام وفصوص الذهب وفيهــا صور الأنبياء وهى مذهبة مجوهرة وفى آخر الكل صورة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك أبو محمد لم يطيق الصبر بل أخذته الحمية وقال أريد أمضى الى دير المعمودية وأدبر فى إزالة هذه الصور ولابد مما يأتى عقبة وشومدرس مع رسول الملك فوصيتك إذا حضروا وسألوك عن نصرتهم وما يريدون فلين لهم المقال وقل لها لابد أن أسأل المسيح أن ينصركم والمسيح ليس بغافل عنكم ولا عن ما قد جاهدتم فى أعدائه وقد أعد لكم الجنة فقال له ولده مذبحون يا أبى امضى أنت الى حال سبيلك ولا توصينى فقد عرفت المقصود وما تعود ان شاء الله تعالى إلا والاثنين عندى تحت السرداب فى الذل والعذاب (يا سادة يا كرام) فطاب قلب البطال وأخذ معه راهبا من الرهبان وسار الى المعمودية ودخل اليه فوجد الصور المذهبة التى على صور الأنبياء ثم أن الرهبان خرجوا اليه وقبلوا يديه فقال أورونى كل نبى هاهنا فقالوا سمعا وألف طاعة فطافوا به على الصور وهم يقولون هذا فلان وهذا فلان ولم يزلوا حتى أوقفوه على صورة محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبا محمد هذا غاية الجهل وكيف يجوز لنا أن نصور صورة محمد صلى الله عليه وسلم فى كنائسنا ونحن لا نقر له بالرسالة وربما

يصورون صورة المسيح فى البيوت الطاهرة ويهينوا صورة المسيح فاقشطوا أنم هذه وصوروا معها صورة الراهب سقراق (يا سادة) فهذا ما كان من أبو محمد وأما ما كان من رسول ملك الملاقطة فانه وصل الى الملك كرفناس ودخل الى البلد بتلك الأموال والهدايا والتحف وتسلم الملك جميع ذلك واجتمع مع عقبة والراهب شومدرس فقالوا أيها الملك نحن ما أتينا الى هذه الديار إلا لاجل خدمتك وزيارة هذا الراهب الذى بعثه المسيح اليك تفضلا عليك فأخذهم الملك ودخل بهم الى كنيسة القدرة وقال للرهبان ان هذين الشخصين يكونا فى الكنيسة الى أن يعود الراهب الجديد اليهما وينالهما من بركانه فقال له عقبة أيها الملك ارسل خلفه (ياسادة يا كرام) وان الملك أرسل خلف البطال ثم اهتم فى شغل ابنته ثم شرع فى أخذ أهبته واجتمع عقبة مع الرهبان فى الكنيسة وصار يومى يقرأ الانجيل ويبكى وتبكى حوله الرهبان ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع تقدم عقبة وشومدس الى بين يدى الطير وكشف عقبة رأسه وقال ابصر ما خبره ونادى يا من هو فى محل الحواريين أنا خادمك الشيخ النجيح صاحب التقديس والتسبيح والمقال الصحيح وانت تعلم أنى لا قيت فى خدمتك الشدائد وقاسيت الأوابد والآن فقد أتيتك زائرا وقصدتك مهاجرا ولا أعلم انى عندك من المقبولين أو من المطرودين (قال الراوى) فعند ذلك مال الطير وصفر صفير حنين ثم شرع يقرأ الانجيل بلسان تلك الديار فأطرب الأحجار فبكى عقبة وقال ويلك يا شومدرس وحق المسيح هذا صوت الحوارى الذى سمعته فى هذا اليوم وان الملعونين الاعورين عقبة وشومدرس كشف الله ستره عنهما ولما فرغ الطائر من قراءته قال لهما أهلا وسهلا بكما أيها الشجعان الذين هم صالحان وزاهدن وعابدان الرهبان فى دين المسيح شومدرس والشيخ النجيح فانى سألت المسيح أن يجمع بينى وبينكما على منهج أنسه ومحل قدسه والآن قد جمع بينى وبينكما بكل الأسباب وانه قد عرف ما قاسينا من العرب والمسلمين والبطال أيضا ذات الهمة وعبد الوهاب والمسيح يضاعف لكما الثواب ويدفع عنكما العقاب وأنت أيها الشيخ النجيح الذى جرى لك كذا وكذا فى يوم كذا وكذا وأنت قتل ولدك دهرشوم فى بلد الزغاوره قتلته ذات الهمة وقتلت زوجتك شوما فى الدير قتلها ظالم فى نوبة ملكية زوجة ميخائيل وأنت أيها الشيخ النجيح قد قتل ولدك مصعب قتله البطال وأنا أخبر بجميع الأحوال وأنت يا شيخ قد جاهدت فى حقنا وصبرت لاجلنا فلو رأيت روح ولدك مصعب وهى فى الجنة تتنعم وتتقلب وأنت أيها الشيخ أبو الشر لو رأيت زوجتك شوما وكذلك ولدك دهرشوم وهم فى الجنان يتنعمون لا شتقت أن

تكون عندهم فلما سمع عقبة ذلك زاد اكتئابه وزاد به الوله والجنون وقال على رغم أنف المسلمون آمنت وصدقت أيها الروح الروحانى والأمر الربانى أنت هو الحوارى على التحقيق الذى يدل الناس على الطريق أنت رفيق للمسيح فى السياحة وخادمه أنت نعم الصديق وكفر الملعون عقبة الزنديق وقال لشومدرس يا أبو الشر بانت الحقائق لسائر الخلائق وهذا كلام صادق فوحق الحى الناطق ما كنت أقول انى أدرك ذلك الزمان ولا ألحق هذا الأوان (قال الراوى) وان الطائر تكلم ثانى مرة وقال لهما لقد أحببت أن أجمع بينكما وبين أهاليكما الذين قتلهم المسلمون حتى تعلمون أين مستقرهم فقال عقبة ياسيدى آمنت وصدقت هذا وشومدرس قال ويلك ياعقبة اننى كنت مشك فى خبر هذا الطائر حتى أخبرنى بخبر شوما فعلمت انه قد درى بسائر العلوم فقال عقبة ويلك ما أنحسك وما أقل عقلك وما أتعسك ويلك ياشيخ شومدرس مازاد فى شك من قدرة المسيح ومن الدين الصحيح فقال شومدرس ماتزال كذلك والآن مابقى عندى شك ولا ريب وما الخبر مثل نظر العين (قال الراوى) وان عقبة وشومدرس مازالا كذلك إلى أن أمسى المساء ثم قصدوا المقصورة التى كانوا يؤدوا فيها أبا محمد البطال وقد فرحا بما قد سمعا من الطير من المقال (قال الراوى) وان الملك كرفناس قد سمع ما تكلم به الطير فى حق عقبة وشومدرس وكيف عظم قدرهما وقد وعدهما بالعطايا وقد غفر لهما سائر ماعملا من الخطايا وان الملك أتى الى زيارتهما وسلم عليهما ففرحا به وقال له عقبة أيها الملك انى أريد أن أجتمع بهذا الراهب الذى أزال هذا الأمر المنكر وعرفكم الطريق الأنور فقال الملك انه فى دير الحاجب وأنا أرسل وراءه فقد أوحشنا وقد اشتهت أن أراه وان الملك أرسل خاف البطال بعض البطارقة الأبطال وسار فى ساعة الحال الى أن وصل اليه وسلم عليه وقال له أيها الراهب النفيس سيد كل مطران وقسيس ان الملك كرفناس يدعوك اليه فقد حضر عنده الشيخ النجيح وأبو الشر شومدرس وهما مشتاقان اليك وقد أتيا إلى زيارتك والسلام عليك فقال البطال قل للملك مايقدر على المجىء الى مدة ثلاثة أيام لأنه أجل مسمى وأريدها هنا المقام فرجع البطريق إلى الملك كرفناس وأعلمه بذلك فقال عقبة المسيح يشد ازره ويعظم قدره وأمره هانحن فى انتظاره فالمسيح ينفعنا ببركاته وأنواره (قال الراوى) وان عقبة وشومدرس كانا كل ليلة يقرآن الإنجيل ولا يتركان أحدا ينام الى مدة ثلاثة أيام فلما كانت الليلة الرابعة قال مذبحون قد عولت على أخذ هذين الشخصين عقبة وشومدرس فقالت بنت الملك افعل ماتريد فهذا أهون شىء يكون (قال الراوى) فعندها أخذها مذبحون بين يديه وخط

لها عذار كما يدور وعمل على وجهها ذرا كان معه فبقى لها وجه يبرق كأنه لمعان السيف المجوهر وقد ألبسها ثوب أخضر وعمل على رأسها قناع شرب أزرق وأخذت فى يدها عكاز أبنوس وعاج أبلق مقمع بجوهر يلمع وجعل فى رجليها نعلين من الفضة البيضاء والمكان من حسنها قد أضاء ولم تزال الى أن وصلت الى تلك المقصورة فوجدت عقبة وشومدرس هنالك وباب المقصورة مفتوح وروايح المسك من أردافها يفوح وهما مغافلان فما أحسا بها إلا وهى معهما فى المكان وقد أضاء الموضع من ذلك اللمعان وان الجارية وقعت على باب المقصورة فلما رآها عقبة بهت وصار شاخصا اليها وقد طار عقله وذهل لبه وغشيت عيناه من تلك الأنوار التى عليها وقال لشومدرس ويلك يا أبوالشر انظر الى هذا الشخص فهو لاشك من الولدان الذين ذكرهم المسيح فى الإنجيل فلما رآها شومدرس انذهل هذا القرنان ووقعت عليهم الخمدة وخرسا وصارا باهتين والجارية ترفل فى ذلك الثوب الحرير الأخضر المحبوك أذياله ورؤوس أكمامه بالدر والجوهر ثم انها تقدمت اليهما ثم تنحنحت وتكلمت وقالت أيها الشيخان الصالحان اللذان قد قتلا أنفسهما فى طاعة السيد المسيح وحماية لدين الصحيح فأنتما البركة النازلة فقال عقبة وقد جرت دموعه على خديه وأخذه الخشوع وكادان يغمى عليه أنا وحق المسيح بذلت نفسى فى طاعة رضاه ولا أعرف سواه فعند ذلك قالت الجارية ان الحوارى قد عرف حقكما وكثرة عبادتكما وما جرى عليكما من المسلمين وصبركما وقد سأل المسيح أن يجمع بينه وبينكما على بساط أنسه ومحل قدسه ويسافر بكما بنفسه بسم الله أمضيا اليه وتجهز للحضور بين يديه (قال الراوى) فلما سمع شومدرس وعقبة هذا الكلام بكيا وقالا هذا هو النور الربانى والروح الروحانى والحوارى العبرانى ويلك ياشومدرس ماضاع تعبنا وما قاسينا من المسلمين من العذاب وما حصل من البطال وعبد الوهاب هذا وان الجارية سارت أمامهما وهما خلفها إلى أن أتيت بهما الى السرداب ونزلت ونزل عقبة وشومدرس خلفها وعقل عقبة قد غاب وقد انكشف عنه ستر الله وشومدرس قد صار فى أنحس مايكون من الوله والجنون وكان مذبحون لما طلعت الجارية الى نحو عقبة وشومدرس قد نزل بعدها وشك فى السرداب خمس شمعات من أوله إلى آخره وهو من الشمع الذى كان ادخره سقراق وكان يحمل اليه من سائر الآفاق فبقى المكان كأنه لجة من النار من كثرة الأنوار وأطلق الند والعود ونوافش المسك على النار فطلع دخان المسك والعود والعنبر الخام فأعبق السرداب الروائح العبقة وعلق فى جوانبه ستور الديباج الأصفر والأخضر فبقى نزهة لمن نظر ولطخهما بالزباد فكان أول من تقدم وطلع كان

عقبة وقد رجف قلبه فلما ان شاهـــد ذلك قوى عزمه لأنه شاهد مالم يشاهده قط فقال شومدرس هذا كله روائح الحوارى وأنواره فصاح عقبه بلا شك نور ربانى وإذا هذا الموضع قد أتانى والمسيح قد اصطفانى فياليت عين البطال ترانى وولده حتى يرى ما يحل بمن عادانى ثم أنه قال لشومدرس هذا ياشيخ ماكان لنا فى حساب أن يعطينا المسيح هذه المنزلة فقال له شومدرس نلت أفراحك وسعد مساك وصباحك (قال الراوى) فعندها صاحت به الجارية أيها الشيخ النجيح طال مقامك على باب السيد المسيح فقال عقبة أيها السيد الرسول عمنى منك السعد والقبول (قال الراوى) ثم نزل عقبة وما بقى عليه من الستر حبه ونزل بعده شومدرس أبو الشر الراهب وقد كشف الستر عن المناكب ونظر عقبة إلى تلك الشمع وقد حصل تحت الأرض وهى تقد وبعضها من كافور وبعضها من عنبر فقال شومدرس ياويلك ماكانت الأنوار إلا من وجه الحوارى وإنما هى من تلك الشموع وقد اشتغل قلبى شغلا عظيما فقال شومدرس وما هذا شىء ينكر اعلم أن الشموع التى توقد فى الكنائس انما هى بوجه المسيح وهذا شمع مارأينا قط مثله إلا فى قصور الملوك (قال الراوى) فعند ذلك أقبل عقبه على الجارية وقال لها أيها الحوارى والمسيح النورى أين الروح المقدس الحوارى صاحب التقريب والطير العجيب فقالت الجارية بكلام يشفى الفؤاد ويطير الرقاد اجلس أيها الشيخ النجيح على ذلك السرير فان قدرك كبير وليس لك نظير ويجلس إلى جانبك الراهب الخطير وسوف ينزل لكما الحوارى الخطير من هذا العامود الذهب ويكون هذا لاكرامكم عليه قد وجب ولكن حتى تأكلوا من طعام الجنـــة وتهب عليكم نسائب الالطاف والقبول والليلة تقربون وبالحواريين تلحقون وانكم تصيرون من طعام الجنة لا تأكلون ولو أردتم إلى ديار أعدائكم فى هذه الليلة تبلغون وتقتلوهم وهم لايبصرون (قال الراوى) فقال عقبة وحق المسيح ما نريد قتلهم إلا وهم يعلمون لأنى أريد أتولى ذلك وأشفى فؤادى فقد قيل من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى فقالت الجارية حتى ينزل اليكم الحوارى صاحب الناقوس ولو أردتم فى هذه الليلة لاحضرهم لكم وأنتم فى مقامكم بلا تعب ولا نصب فقال عقبة أنه على كل شىء قدير (ياسادة ياكرام) وولت الجارية إلى باب السرداب وهو مشط من حديد فوقه بلاطه من حديد مركبة بهندام دقيق فأول ما نزلت البلاطة موضعها وجرت عليها المشط الحديد وغلقته بقفل وزنه خمسة أرطال فجعل عقبة ينظر إلى فعلها ويتعجب وكانت قد طرحت الانجيل من يدها قريبا من عقبه وشومدرس فأخذاه يقرؤون مافيه وشاغلتهما الجارية حتى غفلوا ودخلت فى شق من ذلك العامود وطلعت إلى مذبحون وقد امتلأ قلبه

شحما ولحما (ياسادة يا كرام) ثم غابت الجارية لحظـــة ومعها صينية ذهب وفيها حلاوة رطبة مثل الثلج مصنوعة بسكر وفستق ولوز وقد طرحت فيها من الزنادق والمسك والعنبر وأن عقبه رفع رأسه من قراءة الانجيل وقال أرى الرسول قد غاب عن عينى ياشومدرس إن أعدت أن تتلاها فى وإن شئت لاتتلاهينى فانه لما أغلق علىّ الباب بلت فى سروالى فقال شومدرس لماذا فما عليك خوف فقال ياويلك لا يكون قد أوقعتنا فى مصيبة أو قد تم علينا أمر من الأمور فقال الراهب شومدرس لاتظن إلا الخير لاينفسد ما عملناه فى هذه الليلة لأن هذا الذى رأيناه ربانى ولا رآه قبلنا مسلم ولا نصرانى وما قال اجلسوا ههنا إلا حتى يأتينا بطعام الجنة ويطهرنا من خبائث الدنيا ولا شك إننا ما نحضر مع الحوارى إلا مع أكل الطعام يالها من ليلة ما أسعدها ان تمت (ياسادة) فهم فى الكلام والجارية قدنزلت بالطعام وقد خط لها عذار بالمسك والغالية فقدمت ذلك بين أيديهم وسلمت عليهم وقالت كلوابارك المسيح فيكما مماأرسله الحوارى اليكما فاذا أكلتما أمنتما من الأوجاع والأسقام وتذهب عنكما شهوات الدنيا فوثبا وقبلا الأرض وقالا نحن المجاهدين فى طاعة عيسى بن مريم والصليب المعظم (ياسادة يا كرام) وتقدم عقبه وأخذ لقمة وكذلك شومدرس هذا الطعام الذى وصفه السيد المسيح فى الانجيل لمن سهر الليل الطويل ولم يزالوا يأكلون حتى صدروا من الحلاوة لأنها كانت من الفستق ودهن اللوز وقلب الفستق واللوز والماورد والمسك والعنبر فقال عقبة لشومدرس أنظر طعام أهل الجنة وطيبته (قال الراوى) فما هو إلا أن حصلت تلك الحلاوة فى بطونهم حتى قرقرت وأخذهم القيام وجريان البطن وكان مذبحون قد جعل هـذا الأمر تذكرة فى موضعه (ياسادة يا كرام) فلما أخذهما ذلك صاح عقبـة لشومدرس وقال ياويلك طعام الجنة يأخـــذ الانسان منه المغص فقال وحق المسيح وأنا وحق العدرا أم النور كذلك إلا ايش يكون العمل نبول فى الجنة فصاح عقبة يادبوث نكتم خرانا نموت فصاروا يتقلقلون وعقبه يحط كفه فى استه وكذلك شومدرس حتى كادوا أن يهلكوا وخراهم مرفوق بكفوفهم وهم فى شدة شديدة وقد عاينوا الموت وكادت بطونهم أن تنشق من المغص والقرقرة والنفخ (قال الراوى) فهم كذلك وإذا بالجارية قد أتت إليهم وقالت لهم ما بالـك أيها المشايخ فقال عقبة وهوفى آخر نفس أيها الحوارى مقصودنا موضع الراحة حتى ننقى من دنس الدنيا فأشارت إليهم أن قوما إلى ذلك المستراح (قال الراوى) فسبق عقبة وجلس ساعة وشومدرس يستعجله ويقول لهويلك قم ياقرنان قال يا أخى أصبر علىّ ساعة وشومدرس يتململ (قال الراوى) وقام عقبـــة وقعد

شومدرس فما لحق أن يقعد حتى لحقت عقبه البطن فصاح وقال ويلك قوم يا شومدرس حتى أقعد أنا فقال شومدرس حتى أنا أقعد مثل ما قعدت أنت ساعة فقال ويلك ياديوث قوم إلا أنا خرايا سابق فى أذيالى وتعبت أيدى، وهى زانقـــة وهو مايع منتن فقام شومدرس وقعد عقبة ما لحق أن يقعد حتى حاش شومدرش خراه فصاح يا عقبة فقال له أصبر علىَّ حتى ينقطع هذا الأنبوب الذى نازل مثل المزراب مثل الذى فى بطنى قربة ملآنة فقام عقبة وقعد شومدرس وهو يقول هذه عقوبات الدنيا ثم صعدت الجارية إلى مذبحون وأخبرته بحالها فقال قد رأيت الآن لا تنزلى اليهم حتى أقول لكى هذا وعقبه قد تخوصت مصارينه من شدة ما حل به وهو يقول نحن سمعنا أن طعام الجنـة إذا أكله إنسان لا يتغوط وما أدرى هذا فتح علينا باب خره وأنا أرجو أن لا ينزل الحوارى ونحن فى هذه الحالة فقال شومدرس طيب قلبك ما ينزل الينا الا وقد نقينا وطهرنا فقال عقبه قم بنا نصيح اليهم لعل يرسل الينا شىء يقطع هذا عنا فقال شومدرس وحق المسيح ما بقى فى شىء أصيح فياليت المسيح يمن علينا بالخلاص مما نحن فيه وقد طهرنا وما كنا نريد هذه الطهارة كلها وكان يكفينا نصفها وصاح عقبه نحن بالله بالمسيح والحوارى هلكنا فهم الكلام وإذا بالجارية قد نزلت اليهم فى شكل ما رأى الراؤن أحسن منها بلحية سوداء تزيد على الشبر مثل الليل وعليها حلة ووجهها مثل القمر ليلة أربعة عشر وصاحت لهما أبشروا بالثواب وبلوغ المرام فصاح عقبه ما نرى عاجل الحال إلا العقاب وقد وقعنا من وقت أكلنا الحلاوة فى عذاب فما الذى لعمل معنا حتى يزول هذا عنا (قال الراوى) فناولتهما طبق صغير وقالت لهما هـــذا يذهب عنكما الرجس والتكدير ويجب لكما التطهير (يا سادة) وكان قد ضعف عن القيام مما جرى عليه لأنه شيخ كبير فأخذه شومدرس القواد بيده وأجلسه وتناولا مما فى الطبق فما هم إلا أن أكلا ذلك حتى أمسكت بطونهما (قال الراوى) فقالت الجارية المسيح يقول لك أيها الشيخ النجيح قبل أن ينزل اليك من تريد فى هذه الساعة من أعدائك حتى أمثله بين يديك ويذبحه وتقر به عينيك وأكون أنا قد أوصلت المسرة اليك فقال عقبة وقد طار قلبه فرحا اننى قد ذهب مالى وأولادى حتى يطمئن قلبى ويشتفى غليلى وغليل هذا الشيخ الصالح الذى قتلت زوجته وولده وقد كنت أريد عبد الوهاب وأمه ذات الهمة ثم قال ولكن أريد أبو محمد البطال والآن أريد من المولى الحوارى أن يحضر لى واحدا قد ظهر فى ذلك الزمان مثل الشيطان وهو ولد ذلك اللص المحتال أبو محمد البطال واسمه مذبحون وهو فى الحيل والمناصب من أجل المراتب فان أنعم به الليلة علمت أنه قادر ولهم قاهر فما أشرب الليلة ماء أشرف من

دم مذبحون فقال شومدرس ويكون عوضا عن ولدى دهرشوم فان عيشى بعده عيش مذموم (قال الراوى) فصعد رسول الحوارى وهو يقول السمع والطاعة فلما غاب قام عقبه لشومدرس نحن فى منام ان جاءنا مذبحون بلغنا المرام فقال شومدرس ان أتى بواحد طلبنا منه الباقين و نتخلص فى كرة واحدة وتستريح رؤوسنا فقال عقبه لا بد ما ننصب الخشبة على باب الذهب ويصلب المسيح من مناصله (قال الراوى) فهم كذلك والجارية قد نزلت اليهم وقد قبضت على يد مذبحون وعليه ثياب بياض قصير الاكام وفى يده خنجر أمضى من الحمام وقالت له أيها الشيخ الصالح تسلم خصمك (ياسادة يا كرام) فلما رآه عقبه عرفه وقال وقد صاح جاء مذبحون وحق المسيح فتحير شومدرس وتخيل فى عقله وصاح ملو بطنه وحق المسيح لقد كنت أظن أننا فى هزل إلى وقتنا هذا والآن فقد ظهر الحق ونادى عقبه سلمه الينا فهذه نعمة قد أنعمها المسيح علينا (قال الراوى) فجعلت تجر مذبحون حتى أوصلته اليهم والشيخ النحس عقبه مد يده ليقبض عليه فمد مذبحون يده اليسرى فقبض على لحيته ولطمه باليمنى على عورته فأبطل بها قوته (ياسادة يا كرام) فتحير عقبه وهو يعد فى العمى الذى قد غلب عليه وعلى قلبه من حب دين النصرانية وهو بين المصدق والمكذب فقال لشومدرس ويلك نادى الحوارى وقل له جلبت لنا هذا وخليته مطلعا علينا ونحن ضعفاء مما قد جرى علينا من لقيام فى هذه الليلة وانحبست عنا وتركته حتى يشتفى منا (قال الراوى) فصاح شومدرس بالحوارى وجعل يستغيث بهم فنزلت له الجارية ومعها عصى لوز مر لو ضرب بها جمل تقنطر إلى اليمين وأقبلت على شومدرس ونزلت عليه وجعلت تضربه وتقول طيرتم الليلة نومنا كم من هذا الصياح إلى الصباح يا ويلكم الجن ناموا وأنتم ما تناموا فقال شومدرس لعقبة اسمع ياويحك فقال هؤلاء جن قد تصوروا لنا وحق المسيح وان كل من يدخل فى هذا الطائر من الجن لا محاله وهذا ما هو مذبحون وما هم إلا شياطين قد لعبوا بعقولنا الليلة وما نخلص منهم إلا إلى الصباح فقال شومدرس ليتهم كانوا لعبوا فى البيعة وخلونا نحن فقال عقبة لا وحياتك نحن قوما عربا والعرب ظرفاء ولا وجدوا أقل عقولا منا ولا أنحس فليتنا لا ابلينا فى هذه الليلة بهذه البلية فقالوا شومدرس الأحكام إذا جاءت لايقدر المخلوق يردها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان مذبحون لما أن سمعهم يتشاجرون فى ذلك جعل يتعلق فى الزوايا إلى أن يصلى إلى السقف ثم ينفخ عليهم السندروس ثم يرتفع ويسقط فينزل تارة على عقبة وتارة على شومدرس فيصيح عقبة إلى شومدرس ما قلت لك أنهم جن وليلتنا معهم طويلة ثم صاروا يبهتون إلى مذبحون والجارية تثقلهم بالفصع فقال عقبة مضيت ليلتنا نوبة للقيام وجاءت نوبة

الصفع بالبراطيش والإقدم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وما كان بقى مع عقبة وشومدرس ما يصيحون ولا يردون عن أنفسهم لأنهما كانا قد خفتا من القيام فلم يزل الصفع يعمل معهم وعقبة يتعوذ بالإنجيل ويقول صرفتكم بحنا ومريم وكلما تعوذ زاد الصفع فى قفاه فقال شومدرس ياقاضى ما أراهم ألا يكرمونا بحنا ومريم لاستر المسيح على هؤلاء الجن والله ما يصيح الديك وفينا عين تطرف ولا روح ترجف (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما ضعفا وخفتا شدهما مذبحون كتافا وقد غشى عليهما وما أفاقا إلا عند الصباح وقد خفتت منهم الأرواح فلما طلع الصباح وطلع الفجر من الشرق ولاح فتح عقبة عينه الصحيحة ونظر إلى مذبحون ابن ابو محمد البطال على الحقيقة وعلم أنه قد أصيب فبكى وقال لشومدرس يكون فى الاحتراز أكثر من هذا تنتهى إلى بلاد الملافطه ونكون فيها آمنين ويرجع المسيح يبعثنا إلى هؤلاء الشياطين هدية لا تعب ولا نصب ما المسيح الا مسلم فقال شومدرس من وقت أخذنى ذلك المغص علمت أنه قد حل بنا الغصص هذا ومذبحون قد شدهم كتافا ولقمهم الاكره وقال لعقبة كيف حال الشيخ قال له بخير ما دام أنى لا أرى طلعتك وطلعت أبيك ويلك ما الذى ههنا طرحك فقال الحوارى قال تعالى إلى كنيسة القدرة فاننى أحمل اليك شومدرس والقسيس عقبة من بلاد الملافطة فقال عقبة لاستر المسيح عليك ولا على الحوارى معك فلقد رأيت هذه الكنيسة التى كانت ميشومة علىّ وعلى رفيقى وحق المسيح لقد تحيرت فى أمرى وكان هذا الطائر تمام الحيلة ولقد كان قلبى منه نافر ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر ولامفر من الحكم والقدر فاقتلنى بحق دينك يامذبحون فقد أيست من الحياة وطلبت نفسى الوفاه وإنى أعلم أنه لابد مما يأخذ الخليفة بتارى ولا يبقى منكم ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال مذبحون دع عنك هذا الجنون فلابد من نتف دقنك مع سبالك وضربك بعد صفع قزالك ثم جعل ينتف دقنه خصله بعد خصله ويهزها ويقلعها من أصلها وعقبة يصيح ويقول ويلك لاتفعل فان المسيح ينتقم منك ولو بعد حين هذا ومذبحون يقطع دقنه ولا يلتفت إلى قوله فطلب عقبة أن يستريح منه ساعة فقال له ويحك كيف ابتدأت بنتف دقنى وقلع شاربى دون صاحبى فقال شومدرس يا عقبة خلى عنك السهاته والخترفة فقال عقبة عند ذلك بحق دينك يامذبحون أريد أسألك عن هذا الطائر وقصته وكيف أطلعت على حاله فقال مذبحون ويلك هذا عمل سقراق حتى يأخذ به عقول النصرانية ثم جعل يحدثه بجميع ما جرى والأحوال التى جرت فقال عقبة ويلك خلى عنك هذا كله فمن الذى يتحدث فيه فقال الحوارى الذى أرسلنى اليك فقال عقبة

ومن يكن هذا الرسول الذى مثل القمر المنير فقال له مذبحون وقد زاد به غيظه هذه ابنة الملك كرفناس ثم حكى له قصتها مع سقراق وأنها قد أسلمت فعظم شرارته وتفطرت مرارة عقبة وقال لشومدرس أنظر إلى هذه الحالة فقال ما تقعد حتى تطلب مذبحون فقال عقبة أنا وأياك طلبناه ثم أن مذبحون كتفهم كتافا جيدا وعمل فى أقفاهم الاكرار وجعلهم عبرة لمن اعتبر وأن أهل الكنيسة كان لهم عاده اذا أنتهوا يأتون إلى صوب عقبة وشومدرس يسمعونهم يقرؤون الإنجيل ويتلون المزامير فانقطع عنهم حسهما فى تلك الليلة فقالوا وحق المسيح ما نعلم ما جرى على الشيخين الصالحين وكان كرفناس قد شفق أيضا بهما ولا بقى له صبر عنهما فأتى من الغد حتى أنه يراهما فقالوا وحق المسيح ما ندرى ما جرى عليهما من العبر ولا نعلم لهما خبر ولا وقفنا لهما على أثر فقال الملك ويلكم يكون عندكم أقوام فى وسط البيعة يفقدون ولا تعلمون أين يذهبون ثم أن الملك تقدم الى الطير الذى يعتقدون أن الحوارى فيه وقال أيها الحوارى النفيس والسيد الرئيس أن الشخصين اللذين جاؤا للسلام عليك وعظمت قدرهما فانهما أصبحا وما لهما خبر فلما سمع ذلك سكت ولم يتكلم فقال الملك وحق المسيح ما سكت الطير الا وهو يعلم أن رهبان الكنيسة والقسوس ماعاملاهما بخير هاتوا رهبان الكنيسة نصفهم فجاءهم فصار الملك يصفعهم واحد بعد واحد الى أن صفع الجميع وعمل بهم كل أمر شنيع فعندها مال الطير شمال ويمين ونادى بصوت قوى حنين بعد قراءة فصل من الإنجيل وقال أيها الملك الجليل أن الشيخين العابدين قد وصل الى عند الشيخ الصالح والراهب الناصح الى بيعة الحاجة لأنهما اشتاقا اليه ومضيا للسلام عليه وكانك بهم وقد قدموا عليك ويأتون الجميع اليك فعندها قال راهب يقال له طيبون لأى شىء هذا الفعل القبيح ياخادم المسيح ما تكلمت الا بعد ما حصل لنا الصفع الصريح (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من أبو محمد البطال فانه لما وصل الى دير الحاجة دخل الى تلك البيعة التى فيها صورة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل يقرأ لهم الإنجيل وينظر الى تلك الصورة التى فى البيعة حتى وصل اليها ورآها وعرفها فادعى بالرهبان وقال لهم انى أنكرت هذه الصورة فما هى فاننى قد رابنى أمرها فما هذه صورة حوارى ولا صورة شهيد فقالوا يا أبونا هذه صورة نبى المسلمين فقال لهم ياملاعين ولاى سبيل تصوروا صورة محمد صلى الله عليه وسلم ههنا حتى تشتفى منها كل حين فقال خذ لكم المسيح فأنتم تقولون صورة نبى فقد صدقتموهم فى المقال والكلام والفعال فاذا سمعوا ذلك صوروا عندهم عيسى ابن مريم ويعملون به ما أرادوا من جميع النقم والأمر المبرم ويتركونا شهرة بين الأمم فقالوا ياأبونا وحق المسيح

لقد قلت القول الصحيح فكيف العمل فقال اقلعوا هذه الصورة وصوروا موضعها صورة الراهب سقراق الذى ظهر نحسه فى سائر الآفاق وظهر للروم ماكان فيه من الزور والنفاق فانه أحق بهذا وأولى فقالوا له الرهبان وحق المسيح هذا هو القول الصحيح فعندها قلعوا تلك الصورة وعملوا موضعها رهبان دير الحاجة وسار من ساعته طالب مدينة الملك كرفناس ووصل الى البلد ووصل الخبر الى الملك بقدوم الراهب الصالح والرجل الناصح الذى يسعى فى المصالح وأخبروه انه قد وصل فلم يبق أحد الا ووصل اليه وخرج بلقاه وخرج الملك بنفسه وحوله جماعة القسوس والرهبان وفى أوائلهم الراهب طيبون لأنه هو المقدم على الرهبان (قال الراوى) والتقى الملك بأبو محمد البطال وترحب به وسلم عليه وقال وحق المسيح هذه صفة السعداء الصالحين والقوم السائحين فقال له أيها الراهب الأجل الرفيع المحل انه قد وصل الينا رجلان صالحان وماقصدا لهذه الديار الا لزيارتك ولا دخلا أرضنا إلا لأجلك الواحد يقال له الشيخ عقبة والآخر يقال له شومدرس عالم النصرانية ولا نعلم ماكان منهما وقد أخذنا القسوس وصفعناهم وقلنا ان الحسد قد أخذهم حتى قتلوهم فقال أبو محمد لقد ظلمتهم أيها الملك وهؤلاء القوم قد كانوا عندى البارحة أول الليل ولم يعلم بهم أحد غيرى وأخبرانى أن المسيح أعطاهما منزلة السياحة ويدوران الأرض جميعها وهيهات هيهات أن يرجعا اليكم أبدا فقال الملك وحق المسيح ماكنت منتظرا الا أن أسلم ابنتى إلى هذا الرسول وأسير فى عالم لايحصى الى بلاد المسلمين على نية الغزو وآخذ لها بالثار وأخرب الديار فقال أبو محمد المسيح يعطيك سؤالك ويبلغك مأمولك (قال الراوى) هذا والبطال قد طار عقله من الفرح وامتلأ فؤاده شحما ولحما وانشراح (قال الراوى) ثم ساروا جميعا إلى أن دخلوا الى البلد وقد خرج كل من فى المدينة يتلقاه ولو قدم عليهم المسيح بنفسه ما فعلوا به كما فعلوا بابى محمد البطال وصار كل واحد من القسوس يسلم اليه قصته وتورم رقبته فقال أبو محمد لقد أخطأ الملك عليكم وقد عاتبته على ذلك فقالوا وحق المسيح مانم علينا ذلك الا بسكوت الطائر عنا والملك يصفعنا فقال ما سكت الا غيظا من الملك ثم دخل الى الكنيسة فى صحبة الملك وسائر خواصه ورفع صوته بقراءة الانجيل واذا بالطائر قد مال وصار يقول مرحبا بقدوم الشيخ الصالح ومن هو فى العباده ناصح فعظم أبو محمد فى عين الملك وقال هذه منزلة عظيمة لك يا أبونا عند الحوارى لأنه فرح بقدومك ثم أن أبو محمد البطال صبر الى الليل ودخل الى المقصورة وقد فتح له مذبحون واعتنقه وقال له يابنى وقع الخبيث قال نعم لاخلصه الله تعالى وقد قلت دقنه ونتفت شاربه وملخت أذنه وقد عولت انى أحرقه بالنار فقال البطال وعلى هذا عولت ياولدى ولا بد أن أقتله إن

شاء الله تعالى ثم انه هجم عليهما (يا سادة) فلما نظر عقبة إلى أبو محمد البطال انتقض وضوءه وقال له أنت خلني فقال البطال يا كلب النصرانية من الذي جاء خلف صاحبه ولكن يا قاضي أنا معول على شيء وأريد رأيك فيه فان كان صوابا أمرني بفعله والا فقل لي أتركه فقال عقبة هذا هو الرأي الذي تشاورني فيه فما عرفت انك تشاورني في أمر يكون فيه الصلاح فلا كتب المسيح عليك سلامة فقال اعلم يا قاضي اني قد عولت أن أخالف الأمير عبد الوهاب وسيد بني كلاب وما دخلت إلى هذه الديار إلا بسببك فان الأمير عبد الوهاب إذا حلف لا يحنث ولا ينكث وهو قد حلف انه لابد له من صلبك على باب الذهب وقد جرى علينا ألف كرة تعب عظيم نقبض عليك وتنفلت من أيدينا لان الاجل فيه تأخير وأنا فما على من يمين عبد الوهاب لانه يريد إذا صلبك يرشقك بالنشاب وتشمت بك الخلق ويلعنوك المسلمين الى قيام الساعة إذا بان لهم كفرك ولكن ايش رأيك فيمن يخنقك خنق الدجاج وهذه نوبة ما يعلم بها أحد وكذلك الشيخ شومدرس وأشفي قلبي منكم فما بقي في العمر أكثر مما مضى فلما سمع عقبة ذلك كشر عن أنيابه وضحك ضحكة الخوف والبلاده وقال قد قلت لك انك ما تشاورني في شيء يكون فيه منفعة ويلك يا شيطان ما تعلم ان خصمك المعتصم وقد قبض على عبد الوهاب وعلى أمه ذات الهمة وذلك بعد قتال شديد وحرب أكيد وبعد هذا كله أخذه الأمير عمرو في صندوق وسيره الى المعتصم هو وأمه وكان السبب في ذلك مطرون الطبيب وقد شهد بأنكم أعطيتموه سقيه يقتل بها أمير المؤمنين وقد قتل أمير المؤمنين ظالم وسيف الحنيفية وضيغم والأميرة في القيود وقد حلف أيضا انه لابد له من قتلك وان أبطئت عنهم قتلهم وقد حلف المعتصم أيضا انه لا يفك أحدا من قيده ولا يعفو عنهم حتى يراني سالما والا فهو يعلم ويتحقق انكم أنتم الذين عملتم على هلاكي صح عنده ذلك فانه يقتل الامراء ويقصر آجالهم ويقلع آثارهم وها أنا قد صدقتك وحق المسيح في القول الصحيح ولا كذبت فيه ولا صيغت معانيه على انني وحق ما أعتقده وما تعلمه مني ما قلت هذا فزعا من الموت ولا خوفا من الفوت (يا سادة) فلما سمع البطال ذلك من كلامه اصفر لونه وتغير وجهه لانه سمع من عقبة حديثا غريبا فعلم ان بعضه صحيح وبعضه كذب فقال مذبحون يا أبي قد عولت أنت على عقوبته أو أعطيني الصوط فأعطاه اياه فجعل يضرب عقبة وشومدرس الى أن كل ساعده ثم صعد هو وولده والملكة وأقبل أبو محمد على ولده وقال له يا ولدي والله لقد اشتغل قلبي غاية الشغل وان مطرون يفعل هذا وأكثر ويهلك الامير لانه رجل مجاهد صادق ما عنده كذب وقد أبهته الساعة مطرون في مجلس السلطان ولا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم وما فيهم من له حجة يدفع بها عن نفسه فقال مذبحون يكذب فقال البطال ان كان يكذب فى الكل والله ما فعلت به شيئا ووالله ان شعرة من رؤوسهم أحب الى من عشرة آلاف مثل هذا الكلب النحس وجعل أبو محمد يدبر فى خروجه الى بلاد الاسلام ويقول والله ما صعب على الخروج من بلد قط مثل هذه المرة فالله يسهل لنا الفرج ويجعل لنا من هذا الضيق مخرج (قال الراوى) فقالت الملكة ان كان لكم خيل تركبوها وبغال ترفعون هذه الاموال عليها وتحملون هذين الشيخين فى صندوقين وعدة تلبسونها فأنا والله أعرف الطريق السالم من السباع والمهالك والطريق المنقطع وأعرف ما لا يعرفه غيرى ولا عليها خوف الا من جهة قاطع الطريق يعيقنا عن المقصود وأما أنا فأنا أكفيكم مؤنة خمسين فارس لان أبى علمنى الفروسية فلا أدرى هل فيكم من يدفع عن نفسه أم لا فقال أبو محمد عند ذلك أنا وولدى نلتقى جيشا فطيبى قلبك وانى قد افتكرت فى قلبى وقلت ما لنا خروج الا بك فقالت وكيف ذلك فقال اذا كان الليله تخرجين فى ظلام الليل الى وسط الكنيسة وعليكى ثياب الصوف وترفعين صوتك بقراءة الانجيل فاذا اجتمعت عليكى القسوس والرهبان وأروكى وسألوكى عن حالك وأين كانت غيبتك هذه الايام فقولى كان المسيح قد غضب على وقد أخذنى الى دار العذاب لاجل مطاوعتى الراهب الملعون سقراق وسماعى لمقاله والعقاق وعاقبنى على ما سلف من تلك الذنوب القديمة وما زال يعذبنى حتى سال فى هذا الراهب الجديد فأطلقنى هذه الليلة (قال الراوى) فقالت الجارية يا أبو محمد وما قصدك بذلك قال إذا خرجتى الى القصر أبيكى تخاصى لنا البغال والدواب والخيل والعدة وكلما نحتاج اليه ونعول عليه فقالت الجارية الآن علمت المقصود وما بقيت أحتاج الى وصية لانى قد انقدح لى شيئا كثيرا بهذا التدبير ثم انها لبست ثياب الصوف الملونة وصبرت الى ان دخل الليل وطلبت وسط الكنيسة فى غسق الظلام وتلت الانجيل بصوت شجى وحلق ندى ووردت طرائق الالحان فاستيقظت القسوس والرهبان وقد سمعوا ذلك فخرجوا من المقاصير وقصدوا اليها وداروا حواليها وفرحوا بها وخرج أيضا أبو محمد البطال فتقدمت اليه وقبلت يديه وقالت له جذاك المسيح خيرا فلولا دعاك لكنت فى العذاب الشديد (قال الراوى) وسألوها الرهبان عن غيبتها فأخبرتهم بما علمها البطال ففرحوا بذلك وقالوا ما هـذا الراهب عند المسيح الا بمكان عظيم ثم فتح لها باب الكنيسة ليلا وسارت القسوس تحجبها وأبو محمد البطال بجانبها وهو يقول وينادى هذه قد جاءت من عند المسيح وبلغ الخبر الى الملك كرفناس فأتى اليها بنفسه وتلقاها وانقلب القصر من سائر جوانبه وأخبرت أباها بأن

المسيح قد رضى عنها وهو يسلم عليه ففرح بذلك فرحا عظيما واجتمعت بوالدتها فوجدتها بأسوء حال لفراقها وقد أشرفت على العمى من كثرة البكاء (ياسادة) ثم قالت لأبيها قد سعدت بلدنا بهذا الراهب ولقدقلت للمسيح اغفر لأبى وأمى مما كانا عليه من ضلالةسقراق فقال لى انى لك ولهم ولكن بشرط انك تمضى الى زيارة قمامه التى ببلاد الشام وتكسين ألف عريان وتشبعين ألف جيعان وتعطى عشرصلبان فاذا فعلتى ذلك غفرت لك وجمعت شملك بأهلك وقد نذرت ذلك كله بين يدى السيد المسيح والا ما كنت رأيتنى قط فلما سمع أبوها هذا الكلام قال لها يا بنية فان كان الأمر على ماذكرتى والحال كما وصفتى فأنا أبلغك سؤالك وأرسل معكى الغلمان ومن الأموال خزائن وأعمال ثم التفتت إلى البطال وقالت كله ببركتك ومساعدتك ومشاهدتك ثم قالت الملكة بقى فى خاطرى شىء آخر ياأبتى ولكن وحق السيد المسيح قلبي مشغول بشىء واحدلأن غلمانى وأهل هذه البلاد لايعرفون تلك الأرض ولايخبرون تلك الأمصار وقد عولت ياأبتى أن آخذ هذا الراهب صحبتى فانه خبير بالطريق ويعرف سائر ملوك النصرانية فقال الملك صدقتى والثانية ان أعداءنا كثير فى الروم وانهم كانوا يسمعون بخبر هذا الطير وقصة سقراق وما كان يفعل فاذا خرجتم الى هؤلاء لا آمن عليكم ان يعترضكم أحدا من ملوكهم ويقولوا هؤلاء أصحاب الطائر الذين خربوا عليهم القسوس فيكون هذا الراهب مجاوبا لهم ومصادما عنكم بما يعرفه من حسن التدبير فهو بالأمور خبير (قال الراوى) فعند ذلك قال أبو محمد البطال أيها الملك انا أخرج معها خدمة للمسيح بذلك ولا ابخل بنفسى عليها وكرامة لما خلصها المسيح بالقبول وبلغها المأمول وانى عارف بتلك الديار أعرف من الصبى لثدى أمه وسائر ملوك النصرانية تعرفنى وانهم اليوم قد ذلوا وعجزوا عن قتال المسلمين لأنهم انتشأ لهم فى ملطية أقوام يقال لهم بنو كلاب ولهم مقدم له الأمير عبد الوهاب قد أذلوا ملوك النصرانيه وأهلكوا الطائفة المسيحية (قال الراوى) فضحك الملك وقال هذا الأسود الذى ذكرته قد سمعت به يا أبونا وقد سمعت أيضا ان عندهم لص آفة فاق سائر الآفات وسارق الملوك من ثيابهم والأطفال من مهودهم وانى أريد أن أسير الى الغزو الى بلاد المسلمين والجهاد ولا بد من أخذه وحشو جلده تبن وأريح الناس من مكره وحيله فقال أبو محمد أيها الملك بحق المسيح صلب على وجهك ولا تذكر لى ذلك الرجل فانى نظرته بعينى وقد سرق أربعين ملكا فى ليلة واحدة من فوق أسرتهم وفتح الف حصن فى نهار واحد وذبح مائة الف بطريق فى ساعةواحدة وحلق لحية الف راهب ولا يذكر فى دار ولا فى موضع الا ويحضر عندهم

فى تلك الساعة بعينها فيأخذ منهم كل نفيس ويذبح كل راهب وقسيس ولا يترك أغنياء ولا مفاليس وهو إذا أراد ظهر فى صورة إبليس (قال الراوى) فضحك الملك وقال يا راهب لقد خامر عقلك فزع عظيم ولكن سيروا أنتم وها أنا راحل بعدكم فى آثاركم ففرح أبو محمد البطال وجهز أشغاله وقد برزت الجارية خيامها وغلمانها وأموالها وضربت الخيام بظاهر المدينة وخلا البطال بولده مذبحون وأعاد عليه قصة الجارية وما دبرت ففرح بذلك وقال لله درها ولقد دبرت شيئا لم يخطر لنا على بال ثم ان البطال أخرج صندوقين كانوا لسقراق وفيها أموال فأخرج المال منها وعباها فى الأعدال ووضع عقبة وشومدرس فى الصندوقين موضع المال وصبر الى الليل وأخرجهما من الكنيسة إلى المكان الذى ضربت فيه خيام الجارية ابنة الملك ونظر البطال الى ماقد دبر معها ففرح بذلك (ياسادة) وأما الجاريه فانها صارت الى وداع أمها فوجدتها وهى حزينة باكية لأجل فراقها فقالت لأمها لقد أحزنتينى لبكاكى ورق قلبى لشكواكى فقالت العجوز يا بنتى ويا حشاشة كبدى ماحل لفرقتنا فقالت لها يا أماه لو قبلتى منى أتيتى معى الى تلك الديار وتخلصين من عذاب النار فقالت لها امها وكيف ذلك يابنيه فقالت الجارية وقد طمعت فى اسلامها يا أماه أنا قد عرفت ربى لأنه واحد أحد فرد صمد ثم اعلمتها بقصتها وحديث البطال ومذبحون وعقبة وشومدرس وانها قدأسلمت وهى معولة على المقام فى بلاد الاسلام (قال الراوى) فلما سمعت أمها ذلك من كلامها أظهرت الفرح وقالت أنا الليلة أفعل ذلك وأطلب من أبيكى انى أسير صحبتك ولا يعلم بذلك أحد فقالت لها يا أماه افعلى وعجلى ثم ان الجارية خرجت وأتت إلى أبو محمد البطال وكان فى انتظارها فسألها عن حالها فأخبرته بما قالت لأمها فقال والله لقد فعلتى واستعجلتى ولو كنتى سكتى كنت أنا أعمل عليها حيلة وآخذها معنا ولا آمن والله منها (قال الراوى) ثم ان أبو محمد فى الكلام مع الجارية والعتاب وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما وقد أقبلت الرجال وهجمت على أبو محمد البطال وقبضوا عليه وعلى مذبحون وعلى الجارية وفتحوا الصناديق وأخرجوا عقبه وشومدرس ووقع الصياح وقدموهم قدام الملك (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أم الملكة لأنها دخلت على الملك وخلت به تلك الليلة وأخبرته بما قالت لها بنتها فهذا كان السبب فصاح الملك على أبو محمد وقال ويلك يا شيطان انك أبو محمد البطال العيار المحتال ثم كتفه هو وولده وأخذ المال الذى معهم وأنزلهم المطمورة وقال وحق المسيح لا بد من صلبهم ثم التفت إلى بنته وقال لها صبوتى إلى دين الاسلام فقالت له يا أبى قد بان الحق وأنا من أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم فأمر بها إلى المطمورة معهم ورتب عليهم

العقوبة وكان المتولى عليهم بالعقوبة الراهب طيبون (قال الراوى) وكان هـذا طيبون اعلم زمانه وقد قرأ الكتب وعرف الايمان ولما رأى ما قد جرى على أبو محمد وولده علم أنهما على الحق فلما تولى ضرب أبو محمد البطال كان يشفق عليه ونظر أبو محمد أيضا إلى تلك الشفقه فى طيبون فجعل يصيح صياحا عاليا فقال له الملعون عقبة ويلك يا أبو محمد كيف ترى هذا اليوم من أيشم الأيام عليك يا ملعون فكشر عقبه عن أنياب كأنياب الكلاب وقال كيف ترى هذا الراهب طيبون فقال مثلك مجنون والافما هذا ضرب الآدميون فان كان لك نية فى قتلنا فلا تعذبنا فقال عقبة لا وحق المسيح عذابك أحب إلى من قتلك فانك إذا قدرت على فلا تبقى على أنت أيضا فقال أبو محمد ان كان ولابد من ضربى فتولى أنت عقوبتنا دون هذا الشيخ المجنون لأنه يضرب بلا صنعة ويحنق علينا فقال عقبة ما أعمى قلبك وكان قصدى أنا من يوصل الأذية اليك وحق المسيح لايتولى عقوبتك بعد هذا اليوم إلا هو حتى نموت كمدا ولا يبقى لك جلد فقال أبو محمد حسبك الله فانه ان أمهلك فى العاجل لا بد أن يأخذك فى الآجل ثم أنهم صعدوا من عندهم وغلقوا باب المطمورة ومضى عقبة إلى الملك وسلم عليه وخدمه وجعل الملك يكرمه غاية الاكرام ثم قال له ياشيخ النصرانية من أين أقبلت فقال من عند اللص المحتال أبو محمد البطال وأجريت عليه قطعة من النكال وأننى أيها الملك قد جعلت عقوبته إلى هـذا القس العالم وما كنت أظن أن ألتى فى مثل هذا الراهب طيبون وقد اعتمدت عليه ووثقت به ووليته على عقوبة هـذا الشيطان إلى حيث يقضى الملك الجهاد فى بلاد الاسلام لاننى أنا والراهب شومدرس ما يمكننا أن نتولى كل يوم عقوبته بل نكون فى البيعة مشتغلين بالعبادة والدعاء للملك أن ينصره على أعدائه فلا تدع يدخل لهم غيرى فقال الملك لا بد ما ننزل إلى ابنتى كل يوم بطعام مع بعض جوارها وشيئا يأكل اللص المحتال وولده ما يمسك رمقه وإلا يهلكون (قال الراوى) فقال عقبه أيها الملك لاتغتم بالذى جرى عليك فما هو إلا أمر هين وسوف نبيض وجهك عند السيد المسيح وعند أهل الدنيا إذا أصبحت البلاد فى قبضتك وأرحت النصرانية من المسلمين الأوغاد وطيبت ديارهم بالعساكر والأجناد ولا تجعل ملكك إلا بالقسطنطونية لأنها تحكم على سائر الأقاليم وفيها الملك العظيم من زمان الهراقلة والملوك الأولى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال فانه أقبل على ولده مذبحون وقال له يابنى كيف ترى حالك فقال الله الحمد على كل حال ولقد حمل الله عنى الوجع والضرب وأزال عنى ما كان بى من شدة الكرب فقال أبو محمد ياولدى أريد أخبرك بخبر عجيب وحال غريب ماأدرى علمت به أم لا فقال مذبحون لم تزل يا أبت تخبر

بالعجائب وتجلب لنا المصائب وما ذلك فقال هذا الراهب طيبون قد كف عنى اليوم الضرب وما ضربنى ضرب من قلبه حقد على أهل الإيمان وكانى أرى قلبه قد مال إلى دين الاسلام يا بنى وما أقول اننا نقعدها هنا أكثر من ثلاثة أيام فقال مذبحون هذا لا يكون ولا يتصوره عاقل ولا مجنون ثم باتوا متفكرين ومذبحون يقول والله أن أبى محمد أجهده المرض ولأجل ذلك يخاط فى كلامه وهذا شىء ما عهدته منه واننى خائف عليه لا يتكلم وعقله ليس معه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وإذا بالباب قد فتح ونزل اليهم الراهب طيبون فريدا وحيـــدا فلما رآه أبو محمد فرح وشخص فى الباب ينظر أن ينزل أحدا من بعده فلم ينزل والراهب قد أغلق الباب خلفه (قال) فناداه البطال من أنت فقال طيبون ابشر أتاك الفرج من عند صاحب الفرج أنا الراهب طيبون وما جئتكم إلا بما تحبون وكل ما تشتهون واننى أعبد الذى تعبدون وأشهد ما تشهدون وعلى يدى من هذا المكان تخلصون (ياسادة) فلما سمع البطال كلام طيبون سجد شكرا لله تعالى وكذلك فعلت الجارية ومذبحون وقـــد تحيروا من خصاله وفرحوا بخلاصهم من الضرب والعذاب والكرب وأحسوا بالفرج فقالوا كلهم عن صوت واحد أحسنت والله ياأبى محمد فلقد تحدثت بهذا قبل ما تشاهده فقال طيبون وكيف ذلك فاعادوا عليه ما قد ذكر البطال فقال لله دره ثم هنا هم بالسلامة وحدثهم بحديثه وما جرى من عقبة عند الملك وكيف أشار عليه بالغزو والجهاد إلى بلاد الإسلام وأعاد الحديث من أوله إلى آخره حتى كأن البطال كان حاضر معهم فى القصة ثم أن الراهب طيبون أخرج لهم طعاما وأمرهم أن يأكلوا ويصيحوا على سمع اصواتهم ويظن كل واحد أنهم يعاقبون (قال الراوى) فصاحوا وتصارخوا ثم سكتوا وأخذوا الراحة وأكلوا من الطعام مقدار حاجتهم وقالوا له أبشر بالجنة فان الله قد أعطاك الايمان وحبب اليك الاسلام ولك من الله تعالى الآخرة والأولى فقال الحمد لله بما أنعم به على ثم أعطاهم مبردين لو أرادوا أن ينحتوا بهم جبل لفعلوا ذلك وقال لهم أبردوا القيود وأتكلوا على الملك المعبود وفكوها وعلى الأرض أطرحوها وفى غداة غد آتيكم بما تحتاجون من الطعام والشراب وقد كفاكم الله تعالى شر عدوكم ورفع عنكم الضرب وألم الكرب فقالوا لوجه ربنا الحمد على ما أجراه على يديك ثم خرج من عندهم والبطال إلى قضاء حاجته من الفرح وهم أوفاه نهاية ومامنعه أن يقول ماالذى قد عولت عليه أن تفعل بنا الاسرعة ذهابه (ياسادة) ومضى طيبون الى عقبة فقال له ماصنعت فقال يا شيخ لاتسأل عنهم ولا عن حالهم وفى هذه الأيام أرجعهم عن دين الإسلام فقال عقبـــة إدا رأيتهم وقد

أشرفوا على الموت أعلمنى حتى أمضى إلى البطال وأوافقه على أنحس المقال وأنه قد هلك بين يدى وأقل له عن الدعوى التى كانوا يدعوا بها أنها باطلة كاذبة فقال سمعا وطاعة أيها الشيخ النجيح وأقام طيبون إلى اليوم الثالث وإن كان طيبون له علم فى النجوم والحساب والهندسة لأنه كان قد قرأ على الراهب سقراق كثير فى ذلك حتى صار ماهرا فى علوم كثيرة فلما أصبح نزل البطال فوجد القيود مطرحه عن رجليه وعن رجلى مذبحون والجارية فتعجب من ذلك وقال وحق من هدانى إلى الإسلام أن عشرة أجلاد ما يقدرون يبردون هذه القيود فى ليلة واحدة فكيف قدرتم على هذا فقال البطال أنا أبردها بغير هذا المبرد الذى قد أتيتنا به لأنه كان هنا مدخورا فى شعورنا صنعة حكماء العيارين وأنه مثل المنشار لو وضع على الصخر لنفد فيه ومع ذلك فاننا طول دهرنا نكابد به القيود ونلتقى الأسود فى طاعة الملك المعبود (قال الراوى) وأقبل عليهم طيبون وقال أعلموا أنه فى كل رأس حكمة فاسمعوا ما عندى وهاتوا ما عندكم فى ثلاثة أيام أريد أن أهرب بكم وأرجوا من الله تعالى أن لايرجع عقبة يراكم وقد عولت أن أقول للملك أن أبنته قد رجعت عن دين الاسلام إلى دينها وتابت إلى المسيح مما كان منها حتى تكون لنا عده فى القصر فاذا أردنا أن نفتح الباب كانت المفاتيح معها وتجيب لنا الخيل والعدد والبيض والزرد ونخرج من ها هنا ليلا ونركب الخيل ونلبس ونفتح الباب وهى معنا ونتوكل على جبار الجبابرة وقاصر الاكاسرة ومالك الدنيا والآخرة ونسأله أن يستر علينا إلى أن يصبح الصباح وقد قطعنا أرض بعيدة ونكمن النهار الليل ونعتمد على الملك القدير الذى هو نعم المولى ونعم النصير فقالوا ما عدمناك من مشير فنعم ما قلت أيها العبد الصالح فصعد من عندهم وهو مسرورا بقولهم وكذلك هم على غاية المسرة فقال البطال والله لقد جاد على الغرض الذى أردت أن أشير به عليه فسبقنى اليه (يا سادة) وأما طيبون فانه سار إلى الملك وأخبره عن أبنته أنها قد عادت إلى دينها القديم وندمت على ما كان منها وبصقت فى وجه البطال وولده كيف لعبوا بعقلها ولطمتهم بكفها فقال الملك شكرا للمسيح على هذا القول المليح فارجع وأتينى بها لأسمع كلامها فقال طيبون ما أفعل ذلك حتى أدخل على أمها وآخذ الخلع السنية وأعود اليها أجيبها وأنه دخل على أمها وأعاد عليها الحديث ففرحوا بذلك وخلعت عليه خلعا ما يقوم بها وأعطته ألف دينار فأخذها وخرج من عندها ولم يخطىء الشيخ عقبة فأعطاه المال وأطلعه على الحال فقال عقبة مالى بالمال حاجة بل أنفقه عليك فانى ما أريد الا أخذ أرواحهم فعندها خرج طيبون وهو فرحان وأتى الى المطمورة وأخرج

أبنة الملك فلما حضرت بين يدى الملك قبلت الأرض وقالت يامولاى لاتؤاخذنى بما سمعت فان النساء ناقصات العقول ولا أعود إلى مثلها أبدا ففرح الملك بقولها وقام اليها واعتنقها ومضت إلى أمها ففرحت بها فرحا شديداً ولبست أفخر الثياب وجلست على سرير الملك فى القصر وعاد اليها كثير من الأمراء وقالت لا أريد أن أكون راهبة فما رأيت فيها خيرا ولا أرجع إلى الكنيسة أبدا وأريد اتزوج ببعض الملوك كما صنعت أختى وأستريح من هذا كله (قال الراوى) وكان رسول ملك الملافطة قد وصل وشاهد ما جرى لأبنة الملك معه وأقام طيبون ذلك اليوم الثانى وأتى إلى البطال وأقام عنده ولم يصعد به إلى أن تنصف الليل وكانت العلامة بين طيبون وأبنة الملك حتى تخلص لهم ما يحتاجون اليه الى نصف الليل فوجدوها وقدقضيت لهم الحاجة وقدأخذت لهم العدد والطعام وما يحتاجون اليه وخرجوا وقد ستر الله عليهم بستره إلى أن وصلوا إلى كنيسة القدرة فقال البطال ياطيبون فقال لبيك فقال اعلم أن الملك لابد ما ينفذ فى طلبنا وما أنا بالذى أمضى وأخلى عقبة وشومدرس سالمين فقال وما تريد تصنع فقال آخذهم معى ولكن اطرق الباب فاذا فتح فقل لعقبة أخرج أنت وشومدرس معى فان البطال قد أشرف على الموت وإن لم تلحقوه فما تدركوه فقال طيبون وإذا فعلت ذلك وخرجوا معى فما عسى أن أفعل بهم والقصر قريب منا وما نجد إلى الخلاص سبيل ولو صاح منهم صائح أخذنا أجمعين فان النهاية ترجع إلى النقصان وما بعد الربح إلا الخسران وما أقول هذا خوفا على نفسى من دونكم فلى أسوة بكم وإنما أقول هذا من أجلكم حتى لا أكون قد غررت بكم فقالت ابنة الملك والله لقد أصاب فى قوله وما طلب أحدا الغاية إلا صار رأيه إلى نقصان فارحلوا بنا بعد أن أسعدنا الله بالسلامة فى نفوسنا وأسرعوا فى حفظ رؤوسنا قبل أن يطلع الصباح فقال البطال هذا كلام لا أسمعه ولا بد من أخذ عقبة وشومدرس فقد أراهم ما يخرجون من الكنيسة وقد أخذتهم فلا تكون جبان فى دين الله تعالى لأن الله إذا أراد أمرا بلغه اياه فقال طيبون وقعنا والله فى بحر زاخر ليس له أول من آخر ولكن أنا أفعل ما أردت ثم قال للبطال اعتزل أنت ومن معك عن جانب الطريق ثم أنه دنا من باب الكنيسة وهو مفكر فى قوة قلب البطال ومذبحون وهو يقول ما هؤلاء قوم يخافون الموت لأنهم الساعة قد خلصوا من القيود والاغلال وحرارة الضرب والنكال وهم على هذه الصورة بعد أن سلمت أرواحهم يريدون أخذ عدوهم ولا تطيب قلوبهم حتى يأخذوهم أن هذا لعجب فان الله تعالى يبلغهم مايؤملوه ولا يخيب ظنهم فيما يرجوه وقصد إلى باب الكنيسة وصاح إلى بعض الرهبان فقال من هذا الذى يدق علينا الباب نصف الليل فقال

أنا طيبون أريد الشيخ النجيح وشومدرس فأجابوه وفتحوا الباب وقالوا أدخل فدخل وعقبه قد قام من نومه والراهب شومدرس فقالوا له خير فقال لهم نعم ما تم إلا الخير انى قمت الليلة إلى البطال وولده لافتقدهم وأفتقد قيودهم حتى لا يهربون من المطمورة وينفلتوا كما حدثتنى من فعالهم ودواهيهم وحليلهم فوجدته قدفك قيده وانى قد أدركته وقبضت عليه بعد أن أراد أن يضربنى بالقيد وكذلك ولده ومما جرى علىّ من الغيظ منهم إذ فكوا قيودهم ضربتهم ضرب عظيم حتى غشى عليهم وخشيت عليهم من الهلاك فدونك واياهم فما أظنك تلحقهم وفيهم روح وقد فزعت من الملك لا يقول أنت قتلتهم فى دارى وأحنثتنى فى يمينى لأنه قد حلف لا يقتلهم حتى لا يقتل صاحبهم عبد الوهاب فقال لا تفزع ولا تجزع من تلك الايمان وان قال لك الملك كيف كان حالهم فأخبروه بالصدق وقل له لولا أننى أدركتهم لكانوا قد خرجوا من المطمورة إلى القصر وذبحوا كل من فيه وأن المسيح قد أمكن منهم وحال بينهم وبين ما أراد وأوانى ضربتهم من غيظى حتى شخصوا فلا رحم المسيح منهم شعره ولا رضى عنهم مغرز إبرة ثم قال لعقبة قم بنا فوحق المسيح لا تم موتهم غيرى وأول ما أبدى بالبطال وأخنقه حتى يموت وقال شومدرس وأنا وحق المسيح والانجيل أخنق ولده مذبحون حتى أكون قد أخذت بثأر ولدى دهرشوم فقال عقبة قد أبحت لك ذلك اكراما لذلك ولولا أن تكون عندى بمنزلة روحى لما مكنتك من ذلك أن تخنقه لأن فى قلبى منهم حزازات بقدر جبل قاف ولو قتلت كل مسلم على وجه الأرض ما اشتفى قلبى إلا منه والمسيح يمكننى منه ومن الأسود الزنيم كما مكننى من هذا اللئيم وأن يجعل قتلهم على يدى وموتهم الجميع ثم وثب ووثب معه شومدرس وأراد بعض رهبان الكنيسة أن يخرج معهم فقال عقبة ما نريد أحد يخرج معنا نحن ماضيين إلى قصر الملك فى حاجة لا يطلع عليها أحدا غيرنا والساعة نرجع عن قريب ثم خرجوا وغلق باب الكنيسة من خلفهم وقد أخذهم طيبون على طريق البطال ومذبحون فقال له عقبة إلى أين بنا هذا يا طيبون فقال ابشر بما يسرك فقال عقبة بشرك المسيح بالخير لأنكم من أهل الخير ولكن هذا الطريق ماهى إلا ميشومة فقال له طيبون سير ولا تتكلم فما عليك بأس فقال أرى كلامك زوج وفرد أيش هذا الحديث نحن طالبين أعدانا نشتفى منهم (قال الراوى) وأقبل البطال على مذبحون وقال له يا بنى اعلم انا مخاطرين بأنفسنا ونريد نقدم على أمر عظيم وخطب جسيم والحق تعالى يقول (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فقال مذبحون مهما أمرت أفعله إلا أن هذا الأمر لا يقدر أحد يفعله ونحن قوم مطلوبين فى وسط بلد العدو ونريد أن نقبض على الملاعين ولو صاح منهم صايح فى هذا الليل أخذنا

ولا تحسب لنا حياة بعدها فان رأيت ننجوا بأنفسنا والجارية معنا فهو أحب الينا من عقبة وشومدرس فقال أبو محمد هذا مالا أسمعه ولا بد لى من عقبة وأمسك بودجه وأخنقه خنق الدجاج فقال أحسنت ياأبى لا تمسك إلا مسك الدجاج لا ستر الله عليه فقد شواك بالضرب فان وقع بيدى سوف ترى العجب كيف أستوفى منــه أضعاف ذلك ان شاء الله تعالى وأنا أقبض على رقبة شومدرس ولا أخليه يتنفس (قال الراوى) فلما وصل إليهم طيبون قال له عقبة يا طيبون ما هـذا السواد الواقف بين أيدينا فقال طيبون أنى أردت أن أسألك عنه والا يكون خيالنا فقال عقبه كيف يكون خيالنا وهو تارة يقف وتارة يسير فقال طيبون هذا أعجب فقال عقبه أنها ليلة مشكلة وهذا الديوث يخلط فى كلامه فقال طيبون ما قصدك أعداءك أن تقضى عليهم فقال عقبه بلى فقال سر فما يكون إلا ما تريد فسار عقبه حتى لاصقهم فخرج البطال كأنه أرقم ووثب عليه وثبة الأسد وقبض على حلق عقبه قبضة الخنق وقال بسم الله الرحمن الرحيم وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (قال الراوى) ووثب مذبحون وطلب شومدرس فسبقه طيبون وقبض عليه قبضة رجل مجنون وعصر على رقبته حتى بذرت عورته فكاد يقضى عليه ولقمه الاكره وسد فمه وفتح صندوق من الصناديق وفرغ ما فيه من الزاد وتركه فى الصندوق وجرى لعقبة مثل ذلك وما مر عليهم ليلة أيشم منها ذاقوا فيها طعم المنون ولما رفعوهما على ظهر البغال فقال أبو محمد لطيبون لله درك لقد أوصيت الجليل وأشفيت الغليل ولم يبق غير الرحيل والتوكل على الملك الجليل أرحلوا بارك الله فيكم وعليكم فقال صدقت يا أبا محمد ورحلوا وساروا يقطعون الأرض قطعا فما أصبح الصباح الا وهم فى أرض بعيدة وما تضاحا النهار حتى توسطوا الأرض المسبعة فقال أبو محمد اطلبوا بنا مكمن نكمن فيها فكأنكم الساعة بالخيل تطلب خلفنا وما نسير إلا بالليل فقال طيبون هذا هو الصحيح واعلموا أنى أعرف الروم جمعا بهذه الأرض وفيها غابات كثيرة الدغل لا يجسر أحدا يقر بها فلا نأمن ان السباع تفترسنا فقال أبو محمد من خاطر بنفيس ملك نفيس يا طيبون لو أضرمت نارا لولجناها فسر كيف شئت فنحن لنا تبع فلا بد للخيل ما تجينا فقال بسم الله وعلى بركة الله وقصد بهم طرقات غير مسلوكة تدهش الجن منها وهى لا تدرى كيف تسلكها إلى أن صارت الشمس فى كبد السماء فلم يلقوا إلا أسد رابض على باب المغارة فقال أبو محمد هذا والله لايخلو حاله من أمرين اماقدجئنا لأجله حتى يأكلنا أوقدجئنا لأجله حتى نقتله (قال) فترجل طيبون وأخذ نبلة ووضعها فى كبد القوس وكان طيبون من

الرماة الموصوفين والمثل يضرب به فضرب السبع بفردة بين عينيه أخرج السهم من بين فخذيه ثم وثب له طالب فضربه بنبلة أخرى من بين يديه فخرجت من بين كفيه والأسد قد حمل إلا أنه قد قصر فى مشيه فبدر إليه البطال وضربه بالسيف على وركه فخلعه وضربه مذبحون بالخنجر فى الجانب الآخر فشقه وضربته الجارية أيضا فقطعوه بالقواضب ودخلوا المغارة (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من الملك فانه لما أصبح الصباح ركب إلى الكنيسة فوجد باب القصر مفتوح فعظم عليه وكبر لديه وادعا بالبوابين وقال مالى أرى الباب مفتوح فقالوا له يا مولانا ان الملكة قد أخذت المفاتيح اليها من البارحة وجئنا نطلبها وقد السحر فلم نجدها فجئنا إلى الباب فوجدناه مفتوح كما رأيت أنت فقلنا لعلها باكرت إلى الكنيسة تستقيل من خطيئتها وتبكى على ذنبها فقال الملك يجوز أن يكون ذلك كذلك وسار إلى أن دخل إلى الكنيسة ودارت به الرهبان والقسوس من كل جانب وأدار الملك عينيه فلم يرى ابنته فى الجماعة ولم يرى فيهم شيخ الرقاعة ولا النحس شومدرس فقال للرهبان أين الشيخين الصالحين ومن هما فى طاعة المسيح عابدين وهل جاءت ابنتى اليكما وقت السحر فقالت الرهبان أيها الملك المكرم والسيد المعظم أما ما ذكرت من حال شيوخ النصرانية فانهما كانا نصف الليل رافدين فجاءهما الراهب طيبون وناداهما فخرجا اليه ولا نعلم ما كان من حالهما ولم يرجع واحد منهما الينا وأما الملكة فما رأينا من أمس لها وجه فقال الملك وقد عظم عليه وكبر لديه وحق المسيح ان حالها عجب ثم أرسل يطلبهما فلا خبر ولا أثر ولا طيبون فقال لغلمانه ويلكم اطلبوا المطمورة وأنزلوها واسألوا عن حالها من المسلمين المأسورين (ياسادة) فجاؤا الى المطمورة فما وجدوا فيها سوى القيود ملقاة والدنيا منهم بلقع فاعلموا الملك ان الحيلة قد تمت عليهما ونفذت الأحكام فيهما فصاح الملك صيحة هائلة اجتمعت اليه البطارقة من سائر الجهات والرجال والأصحاب فأعاد عليهم القصة التى جرت وقال وحق المسيح لو قصدوا بهم أقصى بلاد الإسلام ان كان لا بد لى منهم وإن هم فاتونى لاضربن منكم ألف رقبة ووحق المسيح لو أرادوا أن يأخذونى كانوا يفعلوا وانما بعدهم عن بلادهم قطعهم عن ذلك (يا سادة) فما كانت إلا ساعة حتى ركب زهاء عن عشرة آلاف فارس مثل الأبالس بالفرس والجنيب والملك فى أوائلهم وأمر بقية العساكر أن يأخذوا أهبتهم ويلحقوا به إلى ظاهر الأرض المنقطعة فانه يكون هناك على عيون الزهر ورأس النهر وأنه قد حلف انه لا يرجع الى البلد حتى يغزوا الى بلاد الإسلام وقد قدم على الناس بطريق يقال له تكلان ابن محارب وكان معظما فى الاقاليم كلها وهو من بيت الملك وجد الملك فى السير

وهو يأخذ الآثار فلما كان الليل طلبت الناس أن ينزلون فلم يفعل بل تم فى مسيره الى أن أصبح الصباح وقد قطع أرض بعيدة وعبر البطال ومن معه (يا سادة) وان البطال لما حصل فى تلك المغارة ومعه أصحابه قال لهم إعلموا ان الطلب لابد له منا ولكن نحن لا نبرح من موضعنا ثلاثة أيام حتى تنقطع آمالهم منا فقالت الجارية هذا هو الصواب فلما أصبح الصباح خرج البطال يتنسم الأخبار فرأى السباع منهزمين تطلب الغابات فعلم انهم من الرجال هاربين فقال لاصحابه ما هذا الا عسكر عظيم قد ساروا فى أعقابنا ولكن غاية قصدهم أن يتمون خلفنا اليوم والاثنين والثلاثة وهانحن مقيمين ههنا الى أن ينقطع عنا الطلب ثم فتح على عقبة وشومدس وقال له يا عقبة كيف ترى تجريئك علينا وضربك لنا وأنا أقول لك لا تفل وأنت تلج فلا بد لى أن أضربك ضرب من قد ذاق ضربك فأيس عقبة من الحياة وقال ويلك يا أبو محمد بحق معبودك حدثنى كيف صرت بهذه الحالة وكيف سبب هذه القصة ومن خلصك فقال خلصنى ربى العظيم القادر الصمد القاهر الذى لم يزل لكل عدو قاهر فقال له طيبون بعت دين النصرانية بدين الحنيفية وأنا أعلم منك ومن أهل الأرض فقال له طيبون اذا كان الله قد أضلك وهدانى فلا اعتراض عليه وأنا أشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم رفص عقبة فقال عقبة كل شىء حسبته الا أن يعود هذا الراهب مسلم ما حسبت ثم انى أقول عاقبهم واخشى أن يموتون وأفزع من الملك ويأتى هذا الديوث الى عندى ويقول قم الحقهم وتعالى شاهدهم فقمت أنا وما كذبت خبر وجرى على ما جرى ثم قال إفعلوا ما شئتم فان خصمكم قوى وهو ان المعتصم ان ضربتمونى فأموت وهو يخرب بيوتكم الى ابد الآبد ما قام قائم وقعد وضرب فى البيداء وتدومد طنب فقال البطال يا ويلك نحن بيوتنا خراب وأنت فى الحياة فدع تخرب بيوتنا بعد موتك ولكن سوف ترى ما أصنع بك ثم مده وضربه فجعل يصيح فقال طيبون للبطال هذا صياحه ما يجلب لنا خير فخلى ضربه فى هذه الساعة فقال البطال ما أخليه بلا ضرب فانى ما أدرى ما يكون ثم ترك فى فمه أكره وشده بعصابة الى قفاه وضربه حتى نزل لحم كتفيه وكذلك شومدرس (قال الراوى) وأقام البطال فى ذلك المكان ثلاثة أيام بلياليها ثم ركب الجادة وجدوا فى سيرهم باقى ليلتهم الى الصباح فقال طيبون أعلم ان الأرض قد طرقها حافر وما هو الا عسكر عظيم فقال البطال نعم غير انى ما أرى فيهم حافر راجل الا الكل بين أيدينا فسيروا بنا فى نهارنا وقد علقنا بالأرض المنقطعة وهى مسيرة سبعة أيام ونحمل الماء من الغدير ونتوكل على رب السماء ولا نهدى الى

عيون الرهن ورأس النهر ونستريح وندخل الى رأس الروم فما علينا مخافه الا من هنا الى رأس العين (يا سادة) وساروا باقى يومهم ونزلوا وقد أخذوا الماء الكثير ورموا أكثر زادهم وحملوا الماء لاجل دوابهم وأنفسهم الى أن تنصف الليل ورحلوا وقد تقدم الراهب طيبون بين أيديهم وجعل الكوكب نصب عينيه وكان عارف بتلك الأرض وكذلك بالكواكب وعلم النجوم يعلم مطالعها ومغاربها فجعل يسير بهم ليلا ونهار الى أن أشرف بهم فى اليوم الرابع على عيون الزهر ورأس النهر وقد فرغ الماء الذى كان معهم وهم أحوج ما كانوا الى الماء واذا عليه مضارب وخيام والعسكر مثل الليل الدامس فوقف طيبون وقال للبطال هــذا والله عسكر كرفناس وهاتيك الخيمة الخضراء له اذا خرج الى قتال ينصبها ولا شك الا انه قد حلف انه لا يرجع الى بلاده حتى يغزو بلاد المسلمين وما لنا طريق الا عليه فقال له البطال انزل بنا الساعة فاننا نقدر على العبور عليهم فى الليل فهم فى الكلام واذا بغبرة قد طلعت من ورائهم وانكشفت عن عسكر جرار كانه البحر الزخار وهم خلق كثير لا يحصى عددهم فحصلوا بين حجرين دامغين فقال البطال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لا بقى يمكننا المسير ولا البقاء ولكن على كل حال هذا السواد المقبل علينا عسكر ثقيل فلا يصل الينا الا أن يختلط الظلام فنختلط نحن الرجال ونسير حتى نصل الى العيون مع الناس ونملأ ونشرب وندخل فى آخر الليل والله تعالى يستر علينا فقال طيبون أحلف قسما انه لا يكون على وجه الأرض رجل مثلك صبور على الأهوال ثم نزل وقد أيقن بالهلاك والوبال (يا سادة) ولم يزل السواد مقبل الى أن وقعت العين على العين عند غروب الشمس فما صاروا عنــدهم الا والظلام قد اختلط وقد دخل الليل كما قال البطال حتى كانه وزن مسيرهم فى مقدار النهار (يا سادة) واختلط البطال بسواد العسكر بعد ان عبروا الخيال الى نصف الليل فقال البطال أقسم ان أرمانوس ما رأى مثل هذا العسكر ولا أحسن وهم كاملين العدد فلما كان وقت السحر وقد لججوا فى السير قال البطال لطيبون انعزل بنا على سبيل الانفراد وكل واحد يسوق فرسه كأنه يسيره ونركب الطريق ففعلوا ذلك وركبوا الجادة وقد طارت القلوب حذرا وهلعا وقد ستر الله عليهم باقى ليلهم إلى أن أصبح الصباح وأخذوا فى السير الشديد الذى ماعليه من مزيد إلى وقت العصر وقد أشرفوا على جبل يقال له جبل السن أسود شاهق فى السماء وتحته وادى قد نبتت أشجاره وتأجج بالحر ناره وتوقدت أحجاره وأصحاره ونفرت غزلانه وفيه مغارات وشعوب وكهوف فى ذلك الجبل (ياسادة) فماهو الا ان خرجوا عن قريب الجبل وإذا هم برجال كثيرة فقال البطال ياطيبون

لاشك انهم من بعض بلاد الروم فقال طيبون ما يقصد إلى هذا المكان أحد غريب وهذه خيل قد خرجت منهم لنا طالبة ونحونا قاصدة وما أخوفني منهم والرأى عندى أن نموت كرام ولا نعيش لئام فإنى أعلم أنهم إن كانوا أعداءنا فنحن هالكين بلا محالة فهو معهم فى الكلام والخيل قد وصلت إليهم وعلموا إنهم مقصودهم فصاحوا فى عسكرهم خذوهم فقد أمكن المسيح منهم وكانوا هؤلاء من عسكر كرفناس وذلك انه لما وصل إلى عيون الزهر ورأس النهر ولم يرى أثر ولا أطلع لهم على خبر فقال ياويلكم معلوم إنما صار لهم أجنحة فطاروا بها فى الهوى وما هم إلا قد أمكنوا حتى ينقطع عنهم الطلب وكأنكم بهم قد وصلوا اليكم وقدموا عليكم ولكن ما أخلى الحزم ثم أدعى إليه بألف فارس وقال خذوا هكذا فلعلكم ان تظفرون بهم فقالوا سمعاً وطاعة وساروا ثلاثة أيام فما وجدوا شىء فعادوا طالبين نحو الجبل وقد أشرفوا هؤلاء كما أراد الله تعالى ونادوا خذوهم فقد أوقعهم المسيح فقال البطال انزلوا بنا إلى هذا اللحف ولعلنا نملك السن فما عليه تطريق من رأينا ونقاتل حتى لايبقى فينا عين تطرف فإذا أشرفنا على القتل قدمنا عقبة وشومدرس وضربنا رقابهما ونكون قد أخذنا بالتار حقاً (ياسادة) عندها صاحوا الروم خذوهم فهذه بنت الملك وطيبون والصناديق التى معهم لاشك ان فيها الشيخين الصالحين عقبة وشومدرس فعندها قصدت البطارقة اليهم وأما البطال فانه صعد إلى فوق الجبل بعد ماترجل وحمل الصندوق الذى فيه عقبة حتى وصل إلى صخرة كبيرة تحت شقيف عالى شاهق فى الهوى ليس عليهم منه طريق وكذلك فعل مذبحون بصناديق الطعام وصعدت الجارية معه وطيبون وأما الصندوق الذى فيه شومدرس لم يقدروا على حمله فتركوه لأن الخيل قد أدركتهم فخافوا ان يحيلوا بينهم وبين ذلك الشقيف (قال الراوى) وتقاطرت الكتائب وترادفت المواكب وارتفع الصياح من كل جانب وجردت القواضب وترجلت الرجال مثل السلاهب وأخذوا خيلهم وما كان معهم وأخذوا الصندوق الذى فيه شومدرس وفتحوه فوجدوا الراهب شومدرس فى أسوأ حال قد شدوا وثاقه وضيقوا خناقه فأطلقوه وجعلوا يهنوه بالسلامة وسألوه عن عقبة فقال لهم فى الصندوق الثانى وما أظنه يسلم مما ضربوه وبدقنه الكريمة سحبوه ولم يرقوا له ولا رحموه فقالوا سوف نأخذ له الحق من قريب وتبصر كيف نعذبهم أشد التعذيب فقال شومدرس خلوا حديثكم معى وارجعوا اليهم خذوهم وإلا وحق المسيح انفطرت مرارتى غيظاً وحنقاً وقد نذرت للمسيح ان ظفرت بهم آكل كبد كل واحد منهم قطعة ولا سيما هذا الراهب طيبون الذى كان السبب فى أسرنا وهو الذى ساقنا إلى

خنقنا وأتعب عسكركم من أجلنا فقالوا له ان الملك كرفناس فى سبعمائة ألف فارس وسوف يملك بلاد الإسلام وما خرج بالعجلة إلا بسببكم والويل اطيبون ولهؤلاء المسلمين من بأسه فلا بد أن يقتلوهم أشر قتلة ويمثل بهم أقبح مثله ولا يقنع بذلك حتى يكونوا سببا لخروجه إلى بلد المسلمين (ياسادة) وطلعت الرجال فى طلبهم فلما نظر البطال اليهم التفت الى أصحابه وقال لهم اعلموا اننا ان سلمنا أنفسنا فنحن مقتولين لامحالة وان نحن مانعنا عن نفوسنا فهو كذلك ولكن ننال فضيلة الجهاد فى طاعة رب العباد فان صبرتم نلتم من الله تعالى الآخرة والثواب فقال طيبون أنا معى مائة فردة نشاب وأنا أقسم بمن هدانى لأوصل إليكم أحد حتى أضرب بها مائة رجل منهم وهم يعرفون بنبأ لى لايبقى ولايذر ولا يدفع منها الحذر فقالت الجارية وأنا ماتركت والدتى ووالدى وذلك المال العظيم الزائد إلا فى طاعة العزيز الواحد وارغاما لكل كافر وجاحد ولا أسلم نفسى أبدا ولا بد ان أضرب بسيفى هذا حتى لايبقى فى عرق يضرب فقال مذبحون والله لأوصلوا اليكى حتى تطير رأسى بين يديكى ﴿ ياسادة ﴾ هذا والبطال قد علم ان ذلك المكان حصين غير ان ماله فيه شيء من المال ولكن معهم ما يكفيهم يوم وإثنين وثلاثة لحمل من ذلك هما عظيما وقال ان هلكنا فما نهلك إلا من الظما لأجل عدم الماء وكان ذلك الموضع كأنه قد استعد للحصار كثير الصخور والأحجار من الكبار والصغار ولم يزل القتال يعمل طول النهار وقد قتل من الكفار مايزيد على سبعين فارساً بالأحجار والنبال التى رمى بها طيبون وكانوا هم يرموهم بالنبال أيضاً فلا تصل اليهم لأنهم كانوا أعلا منهم ويستترون بالثقيف من سهام الأعداء وهم حاكمون عليهم لاجل علوهم وكلما هجمت عليهم الرجال وزحفوا اليهم بالكثرة يقول البطال دحرجوا عليهم الصخور واهشموهم بها هشما ولم يزل القتال يعمل الى الليل وعادوا وهم خائبين الا انهم فى لحف الجبل بهم محدقين وقد كانوا طلبوا عليهم طريقا من فوقهم فلم يقدروا على ذلك لأنهم ما عليهم طريق فزاد حنقهم وقلقهم وأضرموا النيران وأقاموا الرصد خوفا من البطال أن يهرب وأيضا من الملك لايضرب رقابهم بسببه وأما البطال فانه أخرج عقبة من الصندوق وأطعمه وسقاه قليل من الماء وقال له لا شك انك قد علمت اليوم ما قد جرى فلا تظن انك تفرح بهذا فوحق من أوقعك بأيدينا ماهم الا أن يصلون الينا ونراهم قد قدموا علينا الا ونجز رأسك كما نجز رأس الشاة فانتقض وضوءه وتغير لونه وكاد أن تنفطر مرارته وقال هذه الموتة التى كتبت علىّ وعليك يا أبو محمد ويلك أنت هالك لامحاله وأنت تقول وتفعل وأخشى أن يقصم المسيح عمرك ولا تصل الى وعندى غير ما عندك ان أنت فعلته

سلمت أنا وأنت فقال البطال وما ذلك ياملعون فقال اذا رأيت انك مأخوذ مغلوب فلا تفعل ولا تعجل عليّ بالقتل وسلم اليهم روحك فأنا وحق المسيح أراك قد عفوت عني وقصدت الخير فى حق وقدرت وتمكنت لأنك ما كنت آخذ فى أمرى فى هذا الوقت وأنا وحق المسيح والابرئت من دين النصرانية ان رأيت الملك معول على قتلك أرده عنك وأقول لا تقتله حتى تقتل عبد الوهاب والأسد الوثاب الذى جعل بلاد الروم خراب وكذلك مذبحون وأما الراهب طيبون وابنة الملك فلا أعترض الملك فيهما فقال طيبون ويلك ياشيخ الضلال وحق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لئن لم يقتلك هذا السيد لاقتلك أحدا غيرى وما نحن ممن ينخدع بخديعة ايمانك الكاذبة وترميه بسهام حيلك الصائبة فضحك البطال وقال ليقضى الله أمرا كان مفعولا ما ندرى بعد ما لنا فى الغيب ولكن يا مذبحون رد عقبة الى الصندوق واعلم أن الرجال لابد الليله لها أن يطلعون الينا والليل هادىء وما فى عسكر الروم محترك بل همود فى مواضعهم وأتبعهم السرى السهور فى طلبنا ثلاثة أيام ووصلوا اليوم الى قتالنا طول النهار وصياحهم علينا ولا يقدر أحد منهم يرفع رأسه من موضعه ولو أخذت قربة واحدة تكفينا يومين (قال الراوى) ثم أن مذبحون أدار ديله فى دور منطقته وتقلد بسيفه وحجفته ونزل من ساعته ولسانه لا تفتر من قوله يامن يستر الجهيل يامن هو نعم الدليل كن لى حافظا ووكيل وكن بسترى كفيل ونزل اليهم وهجم عليهم تحت غياهب الدجا وقصد الى خيمة فى وسطهم قد نصبت والنيران من حولها قد أضرمت وكان المقدم على ألف فارس بطريق يقال له كركيس وكان جبار من الجبابره وكان طوله ذراع وله لحية بطوله وله عيون صغار وآذان صغار كانهم آذان حمار وكان لما ظفر فى طريقه بالبطال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال ما أتقدم عند الملك كرفناس على سائر البطارقة الا فى هذه النوبة فلما رأى البطال وقد تحاصر فى هذا الموضع الذى وصفناه كادت مرارته أن تنفطر غيظا وحنقا وبات تلك الليلة سكران مما جرى عليه خوف أن يبلغ الحديث الى الملك فيأتى بنفسه ويأخذ البطال ومن معه بروحه فعظم عليه أن يفوته المدح والثناء والظفر باعداء وان مذبحون دخل العسكر الى الوقت وغلبهم النوم قاموا فى تلك الليلة وهى آخر الليل واطمأنوا من جهة البطال ومن معه وقالوا ولو هربوا الى أين يمضوا وهم رجاله غير خياله (ياسادة) ولم يزل مذبحون يتخطى الرجال ويطاعن الابطال الى أن وصل الى خيمة البطريق كركيس وحولها رجال نيام كانهم قد شربوا مدام قال مذبحون لقد هممت أن اقطع بالخنجر الاوداج واضعه على نحور الاعلاج واقضى عليهم ولكن خفت من سوء العاقبة أن يصيح صائح فأكون قد خاطرت بروحى وغررت

بمهجتى وفارقت بنت الملك وهى من الدنيا بغيتى فلما قارب المغرب قلع وتد من أوتاد الخيمة ونظروا اذا بالبطريق كركيس نائم والى جانبه الشيخ شو مدرس والشمعة تقد عند رؤسهما وعند باب الخيمة قربة على ثلاث عصى تريد حمال فبقى مذبحون حائر وقال لقد تحيرت مرة أقول آخذ شو مدرس حتى لا يكون قد أفلت من أيدينا وتارة أقول آخذ هذا البطريق لعل ينقل هذا العسكر عنا ونجد لنا سبيل الى الهرب وتارة أقول نحن الى الماء أحوج فانها أرواحنا ولا ندرى هل يطول المقام بنا أم لا ثم أن مذبحون هون الامر على نفسه ودخل تحت قربة الماء وحملها وخرج وقد ستر عليه البارى بجميل ستره وجعل يتخطى الناس الى أن وصل الى الجبل وصعد على منهل حتى وصل الى موضع يأمل جهته ثم وضع القربة من على كتفه على العصى التى كانت عليها لأنه كان قد أخذها أيضا معه فلما طرح القربة من على كتفه حدثته نفسه بالعودة لاجل الإثنين فرجع دخل الى الخيمة فوجد كنانة فيها مائتين فردة نشاب فكانت عنده أحب اليه من خزانة سلاح

﴿ تم الجزء الثانى والخمسون ويليه الجزء الثالث والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن مذبحون خرج من وقته وساعته والناس نيام فكما قدر الله عثر بواحد نائم فقعد ذلك الرومى مرعوبا وقال بالرومى ايش هذا يا أعمى وهو يظن أنه منهم فقعد مذبحون وأوراه أنه يريق الماء وقال له بلسانه وحق المسيح ماعلمت خذ هذا منى واجعلنى فى حل فظن الرومى أنه يعطيه شيء فمد اليه يده وقد قرب مذبحون منه فضربه بالخنجر ودجه قطع وريديه ورزدمته فوقع إلى الأرض ميتا (قال الراوى) وتم مذبحون على حاله كانه لم يعمل شيئا ودخل المضرب فوجدهما على حالهم نائمين فقال ان أنا أخذت واحد منهما استيقظ الآخر وربما علموا بى هؤلاء الدين على باب المضرب نيام ثم مال نحوهم وقد صوبهم وعاد اليهم وكان ذلك الخنجر ماله شبيه الأحربة ملك الموت التى ما وضعها على شيء إلا وفصله وأرماه على حلوقهم واحد بعد واحد وكلما نجروا حد شق بطنه وشق مناخيره حتى لايشخر إلى أن فرغ من العشرين أسرع من البرق ثم دخل إلى الخيمة وهو يقول بالله ذرنى وذر من سمانى مذبحون قد صححت اسمى ثم تقدم إلى شومدرس ووضع يديه فى حلقه فلم يخرج له نفس ولا صوت إلى أن غشى عليـــه ثم دخل تحتـه وحمله على عاتقه وخرج مثل السلهب وتخطى به الخيام وجاز العسكر إلى أن وصل إلى القربة ووضعـــه وقال ياملعون قطعت قلبى ثم قال أمضى إلى الخيمة لعلى آخذ المقدم على الروم فان أنا أخذته وقعت فى قلوبهم الهيبة وربما أخذوا الاهبة للرحيل وان كانت الاخرى فنكون قد أخذنا بتارنا ثم عاد ودخل الخيمة وقد انقلنت

عيناه فى أم رأسه وهان عليه ورود الموت وتذكر الجارية فتنفس صعدا وأبدا كمدا
وقال هؤلاء الشياطين الذين أحالوا بيننا وبين الذهاب وكنت طامع فى وصولنا بعد
أيام إلى حصن يانس المتعزب فمن شدة حنقه وغيظه عليهم جعل كلما مر بواحد منهم نائم
جلس إلى جانبه وذبحه أسرع من البرق فما وصل إلى الخيمة حتى ذبح ستة وثلاثين بطريق
وأخذ أربع جعبات نشاب ودخل الخيمة معول على قتل كركيس وجلس عند رأسه
وبقى متفكر ربما إن قبض عليه يستيقظ ولا يعلم هل هو أقوى ساعد أم لا وخاف
أيضا ربما يصيح فقال مالى إلا الحيلة التى عملتها على شومدرس حتى أخذته وهوانى أخنقه
فلا يقدر على الصياح ولو بقى إلى الصباح فاذا علمت أنه قد برد ولم يبقى فيه جلد سوى
نفس يتردد إلى الجسد حملته وان أعيانى ذبحته ولكن المقصود أنه إذا طلب لا يوجد
إلا عندنا فشمر عن ساعديه وحسر عن ذراعيه وهم أن يهجم عليه وهذه جسارة على أن
يقدم على رجل فى وسط عسكره وهو لايعلم حاله ولا يخبر قوته ولا يدرى شجاعته حتى
إذا أراد أن يطرح يده فى حلقه فاذا هو بحس قد طلع من جانب الخيمةفأحس به مذبحون
فأرجف فؤاده وجلس وقبض على قائم خنجره وقال ما شاء الله كان لا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم توكلت على الله وإذا بشخص قد هجم عليه فأراد مذبحون
أن يعلوه بالخنجر فأشار اليه لا يامبارك فتأمله مذبحون وإذا به أبوه البطال (قال
الراوى) وذلك أنه لما استيقظ أول الليل ولم يجد الأمير مذبحون سأل عنه الجارية
فقالت مالى علم به منذ زمان ولقد رابنى أمره فنزل البطال إلى مكانه لهفانا وقال أنا الذى
فرطت فى ولدى وقد قاتل طول النهار قتال شديد ثم أمرته بالسهر وربما قد نام أوأخذه
العدو من موضعه حتى إذا توسط الجبل وجد قربة ماء على ثلاثة عصى فيها قنطار من
الماء وإلى جانبها شخص نائم فقال البطال أن الشخص لاشك مذبحون ثم قال لله درك
يابنى فلقد فرجت عنا كربه لأخذ هذه القربة وأرجو من الله تعالى أن يفرج عنا ويسهل
كما سهل لنا هذا الرزق وأن يخلصنا من هذه الأعداء وأنى قد نذرت لله نذرا أن أتصدق
بخمسة آلاف دينار وأعتق بعشرين عبدا واستفك من القسطنطونية مائة أسير من
من المسلمين أشتريهم بما لى إن شاء الله تعالى ثم قال من فعل هذه الفعال وسرق الماء من
بين الرجال ينام هذه النومة فلم يتكلم فحركه وهو كالميت فلمسه فوقعت يده على لحية
طويلة عريضة كأنها مخلاة حمارا استوفى شعيره ونظر فى وجهه وإذا به شومدرس فضحك
وقال لله در ولدى مذبحون ثم علم أنه قد رجع إلى العسكر فخشى عليه من طريق شفقة
الأبوه على البنون ومنة الوالد فعول وقال أن صدقنى حذرى فما طلب الا خيمة زعيم

القوم ولا شك أنه يريد يأخذه فسار البطال فى طريقه وجعل يحز الرؤس لأجل الرجوع حتى يكون طريقه خالى فما مر بأحد إلا وذبحه وشق بطنه ويمسك أنفه حتى يخمد حواسه وتبرد أنفاسه إلى أن وصل إلى المضرب وهجم على ولده كما ذكرنا (ورجعنا إلى الحديث) وأقبل البطال على مذبحون وقال يا بنى على ماذا عوات فقال على خنقه حتى يبرد وأحمله على أكتافى فجلس البطال إلى جانبه وأدخل فى أنفه عود الى رأسه ففتح فاه ليعطس فالقمه الاكره ومسك أنفه بيده اليمين وقبض على حلقه بيده اليسرى فرآه مذبحون وهو يريد أن يتشبه بأبيه فقبض على مراق بطنه بكلتا يديه وعصر عليه كاد أن يقضى عليه فاسترخت يديه عن البطال بعد ما كان قد نشب به ثم أنه حمله مذبحون على أكتافه وخرج البطال خلفه كانه ذئب أمعط أو ثعبان أرقط وسلك به الطريق الخالية الى أن وصل إلى لحف الجبل واذا بشخص قائم وبيده سيف يلمع كلمعان البرق فى حلل السماء فوقف البطال وقال إن كان قد خالفونا وطلعوا إلى الجبل وملكوا المكان علينا فقد هلكنا ورب الكعبة ثم وقف ينظر وإذا بشخص كلما جاء يقرب اليهم وقال بسم الله تقدموا لا بأس عليكم أنا طيبون الراهب وذلك أنى لما فقدتكم عظم على وخفت عليكم أن تكونوا قد دهيتم واستحيت من الله أن أكون فوق الجبل وأنتم تلاقون الأعداء فى خنادس الظلام وقد فرحت بأخذكم شومدرس وأخذكم لهذا الشاب فما هذا الذى على أكتافهم فقالوا من تعرفه اصعد بنا إلى فوق فما صعدوا به إلا وقد تعب مذبحون تعبا شديداً ورفع الجميع إلى رأس الثقيف وأخرج البطال الزناد وقدح وأضرم النار وكانوا قد أمتاروا من حطب الجبل وكان مذبحون أيضا قد أخذ من الحطب الذى على باب الخيمة جوزه لبصارته بالأمور وكثرة تجاربه فلما أضرم النار ونظر طيبون إلى الملك كركيس ابن أخت الملك فقال هذا كركيس ابن أخت الملك كرفناس البطل النفيس فقال مذبحون لابد أن أقلع عينه كما قلعت عين أبليس فقال طيبون ما تدرون من أخذتم هذا أبو البلا فقال مذبحون سوف أنزل اسمه فى رأسه فقال طيبون لا تفعل هذا حتى أقول لك ما تصنع هذا فى غداة غد ولو طلبت بفداء هذا يرحلون عنا ويخلون الطريق ويتركوا عنا التعويق وما فى عسكر كرفناس أعظم منه ولا أكرم عليه الآن يكون البطريق المقدم على العسكر كله فهو أعلى طبقة من هذا بل ان هذا أعلى نسب (ياسادة) وأضاء الصباح وارتفع الصياح من كل جانب وعلت عليهم المصائب وما فيهم من يثور من مرقده الا وقد فقد صاحبه وهو مطروح جسد بلا روح فصلبوا على وجوهم لما رأوا ما قد حل بهم فى تلك الليلة وانقطعت ظهورهم وقالوا اقصدوا بنا الى خيمة كركيس الملك حتى نطلعه على حالنا وما جرى علينا فى الليلة حتى نرى ما يقول للملك

فاننا نخاف أن يسمع أننا نمنا حتى ذبح منا خلق كثير فيقتل الباقون وان لم يسأل فينا كركيس فانا هالكون ثم داروا بالخيمة واذا بالدماء من حولها كالسواقى فشخصت أبصارهم وجعلوا يمسحون أعينهم ويقولون ما نحن الا فى منام وأضغاث أحلام والا فما هذا الذى نحن فيه ثم هجموا الخيمة فلم يجدوا للبطريق هنالك خبر فصاحوا وولولوا وقالوا ويلكم اطلبوا شومدرس فعسى أن تكون بركته علينا واصله ونعلمه بما وصل لصاحبه ونأخذ رأيه فقال بعض غلمانه البطريق الذى كانوا موكلين به وقد سلم دون أصحابه يا ويلكم تعنون الراهب شومدرس وحق المسيح كان الى جانب البطريق نائم فاقصدوا هؤلاء المسلمين الذين هم باللصوصية معروفين فما دهى صاحبنا الا منهم فركبت الخيل وهى ثمنمائة فارس وخمسين فارس وزحفوا الى الجبل زحفا وقاتلوا ساعة قتالا شديدا الى أن تعب البطال ومن معه من الاصحاب فنادى البطال يا كلاب النصرانية اليوم أسقيكم شراب العطب والبليه بكاسات اللصوصية لا كلام حتى يأتى عليكم العشية ان تركت منكم لحيه دنيه أو رقبة مستويه الا وأقطعها بهذه السكين المسقية وان لم أفعل هذه القضية ما أكون من أهل دين الحنيفية فلما سمعوا ذلك قال بعضهم لبعض وحق المسيح ما نبيت الليلة فى هذه الأرض الا وتكون علينا ايشم الليالى خلوا كركيس والا نزل الينا كانه ابليس ولا يبقى على بطريق ولا على قسيس ويذبحكم ذبح التيوس ويصبحكم بيوم منحوس ولا تدخلون بينهم فقالوا الباقين وحق المسيح ما نحن الا فضوليين ارجعوا للملك ما دام علينا نهار فقال لهم رجل منهم ويلكم على ما ذا عولتم وما عولتم الا على ضرب رقابكم من أولكم الى آخركم لان الملك قد جرى عليه من هذا البطال ما تعلمون من هيبته وقد وقعتم به والآن فقد ذبح رجالكم وأخذ مقدمكم من خيمته بغير قتال ولا نزال وان سرنا نحن الى بلاد المسلمين لفتحناها وملكناها والآن فما بقى لنا قدر وقد افتضحنا عند سائر الروم بفعل هذا الشيطان المدحوم والمارد المرغوم لانه قد تعلق بأطراف السحاب وأنزل علينا العذاب وقتل منا الأصحاب ولا سبيل لأحد عليه إلا بمنع الماء والسلاح وأما صاحبنا كركيس ما ندرى هل هو فى الحياة أم لا فارجعوا بنا فقاتلوا فالقتل ههنا أنخر لنا من القتل بسيف الملك فقالوا له البطارقة قد قلت الصواب وأتيت بالأمر الذى لا يعاب ثم رجعوا عن بكرة أبيهم ووقع القتال الشديد والجلاد العنيد حتى ارتفع النهار وحميت الأكباد وقد أثخنوهم المسلمين بالجراح لان النشاب كان عندهم كثير فأحرقهم بها الشيخ طيبون وقلع منهم العيون وخرق البطون فلما شاهدوا ما قد حل بهم وعاينوا ما قد نزل بهم قال بعضهم لبعض انزلوا بنا الى وقت العصر ونرتب لهم كل رامى

مصيب فما قتالنا إلا وبال علينا ومصيبة واصلة الينا وهم فما يصل اليهم منا سهم غائر ولا حجر تائر وقد أشرفنا على الفرار فنزلوا وقد عطعط عليهم البطال وأصحابه وعقبة قد انفطرت مرارته لان البطال اشتهى أن يدريه ويفرجه فأخرجه من الجبل وأجلسه على موضع عالى فى مقابلة النبال على انه ان جاء سهم غائر أو حجر تائر يقع الى جانبه وكان قصده بذلك حتى يزداد غيظه وكانوا كلما قتلوا واحد من النصارى يقول ما المسيح إلا صاحب حمية لدين النصرانية يتركهم هكذا فى التقصير يقتلون قتل الحمير ولا يكون لهم معين ولا نصير (قال الراوى) وكان كلما جاء حجر أو سهم من أسفل الى فوق يقول هذا فى رأسى هذا يخمد أنفاسى فهو يتجرع مرارة البلاء وغصص الموت فما صدق ان ينقضى القتال ثم أقبل على البطال وقال لله درك يا بطال فما أخبرك بالأمور وكيف اهتديت الى هذا الموضع الميشوم الذى ليس لأحد عليه تسليق كانه قد نقر لك فبالله عليك هذا كان لك به خبرة فقال البطال لا والله العظيم ولكن البارىء جلت قدرته نصرنى به وأرانى إياه عند حاجتى اليه فعلمت أنه مكان لا يهلك من يكون فيه الا بالجوع والظمأ ونحن معنا الماء الكثير والبارحة نزلنا الى العسكر وقتلنا منهم مائة وخمسين ذبحا مثل ذبح التيوس وأخذنا هذا البطريق المقدم عليهم فالتفت عقبة فرآه مكتف والأكر فى فمه وهو كانه القرد فضحك وقال وحق المسيح ما كانه إلا من الجن وانى من يوم تصبحت بهذه الوجوه التى لهم مارأيت خير ولكن هذا كان من يدى ولو انى رجل عاقل ما كنت خرجت من بلد الملافطة فلقد كنت فى عيش رغيد فى أهنأ حياة فتركتها وجئت إلى عيشة رديه ولقد خلص منكم شومدرس بسعادته وبقيت أنا معكم لما بقى لى من الشقاوة فقال مذبحون ياشيخ الضلالة أما ترى شومدرس مطروح كانه ثور مذبوح (ياسادة) فمد عقبه عينه اليه وإذا به مربوط إلى صخرة وفى فمه أكره فقال له ويحك أليس كنت قد خلصت من أيديهم فقال لا ولكن عادوا أخذونى البارحة فقال عقبة ما أظن المسيح إلا قد تبع دين الحنيفية وترك دين النصرانية وإلا فما كان أمهلهم حتى يفعلوا هذه الفعال وينكلوا بالروم هذا النكال ثم كادت مرارته أن تنفطر من شدة حرقته وعظم كربته (قال الراوى) ولم يزل القوم إلى الليل وركبوا الخيول بأجمعهم وقاموا حول الجبل يصيحون ولا يفترون من خوفهم من هؤلاء الذباحون وكانوا قد أنفذوا ثلاثة إلى الملك وأعلموه بالقصة ففرح بانكشاف خبرهم وأعادوا عليه ماجرى عليهم منهم وما قتلوا وما أسروا هنا لك زفر زفير الغيظ وطارت النار من منخريه ثم وثب إلى الذى حدثه أولا هز رأسه خلعه من بين كتفيه وضرب الباقين ونادى فى الناس بالرحيل ثم رحل فى ذلك العسكر الثقيل فارتجت له

الأرض فى طولها والعرض وامتلأت بهم الفلا وتكدرت المياه ونفرت الوحوش فى البيداء واضطربت الجبال لرحيل هــذا الجبار وقد ركب على جواد يقال له الطويل ما شاهدت العيون أطول منه قط وهو فى سرجه كانه قد سبك منه وكان فارس مغوار وليث كرار (قال الراوى) فلما استقام على الطريق ونظر إلى ذلك العسكر العظيم الذى قد قاده من بلاده فتكبر وتجبر وطغى وبغى وعتى فقالت له البطارقة أيها الملك قل لنا على ما عزمت تسير فى الأول إلى بلاد المسلمين المخالفين لهذا الدين أو إلى القسطنونية حتى تصير كرسى مملكتك والبلاد كلها تصير بحكمك فقال الملك على هذا قد عولت ولا أغزو بلاد الاسلام حتى آخذ القسطنطونيه وما حولها من أقاليمها وأنا الذى لا أرجع إلى بلادى سنة وعشرة حتى أفتح الأرض ذات الطول والعرض ووصل الملك إلى الشقيف فسمع صوت أصحابه يولولون الحافظ المسيح وهم على ظهور خيولهم فقال الملك ما هذا فقالوا أيها الملك هذه أصوات أصحابنا ينتظرون المسلمين الذين على رأس الشقيف فقال وأصحابنا على خيولهم يزعقون لانوم ولا غيره وما هذا الأمر إلا من الخوف والفزع من رجلين لعنهم المسيح فما هذا إلا فعل قبيح وهم الذين يحرسون أنفسهم من أصحاب الشقيف فقال له بعض الروم أيها الملك الكريم والسيد العظيم لايجوز لأحد أن يشبه هؤلاء بأحد الرجال اعلم أن مافى بلاد الروم إلا وفيها لهذا الشيطان أربعين صورة ألوان على الصفات التى يدخل بها بلاد الروم فقال آخر وحق المسيح أنى سمعت أنه سرق قلعه وكل من فيها ووداها إلى بلاد الاسلام فما انتهوا أصحابها إلا وهم بين المسلمين فصلب الملك على وجهه وقال ويماه وكيف عمل بها فقال الرجل له ولو دريت كيف عمل بها كنت أعمل مثله وقد سمعت عن أصحابنا أنه نزل اليهم وذبح منهم أربعمائة رجل وأخذ البطريق كزكيس وأخذ معه شومدرس فقال ويلك ما أظن بقى منهم أحد فقال بلى أيها الملك هم يحفظون أنفسهم على الجبل ولا شك أن أصحابنا قد تكلم عليهم بكلام يعرفه فحبس به خيلهم فلا يقدرون يهربون فقال الملك ويلك ايش هذا الكلام فقال هو ماسمعت أيها الملك وماهذا إلا خبر طيب إن كان يعرقب الخيل ويترك بأصحابها الويل ويذبح الرجال بالليل ويشيلهم على أكتافه إلى الشقيف شيل فغضب مما أكثر عليه البطريق وضربه على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه ثم نزل الملك ونزلت الأمم فبقى الجبل كانه فى وسط بحر عجاج متلاطم بالأمواج (قال الراوى) وبرق ضياء الفجر ودار قرن الشمس ونصب للملك سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجواهر ويواقيت تزهر وتماثيل من العنبر ووقفت أربعة آلاف بطريق تحجبه بالسيوف المجوهرة (قال الراوى) وكانوا يضربون

فى بلد هذا الملعون السيوف فاذا ضرب بها سيوف الهند قطعتها لجودتها ثم أن الملك ادعى بباقى أصحاب كركيس وقال لهم ياويلكم حدثونى بالأمر على جليته فأعادوا عليه الحديث من أوله إلى آخره وزادوا عليه شيئا من الفزع الذى فى قلوبهم فقال الملك أن المسيح قد عفى عنكم ولكن بحق المسيح اخبرونى عما أسألكم عنه فقالوا وما هو فقال كيف تعوقت خيولكم عن المسيرفقالوا الا وحق المسيح فقال وحق الانجيل لقد فرجتم عنى كربه الآن ازحفوا اليهم فزحفوا اليهم فى الحال أربعين ألف رامى يرمون عن قوس واحد فلما نظر البطال إلى ذلك البلاء وقد وكف عليهم أيقن هو ومن معه بالفناء وتوكلوا على الملك الأعلى الذى يكشف البلوى وعمل القتال بينهم وطلعت الرجال وهؤلاء يرمون عليهم الأحجار الكبار وهم على طرف السن لايقدر أحد عليهم من ضيق الموضع وفيه حجارة قد صقلتها الأمطار على طول الزمان ولولا ذلك لما وقف البطال ومن معه ساعة واحدة إلا أن البطال فى ذلك اليوم جرح فى ثلاثة مواضع من ثلاث سهام ولم يزل القتال يعمل بينهم ثلاثة أيام وخرج مذبحون فوقعت نبلة فى كتف ابنة الملك غير أنه لبعد الموضع وارتفاعه ماتصعد للفردة النشاب إلا وقد ذهبت حدتها وانكسرت قوتها وأما طيبون فانه لم يخرج ولكنه رمى بمائة نبلة صائبة جرح بها وقتل وذهب النهار بضيائه ورحل وأقبل الليل بظلمائه وانسدل ورجع العسكر الى مقامه ونزل وأما الملك فانه جلس على سريره فى سرادقه وكان سرادقه ما ملك ملك مثله قط طوله ودوره مائة ذراع من الديباج الرومى وفيه صور سائر الملوك وبلادهم وبطارقتهم وكنائسهم وهى كلها إبريسم أخضر وأحمر وأصفر ومن كل لون (ياسادة) وجمع البطارقة الى بين يديه وقال اعلموا ان الحكماء من قبلنا قد قالوا من أراد أن يطاع بعلم ما يستطاع فقالوا ما معنى هذا أيها الملك فقال المعنى فيه ان هذا الشيطان العيار فى موضع لاسبيل لأحد عليه ولو رمى حجرا واحدا القتل به جماعة فقالوا أيها الملك فعلى ماذا عولت فقال أنا متبع رأيكم فان كل رأس فيها حكمة ولا بد ماتقولون وأسمع وأقول وتسمعون فقالوا أيها الملك مافى النوبة إلا أن تكون مشفقا على رعيتك ويجب عليك أن تهتم بمزعاتهم ولا تكلفهم هذا الأمر الصعب وما لنا الا المطاولة لهم الا أن يقل ما معهم من الزاد والماء ونأخذهم أخذا بالكف فقال الملك والساعة ماعندكم الا هذا فقال بعضهم بلى أيها الملك ترحل بنا فى غداة غد وتقطع بنا طول النهار ونكون قد أكمنا لهم ألف رجل فاذا أيسوا منا فلا بد لهم ماينزلون ويطلبون بلادهم وإذا حصلوا فى الكمين نخرج اليهم من كل جانب ونأخذهم ونقطع رؤوسهم ونتركهم على أسنة الرماح ونقطعهم بالمرهفات الصفاح حتى

تقع لنا الهيبة فى قلوبهم لأن هذا الشيطان البطال ذكره عظيم عند أهل الأرض فمن قتله افتخر بقتله فقال الملك لا كلام حتى ينزل من موضعه وهذا منا لايصح لأن الرجل كما تصفون من العيارة ولا يخفى عليه هذا ولا يقع بأيدينا الا التعب وما ينزل من موضعه وان رجعنا الى ورائنا كان عار علينا لأننا فى جيش ثقيل كالليل البهيم وان تركناه تخلص من أيدينا ينكسر ناموسنا ولا يعلم الناس عذرنا وهذا الشيطان قد صعد إلى هذا الموضع الميشوم الذى ما لاحد عليه حيلة ولا لنا قدرة فنقتله ولكن أنا عندى من الرأى اننى أقيم غدا وأنصب المنجنيق الكبير الذى تعرفوه ولا تنكروه وننصبه فى مقابلتهم ويكون مساوى لهم ونرميهم بالحجارة الكبار فما يمضى عليهم أكثر من ساعة وقد هلكوا أسرع من البرق فقالت الأبطال وحق المسيح لقد قلت قول مليح وباتوا مسرورين تحت الانتظار لذهاب الليل وطلوع نجم سهيل وقد أمر الملك بخمسة آلاف فارس بالسلاح الشاك يدورون حول الجبل لئلا ينزل منهم أحدا (قال الراوى) وأما البطال فانه أقبل على أصحابه وقال لهم لقد وصلوا اليكم القوم بالأذية ولولا ارتفاع الموضع لأخذونا فقال مذبحون هذا العسكر الثقيل مايقيم الا القليل لأنهم يريدون الغزو الى بلاد الإسلام ويريدون العلوفات والزاد الكثير ولا بد لهم ما يرحلون عنا قبل ماينفد مامعنا من الماء فقال البطال هذا مالا أسمعه وانهم والله مايرحلون عنا إلا بأمر سماوى وان رحلوا ماتكون إلا خديعة وربما أكمنوا لنا ألف فارس فاذا بعدوا ونزلنا من رأس الجبل وتوسطنا الكمين فعند ذلك يخرجون يمينا وشمالا ويأخذونا وأما أنا فما أنزل الا أن أرى السلامة وان تكن الأخرى فأنا أقتل عقبة وشومدرس وما أبالى بعدها مايجرى على من الأمر وقد كنت معول على غير هذا ولكن الذى يريده الله تعالى مايقدر أحدا يتعداه وما قضاه فقد أمضاه ولا مفر من حكمه وقضاه فقال مذبحون كلنا نريد هذا فى طاعة الله تعالى ولكن يا أبى زوجنى ابنة الملك قبل الموت حتى أكون قد حصلت شيء وأموت وفى قلبى حسرة منه فضحك البطال وهو فى أشد ماهو فيه من الهم والغم ثم ان البطال أقبل على الجارية وقال لها أزوجكى بولدى فقالت الأمر اليك ثم زوجت نفسها وقد شهدت طيبون فصاح مذبحون الحمد لله على هذا الوقت قومى بنا ياملكة حتى ننزل إلى لحف الجبل ونحرس الليلة أصحابنا ونفديهم بأنفسنا فضحك طيبون والبطال شفقة وحنة الولد وبكا البطال وقال لقد علمت اننا هالكين فقلت أزوجه بها حتى لايبقى فى قلبه حسرة من ذلك وتكون له زوجة فى الآخرة فقالت الملكة لمذبحون أنا ما أنزل معك فى هذة الليلية وما

أزوجك روحى إلا حتى أنظر منك ما يحل لى وتنظر أنت ما يحل لك منى فقال البطال لله درك فما أعقلك وأبصرك بالإسلام على انك مالك فى الإسلام الا القليل ولكن الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم لكن يا بنية انزلى معه فان خلاف المرأة لزوجها حرام ولا يجوز لك أن تعصى له أمرا فقالت قد أقسمت بالله تعالى فقال البطال على أيتها الملكة الكفارة لأجل يمينك فأبت أن تفعل ذلك وقال البطال لطيبون الليلة النوبة لنا فى الحرس فقم بنا ننزل إلى أسفل الجبل ولا تحنث الملكة فى يمينها (قال الراوى) ونزلوا إلى أن توسطوا الطريق وجلسوا لينتظروا العدو وأما مذبحون فانه تقدم للجارية وهى كأنها درة الغواص أو ظبية القناص تحاكى الشمس الضاحية بوجه يخجل البدر التمام قد تم كمالها وبأن جمالها وقد ملأ البر من نورها وسألها على نفسها فقالت وكيف تعمل فى الصلاة وفى دين الإسلام لايقرب الجنب ولا الحائض الصلاة إلا بعد الاغتسال ونحن مالنا ما يقوم بأرواحنا من الماء للعطش فكيف نغتسل به فقال لها مذبحون التيمم بالتراب مع الفور يقوم مقام الغسل وهو يجوز لنا فعله لأننا عادمون الماء وهو الذى عندنا لوكنا نتوضأ به لهلكنا بالعطش فما رأيتينا كيف نعمل للصلاة فكذلك نفعل للجنابة مثل ما نتيمم للصلاة فقال لها ما عليكى خطيئة وهذا فى رقبتى فدعينا من هذا فقد مضى منا الليل وأنا على عجل من أمرى وعلى طالب تحت وقد أقلقنى وأزعجنى فاستحت من قوله واستسلمت وكان صوته وصوتها فى أذن عقبة وشومدرس وهما فى جانب حيث أنهما قد سمعا القصة من أولها إلى آخرها فقال عقبة وقد شاقت نفسه إلى ذلك لأن الشيخ كلما كبر زادت شهوته وضعفت قوته وقال ضيق الله عليهم حتى ما وجدوا موضع إلا هذا فقال شومدرس أسكت فهذا ثواب قد ساقه المسيح الينا فقال عقبة ما وجد المسيح ثواب يفتقدنا به إلا هذا فوحق المسيح ما هذا إلا عذاب هذا ومذبحون يستعمل وعقبة يتمايل ويقول لشومدرس ما أطولها من ليلة ما يكفانا ما نحن فيه من هذا العذاب حتى نبتلى بهذا فقال شومدرس لو كانت الغلفاء تسكت لكان أهون علينا فقال عقبة لابد من أبازير القدور حتى يطيب الطعام ولم يزالوا كذلك الى أن طلع الفجر فقال عقبة ما أظنه الا يطلب اليوم الخلوة بالعروس ويصبحنا كما أمسينا بالمساء المنحوس (قال) ثم أن مذبحون انحدر الى أبيه وقال يا أبتاه قلبى مشغول عليك وعلى الشيخ الصالح طيبون والنار فى قلبى من خوفى عليكم ما دخل النوم فى أجفانى فقال البطال يا طيبون إنى كنت أعلم أن قلبه مشغول بها ولا بد ما كان ينظر اليها نظرة الهوى فيكون قد عصى الله تعالى فنهلك بمعصيته والآن فقد أطاع الله تعالى فقال طيبون صدقت هذا وقد عاد أبو محمد وأصحابه

مكانهم فوجدوا عقبة فى أسوأ حال فقال البطال كيف كانت ليلتك يا شيخ فقال ما كانت إلا ليلة مدبرة أتقن مذبحون الشغل الى الصباح فلا ستر المسيح عليك ولا عايك فما رأيته ينام فقال البطال اعلم يا شيخ انه غلام حسن الشباب وقد بعثه المسيح اليك حتى يعطيك الثواب ولا بد ما يعطيك الحلاوه فقال ما أراد تنقطع مصارينه وينزل جوفه يأكل من حلاويكم فكل ما أنتم فيه بركة فلا بارك المسيح فى أعماركم فعند ذلك دنا البطال منه ولطمه كاد أن يعمى عينه الصحيحة فقال يا عدو الله أسيرنا وتتجرأ علينا بالكلام فقال عقبه وقد صاح آه ما دريت انى أسمع بطول الليل بكاء هذه الغلفاء وغنجها وكنت أسكت فضحك البطال وقال اعلم ان كل شىء ما يكون الا فى مستودع القاضى وأنت أولى بهذا (قال الراوى) فهو فى الكلام واذا بالصياح وقد علا فقام البطال ينظر ما الخبر وإذا هو بالرجال طالعة اليهم فقاتلوهم ساعة ثم زاد العياط والصياح واذا هم بالمنجنيق قد نصب فى مقابلتهم وكان منجنيقا عاليا فقال البطال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان هذا وقد طرحوا الحجر فى كفة المنجنيق وضربوا به فجاء الحجر ناقص دراع فقال صاحب المنجنيق علوه بالصخر حتى يرتفع ففعلوا ذلك ووضعوا الحجر وكان حجرا كبيرا فوقع فى وسط الثقيف فلما نظر البطال الى ذلك أيقن أنه هالك فحمل كركيس وحطه على باب الثقيف وتركه مقابل الحجر لعل أن يكفوا عنهم الرمى ونظر الى ذلك الملك فلم يعبأ بهم وضرب بالمنجنيق فضرب الحجر كركيس فقطعه قطعا ثم وضعوا حجر آخر فأيسوا من أنفسهم وما لهم شىء يستترون به فما كان للبطال الا أنه أخذ عقبة وشومدرس وقد حطهم فى باب الثقيف فى مكان كركيس فصاروا كلما رموا حجرا يستغيث عقبة بالملك ويقول أيها الملك بحق المسيح والمذبح والذبيح والإنجيل الصحيح لا ترمينا بالمنجنيق فتهلك أركان النصرانية ثم قال عقبة لشومدرس ويلك يا قرنان ما تصيح معى قبل أن يهلك فصاح أيضا شومدرس وقد قال يا ويلكم لاترموا بالحجر فيغضب عليكم المسيح إذا أهرقتم دمانا على الأرض (قال الراوى) فلما سمع الملك صياحهما قال من هذا الذى يصيح فقالوا هذا الشيخ النجيح وصديقه شومدرس وقد وضعهما البطال من عظم مكايده قدام الحجر الذى قتل كركيس فقال الملك وحق دينى ما هذا إلا رجل خبيث ثم صلب على وجهه وعض على أنامله حنقا وقال ما هذا المسلم إلا أعير أهل زمانه وما هو إلا شيطان فى صورة إنسان ثم ادعى بصاحب المنجنيق وكان اسمه شماس وكان صانعا مليحا فى رمى المنجنيق وقد اجتمعت الروم كلها ان ما فى بلاد النصرانية ارمى منه بالمنجنيق حتى يرمى الانسان فى أى عضو كان وكان يتحارف

هو والراهب طيبون قبل أن يسلم فيقول هذا أنا أرمى منك بالحجر ويقول هذا أنا أرمى منك بالسهام (ياسادة) هذا والملك قد ادعى بشماس وقال له ويلك أنت معروف بالضرب الصحيح فى جميع النصرانية أما تقدر ترمى بالأحجار وتتجنب هذين الشخصين حتى لا يبلغ هذا الشيطان منهما غرضا فقال ياملك ولو أردت أن أضرب البرنس الذى على رأس الشيخ النجيح وحده ولا يصيبه منه شىء لفعلت ذلك وها أنا أضرب ولا أقربهما ثم انه ضرب نحو البطال والذين معه بالأحجار فدخلوا تحت الثقيب فانخرطت عليهم الأحجار ونزلت مثل الامطار الا انها لم تصل اليهم ولم تؤذيهم فعلم الملك ان القوم ما بقى منهم أحد يقدر على الخروج من مواضعهم فايقن بأخذهم وقال للرجال اصعدا الآن وخذوهم قبضا بالكف فلما سمعوا البطارقة كلام الملك ترجلوا عن الخيل وطلعوا فى الجبل من كل مكان هذا والبطال لما نظر الى ذلك فزع على أصحابه وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ونظر طيبون اليهم وهم قاصدون اليهم من كل مكان فقال والله هذه الساعة التى فيها الموت العظيم فان شاء الله تعالى أن يفرج عنا فقال طيبون أنا بعون الله قد بقى معى اربعمائه فردة نشاب وحق الذى هدانى الى التوحيد لا وضعت الا كل فرده فى رجل منهم الا من يريد الله فقال مذبحون بارك الله فيك الا انك غير متمكن هاهنا من الرمى لاجل ضيق المكان فان أنت خرجت ما أنا من عليك من حجارة المنجنيق ولا يقدر أحدا يخرج من أجل ذلك وهذا الملعون الذى تولى فلو انه يرمى بالقوس ماعمل أكثر من هذا وقد حال بيننا وبين اذاهم ولو أردنا الخروج لما قدرنا على ذلك من هذه الحجارة فقال طيبون اعلموا اننى قد وهبت نفسى لله تعالى وها أنا خارج منبطح على وجهى حتى يرانى صاحب المنجنيق لعلى أن اصل الى عقبة وشومدرس واستتر بهما واقصد هذا الشيطان شماس صاحب المنجنيق وارميه بسهم ومن الله التوفيق فان هلك هذا الملعون نكون قد فزنا بشىء عظيم لأن الملك يدل به اذا طلب أخذ حصن اوقلعة فهو يقدر على ذلك بهذا الشيطان الذى أعيا الحكماء بهندسته ومع ذلك فالله تعالى يكفينا شره ثم خرج طيبون وهو متوكل على من لاتراه العيون هذا وطيبون يسحب نفسه صوب عقبة فجاء حجر فضرب صدر الثقيف وانحدر اليه منه قطعة ولكن سلمه الله تعالى منها وخاف أن يأتيه آخر فوثب وصار من خلف عقبة فلما رآه عقبة خاف منه وارتعب وقال ماحالك فقال له طيبون لا تفزع فماتم الا الخير انما جئت اليك حتى اذا هم صعدوا وأرادوا يأخذوا البطال ضربتك بهذا الخنجر احرمك تشم الدنيا فقال عقبة لا ستر المسيح عليك ويلك ياطيبون كيف حملك قلبك على مفارقة دينك وهو الدين العتيق ولا بانت لك معجزة ولا دلائل

ولا رأيت شيء من البراهين فان كنت مناما فانه شيطان يتعرض لك حتى يسلبك دينك فلا تختار العاجل على الآجل فأنا نائب المسيح وأعرف أهل الأرض بالأديان فما رأيت أحسن من دين المسيح فاقبل مني وارجع واترك هؤلاء الذين قد مكروا على أهل الأرض أجمعين فكم قد أهلكوا من أمة النصرانية ويقال عنك انك كنت من خيار الرهبان فصرت من أهل الإيمان فالويل لك من المسيح إذا أنت حشرت مع المسلمين ويقال هذا من أمة محمد فقال طيبون ويلك يا شيخ الضلاله ومعدن الكفر والجهالة أنت المحروم والمطرود وأنت تقول انك حفظت الأحاديث النبوية وكذلك القرآن الذي هو كلام باريء الانام اللطيف الرحمن الذي تركته فنزلك أيضا لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقولك هذا قول فاسد واعلم انه إن اجتمعت الخلائق أجمعون والملائكة والنبيون على أن يسعدون من أبعده الله لم يقدروا على ذلك ولا تظن أن هذا عقل وبصيرة وانما الله سبحانه وتعالى سلبك ثياب التوفيق حتى تكون عبرة لمن يدعي التصديق لأنك عجبت بعلمك على الرحمن فصرت من أهل الذنوب والعصيان مثل ابليس لما عصى الملك الديان فطرده عن باب الرحمن وحرم الجنان وانا فقد أخذ الله بيدي بعد تقبيل الصلبان نقلني وجعلني من أهل التوحيد والإيمان حتى لاييأس أحد من القبول (يا سادة) ثم أن طيبون وضع نبلة فى كبد القوس وقال يا عقبة هذا السهم اجعله بيني وبينك واسطه فقال عقبه على ماذا عولت وقد خاف أن يضربه به فقال طيبون اضرب به صاحب المنجنيق فان أنا أصبته وقتلته فدين الإسلام هو الحق وهو الدين الصحيح ودين النصرانية هو الباطل القبيح وان كنت ما أصيبه رجعت عن ما أنا فيه واتبع دينك وقولك فقالَ عقبة رضيت بذلك وان أنت أصبته رجعت الى دينك هذا وعقبة قد نظر إلى ذلك المكان وبعده وما على شماش من الزرد الذي مايقدر عليه أحد فقال وحق المسيح ما يصل الى هذا قط سهم (قال) ثم أن طيبون برك على ركبتيه وقال بسم الله وبالله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فخرج السهم من يده مثل القضاء المبرم ووقع لما أراد الله تعالى فى نحر شماس خرج من نقرة قفاه فوقع ميتا فعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فوقع الصوت فى العسكر وانقلبت على ساق وقدم وقامت على الملك القيامة وورد عليه أمر عظيم وقام الراهب طيبون وهو ينادي الله أكبر وقد رفع صوته بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوي) فلما سمع البطال ذلك خرج من خلف الشقيف وقال له ماالذي صنعت يامبارك فقال له قتلت صاحب المنجنيق شماس وأرحت منه الناس فاخرجوا

الآن إلى هؤلاء الكفار وارموا عليهم الأحجار ففعلوا ذلك وقتلوا منهم جماعة وانهزم الباقون وعمل القتال باقى ذلك اليوم أجمع إلى أن أقبل الليل هذا والملك جالس على باب سرادقه فلما رأى إلى شماس ملقى فقال ياويلكم من هو الذى رمى شماس من البعد وعمل سهمه هذا العمل فقالوا أيها الملك طيبون وهو الذى خلص الأسارى وأخذ ابنتك فقال الملك ما فعل هذه الفعال إلا وقد صار مخالف لديننا فقالوا نعم يامولانا لأنه قددخل فى دين الاسلام وترك دين النصرانية فقال وحق المسيح لقد قصرنا فى حق شماس وإلا لو كنا أقمنا قدامه الستاير تمنع عنه الأذى والآن فقدكان ماكان قال فبينما الملك كذلك وإذا قد قام اليه بطريق وكان غلام شماس وقال أيها الملك لا تضيق صدرك فوحق المسيح اننى كنت أعتب على شماس فى بعض الأوقات لماكان يرمى مع أنه أستاذى وأنا وحق المسيح أصنع منه وفى غداة غد ترى العجب وأنا الضامن لك اننى ما أرمى أكثر من ثلاثة أحجار وقد قتلت هؤلاء الشياطين أو يطلبوا منك الأمان فعند ذلك فرح الملك كرفناس وخلع عليه وقد شهدت له الصناع بما قاله وضمنه وأن مولاه ماكان يقدمه حتى لاينظر الملك إلى صناعته ويقدمه عليه (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما ماكان من البطال وأصحابه فانهم فرحوا فرحا عظيما وقالوا إن الله تعالى قد دفع عنا شر هذا الشيطان هذا وقد أقبل الراهب طيبون على عقبة وقال له أى شىء تقول فقال عقبة أنا أستغفر الله عما كان منى أتراه بعد هذا كله يقبلنى لأننى كنت آكل رزقه وأشرك سواه والله تعالى قد جعل هذا السهم الواسطة لى وقد أراد به هدايتى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله عبده ورسوله وما أقول هذا فزعا من الموت بعد ما فتح الباب وصرت من جملة الأحباب ولكن هذا بركات هذا الشيخ وقد ختم الله لى لأنى قد قتلت من المسلمين كثير ثم أنه جعل يبكى ويتضرع إلى الله تعالى ويقول إلهى أنظر إلى حالى وضعفى وشيبتى واغفر لى ذلتى وتجاوز عن خطيئتى هذا وشومدرس قد تحير من فعله وقال له ياويلك هذا سهم قد أصاب اتفاق فقال عقبه اشهد على انى برىء من دين النصرانية وداخل فى دين الحنيفية فان أنا سلمت سوف ترون ماذا أصنع وكيف أبيض وجهى عند الله وعند رسوله فان أنا هلكت ففى سبيل الله فبكا طيبون لبكائه وقال له لا تحزن ياشيخ مادام انك رجعت إلى الله تعالى وقد فتح لك الباب وكشف عنك الحجاب ورفع عنك العذاب فقال البطال وقد ضحك إلى أن استلقى على قفاه وقال لطيبون انتبه إن كنت نايم فقال خيراً ياأبو محمد قال اجعل بالك من هذا الشيخ النحس ولا تسمع كلامه فان كلامه كله مكر منه وخديعة وهو يخادع نفسه كما قال الله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما

يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (قال الراوى) فقال طيبون لا تفعل يا أبو محمد فقال البطال سوف أبين لك الساعة كفره اتركه الساعة فى القيد على حاله حتى أظهر لك كفره فقال طيبون والله لقد طاب قلبى بقتل هذا الملعون شماس ولا بقى على قلبي خوف ولا بأس إلا من غلام ان كان معهم حاضرا فى العسكر فانه أصنع من أستاذه وان لم يزيل الله عنا شر الآخر والا فنحن هالكون بلا محاله وانهم لا يرجعون يفرطون فى المنجنيق ويعملون عليه الستاير من كل جانب فقال البطال والله لقد كان حريق المنجنيق فى هذه الليلة فى غاية الحسن ولكن ما كان هذا فى حسابى وإلا كنت فعلته إلا أن ماعندى نفط فقال طيبون فلا تقول ماعندى نفط إن كنت تقدر تدخل بين الخيام فى هذا العسكر فقال البطال ما كان يصعب علىّ ذلك وهو أهون عندى من شرب الماء فقال طيبون أنا أدلك على مكان النفط انظر إلى هذا المضرب الصغير الأحمر الذى إلى جانب سرادق الملك فان فيه نفطا كثيرا فان كنت قادرا على ذلك فافعل ما تريد فقال البطال أنا لها ثم أنه قال انزل معى يا مذبحون فقال مذبحون أنا ما أقدر أنزل الليلة فقال عقبه ما يقدر مذبحون ينزل الليلة يريد يسقى الزرع ويبلينا بما أبلانا به البارحة قم يا ولدى وانزل مع أبيك فلعل الله تعالى يسهل حريق هذا المنجنيق على أيديكم ونخلص من هذه الكفرة لأنى الساعة وحق محمد المصطفى قـــد مال قلبي وجوارحى إلى دين الاسلام وانفتحت لى أبواب الهداية فقال مذبحون قد تخيل له صحة قوله وأنا ما أنزل من ههنا حتى إذا أصيب أحدا فبقى الآخر يعمل على خلاصه فقال عقبة ان كان هذا فزعا منى فاقتلونى وأنتم فى حل من دمى وما بقيت أنا أحول عن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كان على بصرى غشاوة فسبحان من كشفها فقال البطال ويلك يا عقبة اعلم اننى أنا ما ينطلى على محالك ولا خديعتك ولا مقالك فقال عقبة لا تفعل يا أبو محمد ولا تأثم فقال البطال ويلك ان كنت قد اسلمت كما قلت فخذا هذ السيف واضرب به رقبة شومدرس حتى أعلم انك قد تبرأت من دين النصرانية وأكون لك مملوك باقى الزمان لانى ما أحب الا فى الله وما أبغض الا فى الله فقال عقبة لله درك ما أزكاك يا ولدى ولكن هات السيف وانظر العجب فقال البطال خذوا علم ان جميع ما تفعله ما ينطلى على لانى ناقد جيد هـذا وعقبة قد أخذ السيف وتقدم الى شومدرس وهز السيف حتى دب الموت فى أفرنده وحديده والمنايا فى جوانبه وشاله حتى بان بياض ابطه فقال البطال ياليت شعرى هذا حقا وبعد هـذا فلو قتله ما أمنت اليه واذا بعقبة قد توقف فقال البطال أى شىء بك قد توقفت فقال اعلم يا أبو محمد انى لما أردت ان أضربه آطير دماغه خطر لى

حديث كنت سمعته عن خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم فقال البطال وما هو ياشيخ السوء قال يا أبو محمد كانوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يأتون بالكافر فيعرضون عليه الاسلام من قبل قتله فان هو أسلم حقن بهادمه وماله ولو قالها من ظاهر قلبه والله متولى السراير وانى أعرض عليه الاسلام فان أسلم يصون دمه وكان عقبة قد قال ذلك القول حتى يسمع شومدرس وكان قد غمزه ثم انه أقبل على شومدرس وقال له يا شيخ أنت تعلم انى أعرف الخلق بدين النصرانية وقد انفتح لى باب الحق وانكشف لى أن دين النصرانية باطل وأنا أحب لك ما أحب لنفسى فاسلم يا شيخ تسلم وان أبيت تندم ولا يمكننى إلا قتلك (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك علم المراد فقال يا شيخ إذا كان الأمر على ذلك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فضحك البطال وقال الحمد لله الذى جمع بينكما على المحال ثم قال يا طيببون اياك أن تغتر بكلامهما فانه كله نفاق واياك أن تأمن اليهم فيصل اليك شرهم وما فعل عقبة ذلك الا من أجل الشيخ حتى لا يقتله ثم قال البطال لعقبة ويلك يا عقبة دع يكون مسلما اقتله فقال عقبة معاذ الله أن أقتل مسلما وقد قال كلمة الاخلاص وهذا السيف بين يديك افعل ما شئت أنت واحسب يا أبا محمد انه منافق فى اسلامه فمالى الا الظاهر والله متولى السرائر فقال البطال يا ملعون ترى لو شهد كل من فى الدنيا انك مسلم لما كان بد لى من نحرك بهذا الخنجر فقال عقبة حسب الظالمين رب العالمين ثم سكت هذا والبطال قد قال لأصحابه اشعلوا ناركم ولا تخلوها تنطفى فقالوا وما قصدك بذلك قال حتى يعلموا الأعداء اننا عندكم مقيمون ثم ان البطال أخذ ثياب كركيس وكان قد عراه ثيابه قبل قتله بالحجر لمثل الحيلة وغيرها لانه كان قد عول على النزول الى العسكر فلما كانت تلك الليلة لبسها وشد فى وسطه الزنار وانحدر أسرع من البرق فوجد فى لحلف الجبل خيلا نزول ذات اليمين وذات الشمال فصبر الى أن تجاوزته ووجد خلسه فانسل وطلب العسكر ودخل فيه اختلط بهم وهو يقول أفيكم من رأى حصانا أبيض وعلى ظهره سرج مزركش شردعنا فى هذه الساعة وهم يقولون لالا حتى وصل الى سرادق الملك وتخطى المضارب الى أن وصل الى المضرب الأحمر كما وصف له طيببون ثم انه قعد عند زيل الخيمة وقلع بعض أوتادها ودخل فيها فلم يجد غير شخص واحد وهو نائم وهو شيخ كبير فنام البطال الى جانبه ومد يده اليه وأصلحه وإذا برأسه بجانبه وقام الى الخيمة واذا فيها صناديق فصار يفتح واحد بعد واحد حتى وقع على صندوق كبير فوجده ملآن من النفط الجيد الذى لو وقع على الماء ما انطفى فأخذ أربع قنانى وخرج مسرعا وهو خائفا لايذهب الليل وما عمل شيئا فوجد العسكر كلهم قد سهروا وناموا من حول سرادق الملك فقصد الى المنجنيق وإذا قد لقيه

شخص مقبل فقال البطال من أنت فقال رجل عابر سبيل فى شغل الملك لايطلع عليه أحد فقال وما هو فقال أوصى رجال المنجنيق أن يشدوا الحبال حتى لايطلع الصباح ولهم عائق فقال له الشخص ماهذا صحيح أظنك البطال وقد أتيت لتحرق المنجنيق وأظنك لاشك انك سرقت النفط من ذلك المضرب الصغير وأنا أنظرك يامحتال ياشرير (قال) فلما سمع البطال هذا الكلام طاش عقله وذهب لبه وقال ياليت شعرى كيف رآنى وبقى منه فزعان الا أنه قوى القلب وتبين له الذى قال واذا به مذبحون ولده فقال مذبحون قال نعم قال أرميت ركبى فمن أين جئت قال من عند المنجنيق قال هل رأيت عنده أحد قال نعم أربعين رجلا كانوا يشربون الخمر فجلست بينهم واختلطت بهم فأعطانى بعضهم قدحا من الخمر فأوريتهم انى أشربه وهرقته بين ثيابى ونظرت بولص الذى هو غلام شماس وهو يقول قد وعدت الملك فى غداة غد انى أرمى هؤلاء الكلاب الذين تحصنوا علينا فى هذا الجبل بثلاثة أحجار لاغير وقد أخذناهم أخذا بالكف فعندها طرحت لهم فى شرابهم بنجاودارت عليهم الكؤوس فما كانت الا ساعة حتى انطرحوا الى الأرض وهم سكارى وقمت الى بولص غلام شماس وتركته ملقا بلا رأس وعرفته شوم صنعته الذى ادعى بها عند الارجاس وأدرت عليهم من الموت كاس وأى كاس وكذلك كل من هناك من الناس والحمد لله رب العالمين فقال البطال وقد فرح لله درك يابنى فلو انك فعلت بمن فى طريقنا هكذا كان أهنى وأسر لنا فقال له طب نفسا وقر عينا والله ماوصلت اليك حتى طاف عليهم طائف من ولد آدم اسمه مذبحون وتركهم صرعا مطرحون وقد ذهبت أرواحهم إلى النيران فقال مايحتاج إلى تحريق المنجنيق فقال مذبحون بلى والله ياأباه ان فى إحراقه فوائد أحدها وهنا لهم ومذلة وتزداد هيبتنا فى قلوبهم والثانى لاينصبون منجنيقا آخر ويقع بهم الملل والضجر ثم أنه أخذ قنانتين من قنانى النفط وسار وتبعه أبوه وأخذ قنينتين أخر وهو متعجب من فعاله وحسن أعماله الى ان وصلا الى المنجنيق وطيب القوارير وضرب بها الأربع قوائم كل قائمة بقارورة فعملت النار فى أربع جوانبه ثم أنهما صاحا الله أكبر وغوشا وجلبيا فثاروا الناس حيارى فاختلطا فى جملتهم وهم يقولون ويماه ويماه هجمت المسلمين الذين كانوا فى الجبل وقتلوا الملك وأحرقوا المنجنيق ووضعوا السيف فيمن حوله (قال) وسمع الناس ذلك من أربع جوانب العسكر واشتد الأمر ووقع السيف فقتل بعضهم بعض وهرب الذين كانوا حول الجبل دايرين وقالوا ان علم الملك بنا وكان سالما بأنهم نزلوا من صوبنا ضرب رقابنا فهربوا طالبين ديارهم وكانوا ألف فارس وخرج البطال وولده مذبحون وهم سالمين وقد ستر عليهم رب العالمين

وأخفاهم تحت كتفه عن الناظرين وما كان للبطال شغل الا أنه أخذ من طريقه قربة ماء وحملها على كتفه بعد ان أحرص مذبحون على أن يأخذها منه فأبى ورجع مذبحون الى ورائه وأخذ قربة أخرى وصعدا ووصلا الى طيبون والفجر ما طلع فهنأهما بالسلامة وقال لله دركما ما الذى قد صنعتما فجعلا يحدثانه بما كان منهما وما فعلا من احتيالهما إلى آخره فتعجب وقال لا شك أن هذا ولدك وأنت أبوه وما نتج الزمان مثلكما فقال عقبة هذه والله السلسلة حيلة بعد أخرى الحمد لله الذى كان هذا وسلمتما فقال البطال الحمد لله الذى شق مرارتك فقال عقبة يا رب ان كنت تعلم أننى كاذب فى قولى لهم وفى رغبتى فى دين الاسلام فاغضب عليه غضبا لا ترضى بعده عليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام هــذا والنار تعمل فى المنجنيق إلى الصباح وعند الصباح ركب الملك ونادى مناديه فى الناس وسار حتى وصل إلى المنجنيق فرآه وقد صار رماد ورأى الرجال مطروحين وقد عاد بياضهم إلى سواد فخرق ثيابه غيظا وحنقا ولطم على رأسه ونتف لحيته وبدر الدم من منخريه وقال يا ويلكم على بالذى كانت لهم النوبة فى حرس لحف الجبل فطلبوهم فما وجدوهم فعادوا إلى الملك وقالوا أيها الملك ما وجدناهم ولا شك أنهم هربوا خوفا من نقمتك فقال الملك يا قوم فمن أين كان لهم النفط الذى أحرقوا به المنجنيق فقالوا له يا ملك من هذه القنانى المكسورة التى تراها حول المنجنيق فلما رآها الملك قال وحق المسيح إن هذه القنانى من خزائنى هاتم لى صاحب الخزانة فوحق المسيح لا بد من قطع رأسه واخماد أنفاسه فذهبوا الغلمان وعادوا وقالوا لقد أبر قسمك وما أحوجك إلى قطع رأسه فانه قطع رأسه وأخمد أنفاسه واننا وجدنا صندوق الخزانة مفتوحا وقد أخذت منه أربع قنانى وهى التى أحرق بها المنجنيق فقال وحق المسيح لولا اننى أفردت حول الجبل أربعة آلاف فارس يدورون بالنوبة لكانوا قدأخذونى حقا وأن البطريق الذى قتلناه لما قال ان هذا الشيطان يسرق القلاع بالليل لقد صدق وما قتلناه إلا ظلما وما هذه الفعال فعال انس لأن مالنا اليهم حيلة وما فى الأمر إلا أنكم كلكم تصعدون بالنوبة قوم بعد قوم وقاتلوهم إلى أن يتعبوا وتفرغ سلاحهم وتأخذوهم بعد ذلك أسارى ثم أقام الملك بعد ذلك أربعة عشر يوما إلى أن فنى الماء والزاد ومابقى عندهم إلا زاد يوم واحد ومن السهام مائة سهم ومع ذلك لا يقنطون من رحمة الله تعالى ولا ييأسون من فرجه وان الملك لما شاهد صبرهم جمع وجوه البطارقة والمقدمين وقال لهم وحق المسيح ان دام علينا قتال هؤلاء الشياطين فهم يقتلونى كمد ويشمت بى كل احد لأنى لو لقيت أهل الأرض فى طولها والعرض لصدمتهم صدمة جبار ولا أبالى بالأبطال ولا أخاف الأقيال وأنتم تعلمون انى أقول وأفعل ولكن هذا الشيطان

يغيب عنا بالنهار ويظهر بالليل ويرمينا بالحرب والويل وقد عجزت عنه لأنه شيطان مريد يفعل ما يريد وقد ضاقت علينا الدنيا بما رحبت فأشيروا على بما عندكم فما بقى لى صبر ولا جلد وقد وصل إلينا من هؤلاء العفاريت الشر واعترانى أنا الضر وما بقى عندنا صبر فقالت ملوك الأقاليم وخواص المملكة أيها الملك اعلم انما نزل بك من الهم فعندنا أضعافه مالا يقدر على وصفه لسان ومن العظائم أن يكون واحد من كلاب العرب نال منا الارب وأنزل بنا الويل والحرب وبلغ منا كلما طلب وحرق المنجنيق وذبح كل بطريق وقتل منا من غير تعويق ووصل إلى هذا المكان الصعب وتعلق فيه مثل اللهب وها هو يراوغنا مراوغة الثعلب وإذا فرغ من عنده الماء يسرق منا القرب ويوصل إلى أصحابه الماء والحطب وقد ضاقت علينا الدنيا وملت نفوسنا من المقام والتعب لأننا بالليل لانشبع من النوم خوفا من هذا الشيطان لاينزل الينا يذبحنا كما نذبح التيوس ولايفزع من ضرب الناقوس وقد ركبنا مع هؤلاء القوم العكوس ولو سرنا بهذا العسكر إلى أكثر أهل الأرض كنا لهم غالبين وأما هذا الشخص فنحن فيه حايرين لأننا لانرى شخصه فنلقاه وهو يبلغ منا مناه فقال الملك قد رأيت من الرأى شيئاً وأريد أن أفعله فقالوا وما هو أيها الملك فما فينا إلا من قد هلك قال الرأى عندى أنكم تفعلون ما أقوله لكم قالوا أيها الملك ما هو قال نحن فى سبعمائة ألف فارس قالوا نعم قال لايبقى أحدا منا حتى يمضى الى هذه الغابة والوادى ويحمل منها من الحطب ويرميه فى مقابلة هذا الثقيف يوم واثنان وثلاثة وأربع إلى أن يصير الحطب فى مقابلتهم فاذا اجتمع وكمل رمينا فيه النار فأنا أعلم أن وهجها وحريقها يصل اليهم فيحرقهم أو ينزل الينا هذا الشيطان ومن معه إذا رأى ذلك فقالوا أيها الملك أول من كان يهلك الشيخ النجيح فقال دعوه يهلك (قال الراوى) وأمر الملك فنادى منادى بما أمرهم به وساروا إلى الوادى والملك فى أوائلهم ثم أنه دنى من شجرة كبيرة ومسك فرعا من فروعها وكان ذلك الفرع قدر شجرة صغيرة واتكأ فيها قصفها وأخذها على كتفه وأتى بها إلى قرب الثقيف فلا وذمة العرب ما كانت إلا ساعة حتى رأيت الوادى بعدما كان غابه صار فلاه وطرحوا الحطب بعضه فوق بعض حتى حاذاهم. وجعل طيبون يرميهم بالسهام حتى فرغت نباله وتابوا إلى الغد والحرس عليهم شديد وهو يدور فلم يبق لهم تعليق ولا تسليق فقال البطال هذا بقضاء الله تعالى وقدره ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هلكنا والله ان لم يرحمنا الله ياليت كنا هلكنا بالمنجنيق أحب الينا من الحريق فقال مذبحون أتدرون فى أى شىء أنا متفكر قالوا لا والله ما يعلم ما فى القلوب إلا علام الغيوب فقال كيف تحرق بنت الملك بالنار

على نعومة جسمها فقال عقبة كل عين تبكى شجوها من حين رأيت عروسك على رؤس الجبال علمت أننا هالكين على هذا الحال ولكن فى سبيل الله نار الدنيا ولا نار الآخرة فياليت جسمى لكم الفداء حتى أنها تكون كفاره لما مضى فقال مذبحون لا ولكن هذا ببركة إسلامك ولعل الله أن يهلكك ويجازيك بهذا فقال البطال لاتفعل يا بنى ولعل يكون قد تاب (يا سادة) واختلط بعقل البطال أنه يقول صحيحا وقال معلوم أنه قد أيس من روحه كما قد أيسنا من أرواحنا ولعله قد رجع فيما بينه و بين الله تعالى وقال مذبحون والله انا قد تحيرنا فى أمرنا هذا وقد أمسى المساء فقالت البطارقة الملك أطلق النار من أول الليل حتى لايطلع الصباح إلا وقد راحت منهم الأرواح فقال الملك هذا مالا أريده ولكن أحرسوهم الليلة فاذا ذهب الليل بظلامه وأقبل الصباح بابتسامه أمرت الزرافين أن يضرموا هذه النار فتعود فى ساعة كلها جهنم التى ذكرها المسيح فى الانجيل وننظر اليهم كيف يحترقون حتى يخف بعد ذلك ما نجد فى قلوبنا من الحنق عليهم فقالوا صدقت أيها الملك افعل ما تريد فما تشير علينا إلا بالخير فباتوا القوم على ذلك وطلب البطال الهرب فما قدر عليه وعسر عليه وأنه كان يقدر الا ما أراد أن يفارق أصحابه وينجو بروحه بل سلم أمره وأمورهم إلى الله تعالى فقال البطال لطيبون لقد وقعت مراراً كثيرة فى الشدائد وابتليت بالاوابد وغرقت فى البحر الأسود المظلم فما بليت قط بمثل هذه الليلة فقال طيبون هذا على بختى وأنا والله ما أبالى أى وقت مت بعد أن عرفت الله تعالى وصرت من الاسلام ومن أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وما بقى فى قلبى شىء إلا أننى ما نظرت ديار المسلمين ولا سمعت أصوات المؤذنين ولا عاينت الجمعة ولا الجماعات ولو قبل موتى بساعات فلعلى كنت أكسب الآخرة بالطاعة ولو رأيت الأمير عبد الوهاب لأنك قد شوقتنى إلى رؤيته بما حدثتنى به من صفته وأودعت قلبى من صحبته وقد كنت معولا على أننى أصل إلى ديار المسلمين وأحج إلى بيت الله الحرام وأزور قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ولا أعلم أن المقادير تعيقنى والأقدار تسوقنى لأكون طعاما للنار وحريقا من أيدى الكفار ولكن لى أسوة بكم إذ أنتم عند الله أفضل منى ولعله يفرج عنكم وعنى فبكا البطال وكذلك الجارية وطيبون يبكى وعقبة يبكى خيفة على نفسه ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الصباح وأرتفع الصياح وركبت البطارقة وركب الملك بنفسه ورفع الصليب على رأسه وأدعى بالزراقين فأخذوا قوارير النفط وزحفوا نحو الجب وضربوا البوقات ورفعت الرايات ونشرت الأعلام ولمعت الصلبان وزعقت القسوس والرهبان وطلبوا اضرام النيران ليحرقوا أهل التوحيد والايمان فلما دنوا منهم قال البطال ياعقبة ويلك

أنت تعلم أن حريق النار أشد العذاب فاستغيث إلى الملك وقل له لا تفعل وخوفه من غضب المسيح عليه لأجلك ولأجل شومدرس فقال عقبه لاكان يوم أسلم أنا وتحترقون أنتم نخل ياأبو محمد الكياد والعناد فما بقى إلا الإخلاص فى طاعة رب العباد ثم أنه وثب قائما وقام شومدرس معه وجعلا ينادیان ويصيحان أيها الملك ارحم كبرنا وشيبتنا وعلمنا فاتق المسيح ولو أنك قتلت كل مسلم على وجه الأرض ولا يكون لأجل واحد من المسلمين تهلك علماء دينك قال البطال ما رأيت أخبث من عقبه كان يقول هذا الكلام ثم يلتفت إلى وإلى طيبون ويقول أنا أستغفر الله تعالى من هذا الكلام ويذكر الله ويتشهد ويقول إنما أقول هذا حتى أوهمه بهذا القول لعله أن يكون سببا لخلاصنا من هؤلاء اللئام ووحق من أتى بهذا النهار وأذهب ذلك الظلام والاعتكار ان أنتم سلمتم أنفسكم اليه بالأمان لأعملن على خلاصكم ولا أمكن أحدا من الروم يصل اليكم حتى نقرب من ديار أهل دين الحنيفية ونهرب كلنا بالكلية وقد كنت أشتهى هذا وأشتهى أن يكون خلاصكم على يدى حتى تزول الشبه والمظنة الفاسدة عنى ويطيب قلب الأمير أبو محمد بفعلى وكذلك قلب الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب بيض الله وجهه كما بيض فعاله وقلبه فقال البطال هذا أول من يريد ضرب رقابنا ويسلمنا إلى أعدائنا حتى يطول عذابنا فقال البطال دعنا كلنا نحترق بالنار فى طاعة الملك الجبار فهو أحب الينا ولا تتم حيلتك علينا فقال عقبة الأمر إلى الله تعالى ماأقدر أدفع القضاء والقدر وقد علم الله ماأنا مضمره ومظهره ثم جعل ينادى بالملك هو وشومدرس ويقرءوا الانجيل بطيب أصواتهم (قال الراوى) فلما نظر الملك إلى ذلك قال لأهل دولته أما ترون فى هذه القضية الميشومة والحالة المذمومة كيف بادرنا كانت النوبة عظيمة علينا فقال بعض البطارقة أيها الملك انى سمعت عن ملوك القسطنطونية مثل منويل وميخائيل وارمانوس وآبائهم أنه إذا وقع هذا الشيخ فى أيدى المسلمين أو اصابته مصيبة يفدونه بكل أسير مسلم فى بلاد الروم فقال الملك ياويلك الملوك الذين وصفتهم ما أرضاهم أن يكونوا نوابا بين يدى والذين كانوا يفعلون ذلك من عجزهم وحاجتهم إلى هذا الشيخ النجيح والى أمثاله ليكونوا لهم عينا فى بلاد المسلمين ليبلغوهم الأخبار التى تجرى فى تلك الديار هكذا حدثنى الرسول الذى جاء من عند ملك الملاقطة وأنا فما احتاج إلى هذا ولا الى غيره وما عندى إلا السيف لكل من على وجه الأرض طولا وعرض فاضربوهم بالنار ودع لا يبقى منهم ديار فقالوا أيها الملك ان رأيت اننا نخادعهم بالايمان حتى يسلموا أنفسهم الينا ونكون قد فعلنا مع قسوس ديننا جميلا وخلصناهم من أعدائهم وأن أبوا أحرقناهم فقالت القسوس هذا هو الصواب (قال

الراوى) فهم فى الكلام وإذا بغبرة قد ارتفعت وعجاجه قد علت ونمت وانتشرت وملأت الأقطار ونفرت منها الوحوش فى القفار وعاد الوقت ليلا بعد ان كان نهار قد انكشفت عن عساكر قد أقبلت وجيوش قد وصلت من غير صوب بلاد الملك كرفناس وقد ارتجت الأرض من ركض الخيل وأقبلت المواكب مثل سواد الليل فلما نظر الملك إلى ذلك قال وحق المسيح هذا عسكر عظيم إما أن تكون عساكر الروم قد خافت أن أطأ بلادها وقد جاءت إلى أو عسكر الاسلام قد أتى فى طلب هؤلاء الذين فى الجبل الذى قد طال بنا من أجلهم المقام ثم قال لبطريق كان إلى جانبه يقال له فرسيك اكشف لنا خبر هذه الغبرة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان هـــذا البطريق خبير بالحرب جسور على الطعن والضرب لايراهب اللقا ولا يخاف الوغا أحب الأيام اليه يوم يصبح يلقى فيه الأبطال وأنه لما نظر إلى ذلك ابتهج غاية الابتهاج فقال له الملك ويلك خذ معك عشر فوارس واسرع اكشف هذا السواد المقبل فوحق المسيح ان كانوا من الأعداء ورجعت ولم تخضب سنانك منهم بالدماء لأسقينك شراب الردى وان فعلت ذلك أجزت لك العطاء وأنعمت عليك حتى ترضى فقال له البطريق فرسيك سمعا وطاعة أيها الملك ماأرجع إلا كما تريد ثم صاح بجواده وكان مدلا به وكان سابقا من الخيل فى سواد الليل يسيل مثل السيل راكبه عليه مثل الجبل وهو فى المسير أسرع من قدوم الأجل يضرب به المثل مطواع إذا حمل يطرب إذا صهل صبور بلا ملل فسبحان خالقه لقد كمل وسارت معه عشرة من البطارقة والكل بالسيف والقنطارية والطارقة (قال الراوى) وأما البطال فانه لما نظر إلى ذلك الغبار قد طلع من صوب تلك الديار قال اللهم لك الحمد من قبل ومن بعد يا قريب الفرج اجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا انك على كل شىء قدير ثم جعل يبكى ويتضرع الى الله تعالى وبكا مذبحون لبكائه وكذلك الجارية مريم ابنة الملك وجعل عقبة يبكى ويقول اللهم انى أسألك بحرمة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وفاطمة والحسن والحسين والصحابة والقرابة والمهاجرين والأنصار والتابعين الأخيار ما خلصتنا ولا تقطع بنا يا أكرم الأكرمين ويا إله العالمين تصدق على عبيدك المساكين وخلصنا من أيدى المشركين وأنت تعلم اننى قد رجعت الى دين الإسلام والمسلمين (ياسادة) وان عقبة لما دعا انقلب لونه إلى صفار وغلب على ظنه ان الواصلين من جملة المسلمين الأبرار وقد جاءوا إلى هذه الديار هذا والبطال قد أقام على قدم الانتظار وماج أيضا عسكر الكفار كما يموج البحر الزخار (قال الراوى) وأما ما كان من البطريق فرسيك فانه غاب ثلاث ساعات من النهار ولاطخ الغبار فعرف رايات العسكر وإذا به عسكر الملافطة فرجع على أثره وترك أصحابه وراه وكان الملك

له فى الانتظار وجميع العساكر شاخصة بالأبصار فلما نظر الملك فرسيك قد أقبل وحده والغبار فى أثره قال الملك ما أظن إلا بقية أصحابنا هلكوا وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال خذوا الساعة أهبة الطعن والضرب (قال الراوى) ووصل فرسيك وهو ينادى يا ملك البشارة وما أتعب فرسى إلا لأجلها قال ويلك قل وأوجز فقد أزعجت العسكر قال أيها الملك قد وصل ثلثمائة ألف فارس من الأفرنج والملافطة فى خدمتك مع الملك زوج ابنتك لانه سمع بخروجك إلى بلاد الإسلام على نية الغزاة وقد سار بنفسه فى عساكره وجنده خدمة لك وطلبا لمرضاة المسيح وشوقا إلى الشيخ النجيح والراهب شومدرس الفصيح (قال) ففرح الملك ثم نزل وجلس على سريره ولم يخرج إلى استقباله من تكبره وتجبره بل أنفذ وجوه عسكره ودولته للقائه ولم يره انه يقف إلى حين وصوله (قال) وما كانت إلا ساعة حتى أشرفت الصلبان لا ئحة على رأس الملك القادم كانها آجام القصب فلما عاين البطال ذلك قال كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وأظهر عقبة الحزن وقد امتلأ قلبه شحما ولحما وقد عرف رايات ملك الملافطة فأقبل على شومدرس وقال له بلاشك هذا الملك الكافر الذى هو ملك الملافطة قد عول على الغزاة لما أن مضى اليه الرسول بالعروس وأعلمه ان كرفناس خارج إلى بلاد الإسلام فجاء اليه بهذه العساكر فكادت مرارة البطال أن تنفطر من الغبن من الملعون عقبة وقال والله ما ينطلى على محال هذا الملعون وقال ما أراد بهذا الكلام إلا ليغيظنى وأنا أقتله ودع أستريح منه ودع يجرى ما يجرى ولكن حتى أنظر ما يكون من القوم هذا وقد نزلت ملوك الأفرنج وامتلأت بهم الأرض والبرية وأقبل الملك بنفسه ودخل إلى سرادق الملك كرفناس فقام له ومشى اليه واعتنقه وأجلسه إلى جانبه وسأل ملك الملافطة عن سبب قدومه إلى هــــذه الأرض فأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فقال ملك الملافطة يا ملك والشيخ النجيح معهم قال نعم والراهب شومدرس فبكى ملك الملافطة وقال وحق المسيح انى أفديهما بمالى وروحى فأى شىء هذا الخطب الذى أراه قال كرفناس انى عولت على إحراق الجميع بما عمل بنا هذا الشيطان البطال من الأمر الشنيع والخطب الفظيع فقال ملك الملافطة أيها الملك اسمع الجواب اعلم ان هذا الذى قد عزمت عليه ليس بصواب قال ولم ذلك قال ملك الملافطة أقسم بالمسيح انه لو قيل لى أن أفدى هذين الشيخين الصالحين بنفسك وأشترى هذين القسين بكل من على وجه الأرض من المسلمين ولو كانوا فى قبضتى مأسورين لا طلقت الكل أجمعين وخلصت هذين الشيخين الصالحين أحدهما الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح والثانى عالم النصرانية وسيد

أهل المعمودية أبو الشر شومدرس فقال كرفناس فكيف السبيل إلى خلاص واحد منهم فقال أنا أقول لك هؤلاء القوم لو ماتوا عن بكرة أبيهم لما سلموا نفوسهم ولو أشرفوا على الهلاك لقتلوا الشيخ النجيح والراهب شومدرس وان أحرقتهم هلكوا الكل والصواب أن ترسل اليهم الساعة رسول مقدم عاقل فاضل يقول أنتم ترون ما قد عزم عليه الملك من احراقكم بالنار ومابقى لكم إلى النجاة من سبيل فان أردتم السلامة لنفوسكم والخلاص لأرواحكم فسلموا الينا الشيخ النجيح والراهب شومدرس وطيبون وبنت الملك حتى أحلف لكم بالايمان المغلظة كما يحلف ملك مثلى انى آمر كل من فى دولتى أن يزيلوا الأحطاب والأخشاب من طريقكم واطلق سبيلكم ولا اتعرض لكم بأذى وانذروا قومكم انى بعد فتح القسطنطنية أسير اليهم واقدم عليهم فيكونوا على أهبة من ذلك فان فعلوا وإلا فافعل بعد ذلك ما تريد (يا سادة) فعندها أرسل الملك رسولا من القساقسة الكبار وسار من عند الملك بتاع الملافطة وقس آخر فلما أن خرجوا من العسكر رآهم البطال من مكانه فقال لطيبون هؤلاء رسل قاصدين بأن يطلقوا لنا السبيل واسلم اليهم عقبة وشومدرس فقال عقبة ما أبالى دعونى أكون لكم الفداء ولأرواحكم الوفاء على انى اعمل على خلاصكم فلما رآهم البطال صاح بهم ماحالكم قالوا لايرمى أحدامنكم بسهم لاننا رسل ومعنا رسالة فقال البطال أنا أعرف الرسالة تكون فى حجارة المنجنيق ان كان لقولكم تحقيق فاكشفوا الحطب والخشب عن الطريق ليزول عنا الهم والتعويق ويصعد واحد منكم إلى ويقول لى ماعنده من الخطاب ويسمع منى الجواب فقالوا الرسل لقد قال الحق ثم أرسلوا الى الملك واحدا منهم وعرفوه ما قال البطال فأمر لهم الملك بازالة ذلك فما كانت الا ساعة حتى أزالوا ذلك كله وخلص الله تعالى البطال وأصحابه من الحريق قال وان الرسل صعدوا اليهم حتى قربوا منهم وقعد لهم البطال على متن الطريق فى رأس المضيق وقال لهم هاتوا ما معكم من الرسالة فأعادوا عليه ما كان كرفناس معولا عليه وما فعل ملك الملافطة لأجل الشيخ النجيح والراهب شومدرس وطيبون وبنت الملك فقال مذبحون والساعة يطلبون بنت الملك فقال البطال اسكت ثم أقبل عليهم وقال لهم أنتم تعرفونى ولاتنكرونى فقالوا صدقت وحق المسيح نعرفك انك الف نوع لاترحم شيخا لكبره ولا طفلا لصغره فقال الساعة ماقلت لكم صفونى الا أنكم تعلمون ان مايمر على المحال ولا ينطلى على زور المقال وهذين الشيخين إذا قتل الملك من قتل كان على قلبى طيب ولا أسلمهم وإذا علمتم هذا فهو المقصود وان الملك لما عزم على احراقنا وهما معنا رأيت ذلك انعاما منه علينا ومنة قد أوصلها الينا فاذا أشفق عليهما فالأمر لله ولكل أجل كتاب وأنتم قد

وصلتم الينا على وجه الرسالة وأنا لأجل سعيكم أجبتكم لأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وأنتم كرام قومكم وهذا الشيخ عقبة وشومدرس بحكمكم على شرط أن يحلف لى الملك كرفناس وملك الملافطة ويكونان هاهنا فى موضعكم وسائر قسوسكم إنى إذا سلمت اليكم الأسارى لايتعرض منكم الينا معارض ولا كل من يقول عيسى ومريم وترحلون عنا عن بكرة أبيكم وترفعون لنا زاد وشىء من الماء يكفينا إلى أن نصل إلى بلادنا فاذا فعلتم ذلك فأنا أجيبكم الى ما تريدون وان أبيتم فأنا الذى لا أجيب الى ماتحبون وأضرب رقبة عقبة وشومدرس ويفعل الله ما يشاء فقالوا قد أجبناك الى ماتريد الا اننا لانراك تذكر طيبون وهو صاحب الملك وبنت الملك فقال البطال هذا كلام لاأسمعه اعلموا ان الراهب طيبون هو اليوم من الطيبون فلا تأخذه الخبيثون ولو شربت كاس المنون فلا تحدثكم أنفسكم بما لا يكون لأن الرجل صار مسلما وما بقى له أرب فى ذلك الدين وأما ابنة الملك فلا سبيل الى تسليمها لأنها مسلمة موحدة وقد تزوجها ولدى فاتركوا عنكم المحال وخذوا مافى صحيح المقال فهو أليق بعقول الرجال فقال البترك نحن نمضى الى الملك ونبين له هذا المقال فقال البطال اسمعوا ما أقول لكم وبعد هذا وحق البيت العتيق والدين الحقيق والمصطفى الصادق وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى وأصحابه على التحقيق لأن كان أحدا منكم يقول للملك لاتصالح الا على الراهب طيبون وبنتك لاذبحنه فى هذه الليلة ولو كان تحت الأرض السفلى الا أن يشاء الله تعالى فقال البترك وقد صلب على وجهه أما أنا فوحق المسيح ما بينى وبينك الا الخير والسلامة فلا تتعرض لنا الا بالخير وسوف يبلغك ما أقول وكذلك باقى القسوس والبطارقة وجعلوا يحلفون له ويقولون ما يكون الا ماتريد لأننا نعرف انك شيطان مريد وما على حيلك وأفعالك من مزيد (قال الراوى) ثم نزلوا من ذروة الجبل وعادوا نازلين من عنده حتى وصلوا الى الملك وعادوا عليه ماقال للبطال وكيف قد أسلم طيبون وبنته وهم بقوا مؤمنون وقد تزوجت الجارية بولد البطال مذبحون وكيف قال البطال أنا ما أصالح الا على الإثنين فقال الملك ما يمكننى الا أن أصالح الا على الاثنين فقال البترك الله الله أيها الملك لاتذكرهما له بحق المسيح فانه يقتل الشيخ النجيح والراهب شومدرس ذو العقل الرجيح وعندهم مؤنة وعدة تكفيهم شهر كامل وأنت ماتقدر تقيم عندهم عشرة أيام أخر وما لنا حاجة اليهما وربما تكون ابنتك قد حبلت من هذا الشيطان اللص المحتال مذبحون ابن البطال فيجىء منها ولد يخرب بلاد الروم دعها تمضى الى لعنة المسيح وأما الراهب طيبون فهو الذى خلص البطال وولده من ذلك البلاء الذى كانوا

فيه فلو انهم ينعموا لك بتسليمه ما يكون فيهم خير فلا تطالب الا بما أنت راغب فيه فقال كرفناس قدفهمت كلامك ثم قال لملك الملافطة ماذا ترى عندك من الرأى فقال الرأى عندى اننا نأخذأصحابنا ونرحل من يومناهذاونحن عن قريب ننزل على القسطنطونية ونأخذها بالكاية ونسير بعدها الى بلاد الحنيفية ونأخذ كل من فيها ولا نبقى منهم بقيه ولا يبقى فى الأرض ملك سواك وأنا أكون بعسكرى بين يديك ومعى ثلثمائة ألف قنطارية وبها أفتح لك الدنيا وحق المسيح اننى ماخرجت من بلدى قط وانما أبى كان إذا خرج أخذ معه أهل القرى وما يأخذمعه أحدا من الجند كل ذلك اشفاق على جنده وكان فى قلبه الغدر للروم ويصفعهم ويكون عسكرى قوى حتى يملك بلادهم والآن فقد خرجت فى هذه النوبة بجميع عساكرى حتى وخيالة الأفرنج خدمة لك وما أريد الدنيا كلها الا بحكمك أيها الملك فقال الملك وقد أعجبه كلامه سوف نملك الأرض طولا وعرض ولا نحتاج الى أحد ولا الى جندك وأنت تقول هذا فأنا اجعلك خليفتى فيها فأول ما آخذ لك القسطنطونية وأسلمها اليك ولكن قم بنا الآن الى هذا الشيطان لنحلف له فنهض ملك الملافطة والملك كرفناس معه وقد ترجلت الروم من حولهم وهم عالم عظيم فقال البطال وقد قربوا منه وصاروا بحيث يسمعون كلامه فقال البطال لولده لاتتكلم بكلمة واحدة حتى نسمع مايقولون فعندها وقفوا وتقدم القس يحلف الملك فقال البطال ماهذا فقال الإنجيل نستحلف به الملك فقال البطال أنا ما أستحلف بالانجيل بل أنا لى إيمان مفردة ما أحلف الا بها لأن اليمين كما يختار المستحلف ويكره الحالف (يا سادة) هذا والملك قد خرجت روحه من الغيظ لأنه جبار عنيد وشيطان مريد وقد بلى بواحد فى الثريا لايقدر عليه فقال له قل ماشئت نحن نحلف به فقال البطال دير وجهك الى الشرق وأكشف رأسك وصف أقدامك وقل وحق المسيح والإنجيل وبيعة الاسقف والقنديل والا كسرت الصليب المحكم العمل وأوقدت تحت لحم الجمل ولا قلت ان سقف قمامة قد انهدم والاحرقت ذراعة مريم والا أن المعموديه على أثر بول المسلمين وانتفينا من البترك وقلعنا عينه اليمين والامسخنا المسيح كلنا قرود ولبسنا ثياب اليهود الدباغين الجلود وأكلنا خنزيرنا بلحم الجمل مشدود وبطلنا دين الناقوس وصفعنا بجلد الجمل رهباننا والقسوس وأوقفنا شيخنا البترك وجعلناه من غائط الراهب طيبون حنك (ياسادة) فصاح البترك لاستر الله عليك يا أبو محمد اليمين كلها من كيسى فقال البطال لابد ما أحلفكم بكل عظيم فقاو البترك الويل لهم اذا حنثوا فى هذا اليمين فانهم يهلكوا أجمعين وللسيح يخالفون ان لم يصدقوا بهذا اليمين ثم قال البطال قولوا وحق الشعانين والصلبان والشمع والقربان والقس والمطران والراهب القديم والمسيح الكريم والا

خرجنا من ملة النصرانية وقلنا ان الحق مع الحنيفية والا برئنا من دين النصرانية دين الملك أجمعين والا رجعنا الى قول الحواريين ولا سمعنا من قسوسنا ماهم قائلين ولا ملكنا الى بلاد المسلمين ان تعرضنا لكم وملنا اليكم أو غدرنا وكان بخلاف ما استقر بيننا أو تركنا من يتعرض لكم الى أن تصلوا الى بلاد المسلمين وتقدموا الى أوطانكم فرحانين خلف الملك كرفناس وملك الملافطة والبترك والرهبان والقسوس والمطران وسائر من معهم من عبدة الصلبان ثم أن البطال أطلق عقبة وقال له الساعة يبان اسلامك ان كان له حقيقة فقال عقبة بعد ان أكون فداك من السوء ما إبالى أن سلمتنى اليهم أم لا (قال الراوى) وفك قيد عقبة وشومدرس ونزل هو وشومدرس وعادوا الى سرادق الملك وأنفذوا للبطال خيل وعده وزاد وماء وجمع ما يحتاجون اليه كما استقر بينهم الحال وباتوا فى ذلك المكان طول ليلتهما وهم يقولون وحق المسيح لقد حلفنا هذا الشيطان البطال بايمان قط ماحلفنا بمثلها قس ولامطران وما هذا من بنى آدم فقال عقبة للملك على ماذ عولت أيها الملك أن تصنع فقال على الرحيل فى غداة غد فقال يا ملك ماهذا صواب أما ما ذكرت من الإيمان فدعها كلها فى رقبتى لا طالبك المسيح منها بشى وأما البترك فهو يحمل ماقد قال فقال البترك لا كان ذلك أبدا ولا كرامة ولا عزازة ان يجعل لا من غائط طيبون حنك فضحك عقبة وقال أيها العقول الخسيفة خلوا الحنك لى أنا وخذوا هذا الشيطان وابنة الملك فهو أول الفرح والفتوح فقال الملك هذا مالا يكون أبدا ولا تسمع عنى ملوك الأرض انى قد حلفت لرجل أربعين يمين وحرقت ذراعة مريم وأغدر به فقال ملك الملافطة معلوم أيها الملك أن هذا الرجل أعلم منا فى الدين وقد قال انه يتحمل بهذا اليمين ويأخذ هذا الشيطان ومن معه من المسلمين فقال الملك هذا أمر لا سبيل لكم اليه لأنى سائر أريد أن أفتح الأرض وأنزل على المسلمين والحصون فاذا سمعوا الناس انى أحلف وأكذب أعظم اليمين وأغدر وأخون نفرت قلوبهم منى ولا يصدقونى اذا انا حلفت لهم وينفسد ماأنا طالب له فى ملك البلاد وهذا الرأى غير السداد (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام منه قال له وأنا أشير عليك برأى آخر فقال له الرجل وما هو قال نرحل غدا كلنا الى بلاد القسطنطونية كما ذكرت قال نعم ثم ماذا قال وننزل على عيون الصخر ونرحل عنها فى اليوم ونخلف ها هنا من رجال الملافطة مائة فارس وأكثر من ذلك ويكمنون فاذا انزلوا هؤلاء من مكانهم وعولوا على الرحيل الى أوطانهم فانهم لابد لهم من النزول على عيون الصخر لانهم مالهم طريق الا من هنالك فاعرف يا ملك ذلك وتكون الملافطة مكمنين هنا لك فاذا نزلوا أخذوهم وتأمن أنت أيها الملك من شرهم

ودهاهم لأنى أخاف عليك أيها الملك اذا طلبت بلاد الإسلام ان يسرقك هذا البطال اللعين (يا سادة) فلما سمع الملك ذلك من كلامه وسمع سرقته فزعت نفسه وقال اذا كان الأمر كما ذكرت والحال على ما وصفت فكن أنت مع الكمين وها أنا قد سلمت أمرهم اليك حتى لا ينسب أحدا منهم الى ولا يظهر هذا الى كريم فقال عقبة كفيت أيها الملك البلاد وباتوا تلك الليلة مبرزين ثم رحلوا عند الصباح سائرين وقد فرح البطال برحيلهم لأنهم كانوا قد ضجروا من المقام فى ذلك الموضع وأتبعهم البطال بنظرة طول النهار وقد قطعوا البرارى والقفار والأودية والأوعار فلما ذهب النهار قال البطال لأصحابه انزلوا بنا بارك الله فيكم فى أول الليل فاننا مالنا طريق إلا على عيون الصخر ولا آمن إلا يكون عقبة قد أمرهم بالغدر بنا وقد رأى الملك ذلك فضيحة منه لأنه فزعه منى حتى أنعمله بأخذى وقد أكمنوا لنا الساعة على عيون الصخر وهم كلهم الليلة يلبثون هنالك حتى يطلع النهار ويرحلون عند الصباح ويكمنون الكمين هنالك لا محالة وينظرونا حتى ننزل ويأخذونا وان شاء الله تعالى أسير بكم إلى نصف الليل وقد وصلنا اليهم ونرحل من العيون قبل أن يرحلون ان شاء الله تعالى (ياسادة ياكرام) وقد ذكرنا أن البطال لما صالحهم د أخذ منهم الخيل والعده وجميع مايحتاجون اليه وأنه نزل هو والراهب طيبون ومذبحون والجارية وركبوا الخيل وساروا فى ظلام الليل وأشرفوا على نيران العسكر فقال البطال لطيبون ايش ترى من الرأى قال انزل بنا نأخذ الراحة لحظة ثم نرحل فقال هذا هو الصواب ثم نزلوا ساعة واحدة وأخذوا الراحة ووصل العسكر وما بقى من الليل ساعة فأخذها البطال فى ضجة ذلك القوم وسار بهم إلى أن طلعت الشمس ثم نزلوا عنهم مقدار أربعة فراسخ هذا جرى لهؤلاء (وأما عقبة الملعون) فانه لما رحل العسكر كان قد أخذ معه ثلثمائة فارس وأكمن بهم عند العيون وأقبل على مائة منهم عند الصباح وقال لهم اذهبوا الساعة وأشرفوا على الجبل فان كانوا فى مكانهم تقولوا لهم أن الشيخ الذى أخذناه قد ضاع فهل عندكم منه خبر وعودوا سريعا فقالوا سمعا وطاعة ومضوا ورجعوا آخر النهار وأخبروا أنهم صعدوا إلى الثقيف فما وجدوا هناك أحد فقامت عليه القيامة وأكل يده أسفا وندامة وقال هذه فرصة فاتتنى وأعظم مصيبة وانفقعت مرارته فقالت له البطارقة معلوم انهم مايرجعون إلى الملك كرفناس ولا إلى بلاده ولا لهم طريق غير هذه الطريق فما عبروا فقال عقبة وحق المسيح ان كانوا عبروا علينا عبروا بالليل وهذه من دواهى البطال وشؤمه وحيله وقد حسبت وقرأت الكتاب فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا لا تتكلم بالغيب فضحك وقال وحق المسيح لا تركته يفوتنى ولو دخل إلى بلاد الاسلام فان كان ولا بد لى

منه لأنى أعرف كل منزلة ينزلها من ههنا الى حصن يانس المتعزب ولا بد للبطال ما يكتب كتاب فى الحال إلى بنى كلاب والأمير عبد الوهاب وينفذه على جناح الطير يعلمه بالقصة ويخبره بهذا الملك وخروجه إلى القسطنطونية ويعلم أيضا ان كان عبد الوهاب مقبوض عليه أو أخذ من الساعة على نفسه وما يسير الا على مهله لأجل بنت الملك فارحلوا بنا طول الليل كما قد فعل ثم رحل عقبة وسار بهم الملعون طول الليل حتى أصبح الصباح واستمر سائر طول النهار إلى قرية كبيرة يقال لها قرية المطران وفيها بيعة كبيرة تحمل اليها النذور من كل مكان فقال عقبة ان صدق حذرى فهم فى هذه القرية يستريحون وقد عولوا بعد ساعة أخرى فاكبسوا هذه القرية هذا جرى لهؤلاء (وأما البطال) فانه سار من وقته وساعته وهو آمن على نفسه وقد سلك طريق حصن يانس المتعزب وقال طيبون قد أوهمنى عقبة بعبد الوهاب فانه قبض عليه بواسطة رجل يقال له مطرون وقد تحدث عليه عند السلطان وقال ان عبد الوهاب أراد أن يلقى السم فى الشراب على يديه وقال لى عقبة أنه بسبب ذلك قبض عليه وهو طالب لى وأنا خائف إن قصدت إلى عنده ربما يكون هذا صحيح وأصله أنا وأنا على غرة منى فأكون قدسلمت من هنا أوقع هناك ولكن أمضى إلى حصن يانس المتعزب واتنسم الأخبار من هنا لك فان كان الأمير على جملة السلامة فأسير اليه وأعرفه بهذا العسكر العظيم وأن عقبة وشومدرس فيه ثم استأذن فى ذلك لأجل المسير اليه والمقام فى بلاد الروم فربما يكون له حاجة لا أعلمها فقال طيبون مهما فعلت فهو الصواب وساروا يقطعون الأرض إلى أن وصلوا إلى هذه القرية التى ذكرناها ودخلوا البيعة فسألهم أهل القرية من أين طريقكم فقالوا نحن قوم من عمورية كنا نذرنا على أنفسنا نذرا زيارة سائر البيع التى فى بلاد الروم وغيرها قريبة كانت أو بعيده وقد بلغنا ذلك ولم يبق إلا هذه البيعة ونريد نزورها ونرحل الليلة ونطلب ديارنا فقد طالت غيبتنا فان لنا ثلاث سنين ندور هكذا (قال) فاكرمهم المطران وأهل القرية واجتمعوا حول البطال ومذبحون وهو يقرأ لهم الانجيل ومذبحون سبى عقولهم وكذلك طيبون والجارية تقرأ بكل لسان تعلمته من الراهب سقراق وتتلو عليهم كل شىء عجيب فافتتنوا بها وقالوا ماعند المسيح قط مثل هؤلاء ولا أعلم منهم ومن هذه الراهبة التى معهم وصاروا يحملون اليهم الصلبان من الذهب والفضة والثياب والهدايا والتحف والبطال كلما جاء شىء أخذه (قال الراوى) وان مذبحون خرج خارج القرية لقضاء حاجة ورجع وهو مصفر اللون متغير فقال له والده البطال ماحالك يا بنى قال هلكنا ورب الكعبة قال كيف ذلك قال أرى غبار أشرف علينا وما هى الا خيل قد سارت خلفنا بلا محالة لأن هذه الطريق

ماهى طريق عسكر وما قصدت الخيل هذه الطريق الا وهى قاصدة الينا فقال البطال يا بنى اعلم ان عقبة ما ينام عنا وقد أرسل الى الجبل فما رأى فيه أحد وقد سار خلفنا لأنه رجل خبيث ثم أقبل على المطران بتاع القرية وقال له اعلم انى خائف على نفسى فقال له المطران مماذا فقال من ظالم خلفى قاصد حتفى وهو مع الملك كرفناس وقد خرج من بلاده وهى الأرض المنقطعة والغابات المتسعة ومع ملك الأفرنج صاحب بلاد الملاغطة وهم ناويين على أخذ بلاد الروم وقتل القسوس وتبطيل دق الناقوس وهلاك سائر عبدة الصليب ومعهم شيخ يقال له شومدرس وآخر يقال له عقبة الشيخ النجيح وهما اللذان قد أمرا الملك بذلك وقالا ان المسيح قد عتب عليهم لأجل حملهم الجزية الى بلاد المسلمين وصلحهم لهم فقبض الملك علينا وهم بقتلنا فقلنا ما نحن من بلاد الروم وإنما نحن من قمامه كل ذلك حتى يتركنا وأنكرت أنا عليه هذا الفعل وقلت له ما الذى حملك على الغزو إلى بلاد الروم وعبدة الصليب ولم يكن هذا صواب والصواب أن تخرج الى بلاد المسلمين كما فرض علينا المسيح فعظم على الشيخ قولنا وحسدنا كيف قطعناه عن مراده وقال الملك عنا لما أعياه فينا الامر هذا البطال وولده معه وانهما هربا منى فاقتلهما ياملك واننا لم نزل نخضع للملك حتى تركنا وقال ماهؤلاء الا من قمامة ولم يصدقه فينا ولا قبل قوله واطلقنا بعدما سلمنا من الهلاك وسرنا نريد بلادنا ولا شك انه قد أخذ العسكر بعض من العسكر وسار فى طلبنا بغير علم الملك ليبلغ مراده منا فقال المطران ويلاه وأهلاكاه ومن أشار على الملك بغزو بلاد الروم فقال البطال هذا الكلب الذى غير إنسان الذى قدخرج عن دين المسيح خارجيا فقال وحق المسيح هذا الملك الذى من ديار الملافطة ما وصل الينا قط منه درهم واحد وهذا سبب هلاكنا فكيف تعمل قال البطال انا أقول شيئا ان أنت فعلته أصبت خيرا فقال المطران وما ذلك اخبرنى بما شئت فانى مطيع لأمرك وحق من نزل فى الناسوت واحتجب فى اللاهوت ان هذا الذى حدثتنى قدصدع قلبى وفؤادى وقد شردعن عينى رقادى فحدثنى بماعندك وأوجز فقال الذى أريد أن تحتال لنافى المحل الذى نختفى فيه ولا تطلعهم على ما أخبرتك ولا على ما فعل هذا الملك الذى يريد يكون سببا لخراب بلاد الروم وهلاك جميع الرهبانية والقساقسة والشمامسة والمطران ووصاهم أنهم مايخبرون أحد بخبرى ولا يفضحونى لمن يسألهم عنى بحرف واحد ويكتموا أمرى حتى يرحلوا من عندكم وأسير أنا ومن معى من طريق قريبه لم يعرفها غيرى الى ملك القسطنطونية ارمانوس واعلمه بما قد جرى من هؤلاء الشياطين ليأخذوا حذرهم منهم ويجمعوا العساكر ويكتبوا إلى كل اقليم يجمعون الكتائب والعساكر والمواكب ويلقى هذا العدو

وهو على أهبة وأعرفه عملك معنا ومراعاتك لنا واحمله أن ينذر على نفسه بالنذر الوافى لهذه البيعة اذا نصره المسيح على هذا الكلب أن يجعل قرية من قرى الأقاليم وقفا عليك وعلى من معك فقال المطران وحق المسيح ان أنت فعلت هذا لك الثواب الجزيل ثم أخذ البطال ومن معهم وأنزلهم فى وسط البيعة فى سرداب لايأوى اليه أحد وقال لهم كونوا هاهنا الى حين يعبر بنا هذا العسكر فلم يعلم بكم الا المسيح ثم ان المطران ادعى بأهل القرية أجمع وقام فيهم وقال هل رأيتم فى طول عمركم أو شاهدتم فى أمصاركم هؤلاء الرهبان أو مثل هذين الصبيين الذين معهم فقالوا لا وحق المسيح ماشاهدنا مثلهم فقال لهم المطران فما قولكم فيمن يريد قتلهم أتعينونه على ذلك فقالوا لا كان اليوم أبدا فما معنى هذا القول فقد خلعت وحق المسيح قلوبنا فأعاد عليهم الحديث من أوله الى آخره وقال لهم هذا الشيخ القادم عليكم لقد حمل الملك كرفناس على قتلهم وما يحل فى حقهم وكيف قال للملك هذا البطال العيار المحتال فقالوا وحق المسيح محال ولا تعرف البطال ومن معه يقرأون الإنجيل هكذا وهذا من زور الأقاويل ونحن نلق القادمين بالسيف فقال المطران أنا ما أريد هذا الا ان مالكم بهم طاقة لأن وراءهم عسكر عظيم قد طبق الأرض والفضاء وملأ المستوى وهم قاصدين بلاد الروم والاسلام كما ذكر لكم ولكن الصواب أن تكتموا شأنهم وشأنكم اذا استخبروكم عنهم لأنى قد أخفيتهم فى البيعة فاخفوا ذلك ولا يقول أحدا منكم انه قد عبر علينا أحد فى هذه الأيام ولا من شهر ولا سار الينا سائر ولا زارنا زائر فقالوا سمعا وطاعة ولو ضربنا بالسياط حتى تنزل لحومنا من ظهورنا ما أنبأناهم بخبر ففرح المطران بقولهم ودعا لهم وأثنى عليهم (قال الراوى) ياسادة فما هو الا أن فرغ من الحديث معهم واذا بالخيل قد حصلت معهم فى وسط القرية بالقنطاريات والسيوف والعمد ونظروا إلى عسكر ما شاهدوا مثله فسلموا عليهم وفرحوا بهم وانزلوهم وأخرجوا اليهم ما يسرهم من الطعام والدجاج ولحوم الخنازير ولحوم البهائم وأكلوا إلى أن اكتفوا فلما فرغوا من الأكل قال لهم الأعور الملعون عقبة قد وجب علينا حرمتكم وسوف آخذلكم الزمام من الملك الجديد والرجل السعيد صاحب التاج والقصر الذى لقب نفسه بملك العصر من لايتعرض لقريتكم هذه يعارض لاننى عولت أن أنقض أحكام الروم وأملكه سائر البلاد الرومية والإسلامية (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا هذا الذى قال الرجل صحيح ثم أقبلوا على عقبة وقالوا جزاك المسيح خيرا فنحن قوما ضعفاء ومهما تفعله معنا تلقاه من المسيح فقال عقبة ما أفعل معكم إلا الخير أريد منكم أن تدلونى على الذين وصلوا اليكم البارحة أو اليوم وهو راهب ومعه امرأة راهبة نريد

أن نتبرك بهم هل هم عندكم أو ما وصلوا اليكم أم عبروا عليكم فقالوا وحق المسيح مارأينا هذه الصفة ولا عبر بنا غيركم وهامنازلنا بين أيديكم فقال عقبة لا تكتموه عنا فانه شيطان الأرض فى طولها والعرض صاحب المكر والحيل الذى يضرب به المثل وله المصائب والموبقات والدواهى المهلكات أبى محمد البطال وولده مذبحون المحتال وذباح الرجال والذين معه طيبون الشيطان التارك لدينه الداخل فى المحال ومعهم ابنة الملك العشاقة للرجال بنت الدلال الغناجة على رؤس الجبال فلا تكتموا عليهم حالا من الأحوال فيحل بكم الوبال فقالوا أيها الشيخ الصالح هذا يكون من أقبح القبايح أن يعبر عابر ويخطر علينا خاطر ونكتمه وما الذى كنا نريد فقال عقبة وياكم ترجلوا ودخل عقبة الملعون معهم إلى الكنيسة وجعل يفتش كانه شيطان فى جنباتها فلم يرى أحد فقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح ما أيست منهم إلا فى هذه الساعة فقالت البطارقة الذين معه وحق المسيح لو سرت بنا إلى بلاد الإسلام لسرنا خلفهم ثم جلس الملعون حتى استراح من التعب وفى قلبه النـــار من أجل البطال وأصحابه ولا يدرى كيف ذهبوا ثم انه فكر ساعة وأقبل على القوم الذين معه وكلمهم بلسان الأفرنجية دون لسان الروم وقال لهم إعلموا ان قلبى يشك ان أهل هذه القرية رأيتهم قد أخفوا عنا فقالوا وأى فائدة لهم فى ذلك فقال لهم عقبة أنا أقول لكم الحكيم المجرب لا يخفى عليه الأمر هذا وأنا أقول لما شارفناهم وعلا الغبار وكان البطال قد سبق اليهم وقرأ عليهم الانجيل وفسر مذبحون وبكى بلا دموع حتى تم لهم ما يريدون وقد نشأ للبطال هذا الولد الذى لا أصلح المسيح له شأن الذى اقرح كبدى ولا سيما الثقيف لاشر المسيح عليه بما فيــه ساعة واحدة لقد اتيته هو وابنة الملك وقد زاد غرامه بها وغرامها به وقد خلع المسيح عنها ثوب الحياء ما كأنى عندهما إنسان ولولا الظلام كنت اطلعت على عوراتهما وكانى بالبطال لما أن حس بقدومى قال لأهل القرية هؤلاء القادمين يريدون يقتلون قسوس الروم والرهبان ويملكون الأرض ذات الطول والعرض وقد اتهمونى انى أنا البطال فقالوا أهل القرية حاشاك أنت من هذا القول الفشار وقد أخفوهم عنا وأنا الذى لا يسع سرى هذا الأمر واهماله ويغلبنى هذا الكلب باحتياله والصواب اننى آمركم أن تكبسوا البيوت وتأخذوا ما فيها من الرجال وتفتشوها فان لم تجدوا عندهم أحد فردوا اليهم أموالهم فقال أصحابه ما يكون علينا شنعة من المسيح أعظم من هذا لانهم يقولون مثل قولنا فقال عقبة خذوا أنتم أموالهم والخطيئة فى رقبتى فان المسيح ما يخالف لى قولا وأى شىء أشرت به عليه امتثله وأنا أعرف السبب الذى الجأنا إلى هذا الأمور والفعل (قال الراوى) فعندها

خرجوا من الكنيسة وهجموا على البيوت ووقع الصايح وامتنع جماعة من الرجال فقتلوهم وفتشت محلاتهم ونهبت أموالهم وفتشت عيالهم وجعلوا ينادون على الملعون عقبة ويقولون له ان كنت مسلم فاعلمنا حتى نعلم اننا هلكنا فى طاعة المسيح فما هذا منك مليح أن تفعل بنا هذا الفعل القبيح فقال لهم عقبة أعوذ بالمسيح من هذا الكلام القبيح ولو أن فياعضوا يحب دين الاسلام قطعته وكيف يكون ذلك وأنا أعلم أهل دين النصرانية ويلكم لابد من نهب أموالكم وسبى عيالكم ان اخفيتم عدوا المسيح أبى محمد البطال إخرجوه من عندكم حتى آمر الساعة لكم بالاطلاق فقالوا مارأينا هذه الصفة ولاعبر علينا أحد وإذا بالصياح قد علا وارتفع وأخرجوا خيلهم والبغل الذى كان عليه صناديق الطعام من بعض البيوت الذين للمطران فعرفها عقبة الملعون وزال الشك باليقين وجعل يطوف يمينا وشمال ويقول كيف ترون الشيخ النجيح العالم بحيل المسلمين ثم قبض على المطران وقال له معلوم إنك ما تقدر تنكر بعد هذا الدليل الواضح إخرجهم وإلا وحق المسيح ضربت رقبك وأنا أعلم إنه قد خدعك بالكلام على انى ما بقيت ابرح من هاهنا حتى ترينى أى مكان فيه البطال فقال المطران السمع والطاعة ثم إنه دله عليهم فترجلت الرجال اليهم فأخذوهم قبضا بالكف وأخرجوهم على أقبح حال وجعل يبصق فى وجه البطال ووجه طيبون ويقول ويلك يا طيبون عمل معك الخلط والجنون حتى أنك فارقت دين النصرانية ودخلت فى دين الحنيفية ولعب بعقلك البطال حتى دخلت فى دين الاسلام فقال طيبون ويلك يا شيخ السوء ما كنت قد أسلمت وندمت على ما فات من زمان كفرك فقال ما فعلت ذلك يا ويلك حتى أخلص من أيديكم وإلا عجل على هذا الشيطان أبى محمد البطال بالقتل وما أريد الحياة الا من أجله حتى أشتفى منه ومن عبد الوهاب ومن سائر المسلمين وأشتهى أن لا أموت حتى لايبقى على وجه الأرض مسلم وقد أعطانى المسيح مناى وفوق المنا ومعى عسكر أفتح به الأرض الى بلاد الهند الأقصى وأدق ناقوس المسيح فى ألف ألف جامع حتى يعلموا أن على فى الدنيا كان نافع ولا أترك على وجه الأرض منهم آثار وأفنى الصغار والكبار وسوف أخلى المسلمين من الديار ولأقتلن البطال وعبد الوهاب ثم صاح عقبة وقال أبطحوا البطال فبطحه وضربه حتى غشى عليه وضرب مذبحون والجارية وطيبون وكان كلما ضربهم لاتفتر ألسنتهم عن ذكر الله تعالى وقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) هذا وأهل القرية يتعجبون من حالهم وما ظهر لهم من مقالهم فقالوا لقد صدق الشيخ فى مقاله أنه البطال وقد سلمنا منهم

أن يهلكونا وحق المسيح وهذا مليح وأما الملعون عقبة فانه أقام نهاره أجمع حتى استراح فى القرية والبطال غشى عليه وكذلك سائر أصحابه وبات عقبة فى القرية ورحل عند الصباح يقطع الأرض ذات الطول والعرض يطلب الملك كرفناس وملك الملافطة أينما كانوا من بلاد الله تعالى وكان سيره على مهل وكلما نزل موضعا جدد العقوبة عليهم وأوجعهم ضربا واشتد حنقه على طيبون ويقول له يا شيخ كلما جرى على من يدك وأنت الذى أقلت هذا الكلب من يدى ومن معه أصير حتى أقدم بك على الشيخ شومدرس يشتفى منك ولولا ذلك لما أبقيت عليك ساعة واحدة وفى نيتى صلبكم على باب القسطنطونية كما وعدونى المسلمين فعكس المسيح قولكم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قال الراوى) ولم يزل عقبة سائر وهو فرحان وقد طاب المسير وجد فى التشمير فرجع إلى طبع العرب الذين من أهل الفضل والأدب فانشد يقول

ألا بلغوا عنى جميع أرقاربى ... وأبناء جنسى من جميع الاصاحبى
بأنى فريد فى الزمان وسيد ... خبير بفعل الشر عند المطالبى
مررت الى الأرض الملافطة برهة ... وكان معى شومدرس من أصاحبى
رآنى ابن سمعان بالجو أينظر من ... سمعنا بطير مخبرا بالعجائبى
فسرنا اليه طالبين جميعنا ... وكان له زى به ومآدب
لأن كلام الطير كل عجيبة ... وذلك من سقراق كلب الكواذب
ومن بعده العيار حقا وابنه ... لقد عدنى منهم حديث الغرائب
وحيرنى والشيخ فى قعر حبسه ... رهينا وفى سرادب خلف المصائب
وأطعمنى فالورجا من حلاوة ... فساب بها بطنى وانتن شواربى
وما كان بى من شدة الضعف قوة ... وعاقبنى حتى قدمت مذاهبى
وعاقب ذاك الشيخ شومدرس الذى ... فعائله مشهورة فى الاعارب
وخلصنا المولى المسيح بفضله ... وأحسن فينا صنعه والعجائب
وظفرنا باللص والكلب ابنه ... فأضحوا بذل زائد فى مخالبى
وقال لهم طيبون يا قوم أننى ... لكم ناصح فيهم لوقع المصائب
وخلصهم منى ولم يكتفى بهم ... ولكن أتانا بحيلة كالثعالب
وأودعنا الصندوق فى الحال سرعة ... وأكمن بى فى غار كثير العقارب
وسار بنا نحو الثقيف وقد أتت ... اليه خيول الروم من كل جانب
وطال البلا فيه وكان اذا بدا ... له الليل يمضى سارقا غير خائب

ويأخذ منهم قرية بعد قرية ... ويذبحهم مثل التيوس الغواصب
وطيبون يرمى للسهام فأرميت ... أصابعه من قاطعات المضارب
فجندل شماسا وغيب شخصه ... وألحقه بالماضيين الذواهب
وقال لى يا شيخ الضلالة قدوة ... لما تقعدن بعد السهام الصوائب
فقلت له أنى وعيشك مسلما ... وكان مقالى حيله فعل كاذب
وخلصنا منه القضاء بفعله ... سعيد ملوك أفعلت فى المواكب
وحلفهم أيمــان كذب بجهله ... فقيدتهم كيما أنال مطالبى
وأكمنت فى جيش عظيم عرمرم ... بخيل عراب من أجل المواكب
وكان لعظم الخيل منه أتيتها ... ووصلت وادى قرية للرواهب
وقال لهم لا تظهرون حديثنا ... مخافة ليث طالبا للسباسب
وما زال حتى صار فى قبضتى وقد ... بلغت مرادى من عتاب النوائب
وأدركت قصدى وارتحلت مسلما ... إلى ملك ما مثله فى المواكب
ونخفى إلى الأرض التى قد تفردت ... يقول عجيبا زائدا فى العجائب
فان إله الخلق لاشك واحد ... وعندى هذا القول ليس بصائب
وأصبح فرحانا إذا ماتمكنت ... يدى من بلاد المسلمين النوادب
أنا عقبة أسمى النجيح بنكبة ... ولا زال فى خير وقرب حبائب
سأذهب فى شرق البلاد وغربها ... وأنصر دينا المسيح بواجب

(قال الراوى) ثم أنه سار وقد بلغ من أبى محمد البطال المراد وقد اشتفى من أبى محمد تسعة أيام وفى اليوم العاشر أشرف على كرفناس وملك الافرنج وقد اشتغلت قلوبهم بغيبته عنهم وبقيت أعينهم متطلعة إلى خبره ووصل الملك خبره بما فعل وكيف احتيال البطال على الرهبان وخبوه (قال الراوى) فزاد حنق الملك عليهم وأمر بإحضارهم وضربهم بين يديه وكان أول من أحضر عقبة طيبون فجعل يبكى ويقول ما عرفت أن الله يقبلنى إلا أن كان هذا اليوم وفى هذا الوقت وفى هذه الساعة فانه سلط على أعداء الدين وأنا أعلم أن الدنيا دار نكد وبلاء ثم أن الملك ضرب ابنته لتعود الى دين النصرانية لأجل قلبه فأبت وقالت هيهات ما كنت راجعة عن دين الحق إلى دين الضلال بعد توحيد ذى الجلال فقال عقبة دعى عنك هذا الزور والمقال وحق المسيح ما زهدك فى ديننا إلا ليلة الثقيف وأننى فى كلام ضعيف وبهتان لطيف ولكم فى أذنى هفيف ومذبحون يدق الناعم الرابى بثقيل وخفيف فلم يدرى الملك ما معنى ذلك الكلام ولا إيش تحته ثم أنه

ضرب أبى محمد ومذبحون ضربا شديد ما عليه من مزيد هذا وأبى محمد يقول والله العظيم ما سافرت سفريه أمر من هذه السفريه فقد ضربونى كذا كذا مره ولكن بالله المستعان وعليه التكلان هذا والملك أقسم بالمسيح لابد ما يصلب الاربعة على باب القسطنطونية فقال عقبة أحسنت أيها الملك حتى تعلم النصرانية أنك قدرت على ما عجزوا عنـــه ولم يقدروا عليه ثم أنه رفعهم إلى خيمة كبيرة ووكل بهم رجال وقال وحق المسيح رؤسكم مرهونة بهم ووضعوا فى أرجلم القيود ولو كان الملك يطلقهم ويقول لهم أذهبـــوا فما قدروا على النهوض (قال الراوى) فلما كان فى بعض الليـالى وإذا قد دخل عليهم إلى الخيمة أربعة رجال نصف الليل فظن أبو محمد أن عقبة قد أقبل عليهم ليضربهم فقال أبو محمد الليلة نهلك بلا محاله أن ضربنا صوت واحد ثم أنه نادى يا عقبة بحق المسيح وبحق ما تعتقده لاتضربنى الليلة فقال واحد منهم لا تخف من الملعون عقبة القرنان فأنا غلامك لؤلؤ وهذا جوهر وهذا سبك وهذا بديع انهضوا حتى يحمل كل واحد منا واحد منكم (قال الراوى) كان لؤلؤ وجوهر وسبك وبديع لما طالت عليهم غيبة مولاهم ضاقت ضاقت صدورهم فقال لهم الأمير عبد الوهاب والله عندى من ضيق الصدر من أجل أبومحمد شيئا كثير ووالله ماأنا مقيم فى ملطية إلا لأجل غيبته وإلا كنت قد دخلت إلى بلاد الروم وفتحت بعض الأقاليم وأقمت بها وقد بلغنى أن الخليفة قد أرسل الى الحجاز والى اليمن يطلب العرب ويستنصر بهم لأجل قول مطرون ويطالبنى بالملعون عقبة ولاعلم لى بموضعه وقد كنت عولت الى الرحيل الى الحجاز وأكون مقيما بها فى ديار الآباء والأجداد إلى أن يدهمنا الموت فما بقى من العمر الا أقله وما منعنى من ذلك الا الأميرة لأنهـا قالت لى يا ابنى لاتبرح حتى ينكشف لك خبر البطال لأنه فى بلاد العدو ولا نعلم ما كان منه وقد والله أشتغلت قلوبنا ولقد زادنا هما على ما نحن فيه من عدم الأميرة ام عبد العزيز العلوى ولا شك أن عبد العزيز من جملة الموتى لأنه نحل جسمه ودق عظمه وتغيرت حالته وفنيت حركته وكان قد سمع انى قد عولت على الرحيل فأتى الى وبكى بين يدى ثم أنشد وجعل يقول

أترحل يا مولاى والعقد بيننا ... بأنك تغدو اليوم وأمى فى الاسر
وقد رق لى قلب الجماد كما يكن ... حمامهما حزنا على ورق الخضر
أترحل عنى والعجوز أسيرة ... غريبة دار ليس يخلو من النصر
أتمضى الى أرض الحجاز وقد غدت ... بضيغامك الاعدا الى بلاد الكفر
تباديه ان كانت لعمرى أسيرة ... أتأخذنا هذا النصارى مع العسر

فوالله يا مولاى لا زات بعدها ... أبيت على جمر وأضحى على جمر
أياجد لو عاينت يوما مصابنا ... ونحن أسارى لأنفك من الأسر
لقلت كذا يوم الحسين بكر بلا ... وآل النبي لمت بأعناقهم سمر
وصلى إله العرش ربى دائما ... على المصطفى المبعوث بالفتح والنصر

(قال الراوى) قال الأمير عبد الوهاب وأنى لما سمعت ذلك الكلام من عبد العزيز قلت له هاأنا مقيم إلى أن يكشف الله خبرها وخبر أبو محمد البطال ثم التفت إلى لؤلؤ وقال له على ماذا عولت يالؤلؤ قال المسير إلى بلاد الروم أكشف خبر سيدى قال سير فى دعة الله تعالى ثم أن غلمان البطال ودعوا الأمير والأميرة ذات الهمة وساروا يقطعون الأرض إلى أن وصلوا إلى القسطنطونية وقالوا نأخذ من هنا الأخبار فقعدوا أيام فما سمعوا خبر ولا جلية أثر فاجتمعوا على مارس وقالوا له أن فى قلوبنا النار من أجل مولانا وما ندرى إن كان حيا أو ميتا فقال لهم سوف أكشف خبره ثم أنه أنفذ الكتب إلى سائر الأقاليم وهو يقول فى الكتب أن أمراء المسلمين قد فقدوا من بلادهم فمن أتانى بخبرهم أكرمته وأعطيته المال وهم أن يسير الكتب وإذا بأخبار الملك كرفناس وصلت إلى أرمانوس أنه خرج من بلاده ومعه ملك الملافطة وهم طالبين الغز وعلى القسطنطونية وسائر الأقاليم الرومية وبعد ذلك يسير إلى بلاد الاسلام وأنه قبض على عيار المسلمين وولده مذبحون وراهب يقال له طيبون وصحبتهم عقبة وشومدرس المفتون فلما سمع الملك بذلك ومارس ودارس أتى إلى غلمان البطال وأعلمهم أن هذا عسكر عظيم وأن كرفناس حلف وشدد فى الايمان أنه يصلبهم على باب الذهب إذا وصل إلى ههنا وأنا أقول أن الملك ما يقعد عنه ولا يشتهى سلب ماله ونعمته ولو كان من أهل دينه وملته لأن الدنيا محبوبه ولا ندرى على من تكون الدائرة فخذوا الآن فى خلاص الأمير أبو محمد قبل الهلاك (قال الراوى) فلما سمعوا غلمان البطال ذلك فرحوا بظهور خبر مولاهم ثم قالوا لبعضهم بعضا قدموا بنا نسعى على خلاص مولانا وهو كان فى السلاسل والاغلال ثم انهم ودعوا مارس ودارس أخيه وساروا إلى أن وصلوا إلى العسكر حتى عرفوا الموضع الذى هو فيه وكان قريبا من مضرب ملك الملافطة فصبروا إلى الليل وأتوا إلى أبو محمد البطال ورفقاوه ودخلوا إلى الخيمة وقال لهم البطال ما قال وأجابوه كما ذكرنا * وعدنا إلى سياقة الحديث الأول بعد الصلاة على النبى المرسل وأن لؤلؤ دنا من البطال وحمله على ظهره فقال ياولدى من معك قال باقى غلمانك فقال احملوا طيبون لأنه رجل صالح صبور على البلاء فحمله جوهر وحمل سبك الجارية وحمل بديع

مذبحون (قال الراوى) وخرجوا من الموضع الذى دخلوا منه فنظروا إلى الحرس فقالوا والله فى هذه الساعة نهلك إن هم نظرونا وأنتم حاملونا فقالوا نفتح قيودكم ونختلط بهذا العسكر الكثير فقال البطال بماذا نفتح قيودنا وهى كما ترى فقال لؤلؤ يامولاى اعلم أن معى سبعين مفتاحا تفتح كل قيد فى الدنيا (قال) ثم أن لؤلؤ وضعه من على ظهره وصار يفتح واحد بعد واحد إلى أن فتح الجميع ورماها من أرجلهم فقاموا من الفرح كانهم وقعوا فى شدة ولم يزالوا سائرين حتى خرجوا من العسكر فوقع الصوت عليهم وقالوا انهم هربوا وكان الذى أعلمهم بهروبهم حال عجيب أعجب من كل عجب وهو أن عقبه الملعون فى تلك الليلة رأى فى المنام كأن أربعة طيور نزلت على البطال وقد أخذ كل واحد فى مخلاته واحد منهم وطار فى الجو الأعلى (قال) فاستيقظ الملعون مرعوبا وقال سرق البطال وأصحابه لاشك وأن الأربع طيورهم غلمانه ثم قام الملعون عاجلا مرعوبا ودخل إلى الخيمة فوجد الدنيا بلاقع فقامت عليه القيامة واطم على رأسه وصاح وجلبب وقال ياويلكم اطلبوهم فما بعدوا وقد جرى على عقبه من الأسف واللهف مالم يجرى على أحد وقال ياملك ماقلت لك أن لهم من يسعى فى خلاصهم فما لهم دواء غير القتل فقال الملك الجن أخذوهم أم الأرض ابتلعتهم فقال عقبه ياملك كن عاقلا فان له غلمان كل واحد أكثر منه خديعة ومحال فقال الملك وايماه وحق المسيح لو كنا قتلناهم ربحنا وسلمنا من سوء عاقبتهم وإنما قلت هم فى قبضتنا وما لهم إلى الخلاص من سبيل وما علمت انهم يخلصون من العذاب الوبيل فقال عقبة أيها الملك معلوم انهم ما أبعدوا ومعهم عوراء وهى ابنتك وما يتركوها فأنفذ الساعة خلفهم خمسة آلاف فارس فى عشر جهات كل جهة خمسمائة فارس فماهم يطيرون بين السماء والأرض فعندها قال الملك ياشيخ العسكر كله بحكمك افعل فيه ماتريد (قال الراوى) فابتدأ عقبة ينقد الرجال يمينا وشمالا وسار فى الطريق الذى سار فيها البطال وكانت منهم هذه هندسه فسار فى أوائلهم جدا وكدا فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير أبو محمد وأصحابه لما ساروا فعندها قال البطال لأصحابه الآن قد من الله علينا بالخلاص فلو أخذتم لنا شيئاً من الخيل نركبه لكان أجود لنا لأننا فى حالة صعبة فقال لؤلؤ يامولاى لاتغتم فان خيل العسكر كلها بحكمنا ولو شئت لسللت منها عشرين حصانا (قال الراوى) ثم أنه دخل العسكر هو وأصحابه وعادوا وكل واحد معه جواد وجنيب من الخيل المسومة فركبوا جميعا وساروا بعد أن أخذوا معهم بغلين محملين زاد وماء من متاع الملك كرفناس من خاص أكله وشربه فقال لهم البطال لابد لنا من الطلب لأن عقبة لايغفل عنا ساعة واحدة وسوف يسيروا الخيل خلفنا من كل طريق فالنجاة النجاة على هذه الجاده وهى طريق

القسطنطونية وقد استقاموا على الطريق فقال له غلامه جوهر يا مولاى اعلم أن قلبى فيه النار من عقبه وقد فعل معى هذه الكرة ما استوفى به كلما جرى عليه منى فقال جوهر وكيف ذلك لأنى ظفرت به ثلاث مرات الا انه ضربنى ضرب الموت والعدم الى أن أموت وألحد فى قبرى ما يخرج الضرب من قلبى من ضرب هذا الشيخ طيبون مالا يجرى على من ضرب ولدى مذبحون لأنه ما تعود بهذا البلاء فالله تعالى يأخذ له حقه من خصمه ولا بد ما أشتفى منه بالصوت عشرة وأنا إن شاء الله تعالى أهتك ستره فى هذه النوبة فانى أريد أن أسحبه بدقنه من بلاد الروم حتى يعلم الخليفة انه كان فى بلاد المشركين وان لم أقدر على ذلك ضربت رقبته ولم يعلم أحد بقصته ودع يجرى ما يجرى فقد قال بعضهم حيث يقول ﴿ من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنا ﴾ ثم قال بعد ذلك وأريد أن نمضى الى القسطنونية وأكون فيها مع عوام البلد ولا يعلم بنا أحد لأن عقبة فى هذا العسكر العظيم ما لنا عليه قدره لأن كرفناس اذا نزل على القسطنطونية لابد أن يرسل الى ارمانوس رسول ويقول سلم الى البلد وتكون تحت يدى مثل ملك الملافطة تحت أمرى ونهى حتى نغزو بلاد المسلمين والملك أرمانوس مايفعل هذا الفعل وما أظن يكون واسطة بينهم الا عقبة الملعون فاذا دخل الى البلد آخذه أنا وأمضى به الى عند مارس وتمضوا أنتم الى عند الامير عبد الوهاب ونستشيره فيما نصنع ومهما أشار به فعلته لأنى لا أخالف له أمرا ثم انه سار بأصحابه الى ناحية القسطنطونية وجعل يخالف الطريق تارة يسير يمين وتارة يسير شمال هذا وعقبة خلفه قد سار معه جماعه من أصحاب القرية الذين قبضوا على البطال منها وهم يقولون ما هذا الا شيطان كيف انفلت وحق المسيح لئن رجع ووقع فى أيدينا لحملناه للملك لم يشم نسيم الدنيا (قال) فسار وهو يحدثهم بحيل البطال مع النصارى والرهبان فزادوا عليه غيظا على غيظهم وحنقا على حنقهم (قال) ولم يزالوا سائرين جدا وكذا الى الصباح فما وجدوا أحدا فقال بعضهم لبعض والشيخ عقبة يسمع وحق المسيح ما يهرب الا الى بلاد المسلمين ونحن نطلب هذه الطريق ومانحن الافى تعب وعناء فقال عقبة كأننى ما أدرى الى أين سائر وأنا سائر الى القسطنطونيه فوحق المسيح ماسار البطال الا اليها لأنى أعلم أن أصحابه قالوا له اطلب بلاد الإسلام فلم يفعل بل يقول ان عقبة قد قتلنى من العقوبة ولا بد ما ينفذه كرفناس الى أرمانوس رسول فنأخذه على غفله منه ووحق المسيح انى اخبث منه ومن كل من على وجه الأرض والآن سوف ترون كيف آخذه من القسطنطونية من أول ليلة أصل اليها وإلا ما انا عقبة فقالوا له اننا نقتل خيلنا وما نلحق أحد وأنت قلت انه يمضى إلى القسطنطونية وتأخذه أول ليلة تصل اليها فارجع بنا إلى العسكر فان

الملك سائر اليها ولابد ما ياخذ كل من فيها فقال لهم عقبة هذا هو الصواب والآن عودوا بنا لاننا ما سرنا إلا أملنا الحاقه لانه سار سير الخائف الفزعان لانه يعلم ان مثلى له فى الطلب فما يأخذه قرار ولكن أين يهرب (قال الراوى) ثم انه رجع إلى الملك وأظهر الأسف فقال له الملك أيها الشيخ لا تتأسف ودعه يهرب لان هروبه ينسب إلى العجز والتقصير فقال عقبة ياليتك قتلته وقد قلت لك فلم تفعل ولكن وحق المسيح ما بقيت أنام فى العسكر ولا أنام إلا فى سرادقك لان من حوله اثنى عشر ألف بالعدد الكامله وأهل الأرض ما يصلون اليه فقال كرفناس تفزع ومن حولك هذا العسكر العظيم فقال وكيف لا أفزع لان الذى أخذ أربعة فى ليلة من وسط هذا العسكر يعجز عن شخص ضعيف فقال الملك ان كنت فزعان نام على السرير (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة (وأما ما كان) من البطال فانه أخذ غلمانه وقصد إلى دار مارس حتى وقف على الباب وقال للبواب افتح فقال له البواب لا يمكن انى افتح الباب اليك من مارس فقال له البطال أدخل إلى مارس وقل له قد وصل اليك قاصد وهو يريد الوصول اليك فلما سمع ذلك قال إذا سأل عنك ما الذى أقول فقال له قل له البطريق بطلبونا هو وأصحابه وكانت هذه علامة بينهم وبينه إذا قدم من موضع وأعوقوه يقولوا بطلبونا معناه البطال ولما سمع البواب ذلك سار إلى مارس ووقف بين يديه وقال له يا مولاى على الباب بطريق يقال له بطلبونا وما قدرنا نمكنه من الدخول اليك وكان مارس فى ذلك الوقت ضيق الصدر من أجل أخبار وصلت اليه من ملطيه ولاجل قدوم ذلك العسكر فصاح على غلمانه وقال اصفعوا هذا البواب لاجل مايستأذن علينا قوم بعدم قوم والبلد مشرفه على الأخذ والحصار فصفعوه فلما حرقه الصفع قال لاستر المسيح عليه يا بطلبونا لولاك ماصفعت هذا الصفع فلما سمع مارس هذا الاسم قال ودوه فودوه الغلمان وهو لايعى على نفسه من كثرة ماصفعوه ولما قال ودوه مات من الخوف ولما مثل بين يديه قال يامولاى هو الذى أرسلنى اليك فعلم إنه البطال وكان قد استفغل قلبه من أجله فقال للبواب والبطريق بطلبونا الساعة على الباب قال نعم يامولاى قال ارجع وافتح له الباب واعتذر اليه وقبل يديه وقول له لا تؤاخذنا بوقوفك على الباب فقال البواب ما هـــذا إلا من المسيح وإلا ما كان يوصينا بهذه الوصية عليه فقال له مارس وحق المسيح ان راح ولم تدركه ضربت عنقك فلما سمع البواب من مارس ذلك الكلام أسرع ورجع وهو يقول ماهذا الا كعب مبارك أوله صفع وآخره ضرب عنق ولم يزل يهرول الى أن وصل الى عند البطال وقال له ادخل ياسيدى وقبل يديه وقال له شكر المسيح فضلك لأنه قد وصل الينا الاحسان من أجلك وهو الصفع

الكثير فقال البطال أطيب قلبك فلا بد ما أتسبب أنا الآخر اليك باحسان أكثر من ذلك وهو ألف عصاه لأجل وقوفنا على الباب فقال البواب لابحق المسيح عليك يامولاى فعند ذلك دخل البطال وهو يضحك ودخلوا معه غلمانه والجارية وأما الراهب طيبون فان البواب أنكر عليه لما رأى زيه مثل زى العسكر الذين أتوا الى قتالهم وهم منهم خائفين فقال البطال يامولاى هذا الراهب معكم قال نعم فقال البواب لابد ان استأذن عليه فقال البطال على الضمان لأن هذا الراهب سواح وهو يسمى طيبون فقال البواب والأخرى على قافية بطلبونا ولقد بلينا بأحسن زبون وبعد ماجرى ماقد جرى لى من الأذى والصفع مابقيت الا أستأذن مرة أخرى ولكن خذوه وادخلوه ولو كنتم الى البلد تملكوا (قال الراوى) فسار البطال ومن معه الى ان وصلوا الى دار مارس وقد خرج اليهم من اشتياقه واشفاقه عليهم (قال الراوى) ولما ان نظر اليهم مارس ووقفت العين على العين فسلم عليهم مارس سلام المشتاقين وقال لهم الحمد لله على سلامتكم ثم أدخلهم إلى داره وسار بهم الى دار البطال التى هى برسمه وقد حمل اليهم من الضيافة شىء كثير وأقاموا عنده وهم فى أعظم شىء وفرح بقدومهم مارس فرحا شديداً ماعليه من مزيد فقال البطال لمارس على ماكان من قدوم العسكر وقد استراحوا وخف عنهم أثر الضرب وأمنوا على أنفسهم ولما خلا مارس بالبطال سأله عن حاله وكيف كانت غيبته فأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فتعجب مارس من ذلك ومن أفعال البطال وما جرى له وما فعل غاية العجب وقال والله ماخرجت الا من فم الأسد ولقد فزت بالثواب العظيم فقال البطال ماعندك من أخبار الأمير عبد الوهاب ووالدته الأميرة ذات الهمة فأعاد عليه الأخبار التى أعلم بها لؤلؤ وقال قد سمعت ان الأمير عبد الوهاب قد سقى السم والأميرة عندرأسه تبكى ليلا ونهار فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك اهتم هماعظيما على الأمير عبدالوهاب وقال أيها الحاجب لقدضيقت صدرى فلابدان أسير الى ملطيه لعلى أدرك الأمير عبد الوهاب على قيد الحياة ثم ان مارس أخبره بخبر أرمانوس وميمونة وانها جاءها ولد ذكر وهى تعلمه الفروسية وان سواده يغلب إلى بياض إلا أنه أحسن أهل زمانه وله من العمر سبع سنين وفى كل يوم يركب معها إلى الميدان حتى أن الملك قال لها قد جعلتى همتك مع هذا الولد فقالت أيها الملك اننى أحبه المحبة العظيمة الزائدة لأجل محبة الملك (قال الراوى) ففرح الملك بكلامها وكان كلما زاد فى حبها حتى أنه هجر سراريه وقد انفرد بميمونة ولما وصلت اليه الأخبار بكرفناس وقد تهيأ للضرب والحرب والطعان سمعت أهل القسطنطونية بركض الخيل وقد ارتجت الأرض من شدة الركض ولما أشرفوا

القوم على البلد قال عقبة للملك كرفناس اعلم أيها الملك انى أريد أن أسير إلى الملك ارمانوس وأخوفه من سطوتك أيها الأسد الفروس وأجعله لك من جملة التيوس ويكون نائب من تحت يدك من جملة النواب المقيمون فى بلادهم إلى أن ترجع بعد ما تملك سائر الآفاق وتجعل سرير ملكك بغداد والعراق ويرجع هذا الملك الذى معك إلى بلاده ويكون الآخر من تحت حكمك فقال كرفناس فى قلبى اذا ملكت البلاد كلها أسير الى المدينة التى للاسلام وأعطيه القسطنطونية وان كان مايستأهلها لأنه هو الذى رتب الجزية والخراج إلى خليفة المسلمين على عباد المسيح من كذا كذا سنة فقال عقبه وأنا أريد ان نملك البلاد بلا قتال ولا نزال ونخرج بعد ذلك الى بلاد الاسلام ثم ان عقبة استأذن الملك كرفناس فاذن له فى المسير فسار وسارت بين يديه الرهبان والقسوس الى أن وصلوا الى عسكر أرمانوس فلما رأوه تراموا على يديه يقبلونها وأسافل قدميه وقالوا أيها الشيخ باترى تركت هذا الملك يقصد هذه الديار فقال لهم اسكتوا لعل ان يكون لكم فى هذا خير وسار لى أن وصل الى باب القسطنطونيه وسأل البوابين هل دخل اليكم احدا وقصد اليكم عابر فى هذه الأيام وهم صفتهم كذا وكذا (قال الراوى) وان الله سبحانه وتعالى قد أنسى البوابين معرفة من سألهم عنهم فقالوا له أن البلد لها شهر ما دخل اليها غريب ولا يقدر يدخل أحد الا باذن الملك فدخل عقبة وقد خرجوا لاستقباله البطارقة ووجوه الدوله ومارس ودارس وكان الملك أرسلهم وقد فرح الفرح الشديد ودخل الملعون فى أحسن زى يكون ونزل فى داره المعروفه به وقد رآه البطال فقال لما رآه والله يا ملعون ما أمضى الى بلاد الإسلام الا بك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) وان عقبة دخل على الملك ارمانوس فقام له وأجلسه إلى جانبه وقال له يا أبونا جفيتنا بغيابك عنا وما كان لنا شغل قلب إلا عليك ومع ذلك كيف خرج هذا الكلب من بلاده وأتى الينا ولما أعقته عنا وخوفته من عساكرى فقال عقبة أيها الملك ما أنا إلا خوفته وأعاد عليه حديث من أوله إلى آخره وحديث البطال والملك يسمع ويتعجب من هذا كله ويصلب على وجهه ثم قال عقبه أيها الملك انى خائف أن يكون البطال سبقنى ودخل إلى البلد فقال الملك وحق المسيح مادخل إلى البلد أحد غريب من مدة شهر كامل فطاب قلب عقبة ثم أن الملك أبل على عقبه وقال له لك عندى بشارة اريد أن أبشركها فقال الملعون بماذا تبشرنى فقال وصلنى كتاب من عند ولدك مصعب وهو يقول فيه أن الأمير عبد الوهاب قد سقى سما وهو مشرف على التلف فلما سمع عقبة ذلك قام وباس الأرض وقال الشكر للمسيح والعاقبة

البطال وذات الهمة والجميع فقال ارمانوس دعنا من هذا الحديث وقول لى فى ماذا قد أتيت فقال عقبه فى خير وحق المسيح واعلم أننى قد أوصيت هذا الملك من قبل أن يجىء اليك أن يعمل معك ماهو أهله وهذا الرجل ماعنده من الدنيا خبر لأنه أراد أن يحرقنى أنا وشومدرس بالنار مع البطال وقد أرسلنى اليك على أنك تحقن الدماء وترحم الرجال والنساء وتسلم له البلد وكل مافيه وتكون من بعض جنده ومن أكرم الملوك الذين عنده إلى أن يفتح البلاد ويردك إلى موضعك وهذا كتابه اليك ثم أن الملعون أخرج كتاب كان قد كتبه قبل دخوله على لسان الملك كرفناس ورماه إلى الملك فأخذه وقراه فلما إن فرغ منه زاد قلبه غيظا وكاد الغيظ أن يخنقه وعمد إلى ماعليه من لبسه فمزقه وقال أيها الشيخ النجيح يقابلنى هذا الكلب بمثل هــذا الكلام ولا شك أن فعله هـذا بتدبيرك له حتى انه يأخذاك بلاد الإسلام ثم انك تشتفى من أعاديك الكرام ومن الأسود عبدالوهاب وما بينك وبينه إلا بمقدار ما يلتقى بالسودان ويبلى بقتالهم يوم من الزمان وتراه قد رجع أقل من الكلاب اذا طرد من المكان فقال عقبة يا ملك أنا ما قلت لك إلا ما حملت من الرسالة وما أنا بالذى أختاره عليك ولكن أردت أن تكون الكلمة واحدةو تملكان الأرض بما رحبت وتسير معه وتملكون الأرض وجميع الآفاق وتملكون العراق وترجع بالغنائم والأرزاق وان أنت الساعة أبيت ذلك فانه شيطان لا يطاق وعلقما مر المزاق فاسمع ما أقوال لك ان قبلت منى (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك الكلام صاحت عليه وقالت له اسكت يا شيخ السوء لانك خرفت وقل عقلك وزاد جهلك فأنت تعود اليه وأخبر اننا نلقاه ونخرج اليه بالجيش ونحمل بجمعنا عليه وننزع روحه من بين جنبيه ونكسر قرنه وقرن والديه فقال عقبة أيتها الملكة ان كان ولا بد فما فينا مثلك وحق المسيح وما للحرب غيرك وأنا ما قلت هـذا جهلا منى بكى ولا بمكانتك ولكن أحب أسمع من كلامك ما يسرنى فأنتى ركنى ومعتمدى وأنا فى غداة غد أسير إلى الملك كرفناس وأقول له انى قد كلمت الملك فما ازداد إلا خشونة وقد حلف ان لابد له منك وقد أقسم بالمسيح انه لا يترك أحدا من عسكرك يرجع إلى بلاده وقد أقام عقبة عندهم وقد سكن غيظهم بما قال ونزل فى تلك الدار الذى هو معتاد بها وجاء البترك وحياه وسلم عليه وسأله عن حاله فاعاد عليه ما جرى له ثم حادثه وانصرف (قال الراوى) ولما خلى الملعون عقبة بصحبه قال للقسوس الذين كانوا معه عند الملك كرفناس قد سمعتم ما قالت تلك السوداء الكحله وكيف قال أرمانوس انه يحمل عليهم حملة واحدة وقد طحنهم طحن الحصيد ورماهم على الصعيد ولا يترك منهم قريب ولا بعيد (يا سادة) ثم ان عقبة بات

تلك الليلة وقد حدثته نفسه بالفتن وهلاك الطائفتين وصار يدبر ذلك (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة (وأما ما كان) من البطال فانه أقبل على مارس وقال له اعلم ان قلبى فيه النار التى لا تطفى واللهب الذى لا يخفى لا جل هذا الملعون عقبة وقد عولت على أخذه قبل أن يخرج إلى عسكر كرفناس وما أقدر عليه ولا أصل اليه فقال مارس لا نقول إلا اننا أخذناه وتتركه عندى فى الدار التى أنا فيها ووقع القتال فما يكون الحال فقال البطال إذا وقع القتال واشتد النزال وجدت أنا سبيلا إلى الانفلات فأنا آخذه وأخرج فى الحال وان أنا لم أقدر على حمل هذا الخنزير وحاشتنى المقادير طرحته عند يانس المتعزب فى الحصن إلى حين وصولى إلى الأمير عبد الوهاب وانظر كيف حاله وماجرى عليه وأعمل بعد ذلك على ما يكون فيه الخير إن شاء الله تعالى والملك بعد ذلك عنده شغل وقد ألهاه هذا العدو عن عقبة وعن غيره فقال مارس أنا ما أردك عن ما عزمت عليه والدار كلها بحكمك ولا أختار روحى عليك فافعل ما تريد (قال الراوى) فعند ذلك خرج البطال فى تلك الساعة ودخل إلى دار عقبة ورصده إلى أن نام فى آخر الليل فلما أن نام وعلا غطيطه تقدم إليه الأمير أبو محمد البطال ثم جلس على صدره وكان معه مذبحون ولؤلؤ فحس بهم عقبة ففتح عينه الصحيحة وقال ما الخبر فقال له مذبحون أبشر فما عليك بأس يازنديق واعلم أننى صاحبك ليلة جبل الثقيف فقال عقبه لامرحبا بالقادمين ولا سهلا بالواردين فقال له أدركتافك ياقرنان ودع خرافك ثم أنهم انقضوا عليه وشدوه كتاف وقد وضعوا الاكره فى فمه وعصبوا عينيه وقد مات فى جلده وساروا به إلى دار مارس وهو لايدرى أين دخلوا به وقد أنزلوه فى المطموره وفتحوا بعد ذلك عينيه وأخرجوا الاكره من فمه ثم قالوا له كيف حال الكلب (قال الراوى) فلما رأى عقبه حاله فى حال ميشوم فقال عقبه ويلك يا أبو محمد اعمل معى جميل فانك لابد ما تقع فى يدى عما قليل وقد رأيت كيف تهاونت بك حتى هربت فقال له البطال يا ملعون كذبت وقال له طيبون هذا فعل الله بك ياملعون الله لايعفى عن من يعفى عنك دونك والبلاء الذى أعده الله لك رب الأرض والسماء الذى تأكل خيره وتعبده غيره (قال الراوى) ثم أنهم بطحوه على وجهه وصار كل واحد يقوم أنا أريد أن أستوفى ضربى منه وقد صار كل واحد يضربه حتى يتعب ويقول الآخر فيضربه ضربا لم يضرب عمره أنحس منه فلما زادوا عليه أشرف على الموت فانقطع نفسه وغاب حسه فتركوه مرمى مكانه وهو مقيد مكبل (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح جاءوا القسوس الذين كانوا مع عقبة يطلبوه فما وجدوه فعظم ذلك عليهم وكبر لديهم وساروا

حتى دخلوا على الملك أرمانوس وسلموا عليه ثم قالوا أيها الملك عن اذنك نروح إلى عند ملكنا أو نقيم عندك فقال لهم وأين الشيخ النجيح وحجة السيدالمسيح فقالوا له أيها الملك وحق المسيح والإنجيل ما لنا به علم من البارحة لاننا تحدثنا معه إلى نصف الليل وقمنا من عنده ورحنا إلى مراقدنا ونمنا ولما أن كان عندالصباح جئنا اليه فلم نجده فلابد ماجرى عليه أمرا من الأمور لانه قدكان وحق المسيح خائف من البطال ورجاله أن تكون فى هذه الاطلال (قال الراوى) فلما سمع الملك منهم ذلك الكلام ضحك وقال من أين يدخل البلد وهذا شيء ما أسمعه لكن أنا أعلم سبب غيبته لانه علم منى مخالفته فيما أنا فيه من عند ملككم كرفناس فاختبى منى عند بعض أصدقائه (قال الراوى) ثم ان الملك أمر ان ينادى فى القسطنطونيه من كان عنده عقبة فليأتى به وعليه الأمان والملك راضى عنه فنادى المنادى فى البلد فلم يجده فعاد وأعلم الملك فقال الملك أنا أعلم ان البطال ماوصل ولا دخل الينا حتى نخاف منه ونقول انه أخذه كيف سلك به وخرج من البلد والحرس عليها شديد ولكن سوف يظهر لنا خبره ثم انه خلع على القسوس الخلع السنيه وأرسلهم إلى الملك كرفناس وقال لهم أنا الذى لا أجيب كرفناس إلى هذا المقال ومهما فعله يقابله المسيح فى عسكره وفى نفسه (يا سادة) فرجعوا القسوس إلى عند كرفناس وقد أخبروه بالخبر وكيف فقد عقبة فلما سمع كرفناس ذلك من القسوس غضب وأمر بالزحف إلى القسطنونية فركبت الرجال على الخيول ولبسوا العدد والزرد وتقدموا للقتال وقد اعتدوا بالقنطاريات الطوال والقسى والنبال ووقع القتال بين الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما الأمير أبو محمد البطال) فانه طلب حيلة يخرج بها من البلد فلم يجد إلى ذلك من سبيل فأقام على ذلك مدة فلما ضجر واضجره المقام وقد علم انه ما يخرج الى بلاد الإسلام فقال ها أنا مقيم إلى أن نرى مايتم من المرام ويفعل الله ما يشاء لانه هو الفعال وإن كان الأمر بخلاف ما أريد سقيت عقبة كاس الحمام (قال الراوى) فهذا كان من البطال (وأما ما كان) من الملك كرفناس فانه لما أن دخلت عليه القسوس وأعلموه بما قال أرمانوس فصعب عليه رسالته وأمر من معه من العسكر فركبت وحملت فصار على باب القسطنطونية عالم ماراوا قط مثله وكان أول من سبق بالحملة كرفناس وتبعوه الناس وقد حملت أبطاله وطمحت أقياله وعملت الصوارم وقامت المآتم وقطعت الأيادى وحدى بهم من الموت حادى وارتفع الغبار غابا عن الأبصار وأظلم النهار وماج النقع الموار وركن الجبان إلى الفرار وعملت السيوف فى القمم وقام سوق الحرب على ساق وقدم وضاق الخناق والتفت الساق بالساق فما كنت ترى إلا دم فائر وجواد غائر وكف

طائر وقد صار هذا قائم وهذا على وجهه هائم (قال الراوى) وما برح السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بغيهبه وانسدل وقد اختلط القتام ودق الطبل بالانفصال وعادوا إلى الخيام (قال الراوى) فلما انفصلت العسكران من القتال وعادوا إلى الخيام ادعى كرفناس برجاله وقد وبخهم وعتب عليهم وقال يا ويلكم هذه فعال من يريد يفتح البلاد ويملك الحصون والقلاع والأطوار وحق المسيح لولا انى أعذركم لان كل بداية صعبة لضربت رقابكم يا ويلكم لكم أسوة بى فان حملت فاحملوا فانه ان حمل ألفا فأنا لها وان حملت ألفان فأنالها وان كانوا أكثر من ذلك جندلت أبطالهم وأهلكت فرسانهم على أن لا تحملون حتى ترونى حملت وإذا رأيتمونى قدخفيت بعض السهام بالرمى فاحملوا وقولوا كيف قتل عباد المسيح فانى آخذ شرطا على هذا الملك ارمانوس الأكحل على أنه يقول المملكة لى ويكون عاملا من بعض عمالى ولا يرجع بعدها مالا إلى المسلمين ولا ينتصر بهم ولا يخفى عنى أمر عقبة ولا يعود يعمل شيئاً من مصالح المسلمين وأن يدع بيننا وبين المسلمين ونأخذ تارنا من الموحدين وهذا شيء يكون فيه للمسيح رضاء فان فعل ذلك فهو المراد وان هو أبى أبليته بمالا يطيق من رجال ألفوا الموت وكل واحد منهم مر المذاق مافيهم إلا من هواليه مشتاق وأجعله مثلا فى سائر الآفاق حتى لا يرجع أحد يطلب ما ليس له به استحقاق لأن سائر أجناس الروم قد علموا أن الملك بيننا دون غيرنا ولا ينازعنا فيه منازع ولا يدافعنا فيه مدافع وأن السلطنة فينا من قديم الزمان دون غيرنا من الأنام وسوف يأخذ لنا المسيح بالتار ويظهر الحق فيه ويجعله مثلا فى سائر الخلق ويرجع منكسر مندق لأنه معنا حق (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمعوا وجوه قومه ذلك الكلام قالوا له اكتب كتابا بهذا وأرسله اليه يعنى إلى الملك كرفناس الاكحل فان أجاب كان وإلا دونك وما تريد فكتب الملك كرفناس كتاب إلى الملك ارمانوس بما ذكرا وادعى بالرهبان والقسوس الذين كانوا مع عقبه وأعطاهم الملك كرفناس الكتاب وقال لهم سيروا من ههنا إلى عند الملك ارمانوس وأعطوه الكتاب وائتونى برد الجواب فأخذوه وساروا إلى القسطنطونية ودخلوا البلد ولما أن وقفوا على الباب قالوا لهم البوابين ما تريدون قالوا معنا كتاب من عند الملك كرفناس ونطلب الإذن إلى عند ملككم ارمانوس فخلوا سبيلهم فساروا إلى أن وصلوا إلى عند الملك ارمانوس الاكحل وأعطوه الكتاب فأخذه وقرأه ولما أن أتى على آخره قام وقعد وأرغى وأزبد وقال وحق المسيح لابد من قتل هذا الكلب كرفناس ثم أنه صاح على

البطارقة وقال خذوا هؤلاء الملاعين وارموا رقابهم وارموا بهم من على الاسوار إلى الكلب ملكهم الغدار وسوف تروا ما أفعل به وبقومه (قال الراوى) فأخذوهم الرهبان وأرادوا أن يقتلوهم فشفعت فيهم بعض البطارقة وقالوا له أيها الملك لا يجوز لك ذلك فى دين المسيح أن تقتل الرسل لا سيما وهم رهبان وقسوس لكن ما على الرسول إلا البلاغ فقال لهم ان كان كذلك فاطلقوهم وإلى عند ملكهم أخرجوهم ولما أن سمعوا القسوس ذلك من الملك ارمانوس باسوا الأرض بين يديه وقالوا له أيها الملك مالنا نحن ذنب نستحق به ذلك ثم انهم بكوا فرق لهم قلب ارمانوس فأخلع عليهم الخلع السنيه وأعطاهم وأرضاهم وساروا وهم بالثياب الملونة والقلانس المكوكبة والملوكية والعكاكيز المقمعة والصلبان الملمعة وساروا إلى ملكهم بعد ما دخلوا إلى كنيسة سوفية وتبركوا بها وأقاموا فيها ذلك اليوم وباتوا تلك الليلة ولما كان عند الصباح ساروا (قال الراوى) ولما أن وصلوا إلى الملك كرفناس أعادوا عليه ما قال الملك ارمانوس فغضب وكان الملك كرفناس قبل أن تأتى رسله قد اغتاظ لغيبتهم وأراد أن يأمر العساكر بالحمله على الروم فقال له ملك الملافطة لا تعمل أيها الشيخ النجيح لأنه ما يرجع إلا بالانفصال فأقام إلى أن جاءت القسوس والرهبان وأعادوا عليه الذى قد جرى من أوله إلى آخره وكيف أراد الملك ارمانوس أن يرمى رقابهم (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الملك كرفناس ذلك قامت عليه القيامة ثم قال وحق المسيح والانجيل الصحيح لأقتلن ذلك الكلب أيشم قتله ولاشتتن عساكره فى سائر البلاد وقد اغتاظ غيظا شديدا ماعليه من مزيد وقامت عيناه فى أم رأسه حتى خافت منه جميع جلاسه واحمرت أحداقه وطار الزبد من أشداقه وركب من وقته وساعته وأمر بضرب الطبول وزعق البوقات حربى وصاح فى عساكره صيحة مثل الرعد القاصف فلم يبق قلب الى رجفه ثم أنه أمر الناس بالركوب فركبت فيالها من ساعة ماكان أعظمها وعلى الكفار ماكان أيشمها وقد صاح جميع عساكره لصياحه وماج كانه البحر المتلاطم بالأمواج وقد كر فى الأرض الانزعاج هذا وقد سمعت عساكر الروم الصياح وشاهدت لمعات الصفاح فتواثبوا إلى الخيل فركبوها وإلى الصوارم فجذبوها ثم انهم أرسلوا إلى الملك يخبرونه ويستأذنوه فيما يفعلوه فخرج بنفسه فى عالم عظيم وصار على باب القسطنطونية عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف هذا وأرمانوس قد وقف تحت العلم الأخضر والصليب الجوهر وكان أول من سبق بالحملة الملك كرفناس وبقيـــة سائر الناس وحملت أبطاله وسائر أقياله وعظمت العظائم وقامت المآتم وقطعت الغلاصم وحامت الطيور الحوائم وكثرت العمائم

فهذا عاطب وهذا سالم وكان النائم أكثر من القائم والناس فى عجائب وزادت النوائب وكثرت المصائب ووقع الراكب وحدى به حادى الفراق وعملت السيوف فى الأعناق وضاق الخناق واشتد الزعاق وقام الحرب على ساق وأهلك فيه أهل الزور والنفاق واظلم من الغبار الآفاق وضاقت الأخلاق وأيقن القوم بالفراق وأهدرت أسود الآجام وكثر بينهم الزحام وأشتد الحرب بينهم ودام وبطلت القنطاريات وزحف بعضهم إلى بعض بالحربات وعظمت البليات وكثر عليهم الرزيات ولم يزالوا فى الصدام واللزام إلى أن انسدل الظلام وعبس الليل بعد الانبساط والإبتسام وباتوا وما لهم حديث إلا فيما جرى لهم فى هذا اليوم العظيم من القتال وكانت الجرحى أكثر من القتلى وكانت السقارقه قد ظهرت على سائر الأجناس من الروم وكان يوم أرمانوس يوم ميشوم (قال الراوى) وأما كرفناس فانه استدعى بأرباب دولته وغضب عليهم قال لهم يا ويلكم هذا فقال من يريد فتح البلاد وحق المسيح أن هؤلاء المسلمين سواء عندى (يا سادة) وكان الملعون كرفناس له هيبة عظيمة لم تكن لأحد من الملوك مثله لأنهم قد شاهدوا منه القوة والفروسية ما يعجز عنه الجبابرة (قال) فبات أرمانوس تلك الليلة وقد ضاق صدره وعيل صبره وتحير فى أمره ولم تكن له إلا أنه طلب الملوك فحضروا عنده فقال لهم أيها الملوك كيف ترون هذه المصيبة القوية التى حات فقالوا أيها الملك اعلم أننا قد لقينا الأهوال وبلينا بالعناد والقتال مثل هذه الابطال وهؤلاء الافرنج الذين معهم لأنهم لا يرجع واحد منهم حتى يطعن فى صدور الرجال وأما الرماة الذين فيهم فانهم ما يخطوا فى رميهم ولا تمنع سهامهم الدروع والجواشن وقد بلينا وحق المسيح منهم بما لا نطيق ولكن فى غداة غد نطرح نفوسنا عليهم بالأوهاق ويعطى المسيح النصر لمن يشاء ثم أنه أدعى بالعرب المتنصرة وقال لهم يا ويلكم اكشفوا عنا هؤلاء الملاقط فقالوا أيها الملك أنهم خلق عظيم علينا أن نبذل جهدنا فانهم بارزونا بارزناهم وإن هم قاتلون قاتلناهم فقال كل من أتى فى غداة غد برأس قتيل او أسير منهم أعطيته كذا وكذا ثم أنه فتح خزائن الأموال والخلع وقال ما ندخر هذه الأموال إلا لهذه الأحوال فأصبح الصباح وفى اليوم الثانى هذا وأبواب القسطنطونيه مغلقة لا يقدر أحد على الخروج منها وقد صعب ذلك على البطال وكبر لديه وقال لولده مذبحون ما ترى يا بنى ما نزل بنا وأنا على جمر اللظى من الشوق إلى الأمير الخطير والسيد الكبير عبد الوهاب وما أدرى كيف حاله وما أدرى ما كان منه هل هو سالم أم عاطب (قال الراوى) فلما اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وحملت السقارقة حملة رجل واحد صاحت صيحة ورشقت رشقة وارتجت

لها الأرض ذات الطول والعرض ومالت بهم الصحراء والفلا وتخلفت الأرض بالدماء وامتلأت الأرض بالقتلى وأنزلوا على عسكر أرمانوس البلاء وأوصلوا اليهم القضاء وأخرجوهم من الخيام بأسرها وقتلوا منهم خلق لايحصى بعدد الرمل والحصى وجهدت الروم أن تخلص رجالها أو شيء من أثقالها فلم يقدروا على هذا وقد هاج الملك كرفناس وحمل فى العجاج فأهل الناس وقطع كل معصم وكل رأس ولم يزالوا على ذلك القياس إلى أن مضى الليل بالاغلاس ونودى برفع البتار وقد ضجر من الحرب كل ليث كرار وبطل مغوار وعادت كل طائفة إلى مقامها بعد ما ذاقت الفرسان حمامها ونزلت الأمم فى تلك الليلة وقد كلت وملت (قال الراوى) ونزل كرفناس فى الخيام وقد بلغ من أعدائه المرام وأخذ الأموال والاوانى وحاز الملك ملكا عظيما ومالا جسيما من الأثقال والأموال والخيل والبغال والجواشن والرحال (قال الراوى) وأما ارمانوس فانه لما دخل البلد الذى هى القسطنطونية جمع الملوك والبطارقة والقساقسة والاساقفة واستشارهم فى فتح الخزاين ونفق الأموال والعدة والأثقال والخيام وفرق السرادقات على الملوك وعلى كل غنى وصعلوك ومن راح له شيء عوضه مثليه فزال عنهم بعض ما كانوا يجدوه ونزل بهم وأعطاهم وأرضاهم وأصبح الصباح وخرج العسكر بذلك الزى الجديد وخرجت الملكة ميمونة وعليها زردية قد غمست فى الذهب الأحمر مفصلة بالدر والجوهر وفى صدرها مرآة مجوهرة تأخـــذ بالبصر وهى طويلة سابله وعلى رأسها بيضة عادية من ضرب عاد مجلية وفى كفها صفيحة هندية فى جنباتها المنية لو وضعت على الجبال الراسيه لنفدت فيه أنفاد المنيه ولو كان عليه كل زرديه كما قال فيه كثير أبى العدويه حيث يقول

وماضية كالبرق يهمل عمودها ❊ فلو ضربت رؤس جبال لها صدعت
ولو وقعت يوما على الصخر طيرت ❊ من الصخر أسناه إذا ما استقرت

(قال الراوى) وكان تحتها حصان أصفر كأنه وجنة عاشق أوخل لخلة مفارق وقد علا الصفار وتحكم فيه الغبار فهو مليح الصفره حسن الخطره بصاص الشعره طويل الوفره سابل الغره له على الجولان قدره يساوى مائة بدره وقد ألف الجولان وعرف شغل الميدان والممارسة عند الطعن والضراب يسبق البرق اذا انطلق والقضاء اذا طرق طويل العنق كما قال فيه الشاعر

وأصفر كالدينار ليس كمثله ❊ من الخيل يوم النقع وهو يجول
يسابق جرى البرق ثم يفوتها ❊ ويتركها من خلفه ويصول

لقد زين الرحمن حقا لخلقه ✿ وقد زينته عدة وحجول
اذا مامشى فى لونه قلت عاشقا ✿ عليك ومعشوق علاه نحول
وأحسب اسحق النديم بصوته ✿ تخيل يوم والسماع صهيل

(قال الراوى) ثم ان ميمونه لما ظهرت بهذه الصفة عظمتها الروم وبجلتها ووقفت فى وسط المواكب والكتائب وهى الى جانبها الملك أرمانوس وقالت أريدكم ترونى هذا الكلب المقدم على هذه العساكر حتى أخرج إلى المبارزة وأعود اليه فقال أرمانوس ماأظنهم يعرفون البراز فقالت بلى أيها الملك ولا سيما الأفرنج الذين يقاتلون بالقنطاريات ثم انها ادعت بالعرب المتنصره وقالت يبرز واحد منكم ويفتح لنا باب الحرب فقالوا سمعا وطاعة وهذا قصدنا ومرادنا ثم خرج منهم فارس بعدة كاملة ولامة فاصلة ووقف فى مقام المجاولة وأشار بيده يطلب المناصلة وقال هل من مبارز ثم جال وصال على جواده وأخذ فى الميدان عرض وطول وأنشأ وجعل يقول

الا انكم قوم لئام لأنكم بغيتم ✿ على دين المسيح المصافيا
فهل فيكم من يحسن الطعن بالقنا ✿ يبارزنى كيما يبان المحاميا
أنا من بنى شيبان قوم تنصروا ✿ ويحموا عن الصلبان والنقع عاليا

(قال الراوى) فلما سمعوا السقارقة والأفرنج كلامه لم يدروا مايقول لكنهم علموا أن مراده البراز ثم حمل على الميسرة جملة منكرة فخرج اليه فارس من الملافطة وحمل عليه والتقيا الفارسين ساعة من النهار فطعن الأفرنجى صرعه فى الحال فخرج اليه أخو المقتول بقلب حنق ودمع مستبق وحمل على المتنصر فطعنه المتنصر فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فعندها خرج من عسكر كرفناس فارس كانه شيطان أووحش من وحوش البرية أو من حلول النقم وزوال النعم مثل الشجاع الأرقم بقد قصير ووجه مستدير ورأسه كرأس الحمير وهو جبار شيطان مريد ومن تحته جواد يطير وفى يده قوس وفيه سهم وقد مد قوسه ليرمى به وجعل يهدر ويزمجر وينهق مثل الحمار اذا أنهق (قال) وكان هذا الشيطان ابن عم الملك كرفناس وكان يصيح مثل صياح الأسد وهذه صفته اذا غضب أوغضبوا فانهم غلاظ الكبود فلما رآه المتنصر استضعفه واستحقره وحمل عليه (قال) فما هو الا أن وصل السنان الى صدره حتى خطف السنان من يده ولوى الرمح قصفه من نصفه ثم هجم عليه وقبض على مراق بطنه وهمز عليه اقتلعه من سرجه فبقى فى يده على لطافة قدره مثل العصفور فى يد الباشق الكسور ثم رماه من يده الى الأرض فما تار من موضعه فعلمت الفرسان أن ذلك من قوة ساعده ثم رجع الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وأشار

اليهم يطلب البراز فخرج اليه فارس وهو فى حدته فما هو إلا أن قاربه حتى ضربه بسهم أطلعه من ظهره فوقع الى الأرض يخور فى دمه ويضطرب عندمه فتحيرت الناس من قوة ساعده فقال الملك أرمانوس لايخرج إلى هذا الشيطان الا من عليه درع مانع فانكفت عنه الأبطال وخافته الأقيال فصار كلما خرج اليه فارس يقتله الى أن قتل أربعة وعشرين فارس من الروم والعرب المتنصره ثم طلب البراز فلم يخرج اليه أحد فلم تجد ميمونة صبر دون أن حملت عليه وقد قال لها الملك أرمانوس لاتفعلى لأنى لا آمن عليكى من سهام هذا الشيطان فأخذت فى يدها درقة حديد صينى لاتعمل فيها السيوف القواطع ولا السهام اللوامع ثم انها هجمت عليه فتطاعنا بالرماح ساعة من النهار واعتمدا على ضرب البتار واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة ابن عم كرفناس فأخذتها ميمونة فى الدرقة وضربته على صدره خرج السنان من فقارة ظهره ففرح الملك أرمانوس وسائر الملوك ولم يزل يخرج اليها فارس بعد فارس حتى قتلت عشرين من الملافطة والسفارقة وأمسى المساء ورجعت ميمونة وهى تتمايل من كثرة الجولان فى الميدان (قال الراوى) وباتوا على ذلك الى أن برق ضياء الفجر وركبت الملكة ميمونه وعول كرفناس أن يخرج الى مبارزتها وهو يحسب أنها رجل من البطارقة الخواص وقال لهم يا ويلكم ما كان فيكم من يخرج إلى هذا الفارس فقالوا له فى غداة غد نخرج اليه ويعطى المسيح النصر لمن يشاء. فقال الملك أنا لابد أن أخرج وإن كان هذا لا يليق بى ولا بالملوك ولكن قد ألجأت الضرورة إلى ذلك لأنه كلما قتل واحد منكم كانه قطع من يدى عرقا فلما أن اصطفت الصفوف ولعبت الرجال بالسيوف وكان أول من فتح باب الحرب ميمونة وقد قالت للملك أرمانوس اعلم أن الشيخ النجيح كان قد حدثنا أن هذا الملك شجاعا وبطلا مناعا فان كان ذلك صحيح وسهل المسيح خروجه الينا فأنا أريح أهل ملة النصرانية منه وما هو الا أن أخذه وقد انقلبت عساكره كلها اليك لأنهم يبقون مثل الغنم بلا راعى ثم طلبت ميمونة البراز فخرج اليها فارس بعد فارس حتى قتلت جماعة فعند ذلك صاح الملك كرفناس وأراد أن يخرج الى الميدان فمنعه ملك الملافطة وقال له كانى خارج الى الموت حتى تقول لى هذا المقال وحق المسيح لو كان للارض قبضة زعزعتها وقلعتها من مكانها (قال) فهو فى الكلام واذا بميمونة قد حملت على الميمنة قتلت فارسين وعلى الميسرة قتلت أربعة وعادت واذا قد ضرب جوادها بنبلة فانقلبت فوثبت قائمة على رجليها فهمت البطارقة أن تحمل عليها فمنعهم الملك من ذلك وقال ما هذا انصاف وان أردتم البراز فدونكم واياه لأنه قد تعب وأنا ما أخرج اليه الساعة حتى لايقال عنى انى ما أخرجت اليه إلا بعد ما أعياه التعب

(قال) فجعلت الرجال تخرج الى ميمونة هذا وقد ركبت جوادين من جنائب أرمانوس وهى تقطع الودج والروس وتخطف المهج والنفوس إلى أن وقفت عنها الرجال وتجنبتها الأبطال وأعيت الرماة بالنبال ولا يعمل فى زرديتها النصال لانها كانت غايصة فى الحديد المانع والزرد اللامع وقد ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادت كل طائفة إلى مقامها وقد فرح الملك أرمانوس بفعال ميمونة وقال لها زال عنا البؤس فلقد رضى عنكى المسيح بهذا الفعل المليح فقالت ميمونة طيب قلبك أيها الملك فلو كان هـذا الملك فيه شيء من الشجاعة كما زعموا لما قعد عن الخروج إلى ساعة واحدة إلى الحرب ومقام الطعن والضرب وأخذ أبطالهم ولم يخرج الملك إلى فلابد أن أفرج عن قلبك منه بقتله أو أسره وأكفيك شره فدعا لها أرمانوس (قال) وأما كرفناس فانه جمع مواكبه وكتائبه وسألهم عن أحوالهم فلم يرى لهم ذكر إلا فى ميمونة وما فعلت ثم قالوا أيها الملك نحن ما جئنا على نية المبارزة هذه قد قتلت رجالنا وأهلكت شجعاننا وأنت تتماهل فى أمرها وهى ليست من أبطالك ولا من رجالك ولا تعد من فرسانك فوعدهم بالبراز اليها والحملة عليها فى غداة غد واستقر بينهم الحال وبطل القيل والقال وباتوا على ذلك حتى مضى الليل الحالك وأقبل الصباح الضاحك واصطفت الصفوف وترتبت الألوف وتقابل الصفان واشتهر الفريقان فقال الملك كرفناس وحق المسيح لولا أن يكون على عار لكنت اخرج إلى هذا البطريق الذى نكل أمس بالرجال وأذل الأبطال وأتيتكم به أسيرا وأتركه عفيرا فقالوا أيها الملك ما هذا عار إذا برزت إلى هذا الفارس الكرار فهم فى الكلام وإذا بميمونة قد خرجت بين الصفين واشتهرت بين الفريقين ونادت يا كلاب الروم هل من مبارز هل من مناجز فصاح الملك فى البطارقة وقال من يخرج الى هذا الكلب فعندها برز اليها بطريق فقتلته وثانى فجندلته وثالث فأردته ولم تزل كذلك حتى قتلت عشرة أبطال من البطارقة الخواص فصاح الملك كرفناس فى عسكره وقال لهم يا ويلكم قولوا لهذا البطريق يرجع ويريح نفسه فى هذا اليوم الى غداة غد فأنا أبرز اليه فصاحت البطارقة لميمونة وقالوا لها مثل ما قال الملك كرفناس فقالت لا أبرح حتى يخرج الى فما أنا عاجزة عن قتاله وما بى تعب ولا نصب فقالوا للملك يخرج اليها وترجلت البطارقة بين يديه وكان عدتهم عشرة آلاف بطريق وان الملك كرفناس صاح فى ميمونة ويلك أيها البطريق لمن تخوف بشجاعتك وبراعتك فأنا الملك كرفناس بن جرفناس فدونك والقتال والحرب والنزال فلما نظرت ميمونة اليه عولت بالحملة عليه فقال كرفناس ويلك أيها البطريق وحق المسيح أنا شجيتى الانصاف وأنت اليوم قد تعبت وما أرى فى دينى أن أقاتل تعبانا ثم عاد عن ميمونة عادت

ميمونة الى عسكرها وأخبرت الملك أرمانوس بما قال لها الملك كرفناس فقال ما عمل إلا الصواب وفعل فعلا لايعاب ثم ان الملك رفع شأنها وعلا مكانها وزادت فى عينيه وان كرفناس رجع الى أصحابه وأخبرهم بما قال لميمونة فقالوا أيها المسيح يطيل عمرك فما أنصفك فى الحرب وأقاموا الى الغد فأول من برزا لى بين الصفين كان الملك كرفناس وخرج على جواد أشـقر عالى مضمر حسن المنظر جيد المخبر يسبق الوحش بخطوته والريح بوثبته كما قال فيه الشاعر :

كأنما حتم المنايا جريه أو غضب الله أتى بلا مهل
شبهته إذا مشى فى لونه من ذهب وهو مجزع فذل

(قال الراوى) وان كرفناس توسط الميدان وهو على جواده الموصوف كأنه فى سرجه عقاب كاسر إلا أنه لطيف الخلقة ما يبان فى السرج ولكن له عزيمة لا تكون لأحد من أبناء جنسه مثلها فجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى معاشر أهل القسطنطونية من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا الملك كرفناس بن جرفناس فهل من مبارز هل من مناجز (قال الراوى) فما استتم كلامه حتى قفزا اليه شيبان بن حرب وأراد أن يرى الملك أرمانوس شجاعته وبراعته فلما نظر اليه كرفناس وكان معه قوس شديد وفيه سهم فأراد أن يرى الناس شدته فاستقبل شيبان بن حرب المتنصر بالسهم ورماه فى صدره مرق من ظهره فوقع إلى الأرض صريعا يخبط علقما ونجيعا فحمل أخوه على كرفناس وهو ينادى يالثارات أخى فلم يمهله حتى ضربه بفردة نشاب أخرى فقتله سريع فلما نظرت ميمونة على الخروج فقال لها ارمانوس لاتخرجى اليه فانى أرى سهامه ماتخطى فقالت لابد لى من الخروج اليه وآخذ روحه من بين كتفيه وجنبيه فقال لها الملك ارمانوس إذا كان ولا بد لكى من الخروج فالبسى التنور الذى لى فانه يمنع من السهام (قال الراوى) وأحضر بين يديها تنورا فولاذ كأنه قد غمس فى الذهب قد ظهرت صناعته فيها العجب يصلح ليوم الكريهة والعطب لايلبسه الا كل فارس منتخب فأفرغته على جسدها وركبت على حجرة عالية شما كأنها الليلة الكالحة الظلما قصيرة الركاب سريعة الذهاب ان طلب منها اللحوق لحقت وان أشار لها بالوقوف وقفت ان همزت طارت الى الغيوم مضمومة مضمرة الخواطر مليحة الحوافر لها أصل فاخر وغرة مثل القمر الزاهر صنعة الملك القادر تربية العرب الأكابر كأنها الفلك الدائر وهى من تحتها كأنها الثعبان لاتكل من الجولان ولا تحس ان على ظهرها إنسان (قال الراوى) ثم حملت على الملك كرفناس وصاحت فيه فعول على رمى السهم فلم تمكنه وعطلت سهمه وضايقته

وتصادما بالدرقتين فكانا كجبلين اصطدما أو بحرين التطما وجال كل واحد منهما على صاحبه وان كرفناس حط ضربة على درقة ميمونة فكانه من الحديد الصينى فقطعتها نصفان ورمتها شطران فلما رأت ميمونة ذلك صممت على كرفناس وأرادت أن تتعلق فى سرجه فوجدته كأنه عمود بولاد قد أقلب عليه الرصاص (قال الراوى) وأن كرفناس مد يده الى ميمونة وتعلق بأطراف التنور وجدبها من سرجها فجعلها فى الأرض فلما نظر ارمانوس الى ذلك أمر أصحابه بالجملة فحملوا وصاحت الصقالبة والملافطة ودام بينهم القتال وقام الحرب على قدم وساق وعملت السيوف الرقاق والرماح الدقاق وبليت الرجال بما لا يطاق إلى أن حميت الشمس واحمرت الأحداق وقطعت الأعناق وتمكنت بطارقة الصقالبة من أصحاب أرمانوس الاوهاق وبليت من سهامه بما لا يطاق فهذا قتيل بسيف براق وهذا مطعون برمح خراق وهذا طريح بمزراق وهذا دمه يفور وهذا رأسه باللت مكسور وهذا أنفه مجذوع وهذا عصبه مقطوع وهذا قد قطع السيف عاتقه وهذا قد نفذ الرمح من علائقه وهذا قد ضرب جانبه وهذا قد مسك ذقن صاحبه وهذا مسك خصمه امساك وهذا قد أيقن بالهلاك وهذا قد وقع فى الشراك وهذا قد قطع السيف لحمه وكسر عظمه وهذا قد علق بمنطقة خصمه وهذا فى ضر نفسه وهذا قد قطع قوائم فرسه وهذا قد أخذ عليه طريقه هذا ولم يزالوا كذلك من أول النهار إلى أن أتى وقت الاصفرار وافترقت الناس ورام أهل القسطنطينية أن يخلصوا ميمونه فوجدوا ما أملوه بعيد والوصول اليه صعب شديد هذا وقد انكسرت عزيمة ارمانوس المنحوس وواقعه من أجل ميمونة الوسواس والعكوس (قال الراوى) وان كرفناس لما عاد من الميدان مع أصحابه ومعه ميمونة أسيرة أمر أن يخلعوا ماعليها من السلاح وهو يقول وحق المسيح مالقيت قط مثل هذا البطريق وأريد أحتفظ به لعل أن يطيب قلبه ويكون معى (قال الراوى) فخلعوا عن ميمونة السلاح وبقيت بفلاله طاق فلما نظر إلى حسن سواعدها وعظم خلقتها ونظر إلى أعكانها وبطنها ونهودها ولم يكن قط نظر الى أسود وظن انها رجل فقال الملك ما أحسن هؤلاء الرجال فكيف يكون النسوان فكلموها بلسان السقارقه فلم تفهم ولا تكلمهم بكلام أهل ملتهم بل كلمتهم بكلام أهل القسطنطونية فلم يعرفوا ماتقول فقال على بالترجمان يكلم هذا الأسود فأتوه بشومدرس الملعون فلما وقعت عينه عليها انكب على يدها يقبلها فقامت له قائمة فقال الملك أراك تعرف هذا البطريق فقال أيها الملك هذا زوجة ارمانوس الأكحل فكيف قدرت عليها ووصلت اليها فقال أخذتها فى الجولان ومقام الحرب والطعان (قال الراوى) فلما علم كرفناس انها امرأة أرمانوس وقعت فى قلبه محبتها فقال لشومدرس

أيها الشيخ الصالح أريد أن تزوجنى بهذه الملكة لتكون مطبقى فقال أيها الملك هذه زوجة الملك ارمانوس الأكحل وهى فى حباله وما انفصلت منه فكيف تتزوج بها وهى ماهى خالية الفراش فقال أنا أريد أتزوج بها وأنا أحق من ارمانوس بها فقال له شومدرس المنحوس إذا كان الأمر على ذلك وعلى ما ذكرت فاخرج فى غداة غد واقتل ارمانوس وتزوج بها فصاح كرفناس فى شومدرس تزوجنى بها وإلا وحق المسيح أضرب الساعة رقبتك فقال شومدرس ما هذه إلاسنه منحوسة بهذا الملعون ثم قال لابحق المسيح لا تفعل أنا أزوجك بها ثم قال شومدرس لميمونة اسمعى من الملك ما يقول فانه يقول كذا وكذا فقالت ياأبونا لا تفعل فقال لها المسيح لا يؤاخذك لأنك مغصوبة ثم أنه أملكها على الملك ثم أخلوا لهم خيمة ودخل بها فمانعته ساعة فلم يطيعه فافترسها غصبا فلما نظرت ميمونة إلى تلك القوة طاب قلبها وطاب لها البسط ولم تعد تمانعه بقية الليلة واعتنقته ونامت معه إلى الصباح وهو لم ينم تلك الليلة فلما كان عند الصباح أتى اليها شومدرس وقال لها بالعربى كيف كانت ليلتك مع هذا الملك فقالت له أيها الشيخ الصالح لقد جهدت أن لا يكون ذلك والآن فقد جرى ما جرى وهذا الملك على كل حال أقوى من ارمانوس فهو أحب إلى منه وما بقى فى إلى ارمانوس رجعه وأول من يبرز إلى ارمانوس اليوم أنا وبقتلته أنال العلا فعلم شومدرس أن الملعونة عشقت كرفناس وحبته محبة عظيمة لأنها لم فيها خير مثل عقبة لا فى المسلمين ولا فى النصارى (قال الراوى) وأن جاسوس ارمانوس نظر اليها وما جرى مع كرفناس فعاد إلى ارمانوس وأعلمه بالخبر فقامت عليه القيامة وأرسل إلى البترك وأخرجه من البلد وقال له تمضى وتأخذ معك جميع القسوس والرهبان وكل شماس ومطران وتمضى إلى الطاغى وتقول له لا يتولع بى ويطلق زوجتى وخوفوه من المسيح وقولوا له ماهذا صواب أن امرأة لها زوج ما يحل لك أن تتزوج بها فامتثل البترك ذلك وكان ارمانوس قد دخل البلد وسار البترك ومعه ما يزيد عن أربعمائة قسيس وشماس وراهب ومطران والبترك فى أوائلهم عليه سواد وكذلك الذين معه عليهم أصناف الملابس من أبيض وأسود وأخضر وأخذوا معهم الأناجيل على رؤوسهم والصلبان فى صدورهم وهم يقرؤن الانجيل ولهم زجرة تسمع من مسافة فرسخ ولم يزالوا كذلك سائرين إلى أن وصلوا إلى الملك كرفناس (قال الراوى) وجعل الروم يبوسون على أقدامهم إلى أن وصلوا إلى سرادق الملك فلما مثلوا بين يديه نظروا إلى ميمونة جالسة فوثبت قائمة وأمر الملك بالجلوس فجلس ثم التفت إلى كرفناس وقال أيها الملك كيف يحل لك أن تتزوج بامرأة لها بعل تفعل هذه الفعال فان المسيح لا يرضى لك بهذه

الفعال فقالت ميمونة أيها البترك لا تتكلم بهذا الكلام فان الرجل هو الزوج بعلى وهو الذى يملك البلاد ويذل العباد وأنه أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه ونتيجة دهره فما يصلح لمثلى إلا هذا الملك وإن كان قولكم أن المرأة لا تتزوج ولها بعل أليس أنا كنت زوجة الأمير عبد الوهاب وتزوجت بأرمانوس وأنا فى مذهبى كل من طاب لى معه عيش فهو بعلى فلما سمع البترك كلامها علم أنه قد طاب لها المعاش فقال ياميمونة ويسهل عليكى أن تتركى الملك أرمانوس فقالت نعم يامنحوس ثم قالت الآن هو روحى وهو أقوى وأنا أحب الرجل القوى ولا سيما هذا الملك لأنه فارس مهاب وبطل وثاب فلما نظر كرفناس إلى محاجته صاح فيه أرعبه وقال له ويلك ياملعون جئت تفسد على زوجتى ومن هى اليوم مطيتى دونكم وهــذا الكلب وجميع من معه من الكلاب فعندها تواثبت اليهم البطارقة وقبضوا عــلى البترك ومن معه الجميع فأمر وقبضوا على البترك ومن معه الجميع فأمر بضرب أعناقهم فضرب منهم خمسين رقبة فوثبت ميمونة وشومدرس وسألوا فى الباقين فقال لابد لى من قتلهم أو حلق لحاهم فقال البترك باللحا ولا بالقتل وللحية تنبت والراس لا تنبت أبدا فعندها أمر بحلق لحاهم الجميع وأطلق سبيلهم فقالت ميمونة للبترك اعلم اننى ما أعود الى أرمانوس أبدا لأن هذا الملك كرفناس قد تزوجنى وقلبى قد طاب فأريد منكم أن ترسلوا لى ولدى فان لم ترسلوه فلا بد أن تقعوا فى يدى مرة أخرى (قال الراوى) فبـــادر البترك وأصحابه الى المسير وسرعة الجد والتحويل حتى وصلوا الى باب القسطنطونية ودخلوا البلد فلما نظرهم أرمانوس محلقين الشوارب مثل التيوس ضحك من شدة الغيظ وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم مع كرفناس وميمونة المفتونة فقال ارمانوس سوف ترون العجب وقد عولت اننى أكاتب سائر الأقاليم من بلاد الروم على أجنحة الطيور فى البر والبحر وقال لمارس أريد أكاتب الأمير عبد الوهاب لعل أن يأتينا وينصرنا على هذا الطاغى الباغى الخارجى الذى خرج علينا وأخذ زوجتى ميمونة وأقول له أن كنت كسرت هذا العسكر يكون لك عندى فى كل سنة ما كنت أحمله الى خليفة المسلمين فقال أيها الملك عبد الوهاب قد بلغنا انه سقى سقوة من السم ولا نعلم ماكان منه

﴿ تم الجزء الثالث والخمسون ويليه الجزء الرابع والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الملك نكتب كتاب فان كان ثقيلا فى مرضه نستنجد بأمراء المسلمين ثم كتب كتاب الى الأمير عبدالوهاب يسأله القدوم ويقول فيه ان هو أخذ مدينة القسطنطونية لابد أن يدخل بلاد الإسلام وأرسل الكتاب مع رسول فسار الى ملطية (قال الراوى) وان كرفناس من زحف إلى البلد ورتب اليه القتال الشديد ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما هذا والملك كرفناس قد ضاقت عليه الأرض بما رحبت فقالت له البطارقة أيها الملك لا تستعجل فى الحصار وهذا البلد ما يؤخذ فى أقل من سنة من الزمان قال سوف أريكم أنا كيف آخذه ثم أمر النقابين أن يزحفوا وأمر الرماة أن يكونوا أمامهم ففعلوا ذلك فرجعوا الى الباب وأقاموا على ذلك أياما عده ففى بعض الأيام فتحت أهل القسطنطونية الأبواب وصاحوا فى السقارقه والملافطه أين تأخذون وقد جاءكم المنون فقال الملك أن القوم قد جاءتهم نجدة فتطاول الملك كرفناس إلىذلك وإذا من ورائه غبار قد أشرف من ناحية بلاد المسلمين وقد أسود الأقطار من عظم تراكم الغبار فقال الملك كرفناس هذا الغبار يقرب ويدل على عسكر جرار ولم يزل الغبار يقرب إلى أن وصل قريبا من القسطنطونية وأنقشع عن عسكر جرار وخلق عظيم لايحصيهم إلا الله تعالى وكان ذلك الغبار والعسكر واصل مع الأمير عمرو بن عبيد الله السلمى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن البطال لما كان مختفى فى القسطنطونية عند مارس الحاجب ووقعت

الضجة فى مدينة القسطنطونية وجرى ما جرى من قصة ميمونة وكيف أخذها الملك كرفناس ووقعت الضجة ولم يجد أبى محمد لأخراج عقبة من سبيل خلاه عند مارس ثم أنه طلع هو وطيبون مع الحاجب مارس إلى خارج البلد وسار به الحاجب إلى حيث يأمن الطلب وودعه مارس وسار أبى محمد مع الراهب طيبون طالبين ملطية إلى أن وصلوا ملطية ودخلوا على الأمير عبد الوهاب فوجده على غاية من الجهد وهو على ضر عظيم وكان سببه أن الملعون مطرون لما تكلم فى حق الأمير عبد الوهاب ولم تكلم ولم يبلغ غرضا من الأمير عبد الوهاب فأرسل إلى الأمير عمرو بن عبيد الله على جناح الطير كتابا يقول فيه على لسان المعتصم أمير المؤمنين أنى قد أرسلت هذا الكتاب وفى بطنه قليل من الدواء الذى أراد عبد الوهاب أن يسقيه إلى أمير المؤمنين المعتصم وقد أرسلت اليك البقية فابصر كيف تدبر وتقتل عبد الوهاب أما تسقيه فى الماء وأما فى الطعام وأما فى الشراب وما أعرف أتلافه أو قتله إلا منك فقد تعدى طوره وأخرق بناموس الخلافة ووقع فى حق القاضى عقبة

(قال الراوى) وأن الطائر وصل إلى ملطية فأخذه الأمير عمرو بن عبيد الله ففرح الفرح العظيم الذى أمره المعتصم بذلك ثم جعل يحث ويدبر الحيل إلى أن برطل الطباخ بخمسين دينار وخلعة وقال له إذا أردت أن تقدم الى الأمير عبد الوهاب الطعام فاطرح فيه من هذا القرطاس قليلا ولا تعلم بذلك احدا فأخذ الطباخ ذلك وأخذ من الأمير عبد الوهاب خلسة وغفلة ووضع له من القرطاس فى طعامه الخاص فما هو الا ان أكل فا نتفخ فى ساعة الحال وكان سبب سلامته أنهم كانوا قد سقوه فى بلاد الهند شيئا من حشيش البر شربة لا تعمل فيه السموم مدة ما نفاه الرشيد فلأجل ذلك لا يعمل معه شىء من السموم الا أنه أنتفخ وأقام منتفخا مدة وعالجوه الأطبال فلم ينفع فيه علاج فلما أتى رسول البطال ودخل على الأمير عبد الوهاب ونظره فى تلك الحالة فقامت عليه القيامة ونظره الراهب طيبون فقال لا بأس عليه لا تعرفوا شفاه ودواه الا منى أن شاء الله تعالى ثم أخذ الطشت فوضع فيه لبن حليب وأخذ خرزة من عضده وحكها فى اللبن وسقاه للامير عبد الوهاب فما أستقر فى أمعاءه الا وجعل يرميه أقراصا سود الى أن أمتلأ الطشت فانهضم الورم وخف المرض وراح النفاخ وفتح الأمير عبد الوهاب عينيه وقال أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما فتح عيناه ونظر إلى البطال فكلمه وهناه بالسلامة قال للأمير عبد الوهاب كيف كان هذا الذى جرى عليك فقال لا أعلم فقال أنا أريك كيف أخرج الذى فعل هذه الفعال ثم قبض على الطباخ وهدده فلم يقر بشىء من ذلك فمد غلام الطباخ وضربه فقال يا مولاى

أنا أقول لك فقال قل فقال أن الأمير عمرو بن عبيد الله برطلنى بخمسة دينار وناولنى قرطاس فيه دواء فوضعته فى الطعام وان هذا هو الموجب لمرض الأمير عبد الوهاب فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك أرسل إلى عمرو وقال له ياعمر وأنت الذى فعلت بك من القبيح حتى تكافئنى به هذه المكافئات اليس إذا وقعت النائبة وبنى سليم فى النوائب أجرد أنا وبنى عمى وأسعى فى خلاصكم أفيكون هذا القتيل فى مقابلة هذا الجميل فحلف الأمير عمرو ان ما عنده من ذلك خبر وان غلام الطباخ يكذب عليه ثم أن البطال قال لعبد الوهاب إيش قعودك فى ملطية أرسل الى الكوكب وأنا أعلم أن هذا الشيطان الذى قد ظهر إلى القسطنطونية يأخذك ويدخل بلاد الإسلام فعند ذلك رحل الأمير عبدالوهاب من ملطية فى بنى كلاب والسودان الانجاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصل بعدرحيل الأمير عبد الوهاب رسول الملك أرمانوس الى ملطية وسلم الكتاب الى الأمير عمرو بن عبيد الله فلما قرأه وعلم معناه كتب فى الحال الى الخليفة المعتصم على جناح الطير يعلمه بالقصة التى جرت بين ارمانوس وكرفناس فوصل الطير الى المعتصم فأخذ الكتاب وقرأه وعلم ما فيه وكتب الى عمر ويقول له اجمع عسكرك من بنى سليم الامارة وارحل الى عند الملك أرمانوس وانصره ليكون لنا به عند ذلك اليد البيضاء ولولا اشتغالى فى هذه السنة لكنت انا أكون عوض كتابى وسبب شغلى فى هذه السنة ان بغداد قد ضاقت بالناس وقد استغاثوا الىَّ وأريد أخرج وانظر مكان من أى الجهات يكون متسع اعمل لى مدينة اذكر بها والا كنت سائر نحوك وارسل الطير الى الجو فوصل الى ملطية فأخذعمرو الكتاب وقرأه ففرح الفرح الشديد وجمع بنى سليم فقرأ عليهم الكتاب ففرحوا طالبين بلاد الروم ولم يزالوا سائرين الى أن أشرفوا كما ذكرنا فلما نظر عمروا الى عسكر السقارقة والملافطة وقد ملكوا الأرض خاف خوفا عظيما وقال لبنى عمه لقد غررنا بأنفسنا ولكن سوف ارسل الى الروم رسول حيث انهم لا يصدقونا بالجملة اليوم وقد وصلنا تعابا ثم ارسل عمرو عشرة من بنى سليم الى كرفناس يقول له لا تتعرس لنا بقتال فى هذا اليوم لأننا قد وصلنا تعابا وقد وجدنا من النصب والتعب أمرا عظيما فأنصف من نفسك ولا تحمل علينا فانا تعابا (قال) فمضت الرسل حتى أشرفوا على كرفناس فلما نظر اليهم صاح فيهم وقال لهم ويلكم من أين انتم فقالوا من عند أمير المؤمنين فقال من رجال الأسود عبد الوهاب فقالوا لا بل نحن من رجال أستاذ الأسود فنظر الملك اليهم والى زيهم وملبوسهم وخيلهم فأعجبه ذلك وقال لهم ما تقولون فقالوا يقول لك أميرنا لا تباشر اليوم حربا ولا قتال الى غداة غد أيها الملك فقال لهم أنا أفعل ذلك بعد أن تنزلوا عن خيولكم فقالوا له لا تفعل أيها الملك

فقال لهم أنا أحب اليكم تخلعوا ثيابكم أو اخلعها عن أجسادكم فعندها خلعوا ثيابهم وأمر بحلق لحاهم فقال شومدرس ان العرب يرونِ ضرب الرقبة ولا حلق اللحية فان ذلك عليهم عار فقال خيرهم فى ضرب رقابهم أو حلق لحاهم واتركوهم يمضون الى أميرهم فقال لهم شومدرس الملك يقول لكم حلق لحاكم أو ضرب رقابكم فقال رجل منهم لا صحح الله لك بدنا يا ملعون ما أنت الا واسطة ميشومه فقال ان الملك يقول لابد من أحد الأمرين فقالوا بل حلق اللحية فانه أهون من ضرب الرقبة فضحك الملك وشومدرس وحلق لحاهم فقالت لهم ميمونة من أميركم فقالوا أميرنا الأمير الأجل والكهف الأطل الشجاع والقرن المناع الأمير عمرو بن عبيد الله فضحكت ميمونة وقالت أيها الملك لا تهتم فقد جاء اليك واحد ماعلى وجه الأرض ادبر منه ولا اذل منه (قال الراوى) وساروا يطلبون الامير عمرو فما خرجوا إلا ورسول الملك أرمانوس قد التقاهم خارجون من عسكر الملك كرفناس فقال له رسول الامير عمرو الى أين تمضى فقال من عند الملك فى رسالة فقالوا له بل نحى لحيتك من ههنا حتى لا تبطىء عندهم وتعود الى أصحابك عاجلا بل لحية فضحك الرومى وساروا القوم الى أن وصلوا الى الامير عمرو بن عبيد الله فقال لهم ما وراءكم فقالوا الادبار والوبال ان قلنا لك خير فنكذب والنظر يغنى عن الشكوى فقال لهم كيف كان الامر فقصوا عليه القصة وقالوا اولا شومدرس لما كان أبقى علينا فقال عمر وماهذا الا رجل طاغى باغى فوالله لابد لنا ما نلقى منه تعبا شديد ونصب فياليت الامير عبد الوهاب حاضر لعله كان يكشف عنا ما بنا ويكفينا شر هذا الملعون (قال الراوى) وأرسل أرمانوس الى الامير عمرو يقول له ان أنتم كسرتم هذا العسكر لكم عندى من الاموال كذا وكذا ألف دينار فلما وصل اليه الرسول أعاد عليه ما قال أرمانوس فقال للرسول احلقوا دقنه ولحيته كما فعلتم فى بنى سليم (قال الراوى) وان القوم أقاموا غد أضاحى النهار فركب عمرو فى بنى سليم وركب أرمانوس فى عساكر مدينة القسطنطونية وسائر الاقاليم وزحفوا الى القتال فلما نظر أرمانوس الى كثرة عسكره فرح وان كرفناس لما نظر الى ذلك أمر أصحابه بالحملة فحملوا وتصادمت الرجال والتقت الابطال وذهب المحال وقل القيل والقال وحمى الفارس الريبال وصهلت الصافنات وتصادمت السادات ولم يزالوا فى الحرب الشديد والامر العنيد الى أن حمى الحديد فوق ابدان الصناديد وعولت بنى سليم على الهزيمة فقال لهم عمرو يا بنى عمى اعلموا إن الامير عبد الوهاب وبنى كلاب ما كن لهم بجد إلا بالصبر على القتال فاصبروا هذه النوبة على قتال العدو لتنالوا الاجر من الله واليد البيضاء عند أمير المؤمنين المعتصم وأنا أول من يبرز فى غداة غد للقتال

والحرب والنزال وأريكم ما أفعل بالروم (قال الراوى) وانفصل القتال وأقاموا إلى غد وكان أول من برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين الامير عمرو وقد جاد بنفسه دون أصحابه فقال كرفناس لميمونه أيتها الملكة أظن هذا الفارس الامير بتاع المسلمين عبد الوهاب فقالت أيها الملك ما هذا من ذكرت ولكن هذا أيضا فارس مذكور وبطل مشهور فقال الملك من يأتينى به أسير أو يتركه فى دمه عفير وله على من المال ما يشاء. فقال له ابن عم له أنا له ثم خرج اليه وحمل عليه فلما نظره عمر وعطف عليه وصاح ياعدو الله خذ الآن لنفسك ثم جال معه ساعة واستجاده عمرو بطعنه فى صدره طلع السنان يلمع من ظهر فوقع الى الارض صريع يمج علقما ونجيع فلما نظر الملك الى ذلك عول أن يحمل عليه فمنعته ميمونه من ذلك وقالت أيها الملك ما أدعك أن تخرج الى هذا الامير وأنا أفديك بروحى ونفسى ثم خرجت الى عمرو فلما رآها كره لقاها وعلم انه ليس من رجالها ولكنه خاف من العار أن ينهزم فحمل عليها وحملت عليه فما كان بأسرع من لحظة حتى أكبت عليه وأخذته أسير وقادته ذليل حقير ثم عادت به الى أصحابه وسلمته اليهم وكرت راجعة الى وسط الميدان ونادت برفيع من صوتها يا بنى سليم ويا من لا يكشفوا قط ضيم ابرزوا الى فقدان أعماركم فأنا ميمونه زوجة كرفناس الذى ساد على جميع الناس بالشدة والبأس وهو ملك السفارقه (ياسادة ياكرام) فما استتمت الملعونة كلامها حتى برز اليها فارس من المسلمين وحمل عليها فلما رأته ميمونة مالت اليه وحملت عليه وعمل بينهما حرب يعجز عنه الثقلان وبهتت اليهما العشران وكانا كانهما جبلان اصطدما أو بحرين التطما والفارس يصيح على ميمونة ويجود ضرباته وطعانه فشهد له الجمعان بالفروسية فلما عاينت ميمونة منه ذلك أخذت حذرها منه وصارت تصيح عليه ويصيح عليها ويقول ويلك يا ميمونة أنا حجاف النميرى وكان هذا حجاف من بنى نمير وكان فارسا شديد وبطلا صنديد فلما طال بينهما الخطب والحرب وضجوا من الضرب بالصارم العضب فتراجعت إلى ورائها وحط عليها بضربة فقطعت الدرع والرفادة وجرحتها جرح قوى فلما نظرت إلى ذلك عولت على الهزيمة فأدركها فضربها أخرى فوقعت على كتفها الأيمن فنزلت فيه شبرا فلما عاين كرفناس ذلك أطبق عليه واختطفه من سرجه وأخذه أسير وأتى به إلى أصحابه وسلمه إليهم وحملت عساكر السفارقة على بنى سليم فقتل فى ذلك اليوم أزيد من ثلاثين ألف منهم وأخذوا الباقون أسارى عن بكرة أبيهم (قال الراوى) وان الملك أحضر ميموتة الملعونة ونظر إلى الجراح التى فيها وأمر الجرايحى أن يشدها فشدت فقالت ميمونة المفتونة على بالذى ضربنى هذه الضربات فقدموا الأمير حجاف النميرى

اليها فى الحال فلما رآته أمرت بقطع رجليه وقالت لأصحابها بيتوه تحت الندى حتى تضرب عليه رجليه ويموت كمدا فاذا كان فى غداة غد وأصبح سالما قطعت يديه ثم أضرب عنقه (قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ونصلى على زين الملاح محمد صلى الله عليه وسلم وأما كرفناش فانه ضيق الصدر من أجل ميمونة فدخل إلى عندها وقال لها اخرجى إلى ظاهر الخيمة واضربى عنق هذا الذى جرحك فقالت أيها الملك أنا الذى لا أقتـــله فقال لها ولم ذلك قالت رأيت فى المنام كان طيور قد انقضت على وهموا أن يأخذونى بمخاليبهم فجزعت منهم الجذع الشديد وإذا بهم كلمونى وقالوا ويلك يا ملعونه أخذتى وليا من أولياء الله تعالى وقطعتى رجليه فوحق رب السماء ان رجعتى اعترضتى اليه لينزلن عليك سخط من السماء وأنا ندرت أيها الملك ان لا أعود أتعرض له بسوء أبدا فان عاش أطلقته وخليت سبيله وان مات فأمسك الملك ولم يتعرض له ﴿ قال الراوى ﴾ وان حجاف بردت عليه رجليه وضربت عليه فوجد لها ألما عظيما حتى أشرف على العطب وهو مع ذلك صابر ﴿ ياسادة ﴾ وان ارمانوس لما نظر إلى عسكر السفارقة والملافطة وقد كسروا المسلمين جمع أرباب دولته مع البترك وقال لهم اعلموا أن هـذا الطاغى قد طمعت نفسه فى المملـكة ولا بد له أن يملك هذه المدينة وقد عولت على أنى أترك هذه المدينة وأبذل أموالى ورجالى فى المراكب وأسير إلى المغلبيط وأقيم به إلى أن يرحل هذا الـكلب إلى بلاد الاسلام وأجمع العساكر وأعود اليه فلما سمع أصحابه ذلك قالوا له نحن لك وبين يديك ولا نخالف لك قولا أبدا (قال الراوى) وان أرمانوس نزل فى البحر ونزل معه أصحابه وقال للبترك ان شئت أن تقيم فاقيم ههنا فما أنا بالذى أكرهك فلما سمع البترك ذلك قال لا أطيق القعود بعدك ولا سيما مع هذا الطاغى الباغى الذى قد حلق لحيتى وما حفظ حرمتى ونزل البترك والرهبان والقسوس والشمامسة معه (قال الراوى) وكان البطال أقام مدة لا يقدر على إخراج عقبة كما ذكرنا وبقى فى قلبه النـار لأجل الأمير عبد الوهاب فترك عقبة عند مارس فى القسطنطينية ورحل إلى ملطية كما نقلنا فلما أن رحل أرمانوس قال مارس لأخيه دارس أريد أن أنفذ عقبه إلى حصن يانس المتعزب فيـكون فيه مقيما إلى أن يأتى البطال ويأخذه فعندها أخرج مارس لعقبـة صندوق وحطه فيـه وأخرج معه غلاما من غلمانه يسير به إلى حصن يانس محتفظا به (يا سادة) وخرج الغلام ولم يزل سائر به إلى أن أبعد عن البلد ووصل إلى وادى يقال له وادى الظباء وإذا بميمونه قد أشرفت ومائة بطريق قال الراوى وكانت قد نذرت على نفسها ان هى

برئت من الجراح ان تقصد الى دير شمعون الصفا وتقرب فلما برئت قصدت إلى الدير وزارته وعادت فلما نظرها غلام مارس ترك الصندوق وتساق فى الجبل فصاحت الملعونة ميمونة وتسلقت وراءه الرجال فى طلبه لحذف عليم الأحجار وقتل ثلاثة رجال وعادوا الباقين وفتحوا ذلك الصندوق فنظروا الى عقبة فأحضروه بين يدى ميمونة المفتونه فقالت له أيها الشيخ النجيح من وضعك فى هذا الصندوق فقال لها يا بنية وضعنى فيه البطال فقالت ميمونة لا شك أن الذى انفلت من أيدينا البطال ثم انها أنفذت الرجال فى طلبه يمينا وشمال ثم أنها ركبت عقبة على حماره وسألته عن حاله وما جرى له فحدثها بجميع ما جرى عليه وما جرى له من أوله إلى آخره (قال الراوى) وأن ميمونه حدثت عقبة بما نالها من الأمير حجاف وكيف جرحها وقال لعله يكون حجاف سيد بنى نمير وشجاعها فقالت هو ذاك فقال لها انى من سنين نزلت على حلة بنى نمير وأضافنى هذا حجاف ولقد أكرمنى غاية الاكرام ولقد أغاظنى تلك الليلة مما كان يقرأ القرآن مليح ويسبح الله العظيم قوى ثم أن عقبة سألها عن ارمانوس المنحوس فقالت له ياأبونا أما اليوم ما أنا مع أرمانوس فقال لها وكيف ذلك الأمر فقالت أنا اليوم مع الملك كرفناس لأنه أوجه من أرمانوس وأشجع فقال لها أن الملكين كريمين ولكن كرفناس أوجه من أرمانوس من ثلاث وجوه أحدها شجاعته والثانى كرمه والثالث يصلح للفراش والهراش ولقد شاهدت منه فى بلده مالم أشاهد مثله لأن له مائة سرية ما فيهن إلا من كرهته لأجل اكثاره فقالت ميمونة ياأبونا وحق المسيح هو أوفى مما تقول فى هذا الفعل وما عشقته إلا لأجل ذلك فقال لها عقبة المسيح يقويه (قال الراوى) وساروا إلى أن وصلوا إلى العسكر ودخلت ميمونة على كرفناس وبشرته بخلاصها لعقبة وقصت عليه القصة وما جرى له مع البطال ففرح بسلامته (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأن عقبة أحضر فى الحال حجاف بين يديه وقال ويلك وقعت ياحجاف ابشر بالتلاف فلما نظره حجاف عرفه وقال له ويلك ياملعون لقد كنت ألوم الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال فيك وما كنت أعلم أنك نصرانى ياملعون والآن قد حققت ذلك عيان فقال له الملعون عقبه ويلك ياحجاف أنا أخبر منك بالأديان وبشرائع الاسلام وكيف كنت أرمى نفسى بالدون ويلكم ويلك تذكر ليلة ضفتنى وذبحت لى الذبائح فقال نعم فقال له ظننت انى كنت أسمع قراءة القرآن ياويلك وحق المسيح لو طولت على عشر آيات أخرجت روحى من بين جنبى وأن الملعون عقبة أمر بقتل حجاف فقال له الملك لا تفعل إلا باذن الملكة ميمونة فى ذلك الأمر فان أمرتك بقتله فاقتله وإن أمرت بتركه فاتركه (قال الراوى) ياسادة

ياكرام فأحضروا ميمونة وقال لها أن الشيخ النجيح أراد قتل حجاف فما مكنته من ذلك فقالت ياأبونا لا تفعل فقد رأيت فى المنام كذا وكذا فشالوا حجاف من بين يدى عقبة وأن عقبة أحضر إلى شومدرس وقال له أيها الشيخ النجيح أبو الشر قم بنا إلى بنى سليم ننظر كيف حالهم ثم دخل عقبة بين الخيام وكان قد ابيضت شيبته ومسخت رؤيته حتى بقيت كانها بياض الثلج وقد دق عظمه وهرم ونحل جسمه وسقم وسار إلى أن وصل إلى بنى سليم فنظروا اليه ونظر اليه الأمير عمرو بن عبيد الله وقال لمحمد ابن أبان السلمى ياأمير أما ترون إلى هذا الشيخ وحق النبى المصطفى ما كانه إلا عقبة ولا شك لأن الأمير أبى محمد البطال أن ينظر إلى هذا الشيخ يقول أنه عقبة (قال الراوى) ياسادة وأن شومدرس قال لعقبة ياقاضى بحق المسيح ما أوجعك قلبك عل بنى عمك عمروا بن عبيد الله فقال عقبة وحق المسيح ما كانت أحسب إلا أن فى رأسك عقل وحق المسيح لو ان لى أولاد أو اخوات وهم بعدد النجوم ويقولون كلمة الاخلاص وقدرت عليهم لذبحتهم بيدى عن بكرة أبيهم ووحق المسيح لولا انى أخاف أن أفتضح وأخاف أن يسلم منهم أحد من بنى سليم لأمرت الملك كرفناس أن يسلمهم إلى وأضرب أعناقهم بيدى (قال الراوى) وعاد عقبه إلى الملك كرفناس والملك قد زحف إلى مدينة القسطنطينية فلما نظروا أهل القسطنطينية إلى كرفناس فتحوا الأبواب وقالوا أيها الملك أدخل فقال وكيف أدخل وأرمانوس أين فقالوا أيها الملك أنه ورجاله نزلوا فى المراكب وساروا إلى بلاد المغلبيظ وهذا البلد اليوم بحكمك ودخل الملك كرفناس هو ورجاله وأصحابه إلى أن وصلوا الى قصر الملك ونزل فيه ودخلوا جميع أصحابه إلى البلد (قال الراوى) وأن كرفناس لما استقر به المكان قال لعقبة أيها الشيخ أريد البترك فطلبوه فلم يجدوه فأخبروه أنه رحل مع ارمانوس فقال أناكنت هددته وقلت له أن فتحت مدينة القسطنطونية لأضربن عنقك فقال عقبه دبر ما ترى فيه من الرأى فقال أما بعد أن تكون معى أريد بتر كاسواك وإن دخلت إلى بلاد الاسلام يكون شومدرس خليفتك ثم أن الملك قال لعقبة لابد أن أكتب إلى سائر الأقاليم أقصاها وأدناها بأن كل من كان فى طاعة أرمانوس يأتى إلى ومن لم يأتى إلى فأنا أرحل اليه واترك دياره بلاقع لأنى أريد السنة أدخل إلى بلاد المسلمين ثم أن كرفناس قال لعقبة شير علىَّ كيف أصنع بهؤلاء المسلمين فقال أيها الملك خفف منهم فضرب خمسة آلاف رقبة من بنى سليم ومن بنى نمير وأن الملك أحضر عمروا بن عبيد الله وأمر بضرب رقبته فقال عمرو أيها الملك وما ينفعك ضرب رقبتى فقال حتى تعطينى جميع ما معك من الأموال فقال أيها الملك وما عسى أن أعطيك وأنا

ههنا فقال الملك أريد منك عشرة آلاف كيس وفى كل كيس عشرة آلاف دينار فعلم عمرو أن كرفناس ماله عقل فقال له أيها الملك على كلما طلبت فقال كرفناس وأريد من أصحابك كل واحد مثلك ثم قال لعقبه وهو حاضر أريد أدخل إلى بلاد المسلمين فلا يعارضنى معارض فوحق المسيح لو لقيت من لقيت ما أبقى عليه ولو سألنى أخى هذا قسطه (قال الراوى) وكان له أخ يقال له قسطه وهو قائم على رأسه ثم رفع السيف لما قال ذلك الكلام وضربه طير رأسه فخاف كل من كان حاضر وخشى عقبه منه ومن قلة عقله فلما نظر كرفناس الى أخيه وهو مطروح أمر بدفنه وضرب على قبره عشرة آلاف رقبة من بنى نمير وبنى سليم وقال لعمرو طيب قلبك ففى غداة غد اصلبك على باب مدينة القسطنطونية أنت وجميع أصحابك معك فلما سمع عمرو ذلك قال طيب الله قلبك كما طيبت قلبى فقال الملك سلم الى المال الذى قلت لك وان لم تفعل حلقت دقنك ودقون أصحابك وان عقبة أحضر حجافا فى داره وتركه عنده ثم تقدم اليه وقلع الخرق التى كانت على رجليه وجعل يحمى المكاوى ويكوى بهما رجلى حجاف وحجاف يقول لا صحت وانى صابرا على التلاف ولما نظر عقبة الى ذلك تركه وخرج من عنده فقال حجاف والله لقد كانت رجلاى تضرب على الليل والنهار فلما كواهما عقبة بالمسمار فلم تعد تضرب على وان عقبة نظر فى تلك الليلة مناما وقائلا يقول له يا ملعون ويلك تعمل بولى من أولياء الله تعالى هذا العمل فلئن اعترضته لا يكونن وبالا عليك فانتبه من المنام وهو مرعوبا فدخل على الملك وقال أيها الملك أريد أن تصلب حجافا على باب البلد فانه أبغض الأشخاص الى فقال الملك إذا كان الأمر على ذلك ففى غداة غد اصلبه فعند ذلك دخل عقبة على حجاف وقال له ابشر ففى غداة غد يكون صلبك فلم يرد عليه جوابا ولا أبدأ خطابا قال مرحبا بلقاء الله وصبرا على قضائه وقدره وأمسى المساء وحجاف قد أيس من روحه وقد استفتح وقرأ سورة الانعام فلما فرغ من قراءتها وإذا هو بشخص قد دخل عليه وقال له ارفع رأسك فقد أتاك الفرج من عند صاحب الفرج ثم انه حمله وسار به إلى أن وصل الى باب البلد وأخفى زيه وفتح الباب وكان ذلك الشخص يقال له زحاف وهو أخو حجاف ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار (قال الراوى) وأما عقبة فانه حرض كرفناس على قتل باقى المسلمين فمنعته ميمونه من ذلك وقالت أيها الملك إن هؤلاء القوم يكونوا مقيمين بمدينة القسطنطوية واطرح عليهم الأموال فان أتوك بالأموال فاطلقهم فاستصوب الملك رأيها وأحضروا فى الحال عشرة من بنى سليم وقطعوا عليهم المال وهى ألف ألف دينار وعشرة آلاف رأس من الخيل وكتب بخطه ذلك وأخرج

عشرة رجال وساروا طالبين بلاد الاسلام فلما بعدوا دخل عقبة على حجاف ليصلبه كما وعده فلم يجده فصاح وجلبب وجمع الروم من حوله وبلغ الخبر الى الملك فأحضر عقبة بين يديه واستخبره عن حاله فحدثه بما كان من حجاف وانه قد عدم فأمر الملك بركوب الخيل وراءه فى الطريق فلم يقعوا له على أثر وكان ظن الروم كلهم ان البطال خلصه لانهم لا يعلمون من هو بهذه الصفة إلا هو (قال الراوى) وبلغ الخبر الى الأمير عبد الوهاب بأن مدينة القسطنطونية قد ملكها كرفناس فقال لأمه يا أماه هذه النوبة ما لنا فيها ناقة ولا جمل ولا بد للمعتصم ما يرسل الينا ويلعب بنا ويقول سيروا إلى بلاد الروم وإعملوا على خلاص عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والله لقد هانت علينا أنفسنا ولا سيما مع من لا يعرف لنا الجميل وكافؤنا بالقبيح فقالت الأميرة وعلى ماذا قد عولت فقال نرحل ونطلب بلاد الحجاز ونقيم عند أهالينا وبنى عمنا حتى نخلص مما نحن فيه فاننا نحن كل يوم فى الحبوس ونهدد بالقتل والبؤس فقالت الأميرة يا ولدى أنا بحكمك فافعل بنا ماشئت (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أمر بنى كلاب أن يأخذوا معهم أموالهم ورجالهم وبعولهم وأولادهم وعولوا على المسير وكذلك العبيد الانجاب فتعلق به الأمير عبد العزيز العلوى وقاله أيها الأمير الجليل أنت قد عولت على الرحيل وأنا بالويل والعويل من أجل العجوز العلوية التى قد انقطعت أخبارها عنى ولا سمعت لها خبرا ولا أدرى هل هى فى قيد الحياة أم لا وان كان يا مولاى ولابد من الرحيل فامضى واتركنى ههنا أتنسم الأخبار فلعلى أقع لها على خبر وأجتهد فى خلاصها فقالت له الأميرة سر يا ولدى بنا إلى الحجاز فلابد أن يظهر خبر أمك ان كانت فى قيد الحياة أسير الى خلاصها برجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما (يا سادة) فعندها سكن ما بعبد العزيز من الآلام عند سماعه من الأميرة هذا الكلام وسار باخوته مع الأمير عبد الوهاب طالبين الحجاز هذا وبنى سليم المحبين لعبد الوهاب قد تعلقوا بالأمير فلم يجبهم الى هذا ولا الى ذاك وسار بالظن والأهل الى أن دخل إلى أرض الحجاز ووصل الى ماء النظيم ورمال عالج وبير معاوية فوجد حلل بنى كلاب تموج بسكانها وترتج بقطانها فلما نظروا الى عساكر الأمير ركبوا والتقوهم وفرحوا بهم الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وعقروا العقائر ونحروا النحائر واترعت الجفان وأقام الناس فى الضيافة ثلاثة أيام وخلع الأمير على سادات قومه ووجوه عشيرته من الثياب الديباج الرومى وعلى الفقراء ثياب الخام والمقصور وأن الامير عبد العزيز العلوى طلب من الامير ستورا وقال أيها الامير انى أريد أن أمضى إلى مكة حرسها الله تعالى وأكون فيها مقيما إلى أن يسهل

الله ظهور خبر والدتى ويجمع الله تعالى بينى وبينها فأذن له فأخذ أخوته وسار إلى مكة وأقام بها أيام وكان لاينام إلا تحت أستار الكعبة فبينما هو ذات ليلة من الليالى قد غلب عليه السكرى إذ رأى كان طائرين أبيضين وأرجلهما حمر فقعد الواحد عند الركن اليمانى والآخر عند الركن الأيسر فلما استقر بهما الجلوس قال الواحد للآخر يا أخى ان هذا الشخص النائم شريف وقد فقد والدته وهو رجل شريف ووالدته أعز الخلق عليه فهل عندك منها علم فقال الطائر الآخر بكلام فصيح مثل كلام الآدميين اعلم يا أخى أن والدة هذا الشخص الذى خفيت عنهـــا الأخبار هى أسيرة فى بلاد الكفار وقد أنزلوها فى سرادب تحت الأرض وهى تعذب فيه بأنواع العذاب وهى على تلك الحالة وفى سنتنا هذه يولد لذلك الملك الذى هى عنده ولد يعيش سنه ثم يموت وتكون والدة هذا الشخص قد أخرجوها لتربية الولد فاذا مات يرجعوها إلى السرادب وتعود تخلص بعد مشقة عظيمة وأن لهذه العجوز صوتا فيخرق الصوت بلاد بعيدة حتى يسمعها أمير المؤمنين المعتصم أبو أسحاق فيسير إلى خلاصها بعساكر العرب والعجم تطبق الارض ويكون خلاصها على يديه بعد أن يهلك خلق كثير (قال الراوى) فانتبه الأمير عبد العزيز العلوى من منامه وقد فرح الفرح الشديد الذى والدته سالمة وبقيد الحياة وقص القصة والمنام على أخوته ثم نهض عبد العزيز إلى المعبرين وفسر عليهم المنام فقالوا له أيها الأمير أن هذا المنام مفسر صحيح ولا بد لها أن يظهر خبرها أينما كانت من بلاد الله تعالى ولا بد أن تستوفى الأحكام والقضاء والقدر لأجل الثواب العظيم من الله الكريم (قال الراوى) يا ساده وان عبد العزيز العلوى كتب كتاب إلى الأمير عبد الوهاب يقول له شرح المنام فوصل الكتاب إلى الأمير عبد الوهاب فقرأه وفهم معناه وفرح بذلك الفرح الشديد وكذلك أبو محمد البطال (قال الراوى) يا ساده وأقام الامير عبد العزيز بمكة أربعة أشهر فلما كان أوان الحج ورد إلى مكة أهل الدنيا ووصل الأمير عبد الوهاب معه طيبون وأبنة الملك كرفناس وحجت الناس والتقى الامير عبد الوهاب بالامير عبد العزيز العلوى وحجوا وساروا إلى أهاليهم وأقاموا عندهم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من العشرة الذين أطلقوا من بنى سليم وساروا فى طلب المال لم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطية فدخلوا اليها وتحدثوا مع بنى سليم فيما قد قطعوا عليهم من الاموال فقالوا من أين هذا المال كله وما فى الامر إلا أن تطلبوا العراق وتعلموا المعتصم فعند ذلك ساروا إلى أن وصلوا الى بغداد وأتوا الى بين يدى المعتصم وقد شقوا ثيابهم واستغاثوا اليه وأخبروه بما جرى على المسلمين

وكم قتل منهم فبكا المعتصم وقامت عليه القيامة ووعد بالمسير الى بلاد الروم (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من حجاف فانه لما أخذه أخيه زحاف فانه لم يزل سائر به الى قرية فنزل على ظاهرها ودخل القرية وسأل له جواد وأتاه به وأركبه وسار الى أن وصلوا الى ملطية فلما نظروه بنى سليم قامت عليهم القيامة من أجله وبكوا عليه وقالوا له أيها الامير لو أنك تسير هكذا الى بغداد وكلما عبرت على مدينة تجلبب فيها وتحرض الناس على الجهاد لعلهم ينفرون ويعملون على خلاص المسلمين فلما سمع حجاف ذلك من كلامهم سار هو وأخيه زحاف فما كانوا يمرون بمدينة الاويريهم رجليه ويقول معاشر المسلمين المؤمنين المتقين النفير النفير الملاعين لاجل خلاص أخوانكم المؤمنين ولم يزل كذلك الى أن وصل الى بغداد ووصل الى دار المعتصم واستأذن للدخول فأذن له فدخل وهو راكب الى السبع دهالىز الى أن قارب أمير المؤمنين المتعصم فحملته الخدام على أيديهم وأوصلوه الى المعتصم وطرحوه بين يديه فلما نظره بكا عليه وقال له من فعل بك هذه الفعال ياحجاف فقال وقد بكا بكاء شديد وأنشد يقول

ألا ياحماة الدين هل من غضنفر ... همام هضور بالحسام محاميا
لقد زال كهف العز والسادة التى ... لهم عادة يوم الحروب يدانيا
كذلك نمير قد تلحوا رجالهم ... وأصبحت الاطلال منهم خواليا
فلو نظرت عيناك عمرا مكبلا ... يضج ضجيج الثاكلات البواكيا
وكل جريح قد يضج بنكبة ... تجول عليه صافنات الاعاديا
ألا يا أمير المؤمنين فكن لهم ... حصينا كفيلا ناجزا ومراعيا
فذلك فرض للاله مؤكدا ... عليك وحكم الله فى الخلق ماضيا
وابن همام الدين حقا وليثهم ... ومن قد غدا كهف الانام وحاميا
وابن الذى قد كان يحمل صابرا ... اذا انقصفت أرماحها فى الاعاديا
فطير اليه الطيران كنت عارفا ... بأى بلاد الله أضحى وواديا
فما كان للاسلام يوما كمثله ... وذلهمة أم الامير الموافيا
لقد عطفت عن عمرها بعد مائة ... ثلاث وعسر كاملات بواديا
ولكنها فى موقف الحرب جلده ... فسبحان من قد خصها بالمعانيا
فلا تسمعن فيهم مقالة عقبة ... لعنة الإله فهو ما زال طاغيا
ألا انه قد رام صلبى عشية ... وفى الصبح قد كنا قطعنا الفيافيا
وكان أخى زحاف لله دره ... فتى سار بى خلف الرجال أنى بيا

ولا قطعت رجلاى الا بعقبة * لعنه إلاهى فهو فيما دهانيا
ولقدكنت قبل اليوم أحسبه صالحا * ولا أسمعن فيه مقالة واشيا
لقد لمت للبطال من أجل عقبة * وأبغضت فيه كل خل مصافيا
فعاقبنى من أجل ذاك وقبله * وماكان والرحمن ذاك جزائيا
ولكن وحق الله فيه محقق * ولست أبالى بعدها ما اعترانيا

(قال الراوى) ولما فرغ حجاف من شعره والكلام بكا كل من كان حاضر وكذلك المعتصم وقال لحجاف حدثنى الآن حديثك على جليته وقل لى من الذى فعل بك هذه الفعال فقال يا أمير المؤمنين أقسم قسما صادقا ان كان فعل بى هذه الفعال إلا الشيخ الملعون الذى أعمى الله بصيرته ونقل من دين الإسلام الى دين الضلال ولقد كنت يا أمير المؤمنين من جملة من يتصعب له وكنت أشاقق الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال بسببه وأقول هؤلاء يكذبون على الشيخ الصالح والعبد الناجح كيف يكون قاضى من قضاة المسلمين وإمام من أئمة الدين ويكون من جملة المطرودين والمشركين حتى نظرته بعينى وأمر بصلبى وكنت قد أضفته فى بعض السنين وبات عندى وسمعنى وأنا أقرأ القرآن وأسجد للرحمن وما كنت أدرى أنه من أهل الشرك والطغيان ومن جملة عبدة الصلبان وهو مطرود عن باب الرحمن فعندها قال له المعتصم وقد بهت اليه عمن عنى بذلك قال حجاف يا أمير المؤمنين إلى الآن ولم فهمت عمن أعنى وهل تقول لى تكذب بذلك أعنى به الشيخ عقبة فقال وأنت رأيته قال نعم يا أمير المؤمنين أنا رأيته بعينى وتحققته بقلبى ولذلك تكلمت فى حقه ولقد ذكر لى بنفسه ليلة أضفته وهو يقول لى ماكنت تقرأ وتصلى ليلة أضفتنى حتى حرقت كبدى وتفرقعت مرارتى منك ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع المعتصم ذلك قال ان هذا الرجل لا يقول إلا حقا وأنا أقسم قسما لأن وقع فى يدى لأقتلنه أشر قتله تكون وان حجاف ابتدأ وحدث المعتصم وقال يا أمير المؤمنين قتل من بنى سليم ثلاثون ألفا وأسر ستون ألفا وهم ما بين طريح وجريح وكل يوم يهددون بالقتل والذى يحرض على قتلهم اللعين عقبة فاطلب الأمير عبد الوهاب من أى أرض كان أشكو له ما نال المسلمين فانه كهف المسلمين وغياث الدنيا والدين فلا كانت دولة لايكون الأمير عبد الوهاب فيها فلما سمع المعتصم كلام الأمير حجاف قال وأين الأمير عبد الوهاب فأقسم لارجعت سمعت فيه قول حاسد وكلما فعل بى هذه الفعال عقبة فلما سمع مطرون ذلك قال يا أمير المؤمنين لاتسمع فى عقبة كلام فقال المعتصم امسك عليك فهذا بدرى صادق وبالحق ناطق ثم قال لحجاف أنا أكاتب البلاد جميعا

﴿قال الراوى﴾ وان المعتصم قد أرسل الطيور الى سائر الأماكن فما كانت الا أيام قلائل حتى تواترت الأخبار وأتت العساكر وقدمت الى العراق وهم عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وان المعتصم قال ياحجاف قد عولت على انى أبنى مدينة أذكر بها لأن هذه المدينة بغداد قد ضاقت بالناس ولكن إذا أتيت من هذه الغزاة أبنيها ان شاء الله تعالى ثم قال لحجاف أنت تكون مقيما فى بغداد حتى أجرى عليك الجرايحية فقال يامولاى بعد ان ذقت طعم الجهاد ما بقيت أستقر فى بلد من البلدان بل أسير فى صحبتك وأركب وأشد رجلاى تحت بطن الجواد وأقاتل حتى أقتل فلما سمع المعتصم ذلك من كلام حجاف قال هذا والله عبد قد وفق لطاعة الله تعالى ﴿قال الراوى﴾ وان المعتصم أمر الناس بالرحيل فرحلوا وقد أركبوا حجاف إلى جانب المعتصم وهو مشتمل بلامته فلما استقام على الجاده أنشد يقول

سيروا بنا معشر الاخوان واجتهدوا ✿ فى دينكم تسلموا من موقف العطب
وجاهدوا فى سبيل الله واجتهدوا ✿ وأبشروا بجنان الخلد والأرب
وخلصوا كل من أضحى بأسرهم ✿ وفى القيود بلا ذنب ولا سبب
والله لازلت أسعى فى رضاه ولا ✿ قصرت فى حربهم خوفا من العطب

(قال الراوى) فشكره المعتصم على قوله وساروا مجدين إلى أن وصلوا إلى نصيبين ثم إلى الأردين ثم إلى ميافارقين ثم إلى آمد ونزل عليها فاخرجوا اليه إلا قامات والعلوفات ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى ملطية فخرجن اليه نساء ملطية وشققن جيوبهن بين يدى المعتصم فطيب قلوبهن وقال ما دخلت الا لأجل رجالكن (قال الراوى) يا سادة وكان المعتصم كما ذكرنا لايرهب الرجال ولا يكترث من الأبطال ثم أنه سار الى أن وصل إلى الدروب ووصل الخبر إلى الملك كرفناس فلم يلتفت اليه فقال له أهل القسطنطونية أيها الملك ان ميخائيل ومنويل وأرمانوس ومن تقدم قبلهم من الملوك كانوا اذا أتى عسكر نحو بلادهم سدوا الدروب حتى لايصل اليهم أحد أيها الملك ان ميخائيل ومنويل وارمانوس ومن قبلهم من الملوك كانوا يحسبوا حسابهم فلما سمع كرفناس كلامهم قال ما أنا ممن يفزع من سطوة المسلمون ولامن بأسهم فقالت ميمونة أيها الملك لاتفعل وتطرح القوم حتى يصلوا الينا (قال الراوى) وان المعتصم سار الى أن أشرف على القسطنطونية وأرسل الى كرفناس يقول له ارسل لى من عندك من المسلمين وإلا وحق من فلق الحبة وبرأ النسمة وتجلى بالعظمة جعلتك كأمس كان فبان ومات وراح (قال الراوى) ياسادة وسار الرسول ومن معه من الرجال فلما مثلوا بين

يدية قال مابالكم وماتريدون فقصوا عليه القصة وهى رسالة المعتصم فانقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وحق الراهب سقراق الذى مامثله فى الآفاق ولافى الكذب ولا النفاق الذى له أربعين يوم مايغسل وجهه الا بالبصاق لاجعلن هذه الجموع متفرقة ولحومهم متمزقة ثم أمر بالرسل أن يعروهم من ثيابهم وأخرجوهم وساروا إلىأن وصلوا إلىالمعتصم وأخبروه بما قال ملك الروم والإيمان التى حلف بها فقال هذه الايمان يجب عليها الكفارة وان المعتصم ضرب فساطيطه وسرادقاتلهوخيامه (قال الراوى) وان عقبة قال لكرفناس ان أردت أن تكسرعزيمةالقوم وحدتهم فاخرج المسلمين الأسارى وأوقفهم فىمقابلتهم واضرب أعناقهم حتى يكون هيبة لك فى قلوبهم فقال هذا هو الصواب ولكن أيها الشيخ الصالح وماعسى أن يقدروا هؤلاء المسلمين يفعلون ومعى رماة بالسهام يحرمونهم أن يتقدموا شبرا فقال عقبة أيها الملك ان مع المسلمين أقواما يقال لهم الخوارزميه والخطا والترك والقفجق يرمون فيصيبون الحدق وأما العجم فيكفون الحدق والزرد مع الحلق فقالت ميمونه أيها الملك لاتهمل أمر المسلمين فما تعلم من أشرف عليك أيها فقال كرفناس وحق المسيح انكم تخوفونى من هذا الملك الذى للمسلمين أمرا عظيما ووحق دينى اننى أقدر وحدى أحمل على هذه العسكر كلها فقال عقبة لميمونه ماأظن أن أحد يقدر على مايقدر عليه هذا الملك لقوة القلب والشجاعة فقالت ميمونه ياأبونا هذا الملك له عزيمة مارأيتها قط فى ملك وان فيه من الشجاعة شىء عظيم وهوقوى القلب شديد الميل يحرمنى أنام الليل وهو يصلح لمثلى ويشاكل شكله لشكلى فعلم عقبة أن ميمونه تحرض حتى لايخرج المسلمين جميعهم هذا وقد تزيا عقبة بزى بترك وأخفى نفسه وقد أخرجهم للمسلمين عشرة صفوف وفى أعناقهم الحبال فقال كرفناش إذا رأيتمونى وقد بدرت بأميرهم وضربته بالسيف فافعلوا بهم كذلك (قال الراوى) وان المعتصم نظر الى المسلمين فخشى عليهم أن يقتلوا وحملت عساكر الروم هذا وقد نشروا على رأس المعتصم الأعلام فعندها كثر الرجال فى الزحام وثبت الرجال لضرب الحسام وهز الصارم الصمصام وزلت الأقدام وقل الكلام وحمى الفارس الهمام وأخذ الموت فى احتدام وشاب رأس الغلام من فرع ذلك المقام وهزت العرب من الصوارم رقاقها وأرهجت الأرض بأشراقها من امتشاقها وزعقت الروم بأرعادها وأبراقها وعليهم الدروع المجلية وفوقها الديباج الرومية مثل الأنهار تدهش الأبصار وتحاكى لون النهار (قال الراوى)ولم يزل السيف يعمل فى الجماجم الى أن أمسى المساء واختلط الظلام فلما استقر بهم النزول فى الخيام قال المعتصم لأصحابه ايش لقيتم فى يومكم هذا من هؤلاء القوم فقالوا ياأمير المؤمنين هؤلاء الروم بخلاف الذين كانوا مع

أرمانوس ومالقينا قط أشجع منهم ولو كان طال عليهم النهار كانوا قد فتكوا فينا فقال مطرون للمعتصم اعلم ياأمير المؤمنين ان هؤلاء ماهم مثل روم القسطنطونية وكل واحد منهم يريدمن أصحابنا وأصحاب أرمانوس جماعة والصواب عندى نترك الظلام حتى ينسدل ونرحل ونطلب ملطية ونكاتب سائر الأقاليم حتى تقدم العسكر اليك من كل جانب ثم تعود إلى هؤلاء الملاعين فاستصوب المعتصم رأيه وعول على الرحيل فقال له حجاف ياأمير المؤمنين لاتقبل من هذا المرتد الذى كان سبب الوقوع بينك وبين الأمير عبد الوهاب بالشر والعناد الذى ماللاسلام مثله فهو كهف المسلمين وغياث الدنيا والدين وماتفلح دوله لايكون عبد الوهاب فيها فقال المعتصم والله ياحجاف لقد أشرت بالصواب وقال وبالله أقسم لئن عاد عبد الوهاب الى طاعتى لاسمعت فيه قول عدو ولو أراد تلافى (قال) وبات الناس إلى أن أصبح الله بالصباح فركبت العسكران وتقابل الجيشان ونظروا عساكر الروم قد تمخضت وخرج منها فارس على جواد براق كثير السباق بقوائم رقاق مليح الأحداق صنعة الملك الخلاق له انقضاض كانقضاض الكواكب بشعر طويل الذوائب مثل شعور الكواعب صاحبه على حصن راكب الرياح فى قوائمه والضياء فى دعائمه والجنوب فى شكائمه وهو منية من طلب وغرض من ركب فهو كما قيل فيه

سبقت الرياح لما كان تحتى * حصان لا يقاس به حصان
قوائمه الرياح اذا تبدت * رأيت البرق فى كفى عيان
يضيق الأرض يوم يروم جريا * له لون كلون الارجوان

(قال الراوى) وفى كف الفارس سيف ثقيل قاطع للاعمار ورمح طويل عليه سنان كانه لسان ثعبان فلما نظرت الفرسان الى ذلك الفارس عظموه لأنه انتصب فى سرجه وجر قنطارية من وراء ظهره واشتهر بين الفريقين ونادى معاشر المسلمين من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا ميمونة بنت الدمدمان زوجة الملك كرفناس هل من مبارز هل من مناجز فما استتم كلامها حتى عول حجاف على برازها فقال له المعتصم أيها الأمير المجاهد لاتفعل ولا تخرج الى هذه الكافرة أنت رجل مجاهد زمن فقال ياأمير المؤمنين لابد من برازى اليها فمنعه من ذلك واذا بفارس قد برز وقفز اليها وهو على حصان خفيف الطيران أشقر اللون مليح الكون بصاص الشعرة سائل الغرة راكبه آمن من العدى ويملك به الطير فى الهوى كما قال فيه القائل

وسابق الطرف بطوق أشقر * محجل يعرف بالمضمر

يسابق الريح فلا يسبقه * لأنه يسبق لمح البصر

(قال الراوى) وعليه درع مقصب مذهب وفى صدره مرآة جوهر ينبو عنها الصارم الذكر يأخذ بالبصر وقد أخرج يده من جلباب درعه وفى كفه صارم ذكرلو ضرب به جبل لطير منه الحجر كما قال الشاعر

يمشى به الذكر فى كل معترك * من فوقه ذكر فى كفه ذكر
لو حط صارمه فى رأس شاهقه * لقدها ثم لانت تحته الحجر

(قال الراوى) وان الفارس تطاولت نحوه الاعناق وشخصت اليه الاحداق وتأملوه واذا به قحطان صاحب البارعية الذى كان الأمير عبد الوهاب قد أعطاه آمد فحمل على ميمونة وحملت عليه حتى تقطعت الدرق من السيوف ونقطت الخيل من العرق وكانوا مثل الأسود وثار عليهم الغبار وغابا عن الأبصار وأقاما كذلك ساعة من النهار حتى كل قحطان ومل وكانت ميمونة أثبت منه جنان وأصبر جولان لانها قد ألفت القتال وصاحت فى قحطان وضايقته ولا صقته وانقضت عليه وأخذته أسير وسلمته الى أصحابها وعادت الى مقامها الى أن قتلت عشر فوارس فلم يجد الأمير حجاف صبرا دون ان قال لأخيه زحاف يشد رجلاه الى تحت بطن الجواد ففعل ذلك ثم حمل على ميمونة فلما نظرته ردت رأس جوادها وعادت الى عبقة والى ناحية عسكر الروم فحرك نحوها عقبة وقال لها أيتها الملكة ما بالك فقالت يا قاضى هذا حجاف الذى رأيت من أجله فى المنام ما رأيت لما قطعت رجليه وقيل لى أقتلت حجاف كان هلاكك عاجلا فلما نظرته اليوم عدت عنه لايكون قتلته على يدى ويكون هلاكى من ذلك فكشر عقبة عن انيابه وضحك الى أن بدت أنيابه وسال لعابه وقال أرجعى الى هذا الكلب وان قدرتى على قتله اقتليه وان قدرتى على أخذه نخذيه وخاطرى معك فما تبالى بأحد أبدا فلما سمعت منه ذلك قوى قلبها بان خاطر عقبة معها وبركانه عليها فلم ترى أحسن من قتاله ولا أعجب من فعاله ولم يزالا فى القتال الى أن كلت سواعدها من الضرب ثم تقابضا على السروج وعقلت ميمونة بحجاب ومسكت أزياقه وأرادت قلعه فلم تقدر تأخذه من قوته والثانى لأنه مشدود الى الجواد فحرك حجاف سيفه وقبض عليها فاقتلعها من سرجها فصاحت الروم وأمرهم كرفناس بالحمله فحملت عساكر المسلمين هذا وحجاف قد خرج بميمونة أسرع من البرق من المصاف أسيره ذليله حقيرة وأتى بها الى خيمته وسلمها الى غلمانه وعاد الى القتال سريع فلله دره لقد قاتل فى ذلك اليوم قتالا أذهل به الفريقين الى أن أمسى المساء ونزل المعتصم فى سرادقه وأقبلت اليه أرباب

دولته فقال أمير المؤمنين على بامير حجاف فاعتنقه وضمه إلى صدره وخلع عليه وأمر باحضار الملعونة المفتونة ميمونه فأحضرت بين يديه فقال لها المعتصم يانحسه يا أخس من جلد خنزير كيف تركتى دين الإيمان وحلى لكى دين الكفار أهل الضلال وبدلق دين الإيمان بدين الصلبان فقالت قل ما شئت فان ميمونه ماترجع عن دين المسيح فقال لها المعتصم كيف رأيتى صنع الله بكى وقد أسرك هذا الشيخ الزمن الضعيف العاجز فقالت ما أسرنى الا بكلام تكلمه وحرك سيفه وشفتيه فما أحسيت بنفسى الا وانسان رفعنى وحملنى اليه فقال المعتصم هذه علامة الإيمان فقالت يا أمير المأمنين أنتم تقولون انه اذا دعى الكافر استجيب منه حتى يزداد كفره فلما سمع المعتصم ذلك من كلامها رفصها برجله كان أن يقضى عليها وقال شيلوها من عندى والا قتلتها ويقتل بها ستون ألف مسلم من بنى سليم فشالوها من بين يديه وان كرفناس قال لعقبة وحق المسيح ان ميمونة ما أرادت قتال الزمن ولكن أنت غصبتها على الخروج اليه وأنا وحق الرهبان الذين ألفوا السياحة وطلبوا عند المسيح الراحة لأحلقن دقنك ولا قطعن أذنك ومن سأل فيك لأفعلن به مثلك فلا يجسر أحدا أن يكلمه فحلقوا دقنه وقطع أذنيه وأمر به أن يدخل إلى القسطنطينية فدخل وهو يقول وحق المسيح أن خدمة هذاالرجل مخاطرة (قال الراوى) وأصبح الصباح وفى قلب كرفناس من أسر ميمونة نازلا تطفى (ياسادة) وكان هو أول من فتح فى ذلك اليوم البراز فجال بين الصفين واشهر بين الفريقين ونادى أنا كرفناس فلا يبرز لى الذى أسر ميمونة بالأمس (قال الراوى) فلما سمع حجاف كلامه عول على الخروج اليه فلم يمكنه المعتصم من ذلك وخرج اليه فارس فقتله وثانى فجندله إلى أن قتل اثنى عشر فارس فلما نظر حجاف إلى ذلك لم يتمالك دون أن قفز بجواده فصار مع كرفناس فى حومة الميدان وجالا فى معترك الجولان وتضاربا بالسيفين على ظهر الجوادين وتطاعنا بالرمحين حتى تكسرت وعجبت منهما الفريقين (قال الراوى) ولم يزالا فى القتال الشديد إلى أن تعبا وانبهر وأن الملعون كرفناس رمى نفسه على حجاف وعلق به وهزه فلعبت قوائم الجواد ولم يقدر على أخذ حجاف من الشد الذى فى رجليه الى تحت بطن الحصان فجعل يقلعه ويشيله مرارا عدة فما يقدر على ذلك ولا بلغ من أخذه مراد فلما نظر كرفناس إلى قوة الشد الذى مربوط فى بطن الفرس وثب من على ظهر جواده فحصل مع حجاف على ظهر جواده وهمز وطلب عسكره ومسك بيديه على حجاف فوقعت بهم الزعقات وأخذتهم الصيحات ولم يزل به إلى أن حصل إلى عسكره وحلت الروم شد رجليه من عن بطن الفرس وأخذوا حجاف أسير فحملوا

وأمر المعتصم بالحملة ليخلصوا احجاف وحملت عساكر الروم وجردت القواضب وارتفع الصياح ودامت المصائب وقاتلوا المسلمين القتال الشديد وكان يوم يشيب لهوله الفطيم وهب عليهم الموت تنسيم وصارت الرجال رميم وبان وباس الفارس الكريم من الجبان اللئيم وذاقوا من السيوف العذاب الاليم وكان السنان للارواح كليم والصارم للجماجم خصيم وأصبح الواحد عديم فيالها وقعة فاقت على الوقائع عملت فيها السيوف القواطع ولم يبقى لاشافع ولا ناصر وضاق على الناس القفر الواسع وقطعت الدروع الموانع وأصبحت الدنيا من الأمم خالية وكان القادر جازع وارتفع النقع واشتد النيل من الجولان وملت ورجعت الرجال عن الجولان والاخوان (قال الراوى) هذا ولم يزل الصارم يعمل فى رقاب الرجال إلى أن أمسى المساء واختلط الظلام وافترقت الناس عن بعض والمعتصم قد اشتغل قلبه على حجاف (ياسادة) وأن كرفناس أمر بحجاف فأحضر بين يديه وقال لأصحابه اضربوا رقبته فقالوا أيها الملك لا تفعل ذلك فانهم يقتلون لأجله ميمونة ولكن اتركه فعادوا به إلى غداة غد فقال لقد صدقتم فاحتفظوا عليه إلى غد فهم قد عولوا على ذلك وإذا بالقاضى عقبة قد خرج من القسطنطينية وشومدرس يقول له لا تضيق صدرك من أجل حلق دقنك فان أكابر الافرنج محلقين الدقون وما نرى حلق اللحمية عار إلا عند المسلمين فقال عقبة أنا ما أؤاخذك الملك وكان حجاس قد شالوه من بين يدى الملك فدخل عقبه عليه فلما نظره كرفناس خجل منه فقال عقبه أيها الملك أنت فى حل مما صنعت فسلم الى حجاف لاشتفى منه لأنه كان السبب فى حلق دقنى وقطع آذانى ولولاه لما أسرت الملكة ميمونة ولا جرى ما جرى فقال الملك إذا أردت فى غداة أخرجه إلى بين الصفين وأضرب عنقه ولكن من سبب ميمونة لا أقتله فقال أيها الملك أقتل أنت هذا وأنا أفادى ميمونة ببعض أسارى المسلمين الذين فى القسطنطينية فلما سمع الملك ذلك قال فى غد أقتله (قال الراوى) هذا جرى وأما زحاف فانه دخل إلى عسكر الروم وقصد إلى الخيمة التى فيها أخيه حجاف فوجد اثنين موكلين به فتركهما زحاف فوجده بلا قيد لأنه مقطوع الرجلين فأخذه وخرج وهو يقول ياقوم من رأى لنا فرسا أدهم قد شرد وقطع حبله من الطوالة هذا وقد شد لحجاف فرسا وأركبه وسار به إلى أن خرج من الخيام ووصل إلى سرادق المعتصم فلما أحسوا به قالوا من أنت قال أنا زحاف وقد أتيت بأخى حجاف فأعلموا المعتصم ففرح فرحا شديد وهناه بالسلامة ورجع إلى خيمته (قال الراوى) وأن عقبة أقام إلى أن أصبح الصباح وقال لشومدرس قم بنا إلى الملك كرفناس نطلب منه صلب هذا الكلب حجاف فساروا إلى أن وقفوا بين يديه وقال أيها الملك

وعدك بصلب حجاف فعندها أمر الملك باحضاره فساروا البطارقة إلى أن وصلوا إلى الخيمة فوجدوا الموكلين مذبوحون ولم يجدوا حجاف فعادوا إلى الملك فأخبروه وقالوا أيها الملك ما لحجاف خبر وما نقول أخذه إلا أخيه الشيطان المريد وهو الذى أخذه من القسطنطينية فقال الملك على بالموكلين به حتى أضرب أعناقهم فقالوا أيها الملك ما تحتاج فقد ذبحهما قبل أن تأمر بقتلهما (قال الراوى) فقال قتلا فقالوا نعم قال وحق المسيح لآخذن بثارهما خلق كثير وأن الملك ركب وعبأ دساكره وصف عساكره وجعل الحرابه فى القلب فكانوا ثلاثون ألف حراب وكان عليهم مقدم يقال له قسطوف إذا التق العسكران أن يضربوا بالحراب وكانوا يا سادة هؤلاء الحرابه يقاتلون بالحراب المسقيه وهى من البولاد وعرض كل واحدة شبر (قال الراوى) وتقاتل الجمعان واختلط الجيشان وطلع الغبار إلى العنان وتقصفت الرماح من كثرة الطعان وتثلمت السيوف من وقعها فى نواعم الابدان وحامت عليهم العقبان تروم عيون القتلى فى قاع الصحصحان وتعلقت الرجال باللحياء وامتلات البطاح من دم القتلى واحتجبت لكثرة الغبار السماء وجرت سواقى الدماء وضربت الاعناق وقامت الدنيا على قدم وساق وعملت الصوارم الرقاق والحراب الرشاق (قال الراوى) يا سادة ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل ساعة من النهار إذا التق المعتصم بكرفناس وهو يكر على الناس فاقتتل هو وإياه ساعة النهار زمانية ونظر المعتصم إلى كرفناس فشهد له بالشجاعة والبأس وقال أين عبد الوهاب فى هذا الوقت لهذا الكافر الكذاب وحال الروم بين المعتصم وكرفناس ولم يزل القتال يعمل بين الطائفتين الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترقت الناس وعاد المعتصم الى خيامه ونزل وكان حجاف قد قاتل فى ذلك اليوم قتالا أذهل به العسكران والفريقان (قال الراوى) وان حجاف تقدم الى المعتصم وقال يا أمير المؤمنين ان كان فى غداة غد أطير الطيور إلى بغداد وأمرهم أن يطيروا الطيور إلى مكة وأرض الحجاز ويعلموا الأمير عبد الوهاب لعله يجىء الينا ويكشف هذه الغمة عنا فقال يا حجاف فما أظن عبد الوهاب يلوى علينا ولا يأتى الينا أبدا ولقد وددت انى أخرج من ملكى ويجمع الله بينى وبينه (قال الراوى) فلما سمع حجاف ذلك قال يا أمير المؤمنين وحق آبائك الطاهرين لو علم عبد الوهاب بهذا الذى نحن فيه لما وسعه العقود ولا سيما الأميرة ذات الهمة المجاهدة (قال الراوى) وان المعتصم بات ليلته إلى أن أصبح الصباح وركب وركبت الروم وقاتلوا ذلك النهار قتالا شديد أعظم من الأول وافترقوا وقد تعبوا من القتال وملوا من النزال وأقاموا ينتظرون من يفتح باب الحرب وكان أول من بدر إلى

الحرب الأمير حجاف النميرى فبرز إليه فارس من الروم فقتله وثانى جندله ولم يزل يقتل فارسا بعد فارس إلى أن قتل من القوم خمسة وعشرين فارس فلما نظر الملعون عقبة إلى ذلك قال أيها الملك أنا لحجاف ثم حمل عليه وقال ويلك يا حجاف جاءك الموت من كف من لا يخاف فصاح به حجاف وقال ويلك يا كرفناس يا كناس يا مرفوس برجل حمار لا قطعن منك الأنفاس يا خناس يا وسواس وآخذ منك الرأس ولا ترجع تذكر بين الناس يا منجوس الناحية والراس وحملا على بعضهما بعض وحجاف يقول ويلك لا تظن هذه مثل الأولى ولم يزالا فى القتال إلى أن أمسى المساء وأراد حجاف أن يسير الى عسكر المسلمين اذ وقعت رجـــل جواد حجاف فى حفرة من الأرض فغاصت إلى أبطه فسمع كرفناس حس وقعة الجواد فعاد كرفناس أسرع من البرق وتعلق بحجاف وصاح بالبطارقة فوصلوا إليه وقطعوا شد رجليه من تحت الجواد وحملت المسلمين يرومون خلاص حجاف فوجدوا ضربا يقد وطعنا يهد والتقى المعتصم بكرفناس وصار لهم حرب يشيب له الولدان ويذل منه العسكران وعجب من قتالهما الانس والجان وتضاربا بالسيف وتقاطعاو تطاعنا بالرمحين على ظهر الجوادين ولم يزالا فى القتال والنزال إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام وافترقا عن سلامة وعادت كل طائفة إلى مقامها (قال الراوى) وان عقبة الملعون تقدم الى الملك كرفناس وقال له لا تترك هـذا الكلب فلابد لى من صلبه فقال كرفناس يا أبونا معهم ميمونة وأريد فى غداة غد أفادى بهـا حجاف فقال عقبة لا تطلب خلاص إلا منى فاصلب أنت هـذا الكلب حتى أشتفى منه فعندها أمر كرفناس بالخشبات تنصب فنصبت وأخذوا حجاف فشدوه على الخشبة بوسطه وقال إذا كان فى غداة غد أمرت الزجال أن يرموه بالسهام (قال الراوى) ووصلوا به بعض البطارقة وأن المعتصم قال لا صحابه فى غداة غد أخرج هذه ميمونة الملعونة وأضرب عنقها فان اشترت نفسها منى بحجاف بعتها وإلا قتلتها فقال المســلمين نعم الرأى (قال الراوى) فتقدم جوهر إلى المعتصم وقال يا أمـير المؤمنين بالله عليك ان عاد الأمير عبـد الوهاب الى خدمتك لا ترجع تسمع فيـه قول مفسد ولا قول عقبة فما يريد عقبة لهذه الدولة خيرا فقال الخليفة أرنى عبد الوهاب حتى أحلف له اننى لا أعود أنوى له ســـوء قط (قال) ففرح جوهر وقال يا أمـــير المؤمنين لقد بات فى قلبى أمر عظيم وأما زحاف فانهم صلبوه فما وجدوه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك انه لما اختلط الظلام قصد نحو عسكر الروم ووصل إلى الموكلين بأخيه وكان قد دار حول القتلى ولبس بعض أثوابهم فنظر أخاه مصلوب والقوم يشربون الخمر فأقام واحد منهم يريق الماء وأبعد عنهم

فوثب اليه زحاف وترك يده فى حلقه وعصر عليه حتى فارقت روحه الخبيثة بدنه وخلع ثيابه ولبسها وعاد إلى موضع البطريق واتكأ على القوم يسقيهم وحط عليهم حتى تركهم صرعى فعند ذلك وثب وتعلق بالخشبة وأنزل أخاه حجاف ثم وثب إلى الموكلين ليذبحهم فقال حجاف يا أخاه خذنى وأخرج من الخيام ولا تستعجل على الموكلين ودعهم فما بينك وبينهم الا حتى يصبح الصباح ويطلبونى فما يرونى فيضرب الملك كرفناس أعناقهم وما نحتاج أن تتعب أنت فى ذلك فعندها تقدم زحاف إلى بعض الطوائل وحل منها فرس وأركب أخاه عليها وشد رجليه وقال يا أخى امضى أنت إلى عسكر المسلمين فانى قد خطر لى عمل أعمله وأذكر به فسار حجاف إلى أن خرج من الخيام وأما زحاف فانه قصد إلى خيمة الملك كرفناس ليأخذه ويتركه عوض أخيه حجاف وكان للملك كرفنا ف أب شيخ كبير اسمه جرفناس الا أنه يبصر ويسمع وقد نقصت قوته وكان قد رأى مناما كان المسيح يقول له أخرج إلى بلاد الاسلام وزور القيامة وإذا فتح ولدك البلاد اجعل مقامك فى بغداد فخرج مع ابنه على هذه النية وهذا الوجه فلما كانت تلك الليلة دخل عليه زحاف وما كان عنده الا فرد جارية صغيرة فذبحها زحاف وبرك على صدره وألقمه الاكرة وأدار كتافه وحمله إلى عند الخشبة وعلقه عليها وغطى وجهه بكساء ولف رجليه حتى لايعرف فلما ان كان الصباح وأتى الملعون عقبة وشومدرس إلى عند الخشبة بزعمهم ان حجاف عليها ليأمروا الروم ان يرشقوه كلهم بالسهام فوجدوا الملك كرفناس وقد أتى إلى المصلوب وهو مغطى بكساء فما خطر له خاطر من ذلك الأمر هذا والروم قد دقوا الطبول وعطعطوا فقال المعتصم ماهذا فأخبروه الجواسيس انهم صلبوا حجاف النميرى فبكى عليه الخليفة هذا وان الملك كرفناس قد وصف الرماة وأمرهم فرشقوا رشقة واحدة لأبيه وتقدم هو أيضا فزرق بحربة فى صدره أطلعها من ظهره ثم أمر بانزاله فأنزلوه فلما كشفوا عن وجهه فاذا هو أبيه فصاح صيحة جعل كل من كان فى ذلك الموضع ذهيل وأخذ الموكلين وضرب رقابهم وشق عند ذلك أثوابه وعلا بكاءه وقال على بجميع الملوك فجعل يحضر واحد بعد واحد حنقا وقال معلوم أن أبى ما يموت فى بلاد غريبة جزافا ومعلوم أنه سرق وعلق من بينكم كلكم ووحق المسيح لابد أن أحلق عليه لحاء وجوه البطارقة ولحاء سائر القسوس ولا يبقى أحد إلا ويشق ثوبه وإلا ضربت رقابكم فعلموا أن الملك مجنون وقد احترق قلبه بموت أبيه فنظروا ان حلق اللحاء أهون من ضرب الرقبة فقالوا كلنا حزانا عليه ونحن نفعل هذا من غير أن يقال لنا فحلق فى ساعة واحدة عشرة آلاف دقن وفى ذلك اليوم حلقت سائر دقون الكفرة اللئام وكذلك

فعل بكل قس ومطران وبدأ بشومدرس وأما عقبة فانه قال أنا جرى على القلم من قبل هذه الأمم حتى تنبت دقنى ألف فرج ولم يقع ذلك اليوم حرب ورؤيت القسوس مهتكين والبكاء قد ارتفع وهلبت الخيل ودفن بتلك الأرض جرفناس أبى كرفناس (قال الراوى) هذا والمعتصم قد نزل ونزلت الناس وهو متحير فى أمرهم ولا يعلم ما شأنهم حتى وصل اليه الجواسيس فقال أخبرونى ما شأن الروم وما الذى أصابهم فهل بانت لهم آية وأظهر لهم كرامة من ذلك الرجل الولى حجاف فقالوا لا والله بل ضربوه كما رأيت بالسهام وفرحوا بأنهم قد سقوه كاس الحمام فعولوا على انهم يقطعوا رأسه ويرموا بها الينا حتى تعرفوا انه صاحبنا فتشتغلوا بذلك ويشغلوا قلوبكم ويكون هذا لكم فأرمى الله كيدهم فى نحرهم فجاء بخلاف ماكانوا أضمروا لأنهم لما أنزلوه من على الخشبة وكشفوا وجهه وجدوه الملك جرفناس أبى كرفناس وحجاف ما وجدوا له خبر ولا عرفوا له أثر فقال المعتصم لا إله إلا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قدرة الله تعالى ولو كان زحاف سرقه كان قد وصل الينا به وقدرنا أنه سرقه من على الخشبة وايش الذى رفع جرفناس ولبسه حلة حجاف على جسده ولقد كنت أشتهى أعلم خبر جحاف على الحقيقة حتى لا يبقى فى قلبى حسرة (قال الراوى) ياسادة فهو يقول كذلك وإذا بزحاف قد أقبل وقبل الأرض وقال يامولاى حاشاك من الحسرة ها أنا زحاف وها أخى حجاف وقد من الله عليه بالخلاص (قال الراوى) ياسادة فأمر المعتصم بدق الكوسات وضرب البوقات لشدة فرحه وكان ذلك فى مقابلة حزن المشركين ولم يركب كرفناس لأنه لزم الحزن على أبيه وأقبل الخليفة على زحاف وقال له حدثنى بالذى صنعته من أوله إلى آخره فقال يا أمير المؤمنين حديثى عجيب ثم حدثه بجميع ما جرى له فضحك المعتصم وقال هذا البطال الثانى بارك الله فيك وبلغك أمانيك فقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل بخلاص أخيك وهلاك هذا الملعون جرفناس حتى اشتغل الروم عن قتالنا لأننا كنا معهم فى جهد جهيدوا كثر الناس مجرحين وقد ضرب الملك كرفناس مائة رقبة وهم الموكلون بالخشبة فقال زحاف ياأمير المؤمنين وحق آبائك الطاهرين لولا أننى أردت أفجع الملك كرفناس بأبيه ما كنت جئتك البارحة الا بعقبه وكنت تصلبه لانه معهم وهو الذى كان البارحة يحث الملك على صلب أخى حجاف وان أردت يا أمير المؤمنين جئتك به الساعة فقال مطرون ويلك يازحاف أشكر الله الذى خلصك والى أخيك أوصلك ونجاك من العطب فلا تتكلم بهذا الكلام فى قاضى قضاة الإسلام ورجل صالح من أئمة الدين لاجل هذه الشدة التى وقع الناس فيها وهى ما تدوم وان الله تعالى ما عوده الا بالنصر على الاعداء

والفرج عند الحرج ولعمرى أن عبد الوهاب وبنى كلاب أقيال شجعان لكنهم لايفعلون ذلك خالصا لله تعالى ولو كان خالصا لله تعالى ما كان يريدون أن يقتلوا امام عصرهم وخليفة زمانهم ولكن يريدون أن يكون لهم بذلك الملك والسلطنة عند الناس حتى يقال ما مثل الأمير عبد الوهاب أو يكون أو شبهت القاضى عقبه ببعض القسوس والرهبان والناس يتشابهون فى أكثر الأوقات فارجع إلى الله تعالى من قريب فصاح فيه الأمير حجاف أسكت يا مطرون خزاك الله فوالله ما هذه الأنفاس كافر ومعطل فوالله أن عقبة عندهم مثل ما أنت عند أمير المؤمنين مبجل وأما قولك عن عبد الوهاب فهو كذب وَمحال حتى أصبح أمير المؤمنين لايدرى ما كان منه وقد حمل همه وهم عشيرته لأنه مسئول عن رعيته وأما عقبة فسوف يذهب أخى زحاف الليلة فى طلبه وننظر هذا الكافر ومن خانه نظره ووقع الشك عليه فقال الخليفة والله ان كان عقبة ههنا كما تقولون فو الله ما البطال وعبد الوهاب الا صادقين فى جميع ما يقولون فيه فبادر إلى ما ذكرت حتى ترى ما يسرك من هلاكه وأنا أول من يبادر إلى ذلك فقال سمعا وطاعة وصبر إلى أن أظلم الظلام واختلط القتام ومضى زحاف إلى عسكر الروم وكانوا لزموا البكاء النواح هكذا ثلاثة أيام وفى الليلة الرابعه ضرب البوق ليعلم الناس أن الحرب فى غداة غد فأخذوا أهبتهم وعلم المسلمين بذلك فأخذوا أيضا أهبتهم وأما زحاف فانه أقام فى عسكر الروم ثلاثة أيام كيما ينظر عقبة فلم يراه فسأل عنه بعض البطارقة فقال مالى لا أرى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فى العسكر فقال له اعلم أنه أخذ شومدرش ودخل إلى القسطنطينية وقال ما أصابنا هذا كله إلا من زحاف وأنا أعرف الناس به ومن قد فعل فى عسكر الملك هذه الفعال فما هو الا أيشم من البطال ولا نأمن على أنفسنا فانه إذا لم يقدر أن يسرقنا فنخاف أن يذبحنا ولاعيش لخائف ولا قدر أطلب بنا البلد إلى أن يكسر الملك كرفناس هذا العسكر وتنفضل نوبتهم فقال له شومدرس هذا وحق المسيح هو الصواب الذى لايعرفه الا أولوا الألباب لأن من أخذ واحد من بين مائة ألف أو وأكثر وصلب الآخر ما يعسر عليه أن يأخذنى ويأخذك وقد مضى إلى القسطنطينية وأخذ شومدرس معه وهما الآن هناك فقال زحاف هذا الذى أريد ويكون الأمر ان شاء الله تعالى قد سهل ثم أنه سار يريد القسطنطينية حتى وافاها آخر النهار ودخل اليها وقصد البيعه فى جملة الروم والبطارقه والرهبان وفيها عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى فاختلط بينهم وسألهم عن البترك الكبير فقالوا له هو فى بيت المذبح يعنى عن عقبة فقصد اليه فاذا هو وشومدرس يتحدثان حديث العساكر وما جرى بينهما (قال الراوى)

ولما أصبح الصباح فى اليوم الرابع على كرفناس ركب وقد تظاهر بالسواد وقد حلف لابد له أن يضرب على قبر أبيه عشرة آلاف رقبة من المسلمين وركبت الروم على الصافنات وجردت الصفاح وركب الخليفة (يا سادة يا كرام) وحمل الناس بعضهم على بعض من غير مبارزة ولا نزال بل صدام وقتال والتحمت الكماة بكماتها وأرتجت الأرض بقعقعة أصواتها واسودت الاقطار من جنباتهـا ودارت عليهم طاحون الحرب بآفاتها وعملت الصوارم فى أعناق ليوثها وكماتها وأيست من انفلاتها وتمايلت الفوارس على ظهور صافناتها ولبست الأرض حلة من الارجوان من دماء الفرسان والاقران وضاق بهم السهل عند عدم الراحة وحار الصغير وتحير الكبير وضرب بوق النفير فهذا قتيل وهذا عفير وهذا جريح وهذا أسير وجرت عليهم أحكام المقادير باذن الملك الجليل وأتاهم الأمر لم يكن له مرد ولا مدفع وفتك كرفناس فى الناس واندقت عرب الشام والجزيرة وصبرت الاكراد وفرت اللئام وزاد الزحام وصبرت المؤمنين فى مكانها إلى الى الليل وانكشف جانب عسكر المعتصم وقد كلت الخيل لما نزل قال لعن أولئك العرب الذين أنهزموا من أول وهله لأنهم عملوا على هلاك الناس لولا الاكراد ثبتوا حتى انهزمت العساكر وكان السيف يعمل فينا إلى أبواب ملطية وان موتنا ههنـا كرام أحب الينا أن نعود على تلك الغصه (يا سادة كرام) ولقد قاتل أمير المؤمنين قتالا تحير فيه الأبطال من العرب والعجم والترك والديلم ولولا أنه فعل ذلك الفعل ماكانوا ثبتوا ذلك الثبات ورجع كرفناس ذلك اليوم وقد ملأ الأرض بالقتلى وأخذ اكثر من خمسمائة أسير وحملهم الى قبر أبيه وضرب رقابهم وعجل الله بأرواحهم الى الجنة وأمطر عليهم سحائب الرحمة والعفو والمنه ولم يصدق بالصباح أن يصبح فركب وركبت الجيوش والكتائب وعملت القواضب وتمايلت الفوارس من كل جانب ووضعت الصوارم على المناكب وحلت بالناس المصائب والنوائب وشابت الذوائب وبربرت الصفارقة مثل بربرة الثعالب وحملوا كانهم السلاهب وهطلت الأدمية مثل هطل الكتائب وبليت العساكر والمعتصم بما لا يطاق وانهزمت الاعاجم وتبعتها الأكراد وبعدهم العرب وقد رضوا لأنفسهم بالهرب حين أشرفوا على العطب والهلاك وسوء الارتباك وطلبوا النجاة لعلهم يجدون اليها سبيلا فلما نظر المعتصم الى ذلك وانه مابقى إلا فى مماليكه ووجوه الدوله فعندها ألوى منهزما وقد خرجت وأحدقت به مماليك الدار مثل مايحدق البياض بالسواد للحدق فقال سبحان الذى حكم بهذا وكان منهزما وهو يضج بالبكاء حمية منه للاسلام والمسلمين وغيرة على الدين اذ لقيه أول المنهزمين الذين انهزموا فى اليوم الأول راجعين

ومن خلفهم الروم طالبين فقال ما الخبر فقالوا ان الدروب قد سدت علينا ولنا من أمس فى القتال الى هذه الساعة وقد رجعنا اليكم نطلب الحماية بكم ونراكم أنتم منهزمين فما كانت إلا ساعه وإذا بالمعتصم قد وصل والرجال يحملون بعضهم على بعض فقال لمن معه احملوا عليهم لعل الله أن ينصركم عليهم فاحملوا عليهم فاقلعوهم عن باب الدروب ونملكه عليهم ونسند ظهورنا الى الجبل ونقاتل هناك إلى أن تأتينا العساكر ولا يرانا الله هاربين فقالوا صدقت يا أمير المؤمنين فلما وصلوا الى باب الدروب حملوا على الروم حملة من يطلب القتل فما كانت الا ساعة حتى بطحوا الروم ستين ألف كافر وانكسروا كسرة ما كان لهم قط مثلها وتركوا الدروب وانهزموا والسيف يعمل فيهم وملك الخليفة خيامهم كلها وأثقالهم وأموالهم وزادهم وجميع ماكان معهم مما يحتاجون اليه وكانوا قد أشرفوا على التلف من الجزع وقلة الزاد ففتح الله عليهم من الخير مالا تأكله النيران وملكوا الدروب واستندوا الى نحو الجبل فصاروا فى حصين وحفروا حولهم الخنادق وكتب المعتصم الى ملطية يقول ان وصل اليكم عسكر فانفذوه من وقته وساعته هذا جرى (وأما كرفناس) فانه سار خلفهم أيضا وقتل من المسلمين خلق عظيم ولما ألقى الروم منهزمين سألهم عن الخبر فأخبروه بأن المسلمين قد قتلوا منهم خلقا كثير وملكوا خيامهم وجميع ماكان معهم فاحتووا عليه فحنق عليهم وقال للصفارقة احملوا عليهم ولو أنهم من الروم ولو انفات منهم أحد لأضربن أعناقكم فما كانت الاساعة حتى قتل منهم بعدد الرمل والحصى ولم يسلم منهم إلا أصحاب الخيل الجياد مثل الملوك والبطارقة المشهورين بالقوة وساروا فى أعقاب المسلمين لاحقين بهم الى أن أدركوهم وهم نازلون من جنب الجبل وكان وصولهم اليهم من وقت الاصفرار فنزل وقد أمسى المساء ولا يصدق بالصباح أن يصبح عليهم ليبادئهم بالقتال فلما جن الليل على العسكرين جلس الخليفة فى وجوه دولته وقال أتعلمون على من أنا خائف فقالوا على من ياأمير المؤمنين فقال على زحاف أخى الأمير حجاف قد حلف لى إيمانا عظاما انه رأى عقبة هو الذى تولى ضربه وعقوبته وحث الملك على صلبه وكنت اشتهى أن يسلم زحاف ويصل الينا وهو معه حتى أنفذ حكم الله فيه (قال الراوى) ياسادة وصبروا القوم الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وجردت الصفاح وعمل القتال إلى الليل وكان الناس قد ثبتوا فى هذا اليوم وقاتلوا قتالا شديداً أشد من الأول وقد قالوا نقاتل حتى لا تبقى فينا عين تطرف ولا أذن تسمع وإذا زاد الأمر علينا هربنا من الدروب التى ملكناها وقد أسندنا ظهورنا ولم يزالوا كذلك ثلاثة أيام متواليات وقد عول الناس على الهرب وقد شكوا الى المعتصم الضر وسوء الحال وكثرة الجراح

وقالوا لقد بلينا بما لا طاقة لنا به وهؤلاء قط ما شهدنا مثلهم فقال الخليفة اذا كان الأمر كذلك ولا بد لكم من ذلك فاجعلوا هزيمتكم فى الليل ولا يكون اذا التحم القتال فتكونون قد وليتم الادبار فيعذبكم ربكم بالنار فقالوا هذا هو الصواب وأخذوا الأهبة للرحيل فلما كان ثلث الليل الا وخيل قد سمع صهيلها وقعقعة اللجم واصطكاك الرماح وترنم الأبطال وارتجاز الأقيال ووقع حوافر الخيل فى ظلام الليل مثل البرد إذا وقع على الضعفاء (قال الراوى) ياسادة فلما سمع المسلمين ذلك علا فرحهم وزاد صياحهم وأنفذ الخليفة من يكشف الخبر فساروا وعادوا فى الحال وأخبروه أنه قد وصل غشم ابن ربيعة الحجازى من بنى عبس ومعه خمسين ألف فارس من عشيرته بنى عبس ونمير وقد انضاف اليه باقى عساكر العراق والموصل والجزيرة وغيرها وهم فى مائتين ألف وأربعين ألف بطل وقد ضمن لك أن يكفيك مؤنة الكافرين عن بكرة أبيهم من غير أن تحتاج إلى غيره فقال الخليفة ان شاء الله تعالى وخلع على النجابين وأصبح الصباح وارتفع الصياح وأشرفت الرايات والاعلام (قال الراوى) وركب أصحاب الخليفة والخدام والتقوا بالأمير غشم العبسى ووصل ذلك العالم العظيم فلما وصل غشم الى الخليفة ترجل وباس الأرض وخدم وقال اعلم ياأمير المؤمنين آنى وصلت اليك فى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وسوف ترى ان شاء الله تعالى ولا تباشر أنت القتال بنفسك ولا بعساكرك لأن اليوم نوبتى ونوبة من معى ولا راحة لنا إلا فى القتال والنزال فقال اللعين مطرون بارك الله فيك ياغشم ومتى ما كشفت عن قلب أمير المؤمنين هذه الغمة فهو يعطيك موضع الأمير عبد الوهاب واقطاع بنى كلاب وهو الغناء الذى لا فقر بعده (قال الراوى) هذا وغشم قد وحف إلى الحرب والقتال وركب كرفناس ومن معه من جميع الناس واشتهرت السيوف لما اصطفت الصفوف (وأما كرفناس) فانه لم يبالى بالجيوش التى قدمت لأنه شجاع والشجاع لا يفكر فى عاقبته وكان عسكر الاسلام لما انهزمت وتركوا الخيام قد احتوى عليها كرفناس فوجد فيها الملعونة ميمونة وهى مكتوفة اليدين والرجلين فحلها من ساعته وأخذها معه فلما وصل ذلك اليوم غشم العبسى ابن ربيعة عرفته ميمونة المفتونة وكانت قد شادته فى أرض الحجاز فلما برز واشتهر قالت ميمونة لكرفناس هذا فارس من فرسان المسلمين المذكورين فقال لها هذا مثل الأمير عبدالوهاب فقالت لا بل هو فى طبقته فى الشجاعة والبراعة وحملت العرب على الروم وقاتلوا قتالا غير مذموم وطرحوا من الملافطة خمسة آلاف فارس بالرماح وقتلوا من الصفارقة عالم عظيم فلما نظر كرفناس إلى ذلك صعب عليه وكبر لديه وصاح بالصفارقة فزحفت والحرابة

فحملت وعمل الحسام طول النهار الى الليل وسالت الدماء مثل السيل واندقت العرب بين أيديهم إلى أن وصلت إلى عسكر أمير المؤمنين (قال الراوى) وجرى بين العسكرين فى ظلام الليل هذا وقد قالت العرب والله لقد غزونا إلى بلاد الروم زيادة عن مائة مرة ما رأينا قط مثل هذا العسكر كانهم الجن والأباباس لا ترد لهم سهامهم الدروع ولا يقف بين أيديهم إلا من كان على خطر فقال لهم أصحاب الخليفة لقد رأينا منهم نحن مالاترون وأشد ما علينا هذا المقدم الذى عليهم وهو كرفناس فقال لهم الأمير غشم ابن ربيعة فأنا غداة أبرز اليه وأكفى المسلمين شره وغمه (قال الراوى) هذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من زحاف وغيبته فانه أقام فى البيعة التى فى القسطنطونية وهى بيعة سوفيا وفيها عقبة وأراد حتى يخلو له المكان ويأخذه منها وهو كل ليلة لا ينام إلا يتلو الانجيل ويدعو لكرفناس بالنصر وأنه أصابه فى بعض ليله هوى فبات مريض فلما عرف زحاف نزل عليه وألقمه الاكره فى فمه وشد يديه إلى رجليه وجعله مثل الاكره ووضعه فى كساء وشد رأسه وخرج به إلى أل أتى بعض الابراج فشده فى حبل ودلاه إلى الأرض وخطه وانخرط فى حبل حتى صار عنده وحمله على كتفه وسار طول الليل إلى الصباح وعول له على مكان يكمن فيه حتى لق مكان كمن فيه طول النهار ويسير الليل إلى العساكر ودخل عند المعتصم عند طلوع الفجر فلما رآه تعجب من وصوله وقال جئت يامبارك فقال نعم قال ومن هذا الذى على أكتافك قال هذا القاضى عقبه ياأمير المؤمنين وقد ذهب الشك باليقين فوثب المعتصم بنفسه وأخذ السيف بيمينه وقال اكشف عن وجهه حتى أراه وقد دنا أجله وبطلت حيلته وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما فقال المعتصم ما الخبر فقالوا قد برز الأمير غشم ابن ربيعة وطلب البراز من كرفناس وقد اجتمعت الروم كلها ولا نأمن أن يحملوا علينا فقال المعتصم يا زحاف أمسك على الشيخ السوء عقبة إلى أن ننظر من غشم وبرازه فالله تعالى ينصره على اللعين كرفناس (قال الراوى) فأخذه زحاف اليه واحتفظ به وما فى العسكر إلا من قصده أن يراه وهو يقول ما يراه فى العسكر إلا من قبل أمير المؤمنين هذا وأن غشم طلب البراز فجعل أبطال الروم تخرج اليه وهو يقتل فارس بعد فارس يقول هذه الأبيات

إنى أنا العبسى من نسل عنتر * ليثا صبورا فى الوغى غضنفر
مبارز نحو الهمام القسور * وان برزتم مائة أأفترى
فاين كلب الروم وهو أحقر * يبرز لحربى ليذوق أبترى
أقطع منه درعه والمغفر * وأقتنى من الجبان الأثر

ويا كرفناس اليوم يوم الفخر * ويوم طعن السمرى الأسمر

(قال الراوى) ولم يزل كلما برز اليه بطريق قتله حتى قتل منهم ثمانين فارس من كل بطل مداعس وغربت الشمس ولم يبرز اليه كرفناس غيظا منه على الرجال الذين لم فيهم مقاوم لهذا المسلم فقالت ميمونة أنا أخرج اليه فحلف بالإنجيل انها لا رجعت خرجت قط الى الحرب يوما الا أن يكون الى الىأميره أو امرأة مثلها فشق ذلك عليها وبات الناس على مثل ذلك وقد عول كرفناس أن يخرج فى غداة غدا حتى يرى الناس شجاعته وان الخليفة لما استقر به الجلوس مع أرباب دولته وهم من حوله قال له جوهر يا مولانا اسأل زحاف حتى تنظر ان كان لقوله صحة فقال على هذا أنا معول حتى يطلع الناس على أمرهذا الرجل ثم أدعى به فحضر زحاف وأخيه حجاف ولم يتأخر من الهاشمين ولا غيرهم أحد ممن كان يتعصب لعقبه أو عليه الا وحضر حتى ينظروا صحة قوله فهذا يقول معلوم اننا لا نكذب فى التنصر وهذا يقول لا ما يصح أن يكون هذا قاضى ويتنصر (قال الراوى) وتقدم زحاف اليه وكشف وجهه ونظروا الناس الى عقبة فلم يعرفه منهم أحد لانهم كانوا يعرفونه بلحية طويلة طولها ذراع وأذنين كبار كانهما مراوح وقد بقى كانه قرد لا ذقن ولا آذان فقال المعتصم من هذا فقال يا مولاى عقبة كلمه حتى تسمع كلامه فقال يا قاضى فبكى عقبة وقال نعم يا أمير المؤمنين أقول وما علت نظرة منكم سيفك دمى والله لقد بلغت ما سألت الله فيه لاننى كنت أسأله أن يرحمنى وجهك قبل الموت يامولاى كيف نسيتنى اليوم خمس سنين لم تكشف عن حالى وهذا مطرون يعرف قصتى باننى كنت مع عبد الوهاب والبطال يتولوا عقوبتى ليلا ونهارا حتى تركنى كما ترى وكنت يا أمير المؤمنين فى دار فى القسطنطونية تحت الأرض عند صديق لعبد الوهاب وهو الذى يطالعه بالاخبار ويقول ان لى فى البلد عيونا وأنا لا أعرف فى أى موضع كنت لأنهم كانوا يدخلونى اليه معصب العينين على اننى لو دخلت مفتوح العينين ماعرفت الموضع لأن الغريب أعمى ولو كان بصير ومن أين أنالى خبرة ببلاد الكفرة ولى كذا وكذا سنة وأنا تحت الأرض قد وكلوا بى رجلين من كلاب النصارى وهم يرون ان عذابى فى دينهم عبادة الى أن جاهدوا الكلب كرفناس وهلك القسطنطونية وسمع بخبرى فأخرجنى وكان معه شيخ ملعون يقال له شومدرس فقال له هذا قاضى من قضاة المسلمين فقال لى هكذا يقول ياشيخ فقلت نعم فقال لى أقرأ على شىء من كتابكم أسمعه فقلت نعم ولعل الله أن يهديه على يدى فقرأت وإذا قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله الآية يا أمير المؤمنين فما الا هو أن سمع منى حتى

قال لشومدرس ماذا يقول وما معنى ذلك فقال معنى قوله ان الله تعالى قال لعيسى أأنت قلت للنصارى اعتمدوا فى هذا الاعتقاد فلما سمع الملعون كلام الشيخ غضب على وحلق لحيتى وقطع آذانى كما ترى وكان معولا على قتلى إذا فرغ من قتالكم وكنت مربوطا عنده فى أسوأ حال وأشد نكال وان هذا حجاف رأى ما كنت فيه هو وزحافه ورجال معهما فقالوا ما أنت عقبة الذى أوقعت بين عبد الوهاب والبطال وبين الخليفة ياشيخ لافرج الله عنك فقلت ولم ذلك وأنا رجل من أهل القرآن والعلم فقالوا لابل انك تريد أن يكون المعتصم هو الخليفة من بنى العباس من بغضك للأمير عبد الوهاب ولعبد العزيز العلوى الذى أراد عبد الوهاب والبطال أن يجلساه خليفة ثم أنه وقع فى وعاقبنى بعقوبة قدرها الله على لأجل ماقلت فى حقك ثم خاص ورجع وقع ثانية وأنا فى ذلك البلاء وأقول له بحرمة الإسلام أعلم الخليفة بى وبما رأيت من حالى وكنت اشتهى من قبل الموت أن أراك وبعد ذلك يهون على ماجرى فان أردتم قتلى فقد هان ذلك على بعد مشاهدتك فانظر لى بعينك وارحمنى بقلبك يا أمير المؤمنين ولو كان ما قالوا صحيحا من تنصرى ما كان يفعل بى هذا ثم كشف عن بدنه وهو فى حالة الضيق من شدة الذى كان البطال يضربه وجعل يبكى ويقول ها أنت ترى جلدى من الضرب أخضر ودقنى قد حلق وهو أول ماقد ظهر وأذنى قطعت وقد صرت عبرة لمن اعتبر فلا تسمع فيا كلام الاعداء وجعل يبكى ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولنصبرن على ما أذيتمونا الآية فلما سمع الحاضرون منه هذا الكلام لم يبق منهم أحدالا بكى عليه وعلى حاله وقام مطرون قائما ونادى برفيع صوته ماهذا والله إلا من أهل الدين ولا يجب أن ينفى هذا من دين الإسلام وان يتم هذا الأمر على هذا المسكين ليخرج من دينه فقال الخليفة سوف آخذ حقه ولما كان عند الصباح صفت عساكر الروم والمسلمين وكان أول من خرج إلى الميدان فارس على جواد أحمر اللون مليح الكون والصورة له صهيل عجيب ومشيه خبب كما قيل فيه

لقد اعتدى وتحتى جواد * أحمر اللون حلة الأرجوان
اذاماجرى رأيت طيور * الأرض قدقصروا عن الطيران
اذا سمعت منه صهيلا * قلت صوت المزمار بعد المغانى

وعليه درع من الزرد مضاعف العدد كأنه عيون الجرد وعليه ثوب أحمر معلم يأخذ البصر وعلى رأسه بيضة عادية ململمة مجلية وفوقها عمامة مطرزة باللؤلؤ وكل من رآه تعجب ثم جال ومال فى الميدان وأنشد وجعل ويقول :

أسائل بنو عبس فنحن بنو عبس ونحن أسود لا نمل من الدعس

أنا الفارس المعروف فى كل مشهد وتشهد لى من حيث ماتطلع الشمس

(قال الراوى) فلما سمع كرفناس من غشم شعره ونظامه ورأى أقدامه علم أنه يهدده ويتوعده فخرج إليه من تحت أعلامه وحمل كل واحد منهما على صاحبه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان له فن وشخصت اليهما الأبصار وعدم الاستنارة وانعقد عليهما الغبار وأخذا فى ضرب الحسام وشرب كاس الحمام وتلاصقا وتطابقا وكانت ميمونة قد صدقت فى قولها ان الأمير غشم ابن ربيعة فى طبقة الأمير عبد الوهاب ولم يزالا كذلك حتى اختلف بينهما ضربتان وكان السابق غشم بالضربة جاءت ناقصة لاجل أن كرفناس احترز من مضربه فتقهقر بجواده إلى وراء فوقع السيف على عنق الجواد فأبراه كما يبرى الكاتب القلم فقفز كرفناس قائما كانه ما وقع كالشيطان وضرب جواد غشم فقطع منه ثلاث قوائم فوثب غشم قائم وتجالدا الجلاد الشديد إلى أن ذهب من النهار أكثره وبقى أيسره ولم يبق فى أيديهما من الصوارم غير المقابض فزحف بعضهما الى بعض وتصادما وكان غشم أعرف الناس بالصراع لم يقدر عليه فيه أحد وتفرس بعد ذلك ولم يكن فى العرب أفرس منه إلا أن يكون أخاه الحارث كان أشد منه وكان معه فى هذه النوبة حاضر فى العسكر وكان أراد أن يبرز إليه فى الأول فمنعه أخيه من ذلك فتوهم أن ذلك من طريق الاشفاق عليه وكان الأمر بخلاف ذلك لانه خاف أن تظهر فروسيته فيتقدم بها عند المعتصم ويفوز بالذكر والجائزة دونه ويعطيه موضع الأمير عبد الوهاب لانه سمع من مطرون المنجوس فى مجلس السلطان كل من أسر كرفناس أعطاه موضع الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) فلما تقابضا للصراع فرح غشم وجعل يظهر له صنايع الصراع فلما قبض عليه فوجد كرفناس أثبت من الصخر ورأى منه ما لم يراه من أحد وكلما فتح له غشم بابا وجده إليه أسبق فتحير غشم منه فهجم عليه وأخذ بساقيه وأراد أن يحمله من الأرض بشجاعته فوجد ما أمله بعيد وهو كانه عمود حديد ثم ان كرفناش أراد أن يرى الناس قوته فقبض على رأس الأمير غشم وكبس عليه عصرها وانفقشت رأسه مثل البيضة فوقع الى الأرض قتيل فذهل الناس من ذلك والتفت إلى الروم فقدموا له جواد فركبه ولم يزل يحمل على الناس ويكر فيهم ويكثر فيهم الدعس فلما نظر الحارث الى مصرع أخيه قال يا أمير المؤمنين ائذن لى بالخروج الى هذا الملعون لآخذ بثارى وثار أخى فقال الخليفة افعل بارك الله فيك فخرج فى أكمل زى وأكمل أهبة وحمل عليه وتلاقيا فى نهارهم وذلك الى الليل ولم يقدر واحد منهما على صاحبه وفرق بينهما الظلام وعادوا عن الحرب والقتال وطلب كل واحد منهما عسكر فأما

كرفناس فانه لما نزل الى سرادقه اجتمعت حوله ملوك الروم والعمالقة والخواص منهم وقالوا أيها الملك ما رأينا قط أفرس من هؤلاء الفارسين فقال كرفناس وحق دينى ما هما الا كما وصفتما ولو أردت قتل كل واحد منهما بسهم من أول ما خرج الى لفعلت من غير محاربة الا انى أردت أن أخرب فرسان المسلمين وأبطال هذا الدين وهذا الذى خرج لى آخر النهار هو أفرس من الأول وأحسن احتراز وذلك أخير فى الصراع ولو قتلت أحدهما بسهم لقال الناس اغتاله ولا أريد الناس يقولون ذلك وأكون فى غداة غدا آخذ هذا الفارس أسير فقال له ملك الملافطة لا تقل هكذا ولكن قل بقوة المسيح آخذه فضحك كرفناس وقال ما آخذه بقوة المسيح ولا آخذه الا بحيلى وقوتى فصلبت الروم على وجوهها وباتوا ينتظرون الصباح (قال الراوى) هذا ما جرى (وأما ما كان) من أمر الحارث العبسى فانه عظم فى عين الخليفة والمسلمين وقالوا ان هذا أفرس الناس لما خلص من هذا الشيطان فقال الحارث للخليفة يامولاى سوف نرى ما يكون غدا ان شاء الله تعالى ولا بد ان آخذ بثار أخى (قال الراوى) وكان زحاف قد عظم عليه تكذيب الناس له وتصديق عقبة فدخل إلى عسكر كرفناس وقال مسكين ذلك البترك الذى هو حجة المسيح قد سرقه سارق من المسلمين وحمله الى عسكر الخليفة وهو عنده فى عذاب وعقاب شديد وهو ينادى عليه هذا بترك النصرانية الجديد الذى هو حجة المسيح فعظم عليهم وكبر لديهم وبلغ الخبر إلى كرفناس فصعب عليه وأمر باحضار زحاف اليه فحضر بين يديه فقال له ما اسمك فقال أيها الملك اسمى طليون فقال الملك وحق المسيح اسم ماسمعت به قط فى الروم فمن أين أنت ياطليون فقال أنا من نصارى نجران وقد سمعت بظهورك فجئت إلى الجهاد بين يديك فلما دخلت إلى القسطنطونية سمعت فيها ان البترك الجديد الذى هو الشيخ النجيح قد سرق فدخلت إلى عسكر المسلمين أتجسس عليه لعلى أراه فرأيته فى أسوأ حال وهو يبكى ويدعوا باسمك فبكى كرفناس وقال وحق المسيح ما علمت بذلك ثم أنفذ إلى القسطنطونية وسأل عنه وإذا هو بشومدرس قد حضر بين يديه وقال أيها الملك ان الشيخ النجيح قد سرق ولا ندرى ما كان منه فقال الملك قد سمعت خبره وغدا أنفذ إلى ملك المسلمين وأقول له وحق المسيح لئن لم ترسل لنا البترك الجديد الذى هو عالم النصرانية والا ضربت رقاب المسلمين الذين فى قبضتى فقال زحاف صدقت أيها الملك ويكون هذا غدا قبل مباشرة القتال لعل أن يفرج عن البترك قبل أن يهلك فقال شومدرس لزحاف يا أخى ما أقول أنه يناله شر ولا تشويش من المسلمين لأنه كان قاضيهم ولم يعلموا بتنصره فقال زحاف وحق المسيح هكذا سمعت المسلمين يقولون أنه قد انهتك ستره

عندهم فى هذه النوبة لما أعطاه الملك كرفناس التقدمة على بيعة سوفيا وأبصروه جواسيس المسلمين فلهذا سرقه على تلك الحالة فقال كرفناس أنا وحق المسيح غدا أطلبه من منهم وأطلقه وأمر فى الحال لزحاف بألفين دينار فأخذهم ورجع زحاف الى عسكر المسلمين ولم يعلم بذلك الفعل أحد حتى ينظر ما يكون من أمر عقبة الملعون (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وركبت الأبطال وترتبت الاقيال وإذا بالملك كرفناف من قبل أن يشرع فى أمر دعا بعشرة من الرهبان مع الملعون شومدرف وقال لهم أذهبوا إلى ملك المسلمين وقالوا له كرفناف يقول لك أنت أمرت بأخذ قسنا وبترك الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وحق الإنجيل لئن لم ترسله الينا مكرما لأ ضربن رقاب من عندى من المسلمين وأعود بعد ذلك أحمل عليكم وأفعل بكم مثل ما أفعل بهم ثم قال لشومدرس امضى يا أبونا فقال سمعا وطاعة فخرج هو والرهبان وطلبوا عسكر المسلمين حتى وصلوا اليهم فوجدوا الحارث ابن ربيعة العبسى قد عزم على الخروج إلى مقالات كرفناس أنحس الناس فهم قدهم بذلك وإذا بهؤلاء الرهبان قد وصلوا (قال الراوى) فقال زحاف لأخيه حجاف يا ابن الأم هؤلاء بلا شك رسل من عند كرفناس أنجس الناس وأرجو أن يكون للمسلمين معهم فرج وللأسارى من أيديهم مخرج فقال حجاف أرجو أن يكون ذلك وأنكر المعتصم أمرهم فلما مثلوا بين يديه وسلموا عليه فرد الخادم عليهم سلامهم فقالوا نحن رسل الملك كرفناس وكان المتكلم المنحوس المفتون شومدرس من دون الرهبان فقال يقول كرفناس ماتستحى ياملك المسلمين أن تظهر قوتك على ضعيف من أهل ملتنا ونبيكم أوصاكم أن لاتتعرضون للرهبان والقسوس وأنتم ما طلبتكم إلا أصحاب الحرب دون أصحاب الكتب فقال الخليفة ومتى أنا تعرضت للرهبان والقسوس حتى يخاطبنا بهذا الخطاب فقال شومدرس الآن قد انكشف الغطاء وأقول لك من شأن البترك الجديد الذى هو الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح الذى سرقتوه وهو إمامكم الذى اسمه عقبة وأنه عند النصرانية فى أعلا مرتبه ولما صح عندكم أنه نصرانى سرقتوه من كنيسة سوفيا وهو عندكم تضربوه وتهينوه والملك يقول وحق المسيح والرهبان والقسوس والمطران والإنجيل والصلبان والصور المصورة فى الحيطان لئن رجعت رسلى وهو لم يكن معهم ضرب رقبة كل من عنده من المسلمين الأسارى (قال الراوى) فتعجب المعتصم وكل من حوله من المجاهدين وكان عقبة قد غير ثيابه وتعمم وركب بغله عاليه زرزوريه وهو فى موكب المعتصم يقرأ القرآن فلما سمع كلام المنحوس شومدرس

قال له يا كلب الرهبان عن من تعنى بهذا الكلام (قال) فلما رآه شومدرس على تلك الحالة علم ان الذى أتى وأخبر عنه ذلك الكلام ما أراد بذلك الا هتك ستره وكان شومدرس أخبث أهل زمانه ومن عقبه وعقبة أخبث من أخبث وأنجس من شومدرس فقال شومدرس نعم القاضى أنت من من أهل ديننا ولا بد ما نأخذك من المسلمين قهرا عليك ان رضيت أو أبيت فقال عقبة وقد التفت الى الخليفة صح عندك يا أمير المؤمنين فهم يريدون قتلى أو أسرى ومع ذلك فانهم سمعوا ما قيل عنى فى مجلسك وقد أرسلوا يطلبونى اما انك تسلمنى أو تصدق على القول فتضرب عنق ويبلغون مقصودهم والآن فانظر ترى العجب ثم قال يا راهب بحق ما تشير اليه من دينك وإلا تكون نقول إن المسيح عبد الله ورسوله مخلوق وإن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولم يتخذ صاحبة ولا ولد ما أنا صادق فى قولى فقال بلى وحق المسيح انك ابغض الناس فى دين النصرانية لأنك عالم من علماء المسلمين وان لم يسلمك الخليفة أخذ الملك كرفناس غدا لأنه علا نجمه وهو لا بد أن يملك البلاد ثم أقبل على المعتصم وقال له تسلمه الينا أو يضرب الملك رقبة كل من كان عندنا من الاسارى فقال المعتصم وقد برئت ساحة عقبة عنده بهذا الكلام الهذيان وقال ما كنت أسلم رجلا من أهل الايمان اليكم ولو كان فقالوا سوف ترى عقب ذلك فصاحت عليهم الخدام فرجعوا للملك كرفناس فلما رآهم جاؤا قال شومدرس الذى جاء الينا هو لص المسلمين الذى سرقه وما أراد بذلك الا هتك ستره عند المسلمين ويبين لهم انه على ديننا حتى يقتلوه ولا يبقى لنا عين عندهم وقد جرى من الأمر ما هو كذا وكذا الا اننا أوهمنا المسلمين انه على دينهم لما عرفناه فضحك كرفناس وقال الآن ما بقى لهم نجاة من سيفى ولا يكون فى الأرض ملك غيرى فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من زحاف فانه لما رأى عقبة وقد برئت ساحته عند الخليفة كادت مرارته ان تنفطر من الغيظ كيف فعل ما فعل ولم ينهتك ستره ومن شدة ماجر عليه شكا الى أخيه حجاف وقال يا أخى هذا قد فتت أكباد بنى كلاب والبدال وعبد الوهاب على ما كنا نسمع من حيله ومكره وغدره وشره ثم قال كل هذا منى الذى نقلته على ظهرى من بيعة سوفيا الى ههنا والا لو كنت طرحت رأسه فى حجر مرضعته كنت قد استرحت منه ولكن ما يفوته منى ولا بد ما أقطع قفاه هو ومطرون فقال حجاف يا أخى أما عقبة فافعل به ما شئت وأما مطرون فربما كان مسلما صادقا وهو يتعصب لعقبة ولا يعلم الباطن الا رب العالمين وكذلك الخليفة ماله ذنب لأنه مايدرى بأحوال هذا الملعون فقال زحاف يا أخى ونسيت كذب مطرون على الأمير عبد الوهاب ونفيه من هذه الديار وما فعل عقبة

فى حق مثل هذه الفعال الا هو مثله كافر زنديق وسوف أريك ما أفعل بهؤلاء ما دام قد عجز عبد الوهاب والبطال عنهما (قال الراوى) وفى ذلك الوقت اصطفت الصفوف كما ذكرنا وخرج الحارث بن ربيعة العبسى أخى غشم مبارزة كرفناس وهو كامل العده قوى الهمة والعمد صبور على كل شدة حتى ساواه وحاذاه وأومأ اليه بيده يطلب القتال والحرب والنزال وانشد يقول هذه الأبيات

أيا غشم طاب الموت فى حومة الوغى . وطاب هلاكى يا أبن أمى وأولدى
لأنى لأخذ التار والله طالب . وان جاء موتى فهو أقصى مقاصدى
ومامات من قد مات فى حومة الوغى . ومن قد غدا فى هيجائها بالمجاهدى
وها أنا فى مرضاة ربى مجاهد . فدونك يا ابن العاهرات الجواحد

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ فى الكر والفر والهزل والجد وتقاربا وتباعدا وتضاربا بالرماح حتى تقصفت وبالسيوف حتى تثلمت وغابا عن الأبصار وبانت منهما الشدة والاقتدار حتى ذهل منهما العسكران وتحير منهما الجمعان (قال الراوى) وارتفع الصياح من المسلمين الأبرار بالتكبير والدعاء إلى الملك الجبار وكذلك الروم جعلوا يدعوا لملكهم فعلم كرفناس أن الناس قد تصايحوا من شدة ما جرى عليها من المعاركة بينه وبين خصمه وعلم أنه ما يقدر عليه عند الضراب باليمان وسمع الصياح فغضب عن عطعطة العسكران وصياح المعشران فأقبل بيده إلى قوسه الموتر وضربه بسهم فيه ملك الموت يلوح فخرق ما عليه من الزرد والعدد وخرج من ظهره وأعدمه الجلد ووقع الحارث إلى الأرض وقد ظلمه خصمه لأنه لو أنصفه لم يصل اليه ولم يقدر عليه إلا بعد عراك شديد وجلاد عنيد وربما أنه كان يظفر باللعين كرفناس وشرب من الحمام كاسا وعجل الله بروحه إلى الجنه وتصايحت الروم وحملت عن بكرة أبيها وكذلك المسلمين وكذلك ملك الافرنج ونظر المعتصم إلى ذلك فعظم عليه وكبر لديه وحمل ولم يتخلف بعدها أحد وعلا منهم التكبير والتهليل والتوحيد ودقت الروم نواقيسها وكفرت بالرحمن قسوسها وشماميسها وماجت الأرض بمن عليها وجرت الدما مهرقه عليها وعملت الصوارم وشوشت العمائم وفلقت الجماجم وجزت العلاصم والبراجم وخرصت الألسن من ضرب الصوارم ولم يعرف العاطب من السالم والمظلوم من الظالم وبقى الجبان على دخوله فى الحرب نادم وأنهمل الدمع من العيون كالسحاب الساجم وأنحلت العزائم ووهبوا المجاهدين أنفسهم للملك الدائم وبعضهم قد نسى الأهل والمعالم والبعض قد قامت عليه المآتم وطلع الغبار إلى العنان تبدل الضوء بالظلام وتشققت

الأكباد من شدة الظلما وتعلقت الرجال باللحا وأمتلأ الأرض من القتلا ولم يزل السيف يعمل ويفاصل والرمل عامل والدم نازل إلى أن أصفرت الشمس ومالت للمغيب ولم يبق للناس جلد على المقام وطلب كل من كان له فرس سابق النجاة لنفسه ولفزعه من الموت وخوفه من الفوت وتركوا الخليفة وطلبوا بلاد الاسلام وثبت الخليفة بعد الناس ساعه هذا وقد رأى الناس قد انهزموا وعقبة يقرأ القرآن وكان قصده يثبت الخليفة ويأخذوه أسير فقال الخليفة هذا الشيخ يريد أن يأخذوا رقابنا أو نقع فى الأسر سريع مع الروم فالوى عنان جواده وقد أحدقت به أربعة آلاف من القفجق وأربعة آلاف من غلمان الدار وأحموه وأحموا أنفسهم وتبعتهم الملافطة دون الروم وأقاموا الباقون عند الاثقال قال ولولا الظلام ما كان نجا المعتصم ولا غيره فيالها من ليلة لم يلتفت الأخ إلى أخيه ولا الولد إلى أبيه وكل احد يطلب فرسه هذا والرجال تسرع إلى أن أمضى الليل وارتفع وبان النهار للنواظر وانقشع وقد أصبحت الخيل تقع وعاد الملك كرفناس إلى موضعه وأقامت الروم عشرة أيام تحمل السلاح والأموال والنهب والأثقال شيئاً كثير وأخذ تلك الليلة من الأسارى الذين قصرت بهم الخيل خلقا كثير حتى امتلأت بهم بلاد الروم وأراح كرفناس باقى الشهر ثم نادى فى عساكر الروم بالرحيل وقال اشتهى اعلم إن كان سلطان المسلمين سلم ووصل بلاده أو هو بعد هذه البلاد فهو كذلك وإذا بشيخ وقد وصلت به الروم وقالوا هذا وجدناه فى رأس الدروب وهو يذكر أنه رسول اليك من الشيخ النجيح ومعه كتاب فلما رأته ميمونة قالت صدقت هذا غلام عقبة فأخرج الكتاب وسلمه اليه ففضه وقراه وإذا فيه كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صل الله عليه وسلم أما بعد أيها الملك ما هذا الكسل العظيم فى تخلفك عنا وقعودك بعدنا وقد فتح لك المسيح هذا الفتح وأريدك بالنصر والظفر وقد نلت أمرا ما ناله أحد من الملوك وأنا أريد الساعة عند وقوفك على هذا الكلام الذى فى الكتاب لاتتخلف ساعة واحدة بل تسير إلى ملطيه فان المعتصم فيها مقيم وفيه ثلاث جراحات وما بقى فيه ما يركب جواد ولا بقى يقدر يسير إلى بغداد ولكنه سير النجابين إلى سائر البلاد والآفاق وهو يستحث العساكر من البلاد وهو مجروح ميت فى جلده من فزعه منك فبادر وخذه من قبل أن يتعافا مما به من الآلام وتطول عليك القصة واعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فبادر لخصمك مادام فى قبضتك فالعجل العجل قبل حلول الأجل وأنا أرجوان يكون هذا قبل أن تنبت دقنى وتبرأ آذانى فلا تشعل بشىء آخر فلما قرأ الكتاب فرح وقال أن عقبة فى ملطيه ومطرون ثم أقبل على الناس وقال أن خليفة المسلمين إذا أرسل وجمع

العساكر فان ذلك من سروري وفرحي حتى لا يبقى فى بلاد المسلمين صاحب حرب وجلاد إلا يأتونى وهم غنيمة تساق الينا والصواب قصد الخليفة مادام فى ملطيه محصور حتى لايهرب الى بلاد بعيدة ولا أقدر عليه إلا إذا ملكت الدنيا بأسرها فقال شومدرس يامولاى فاننا نريد أن الشيخ النجيح يكون عندهم ويحفظ عليهم ما يفعلون ويشير الينا بما يبطل ما يعملون لأنه يجتهد فى خدمة المسيح يريد المنفعة لنا من كل وجه فقال كرفناس صدقت وسوف أظهره على زمانى ولا احتاج أن يكون عينا ثم أمر بالرحيل وضرب البوق وقال لملك الملافطة كن أنت مقيما فى القسطنطينية فلا آمن جانب الترك أن تستغنم غيبتى وبعدى عن القسطنطينية ويرجعون يجتمعون ويأخذوها فيكون سببا لهلاك النصارى فقال ملك الملافطة السمع والطاعة وأقام فى القسطنطينية فى مائتين ألف من الافرنج ورحل كرفناس بعد وصيته أن لا يفرط فى الأسارى بقتل ولا بغيره حتى يعود ويفعل بهم ما يريد فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المعتصم فانه وصل إلى ملطيه وقد نفرت الناس عنه وكتب الخليفة الكتب إلى سائر البلاد وسارت النجابين بالأخبار ووقع النفير بالأقطار ووصلت الأخبار إلى الحجاز وبلغ ذلك الأمير عبد الوهاب فبكى رحمة للمسلمين فقال له أبا محمد البطال ما يبكيك فقال رحمة للناس فقال له أبا محمد البطال لا أبقى الله فيكم باقية فلا تعود تقول امضى اليهم فيكون آخر العهد بينى وبينك فضحك الأمير عبد الوهاب من قوله فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المعتصم فانه قد وصل بعد الكسرة إلى ملطيه مهموم مغبون وفيه ثلاث جراحات كما أخبرنا وقد عملت وكان مطرون يداويه وعقبة يقول له اطرح له فى الجرح شيئا يقتله فقال له مطرون قد فعلت ذلك لكن أجده خبث الجرح وبقى يرمى الدود وقد تركت له سما قاتلا ومتى وصل إلى قلبه هلك ففرح عقبه بذلك وأما المعتصم فانه لما رأى حالته كل يوم تزيد عليه طلب الانحدار إلى بغداد فقال له مطرون برأى عقبة مايقدر مولانا يركب ولا يتحرك فيهلك من هذا الجرح فأقام صابر لحكم الله تعالى وقد وصلت اليه العساكر من كل مكان فصار فى خلق عظيم وفرح بعد ما كان أيقن أنه هالك وجاءه الخبر من الجاسوس أن كرفناس وصل إلى البلستين فأخذ الناس الأهبة للقتال وقد صار فى ملطيه من الخلق الذين أتوا رغبة فى الجهاد وصارت العساكر أكثرهم تتوارد والبلاد قد خلت وصار كالجراد المنتشر وأن كرفناس وصل إلى ملطيه وقد دقت النواقيس والطبول والبوقات هنالك دقت كوسات المسلمين وارتفعت رأيتهم وعلت أصواتهم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقامت عساكر الروم تنزل طول النهار إلى وقت الظهر

وأرسل ملك الروم إلى الخليفة يقول له سلم إلى البلاد حتى آمنك على نفسك وتذهب إلى حال سبيلك فلما سمع المعتصم كلام الرسول أمر بصفعه وقال له قل لصاحبك إن الله لايخلى دين الاسلام من الأنصار وأن الذى تراه قد جرى علينا تأديب من الله تعالى وها نحن صابرين على حكمه وفى غداة غدا ترى من هؤلاء القوم الذين قد اجتمعوا على باب ملطية بنية صادقة وقلوب واثقة وبالشهادة ناطقة فينهد عزمك وقوتك وتتفرق عساكرك وجندك وعشيرتك وتغلغل جيوشك هذا كله يجرى والأمير زحاف غائص فى فكره يدبر على أخذ عقبة ولما نزل كرفناس على ملطية قال زحاف لأخيه الأمير حجاف قد عولت الليلة أن آخذ عقبة وأقتله مما فى قلبى عليه من النار فقال حجاف يا أخى ما يكفى ما عند المعتصم الساعة من الهم من أجل المسلمين ونفسه فبالله عليك لا تضيف إليه هما آخر فانه إذا فقد عقبة ما يتهم به أحد ويقول ما سرقه من عندنا إلا الذى سرقه من عند الروم وهذا بين يديك فسكت زحاف (قال) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكثر الصياح قال المعتصم أين الأمير حجاف فأجابه بالتلبية فقال له أنت المقدم على الناس بأسرها وأركب فى موكبى واحتفظ بالمسلمين وانظر ما يقربك الى الله تعالى فقال سمعا وطاعة فلما سمع عقبة كلام الخليفة جعل يبكى زورا وبهتانا ومكرا وخداعا وخبثا منه ولعنه ويقول ما تخلف اليوم أمير المؤمنين عن الخروج الى الروم إلا لأمر عظيم فبكت الناس وبكى المعتصم على نفسه وعلى المسلمين فقال حجاف يا أمير المؤمنين لو كان حجاف وبنى كلاب ههنا كان الأمر بخلاف هذا فقال المعتصم آه عليهم ومن لى بهم واحسرتاه لفراقهم ليت عقبة لم يخلق حتى نكون هادين السر وكيف نعود بهم ودعهم يقتلون كل من أرادوا (قال) يا سادة يقول المعتصم هذا الكلام وعقبة حاضر ويسمع فقال يا مولاى نكاتبهم حتى يحضروا لعلهم يكشفون هذا الغم والهم عن المسلمين أجمعين فعندها أقبل الخليفة على جوهر وعلى الوزير وأمرهما بذلك وقال لهما لعل أن تكتبان الى عبد الوهاب تستعطفاه على المسلمين فلعله يأتى الينا وينصر الدين والمسلمين فقالا سمعا وطاعة وكتبا كتابا الى الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وأبى محمد البطال على لسان المعتصم وذكروا لهم فراق الدنيا وان الناس فى حال العدم لا يمكن أن يكون التخلف شفقة على الدين والمسلمين ولا يكون أحد مثل هذا الطاغى الباغى لانه قد أهلك الناس ومعه أكثر من مائة ألف أسير فى بلاد الروم وقد قتل مثلهم ثم لما فرغ الكتاب أمرهم المعتصم أن يعلقوا الكتاب على أجنحة الطير وأن يوجهوا النجابة من هناك إلى الأمير عبد الوهاب فلم تكن إلا أيام قلائل حتى وصلت النجابه الى العراق ومن العراق الى

الأمراء فلما قرأ الكتاب بكى الأمير والأميرة وبكوا الناس إلا الأمير أبى محمد البطال ومذبحون فانهما لم يعجبهما المسير فقال الأمير عبد الوهاب والله لابد لى من المسير لعلى أن أكشف هذه الغمة عن الإسلام والامام فقالت الأميرة ذات الهمة معلوم أن الله تعالى قد فرض علينا الغزو والجهاد فى سبيل الله تعالى فمن أراد الغنائم فليبادر الى طاعة الله تعالى وسارت النجابة إلى سائر حلل العرب واحلافها على كل ضامر مهزول وهم من كل حدب ينسلون ولم يمضى عشرة أيام إلا وعنده من العرب واحلافها أزيد من مائتى ألف وفرح عبد العزيز بالعودة الى تلك الديار لعله يتنسم الأخبار من بلاد الكفار لاجل والدته وسار الأمير عبد الوهاب ومن يتبعه بجد المسير وقدم على مقدمة عسكره الأمير عبد العزيز العلوى لما يعلم من عقله وشجاعته وبراعته ولما نظر الأمير أبى محمد البطال الى الأمير عبد الوهاب سائر فلم يمكنه التخلف والمقام فسار فى جملة الناس وكذلك ولده مذبحون وأمه نورى وزوجة مذبحون بنت كرفناس وقد قالت والله انى أشتهى الجهاد فى سبيل الله بين يدى الأميرة لعل الله أن يكفر عنى ذنوب سلفت وسارت نورى وزنانير والقناصه وسار معهم الشيخ طيبون الذى كان خلاص الأمير على يديه من تلك السقيه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر العساكر الذين فى ملطيه وقد ذكرنا أن العسكر قد اجتمعت من سائر البلاد فى طلب الجهاد فلما نزلت الروم واستراحت شرعت فى أمر القتال فى اليوم الثالث وارتفع الصياح وجردت الصفاح وامتلأ بهم البطاح وضاقت عليهم الأماكن الفساح ودام القتال الى خمسة عشر يوم لم يفتر القتال ساعة واحدة حتى فنيت الخلائق ورمت الأرض من العسكرين وقيل أكثر الرجال الذين جاؤا من البلاد فى طاعة رب العباد وفى اليوم السادس عشر فلقت القمم ووطئت الخيل الجماجم بتوع الروم والعجم وعاد النهار مثل الليل إذا أظلم ودار طاحون النقم وفتك ملك الروم كرفناس بالناس واشتد الباس وعظم المراس وضاقت الانفاس ورمى الأمير حجاف بحربتين وعشرين سهم كلها صائبه ووصلت الى جسده وسالت دماه وضعف قواه وهو صابر يقاتل على جواده ويظهر قوته وجلاده وطلبوا به ملطيه فما هو إلا أن ولى بظهره حتى اندقت عساكرهم منهزمه فمنهم من طلب ملطيه ومنهم من طلب البريه وعملت فى ظهورهم السيوف فهلك منهم خلق كثير وقال عقبة إغلقوا الباب ودعوا من بقى وإلا دخلت الروم الينا وما بنا نفوسنا وبنا أمير المؤمنين فيالها من مصيبة ما أعظمها ثم لبس السواد وجعل يطوف البلد والمصحف على يديه وهو يبكى خديعة منه ومكر وهو يدعو للمسلمين بالنصر والظفر والفرج وهو دعاء مما فى

قلبه من الفرح ويريد للمسلمين الضر والأسر والكسرة وهو ينادى ويقول وادين محمداه وامعتصماه تمكنت منا الأعداء وما كنا نحب هذا أبدا وأعبد الوهاباه واذات الهمتاه جمع الله بيننا وبينك قريب غير بعيد وكان يقول اغلقوا الباب حتى لايصير أحدا من المسلمين يدخل داخل البلد ولا من يحرس الباب والثانى حتى يهلكوا المسلمين بالسيف وكان قصده بالبكاء والنحيب حتى يقطع قلوب النساء ويقع الخوف على الأمم ويقطع بذلك قلب المعتصم (قال) وهلك خلق كثير على ظاهر ملطيه كما قصد عقبة وغلقت الآبواب الا أن البلد دخل اليها عالم عظيم وأما المعتصم فانه بكى رحمة للناس وإشفاقا على المسلمين وعلى نفسه وعلى دين الإسلام وكان مطرون لعنه الله ألف لعنة قد طرح على جراحات المعتصم سما نخبثها وهو فى غشوات وغمرات ولهفات وحسرات ومطرون عند رأسه يبكى ويقول يامولاى قد انقطع قلبي ان نرجع نقع فى أيدى الكفرة الفجرة فقال المعتصم الأمر لله على كل حال ماشاء يفعل مابى نفسى مثل مابى على المسلمين لأنهم إذا أخذونى ملكوا البلاد وأنا ميت بلا محالة من هذه الجراحات لأنها أصابتنى وأنا مولى والناس كلهم تخلوا عنى فما كان لى بد من الهرب هذا وقد دارت الروم بالبلد من كل جانب وصعدت الرجال على الأصوار هم والنسوان وعمل القتال بعد ذلك ثلاثة أيام ونصبت المنجنيقات وجعلت الرماة ترمى بالسهام والسهام تصيب الناس فكشفوا الناس عن الأصوار وعمل القتال بعد ذلك ثلاثة أيام أخر وأيقنوا المسلمين بأخذ البلد وخراب الديار والهلاك والبوار والمذلة والانكسار وعقبة يحرض الناس على الجهاد رياء منه ونفاق ويقول مانحن بأول من أسر وقتل فى سبيل الله فاصبروا واطلبوا من الله النصر تؤجروا فبالله عليكم من رأى شيبتى قد خصبت بالدماء من فليقل يامسكين هذا والناس يسمعوا كلامه ويبكون فهذا جرى (وأما حجاف) فانه لما دخل الى ملطيه جاءه مطرون يداوى جراحاته ويشد له فقال له أخيه زحاف لا والله مايداوى أخى غيرى لأنه قد اعتادنى وبمراهمى أنا ثم صنع مرهما وحشى جراحه وشده ولم تكن جراحه قاتلة ثم أقبل زحاف على أخيه وقال له اعلم أن البلد مأخوذة لا محالة وان نحن أقمنا فيه أخذنا أسارى وقتلنا عقبة والرأى عندى اننا نهرب الليلة أنا وأنت تحت الظلام وأنا أدليك بحبل من الصور وأنزل بعدك وأسرق لك من عسكر الروم جواد ونركب ونطلب آمد فقال حجاف يا أخى إذا كان الأمر كذلك فعندى رأى وفيه مصلحة للمسلمين واعزاز للدين وفيه مرضاة لرب العالمين فقال له زحاف وما ذلك قال ندخل الساعة على الخليفة ونقول له اعلم يامولانا اننا قد

عولنا على الهرب فى هذه الليلة ونعيد القصة عليه التى أبرمناها عليه من أولها إلى آخرها فان كانت له نهضة أنزلناه معنا ولا يقع فى أيدى الأعداء. فقال له زحاف لو تمت له ذلك وأراد أن يفعل لما تركه عقبة ولا مطرون لأنهما يريدان وقوعه فى أيدى الروم ولا يبقى للإسلام باقية فقال حجاف يا أخى صدقت وقد بان لى ذلك إلا أنهما الساعة غير حضور عنده فخذ الساعة فيما قلت الك مادام عقبة ومطرون غائبان فقال زحاف سمعاً وطاعة ثم أنه دخل على الخليفة فوجده فى حال شديد مما فيه من الجراحات فمشى زحاف ودنا اليه فوجده جالس فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له كيف خلفت حجاف على ما به من الجراح فقال فما هو الا بخير يا أمير المؤمنين وما له شغل قلب الا همك وهم المسلمين وقد أرسلنى اليك فى حاجة أقصها عليك ولا يعلم بها غيرك حتى لاينفسد ما نريد نعمل (قال) فلما سمع المعتصم ذلك أدناه اليه بعد ما أمر الناس بالانصراف فأعاد عليه زحاف القصة من أولها إلى آخرها فقال يا زحاف اصبر على حتى أنفذ إلى مطرون ويكون معنا لأجل جراحتنا فقال زحاف هذا يامولاى مالا يكون أبدا لأنه عدوى وعدوك ولأجل هذا ما أردت أعلمك بهذا الأمر إلا ما رأينا فى ديننا أن نخرج ونتركك وأنت امامنا وإمام العصر وتبقى فى أيدى الأعداء وقبضة الرداء وأخى الذى قال أعلم الخليفة حتى لايقع فى أيدى المشركين وأنت تريد مطرون وكان ينفذ الى الروم كتاب ورسول يعلمهم بخلاصنا فيرسلوا خلفنا الرجال فنؤخذ وتضرب رقابنا وان أنت فعلت ما أقول لك فانهض الساعة وإلا فروحى وروح أخى أحب الينا من مطرون وعقبة فقال جوهر صدقت والله يامولاى فدعنا الساعة من هؤلاء وغيرهم فقال المعتصم قد فعلت ذلك فافعل يا زحاف ما ينجينا من التلاف وكان المعتصم نازل فى البرج الكبير لأنه كان شاهق فى الهوى وهو مشرف على العساكر فقال زحاف الآن طاب قلبى ثم غاب ساعة وعاد ومعه أخيه حجاف يحمله على كتفه فوضعه ثم قال بسم الله قوموا على بركة الله تعالى وعونه ثم أخرج سلما إبريسم فنصبه فى الشراريف ثم رجع وصعد وقال قوموا بنا على بركة الله ثم أخرج سلما ثانى وضربه فى الشراريف وأرخاه إلى الأرض ونزل فضرب له سكه من أسفل فقال قم ياأمير المؤمنين فقال المعتصم ويلك يازحاف مجنون أنت تقول قوموا فقال لاوالله ياأمير المؤمنين فقال انظر ان كان فى أحد منا قوة أن يقدر يمشى ساعة واحدة فقال ياأمير المؤمنين ماأحوجكم إلى المشى لأن سل الخيول صناعتى من صغرى ولولا أخى حجاف نهانى عن ذلك ما كنت ثبت إلى الآن فضحك المعتصم ثم جعل زحاف يشيلهم واحد بعد واحد وينزل به على السلم حتى أنزل حجاف والمعتصم وجوهر ومسرور

وتركهم تحت الصور ومضى الى عسكر الروم فغاب ساعة وعاد ومعه من الخيل خمسة جوادات من أعز الخيول فأركبهم وساروا يقطعون الأرض فى ظلام الليل فلما كان وقت السحر واذا خلفهم حس حوافر خيل فقال المعتصم لا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم هذا والله حس وقع حوافر خلفنا فقال زحاف لا بأس عليك ياأمير المؤمنين فانى أعرف هٰهنا كهف فى لحف الجبل والغابة وهو تحت الأرض فنكون فيه حتى أنظر ما يكون من أمرهم فقال المعتصم لاوالله مانفعل هذا ولكن هذه سيوفنا فى أكفنا نلاقى بهم أعداءنا وأعداء الله ونموت كرام على ظهور الخيل ولو كانوا مائة فارس فدعونى أنا لهم على مابى من الجراح فقال الأمير حجاف وأنا أيضا لمائة وقال جوهر ومسرور ونحن نقاتل جهدنا فارجع يازحاف واكشف لنا الخبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت هذه الخيل أربعين فارسا من العرب المتنصرة من أتباع حرب بن شيبان وسبب اتباعهم ذلك لهم انهم كانوا فى تلك الليلة قد تولوا الحرس حول عسكر الروم فبينما هم كذلك وهم يدورون حول العسكر اذ نظروا لهم وهم مارين فقال بعضهم لبعض وحق المسيح لقد هرب الليلة المعتصم ونجى بنفسه لامحالة فإياكم أن تعلموا به أحد لعل أن يكون الظفر لنا دون غيرنا نمضى بالمال والخلع امضوا بنا لنقتفى آثارهم فساروا القوم يقطعون الأرض ذات الطول والعرض حتى أشرفوا ووقعت العين على العين وإذا هم خمس فوارس لاغير فطمعوا فيهم وقالوا لهم ياويلكم سلموا أنفسكم فما ينجيكم الهرب ونحن لكم فى الطلب هنالك غضب عليهم الأمير حجاف وقال لهم من أنتم يا كلاب حتى تخاطبونا بهذا الكلام فقالوا نحن من العرب المتنصرة أصحاب حرب بن شيبان أتباع الملك كرفناس فقال لهم الأمير حجاف لاقرب داركم ولاأدنى فراركم اليوم أقطع آثاركم وأعدم منكم الأنفاس ياملاعين ياأخس الناس ياردیئین الأنفاس فلما سمع القوم كلامه ونظروا اليه فعرفوه وقال أحدهم وحق المسيح كأنه الفارس الأقطع والبطل الصميدع فخذوا حذركم منه واحملوا عليه كلكم جملة واحدة فان أخذتموه نلتم من الملك كرفناس المنى وكلما تريدون هنالك حملوا عليه وتقدم فارس منهم ومد سنان رمحه اليه حتى اذا قاربه ورآه الأمير حجاف فى ضوء القمر فمد اليه كف مليان تقوى وإيمان وقبض على السنان وجذبه أخذ الرمح من يده وكاد أن يخلع كتفه ووقع الى الأرض مثل جزع النخله فأرداه بالرمح وكان وقع على أم رأسه والأمير حجاف قوم الرمح الى باقى أصحابه وكان تحته جواد سابق لأن زحاف خبير بالخيل المسومة لايأخذ إلا الخيول المنسوبة السابقة فما كانت الا لحظة حتى قتل منهم عشرة فوارس وحمل المعتصم من الجانب الآخر فقتل أربعة وأداروا على الباقين كأس

المنون فلم يلبثوا الباقين دون أن ولوا منهزمين وإلى النجاة طالبين وكان الأمير حجاف على سابق من الخيل شديد القوى والخيل فصاح به فخرج من تحته مثل الريح العاصف أو البرق الخاطف سبق الكل ووقف لهم فى المضيق وعارض الرمح فى الطريق وانما فعل ذلك حتى لا يمضى من يخبر بخبر إلى عسكر الروم والعدو فتأتيهم الرجال وتدركهم الأبطال (قال) فلا وذمة العرب ماكانت الا ساعة حتى تركوا الرؤس بلا أبدان والأبدان بلا جماجم وأعانه المعتصم وأنجده عليهم وكذلك زحاف وجوهر ومسرور حتى أبادوهم عن آخرهم ولم يبق من يخبر بخبرهم ثم أخذوا من الخيل خمس جنائب ورجعوا طالبين آمد فهذا جرى من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر ملطية فان عقبة لما أصبح الصباح أتى الى المعتصم ليسلم عليه ويقول له انه كان يدعو له فوجد المعتصم قد فقد وجوهر ومسرور وحجاف وزحاف ونظر السلم منصوب فكادت مرارته أن تنفقع من غيظه وحنقه وأما العسكر فانهم فرحوا بذلك الأمر وقالوا نحفظ البلد ومادام ان أمير المؤمنين الخليفه المعتصم قد خرج من عندنا فلا يقعد عنا ولا بد ما يجمع أهل الأرض ويرجع الى العدو (وأما عقبة) فانه أراد أن يكتب إلى كرفناس ليعلمه بذلك ثم أقبل على الملعون مطرون وقال له ان تركنا المعتصم أن يبلغ إلى بغداد ليجاب الينا أهل الأرض فى الطول والعرض فقال مطرون صدقت فكيف نعمل حتى نوصل الخبر إلى كرفناس فى بقية يومنا هذا وأنا أعلم أن حجاف والمعتصم لا يقدرون على الركوب لأجل مابهما من الجراح وأنا وضعت للمعتصم سما فلا يبرىء أبدا وإذا اهتز تحكم فيه الخبث ثم كتب الى كرفناس مع بعض نصارى من ملطية كتابا فيه كلما جرى وعمل الملعون ألف حيله حتى أخرج ذلك الرسول النصرانى من ملطية وسار الرسول حتى وصل ودنا من عسكر الروم فتواثبوا اليه البطارقة فقال أنا رسول الشيخ النجيح فحملوه الى كرفناس فأخرج له الكتاب فأخذه وقرأه من أوله الى آخره وأخبره بالقصة على هروب الخليفة ومن معه ويقول له لاشك انه طلب العراق وانى أحذرك ان تركته يمضى فساعة وقوفك على هذا تجرد مائة فارس من خيار المتنصره ويكون مع كل واحد الجنيب والثلاثة حتى يدركوه من الغد على مالق وشمشاط فى سحرات خرت برت ولا تنفذوا الا من يكون له خبرة بتلك الأرض وانهم ما يرجعون الا به وازحف أنت الى البلد بعد ذلك فلعلك تملكها فاذا أخذت البلد فهو أول غنيمة وأول بلد فتحته من بلاد الإسلام فبادر الفرصة وسارع الى ما أشرت به عليك ورأيك أنت اعلا فلما قرأ الكتاب وعلم مافيه عظم عليه وقال ان سلم المعتصم ضاع تعبنا ثم جرد مائتى فارس من عرب المتنصرة

وقال لهم ان رجعتم وماهم معكم ضربت رقابكم فقالوا أيها الملك لاتظلمنا ان نحن وجدناه آرمينا أنفسنا عليه ولو كان فى ألف فارس وبذلنا المجهود فقال اذهبوا من وقتكم هذا فساروا يقطعون الديار ويقتفون الآثار واما كرفناس فانه بعد انفاذ المائتين فارس خلف المعتصم زحف بعسا كره الى البلد ووقع القتال وعلموا الناس بهروب الخليفة فتشوشوا وقالوا طلب لنفسه النجاة وتركنا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومنهم من قال والله ما مضا المعتصم والأمير حجاف الا حتى يجلبون الينا العساكر ويأتوا الينا بالنجده على ان المعتصم لو أقام عندنا ماعساه ينفع بل ان فى سلامته سلامة المسلمين والاسلام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من العرب المتنصره الذين مضوا خلف المعتصم فانهم لم يزالوا سائرين مجدين الى أن وصلوا الى الموضع الذى فيه القتلى من أصحابهم المتنصرة فوجدوا ثيابهم ورحالهم وخيلهم شارده غايره فلما شاهدوا ذلك صلبوا على وجوهم وقالوا وحق المسيح هؤلاء أصحابنا وهم الذين كانوا تولوا الحرس البارحة حول البلد ولا شك انهم علموا بهزيمة السلطاو الى بلاده فتبعوه وهم فى قلةوحق المسيح ما فعل بهؤلاء هذه الفعال الا جماعة وما يكونوا أقل من ألف فارس فقال بعضهم لبعض ما الذى ترون من الرأى فقالوا ان مضينا خلفهم يقتلونا وان رجعنا الى الملك ضرب رقابنا كما قال وما أوقعنا فى هذا البلا العظيم الا عقبة فلا رحمه المسيح ثم انهم خافوا من كرفناس فساروا الى موضع يقال له شمشاط وهى قرية كبيره وساحة واسعة كانت فى الزمن الأول مدينة كبيرة جليلة ولها رستاق كبير وكان المعتصم لما يريده الله تعالى قد وجد من الجراح فتور فى جسمه فلم يقدر على المسير فى تلك الليلة فدخل شمشاط هو وأصحابه وأقاموا الى وقت العصر واذا بالخيل قد أشرفت عليهم وهى ما ئتين فارس من كل بطل مداعس وكانوا أهل شمشاط قد جفلوا كلم لما سمعوا أخبار ملطية انها محصورة وانكسار عسكر الخليفة فلم يبق فيها أحد وذهبوا الى الحصون ومنهم من طلب آمد وما فيها ديار ولا نافخ نار الا أن زحاف لما لاح له الغبار قال لأخيه حجاف والله يا أخى لقد شمت العدو بنا فقال حجاف يا أخى لا مفر من قضاء الله وقدره وان كانوا مثلنا أو اضعافنا مرة أو عشره فانا بعون الله تعالى أزيد منهم ولكن احمل انت مع أمير المؤمنين وأدخله الى البرج ونكون آمنين عليه ثم ركب حجاف وشد على جواده وركب زحاف ومسرور وجوهر هذا وقد وصلت الخيل اليهم وعرفوا حجاف وأخيه فطمعوا فى انفرادهم وأيقنوا انهم قد بلغوا مرادهم ونادوا أين خليفتكم يا ويكم فقال حجاف يا ملاعين ما الذى تريدون منه ها هو حاضر ولا تظنوا اننا نفزع منكم واننا ما أقمنا هاهنا الا للراحة ولو اننا نخاف ما أقمنا هاهنا فقال له بعضهم أريد أسألك

عن شيء فقال وما هو فقال أصحابنا المتنصرة من قتلهم فقال حجاف أنا وأصحابي الحقكم بهم ان شاء الله تعالى فقالوا له وحق المسيح لقد دنا أجلك وانقطع وسوف املك ثم انهم حملوا عليه فالتقاهم بصدر قوى وجنان جرى ورمح سمهرى (قال الراوى) وكان حجاف كما ذكرنا يعد من الأبطال الاقيال وساعده زحاف وجوهر ومسرور وعمل القتال واشتد النزال وتطاعنا بالرماح الطوال (قال الراوى) فوالله ما رأيت رجلا بلا رجلين يقاوم مائتين فارس مثل الأمير حجاف (ياسادة) وعمل القتال بينهم الى الليل وحجز بينهم الظلام وعاد حجاف ومن معه من أصحابه الى البراج الذى فيه المعتصم ونزلوا من حولهم الكفار واضرموا النار خيفة منهم ان يهربوا وأقاموا عليهم الحرس طول الليل وكان الأمير حجاف قد قتل ذاك اليوم اثنى وعشرين فارس وقتلوا أصحابه كل واحد فارس الا أن جوهر ومسرور قد جرحا وجرح الأمير حجاف جرح غير نافد وباتوا الروم يتذاكرون ما تم عليهم منه فقال واحد منهم ياويلكم أما هو هذا الذى أسر ميمونة وهو كما نرونه أقطع الرجلين وخرج بها وأحدقت به ألف فارس أو يزيدون وما قدروا عليه إلى أن أشرفوا على التلف فخذوا حذركم منه وإلا أهلكنا لأنه فارس المسلمين (قال الراوى) ياسادة يا كرام وبات أمير المؤمنين طول ليله يبكى ويتضرع إلى الله تعالى بالدعاء وبات من ألم الجراح يئن ولا يأكل ولا يشرب (قال الراوى) وباتوا يرقبون الصباح إلى أن طلع الفجر وقد طلبوا قتل حجاف وطمعوا فيه لوحدته وكانوا إلى لقاه أشوق من العطشان إلى الماء الزلال وهو أيضا لقاهم أشوق من الوالدة إلى لقاء ولدها عند طول الغيبة فحمل عليهم وهو ينشد ويقول

أشدد حزامك للموت فان الموت لاقيكا
ولا تطلب سوى القتل جهادا فى أعاديكا
ولا تقعد عن الأعدا فان الله ينجيكا
من النيران يوم البعث وفى الجنات ياويكا
وعجل حتفهم بالسيف فان السيف يرضيكا
ولا تقعد عن الحرب ولا تعصى لباريكا

(قال الراوى) وحملوا عليه فلله دره ودرجواده لأنه كان إذا طلب لحق وإذا طلب لم يلحق وهو يطاردهم بقوته ويخطف مهجهم بسيفه ورمحه وتوقدت نار الحرب ودام الطعن والضرب إلى أن أقبل الليل ودهمتهم غياهب الظلما وعاد حجاف إلى البرج وجواده

جرح والدماء يفج منه ووقف عن العادة الذى ذكرناها فوجد المعتصم قدورمت جراحاته وعلا أنينه إلا أنه لم يشتغل عنه حتى وثب اليه وناوله ما يأكل وما يشرب وحل منه شداد جواده ونزل وقد تعلق بمعرفة جواده وعلق عليه وسقاه من الماء وشد جراحه ثم انه لما أستراح جدد الوضوء وتطهر وجاس على ركبتيه وجعل يصلى ما فاته ثم تقدم إلى جواده ومسك بمعرفته ووثب صار على ظهره وشد قدميه بيديه وبات يحرس أخوانه على ما كان عليه فى الليلة الأولى يقرأ القرآن ويمجد الرحمن ويطوف على أخوانه طول ليله (وأما) الكفره عبدة الصلبان فانهم تعجبوا من فعله وقالوا وحق المسيح ما رأينا قط شكله وقدقتل اليوم منا ثلاثين فارس وان دام الأمر علينا هكذا يومين أخر هلكنا عن آخرنا ياويلكم أرسلوا واحد منا إلى الملك كرفناس يخبره بهذه القصة التى وقعنا فيها فقال بعضهم لبعض وحق المسيح لقد ضاقت علينا الأمور وان أرسلنا إلى الملك واحد يقول ياويلكم واحد مقطوع الرجلين قد قام بقتالكم يومين وليلتين وما كان لكم بقتاله طاقه وكان وحق المسيح يضرب رقابنا وان بارزناه أبادنا وأهلكنا عن بكرة أبينا ولكن لابد من الموت وما فى الأمر إلى أن نقصد جواده بالجراح ونطعنه بعوالى الرماح فاذا وقع الجواد إلى الأرض بطلت حركته ولا يرجع بعدها يقوم من مكانه (قال) فلما سمعوا أصحابه ذلك استصوبوا رأيه وباتوا معولين على ذلك الصباح فتواثبوا إلى متون القداح واعتقلوا بالرماح ودنوا من الكفاح فبينما هم كذلك وإذا هم بغبار من نحو ملطية قد ارتفع ولاح من تحته صياح ولمعان أسنة الرماح وبريق الصفاح فوقفوا ينظرون اليه ساعة زمانية وإذا به قد انكشف عن أربعمائة فارس من العرب المتنصرة ومعهم صليب من الذهب وعلى رؤسهم الرايات والصلبان مكتوب عليها حنا ومريم حتى إذا قربوا منهم القوا الصليب إلى الأرض ونادوا بلسان واحد لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر ياحجاف بالنصر الكافى وبما قد أعد الله لك فى الآخرة من الألطاف وقد هدانا الله ببركتك وأتينا الى نصرتك لنحامى عن مهجتك ونتبع دعوتك ثم عولوا على الحمله (قال الراوى) لهذا الكتاب ما سمعت قط فى كتاب ولا رأيت أحسن من هذا الفرج وأننى سألت عن السبب الموجب لذلك فأخبرت أن رجلا المتنصرة كان فى عسكر كرفناس وخرج من بلد الإسلام فى طلب الكسب والحطام وكان له أولاد عده يركبون الخيل ويخوضون الليل ولم فى المتنصرة كلها أقوى من شوكته لأنه كان يركب فى أربعمائة فارس من أقاربه وبنى عمه وأولاده كالسباع الضارية والأسود العاديه وكان أسمه بشر بن فهد وكان ذو شرف أصيل وحسب جليل وله سبعة عشر سنه

منتصر وكان سبب تنصره لأجل حروب قد جرت بينه وبين قومه وأرسله عقبة وضمن له المال الجزيل والعطاء وقال له كن على دينك ففعل ذلك ودخل الى القسطنطينية وطاب له المقام بها ودخل عليه عقبة بعد ذلك وشرب الخمر بين يديه وشد الزنار وأكل لحم الخنزير ولم يزل به حتى نقله عن دين الإسلام وأقام عند الملك منويل فى خدمته وحلت له بلاد الروم ومن بعده تنصر هو وقومه ومضت عليه السنين والأعوام وهو على ما هو عليه من التنصر حتى اذا كانت تلك الليلة التى بات فيها ولى الله حجاف على تلك الحاله مع الأعداء وهو يقاسى البلاء وقد عولوا العرب المتنصرة على أخذه وهلاكه بعد جرح جواده والخليفة أيضا قد بات يدعو الله ويسأله الفرج من تلك الشدة وهو يقول إلهى أنت الطبيب لكل عله فخلصنا مما نحن فيه من هذه المحنة (قال الراوى) وكان بشر بن فهد نائم فى تلك الليلة واذا قد رأى فى نومه أول الليل منام هائل عجيب وهو كأن القيامة قد قامت والسماء قد انفطرت والظلما قد اشتدت والأكباد قد عطشت وقد تجلى الرب سبحانه وتعالى لمسائل الخلق وأحضر عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة وأتم السلام وقال له ياعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الآية وأقبل بعده صلى الله عليه وسلم وكان النصارى قد أمر بهم إلى النار قال بشر والتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وجهه الشريف عنى فتعلقت بذيله وقلت يارسول الله قد أسأت الأدب وخالفت المذهب لكن نسبى متصل بنسب العرب وحسبى فيهم أجل الحسب وأنا أقول أشهد أن لا اله إلا الله وأنك محمدا رسول الله صلى الله عليك وسلم فقال له ابشر يابشر فقد قبل الله اسلامك ولكن اذا استيقظت من منامك خذ أولادك وبنى عمك وانجادك وأدرك العبد الصالح حجاف فقد تناهت به الشدة فى نصرة دين الله عز وجل والذب عن شريعتى والمحامى عن ابن عمى المعتصم بالله فاذا وصلت اليه وكشفت عنه الغمه فقل له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك ابشر بما أمده الله من الثواب فى يوم المرجع والمآب وقد قبلك الله وغفر لك ما كان منك فلما أفاق بشر من رقدته وانتبه من نومته قام وحلاوة طعم الكلام فى قلبه فأيقظ أهله وعشيرته وكشف لهم عن حاله فقالوا له ابشر فما فينا إلا من رأى مثل ما رأيت فارحل بنا بارك فيك وعليك فرحلوا من ساعتهم على الخيل والجنائب وساروا وقد طوى الله لهم الأرض وصار البعيد قريب فصبحوا القوم صباح وبان لهم صحة قول النبى صلى الله عليه وسلم فحملوا على أعداء الله حملة واحدة تركوا الدنيا منهم خالية وقتلوهم

عن بكرة أبيهم وجعلوا أنفسهم خامده وجدوا اسلامهم بين يدى أمير المؤمنون وبلغوا رسالته وخلصوا زحاف وجوهر ومسرور من الأسر وذهبت عنهم غلبة القهر فقال المعتصم سيروا بنا الآن واطلبوا طريق آمد فانها حصينة أمينة فاذا حصلنا فيها أمنا على أنفسنا ولو نزل عليها أهل الأرض ما بالينا بهم إلى أن يفرج الله عنا هذه الغمه سيروا بنا بارك الله فيكم فانى قد أنفذت إلى الأمير عبد الوهاب وإلى والدته ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب وغيرهم من عرب الحجاز واليمن وأنا ما أقول أنه يقعد عن المسلمين الأمير عبد الوهاب ولا تطيب نفسه بهلاك الموحدين فقال بشر بن فهد صدقت يامولاى نحن نوصلك الى آمد وأما أنا فلا بد لى أن أرجع إلى عسكر كرفناس فى السر لآمن على أهلى ومالى ولعلنا نحملهم الى بلاد الاسلام ولعل نقدر نؤثر أثرا فى طاعة الله تعالى لأننا قد مضى زماننا فى طاعة الشيطان لأن القوم مطمئنين من قبلنا وما يعلمون إن الله قد هدانى إلى ما يحب ويرضى ببركات الشفيع لمن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم وان وصل اليكم عسكر من المسلمين ونكون نحن فى عسكر الروم كبرنا وحملنا فيهم وكسرنا بعد أن أصير أنا وأصحابى فى أوسطهم ونطرح أرواحنا على الروم فى طاعة الحى القيوم فيكون ذلك وهنا للاعداء فشكره الخليفة على ذلك فقال ياليت شعرى كيف حال الناس فى ملطيه لأن فى قلبى من أجلهم هما لو طرح على الجبال لم تنهض به فنسأل الله تعالى أن يفرج عنهم فان فيها شيوخ وشباب وصبيان لا يفرقون بين النهار والليل لما قد نزل بهم من الويل وهم صوامون قوامون لا سيما الشيخين الصالحين مطرون وعقبه فانى خيلتهم فى الجامع يدعون الله تعالى أن لا يخيب دعاؤهم فضحك حجاف ولا أبدى ولا أعاد وقال فى نفسه يكفى الله الناس شره وشر دعاءه ولم يظهر المعتصم شىء من ذلك لأنه رآه فى حالة شديدة من الجراح وعلم أنه ما يتكلم بهذا الكلام إلا من حسن ظنه بالمسلمين ثم انهم ساروا يقطعون الأرض سيرا رفيقا من أجل الخليفة وقد حملوه على بغالين فى محفه حتى وصلوا إلى آمد فخرج اليه الأمير قحطان وهو صاحب البارعية واستقبله وفرح بسلامته وحمله إلى قلعة آمد وبكا بين يديه وقال له ياأمير المؤمنين وبلغ بك الأمر إلى هذا ولو كان الأمير عبد الوهاب حاضر لما تم عليك هذا وما جرى على المسلمين هذا المجرى ولا أسر أحد من المسلمين ولا هلك فقال المعتصم كل مقدر كائن إن شئت فى السر وإن شئت فى الجهر وبهذا جرى القلم فى القدم (قال) ولما حصل المعتصم وحجاف وزحاف فى قصر آمد أدخل عليـــه قحطان الأطباء والجرائحية ليداووه ووعدهم بالأموال والخلع (وأما الأمير بشر بن فهد) فانه لما وصل الخليفة إلى آمد ودعه ورجع هو

وقومه يقطعون الأرض طالبين عسكر الروم كما تقدم فهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من أمر ملطيه فان عساكر الروم داوموا عليهم القتال الليل والنهار عشر أيام وكان فيها من العسكر خلق كثير عرب وترك وديلم فقاتلوا قتال من كره الحياة القباء وترك دنياه وجعل الآخرة نصب عيناه هذا وعقبة يدور عليهم ومعه الزاد والماء يحملوه أولاده وغلمانه يطعموا المجاهدين ويسقوهم ويقولوا معاشر المسلمين اصبروا وصابروا وابشروا فى الآخرة بالثواب فشكروه الناس على ذلك وقالوا والله ان الشيخ أصلح الناس وان أعدائه يكذبون عليه وأى شىء الذى يمنعه الساعة فى غيبة المعتصم وحجاف أن يمضى الى كرفناس الذى أذل رقاب الناس وكان عقبة اذا سمع كلام الناس يقول هذا ثواب يسوقه الله الى على انى أشهد الله تعالى وأشهد الناس الحاضرين من خلقه اننى قد حاللت كل من يقول عقبة نصرانى (قال) ولما كان اليوم الحادى عشر وقد زحفوا الى القتال كتب عقبة كتاب كرفناس يقول له الى متى هذا التطويل ازحف إلى البلد واقصد الى البرج على يسار الباب فقد قتل أكثر رجاله وهلك أبطاله وهو خالى من اقياله وانصبوا السلالم وقد أخذتموه لان فى البلد مال عظيم ونساء وخدم مالا يحصى لهم عدد ثم أرمى بالكتاب فى سهم نشاب فأخذه العسكر ومضوا به الى كرفناس فلما قرأه زحف بنفسه ولم يكن العشرة الذين مضوا باشروا القتال إلا أن يكون فى ذلك اليوم ثم صاح بالرجال وزحف ورشقت السهام فبطحت الناس من أعلى الأصوار والأبراج ثم نصبوا السلالم وعلا الصياح من النسوان وضجت الصبيان وعظم القتال واشتد النزال وصبرت الرجال على تلك الأهوال وتمت المنجنيقات تعمل بحجارتها وأيقنت النفوس بفراق ساداتها والقلوب بدمارها وهلاكها وقل الاصطبار وعظم الانتظار وتزلزلت الأقطار والاصوار ورموا بالاحجار حتى تنصف الليل هذا وعقبة قد تقدم الى نصارى البلد وأمرهم أن يغنموا الفرصة عند غفلة الناس ويفتحوا الباب فقالوا سمعا وطاعة فتركوا الناس فى تلك الشدة وعدلوا الى الباب ففتحوه ودخل الروم وعمل القتال فى الدرب وبقوا بين ناكب ومنكوب وعاطب ومعطوب وآخر بنجيعه مخضوب وتباكت الاطفال والبنات المخدرات ونعق فيهم ناعق الشتات وخرجت المستترات فهذا يقول واسلاماه وهذا يقول وامحمداه وعقبة يدور فى البلد ويقول ما يخلصكم إلا محمد صلى الله عليه وسلم نادوا باسمه وأعلنوا بذكره فهو الساعة يأتى اليكم ويخلصكم من الكفرة الفجرة والنساء إذا سمعوا قوله يأخذوه على وجه الحقيقة وينادون وامحمداه وعقبة يقول ذلك من طريق اللهو واللعب هذا وقد طارت الارواح من الاشباح وفاضت الدماء بالاذقه

والبطاح ونال الناس غاية المشقة وقتل منهم عالم عظيم وأخذوا الباقى أسارى وملكت الاعداء البلد وجلس كرفناس على سريره فى جامعها وضرب قوسه فيها وأقام شومدرس ينادى بكلمة كفرهم وقد رفعت بين يديه الصلبان عقبة ويقبل الارض ويقول هذا ما كنت أتمناه فأين عبد الوهاب وأبو محمد البطال حتى يعاينوا هذا اليوم وتنفطر مرائرهم فقال شومدرس بحق المسيح لا تتمناهم فانى ما أشتهى أن أراهم ثم قال شومدرس ما أريد أراهم إلا فى طالع منحوس ونجم معكوس ولو كانوا الساعة حاضرين ما قدرنا على هذا البلد ولاوصلنا إليه أيها الشيخ بالله لا تجيبهم الينا وأبعدهم عنا فما هم شىء مليح فضحك عقبة وقال يا شومدرس أنت بعد فى قلبك خوفهم هيهات كان ذلك فى أيام غير هذا الملك وأما هذا الملك فما يقدر أحد يقاومه ولايقف بين يديه وهو الذى يملك الأرض ذات الطول والعرض (قال) أن الملك استراح ثلاثة أيام ثم أمر بالرحيل نحو آمد وأخذوا الناس أهبتهم للرحيل واجتمع الملك بعقبة اللعين وقال له أيها الشيخ أنا كنت أرسلت خلف سلطانكم لما هرب مائتين فارس من العرب المتنصرة فما رجع منهم أحد فى كم هرب فقال له ماهرب من عندنا إلا فى خمسة نفر منهم حجاف فقال ان كان الأمر كما ذكرت فما يرجعون الا بهم لانى وعدتهم بالقتل ان فاتوهم وساروا مجدين إلى موضع الأربعين فوجدوهم صرعى عن بكرة أبيهم فقال الملك لعقبة ياويلك أما ذكرت أنت ومطرون أن سلطانكم ماهرب إلا فى أربعة نفر وهو الخامس لهم فقال نعم وحق المسيح إلا أنك تعرف الأمير حجاف النميرى وشجاعته الذى أشرت عليك بقتله مراراً عدة وخالفتنى حتى أباد أصحابك عن بكرة أبيهم فلاتخالفنى فيما أشير به عليك فتندم عند مخالفتى وقال وكان كرفناس لما رحل من ملطيه خلف فيها خمسين ألف فارس مع بطريق شديد القوى يعتمد عليه وعليهم وقال لهم انى سائر الى بلاد الإسلام وكلما فتحت بلد أرسل الأسارى اليكم والأموال وتم ملك الروم فى سيره الى أن نزل على آمد فرأى تلك البلد حصين لا يرام ولا يقدر عليه أحد من الأنام وقال لعقبة يا أبو نا ماهذا إلا بلد حصين فقال عقبة هو ذلك وما التجأ اليه الخليفة واستجار إلا لمنعه ولو اقمت ههنا عمرك ما قدرت عليه إلا أن يكون بعد طول المدة والحرب الشديد والمحاصرة والصواب أن نسير ونملك العراق هذا البلد والموضع بين يديك مايفوتك لأن البلد والبلاد خالية مافيها من يدفع ولا من يمنع وقد رأيت رجالهم البعض مقتول والبعض مأسور والبعض فى ملطيه مقهور والبعض شارد مكسور والبلاد خالية بلا سلطان وبلا عسكر فقال كرفناس صدقت لأن هذا الموضع مالنا اليه طريق ولا يعمل فيه حجر المنجنيق قال عقبة إذا كان الأمر كذلك فارحل بنا فى غداة غدا (قال الراوى)

وأما المعتصم فانه لما نزل كرفناس على آمد تحقق أن ملطيه قد أخذت فبكا رحمة للمسلمين ومحبة لأجل الدين فقال لحجاف وقحطان هلكت والله الناس فقالوا له يا أمير المؤمنين لامفر من قضاء الله تعالى ولا من حكمه يفعل مايريد ونحن العبيد لله (قال الراوى) ثم انهم قالوا نحن نصعد كلنا على الأصوار ونقاتل الكفار إلى أن يأتى الله بالفرج وأما اننا ننزل اليهم فما نقدر على ذلك لأننا فى قلة وهم فى عسكر جرار وبحر زخار فلما ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ونصلى ونسلم على سيدنا محمد زين الملاح زحف الملك إلى البلد حتى يقاتل الناس ويرمى بالسهام ويرى قتالهم ويجرب نزالهم وينظر أين هم من عالم الأبراج ثم حاصرهم ساعة من النهار فقتل من الروم عالم عظيم ولم يقتل من أهل البلد أحد فى ذلك اليوم لأن الأبراج عالية كأنها الحصون وان عقبة لما رأى ذلك قال الملك أنا قد أشرت عليك بالرحيل فلم تقبل ذلك حتى أخرت الهيبة وكسرت الناموس الذى للروم فسير بنا إلى بلاد لافيها من يدافع ولا يمانع فقال كرفناس فى غد أرحل فى السحر وهم على ذلك الكلام (قال الراوى) وإذا بسهم قد وقع من بعض الأبراج فأتى به إلى كرفناس البطريق الذى لقاه وقال له هذا وقع من بعض الأبراج فوجدته فأخذه كرفناس وسلمه إلى عقبة فوقف عليه وإذا به من بعض معاملين عقبة من نصارى البلد وهو يقول فيه نحن نأخذ لكم البلد لامحالة لأننا فى أربعمائة أرمنى ونصرانى وقد عولنا أن نبذل نفوسنا فى طاعة المسيح وتقصدوا الليلة باب الجبل وهو باب المينا فترسل الينا مقدار اثنى عشر ألف فارس بالسيوف والدرق إلى صوب الشط ونحن نفتح لهم الباب فى الليل وإذا حصلوا عندنا فى البلد أرسلنا اليكم واحد من جماعتنا ونطرح الصوت فى البلد فى الظلام فيضرب بعضهم بعضا بالحسام وان فطن المسلمين قبل وصولهم الينا نحن نحامى عن أنفسنا إلى أن تصلوا الينا ففرح بذلك عقبة الملعون وباس الارض وعرف خط الأرمن وأخبر الملك بذلك ففرح الفرح العظيم وطاب قلب كرفناس وتموافى القتال إلى أن أمسى المساء فانفرد عشرة آلاف من أبطال الروم المعدودة للقتال رجاله ومضوا إلى باب المينا وكانوا كاملين العدد والعداد (قال الراوى) وأما المعتصم فانه لما نظر إلى كرفناس ونزوله على آمد وقتاله بقية النهار وهو كان سمع أنه عول على الارتحال فأنكر ذلك وقال مافعل ملك الروم هذا الأمر وأقام بعدماكان معول على الرحيل الا لسبب من الأسباب فقال حجاف يا أمير المؤمنين لعله ما أراد الرحيل ويخلى مثل هذا الموضع الحصين فعاد للقتال يريد فتحه وأنا أعلم أنه لاسبيل له على البلد وتطول المدة إلى أن تأتى الينا النجدة وكذلك نريد نحتفظ بالبلد من داخل داخله خوفا من حيله تتم

علينا فنهلك فقال الأمير قحطان اما أنا فقد تم علىَّ نوبة مثل هذه من الأرمن الذين كانوا معى فى البلد البارعيه وأخذوا البلد وأهلى وهذا البلد فيه أرمن ونصارى كثير ولو قبضنا عليهم الى أن يفرج الله تعالى عنا لكان هو عين الصواب فقال المعتصم صدقت أيها الأمير افعل ذلك من تلك الساعة فعندها نزل قحطان ورجاله إلى البلد فما تركوا فيها أحد وكان رجل أطروش من الأرمن إلا أنه قد علم بهذه النوبة وعنده خبر وكانوا لم تركوا فيها أحد من الأرمن ولا من النصارى إلا وقبضوا عليه ولما قبضوا على هذا الأطروش قالوا له أن أمير المؤمنين قد أمرنا بالقبض عليكم فلا يهمك ذلك لأنه إذا وصلت النجدة ورحل ملك الروم عنا نطلق سبيلكم فظن انهم يقولون قد علم أمير المؤمنين بهذه القضية وقد أمرنا بالقبض عليكم فقال ياقوم لاتظلمونى أنا وحق المسيح ماعلمت بهذه القضية إلا فى الآخر فخلونى حتى أحدثكم من الذى أشار علينا بهذا الأمر ففرح قحطان بذلك وقال له هات ماعندك ثم أخذ بيده وأتى به إلى بين يدى الخليفة وقال يامولاى اسمع من هذا الشيخ النحس ما يقول فقال المعتصم تكلم قال يامولاى القس الذى للبيعة أشار علينا بهذه القضية وهذا الأمر وقد أرسلنا إلى الروم نقول لهم نسلم اليكم البلد فقال قحطان نحن قد عرفنا هذا فمن أين أردتم تسلموهم البلد فقال يا مولاى من باب المينا وقد ترتب لنا عشرة آلاف من الروم تدخل نصف الليل ففرح المعتصم بذلك ثم سجد شكرا لله تعالى على ذلك وقال لو كنا أهملنا أمر هؤلاء الأرمن كنا هلكنا عن بكرة أبينا فالحمد لله الذى أرشدنا لهـذا الأمر ودفع عنا المكر وصرفه عنا فقال الأمير حجاف خلوا هذا ودبروا فى أخذ هذه الاثنى عشر ألف فارس من الكفار الذين خارج البلد ليكون وهنا لهم وهلاكا لأصحابهم وأفلالا لعزهم ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها جمع الأمير قحطان عليه كل من فى البلد وكانوا ثلاثين ألف من الرجال ومعهم العدة السنية وأقامهم حول الباب صفوف وفى أيديهم السيوف وفتحوا الباب وتقدم واحد من أهل البلد إلى الروم الأثنى عشر ألف وقال أسرعوا فجاؤا كلهم فلما حصلوا على الباب ونظروا الرجال قيام فسألوا عن ذلك فقال لهم هؤلاء كلهم منكم ومن أصحابكم وأصحابنا فأدخلوا ولا ينطق أحد عن منكم بكلام حتى تصلون إلى قصر الملك فاذا ملكتموه وملكتم الصور فأعلنوا بعد ذلك بالصياح حتى يسمع الملك كرفناس ويقصد اليكم ولم يزالوا الكل كذلك إلى أن حصلوا كلهم داخل البلد وجعل كل واحد منهم بين ثلاثة رجال من الموحدين وقد أحدقت بهم الرجال من كل جانب هنالك غلق الباب وعمل فيهم السيف القرضاب وطارت رؤسهم

عن المناكب وعمت عليهم المصائب وعلت الأصوات من كل جانب فسمع كرفناس ومن معه من ظاهر البلد وقال عقبة لكرفناس أبشر ببلوغ الآمال فقد حصلت الرجال معهم فى البلد الذى ما قدر على فتحه أحد غيرك أيها الملك ثم أنفذ عقبة عشرة آلاف فارس من الكفار أخر إلى نحو الباب وقال لهم أن وجدتم الباب مفتوح أدخلوا وكونوا عونا لأصحابكم على أعدائكم فقال كرفناس ما يحتاجوا إلى ذلك لأن الذين دخلوا البلد لو كان فيها مائة ألف لقاموا بهم (قال) ولم يزل السيف يعمل إلى وقت السحر وهدأت الأصوات وقلت الضجات وقلت الصرخات وسكتت الزعقات وقد فرغوا الموحدين من اللئام الكافرين العشرة آلاف بطريق ولما أضاء النهار طلعت المسلمون على الأصوار وعلا صياحهم بالتكبير والتهليل على الكفرة الملاعين ورموهم بالعشرة آلاف رأس من على الأصوار فقامت القيامة على اللعين كرفناس الخناس فشخر ونخر وقام وقعد وأرغى وأزبد وقال للملعون عقبة يا شيخ النحس هذا برأيك المنحوس وتدبيرك المعكوس يا وجـــه القرد يا كناس يا مرفوض فقال الخبيث عقبة من مكره ودهاه ما هو كثير لحيتى الساعة لم نبتت وآذانى ليسوا صحاح ترجع تحلقها مرة أخرى فضحك كرفناس من وسط الغيظ من كلامه وعفى عنه وقال له أنت تعلم انى أمرتك بالرحيل خوفا من هذا الأمر ولعل الكتاب كان حيله علينا أو قد علموا المسلمين بالقصة فقال كرفناس ويلك يا شيخ النحس الآن تعرف ذلك ما كنت ميزت قبل أن يتم علينا هذا ولكن وحق المسيح وستمائة جاثليق ساروا فى طلب تمامه على التحقيق فوصل منهم ثلثمائة من غير رفيق فخرج اليهم ملك بنى أسرائيل على التوفيق فمنهم من رماه فى البحر غريق ومنهم من عصروا اليهود عليه وعلى حلقه فمات خنيق ان كان لابد لى ما أفتح هذه البلد وإلا أضرب كل يوم من عسكر ألف رقبه وبعدما أفتحه ما أبقى على أحد ممن فيه ثم أمر أن لايترك فى ظاهر البلد ولا فى رستاقه شجره إلا ويقطعوها ففعلوا ذلك وأتت اليه الأخشاب وحملت اليه من الضياع والجبال مدة عشرة أيام ثم أمر الصناع أن يصنعوا آلة الحصار فعملت الأبراج والسلالم والكباش والدبابات حتى صاروا الأبراج بعلو آمد ولما كملت ملوها بالرجال ودفعوها إلى الأصوار وعلوها من البلد فأيقن الناس بالذهاب ورموا بالسهام والنشاب حتى هلك منهم عالم كثير وأنكشفوا عن الابراج والأصوار وما بقى أحد يقدر يمانع ولا يدافع وارتفع الصياح من البلد ولبسوا الدروع والزرد وأخذوا معهم قوارير النفط وصاروا يضربون الابراج الخشب فلم يتعلق فيها شيئاً من النار لأن عقبة قد علم أنهم لابد لهم أن يضربون الأخشاب بنار النفط فالبسوها اللبود

الطيلقانية المنقوعة فى الخل فلم تعاق فيها النار هذا وعلا الضجيج والعجيج فى البلد من النساء والصبيان والبنات المخدرات هذا وقد أيقنوا بأخذ البلد وإذا بغبار قد علا وطلع وملأ الخافقين وارتفع وتطاولت اليه الأعناق ورمقوه الاحداق (قال) وكان ذلك العسكر من بلاد اليمن وهم قوم يقال لهم وبلادهم اليسر وقد أتوا فى ثلثمائة ألف على نية الغزو والجهاد والكسب وسمعوا بأخبار الخليفة أنه محصور فى آمد فأتوا على عجل وكان المقدم عليهم خزرجة ابن عقيل اليمانى وكان من الابطال أبطال العرب الموصوفين والاقران المذكورين وصارت بلاد اليمن تحت يده وأمره ونهيه وكان من شجاعته يحب الجهاد فى سبيل الله تعالى فلما وصلت اليه الاخبار بأن كلب الروم قد خرج إلى بلاد الاسلام فجمع قومه وعشائره وقال إعلموا أنه قد ظهرت دولة المسيح والزنار وأبادوا المسلمين الابرار وما بقى يجوز لنا المقام بعد ما سمعنا أن ابن عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم فى حصار الكفار فلما سمعوا قومه ذلك قالوا اسير بنا اليهم فنحن لك وبين يديك ثم أمرهم بالرحيل وساروا إلى أن أشرفوا على آمد وقد أشرفت البلد على الاخذ فنادى المنادى بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وظن المعتصم أنها عساكر الامير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب فارتفعت الأصوات فى البلد ونظر ملك الروم إلى ذلك فحار فقال له عقبه يا ملك قد جاءتك وحق المسيح العساكر التى كنت خائف عليك منها هذه عساكر بنى كلاب وعبد الوهاب فقال وحق المسيح هذا مقصودى لأنك شوقتنى إلى رؤية الأمير عبد الوهاب بما تصف لى من شجاعته وبراعته واليوم وحق المسيح يكون آخر أيامه وأسقيه كاس حمامه ثم رحل كرفناس عن آمد إلى موضع يصلح للجهاد والقتال ونظر إلى ميمونة فرآها وهى ترتعد مثل السفعة فى يوم ريح عاصف فقال لها ما بالك فقالت له أيها الملك من أجل هذه العساكر التى وصلت مع الأمير عبد الوهاب وان يكن فيها إلا ذات الهمة وحدها لكان فيها كفاية وانى خائفة عليك منها فضحك كرفناس وقال ابشرى ولا تضيق صدرك من هذا الأمر وحق المسيح أن نفسى تحدثنى أن أبرز إلى عساكر المسلمين جميعهم ولا أبالى لأن معى رجال تخافهم الجن قد ألفوا الحرب والقتال ومباشرة الأهوال (قال) ووصلت العساكر ونزلت على آمد وأحدقت بها وخرجوا لهم المسلمين وسألوهم عن أمير الجيش فأخبروهم انهم من اليمين وأن المقدم عليهم الأمير خزرجه ابن عقيل التبعى اليمانى وقد أتوا إلى نصرة الاسلام ففرح الخليفة وكان يسمع أيضا بهذا الأمير وقوته وشدته وقال دع يأتى الفرج على يد من يريده الله تعالى لنصرة الاسلام ويكشف الكرب عن المسلمين وباتوا الناس على غير قتال وتحارسوا حتى طلع الصباح

ونادوا المسلمين بكلمة الفلاح وجردوا الصفاح وركبت الأبطال على متون القداح وزحفت الصفوف واشتهرت السيوف ونظر عقبة تلك العساكر فقال ياملك وحق المسيح ما هذه عساكر بنى كلاب ولا فيها الأمير عبد الوهاب لأنى أراهم أصحاب قسى ونشاب ولا شك انهم من اليمن وأن صدقنى حذرى هم أصحاب خزرجه ابن عقيل وهو فارس عظيم وبطل جسيم وقد كان فى كل سنة يطلب الغزو والجهاد إلى بلاد الروم والدخول اليها ولا شك أن كتب المعتصم قد وصلت اليه وفيه دين كثير وقد لعبت بعقولهم زمان طويل وصمت عندهم وأنا بنية الافطار وصليت بهم بغير وضوء وأريد يشتفى غليلى منهم وهذا الأمير المقدم عليهم فى قوة الأمير عبد الوهاب وهو لا يقوم بين يديك سوى يوم واحد قال كرفناس سوف ترى العجب منى واصطفت الصفوف وازدحمت الألوف وحمل بعضهم على بعض وماجت بهم الأرض وتراشقوا بالسهام وكانت سهام أهل اليمن ضعيفة لا تعمل فى لباس الروم وسهام الروم تعمل فى دروع أهل اليمن فيالها من ساعة كانت السهر فيها مثل الجراد المنتشر وقد نصبت الحرب خيامها ونفذت معامعها وقتلت خاصها وعامها واعترك همامها ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل والرجال تقتل وقد ظهرت السفارقة على عسكر اليمن وأرموهم إلى صور البلد ولولا حجاف خرج اليهم ومعه قحطان فى أربعة عشر ألف فارس وقاتلوا قتالا شديد لكانوا أهل اليمن انهزموا وقاتل الامير خزرجه قتالا شديد حتى أشفى الغليل وباتوا الناس يتحدثون بما شاهدوا من قتال الامير خزرجه ولما أصبح الصباح اصطفت الناس للكفاح وانتطحت العسكران نطحة بقيت الخيل فيها تخوض فى الدماء وشربت الابطال شراب العمى ونهلوا كاس العطب وكانت الآجال للاقيال سبب ولم يزالوا كذلك إلى الليل وفتح باب البلد ودخل أهلها وقد فقد منهم عالم عظيم ونظروا من السفارقة شيئاً عاينوه من غيرهم ولما كان اليوم الثالث خرج الناس للحرب والقتال وهم يقولون لعل الله ينصرنا على القوم الكافرين وكان كرفناس قد عول أن يخرج إلى الحرب لعله أن يقاتل الذى قال عليه عقبة ويتقاتل معه وينظر قتاله حيث أنه فى طبقة الامير عبدالوهاب فلما ترتبت العسكرين وإذا كرفناس قد برز وهو على جواد أصيل يقطع البيداء معود على الصبر على طول المدى كانه القضا وهو لصاحبه فوق الرضا وعليه معمد مقصب وعلى رأسه مغفر مجوهر وصارم أبتر وهو يلوح به إلى العسكر ويطلب البراز فخرج اليه فارس من اليمن قتله وثانى جندله حتى قتل تسعة فوارس وكان العاشر الذى خرج اليه خزرجة بن عقيل ولم يخرج حتى دخل الخليفة وأستأذنه وودعه وقال له يا أمير المؤمنين

معلوم أننى ما جئت من بلادى إلا فى طلب الجهاد والشهادة وإن الله تعالى أن يرزقنى اياها فما بقى لى فى الحياة مطمع ولا أزال أقاتل بين يديك حتى يقضى الله ما هو قاض فدعا له الخليفة وقال اسأل الله تعالى أن يقويك ويقوى بك الاسلام فلولا قدومك لكان البلد أخذوه بالأمس فانظر بين يديك وأن برز اليك كرفناس فاحذر منه على نفسك فان سهامه لا تمنعها الدروع المانعة ولا السيوف القاطعة وهو فارس لا يطاق وعلقم مر المزاق فقال يا أمير المؤمنين ان كان الله تعالى قضى بقتلى على يديه فى هذا اليوم فلو اجتمع أهل الأرض أن يزيد فى عمرى ساعة ما قدروا عليه وان كان قد بقى من أجلى مدة طويلة فما يقدر أحد على قصرها فقال الخليفة هذا هو العبد المجاهد (قال) ثم خرج الأمير خزرجه الى مقام الحرب وهو بعدة كاملة وحمل على كرفناس وكان كل واحد منهما يهز الحربة حتى تلتقى أطرافها ويضرب بها صاحبه فيأخذها الآخر من الهوى ويهزها ويردها إلى خصمه فيزوغ عنها وتذهب باطلة فتحيرت الناس منهم وحرص كرفناس أن يأخذه أسير فلم يقدر على ذلك فلما علم كرفناس ذلك كره التطويل وضرب بيده إلى قوسه وكان يشبه قوس خزرجة فهم كل واحد منهم أن يطلق النبلة فما أراد الله إنفاذ القضية انقطع وترقوس الأمير خزرجه فبطل سهمه ونظر كرفناس الى ذلك فهجم عليه أخذه أسير فعندها حملت الروم مثل البحر الزاخر فطيروا الرؤوس وقطعوا الأوصال وشردوهم فى الرمال واشتد الأمر على أهل اليمن فدخلوا آمد بعدما هلك منهم خلائق كثير ولم يبق منهم الا اليسير ولما أظلم الليل جلس كرفناس على سريره وأحضروا الأمير خزرجه بين يديه وجعل يشرب الخمر ويلقى فضلته عليه هذا وعقبة حاضر فجعل خزرجة ينظر اليه ويقول لا إله الا الله ويلك ياقاضى قد أطلقت لسانى فى عرض عبد الوهاب من غير أن أطلع على باطنك وائن سهل الله لى بالخلاص لكان قتلك على يدى فوثب عقبة ودفعه ألقاه على ظهره وجلس على صدره ونحره من أذنه الى أذنه وعجل الله بروحه الى الجنة ورجع عقبة إلى الصباح طلعوا الناس على الأصوار وغلقوا الأبواب ودام القتال عشرة أيام وفى الحادى عشر أشرفت الناس على الهلاك واذا بغبار قد طلع الى العنان وارتفع كالدخان وانكشف عن ناس كان رماحهم آجام القصب بكل سيف مشطب وفيهم سودان قد ملؤا الأرض ولهم همهمة قد أخذت طول وعرض (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وهو لما أرسل الخليفة الكتب مع النجاب سار يقطع الأرض طالب الى ملطية حتى وصل اليها فوجد الناس فى بكاء ونحيب فلما رأوه أهل العراق بكوا فى وجهه وأخبروه أن الخليفة محصور فى آمد وكل من فيها من الأمم وقد

انكسرت عساكر اليمن وأخذ ملك الروم مقدمهم خزرجه والناس مشرفين على الذهاب والهلاك فلما سمع النجاب سار طالب بغداد ولما وصل اليها وسمع الأمير عبد الوهاب ذلك من النجاب رحل بالناس من وقته وساعته خوفا على الإسلام وحمية لدين الملك العلام وأوصل المراحل ليلا ونهار حتى أشرف على آمد وقد أشرفت على الأخذ وبانت الرماح كما ذكرنا وسمع الملك كرفناس همير السودان وزمجرة الأبطال أقبل على عقبة وقال له ياشيخ ما أكثر عسكر الاسلام كل يوم يأتينا جيش بعد جيش وعسكر بعد عسكر ولكنهم غنائم قد ساقها المسيح الينا فقال عقبة آه ياملك من هذا العسكر وماأتى يلقاك الا أمير الثغور والبطل الجسور عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فصاح عليه كرفناس وقال وحق المسيح ان رجعت وصفت هذا الأمير بين يدى لأضربن رقبتك فقال عقبة ماأعود إلى مثلها أبدا ثم خلا عقبة بشومدرس وقال له ياويلك ماهذا الا جبار وما يكترث بقتل أحد فقال شومدرس وحق المسيح صدقت لأنه يظن أن ماعلى وجه الأرض أشجع منه وان سمع أن أحدا أفرس منه يصعب عليه فلا تعود الى مثلها يهلكك فقال صدقت فهذا عبد الوهاب قد حضر وأنا ان أقمت مكانى فانى فى غاية من الخطر وقد عولت على الرواح والهرب فقال شومدرس بشرت علينا الساعة لابشرك المسيح بخير فقال عقبة هاقد قلت مادام طمطم وطماطم وأبو الموت وملابط البغال وهؤلاء المناحيس قد حضروا الى هذا المكان مابقى المسيح يبشرنا بخير الاأن يكون مع كرفناس سعادة الأولين والآخرين فهو حينئذ يقدر عليهم (قال الراوى) وعاد كرفناس عن البلد إلى مكانه بلا فزع ولا جزع ونزل الامير عبد الوهاب حول البلد ودخل هو والاميرة ذات الهمة وسيف الحنيفية وظالم وطيبون وأبو محمد البطال الى أمير المؤمنين المعتصم بالله ووقفوا بين يديه فلما رآهم بكى وبكوا بين يديه لبكائه وطلب أن ينهض فلم يقدر من الجراح التى أوثقها الملعون مطرون بالسم فهنالك تقدم طيبون ونظر اليها وكان عارفا بذلك فلما رأى ذلك أخرج الخرزه المقدم ذكرها وهى التى كانت سبب نجاة الامير عبد الوهاب من تلك السقية المسمومة ودهن بها الجراح من خارجها وظاهرها فخرج الخبث من باطنها وذهبت ودعى طيبون بحشائش يعرفها ودقها وحشى بها الجراح وشدها شدادا وثيقا وقال ياأمير المؤمنين لا تأكل شيئاً خفيفا ثم تعاهده فى المأكول والمشروب فسكن ضربانها باذن من يقول للشىء كن فيكون وأمره بين الكاف والنون فقال المعتصم لقد نفعنى الله بك ياهذا الرجل بخلاف مطرون أحسنت والله ياطيبون (قال الراوى) وبات الناس متحارسين وقد أضرمت النيران وصاح الحرس بين الفريقان وزمجرت السودان

ودمدمت الجيشان وفتح الامير عبد الوهاب الخزائن خزائن السلاح وأخرج أربعة آلاف زرد به ضيقة العدد كانها عيون الجرد لا تعمل فيها المواضى ولا تنفذ فيها القواضى ففرقها على السودان لان الأمير عبد الوهاب كان سمع أن هؤلاء الشياطين سهامهم تخرق الستائر فقال للسودان والله ان كل واحد منكم أحب الىَّ من كل من فى البلد الروم فاعقلوا على نفسكم من سهام الأعداء (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح زحفت الروم الى الحرب والكفاح وأما الأمير عبد الوهاب فانه أمر الناس أن لا يباشروا حرب ولا نزال حتى يأمرهم بذلك (وأما ملك الروم كرفناس) فانه ركب وسار الى مقابلتهم وارسل اليهم وحرضهم على القتال ولما وصل الأمير عبد الوهاب أرادوا العرب ان يفتحوا باب الحرب ويطلبوا الطعن والضرب فلم يدعهم حتى يبدأوكم فخمدت نار الحرب فى ذلك اليوم والثانى فلما كان فى اليوم الثالث ركب الأمير عبد الوهاب وصاح يا آل كلاب يا آل كلاب يامعشر الأحباب فأجابوه كلهم بالتلبيه وكانت تلبيتهم نبيه ... الناجية يوم القصاص وهى قول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادت الكفرة بعيسى ومر... (قال الراوي) يا ساده والحديد اذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن فتصادمت الجيشين ... كانهما جبلان قد تصادمت وأنهار قد تلاطمت فيالها من ساعة تخنقت الصدور وحامت عليهم الطيور والنسور وقلقت شجاعة البطل الجسور وهذا عاطف وهكذا مكسور وجاء الحق وزهق الباطل والزور وتصرفت الرجال تصرف الدهور ورأيت الدماء تفور والرجال تخور وجريت الاوداج جريان السواقى والنهور واذا لاح الباشق انكسر العصفور واذا ظهر الصحيح بطل المكسور ونظر كرفناس الى هذا الأمر المشهور فعظم عليه وكبر لديه وكشف لعنه الله رأسه وحمل وحملت معه عساكره فخرق الصفوف وأباد الألوف ونادى بالحرابة الذين معه وكانوا أربعه عشر ألف حراب بالحراب النحاس فزعزعت الناس والتجئوا الى الأصوار وتكاثر الكفار على المسلمين الأبرار الى أن أشرفوا على البوار فلما نظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك نادى فى بنى كلاب والسودان الانجاب فمالوا اليه وحملوا على الروم بقلب غير مكلوم فالتقاهم كرفناس بخمسمائة ألف سهم مسموم فتركت الخيل كالقنافذ وما فيهم سهم الاعاد نافذ فتساقطت الخيل الى الأرض ووقعت الرجال عن ظهورها ودام القتال وحمى النزال الى أن أظلم الظلام فأراد والعودة وانفصال عن المجال ونزلت العساكر فى مقابلة بعضها بعض وقد أطبقوا الأرض طولا وعرض وأما ملك الروم

فانه جمع بطارقة الرستاق وعمالقة الآفاق وقال لهم قد وزنتم هذا العسكر فاخبرونى كيف رأيتم قتالهم وشاهدتم فى يومكم هذا نزالهم فقالوا اعلم أيها الملك وحق المسيح ما شاهدنا ولا رأينا ولا اشبهنا قتالهم وطعنهم ونزالهم الا كهبوب الريح اذا اختلط بالماء (قال الراوى) ومالوا المسلمين الكرام على القوم اللئام وسقوهم كؤوس الحمام وقطعوا منهم النظام وقاتلوهم حتى بطل حكم السهام ونادوا باسم ذو الجلال والإكرام وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكفرت الروم بالملك القدير وكبر الأمير عبد الوهاب وإذا قد سمع مكبر يعلن بتكبيرة فى حملته فالتفت اليه وإذا به الأمير حجاف النميرى فتعجب منه الامير وحمل إلى جانبه وتبعهم عبد العزيز العلوى وظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم والأبطال الموصوفين كلهم وحملت الروم وحمل كرفناس وسائر من معه من الأجناس واشتد الباس وقوى المراس وبدرت الحراس وانفجرت الراس وكثر الدعاس وضاقت الأنفاس ومالت الجبال الرواس وأهرقت أدمية الأجناس (قال [illegible]) ذلك كرفناس وغضب ونادي فى عساكره [illegible] حرابه وترجل من كان راكب وقصدت الحرابة الخيل وأنزلوا بالعرب الويل هنالك رجعت اليهم السودان وبربرت فى وجوههم الحبشان وضربوهم بالسيوف وجدعوا منهم الانوف وكان الأسود منهم تجيبه الحربة وتقع فى ذراعه وتنفد الى لحمه فينزعها ويقول باطله ياقرنان ويهزها ويضرب بها صاحبها فى فاه تخرج من نقرة قفاه (يا سادة) ثم ارتفع صياحهم وبان للناس كفاحهم وتحققوا الفريقين صلاحهم فأمسك الناس جميعهم عن القتال واشتغلوا بالنظرة اليهم وقالوا أيها الملك ما هؤلاء كمن لاقينا من الرجال والابطال والاقيال فصاح فيهم كرفناس دونكم والقتال (قال) وافترق عنهم الناس واتسع عليهم المكان والساحة وعدموا السرور والراحة وانعقد عليهم الغبار وغابوا عن الأبصار فما كنت تسمع الا همهمة ودمدمة أو دم يجرى من غلصمه أو بزبرة وزجرة وقد انفرد كل واحد من السودان الى واحد من الحرابه

﴿ تم الجزء الرابع والخمسون ويليه الجزء الخامس والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر الرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخامس والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر
مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة ياكرام (وأما أبو الموت) فانه وقع فى قسم المقدم الذى لهم وكان اسمه ملطانوس بن بولص وكان جبارا من الجبابرة وكان كأنه الجمل الهايج محمل عليه ووقع الحديد على الحديد وصاحت السودان يا أبا الموت دونك وإياه ونادت الحرابه بأصحابها وقالوا له هذا مقدم السودان أخذ فى الجولان وابتدأ فى الطغيان فرفع الرومى حربته وكذلك أبو الموت حمل بعامود كان فى يده وزنه عشرون منا وكان أول من سبق بالضربة الرومى فهز حربته وضرب بها أبو الموت فالتقاها أبو الموت بدرقته وكانت من الحديد الصينى فنفذت فيها وحس أبو الموت بنفاذها فألقاها من يده وعطف عن طريقها حتى عطلها عليه وهمز صار معه ولاصقه وضربه بالعامود الذى كان فى يده فوقعت الضربة على البيضة خسفت هامته ونثر قحفه وطار رأسه من بين كتفيه ووقع إلى الأرض يخور فى دمه ويضطرب فى غندمه وهجمت السودان على خصومها واحمرت عيونها فلا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة فما كانت إلا ساعة حتى صاحت الأربعة عشر ألف أسود صيحة واحدة أهلكت الحرابة فى تلك الحملة ولم يسلم منهم أحد وكانت حامية عسكر كرفناس الذى بها يصول ويقول هؤلاء الحرابه أفتح بهم بلاد الإسلام (ياسادة) وانكشف الغبار وخرجت الأربعة عشر ألف أسود ومع كل واحد رأس خصمه وخلف جسده فى المعمعة فلما نظر كرفناس ماحل بأصحابه

الذين كانوا له عدة وعمده قامت عليه القيامة وانقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح صيحة نفرت منها الخيل وأحاط بها الويل وسمعه الخاص والعام وامتشق الحسام وحمل يطلب السودان ليأخذ منهم بالثار فعندها صاح الأمير عبد الوهاب ونادى يا آل كلاب واقتحم القتال واشتد النزال طول النهار إلى أن أقبل الليل بظلامه ونادى منادى الانفصال وقد اندفعت الروم إلى أماكنها واخرجتها بنى كلاب عن مواضعها وقد ملكت أكثر الخيام والأثقال وماجرى على قلب المعتصم من الفرح خرج من آمد ووصل إليهم مقام الأمير عبد الوهاب ونصب له سريره وأجلسه عليه فجلس وقال للأمير عبد الوهاب الحمد لله الذى جعلك ركنا للإسلام وترسا لقبر النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال الأمير عبد الوهاب بعد ماقبل الأرض هذا كله ببركة دعائك يامولانا فكيف أنت وما تجد من ألم الجراح فو الله ماقدرت إلى الدخول إليك وفزت بالنظر إلى الحضرة الهاشمية وأغتنم الفرصة بالخدمة العباسية واسأل عما تجده من ألم الجراح فكيف حالك يامولاى فقال المعتصم يا أمير ما كان قدومك إلا مبارك من كل وجه وقد خف عنى الضربان وسكن وما قصر العبد الصالح طيبون وهو أعرف بالطب والعلاج من مطرون وقد قاربت أن تختم إن شاء الله تعالى وأكون من جملة العساكر وقد عولت على الركوب لانتهز المعمعة حتى يكتب لى ثواب الجهاد وأنت كنت سبب هذا الجهاد كله وإليك يزول آخره وببركاتك ينصلح أمره فقال الأمير عبد الوهاب هكذا يكون إن شاء الله تعالى وأما ماذكرت أن الله تعالى يجعلك من المجاهدين فقد أخذت يامولانا الحظ والنصيب وقد عولت اننى أبرز إلى هذا الملعون فى غداة غد فان ظفرنى الله تعالى به انهزمت هذه العساكر كلها فقال المعتصم لاتفعل يا أمير ومتعنا بالنظر إليك لأنك قوام هذه العساكر ولاتخرج إليه فانى أشرت على الأمير خزرجة أن لايخرج إلا قتله فأبى وخرج إليه فهلك وما هذا الملعون بمن يبارز لأنى رأيت منه مالا أراه من غيره ومالا أقدر أصف من شجاعته وقتاله فقال الأمير عبدالوهاب سيجعل الله بعد عسر يسراً (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الأبطال وبرزت الأقيال وعادوا إلى القتال وكان عدو الله كرفناس قد قال لأرباب دولته وأقيال مملكته لقد أفجعونا هؤلاء المسلمين فى يومنا الماضى فى الحرابة وفى قلبى النار من أجلهم ولابد أن آخذ بثارهم من عبد الوهاب وأخرب بلاد الإسلام بأسرها وغدا إن شاء المسيح أبرز إليهم وأطلب أميرهم ولو قتلت من أبطالهم عشرة آلاف لكانوا قليل فى مقابلة من قتل منا وإنى أقدر أقيم حرابة غيرهم (قال) فلما أصبح الصباح واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف كان أول من

برز كرفناس ونادى أين عبد الوهاب وكان عدو الله إذا غضب يخرج الدم من منخريه والزبد من أشداقه هذا وقد ترجلت بين يديه الملوك والبطارقة وسائر العرب المتنصرة وغيرهم وارتجت الأرض ذات الطول والعرض ونادى منادى الروم معاشر المسلمين هذا ملك النصرانية قد خرج إلى مبارزتكم وقد طلب النصفة فلا يخرج إليه إلا أميركم عبد الوهاب أو بعض سادات بنى كلاب الموصوفين وأبطالهم المعروفين لأن الملك مايعيبه من يخرج إليه لأنه مهلك الأشباح هذا وعدو الله قد توسط الميدان وهو على جواد يسبق النظر لونه أصفر قوائمه ثابتة ودعائمه للأقطار مالكه يدرك ماطلب لو طلب البرق لحقه وأن رام مسابقة النجم سبقه وأن استوثب على البحر عبره ان أتعبه لايأخذه ضجر والملك فى سرجه كأنه قد نقر من حجر ثم أنه كفر ونخر وزمجر وطغى واستكبر وعليه لامة تأخذ بالبصر وفوق رأسه مغفر وعصابة جوهر وسيف بركاب بجوهر وقوس قد ركب عليه الوتر وبين أصابعه خمس سهام ليس بها قعر وتحت فخذه حربتين نحاس أندلسى أصفر وقد اعتقل برمح أسمر وعلى رأسه سنان يزهر فتعجب منه كل من حضر ومن خفته على فرسه وهو كأنه وتر بين يديه عشرة آلاف فارس وراجل ثم أقبل على المسلمين بكليته وطلب براز الفارس الغضنفر مما احترق قلبه على من قتل من قومه فأراد الأمير عبدالوهاب أن يبرز إليه بنفسه فمنعوه بنى كلاب وقالواله نفديك وبأنفسنا نغنيك ثم قفز إليه الأمير هارون العلوى رحمه الله وهو على جواد كامل الخلق أسرع من البرق وهو ينشد ويقول :

ألا ياكلاب الروم جاءكم قسور ... هزبر كريم فى الصياح غضنفر
أنا العلوى هارون والفارس الذى ... له فى مقام الحرب ذكر ومفخر
سأنصر دين الله ماعشت دائماً ... نعم ثم لا ألوى ولا أتأخر
وأنصر دين الهاشمى محمد ... نبى صفى طاهر ومطهر

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهم على صاحبه وفتحا فى الأرض ميداناً وأجادا ضرباً وطعاناً وذهلت الفرسان مما شاهدت وأبصرت والأعين مما نظرت ونار الحرب قد سعرت وسحائب الحتوف قد مطرت ورأى كرفناس من فارس بنى كلاب خلاف ماشاهد من الأبطال وأبصر قيل من الأقيال فقاتل أحسن قتال فخشى أن يطول عليه المطال وينقضى النهار ولم يأخذ بالثار فأخرج حربة من تحت فخذه وهزها حتى التفت أطرافها وضرب بها هارون العلوى فى صدره خرجت من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة فماجت عساكر المسلمين وأبطال الموحدين وقالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العظيم

وورد على قلب الأمير عبد الوهاب أمر عظيم وقال لا اله إلا الله لكل أجل كتاب كم حضر الأمير هارون معنا قتال ولم يصبه شيء حتى أتاه الأجل المحتوم والقدر المعلوم وكان عقبه فى عساكر الروم يشاهد فقال كرفناس بهارون العلوى فقال لبعض البطارقة أريد أن تتخذ لك عندي يد قال بماذا قال تمضى إلى هذا الذى قتله الملك وتشق جوفه وتستخرج كبده وتأتى بها إلى فقال نحن نحمله لك عند المساء فبينماهم كذلك واذا قد خرج إليه فارس على حجرة دهما نمرة سابلة شما وكان هذا الفارس راشدبن ضمره لأنه كان مصافياً لهارون العلوى فى الصداقة والمودة وكان بينهما مصاحبة ومجالسه وما كان لأحدهما صبر عن صاحبه فلما رآه مطروحاً شق عليه ذلك مما رأى فى حاله ولم يمكنه الصبر عنه بل انه بكى بكاء شديداً وأنشد وجعل يقول

مضى صاحبي واستخلف الهم والأسى وكان لنا نعم الصديق المصاحب
عجبت لصبرى عنه وهو مجندل وصرت أنا أبكى له وهو غائب
سأبذل جهدى ان أخذت بثاره والا فقتلى بعد ذا اليوم واجب

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذا فى الكر والفر والهزل والجدوالصد والرد ونظر كرفناس من راشد مالم يره من هارون رحمه الله تعالى فصاح بجواده فخرج من تحته مثل البرق الخاطف حتى أبعد عنه سرعة جواده ثم عطف عليه راجعا وقد سكن السهم من كبد قوسه وضربه فى صدره أطلع السهم من ظهره فوقع ميتا وعجل الله بروحه الى الجنة وأمطر عليه سحائب العفو والمنة فصاحت المسلمون وبكى الامير عبد الوهاب وقال والله مارأينا فى الروم أشجع من هذا الملعون فلا كان ولا استكان ولم يزل يخرج اليه فارس حتى قتل خمسة عشر فارسا وذهب النهار وأقبل الظلام وافترقت الناس عن الصدام واللزام ونزل المسلمون وعليهم حزن عظيم على من قتل من أصحابهم وكان عقبة قد أمر بعض الروم كما ذكرنا أن يحمل اليه هارون العلوى فحملوه اليه مع راشدبن ضمره فشق بطن هارون وأخرج كبده وطرحه فى النار وأكل منه قطعة ثم سحب اليه هارون العلوى فلما رآه قال كم لهذا من الطعنات والضربات فى عباد المسيح وهو الذى أفزع كبدى وجعل يلطم وجهه ويقول ياهارون كيف كنت تقول انك إذا قتلت تكون حيا وما أراك إلا ميتا فقال مازن بن جرير المتنصر أيها الشيخ قد رأيت من إذا قتل يرجع يكون حياً قال نعم فى كتاب المسلمين يقول ربهم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ثم صاح ياهارون مانحبكم إلا أموات (قال الراوى) فوحق من بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق نبيا واصطفاه

بالرسالة لقد رفع هارون صوته ونفض يده فى وجهه وصاح بلى حيا فهنالك طار قلب عقبة واصفر لونه وقال للروم احرقوهم بالنار فقد روع قلبي فى حياته وفى مماته (قال) وان مازن بن جرير لما رأى ذلك انخلع الكفر من قلبه ونزل الايمان فى سره وقال لعقبة دع أحراقهم فتى سمعت المسلمين ذلك صار لهم حجة علينا ويقولون لاى سبب أحرقتوه ويصل اليهم الخبر على ذلك فخل ذلك بل نحملهم إلى خلف العسكر ونرميهم للكلاب فقال عقبة أفعل مابدالك دعهم عنى فانى وحق المسيح قد أزداد عقبة لديهم بغضة ولو عادوا بعد موتهم أحياء لايزداد إلا تكذيبا فلا جمع المسيح بينى وبينهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة (قال) فوثب مازن وحمل هارون العلوى وراشد بن ضمرة على بغل وركب جواده وخرج بهما من عسكر المشركين وهو يبكى على ما مضى من أيامه وذهب من أعوامه ولم يزل سائر حتى أختلط فى عسكر المسلمين فدارت به الناس من جانب وأحدقوا به وقالوا له من تكن أيها الفارس فقال احملونى إلى الأمير عبد الله (قال) فحملوه اليه فلما صار قدامه وأنتسب فعرفته العرب وقالوا ياأمير هذا مازن المنتصر فقال قد كان ذلك وأنا أشهد ان لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله ثم أبتدأ يحدثهم بالسبب الموجب فأخذ الامير بالبكاء ورغبوا الحاضرين كلهم فى الشهادة وماصدقوا ان يمضى عنهم الليل وكان كل واحد منهم يقول لعلى غداً أقتل فى سبيل الله من رغبته فى الجهاد والحياة الابدية والعيشة السرمدية فى الدار العالية ثم لعنوا عقبة فقال هياج الكردى أدخلوا الآن إلى أمير المؤمنين نعيد عليه هذه القصة فقال الامير عبد الوهاب صدقت ثم دخلوا بالرجل على المعتصم وأعادوا عليه القصة من أولها إلى آخرها وما عمل عقبة فقال المعتصم وقد قام شعر بدنه لما سمع ذلك أعلم ياأمير سلمك الله اننى سمعت من هذا كثير وكما يجىء من يشهد عليه كذلك يجىء من يشهد له بالصلاح فان كان الأمر على ماذكرت فكيف السبيل ان نعلم صحة ذلك فقال مازن ياأمير المؤمنين أنا أوريك ماقلت لك مشاهدة فقال وكيف ذلك قال ها أنا الساعة أمضى وأضرم النار بالبعد عن العسكر وأعود الى عقبة فى الحال وأقول له أيها الشيخ تعالى حتى تنظر ما قد صنعت بهم ويشفى قلبك وأخرجه الى ذلك الموضع وتكون أنت قد رتبت هناك رجال وأنت معهم وأن أردت يامولاى تعالى أنت معى إلى العسكر حتى تسمع كلامه فقال المعتصم والله لاركبن معكم وأخاطر بنفسى إلى الروم حتى تنكشف لى هذه القصة ثم ركب المعتصم وعشرة من حجابه وخدمه وركب الأمير عبدالوهاب وسيف الحنيفية وضيغم وعبدالعزيز العلوى وبرد ابن الأزهر والأمير هياج الكردي وحجاف وأبو محمد البطال ومذبحون إلى أن صاروا خلف عسكر الروم

وكان مازن قد سبق وأضرم النار ثم قال لهم ابعدوا عن النار حتى لا تظهر أشخاصكم فيكشفوا الروم حالكم فأخشى عليكم من أمر من الأمور فأنتم كهف المسلمين فقال عبد الوهاب امض يامازن لشأنك ودع يركب عسكر الروم الجميع فنحن بمعونة الله تعالى نقاتل إلى الصباح (ياسادة) وأن الأمير حجاف قال اعلم يامازن أن عقبة خبيث ولا آمن أن يمتنع عليك ويقول بعد ماقتلوا ما أبالى أن حرقوا ولا يأتى معك ولكن عندى رأى فقال مازن وماهو أيها الأمير الصالح قال تقول لعقبة بينما أنا حفرت حفرة وأردت أن أطرح عليهم النار ولا أكون بصورة من يخالفك فيغضب على المسيح اذ لاح لى فى ظلام الليل شخص يحمل رجل على كتفه وهو يريد أن يركبه على جواد وهو يقول يا محمد فعلمت أنهما من عسكر المسلمين فصممت على ذلك الرجل الذى على كتف القائم بالطعنة فوقعت على ظهره خرجت من صدره وهرب صاحبه وإذا به لا يقدر يثور من مكانه فقصدت إليه وإذا هو مقطوع الرجلين فضربته بسيفى أربع ضربات ثم عدلت إلى صاحبه ولحقته فقتلته ولا أدرى هل هم ماتوا أم هم فى الحياة وهذه خيولهما قد جئت بهما معى لأنى رجل صعلوك ورأيتهما غنيمة فهو إذا سمع هذا الكلام يأتى معك لا محالة فاذا قربنا قل له إذا كان الساعة حجاف قد هلك على يدى إيش لى عليك حتى يتكلم ويسمع الخليفة كلامه

(قال) فأخذ مازن معه فرسين وسار إلى عسكر الروم وقصد المكان الذى فيه عقبة وأعاد إليه القصة ، فلما سمع عقبة ذلك الخطاب فوثب قائماً وقال لمازن إن كان ذلك حقاً فلك عندى مائة دينار فقال مازن وما علامة صدقى عندك قال تأخذنى الساعة وتخرج إلى ظاهر العسكر إلى الموضع الذى ذكرته فان كان الشخصان هما زحاف وحجاف قطعت رؤسهم بيدى ورجعت من ليلتى واستقرضت لك ألف دينار وتصبح أقوى قومك فقبل مازن يده وقال حفظك المسيح يامولاى سر بنا قبل انصرام الليل ثم سار هو وعقبة يطلبون النار وعقبة يظن أنه ظفر بالقوم الأخيار وجعل يتخطى المغارات والمضارب إلى أن خرجوا من العسكر وقربا من النار وعقبة يقول أنفق لك مالا أنفق لأحد وما كان هذا إلا لأجل سعادتك لأن فى قلب الملك كرفناس من أجل هذا حجاف نار لا تطفى وهو فى مقام الأمير عبد الوهاب اسود بنى كلاب وقد وقع فى يد الملك مرار ويسرقه أخيه زحاف (قال الراوى) ووصل إلى الموضع الذى بالقرب من الأمراء بحيث أنه إذا تكلم سمع الخليفة ومن معه كلامه فعند ذلك قال له مازن أيها الشيخ النجيح بحق المسيح لى عليك ألف دينار كما قلت فقال نعم فقال احلف لى حتى يطمئن قلبى ويهدى سرى إنك تعطينى المال فى

العسكر من غير مطال كما وعدتنى حتى أوريك زحاف وحجاف فلما سمع ذلك من كلام مازن أحس بالشربة وكان أخبث أهل زمانه فبكى بكاء شديد ماعليه من مزيد وقال يامازن اتق الله فى أمرى فإنى شيخا كبير وضعيف ولى مائة غزوة وحجة لبيت الله الحرام وأنا عالم من علماء المسلمين وأنت أعلم أنى كنت عند ملك الروم كرفناس نسل الارجاس فى غاية الذل والهوان يبصق فى وجهى كل وقت وأوان وكان قد أراد أن يتركنى فى ملطية فقالت له القسوس خذ هذا الشيخ معك فان كلما ضربناه وأهناه نصرنا المسيح على أعدائنا وأعداءه والآن فقد من الله على بك سرقتنى من عسكر الروم وأخرجتنى وقلت لى الأمير عبد الوهاب قد ضمن لك عشرة آلاف دينار فى حيلة أدبرها عليك إذا وصلت بك على يسرة النار المضرمة فقل الأبعد نصرانى وأريد أن أقتل عبد الوهاب وحجاف وكل المسلمين بحيلتى وعملى فلا تفعل وإن أردت قتلى فاقتلنى فلعلى أستريح من هذه الحياة الذميمة المنكرة والعيشة المغصصة ودع يكون من عبد الوهاب وتدبيره فهو فى حل من دمى لا أطالبه من أجلى ولكن لأجل أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عم محمد خاتم النبيين والله انى كنت فى ضنك الأسر وغلبة القهر ومن سبب جراحاته وكنت أبكى إلى أن تنقطع كبدى لأجله لانى ربيته وربيت أخوته ولهم على حق وأبيهم فان كنت تراقب الله فاحملنى إلى أمير المؤمنين وأنا أضمن لك مايطيب به قلبك لانه يخرج من صدقاته أضعاف ذلك ولى أيضاً فى آمد معاملين ولى معهم مال فأعطيك مايرضيك وأيضا آخذلك من أمير المؤمنين أمان حتى تعود إلى عسكرك وإن أردت المقام عندنا فى بلاد الإسلام ويكون الله تبارك وتعالى قد هداك إلى الايمان فأنا أعلمك كتاب الله تعالى ولاتتم على دين النصرانية فتخسر الدنيا والآخرة.

(قال الراوى) فلما سمعوا الجماعة كلام عقبة بكوا وبكا المعتصم رحمة له وحار مازن من فعله ونادى المعتصم إلى قد فرج الله عنك ثم أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له يا أمير هل بقى عندك شك فى أمر هذا الرجل وقد سمعت ما قال ولنا الظاهر والله تعالى متولى السرائر وأنا كنت والله لاأشك فى قولك ولكن الله تعالى فى خلقه تدبير وهو على كل شىء قدير وأشتهى أيها الأمير تهبه لى لوجه الله تعالى وأنا أعلم ما فى قلبك عليه وأنا أسأل الأمير أبو محمد فى ذلك وما هذا وقت هذا ونحن مشغولين بلقاء العدو وقد سمعت بأذنيك ما هو قد هان عليه هلاكه لأجل نصرة الاسلام ولقد كان وحق ابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم وأنا فى ملطيه والناس يخادعونا ويحاصرونا فى البلد يدور ويدعو لك وها أنا قد ترجلت عن ظهر جوادى وأنا أسألك فيه (قال) وهم المعتصم أن يترجل

فنعوه الأمراء وباسوا الأرض بين يديه وقالوا يا أمير المؤمنين نحن عبيدك وخدمك ومهما أمرت لانخالف أمرك ثم رجعوا إلى عسكر المسلمين وقد انكشف وجه عقبة عند المعتصم ووجد سماع كلامه وبقى مازن خجلان عند الخليفة فقال الأمير عبد الوهاب لاتحمل على قلبك من أجل هذا الملعون فما رأينا أحداً أحيل منه ولله فيه تدبير ولنا معه وقائع تعجز عنها الجن وأنا أعذرك فيما جرى لك وأعذر أمير المؤمنين لأن له الظاهر والله تعالى متولى السرائر ولولا أنى رأيته وهو يأكل لحم الخنزير ويكفر بالملك القدير لكنت الليلة انطلى على محاله وكنت عوناً له فانه يجب علينا سماع مقالة الخليفة أمير المؤمنين وقد قال لنا هبونى إياه ما أبقيت عليه فقال مازن والله يا أمير لقد بقيت فى حيرة ولا أدرى ماذا أصنع والساعة يكتب عقبة إلى ملك الروم ويأمرهم بضرب عنق وإن أقمت عندكم أكون عند الخليفة بصورة كذاب غادر وصفة كاذب ماكر فقال الأمير عبد الوهاب قد اخجلنا هذا القرنان بين يدى السلطان وما عليك من هذا ضرر بعد أن هداك الله وأضله فقال مازن وأنا أقيم عندك وأغزو هذه الغزاة وأجاهد فى سبيل الله لعل أن يغفر لى مامضى ويجود على بالعفو والرضى وبعد ذلك أطلب البيت الحرام فقال له الامير أبو محمد البطال لاكلام حتى ينكشف عنا هذا العدو الذى مارأيت قط مثله ولا أوحش منه ولا من جنده وترون ما أصنع (ياسادة) وكان الملك كرفناس قد طلب عقبة عند الصباح فما وجده فقال الملك قد فقدمنا الشيخ النجيح وما لنا منه خبر ثم قامت عليه القيامة وإذا بالشيخ أبو الشرشو مدرس وقال له هل عندك علم من الشيخ النجيح فقال لاوحق المسيح مالنا به علم لأننى فى هذه الليلة ميشومة احفظ روحى وحراسة نفسى فقال له ممن أيها الشيخ خائف فقال من الداهية الدهيا والمصيبة العظما أبو محمد البطال فاننى وحق المسيح من حين وصلت ما أخذنى منام ولا قرار فما ذهبنا فى الشيخ النجيح إلا منه فخذ حذرك أيها الملك وإلا أعدمك نفسك فقال كرفناس ويلك لاتخاف فانه إذا أخذنى واحتملنى قبضت على عنقه كسرته فقال شومدرس وكان ياملك إذا جاء يأخذك يكون عقلك معك فقال وقد صلب على وجهه والا كيف يكون العمل فقال اعلم أيها الملك الواحد يخلى الإنسان نائم يأخذ عقله ويتركه لايعقل ولايعلم حتى يوصله إلى الموضع الذى يريد لى يرد عليه عقله وينتقم منه بعد ذلك فقال الملك وكيف يعمل بعقله حتى يغيب فقال شومدرس وأى قرنان يدرى كيف يعمل ولو كنت عرفت ذلك كنت مضيت اليهم وسرقت خليفتهم فقال الملك أنك لصادق ويجب علينا أن نحفظ نفوسنا إلى أن يقضى المسيح ماهو قاض بينى وبينهم وأطلب هذا البطال الذى كان من بلاد

الله تعالى ثم أنه ركب واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وكان أول من برز إلى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب الملك كرفناس وجال وصال وكانت ميمونة إلى جانبه وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع كيف قد غدرت بالملك أرمانوس وهي الآن مع كرفناس وما جرى لها مع حجاف وكيف قطعت رجليه فتعجب الأمير عبد الوهاب وتمثل بهذه الابيات يقول.

ألا إنما الدنيا تؤنث أهلها فكن أبدا من كل أنثى على حذر
إذا أنت عاملت النساء على الوفى فهن يعاملن الرجال على الغدر

(قال الراوى) وإن الملك كرفناس لما خرج وطلب البراز وميمونه إلى جانبه فى ساحة الميدان فخرج إليهما فارسان حمل الواحد على ميمونه والآخر على كرفناس فما كانت إلا جولة الحامل حتى قتلا الفارسان ونظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك فهم أن يخرج إلى الميدان وإذا بفارس من المسلمين قد حمل كأنه الفتيق أو شعلة حريق أو كحجر المنجنيق نظر الناس إليه وإلى شمائله وإذا به يشاكل الأمير عبد الوهاب فتبينوه واذا هو سيف الحنيفيه وقد تظاهر بثلاث دروع من تحتهم صدره زرد كل ذلك خوفا من سهام كرفناس وحرابه فلما رأت ميمونه يعنى الى سيف الحنيفية ظنته الأمير عبد الوهاب فنادت بكرفناس وقالت ياملك هذا وحق المسيح هو الإسلام كله فدونك وإياه هذا الأمير المهاب هذا الأسد الوثاب هذا عبد الوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح بن جندية الكلابى فعندها صاح بجواده فخرج مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف وأجراه شوطا كامل ثم أطلق عنانه فى ميدانه ولحق الأمير سيف الحنيفية ونادى بلسان الرومية يا فارس المسلمين دونك القتال فهذا آخر أيامك فحمل عليه وأخذا فى الكر والفر واللغز والهزل والجد والصد والرد وسمع الناس هدير الفارسين وشاهدوا مصادمة البطلين وقد شخصت اليهما كل عين وطلع الغبار على الإثنين واحتجبا عن العسكرين وخفيا عن المعشرين ورأى كرفناس من سيف الحنيفية فارس ممارس وقرن مداعس لم يرى قط مثله ولا شاهد شكله فأظهر فروسيته أشياء ما أبصر الناس مثلها ولا شاهد شكلها لأن الشجاع يقاتل كل من ورد إليه على قدره وكان يخادع سيف الحنيفيه فى الميدان ويقابله فى الجولان طمعا أن يأخذه أسير فوجد المطلب عليه عسير فلما رأى أن لاطاقة له به أقبل يطاوله ويحاوله ليطعنه فرأى ذلك منه بعيد ومضى أكثر النهار وقد تضاربا بالسيوف حتى تثلمت فأرمياها وتقابضا على السرجين وتعاركا حتى وقعت من تحتهما الجوادين ووقعا على الأرض عالقين ببعضهما بعض وكان سيف الحنيفيه عليه من الحديد ماذكرنا لأجل الاحتراز من سهام الملعون وكان يعينه على ثقل لبسه جواده فصار على وجه الأرض فتمنع من ثقل الحديد ثم

انه جعل يعارك خصمه معاركة الصنديد والرجل الشديد فلما شاهدت ميمونه كرفناس قتاله مع سيف الحنفية ونزاله وهى مع ذلك تظنه الأمير عبد الوهاب فلم تعطى صبرا دون أن خرجت حتى وصلت اليهما وترجلت عن جوادها وهى تقول هذا الكلب أبغض الخلق الى ثم امتشقت حسامها وأتت من وراءه لتضربه بالسيف واذ بصرخة قد أخذتها من ورائها كالرعد القاصف فالتفتت لتنظر من الصائح واذا هى بفارس كالأسد الغضبان وقد مد رمحه اليها وكان سنانه كأنه لسان ثعبان فلما نظرت الى ذلك وثبت الى جوادها وحملت عليه وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر حتى ذهل منها الناس ونظرت ميمونة إلى نفسها تحت النقصان وقد أبهرها ذلك الفارس فنادت يامسلم بحق دينك من تكون فقال الفارس ويلك يا عاهرة أنا المرأة المجاهدة الصابرة ولدين الله ناصرة أرجو بذلك الفوز فى الآخرة وأريد أضربك ضربة تكون رأسك فيها طائرة فلما سمعت ميمونة ذلك أيقنت بالهلاك وانحلت عزيمتها وقالت يا ذات الهمة لا تظنى انى أريد بولدك عبد الوهاب سوء لا وذمة العرب ماكان لى فى ذلك أرب وإنما رأيته قد تعب مع كرفناس فدنوت منه وكلمته بالعربية وطلبت بذلك الصلح لحالنا فقالت لها ذات الهمة ويلكى خلى عنكى هذا اللجاج ياكافرة فما ينطلى على خداعك فقالت ميمونة يا أميرة ها أنا بين يديكى وأسألى ولدكى إن كان ناله منى مكروه فقالت لها ذات الهمة ويلك يارعنا هذا ماهو عبد الوهاب إنما هو سيف الحنيفية ولولا ثقلته الدروع لكان ترك رأس كرفناس مقطوع فقالت ميمونة ارجعى إلى مكانك وأنا أرجع إلى مقامى فقالت الأميرة ذات الهمة هيهات هيهات ثم حملت عليها وطعنتها بعقب الرمح وإذا بها قد تدحرجت عل وجه الأرض ثم نهضت عليها أخذتها مثل البرق الخاطف فتحيروا الناس من فعلها ومضت بها الى عسكر المسلمين كانها اللبوة اذا أتت بفريسة الى أشبالها ففرح الناس بأخذ الاميرة لها فقال حجاف الليلة اشتفى من هذه المفتونة وأما سيف الحنفية أوتهن مما كان عليه من الدروع والحديد ومن شدة ساعد هذا الجبار العنيد وهو معه فى عراك شديد حتى أتعبه وأنصبه ثم أدخل رأسه تحته وشاله من الارض بثقل ما عليه ومشى به الى عسكره ودفعه إلى عبيده وركب جواده بعد ما غير عدته وترسه وسأل عن ميمونة فأخبروه بحالها فعظم عليه وكبر لديه وصلب على وجهه وقال كم قلت لها لا تباشرى هؤلاء على بالفراش ثم قال للملوك هذا عبد الوهاب فقال شو مدرس هذا يامك سيف الحنيفية ولى عنده تار ولدى ذهر شوم فقال ما نقدر على قتله لان ميمون عندهم ولا أقدر أخليها تبيت فى عسكرهم لانها كانت زوجة أميرهم وأخاف إن يكون فى قلبه منها هوى فتمضى هدرا فهل

لك أن تمضى برسالتى هذه اليهم وتطلب منهم الفدا فقال سمعا وطاعة ولم يقدر أن يرداه لما علم من تجبره وتكبره وشره بل سار رسولا إلى المسلمين وقد مالت الشمس إلى الغروب فلما علموا أنه رسول سمحوا له بالدخول فلما صار بين يدى الأمير عبد الوهاب قال له يامولاى المملوك شومدرس عتيق سيفك وأسير قومك قد جئت اليك فى أمريكون فيه الصلاح لحالك فقال الأمير وماهو قال أن تفدى ميمونة بسيف الحنيفية والملك يسلم عليك ويقول لك الى متى هذا التأخير وأنت البطل المذكور والفارس المشهور وقد تعلق قلب العسكرين بك وبه وقد حلف أنه لايبرز بعدها إلا اليك فقال عبد الوهاب أقسم بالله لايبرز إليه فى غداة غد غيرى وقد أجبته إلى الغد ولا يبيت ولدى عند الأعداء ثم استحلف شومدرس وأطلق ميمونة فمضت إلى عسكرها وأطلقوا الأمير سيف الحنيفية وأصبح الصباح وكان أول من برز إلى الميدان الأمير عبد الوهاب لأجل القسم الذى أقسم به وخرج الملك كرفناس كذلك وكل واحد منهم بالعدة الكاملة وركب المعتصم من خوفه على الأمير عبد الوهاب وكان المعتصم قدأعطاه زردية فضية ثلاث طبقات من عمل الحكماء القدماء صغار الزرد كأنها عيون الجرد لايعمل فيها الصارم المهند ثم أن الأمير عبد الوهاب صال وجال وأنشأ وجعل يقول :

ألا لا نجانى الله إن كنت قاصراً عن الضرب يوما بالسيوف القواضب
فدونك هذا آخر العهد واللقا ولا عودت إلا بقطع الترائب

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذوا المسلمون فى الدعاء للأمير عبد الوهاب والروم فى الدعاء لكرفناس ومالت الميمنة حتى لاصقت الميسرة والميسرة حتى لاصقت الميمنة وكان ذلك اليوم أشبه بيوم الأحزاب حتى برز الإمام والليث الهمام والبطل الضرغام على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى عمرو بن ود العامرى قال سيد البشر وفخر ربيعة ومصر برز الإسلام كله الى الشرك كله وكان الأمير عبد الوهاب فى ذلك الوقت فارس الإسلام وتماسكا وتماحكا وتعاركا وتفاصلا فلله در الأمير عبد الوهاب ماكان أثبته عند اللقاء وتعجب كرفناس وعلم أنه بخلاف من رأى فصلب على وجهه وقال يحق للمسلمين أن يفتحوا البلاد لأننى كل يوم أرى منهم فارس أجود من الآخر ولم يزل الحرب بينهم إلى بين الصلاتين وطال الوقوف وتمايلت الصفوف ولم يتعب كرفناس الا فى ذلك اليوم لكثرة مادافع عن نفسه وجهد أن يصل إلى الأمير عبد الوهاب فلم يقدر على ذلك ولم يزالا فى جهد جهيد حتى فنيت العدد والتقى كرفناس الى الأمير عبد الوهاب وكذلك فعل ترس قبر النبى الاواب وتقابضا على الجوادين

وتعاركا على الفرسين وافترقا ولم يقدر أحدا منهما على صاحبه وأمسى المساء ورجع كل فريق منهم إلى عسكره وأما كرفناس فانه أقسم بالمسيح أنه لا يأكل ولا يشرب حتى يأخذ الأمير ويقتله وأما الأمير فانه رجع الى عسكره وهو يقول وبات ماشاهدت قط مثله ولقد كان إذا حمل وضربني تاهب قوائم الجواد من تحتى على وجه الأرض فسبحان من أعانني عليه وعلى تلك القوة التي كانت له (قال الراوى) وكان الناس فى الحرس وهم يقولون عبد الوهاب يغلب لأنه أقوى ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الله بالصباح وركب الأمير عبد الوهاب وركب كرفناس وسائر الناس لينظروا مايجرى من الفارسين هذا وقد حمل بعضهم على بعض وأخذا فى الركض حتى ارتجت من تحتهم الأرض ثم أخذا فى الإبرام والنقض إلى قرب الظهر وصاح كرفناس وأيس من وصوله الى الأمير عبد الوهاب فأخرج من تحت فخذه حربه كان يسميها القاضية لأنها كانت ماضية ماضرب بها قط شيء إلا وقضت عليه ثم أنه هزها حتى التفت طرفاها ونادى المنادى عسكر الإسلام يا أمير خذ حذرك من الحربة فجعل الأمير عبد الوهاب نظره إليها وقد جاءت إليه ولها دوى فى الهوى فلما انقربت منه زاغ عنها أسرع من البرق وخطفها من الهوى وهزها حتى التقت طرفاها وزجها وقال خذها وأنا الأمير ناصر دين محمد (ياسادة) وماكان مع كرفناس خبر أن الأمير عبد الوهاب له من القوة والفروسية والخفة وصناعة الحرب إلى هذا الحد وإلا كان احترز منه أما بترس أو بطارقة فلم يشعر إلا والحربة وقعت فى صدره خرجت من ظهره فوقع إلى الأرض صريع وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فصاحت المسلمون الله أكبر الله أكبر انتصر الموحدون وهلك الكافرون وخرج المعتصم بالله ثم صاح بالأمير عبد الوهاب لاشلت يداك ولا كان من يشناك ثم صاحت العساكر وحملت على الروم وكان يومهم يوم مذموم وأرادت عساكر الروم أن تندق هاربة فمسكها بطريق يقال له مطاوس ابن فارس لأنه كان يحدث نفسه بالمملكة من بعد كرفناس (ياسادة) وانضافت اليه ميمونة وقالت له اظهر عزيمتك اليوم فان أنت كسرت المسلمين ملكت الروم والإسلام لامحالة (قال) فعندها حمل وحملت ميمونة وتبعتهم عساكر الروم .

(قال) فاضطربت جبال الدنيا واهتزت بهم البيداء وانزعج بهم الفلا وطلع النقع الى عنان السماء ولم يعرف الشيخ من الفتى وتخضبت الأبدان بالدماء ولم يعرف الفارس فى الأرض هو أم فى السماء وصارت النجاة فى ذلك اليوم أكبر منا وطيرت الرؤس كما يطير الورق فى الهوى وفرح بالروح من عدم زينة الحياة وأرتفع علو الاصوات بالبكاء ولم ترى

العيون فى تلك الوقعة الاشلوا متبدد وقد صبروا على الظمأ ليبيضوا وجوههم عند محمد المصطفى هذاوقد أعلن بالنداء ياعبد الوهاب قدأضر بنا العطش والظمأ من القتال فانفصلوا بنا إلى غداة هذا والسودان قد فتكت بأهل الكفر والعدوان وبنوكلاب قد نادت هذا يوم الصبر فى اللقاء وعبد الوهاب يقول يالثارات هارون العلوى وراشدبن ضمرة ونظرت الروم الى ماقد نزل بهـا من البلاء فولت هاربة وقد ضاقت عليها الدنيا والسيف يعمل فى ظهورها طول الليل الى ان بانت غرة الصباح برايات الضياء (ياسادة) وعادوا الناس الى الخيام وقد غنموا مالا يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى ودخل الأمير عبدالوهاب على المعتصم فقال له أهل وسهلا ومرحبا بالأمـير الأجل والكهف الأظل فقبل الأمير الأرض وقال له أبشر ياأمير المؤمنين بالمال والغنائم الحسنى فقال له المعتصم هذا كله لك وبسيفك ملكته فجزاك الله عن المسلمين خيراً ثم قال وأين القاضى عقبة حتى ينشد الأمير بأبيات من الشعر كما جرت به عادته فطلبوه فاذا هومغشياً عليه من حين قتل كرفناس الى تلك السـاعة ما أفاق واشتغل الناس باقى يومهم بجمع المال وأخذ الرجال والأثقال حتى صارت جميعها فى البلد وأخذوا الراحة وكذلك خيلهم ثم أقبل الأمير عبد الوهاب على المعتصم وقال ياأمير المؤمنين مايسعنا القعود عن المسلمين والرأى أن نرحل الى ملطية لأجل الأمراء فقال المعتصم وأنا والله معك ياأمير وأمر المنادى بالرحيل فرحلوا الناس وكان عقبة قد أفاق لأن الذى قدأصابه كان لقتل كرفناس لأنه قد أمل فيه أن يفتح الدنيا ويزيل منها كلمة التوحيـد وكان الأمر بخلاف ذلك وذلك بتقدير الملك المجيد الفعال لما يريدو أن الله لايخلف الميعاد لأنه وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بدوام شريعته إلى يوم القيامة فلما أفاق أظهر للخليفة والناس أنه ما جرى له ذلك الى من الفرح الذى لحقه لانه كان خبيث منافق وجعل يقول وكيف لاأفرح بقتله وقد أهانى وعاقبنى وقطع آذانى فلا رحم الله صداه ولا بل ثراه ثم ركب على بغلة أركبهاله المعتصم ورحل مع الخليفة وساروا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد استقاموا على الطريق والأمير عبد الوهاب وعبدالعزيز العلوى يحجبان الخليفة عند ذلك دنا عقبة من الأمير عبدالوهاب وقال له لقد علت سعادتك وعلت منزلتك وعمت بركتك ودامت دولتك وقويت شوكتك وظهرت نصرتك وعلت عند الله درجتك ونشرت بالنصر رايتك وشملت المسلمين بركتك وعرفوا حميتك فلا زالت معالمك مشهورة ورايات عدوك منكوسه لأنك بطل هذا الزمان وحيلة أهل الأيمان وسيد عصرك وفريد دهرك وسيف الإسلام وعضد الإمام وترس قبر النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم أنشأ وجعل يقول .

ألا أيها المولى الأمير الصميدع ... وليث هصور للأعادى يضعضع
دهتنا جيوش كرفناس بأسرها ... كانت بأقطار البلاد تشرع
وقد أسروا عمرا وكان مقدما ... لآل سليم والمنية تصرع
وصالوا على حجاف أمير مقدم ... هو الزاهد المولى النجيب الصميدع
وقد قطعوا رجليه قطع يمينهم ... وما كان إلا صابرا حين يقطع
وجاد لهم بالسيف من بعد قطعها ... واسقاهمو كأسا من الموت ينزع
وصاروا بقسطنطينية الروم عندهم ... ثمانون ألفاً فى القيود تروع
وكنت أميرا عندهم فى مذلة ... وليس لنا إلا الدعا والتضرع
وقد حلقوا دقنى فياسوء فعلهم ... وقد نظرت عيناك اذنى تقطع
ووجهى ملطوم وعقلى موله ... وهم فى قذالى يضربون ويصفع
وجانا أمير المؤمنين مجاهدا ... وقد هربوا من حوله وتضعضعوا
وولى جريحا طالبا ملطيه ... وجاءت اليه الروم والقلب يصدع
وقد حصر ونام وساروا أمامنا ... بليل وزحاف لحجاف يرفع
وقد أخذوا من بعدهم ملطيه ... بكل الذى فيها وعيناى تدمع
وساقت جيوش الروم يبغون آمد ... بكل لعين فى المطامع يرقع
إلى ان أتت رايات تلك السود بكرة ... فبادرت ملك الروم والقلب يهمع
وزدته من كفك الآن حربه ... بقى جسمه للطير والوحش مرتع
فأنت لنا عز وركن وسيد ... فدامت لك النعما وأمرك يسمع
بقيت على طول الزمان مسلماً ... وذخراو إرشاداو نصراو مرجع

(قال الراوى) فلما سمعت الناس كلامه وشعره ونظامه قالوا أحسنت ياقاضى حتى المعتصم وضحك الأمير عبد الوهاب حياء من الناس وقال أبو محمد ماقصرت وقد صدقت فى وصفك وقطع آذانك وحلق دقنك وقولك انفطرت مرارة عدوك والثالث إنك قلت فى الأمير عبد الوهاب من الخصال المرضية ثم إنه تقدم إليه وقال له يا ملعون ولو مدحتنا بكل شعر فى الدنيا لا بد من صلبك الذى مابقى لك غيره لأن دولتك قدذهبت وأضراسك فقدوا وقد وقعت فضحك عقبة وقال ما أسفى على ماكان منى وقد صرت أعجوبة ياويلك أما قد هلك فى هذه السنة من المسلمين مائتى ألف أسود من أمراء المسلمين وأنا وحياتك أدبر فى صلب الباقين وقد مضى هارون العلوى واشد بن ضمره ومضى كرفناس فلا رحم المسيح ثراه فقال أبو محمد ويلك يا ملعون ماتبقى على عدوولا صديق

(قال) وتحرك المعتصم إلى أن حاذاهم وقال له ياقاضى مالى أراك مع الأمير أبو محمد فى المحاورة فقال نعم يامولاى أبو محمد يقول مانصرنا الله إلا بدعاءك وما خذل كرفناس إلا بما فعل معك من قطع أذناك فلا تكن من قبلى إلا طيب القلب كرامة لأمير المؤمنين وقد ذهب الكياد ولم يبق إلا الحقيقة والاعتقاد فقال الخليفة الحمد لله على ذلك وساروا العساكر وقد تحير أبو محمد والأمير عبد الرهاب من لعنته وهو سائر مطاطىء الرأس فى ضنك وذقنه أول مانبتت وكان كل من يراه يفزع منه لأنه إبليس زمانه هذا جرى وأما عساكر الروم فانها وصلت إلى ملطية وعليها الذل والخيبة فلقاهم البطريق الذى تخلف فى خمسين ألف وسألهم عن حالهم فأخبروه أن الملك كرفناس قد قتله الأمير عبد الوهاب وأن العساكر انكسرت وكلهم اليكم قاصدين وعليكم قادمين فقال البطريق وقد سمع ذلك ويلكم وكيف كسر عسكر كرفناس وكان عدد المسلمين أضعاف وهو يعد برجاله وأى رجال لا يخافون الموت وخصوصاً الأسود عبد الوهاب فانه لو بلى وحده بعسكره وهو الذى قتل كرفناس فقال البطريق الآن سوقوا الأسارى واخرجوا الأثقال وسيروا بنا إلى القسطنطونية فانى أعلم أن عبد الوهاب مايغفل عن النفور لأنه رجل لا يقاس بالرجال ولا يكترث بالأبطال (قال) فأحضروا الأسارى والأثقال واعزموا على الارتحال فان المسلمين مايصلوا هنا فى يوم وعشره ثم أنهم أقاموا يومهم ذلك وأصبحوا من الغد أخرجوا الأسارى جميعاً وقد توكل بكل مسلم ومسلمة بطريق واثنين وتفرقوا فى الدروب والأزقة وأخرجوا الأموال والرجال إلى ظاهر البلد وأيقنوا المسلمين أنهم يقتلوهم ويرحلوا إلى بلادهم هنالك ارتفع الضجيج وأيقنوا المأسورين بالبلاء فرفعوا أصواتهم إلى العلى الأعلى وتوسلوا بجياة محمد المصطفى وإذا بالغبار قد طلع وعلا من نحو بلاد الروم وسد الأفق وملأ الطرق وظهر من تحته رايات وصلبان وثار غبار ثانى من نحو بلاد الإسلام ولاحت منه رايات وبنود وأعلام سود مكتوب عليها بالبياض لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ميمونة هذا غبار عبد الوهاب وأما هذا الغبار القادم وقد رابنى أمره فاكشفوا خبره ودعوا قتل الأسارى وردوا الأموال إلى البلد ففعلوا ذلك ومضى واحد يكشف لهم خبر العساكر القادمة (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذه العساكر شىء عجيب وذلك أن رسولهم رجع اليهم فقالت ميمونة ما الخبر فقال لها وصل ملك الملاقطه الذى كان الملك كرفناس تركه فى القسطنطونية أنى هارب فى مائه وخمسين ألف وقتلوا الباقى وأن القسطقنطونية إن أخذت فقالت ويلك ومن أخذها قال الملك ارمانوس وكان السبب

فى ذلك أرمانوس جمع العساكر من سائر الأقاليم وسار حتى نزل على القسطنطينية فخرج ملك الافرنج إلى ظاهر البلد وضرب معه مصاف الحرب ثم ثاروا العوام الذين فى البلد والنساء والصبيان وغلقوا الأبواب وقال أرمانوس يامنصور فانكسرت عساكر الملافطه وقتل منهم ستين ألف وطلب ملكهم بلاد الاسلام يعلم الملك كرفناس بما جرى ودخل أرمانوس إلى القسطنطينيه فوجد فيها تلك الأموال والأسارى ففرح واستبشر وأقام ينتظر الأخبار فهذا ما كان من هؤلاء .

(وأما ما كان) من ملك الملافطة فانه لما وصل اليه الخبر بقتل كرفناس وانهزام عساكره عظم عليه وكبر لديه وقوت عزيمته فيمونه فركبت اليه والنقطه وقالت له اعلم ان جميع هذه المواكب والكتائب تقاتل بين يديك واتزوج بك وإذا كسرنا عسكر الاسلام نرجع الى الملك أرمانوس ولا تعرف أخذ القسطنطينيه الا منى وأنا أسلمها اليك ثم اجتمعت عساكر الروم بعضها الى بعض وأقبلت بعد ذلك عسكر الاسلام يتبعها الخليفه فى عسكر أهل الايمان فنزلوا واستراحوا ذلك اليوم والليلة الى الصباح وتبادروا الى الحرب والكفاح وتضاربوا بالصفاح ولعبت الاسنة بالارواح (ياسادة) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل الى وقت صلاة العصر هنالك حملت السودان وأبناء الحبشان حملة صادقه وأجابتها بنو كلاب بعزمات موافقه وقلوب صادقه واطلع الملك الجبار على صفا الاسرار فأوقع الخذلة على الكبار وحكم فيهم الصارم البتار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وعمل فيهم السيف تلك الليلة مع ثانى نهار الى ان أبعدوهم عن الديار وقد هلك منهم أكثر من خمسين ألف وفرج الله عن المسلمين وغنم الناس الغنائم والاموال هذا جرى ههنا (وأما ميمونه) فانها تمت فى هزيمتها إلى أن وصلت الى بلاد الروم وقالت لملك الملافطة اعلم انى ما بقى لى وجه ألتى به أرمانوس فقال أنا اتزوج بك ثم أخذها وسار الى بلاد الملافطة وأما باقى الروم من أصحاب الاقاليم فانهم ذهبوا الى الملك ارمانوس وهنوه بعودته الى ملكه وبلده وقالوا يا ملك ما هلك كرفناس الا بما عمل فى حقك ونحن ما تبعناه الا لأجل سطوته وخوفا من هيبته لا رغبة فى مملكته فقبل عذرهم وسألهم كيف كانت خطرتهم فأخبروه بالقصة فتعجب الملك من ذلك وقال معكم علم من ميمونه قالوا نعم أخذها ملك الملافطه ومضى لأنها ما كان لها وجه ترجع به إليك (ياسادة) وبينما الملك أرمانوس كذلك إذ وصلت اليه كتب من عند الخليفة المعتصم وهو يهنيه بعودته إلى المملكة ويقول له

أطلق الأسارى ولا تحوجنى أدخل إليك فيكون فى دخولى ما يشمت أعاديك فانهم ما أسروا إلا بجريرتك لأنى كنت أرسلتهم إلى معونتك وهذا كرفناس كان عدواً لنا ولك وقد أراحنا الله منه على يد الأمير المجاهد عبد الوهاب فلا تتوانى عن إنقاذ المأسورين فإن أنت فعلت ذلك كنت المشكور وان فسخت الهدنة التى بيننا وبينك فتكون السبب فى دخولنا إلى بلاد الروم ونهبها وهدمها (قال الراوى) فلما سمع أرمانوس ما فى الكتاب مال إلى ذلك وأجاب وفى أثره وصل كتاب عقبة وهو يقول إنى مهنياً لك بهلاك عدوك وعدوى وعودتك إلى سرير مملكتك وقد رجع الحق إلى أربابه وأرسل الخليفة اليك كتاب فيه كذا وكذا من أجل الأسارى فإذا كان كتابى السابق اليك فنادى فى عوام البلد بأن يكسروا أبواب الحبوس ويضعوا السيف فى الأسارى وأظهر أنت أنهم عملوا ذلك بغير اختيارك وقالوا قد قتل المسلمين منا عالم عظيم وقتلوا أيضاً كرفناس ونحن قد أخذنا لهم بالثار وتأخذ عشرة من عوام البلد وتصلبهم بالحياة فإذا كان الليل أطلقهم ويصل الخبر إلى الخليفة من الجواسيس وتقيم عذرك وتكون بلغت مناك وأهلكت بنو سليم جميعاً ونحن نؤمل أن يظفرنا المسيح بالمسلمين مرة أخرى . وإن كان كتاب الخليفة قد سبق اليك قبل كتابى وقلت للرسول أنا أطلقهم لكن بشرط تترك الخراج فى هذه السنه وترك الجزية أربعة سنين فإن فعل هذا فافعل وإلا فسأضرب رقابهم وأرمى كتاب المعتصم فإذا دخلوا اليك فالمسيح ينصرك عليهم ويمكنك منهم (ياساده) ولما وصل كتاب عقبه وقرأه قال الملك لأرباب دولته وقد أوراهم الكتابين وقال هذا كتاب الخليفة وهذا كتاب عقبه وفيهم كذا وكذا فما عندكم من الرأى فقالوا أيها الملك ما هذا رأى مليح لأن الشيخ النجيح عليه بتدبير القسوس والرهبان وإنما يقول هذا من طريق الحسد لهؤلاء المسلمين وما هو من طريق الدين ولا ينظر فى العواقب من هؤلاء الشياطين والرأى أن تطلق الأسارى وتخلع عليهم وتريحنا فى هذه السنة من القتال فقد رأيت كرفناس وما كان فيه من الشدة والباس كيف صار موعظة للناس وكيف أهلكه المسيح على أيديهم وما كان له خلاص من شرك القناص (ياسادة) فأصغى الملك إلى الكلام وامر الى البطارقة أن يخرجوا الأسارى من الحبوس وأخلع على الأمير عمرو بن عبيد الله وعلى سائر بنو سليم وساروا من عنده وهم بالخلع فرحين وكتب إلى عقبه كتاب يعتذر اليه ويقول وصل كتابك إلى من لا يقدر يعمل بما فيه وأنا رجل قد ركبنى الخوف فى هذه السنة وعساكرى تفرقت وأكثرهم قتل وأسر وعندى من ذلك شغل شاغل عن القتال

(قال الراوى) ووصلت الأسارى إلى ملطيه فى يوم عظيم وكان ذلك كله ببركة الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب ودخل عمرو إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه وقال له يا أمير المؤمنين هذا كله بهمتك العاليه فقال المعتصم لا والله إلا بسيف الأمير عبد الوهاب وما نقول بعدها أنه غلام ولا صاحب إلا أخ من الإخوان لأن حقه علينا واجب فوثبت الأميرة والأمير وقالوا يا أمير المؤمنين ما نحن الا عبيدك وكل مانحن فيه من النصر والسعادة بهمتك وبركتك بلغك الله فى الدنيا والآخرة أمنيتك (قال الراوى) فعندها وثب عقبه قائما على قدميه ومدح الأمير عبد الوهاب وقال نحن اليوم كانا عتقاء سيفك أيها الأمير الكبير فيجب علينا أن ندعو بطول عمرك وألا يخلينا الزمان من طلعتك السعيده فأجابه البطال بالشكر على قوله ثم أحضر الخليفة الأموال وكانت شيئا لا يقع عليه إحصاء ثم قسمها على الناس بعد ما أخرج الخمس لبيت مال المسلمين واستغنوا الناس حتى صار الفقير له أموال تكفيه إلى ولد ولده وأعطى الأمير عمرو من القسمة بعد ما شاور الأمير عبد الوهاب فقال يا مولاى لو لو أخذت ما يخصنى وأعطيته للأمير عمرو لكان ذلك واجب على فشكره المعتصم على ذلك وأعطى عقبه ومطرون منهم قسم وادعى لطيبون وأعطاه مالا جزيلا وخلع عليه وقال سمعت عنك أنك تعلم فى علم النجوم فقال نعم يا مولانا فقال الخليفة والله ما كان سبب نجاتى الا على يديك يا شيخ طيبون وقد رأيت من الرأى أن تكون أيضاً عندى فى بغداد ويكون مطرون برسم الطب وأنت برسم الحكمه فقال سمعاً وطاعه ولكن بشرط أن أكون فى كل عام أحج إلى بيت الله الحرام فلا تمنعنى من ذلك فقال نعم وأقام الخليفة المعتصم فى ملطيه عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر طلب الرحيل إلى العراق فخرج الامير عبد الوهاب معه لوداعه وكذلك الامير عمرو وسار أيضاً عقبه مع الخليفه وقال قد اشتقت الى السيدة زبيدة وبنو هاشم والى أهلى وأولادى(ياساده) وساروا مع الخليفة ثلاثة أيام وردهم فرجعوا فلما رجع الامير عبد الوهاب ضحك البطال وهو بجانبه فقال له عبد الوهاب مما تضحك أيها الامير فقال من هذه النوبه بعد أن صار لعقبه عند الخليفة مطرون ونحن لنا مطرون وسوف يرون من الصفع ما يكون (قال الراوى) فتبسم الامير عبد الوهاب ورجعوا الى ملطيه ولم يكن فى الناس الا من أخذ المال إلا الامير حجاف فإنه ما أخذ شيئاً لأن الخليفة أعطاه عشرة أقسام فردها وقال هيهات أن آخذ عوض رجلى إلا الجنة وقبول المنه وما أريد من الله إلا النظر إلى وجهه الكريم فسبحانه لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله (قال) فبكوا

الناس من كلامه وما نظرت الناظرون أزهد منه ولا أعبد ولا أصدق فى زمانه ثم أنه ودع الخليفة ورجع إلى الشام واجتهد الامير عبد الوهاب على أنه يقيم عنده فى ملطية فقال له اعلم أيها الأمير أن لى بنت صغيرة وقد غلبنى الشوق اليها وربما أرفعها من الشام الى هذا المكان وأكون بين يديك لعلى أرزق الشهادة فى سبيل الله تعالى فإنى مشتاق الى ذلك ثم رحل هو وأخوه زحاف وقد أخذ شيئا يقتات به وساروا الى أن وصلوا الى ديارهم (قال) وقد بلغنى عن حجاف رضى الله عنه عند وصوله الى منزله خرجت اليه ابنته وقد سمعت صهيل الفرس فنادت يا أماه الكى البشارة فقد وصل أبى ثم خرجت الى البلد فرأت شخصاً مصفراً من كثرة ما جرى عليه وهو مقطوع الرجلين ففزعت منه الجارية وعادت صارخة وقالت ياأماه هـــذا شخص ماله رجلين الا أنه على صفة أبى (ياساده) فخرجت أمها ونظرت اليه ساعه فعرفته وجاء زحاف وحل رجليه ونزله من على الفرس وشاله ودخل به الى منزله فارتفع البكاء والنحيب على ماحل به من ذلك الضرر فقال لهم لا تبكون فان الله تعالى أخذ عضواً من أعضائى وقد ترك لى قلباً يذكره ولسانا يشكره ونفسا على الجلاد جليده وعلى ضرب الحسام شهيده فقالت ابنته فما الذى حصل لك فى سفرتك هذه فوالله لقد قاسينا الجوع والضرر بعدك وأنت تعلم أنك ما أبقيت لنا شيئاً قبل مضيك الى الغزاة بل تصدقت بكل ما تملك فقال لها ـ بنية قدمته بين يدى ليوم الفقر والفاقه وأما قولك وما حصلت لنا شىء فإننى سعيت فى خلاص رقبتى من النار فأى عبد حصل له مثل ما حصل لى فقالت له فيما تعوضت عن رجليك قال الجنه فقالت يا ليت ابنتك أصابها ماأصابك وحصل لها مثل ثوابك ثم أقام حجاف بعد ذلك عشرة أيام ورحل الى ملطيه وجميع فرسان عشيرته وكانوا ثلاثة آلاف فارس فى طلب الجهاد الى الثغور وبلغ خبره الى الأمير عبد الوهاب فخرج الى لقاه فى جميع بنو كلاب وبنو سليم وأنزله فى دار طيبة وحمل الأمير اليه والى أهله من المال والاقامات ما يكفيهم وحمل الى منازلهم (يا ساده) ونظروا الناس الى الأمير حجاف وما هو عليه من الرفعة فى قومه الا أنه من دون الجماعة فقير فسألوه عن ذلك فأخبرهم أنه قد قرأ قوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) فقال والله لا خليت لى قليلا ولا كثيراً ثم أنه تصدق حتى بفراشه وصار أفقر قومه ولكنه عند الله أغناهم ولما نظر إلى ذلك الأمير عبدالوهاب حمل إلى زوجته الف دينار ولم يبق أحد إلا وحمل اليه الهديه هذا وحجاف ما عنده من هذا خبر بل معتكف على الصـــلاة ليلا ونهاراً (قال الراوى) وبينما الأمير

عبد الوهاب فى بعض الايام جالس وعنده الأمير عمرو والامير عبد العزيز العلوى وسائر الامراء وهم يتحدثوا إذ تذكر الامير عبد العزيز العلوى أمه فبكى وقال يا قوم ما رأيت قط مصيبة مثل مصيبتى ولا مثل ما دهيت به فى والدتى وللآن ما طلع لها خبر ولا وقفنا لها على أثر ولقد عظمت مصيبتنا وزادت بليتنا وطالت غيبتها فياليت شعرى هى فى الأحياء أم فى الموتى ثم أنه بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشأ وجعل يقول :

إلى الله أشكو من صروف زمانى ... وشدة ما ألقى من الحدثان
وما قد دهانى فى الذى ليس مثلها ... بكل حجازى وكل يمان
بعيدة دار حرة عربية ... لها نسب عالى وعز مكان
فيا عين جودى بالدموع وساعدى ... غريب وحيد مغرم بهوان
فياليتنى ما كنت للخلق ناظراً ... ولا قائلا يوما بنطق لسان
ويا ليتنى تحت السباع تنوشنى ... ولا كان هذا فى قديم زمانى
سأدخل أرض الروم لابس برنس ... وأسأل عن أمى بغير توانى
وأسأل رهبان الصوامع كلهم ... وأقطع كل الأرض بالدوران
وسوف أسير اليوم من غير رجعة ... اليهم إلى أن يظفروا بعنانى
فإن ظهرت أخبارها عدت سرعة ... وإلا فموتى راحتى وكفانى

(قال الراوى) ثم أنه وثب إلى الامير عبد الوهاب وودعه ولبس ثياب راهب وأرخى ذوائب الشرف مثل شعور النصارى وعيناه تهملان بالدموع وأخذ فى يده عكاز وقال لهم كونوا فى دعة الله تعالى فإنى سائر فإن سهل الله تعالى لى خلاص والدتى ويظهر لها خبر فأنا أعود اليكم وإلا فهذا آخر الملتقى ولكن أوصيكم بأخوتى (قال) فبكوا الناس وتعلق به الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الامير أنا ومالى وجميع عسكرى بين يديك ولا نترك موضعاً إلا نطوفه وندوسه بحوافر الخيل نهاراً جهاراً ولعل الله تعالى أن يسهل الأمر وان لم يظهر لى خبر فنكون قد بذلنا المجهود فى طلب المقصود فقال له عبد العزيز يا مولاى هذا شىء قد طال وقد وصلتم إلى بلاد الروم كذا كذا مرة وفعل الأمير أبو محمد ما فعل وما ظهر لها خبر وهذا أمر ما يجىء إلا بطولة الروح وأنا أريد أن أقيم فى بلاد الروم سنة وعشرة ولا أترك قرية ولا صومعة ولا اقليم ولا مدينة ولا جزيرة إلا وأدخلها وأسأل عنها فإن كانت فى موضع لا تخلص منه إلا بكم فلا بد لكم من دخولكم فقال له ابو محمد ان كان ولا بد من

دخولك فأنا رفيقك ولو أقمت معك عشرين عام فقال مذبحون وغلمانه ونحن معكم لأننا خبيرين بأرض الروم فقال عبد العزيز والله ما دخل معى غيرى حتى لا أحمل همى وهمكم فإننى فى أن أحمل اكثر من هذا (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى أخوات عبد العزيز بأنه داخل إلى بلاد الروم فأقبلوا وهم صارخات وتعلقوا به والبراقع على وجوههم وقالوا بالله يا عبد العزيز لا تجمع علينا مصيبتين الواحدة فراق الوالدة والثانية فراقك فقال لابد لى من ذلك (قال الراوى) وهم على ذلك وإذا قد أقبل احمد الشعشاطى جاسوس الامير عبد الوهاب من بلاد الروم وهو ملهوف ينادى بأعلى صوته ها ها معاشر المسلمين العجل العجل البدار البدار لانكم ما يحل لكم مقام بعد هذا الذى أحدثكم به من الكلام فقال الامير عبد الوهاب هات مامعك يامبارك من الخبر فقال اعلم يامولاى اننى سرت إلى بلاد الروم ليلا ونهار حتى وصلت إلى مدينة احسن القسطنطينية مبنية بالصخر أحكمتها الحكماء لها سبعة أصوار كل صور منها يحكم على الآخر فى العلو وسبع خنادق فدخلت اليها وتفرجت فيها وفى حاراتها وأسواقها ومن كثر ماعجبنى بنيانها تمنيت أن يكون للمسلمين مدينة مثلها فبينما أنا يامولاى فى بعض أسواقها وإذا أنا بامرأة طويلة احناها الكبر وعلى خدها شامة سوداء والعلوج يلطمونها يميناً وشمال وهى تستجير فلا تجار وتنادى بذلة وانكسار وامحمداه والإسلاماه وامعتصماه واولداه طال على المدا وشمتت بى العدا فما ذكرتمونى ولو رأيتم حالى لرحمتمونى (قال) فما وصل احمد الشمشاطى إلى صفة أم عبد العزيز العلوى الا وولدها صاح ووقع مغشياً عليه ولم يسمع باقى الكلام هذا والامير عبد الوهاب يبكى ويقول ثم ماذا يا مبارك فقال يا مولاى ثم نادت فى آخر نداها أين الامير عبد الوهاب أين الامير الغيور على النساء والاصحاب أين حامى الثغور أين البطل المشهور أين من يبلغ سلامى للبنات وشوقى اليهم مع الحسرات ثم أنها أنشأت تقول :

أما راحم يبكى عجوز كبيرة	بعيدة دار قد تهدم صبرها
أسيرة أندال لئام لانهم	طرائف سوء قد تبين كفرها
يهينون وجها طا ماقد سترته	وكان لنا قوم يحبون نصرها
فياليتهم حال الامير يعلموا	بأى بلاد الله قد طال أسرها
وأصبحت مسجى الهوان وليس لى	نصير ومن ذا يمنح النفس صبرها
أقمت بها ياصاح عشرا كواملا	مقام عجوز قد تمكن ضرها

لها برسول الله فخرا وانها ... لها نسب منه يواصل فخرها
اذا ذكرته يلطمون حدودها ... وتنتف أيديهم من الغيظ شعرها
وان أصبحت تبكى فلا يرحمونها ... ولا يذكروا ان كان قدخان صبرها
فمن مبلغ عبد العزيز وأخته ... سلام الذى فى الكفر قد طال أسرها
ولكنها مأسورة قد تجرعت ... بنار لهيب الشوق موقد حرها
لقد جرعت من دهرها غصص الردا ... فيا ويحها من غصة ما أمرها
وما لقيته من أمور كبائر ... ويا ما أتتها نائبات تضرها
وقد قل صبرى ثم زادت مصائبى ... ولم تسمع أذنى مقالا يسرها
وقد فار قلبي ثم زاد تحسرى ... وناديت والاعلاج قد زادكفرها
فيامن ينادى بالذى ليس مثله ... ولا مشبه بين السهول ووعرها
بمعتصم بالله وهو خليفة ... لرب العلى فى الأرض يصلح أمرها
ومن لى ينادى بالامير وأمه ... بنية مظلوم الذى شاع ذكرها
وذات الهمة ناديت حقا وابنها ... عساها تخلصنى فلله درها

(قال الراوى) ثم قال أحمد الشعشاطى للامير عبد الوهاب يا أمير ثم جعلت تستجير فلا تجار وتستغيث فلا تغاث وتنادى باسم محمد المختار وهى تسحب وتلطم وتضرب وتقع تارة وتقوم تارة وقد أحدقت بها أوباش العرب والروم حتى اندملت منها الركب وأشرفت على العطب (ياسادة) وكانت رضى الله عنها لما أخذت أسيره ومضوا بها إلى القسطنطنيه وأمر بهم أرمانوس لذلك التاجر الذى ذكر أمره أحدها ودخل بها إلى هذه الأرض ووقعت بشوم بختها مع بطريق متجبر كفور الناس تخاف منه ومن شره وعبس وجهه وقذارة منظره أحب ما إليه وجها يلطمه أو رأسا يهشمه أو مستجير إلى عدوه يسلمه أو فارسا يقتله كلب ابن كلب والسلام يسمى فقطون ابن قيطون وأنه لما أخذ أم عبد العزيز من ذلك التاجر حلها إلى مكورية والملعون يفهم بالعربى فقال لها ويلك من أى العرب أنتى فقالت من بنى هاشم فقال لها ومن هم بنو هاشم فقالت قبيلة النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع وعرف أنها شريفة علوية ضحك وقال أنا أتقرب بدم هذه إلى السيد المسيح لأنها قريبة النبى العربى ثم أنه أنزلها إلى مطموره فى داره وصار كل يوم يعاقبها ويعذبها إلى أن ولدت زوجته ولد ذكر فسماه بعقور وكبر سنه وطلع له فى رأسه حرارة وحب كثير وكذلك أمة إلى أن أشرف منه على الموت فلما أيقن أبوه بهلاكه قال أريد اخراج هذه المرأة العربية من المطمورة وأوريها هذا الولد

حتى تنظر إليه لعلها تعرف له دواء لأن العرب عندهم معرفة بالعقاقير والحشائش والنبات وليس فى الأرض شيئا إلا ويعرفوه ثم أن البطريق أخرجها ووصف لها صفة ولده فلما نظرت اليه ادعت بعفص وقشر رمان وأضافة اليه قطعة كلس ورفعت طرفها الى السماء وقالت يامولاى مابقى لى جسد يقوى على الضرب وقد أخرجونى من السجن أداويه وأنا أسألك أن تجعل له على يدى الشفاء لعلهم يقاون من ضربى يارب العالمين (ياسادة) ثم داوته ثلاثة أيام فبرىء باذن الله تعالى ففرح البطريق بذلك وقال لها هو مسلم اليكى وأنتى تتولى تربيته فان عاش وصار له من العمر خمسة عشر سنة عتقتك فضحكت العلوية من قوله وقلة عقله وعاش الصغير بعدها سنتين وهلك فى الثالثة ولما رجع أبوه من دفن ولده جعل يسحب العلوية من قلة عقله الى السجن والضرب حتى يتقرب بذلك الى المسيح (ياسادة) فلما نظرت ذلك هربت منه الى البلد وجعلت تنادى وتستجير والبطارقة يعدلوه وقلبه لا يزداد الا قساوة ويقولوا له ويلك لاتفعل فانها صارت لها عليك حق لأجل خدمتها لك فلم يسمع من قول أحد وجعل يسحبها فعند ذلك صاحت وامحمداه واأسلاماه واعبد العزيزاه وعظم عليها الأمر وجعلت تنادى وامعتصماه واذات الهمتاه والبطريق يضربها وفى تلك الساعة أنشدت الشعر وسمعها الجاسوس فخرج مسرعا الى أن وصل الى ملطيه وأعاد حديثها على المسلمين (ياسادة) وان الأمير عبد الوهاب وثب من ساعته واشتدمصابه غير أنه فرح وقبل الأرض شكرا لله تعالى اذا انكشف خبرها هذا وعبد العزيز مغشى عليه وقد ارتفع من اخوته الضجيج من كل جانب وصاح الامير عبد الوهاب لبيك لبيك أيتها المرأةالصالحة ثم انه قال للامير عمرو بن عبيد الله ماهذا امر نكتمه عن الخليفة لاننا ماندرى مايكون وهو احق من نخبره بذلك لأن نسبه متصل بنسبها وان جرى فيها امر عتب علينا امير المؤمنين ويقول لما لا اعلمتمونى ثم كتب كتابا وشرح فيه ما جرى من الأول الى الآخر وعلقه على جناح الطائر وكان الذى كتبه صاحب الخبر فقال الامير عمرو نعم مافعلت ايها الامير (ياساده) فمابات الخبر الاعند الخليفة وسمع ماجرى فبكى بكاء شديد لما وعى القصة ونادى لبيك لبيك قد سمعت ندائك ثم وثب من وقته وساعته واقسم بالله لاخلع ثوبا ولا نام على فراش ولا أكل طعام حتى يبرز الخيام ثم انه عاد من وقته وساعته وادعى بالامراء والحجاب وأرباب دولته والكتاب وذكر لهم القصه وقال لهم خذوا اهبتكم المسير فى غداة غد واعلموا الناس بذلك وقال هذه ثلثمائة الف دينار وانفقها على الاصحاب وقد

جعلتها لله تعالى فى خلاص هذه العجوز ثم كتب الى الأمير عبد الوهاب والأمير عمرو كتابا على جناح الطائر وهو يقول الله الله لاتدخلوا الى بلاد الروم حتى أصل اليكم فانى راحل من يومى هذا ان شاء الله تعالى (ياساده) ولما أصبح الصباح نادى المعتصم بالخروج فخرت الناس وفرق الأموال فقال له عقبة لو كنت يا امير المؤمنين امرت بنوسليم ان يسير وانى هذا الوجه وارحت نفسك يامولانا من التعب فقال المعتصم لا كان ذلك ابدا حتى اخلص العلوية أو اموت دون ذلك (ياسادة) وسار الخليفة وعقبة ومطرون وطيبون معه وقطعوا الارض والأمير عبد الوهاب فرحان بمسير الخليفة حرصا على خلاص أم عبدالعزيز العلوى ثم جعلوا يترقبوا قدومه ولما قرب من ملطيه خرجوا الى لقاه وقصدوا خدمته ودخل الخليفة الى ملطيه واخذه الدعاء من كل جانب وقالوا ما رأينا قط مثل هذا فى الخلفاء ولا أعظم منه ثم أقبل الخلية على أبو محمد البطال وقال له أتعرف مكورية قال نعم يا أمير المؤمنين وهى موضع ما تحت السماء أحصن منها فى الزمان وقد صنعتها الحكماء ولها سبعة اسوار وسبعة خنادق وكل سور منها بحكم على الآخر لعلوها وقد زادها هذا الملعون سور ثامن وله باب حديد وكذلك شراريفها حديد ولها سلاسل وكلاليب وفيها عالم عظيم لايحصيها الا الله تعالى وقد تمنى الملك ميخائيل ومنويل والذى ملكوا القسطنطينية أن يصلوا اليها وان يكون كرسى مملكتهم فيها فما قدروا على ذلك وهذا الملك الذى هو فيها من المعمرين وما تغير عليه حيلة ولا سمعة ولا أبيض شعرة ويكون الثلج فيها من أول تشرين (ياسادة) فقال المعتصم أقسم أنه لابدلى من الدخول اليها ولا أرجع الى بلاد الاسلام حتى يقضى الله ماهو قاض ثم نادى بالرحيل ورحل طالب بلاد الروم وقد أعرض عساكره فكان عدتها ثلثمائة ألف وجعل يسير فى بلاد الروم ولا يؤذى أحد والعساكر متلاحقه به حتى صار فى عالم عظيم هذا وعقبة قد كتب إلى ملك الروم ارمانوس بخبره بما جرى من القصة من أولها إلى آخرها ويقول له هذا مالا يجب عنه القعود لأنهم ان فتحوا مكوريه هلكوا البلاد جميعا وأخـــذوا القسطقطينيه وسائر بلاد الروم فى عامهم هذا ولما وصل كتاب عقبه إلى ارمانوس عظم عليه وجمع أرباب دولته وقال لهم ماترون فى هذه القصة فقالوا أيها الملك مالنا أحسن من السكوت عنهم فما دخل عسكر المسلمين والخليفة فى هذه الهمة إلا وكانت الروم أضعافهم كسرها إذا ضربوا معه مصاف وأما مكوريه لو أقاموا عليها مائة عام لما وصلوا إليها ولا قدروا عليها فقال الملك صدقتم وما يقدروا على مكوريه أبداً وقد وصـــل إلى الخبر أن المسلمين

لايقيموا فى بلادنا لأن بلاد الروم لاتصلح لهم ولو فتحوا مكوريه كنا قادرين على أخذها إذا تركوها وساروا وكنا نستريح منهم (قال الراوى) ولم يزل الخليفة سائر بعساكره ليلا ونهار حتى وصل إلى مكوريه وقد اشتد البرد ووصل إلى الناس الاذى ووصل الخبر الى ملك مكوريه بأن عسكر المسلمين قد قصدوا اليك فأرسل لهم رسولا يسأل عن السبب الموجب لذلك ويقول لهم ماهذا بلد لكم فيه مطمع ولو أقمتم عليه أعمار النسور على أنى لو أطلعت عساكرى عليكم وعوام البلد أكلوكم لكن أخبرونى ما سبب ذلك حتى أكون من أمرى على يقين (قال الراوى) فلما وصل الرسول بذلك الى المعتصم كان المجاوب له عقبه وقال له ارجع الى صاحبك ملك الروم وقل له وبلغ من قدرك أن تهان العلويات فى بلدك وهى تنادى واعتصماه ولا تخلصها أقسم بالله قسما صادقا لئن لم ترسلها لأجعلن بلدك دكا ولا يرجع بذكر فيها شركا فارجع اليه وقص هذه القصة عليه فقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر (ياساده) فأعجب الناس كلاله وقالوا ماقصر القاضى عقبه ورجع رسول صاحب مكوريه وقد سبقه غلام عقبه ووقف للبطريق الرسول فى الطريق وقال له تقول للملك ينكر هذا الأمر ويحلف ان هذا الحديث ماسمعناه إلا منكم وكل بطريق فى البلد يحلف لكم لامن طريق الفزع لأننا ما نبالى بكم واننا لا نفسخ الهدنة التى بين المسلمين وبين الروم (قال الراوى) والتقى غلام عقبه بالرسول واعلمه بذلك فقال له الرسول وكيف يحلف الملك كاذب فقال له عقبه اعلم ان مولاى الذى كلمك وهو الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وهو يقول لك كل يمين يحلفه الملك والبطارقة فهو فى رقبته وما عليهم من ذلك شيء أبدا (قال الراوى) فعندها رجع الرسول وأخبر الملك بالذى جرى من أوله إلى آخره وكان ذلك فى جمع من البطارقة وأرباب الدوله وكان فيهم مسخطون البطريق الذى عنده العلوية فأقبل على الملك وقال له هذا كله بسبب البدوية التى عندى فما الذى ترى من الرأى وهل نقول هى عندنا أونخرج اليهم بالسيف القرضاب فقال له الملك نعتمد على قول عقبه فهو إلا الصواب فلما سمع مسخطون ذلك من كلامه ضحك وقال ما قال الشيخ النجيح الا الصواب ونريد نتقدم اليهم ونقول لهم ما عندنا من هذا خبر فارحلوا عنا وان أبوا خرجنا اليهم فلا نبقى منهم باقية (ياساده) فعندها جمع الملك ارباب دولته واختار منهم عشرة بطارقه وعشرة رهبان وعشرة قسوس وقال لهم تمضوا اليهم وتنكروا خبر العلوية وتحلفوا عنا فان انصرفوا عنا فهو المراد والا

وحق المسيح اخرج اليهم مسخطون لايبقى منهم احد (قال الراوى) ووصلت الرسل الى عساكر الاسلام فأخذوهم إلى بين يدى المعتصم وأعادوا عليه ذلك الكلام وفى عقب كلامهم التفت البطال الى عبد الوهاب وقال له هذا كله من تدبير عقبه ثم ان البطال أقبل على الروم وقال لهم هذا الذى علمكم هذا القول يريد خراب بيوتكم الى الابد ونحن عندنا اربعمائة قنطار ماتسوى ذرة واحده ونحن فى غداة غد نزحف اليكم ونقدم عليكم ثم اشار الى الخليفة ان يصفع واحد بعد واحد فصفعوا الرسل ورجعوا فى اسوإ حال فلما عادوا الى صاحب مكوريه فى ذلك القالب شخر ونخر وقال لمسخطون ماترى من الرأى فقال أيها الملك وحق المسيح لاخرج اليهم احدا غيرى فى غداة غد انا والعسكر الذين تحت يدى حتى تسمع الملوك ان بعض البطارقة الذى لصاحب مكوريه خرج الى عسكر الاسلام ونال منهم المرام ثم اقام الى الصباح وخرج فى عسكره واصطفت الصفوف واعلم الجاسوس الذى للخليفة ماخرج اليكم اليوم الا البطريق مسخطون وهو جبار عنيد فعندها ركب عبد الوهاب وبنوكلاب والسودان الانجاب هذا وعبد العزيز كشف رأسه واخرج يده من جلباب درعه وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

ألا خبروها اننى اليوم باذل لروحى فى هيجائها بالقواضب
وانى أرد الخيل أيضا بصارمى وأضرب أعناق الليوث السلاهب
ولو كان فيما بيننا ألف بلدة لها ألف سور هان عندى مطالبى
وحق الذى حج الحجيج لبيته ينادونه لبيك من كل جانب
لاقتحمن الحرب حتى ترونها يفيض نجيعا مثل فيض السحائب
لحى الله عبدا لايريد لرأسه ثلاثين ألفا عنه وقع المضارب

(قال الراوى) وكان عبد العزيز فارس مذكور وحمل على الروم وترك قصده البطريق مسخطون لانه كان فى أوائل العسكر والتقاه وتطاعنوا ساعة ثم ان عبدالعزيز طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وفعلوا بنو كلاب مثل فعله وطعنوا نحور البطارقه وضربوهم بالسيوف البارقه ونظروا الروم إلى قتل مسخطون فاندقوا هاربين وبنوكلاب خلفهم إلى الأسوار وازدحموا فى الابواب فقتل منهم نحو عشرين ألف وسمع الملك ذلك فصعب عليه وكان الملعون احتقر بالمسلمين فلاجل هذا لم يخرج لهم ولما قتل البطريق مسخطون خرج ثانى يوم ومعه عسكر ثقيل من أهل البلد وقد أرسل

إلى القرى والضياع ونادى المنادى فى بلاده قصار عنده خمسمائة ألف واحد وأحد قوا بعسكر المسلمين من كل جانب وعملت السيوف القواضب وازدحمت الخلائق وحققت الحقائق وحمل صاحب مكوريه فى عساكره وكتائبه ركذلك الخليفة المعتصم رضى الله عنه قاتل ذلك اليوم بنفسه وقد تفتحت أبواب القصور وحامت عليهم الطيور وجرت دماءهم مثل النهور وخسفت الصدور وتضايقت الأمور وبان البطل الجسور هذا وقد تكاثرت عليهم الروم من كل مكان وقد أوقدت الحرب نارها ودارت على العسكرين رحاها ولم يزل السيف يعمل إلى الليل وافترق الجمعان وعاد الجيشان واضرمت النيران هذا وقد قاسوا المسلمين ذلك اليوم مشقة وتعب (ياساده) وصاحب مكوريه اجتمع مع أهل بلده وقال لهم وحق المسيح لقد صبروا المسلمين اليوم وقتلوا منا أكثرما قتلنا منهم فقالوا له مشايخ قومه أيها الملك انتبه من رقدتك فهؤلاء القـــوم الذين فتحوا القسطنطينية كذا كذا مرة فطير الطيور إلى سائر الآفاق واستنجد بالملوك وابذل لهم الأموال والا أخذت بلدك من بين يديك ولا يغرق هذه الاسوار والاحجار ومابينك وبينها الاان يكسر والعسكر وقد رأيت معهم سودان يطيروا فى الهواء وينزلوا من من السماء فصلب على وجهه وقال له ويلك كيف يطيروا فى الهواء فقال له واحد منهم أنا رأيت العيار أبو محمد البطال يطير بين السماء والأرض فى ليلة ظلماء من مدة عشرين عام وهو يطير وسائر الروم اختبئوا فى بيوتهم لئلا يخطفهم ولهذا قلت لك ذلك فقال الملك يجوز انه مايسرق الا الملوك والآن فلا بدلى أن أكتب إلى سائر الملوك الا ارمانوس ماأكتب اليه حتى لا يرانى بعين النقص ثم انه كتب الكتب الى سائر الاقاليم ووصل كتاب عقبه الى الملك يقول له ابصر مابين يديك واكتب كتاب الى الملك ارمانوس فلما سمع الملك ذلك لم يلتفت اليه وبقى على ماهو عليه الى ان اصبح الصباح والتقت العسكر بالعسكر وعملت البواتر وعمل السيف الى وقت الظهر وكشف عبد العزيز رأسه وحلف انه لا يغطيه حتى يرى وجه أمه ويكشف عنها مابها وقصد صاحب العلم الذى عليه الصليب ثم انه أطبق على صاحب العلم فانكسرت الامم وذبحت الرجال ذبح الغنم وطلعت المسلمين على الاسوار وزحف المعتصم حتى نزل على الباب فرأى موضع حصين لا يقدر على فتحه فعندها شرع فى قطع الاشجار وعمل السلالم الكبار ونصب المناجيق وكتب صاحب مكوريه كتاب الى الملك ارمانوس وهو يستنجده ويقول له اعلم ان مكانى حصين ولو أقاموا عليه عشر سنين لماقدروا عليه ولا وصلوا اليه ولكن يخربوا البلاد ويقتلوا أهل السواد ويضعفوا أهل القرى والبلاد فياطول ماسيرت عساكرى اليـــك والى

نصرتك وطير الطير بالكتاب وهو ينتظر الجواب (ياساده) وكان عقبه أيضا أرسل اليه غلامه يقول له بأى وجه تلقى المسيح اذا تخليت عن نصرة النصرانية فالعجل العجل قبل فوات الاجل (قال الراوى) وأقام الحصار على مكوريه مدة طويلة ثم تجهز الملك ارمانوس فى سائر الملوك من جميع البلاد لانه لما قرأ الكتاب الذى لعقبه قال البترك هذا هو الصواب فعندها جمع الملك العساكر وأرسلها الى المسلمين من كل جانب ومكان وأرسل ارمانوس الى المعتصم جواب يقول فيه هذا الفعل الذى تفعله ماهو فى مقابلة مافعلت أنا لانى أطلقت لكم خمسين ألف أسير وكانوا تحت قبضتى ولوأردت قتلهم لفعلت ذلك ومايهمنى فارحلوا من مكورية وأنتم سالمين فان البلد بلدى وفى قبضتى وماأقدر أشرح لكم ماعندى من أمر الأميرة العلويه وأشرح لكم جميع الايمان انى لاأعلم لها خبر فان رحلتم فقد أحسنتم وان أقمتم ندمتم (قال الراوى) وصحيح انه كان قد وصل كتاب ارمانوس وهذا فيه كان ذلك كله من تدبير عقبه وقال له احلف كاذب والكل فى عنق حتى لايقول لك المعتصم سلم الى معلويه وتصير الروم كاذبين فقد حلف لهم صاحب مكوريه بانه ماله منها خبر وفى ذلك أيضا كسر غرض المسلمين (ياساده) ولما وصلت رسالة ارمانوس الى الخليفة وكان شاهد كثرة العساكر التى قد وصلت وأقامت تنزل ثلاثة أيام ولما قرأ الكتاب غضب وقال للامير عبدالوهاب ماترى من الجواب لهذا الكلب فقال الصواب ان تمسك الرسول عندنا الى نصف الليل وأوريك الجواب كيف يكون ففعل المعتصم ذلك ولما كان وقت نصف الليل قال المعتصم للامير انجز ماوعدت به فقال سمعا وطاعه ثم ادعى بالسودان فحضروا فقال أين أبو الموت قال لبيك يامولاى ها أنا أبوه وأمه وخاله وعمه فأمر بما تشاء فقال قد عولت على كبس عسكر الروم الليلة فقال نعم مارأيت يامولاى أنا والسودان نرمى أرواحنا فى جميع الروم ومايمضى الليل الا وقد نزل بهم الذل والويل وجرت دماءهم مثل جرى السيل ثم ان الامير وثب وعيناه تذرف بالدموع وقال كلنا الليله سودان وأنا رفيقك ياأبو الموت فقالت الاميره ذات الهمه وأنا أيضا معكم وقلن اخوات عبدالعزيز أهل الميت أولى بالبكاء ونحن معكم وتصايحت بنى كلاب وقالوا نحن معكم وتصايحوا ثم انهم تواثبوا ولم يتخلف منهم أحد ففرح الامير عبدالوهاب بهذه الموافقة فقال والله هذه نيات صادقة وقلوب الى الحرب شائقه وبها نبلغ ان شاء الله تعالى مانريد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى وسار بهم الامير وأكثر للناس رجاله وبنوا سليم خياله ولم يتخلف الا عسكر الخليفة خوفا من أهل البلد لئلا يفتحون الباب ويخرجون ينهبون الثقل

(قال نجد) وبلغنى ان المعتصم فى تلك الليله خرج معهم فقال الامير يانجد ما رأيت أخف منه ولاأسرع وثبة وقد ثارت معه النخوة العباسيه والهمةالهاشميه والامير حجاف رضى الله عنه فى الجماعة راكب ولما أشرفوا على عساكر الروم ماتكلموا حتى دخلت السودان فى أوساطهم ونادوا عن صوت واحد لاإله الا الله محمد رسول الله الله أكبر الله أكبر فماجت بهم الأرض ذات الطول والعرض وأجابهم بكلة التوحيد الطير والوحش والجن والانس والجبال والاوديه والتلال وماظنت الروم الا ان مكوريه قد انقلبت من مكانها وقاموا الى القتال وكان فى تشرين الثانى والوقت شديد البرد والنيران فى العسكر كله وكانت السودان تطأ النار برجلها وتطحنها طحنا بقدمها (ياساده) ونادت المسلمين باسم الملك العلام وقامت الروم من المنام وضرب بعضهم البعض فى الظلام ومازالوا فى قتال وصدام الى ان ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار وقد صاحت بهم السودان فى ظلام الليل وأنزلوا بهم الذل والويل فولوا منهزمين والى نحو بلادهم طالبين وقد غنموا أثقالهم المسلمين وكان شىء عظيم ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب المعتصم طلب البلد واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وبان من تحته صلبان روميه وعساكر أفرنجيه وكانت هذه العساكر الواردة عساكر الدوقس والمغلبيط والارمن والملافطه وهم فى ثلثمائة ألف كافر يقدمهم ميمونه لانها تزوجت بملك الملافطه كما تقدم فلما رأت عساكر المسلمين وكثرتها والفرق منهزمه من الروم فسألت عن ذلك فأخبرت ان العساكر المنهزمه عساكر الملك ارمانوس وان جمعهم أصبح معكوس فضحكت ميمونه وقالت هذه صفة ارمانوس الغفله والخذله ولا بد لى ما آخذ له بالثار والملك كرفناس فوالهفى عليه ما كان أشجعه وما أكثر ما كان يقوم بالليل (قال الراوى) ولما نظر المعتصم الى تلك العساكر استقبلها بوجهه وجعل على باب مكوريه خمسين ألف يحفظون الابواب (ياساده) والتحم القتال فى أول يوم مع الارمن فانكسروا وثانى يوم مع الدوقس فانكسروا وثالث يوم مع المغلبيط فانهزموا ورابع يوم كان قتالهم مع بنى سليم واحلافها فانكسروا بنى سليم لان مافى العسكر أوقح من المغلبيط ولا أشد بأس ولا أقوى مراس وخسروا ذلك اليوم المسلمين خسارة بينة فلما كان اليوم الخامس تولى عبد العزيز القتال بنفسه مع عرب الحجاز وجماعة من الاشراف وطائفة من بنى كلاب والتقاهم عبد العزيز بصدر اوسع من البحر وهو ينادى انا ابن الحزينة العبرا والغريبه الشكلا ثم حمل طالب الاعلام فالتقى بملك المغلبيط فطعنه فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره وحملت العساكر على اصحابه فاندقت بين أيديهم وعمل السيف

فيهم وتمم عبدالعزيز الاموال والاثقال والرجال فشكره المعتصم على ذلك وفرح به لما فيه من الشجاعة والشدة والبراعـه (ياساده) فلما كان اليوم السادس تولى الامير عبد الوهاب وكانت النوبة للملافطة وميمونه وهى فى أوائل القوم واشهرت نفسها وفى يدها حربة طويلة بإربع حروف وهى تهزها وهـذا كان قتال الملافطة الافرنج فى بلادهم وكانت ميمونه قد استعملتها قصـد الأميرة ذات الهمـه رضى الله عنها لانها رأت فى منامها كانها ضربتها بحربة قتلتها فجلست من يومها واستعملت تلك الحربة وهذا المنام الذى حملها على المجىء (ياساده) فلما اصطفت الصفوف خرجت ميمونة الى بين الصفين وهى على جواد أشهب قوى العصب قائم القصب مدور الركب ديال الذنب من اخر خيول العرب فجالت فى الميدان ومالت وأنشأت وقالت هذه الابيات

أياعين جودى بالدموع السواكب	لفقد الذى قد كان اشرف صاحب
على كرفناس الفارس الاوحد الذى	اباد الاعادى بالسيوف القواضب
لقد فاق كل الروم حقا شجاعة	ولـكن رب الدهر مبدى العجائب
فلا خير فى هذى الحياة لانها	تغير احوال الكرام الاطايب
لـقد كان قلبي واثقا ببقائه	فمن لى مجيرا بعـدة او مغالب
وقد كان بعلى ذا علا وشهامة	وملك وسلطان وامره واجب
عنيت لارمانوس والملك الذى	له كل اقليم وعـز مواضب
وقد كان عمرى عنده مثل ساعة	بمنزل بعلى كرفناس المواثب
وقد كان بعلى قبل ذلك اسود	عبوس بوجه فى البرية قاطب
وكان أمـيرا للاعارب كلها	له نسب يعلو عـلى كل ناسب
وما ذنبه عندى سوى ان قوله	بان إله الحق يدعى بغالب
على كل أمر وهو فرد وواحد	وليس له ابن وليس بصاحب
وأعظم من هذا يقول محمدا	رسولا كبيرا وهو غـير مكذب
وما كان قلبي عنده مثل ساعة	بمنزل زوجى كرفتاس المحارب
سأبكى عليه اليـوم ثم أناده	وهيهات يبدو بعد موت مجاوب
وقد صار بعلى ليث كل ملافط	وما هو عندى من رجال المواكب
سأرحـل عنه ثم أطلب غيره	وآخذ تارى من ملوك الأعارب
وأكبر شهواتى من الدهر موته	فقد أصبحت عندى ألذ المشارب
ألا فابرز وانحوى فلم يبق مقصدى	سوى الموت أو أفنيكم بالمضارب

(قال الراوى) فلما برزت ميمونه الى الميدان اقبلت الأميرة ذات الهمة على الأمير عبد الوهاب وقالت له يابنى اما هذه ميمونه فأنا لها فقال لها نعم ياأماه فقالت له الا اخبرك يابنى بعجب فقال لها وما هو قالت رأيت فى المنام كأنى وإياها قد التقينا فى ميدان الحرب وكأنها قد ضربتنى بحربة كانت فى يدها وكانها قد صارت حية وكان الحية قد عضتنى عضة قليلة الالم ثم انى قبضت على تلك الحية فضربتها بها فصارت فى رقبتها منديلا أحمر فتبسم الأمير وقال لها خيرا يكون انشاء الله تعالى والله انى أقول انها قد حان موتها ويكون على يديكى أجلها بعد ان تنجرحى منها والله أعلم (ياساده) فهو معها فى الكلام واذا بميمونه قد جالت بين الصفين ونادت لايبرزلى الا ذات الهمة فنادت الأميره الله أكبر هذا ماوعد الله ثم صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل الشهاب المنقض وحملت على ميمونه وحملت عليها أيضا ميمونه فيالها من ساعة ما كان أعظمها قالت الاميره ذات الهمه والله مارأيت قط منها مثال مارأيت فى ذلك اليوم وجرى بينهم ماأبهت الخواطر وأدهش النواظر وشخصت نحوهما العشائر وطلعت عليهما الغبائر وغابا عن الأبصار وانقشع الغبار وكل واحدة منهن تنظر إلى صاحبتها شزرا وترمقها حذرا ثم ان ميمونه حملت على ذات الهمه مرة ثانية وأنشأت تقول :

اذاهمة هذه الذى تعرفينها ... وأنى لنار الحرب أعظم ساعر
لقد طال منكى الأمر ادخرت كرة ... وقد حان منك الموت يام العواهر
وقدشاب منك الرأس والشطر أبيض ... وفعلك فى الهيجا كأسد كاسر
لاتنقمن اليوم منك بضربة ... ترحل منك الجسم نحو المقابر

(قال الراوى) فأجابتها الأميرة ذات الهمة على عروض شعرها تقول :

أيامن طردها الله عن باب عفوه ... وأوقفها بين الكلاب الكوافر
ستلقين منى اليوم لبوة غابة ... معودة وقع السيوف البواتر
معودة ضرب الرقاب إذا بدت ... خيول الاعادى يوم لبس المغافر
وحق النبى الهاشمى محمد ... وحى من ذكرى رسول لقادر
ومن خصه الرحمن بالشرف الذى ... علا أبد ذكراً بأعلى المنابر
لاتنقمن اليوم منك لأننى ... رأيت مناما صادقاً غير قاصر

(قال الراوى) فقالت لها ميمونة ويلك ياذات الهمه وما الذى رأيتى فأعادت عليها المنام فضحكت ميمونة وقالت مادام قد صرتى تفسرى الأحلام فقد قرب هلاكك ودنا منكى الحمام وسوف يعمل فى بدنكى الحسام ثم حملت عليها بحنق وقد أضرمت

فى قلبها نيران الحرق وهزت الحربة التى فى كفها فلعبت مثل الحية وضربت بها الأميره ذات الهمه فخرقت الصدريه الزردو وصلت إلى بدنها فجرحتها جرح واصل إلا انه غير قاتل وان الأميره أدركت الحربه وقلعتها من جسدها وهزتها حتى التقت طرفاها وكانت ميمونه قد أيقنت انها قد قتلتها فنادت برفيع من صوتها تقول :

ألا مبلغا قولى إلى اذن ابنها ... بانى قد أوردتها كاس حتفها
وأسقيتها كاسا من الموت ... وقد نفذت حربتى من صدرها

(قال الراوى) فلما قالت البيت الثالث لم تدعها الأميره ان تتمه حتى ضربتها بالحربه فى صدرها أطلعتها من ظهرها وعجل الله بروحها إلى النار وبئس الفرار وكبرت الأميره ذات الهمه فأجابها الأمير عبد الوهاب وقال لله درك صدق والله منام الأميره ولقد خاصنا الله من شدة هذه ولولم يكن فى هذه النوبة الاقتلها لكان أكبر الفوائد وأجل العوائد بعون الله الملك الماجد ثم حملت بنى كلاب على الملافطه وقد صبر زوج ميمونه فى نزاله وثبت فى قتاله فأدركه الأمير حجاف وضربه على عاتقه أطلع السيف من علائقه واندقت بعد ذلك الملافطه منهزمين وغنموا المسلمين أموالهم ورحالهم (قال الراوى) فلما عاين عقبه ذلك انفطرت مرارته ودامت حسرته ونتف لحيته وهو جالس فى خيمته وقد ضاقت الدنيا عليه ثم انه بكى على ميمونه لانها كانت له ذخرا وسندا وكانت تشغل قلوب المسلمين فى كل وقت وحين وكان عقبه يحبها محبة عظيمة لأجل ذلك (قال الراوى) ثم ان الملعون أقبل على الناس وهم ينظرون إلى بكاه فقال سبحان الله قد صارت عيناى تبكى فى الفرح كما تبكى فى الحزن ومن شدة فرحى بقتل هذه الملعونة وقد غلب السرور على فؤادى حتى أجرى من عينى الدموع فقال له الأمير أبو محمد البطال ماكثر فرحك معنا على هذا الحساب ولو كانت دموعك مثل البحر العباب ولكن طيب قلبك فكل يوم نقتل من يفرحك فبادره عقبه وقال يطول بقاك ياأبو محمد وبقاء الأميره المجاهده العابده الزاهده ذات الهمه ثم رجعوا الناس ونزلوا على البلد ودام القتال ثلاثة أيام فهنالك عملت السودان مائة سلم فى طول الاسوار وارتفع وتقدمت الاتراك ورموا بالنشاب حتى كشفوا الروم عن السور البرانى ونصبت السودان السلالم فأرادوا أن يأخذوها اليهم فسبقتهم السودان إليها وأخرتها عن السور وتحامت الرجال فألصقوها وأمسى المساء وأظلم الليل وقد طمعوا الناس فى البلد وأخذه وباتوا تلك الليله وقد جاءهم مطر عظيم إلى أن سالت منه الاودية والشعاب والتلال وبرد الهوى ووقع الثلج مثل

ضرائب القطن المندوف حتى إذا كانت الدابة بالت جمد بولها فى فرجها قبل نزوله إلى الأرض ووقع على الروم مثل ذلك حتى أصبح الصباح ولم يقدر أحد على المبيت فوق الأسوار لأن البرد أشد مايكون من العذاب (ياسادة) ولما أصبح الصباح وثب المعتصم وصاح فى الناس ازحفوا بارك الله فيكم فقال له عقبه من يقدر ويخرج يده يا مولانا من البرد لأن الناس فى شدة عظيمة من البرد فقال المعتصم معلوم أن الروم عندهم ما عندنا ثم أمر الأتراك أن ترمى النشاب فركبت ودارت الرماه وأرمت فطرحت الرجال عن الأسوار لأنهم لا يقدرون أن يحترزون من السهام لشدة البرد ولا كان فى ظن الروم أن أحداً يقدر يوتر قوسه فلما انكشف السور نصبت السلالم وطلعت السودان وملكوا السور الأول وفتحوا الأبواب فدخلت المسلمين وزحفوا إلى السور الثانى وعبروا إليه قبل الروم وطلعت الملاعين إلى السور الثالث فسبقوهم السودان اليه وضربوهم بالسيوف وسقوهم شراب الحتوف ووجدوا بقية الأبواب مفتحة لأن الروم ما وصلوا اليها وقد سبقوهم السودان إلى أن صاروا فى وسط البلد وضربوهم بالسيوف وبالعمد وانفرد أبو الموت بالسودان وجعل يهدر فى وجوه الروم ويحطمهم حطما وطلعت الأتراك والعرب وما كان قصد الأمير أبو محمد البطال إلا أنه طلب بقية الأبواب وكسروا أقفالها وفتحوها ودخل المعتصم ووقع الصياح ورفعوا المسلمين أصواتهم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فالتقى أبو الموت بصاحب البلد فهجم عليه وضربه بعامود حديد على أم رأسه طير فكه مع أضراسه ونادت الروم لورك لورك يعنون الأمان فصاح عبد العزيز لا والله لا رفعنا عنكم السيف إلا أن ترونى وجه العجوز أمى (يا سادة يا كرام) وملكوا المسلمين البلد وأخذوا من الأموال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ومضى الأمير أبو محمد إلى القسوس والرهبان وقال لهم أريد العلوية فدلوه على دار البطريق مسخطون وأتوا به إلى بلاطة فى داره فقلعوها وها فبان لهم من تحتها درج فنزلوا القوم فى السرداب حتى انتهوا إلى آخره وإذا سمعوا أنين ضعيف وقائل يقول يا قريب للفرج ترى يارب يكون لى من هذا الضيق مخرج (ياسادة) وكان لها ثلاثة أيام لم تستطعم بزاد ولا بشربة من الماء وقد أشرفت على الهلاك من البكاء ثم نادت من حرقة قلبها وامعتصماه واولداه واعبدا الوهاباه واذات الهمتاه أما آن بعد هذا للفراق من تلاق فأجابوها عن بكرة أبيهم لبيكى لبيكى أيتها المرأة الصالحة فرفعت طرفها ثم نظرت وإذا بعبد العزيز فى أوائل القوم فسلبت عقلها ووقعت على وجهها فظنت أن ذلك فى منام فجعلت تنادى بالبكاء ولا زالت فى النحيب ثم أنها نظرت إلى عبد العزيز مرة أخرى فلما

حتقته وقعت مغشياً عليها ما تدرى فى الأرض هى أم فى السماء فرفعوا إلى وسط الدار وانتظروا عبد العزيز أن يصعد فلم يطلع وانحدروا عليه فوجدوه مغشياً عليه عند رؤية والدته وقد غاب رشده عند مشاهدتها فأخرجوهم وأقاموا بقية نهارهم إلى الليل ولم يتحركوا فقال طيبوني يا أمير المؤمنين ما لهم إلا الحمام إن كانوا ماتوا فقد قضى فيهم الأمر وإن كانوا أحياء فقد أفاقوا فقال الخليفة هذه والله الحكمة بعينها ثم حملوهم إلى الحمام فأقاموا فيه إلى العشاء الآخرة وبعد ذلك أفاقوا وعقل كل واحد منهما على صاحبه وأم عبد العزيز تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ونظرت إلى بناتها واعتنقتهم واعتنقوها ولبست ثيابها وخرجت وكذلك ولدها والتقاهم عبد الوهاب يقول :

وقد يجمع الله الشتيتان بعد ما   يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

(قال الراوى) واجتمع الابطال والاقيال وهنوهما بالسلامة والاجتماع وشكروا الله تعالى على ذلك وهى تدعو لهم ثم انطرحت على أقدام المعتصم تقبلها وكذلك فعل ولدها هذا والناس قد نهبوا مكوريه وأخذوا من الأموال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكذلك من السبايا والأسارى وهم مثل البدور والشموس ومعهم من الأطفال مالا يحصى وأقام الناس فى البلد إلى آخر الشتاء قرب شهر وآن الورد وطاب الزمان وقد كسبوا الأموال والأنعام والنسـاء والجوار لأن المعتصم كان قد قسم الغنائم والسبايا فوقع للناس شيئاً كثيراً واستغنى كل واحد بما أخذ ولم يبق من الآخذين أحد إلا الأمير حجاف النميرى وأن الخليفة علم ضعف حاله وأن له بنت وزوجة وذكر له الأمير عبد الوهاب كيف وصلوا إلى ملطية وهم على غاية من الغلة فأخرج له سهماً مثل الأمير عبد الوهاب ومثل سهام الأمراء وقد قال له الخليفة هذا هو الحلال المحض يا حجاف تخذه واستعين به على دنياك واعمل لك عدة تفائل بها فقال يا أمير المؤمنين معلوم أن الله تعالى نهانا عن حطام الدنيا بل أريد عوضه فى الآخرة ووالله هذا المال ما أريده لأنى رجل ضعيف وليس لى قوة على الحساب ولا أريد على ما جاهدت عوضاً من الدنيا بل أريد عوضه فى الآخرة فجد بما أنعمت به على على الفقراء والمساكين تغنى به فقرهم وأن غنى جماعة أفضل من غنى واحد فبكى المعتصم ورفع طرفه إلى السماء وقال إلهى بغض إلى الدنيا وحبب لى الآخرة فهى خير وأبقى وأمر الناس بأخذ الأهبة للسفر وإذا برسول أرمانوس قد وصل اليه وقال المعتصم الملك أرمانوس يقبل الأرض بين يديك ويقول لك يا خليفة المسلمين ما هذا المقام فى بلاد الروم وهى ما تصلح إلا لأهلها فقال أبو محمد

أن أمير المؤمنين قد عول أن يجعل سرير ملكه فى مكوريه لأننا ما رأينا قط مثلها ولا عاينا شكلها وبعد ذلك نفتح سائر أقاليم الروم وننتقل عساكر المسلمين إلى هذه الديار ويبقى من بقى من سواد الروم يحملون الجزية إلينا فقال الرسول لا تفعلوا يا قوم هذه الفعال فان البغى مصرعه وخيم فقال أبو محمد ماهذا بغى إنما هو عبادة فى ديننا وجهاداً فى الكفرة الذين يقولون أن الله تعالى ولد جل ربنا عن ذلك وتقدست أسماؤه وتعالى علواً كبيراً ولكن أنا أدرى أنك جئت تشترى البلاد منا لأرمانوس بالمال فقال الرسول هو ذلك (قال) فتقدم اليه البطال وقال كم لى أنا فى الوسط وإلا فاترك هذا يتم فقال عشرة آلاف دينار ومائة ثوب أطلس فرضى أبو محمد بذلك وتحدث مع الخليفة فى الصلح بعد ما قبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين أنا أتوسط الأمر بينكم على بيع هذا البلد وعودتك إلى بلاد الإسلام أحب إليك وتخلى هذا الإقليم فما يصلح إلا لهم فقال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد ما أخرج البرطيلى إلا حكيم (يا سادة يا كرام) فضحك البطالى ثم قال للمعتصم ياأمير المؤمنين قد قال لى الرسول أن يكون البيع ثمانون الف دينار وعشرة للسمسار فاغتظت أنا عليه من هذا القول وأنا أقول من عندى واقطع المال وهو أن يكون خمسمائة الف دينار والف ثوب أطلس تحمل إليك إلى ههنا قبل أن ترحل وما يبقى الرسول أكثر من عشرة أيام فقال الرسول قد قطعت يا أبو محمد المال وأوسعت فقال أبو محمد للرسول يا ويلك دع عنك هذه الحاقة واعرف قدر ما فعلت معكم لأن مولانا كان معول أن ينزل على القسطنطونية ويفعل بها كما فعل بمكوريه ويأخذ ما فيها من الأموال من غير حرب ولا قتال وأول ما قال إذا أتاكم الرسول فاصفعوه صفعاً جيداً واعلم أنى طابت نفسك من غير صفعك فشكره الرسول وعاد إلى بلد القسطنطونية وأعاد على الملك ماقد سمع فقال وحق المسيح يفعلوا ذلك وما فى الأمر إلا مصالحتهم ثم أنه جمع المال الذى طلب منه وسلمه إلى البطارقة وجهز للبطال المال الذى اتفق عليه مع الرسول ولم تكن إلا أيام قلائل حتى وصل الرسول بالمال إلى المسلمين فعندها رحل الخليفه وقد صارت له الهيبة فى بلاد فى بلاد الروم ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى ملطية وقسم المال على المجاهدين بالسوية بعد أن أخرج الخمس لبيت المال وسار بالعسكر الذين وصفناها طالب بغداد وخرجوا الأمراء لوداعه حتى وصلوا إلى آمد وردهم وجد المعتصم فى المسير حتى وصلوا إلى العراق وقد طبقت عساكره الآفاق ودخل إلى بغداد فى يوم مشهود وأنفق فيه مال ممدود إلا أن أهل بغداد ضاعوا فى تلك العساكر وضاقت بهم المنازل وغلت الأسعار على الصعاليك فاجتمعوا الفقها

والقراء والعلماء والفضلاء والرياض الأعظم من أكابر بغداد وأرباب المدارس والصوفية إلى الشيخ الجنيد وشكوا اليه ما هم فيه من القلة والضيق وسألوه أن يعتب الخليفة فى ذلك فدخل على المعتصم يوم الجمعة وسلم عليه وصافحه وقال له يا أمير المؤمنين أنت فى هذا النعيم وغيرك فى نار الجحيم فقال له لماذا فقال لأنك جمعت أهل الأرض وتريد أن تسكنهم بغداد لاجل محبتك العساكر والاجناد والصواب أنك لا تدرى بالدنيا ولا تعرف الضعفاء والفقراء لانهم اجتمعوا وأتوا إلى وشكوا من الغلاء والقلة وقد أخبرتك بذلك وإن لم ترحل والا اجتمعنا وقاتلناك (قال) فضحك المعتصم وقال له بماذا تقاتلنى ياجنيد فقال له بسهام الليل فقال المعتصم مالى بسهام الليل من طاقه احملونى فى هذه الايام حتى أنظر فى ذلك ثم انه ركب وطاف الاراضى والاودية فوجد مكانا متسعا قريبا من بغداد وفيه الانهار والغدران والمياه الجاريه فقال هذا المكان يصلح أن يكون بلدا للاجناد والعساكر ثم انه شرع فى بنائها ووعد محمد بن الزيات بعمارتها وأمرة أن يعمرها على مثال عمارة القسطنطونيه سبع فراسخ طول وأربع عرض ففعل ذلك ورتبها ووضع صورتها فى سعة الفضاو بناها بالآجر السكرى والاسفيداج النقى وزيبق البيض ومشاقة الابريسم وقسمت مربعاتها وترتبت أسواقها وتلألا اشراقها وبلغت أمانيها كملت معانيها وفرشت أراضيها بالرخام وسار فيها الخاص والعام وأمر محمد بن الزيات بتعديل قسمة المربعات والشوارع والطارقات والاماكن المتسعات وكانت قسمتها بالسويه كشوارع اسكندريه وعمرت مصانعها واتقن جامعها فكانت كالسماك رفعة واشراقا وكما لاواستحكاما قائم كتب إلى المعتصم حتى يأتى ويراها وانها لما كملت عمارتها والدور وساعدهم مقدر المقدور وكانت دار المعتصم فيها كالبيت المعمور وقد أسسها على قواعد الرخام والملون والمشبه المسكون والحديد الصينى والصخر القسطنطونى والرصاص القلعى والخشب الصنوبرى الشمعى وكمل بنيانها وقدارتفعت حيطانها وسما سماؤها وأجرى ماؤها وعملت خزائنها ودارت الشمس على رواشنها وكان لها ثلثمائة وستون روشن كل يوم تطلع الشمس فى روشن ولاتعود إليه إلى عام قابل مثل ذلك اليوم وكلما قطعت الشمس فى الفلك ساعه انفتح فى الروشن باب المينا بحسن صناعه وفى وسطه كتابه بالذهب محرفة بالقلم قد مضى إليهم ووفقنا للطاعه وكذلك ساعات الليل فى جامات بلور وتطلع فيها أقمار تأخذ بالبصر وتدهش منها النظار وكل ركن من أركانها عليه عشرين صورة مجسمة وعليها تخافيف من الفضه الخالصه وفيها الزيبق يقطر إليها بحركات تعرفها الحكماء قد جعلوه بمنزلة الماء فاذا نزل الزيبق برأسها تحركت تلك الصور ومشت على بكر ورفعت أيديها ودقت بعمد

فضه على طاسات ذهب فتنقر أحسن نقر وتدق نوبة سلطانيـه لايغلطون ولا يخرجون عن الطريقه وكل من سمع حسهم يسكر من لذة ذلك الايقاع والطرب ثم ان الزيبق يتراجع من شبابيك أخر فلاتنتهى إلا وقد فرغت تلك النوبه وسكنت الحركات والطيور المجسمات وفرش أرض الدار بالرخام الأحمر والأسود والأصفر ومن أبيض المرمر والأخضر والمفضض والمذهب ومن سائر النقوش المكتوبه بالفصوص الملونه وفى وسط تلك الدار بركة أربعين فى أربعين مايط مفصله بتفاصيل الذهب والفضه وعليها ثلثمائة كوز ذهب ينبع الماء من أنابيبها بصفة اللجين فتقع على تلك الميادين فتصير كالحيات الهاربات وقد كملت فيها الصفات وسائر الآلات (قال الراوى) وتلك السور المجسمة ملتصقه بالحدران من عقيق ومرجان وفيروزج وعقبان وإذا دخبت الرياح أخذت هذه السور فى الحركات فتنطق بسائر اللغات وربما تحركت الطيور فينزل منها قطار المسك المعطور على الحضور ولما كمل البناء فى سعة الفناء جاس المعتصم للهناء وتقدم إليه شاعر وقته وفريد زمانه وعصره عبد المجيد العمرانى وجعل ينشد ويقول .

ظفرت أمير المؤمنين بما تهوى وصدت ملوك الصين بالمال والجزوى

فلا زمن إلا ويقضى بما تشا ولافلك إلا ويجرى بما تهوى

تهنا بدار عانق النجم سعدها فما شامخ إلا ومن دونها يهوى

ولما تكامل عزها ونعيمها شككنا أدار الخلد أم جنة المأوى

تريك سرورا قد يدوم فمن رأى بسيرة دار حسن تاريخها يهوى

(قال الراوى) ودخل المعتصم إليها وقد نصب فيها الأسرة من العاج والابنوس والعرعر وهى مصفحة بالذهب الأحمر مرصعة بالياقوت والجوهر وعليها ستور الديباج المدثر مفروشة بالسندس الأخضر فنظر إلى أقطارها وأزهارها وأشجارها وأطيارها فحين رآها المعتصم على ذلك المثال سر بها سروراً عظيما ورأى فيها كريما وبقى لايدرى فيما يتنزه فى حسن بنائها أوفى صورها وكثرة أنهارها فأقام المعتصم فيها أيام لايخرج منها لاعجابه بها حتى وصل إليه كتاب الطائر من ملطيه وكان المعتصم فى حمام بداره التى كانها الجنة وقد خرج منها إلى البستان ودعى بالخادم المقدم الاجل ريحان وقال ياريحان ائتينى بكاس جلاب فقبل الخادم الأرض وقال له أدام الله لمولانا السرور ولازال رافلا فى زيل الحبور ثم أتاه بالكاس الجلاب وفتح الوزير الكتاب فجرت دموعه بانتحاب وانسكاب وأخذ فى البكاء فتغير وجه الخليفـه وقال ياوزير ماوراك وماالذى دهاك وايش الذى أبكاك فأ ... مى بالكتاب إلى المتعصم ودموعه تنسجم فلما قرأ الكتاب وتبين

مافيه فاضت عبراته على طرس وجناته وكتبت سطور لهفاته (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الأميره ذات الهمه كانت جالسة مع الأمير عبد الوهاب وهى تقول له يابنى لو انقطعنا إلى بيت الله الحرام واشتغلنا بعبادة الملك العلام وتعوضنا عن ركوب الخيل بقيام الليل لكان أصوب فقال لها: الأمير عبد الوهاب والله ياأميره ان خلاص أسير فى طاعة الله تعالى خير من ألف عام عبادة بين زمزم والمقام (قال الراوى) فهو معها فى الكلام وصابر المرعشى قد وصل وعليه آثار السفر ودلائل السهر وقد جهدته الليالى غاية الجهد فقال له الأمير مرحبا ياصابر هل عندك خبر نادر فقال له ياأمير معى أحسن خبر ثم انه بكى وأنشد يقول هذه الابيات:

ياليت انى لم أكن حيا وضمتنى المقابر ... مابقى صبر لصابر ان صرف الدهر غابر
لاولا كنت بأرض الروم قبل اليوم عابر ... من له صبر على هتك ربات الستائر
فاسمعوا منى حديثاً واكتبوه فى الدفاتر ... انه قد صار جهراً فى جميع الخلق وسائر
أين من يرعا رسول الله فى حفظ السرائر ... أين من يطلب غفران الخطايا والكبائر
كيف ترضون على دهور دىء الفعل جائر ... حرة من ولد المختار أضحت عند كافر
وينادون عليها عالما مثل العواهر ... وهى تدعو بنحيب ودموع كالمواطر
وتنادى ياامام الخلق ياطرز المفاخر ... خلص الحرة من قوم لئام وفواجر
اين من يغضب الله ويسعى فى المآثر ... ان هذا القول حقا فاسمعوه ياأكابر

قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب وذات الهمه هذا الخطاب قال له ياصابر قد شققت منا المرائر فقل ماعندك من الأخبار فقال له يامولاى انى عبرت طريقى لهذه عموريه الكبرى وجزت فى بعض الاسواق بالاتفاق فرأيت جماعة من التجار وفى وسطهم جارية فى حلقها صيب وهى بزى عجيب وفى وسطها زنار وعليها من الحياء آثار ووجها يتلألأ بالأنوار وكان الحيا مخلوق من بين عينيها والعفاف شهيد عليها ولسانها لايفتر عن ذكر ربها وقد وافق الإيمان قلبها وقد غضت طرفها عن المخلوقين وسترت وجهها من الناظرين وهى كلما سترت وجهها هتك سترها وأبدا للناس مكتوم أمرها وهى تقول لاتفعل بالسلاله النبويه والحرمة العباسية الحافظة لكتاب الله العامله سنة رسول الله معاشر الناس من اشترانى فيعلم أنه مطلوب من سائر المسلمين وأرباب الدين ولو دخل تحت الارضين ساط الله عليه أمير المؤمنين أنا يا ويلكم نسيبة أمير المؤمنين المعتصم بالله قريب محمد سيد المرسلين ثم نادت برفيع من صوتها والإسلاماه وادين محمداه وامعتصماه ارحم الأميرة فى جملة الأمراء ارحم

الباكية ارحم الميمونه الهاشمية تبتاع بيع الإماء خلصنى إعزازاً لمحمد ﷺ ثم بكت بكاء شديد (قال الراوى) ثم أنها نادت وامعتصماه فلما سمعوا الروم يامولاى ذلك من ندائها تفرق عنها من كان معولا على شرائها ولطم البطريق وجهها حتى فاضت عينها بالدماء ثم سحبها إلى بيته سحب الأماء وهى تقول لى أسوة بآل محمد المصطفى فصبراً على ما حكم الله وقضى لى أسوة بزينب بنت الامام على المرتضى وابنته فاطمة الزهرا بضعة سيد الأنبياء وامعتصماه وامعتصماه ومن يبلغ النداء هل لهذه الأميرة عن فداء إذا ماتت الرجال ذلت النساء فضربها البطريق وقال لها ما يأتيك المعتصم إلا على أبلق ثم غابت عى وهى على غاية من التعب والنصب فخرجت من عمورية ولم أدرى فى أرض أنا أو فى سماء أتمنى لو كنت فى جملة الموتى ولا ترى عينى ما يبقى فى قلبى حسرة أبداً وقد سرت ليلا ونهاراً حتى أوصلت إليكم النداء وهى أمانة توصلوها إلى ابن عم المصطفى فلو رأيتموها وقد تخضبت خدودها بالدما وصار وجودها عدما (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من كلامه وفهم نظامه بكى بكاء شديداً وقال للأميرة ذات الهمه يا أماه هذا خلاف ماكنا فيه والله إن خلاص هذه الأسيرة عندنا خير من ألف حجة ولولا أنها استصرخت للإمام المعتصم من دون الخلق لدخلت اليها إلى بلد الروم من ساعتى هذه ولكنى أخاف من عتب أمير المؤمنين ثم أوصل الكتاب إلى المعتصم وقد خرج من الحمام كما ذكرنا وادعى بالجلاب كما وصفنا وقرأ الوزير الكتاب كما أشرنا وبكى عند سماع مافيه من الخطاب كما قدمنا وسأله المعتصم على ما فيه فرمى اليه الكتاب وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على خير البشر فخر ربيعة ومضر الذى انشق من أجله القمر وسعت إلى خدمته الشجر وان المعتصم لما أن عرف ذلك رد الكاس الجلاب إلى خادمه وقال له احفظه واختمه إلى حين سؤالى عنه ثم أنه أمر بإحضار قائد الجيوش فلما أن حضر قال له امضى إلى الغلمان الدارية واحضر إلى عندى الأستاذ الكبير فقال سمعاً وطاعة ثم غاب ساعة وعاد ومعه الأستاذ الكبير ومعهم شاباً من العسكر والصغير (قال الراوى) فلما رآهم المعتصم قال لهم اجمعوا العساكر وأمر المعتصم بعرض العساكر والخيل وأمر بفتح الخزائن واستكفوا من السلاح ومن آلة الحرب والكفاح واستظهروا بها ثم قال لهم أمير المؤمنين قد عرض لى عارض ما عرض لى قط مثله وهو خوض البحار وركوب الأقطار فقالوا لم ياأمير المؤمنين وحامى حوزة الدين لاكان من يغازيك ولا سعد من يعاديك أنا وأخى فى مائتين الف فارس نكون بين يديك فقال اذهبا بارك الله فيكما وجدا فى إصلاح شأنكما وكاتبوا أمراء الأطراف والخوارج فإن الرحيل

بعد ثلاثة أيام وقصدى أن تجمعوا إلى حصان يكون أبلق فعندها خرجوا الغلمان إلى البلدان وطرحوا الصوت بالغزو إلى بلاد الروم ثم أن المعتصم أدار وجهه إلى بلاد الروم وقال لبيك لبيك أيتها الداعية لبيك لبيك أيتها المنادية ناديتى على أذن واعية وعين على خلاصكى باكية ولا بد لى ما أرمى الروم من أجلكى بداهيـة وأى داهيه ثم دعا بالوزير وقال له نادى فى الناس بالنفير وركب المعتصم فى غير أوان الركوب وخرج أسرع من الريح الهبوب وقال واشوقاه وأشار يقول هذه الأبيات :

لارعانى خالقى إن لم أكن ... حافظاً رعيتى محاميا
ولا أكون تحت ظل خيمة ... حتى أرى بعينى المناديا
وأترك الترك بغير خيفة ... تجر منها نحوى النواصيا
وتسحب البنات من حجالها ... حواسراً بواكياً عواريا
وأهدم الأبراج من أصولها ... ويمحق الله لنا الأعاديا
قد أوجب الله على أننى ... أجيب للداعى إذا دعانيا
وأكفل الأيتام عن آبائها ... وأرحم الأرامل البواكيا
أرجو من الله تعالى اسمه ... ثواب من سرت اليه ساعيا

(قال الراوى) وكانت هذه الصبية الهاشميه من ميافارقين وقد سبيت على يد كوشانوش لما ملكوها الروم بالسيف وسبوا أهلها وقتلوا والدها وأخذت سبية وكان اسمها زينب بنت الحسين بن محمد وكانت الروم قد قتلت آبائها وأخاها فى جملة من قتلوا من المسلمين وما أبادوا من أهل الدين جعلهم الله مستشهدين ووصلوا اليه وهم حامدين ولربهم بجاورين وفى رياض الجنة متنعمين وإلى الجمال كمال ربهم ناظرين ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان لها من العمر عشرين سنة إلا أنها حازت منازل المعمرين فى العبادات لرب العالمين صائمة النهار قائمة الليـل فى غياهب الاعتكار وأنها وصلت إلى عمورية ووقعت فى قسم بطريق من بطارقتها جبار من نسل الأشرار لايعرف الواحد القهار ولا يخاف من عذاب النار وأنه أعرض عليها التنصر فقالت أيها الظالم لنفسه المشتغل عن أبناء جنسه أتأمرنى أن أكفر بالذى خلقنى وفى البداية لطف بى ورزقنى بقطعة لحم أنطقنى وعلى قدم بالسعى أطلقنى وبنار حبه أحرقنى وفى مياه دموعى شوقاً اليه غرقنى جل الواحد الاحد المعبود أن ينسب اليه والد ولا مولود ولا وزير ولا نصير ولا مشير تعالى الله رب العالمين عما يقول الملحدين وتبتدع المبدعين فاقصر عن قولك أيها البطريق اللعين (قال الراوى) فلما سمع البطريق

مقالها ضربها الى أن قطع أوصالها وجعل يديها ورجليها فى القيد وطرحها فى مطمورة تحت الأرض ووكل بها جارية قد نزعت الرحمة من قلبها لها سبعين سنة تأكل رزقه وتعبد غيره وكانت كل ليلة تأتيها بقرص شعير تفطر عليه وتفتح قيدها لأجل حاجتها وتردها بعد ذلك الى حالها الأول (قال الراوى) وأقامت على ذلك عامين كاملين تصوم النهار وتقوم الليل وكانت الإفرنجية كلما دخلت عليها تجدها ساجدة ومتهجدة فيعظم ذلك عليها وتحدث به والدة البطريق وكانت مترهبة متعبدة فقالت لها يا ستى إن هذه الصبية المسلمة لو أنها تتنصر لعادت بركتها على أهل ماء المعمودية لأنها من منذ توكلت بها مافطرت ولا رقدت ليلة من الليالى فتعجبت من ذلك وقالت لها الباطل محبوب ولو كانت على الحق لثقل عليها الذى تذكرين امنعيها الزاد الليلة وليلة غد فإذا استغاثت اليك من الجوع فقولى لها نحن ما نطعم زادنا إلا لمن يدخل فى ديننا ويقول مثل قولنا واسمعى منها ماتقول وأعلميني به فقالت لها الجارية سمعاً وطاعة ثم أنها صبرت الى الليل وقد صلت الشريفة العشاء الأخيرة بعد ماصلت المغرب وقعدت تريد الفطور فلم تأتيها الجارية بشيء فاشتغلت بذكر ربها وهى تنتظر ما قسم الله لها من ذلك القرص الشعير لتستعين به على عبادة اللطيف الخبير وما زالت فى الإنتظار حتى مضى من الليل ساعتين ولم ترى شيئاً ولا أتتها الجارية وقد جاء وقت صلاتها وقد زادها الله قوة ونشاطاً وجلداً وانبساطاً وما زالت تصلى الى أن ولى عساكر الظلام وأقبل الصباح بالضياء والابتسام ولم تزل على حالها الى المساء وذهب النهار بأنواره وأقبل الليل باعتكاره وهى على باب ربها قائمه ولصلاتها ملازمه ولا بطلت ولا هدت (قال الراوى) ولما أن كانت تلك الليلة نزلت اليها الجارية الرومية فسمعتها تقول هذه الابيات :

ياسقامى ياشرابى ياطعامى   يا حبيبى يا طبيبى يا أنيسى فى ظلامى
ذكرك الطيب أنسى فى صلاتى وصيامى   سيدى ياسؤل قلبى الذى ترضاه سامى

(قال الراوى) ولما سمعت الجارية الافرنجية شعرها عادت الى ستها وأعلمتها بما قالت وعرفتها بذلك فقالت لها ستها خذى بيدى وأنزلينى اليها لنرى حالها وما هى عليه لأنه عجيب فقالت لها الجارية على اسم السيد المسيح لعلها تعود الى دين النصرانية وهو الدين الصحيح ثم أنهما سارا الى أو نزلا الى المطمورة فوجدوها على حالتها وقد وضعت خدها على التراب وهى تقول يامن عليه متكلى لا تهلكنى إلا إن كان حبيبى ساجد ولا تجعل قلبى لك جاحد بحرمة الموحدين لا تجعلنى من الملحدين وخلصنى من

أعدائك الجبارين الذين هم لخيرك جاحدين وعزتك لا أكفر بك بعد معرفتك ولا عبدت ســـواك بعد ماقد شاهدت شواهد قدرتك الهي إذا قطعتني من يوصلني وإذا أبعدتني من يقربني ثم أنها أشارت تقول هذه الأبيات :

أتراني مازلت مني قريبـــاً ... أنت لي طول عمرى طبيبا
خاب من لم يذق حلاوة حبك ... أنا حبي مني اليـــك قريبا
أنت رب المسيح لا شك فيه ... أنت قد زدت في القلوب قلوبا
بك أحيا الأموات عيسى ولولاك ... لـكان من مريم مصلوبا
حاش لله كيف يصلب من ... أنت له ناظرا عليـــه رقيبا
وأذا ما دعاك داع بقلب ... أنت ربي منه قريب مجيبـــا
ان عمل الكفار عمل عديم ... جحدوك واستخاروا الصليبا

(قال الراوى) ولما ان سمعت أم البريق ذلك من كلامها وما نطقت به من نظامها فتحت يد القدرة مصاريع أبواب كفرها والطغيان فقالت الافرنجية للجارية اطلعى بنا وخليها على عبادتها فربما يكون دينها على الحق ودعوها ان كانت تسعد أو تشقى وتحب ان تطعم وتسقى ثم انهما رجعوا عنها الى ان كان آخر النهار حملت لها الراهبة أم البطريق شيء من الطعام الطيب ونزلت اليها فوجدتها تقرأ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فلما ان سمعت الراهبة منها ذلك قالت للجارية صدقت يابنتى فقالت الجارية ان كان قولها صدق فأنا أقول أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمد رســـول الله ﷺ ثم أسلمت الراهبة وقالت للجارية اكتمى هذا عن ولدى حتى اننا ننتظر مايتم لنا من المراد ويكون لنا مانريد ثم انها تقدمت وفكت القيد من رجليها ورفعتها الى محل سيدتها وألبستها من أجود لباسها (قال الراوى) ولما ان كان فى بعض الايام دخل عليها ولدها فرأى الشريفة عندها جالسة وهى تحدث معها فقال لها من هذه يا أماه فقالت له هذه جاريتك المسلمة فقال لها ولماذا فعلتى بها هذه الفعال فقالت له اعلم يابنى ان فى الناس من لا يجيء على الاهانة ولا يجيء الا على الكرم لكرم أصله وطيب عنصره وهذه الصبيه قد حبسناها سنين عديدة وعذبناها عذابا شديدا فما ازدادت الا ضلالة ورغبه فى دينها فأخذتها وهاأنا أتلطف بها بحسن الكلام لعلها ان تلين وتدخل فى الدين الصحيح وتعترف بعبادة السيد المسيح فقال لها ولدها اعلمى انى لا أحبها لاجل بغضتى لدينها فلا تدعيها تقع فى عينى من اليوم حتى ترجع عن دينها وهو دين الاسلام فقالت له السمع والطاعة ثم تركها ومضى (قال الراوى) وكانت فى تلك المدة قد علمتها الشريفة دين الاسلام وأقرأتها القرآن

وشرائع الايمان وقواعد الاسلام وفى بعض تلك السنين مرضت أم البطريق مرض شديد وكانت تبكى الليل والنهار على ماسلف من تفريطها فى أول زمانها وكانت تصوم النهار وتقوم الليل مثل الشريفه زينب وقد حلى لها دين الاسلام فلما كان مرضت وزاد عليها المرض فكان ولدها يدخل عليها ويطلب منها بيع الشريفه وهى لا تمكنه من ذلك وهو يتخضع لها ويقبل أقدامها وهى لا ترضى بذلك الى ان كان يوم من بعض الايام اعترضته الجارية الافرنجيه وكان قلبها أضاها ولا كانت تحب دين الاسلام فقالت له يامولاى اننى ان أحدثك بحديث أمك وماهى عليه فقال لها قولى لى ماهو فقالت له أحدثك به الا وتكتمه عنها فقال لها نعم له ان أمك أسلمت وصارت تصلى مثل هذه المسلمه وتصوم مثل صيامها فلما ان سمع البطريق من الجارية كلامها عظم عليه وكبر لديه ودخل على أمه وسألها فأنكرت منه ذلك فضربها ضربا وجيعا حتى أشرفت على الموت وانقطع كلامها فتركها على حالها وأخذ عند ذلك الشريفه بيمينه وأتى بها الى السوق وأعطاها للدلال فنادى والتمت عليها جماعه الروم وقالت ما قالت وفى تلك الساعة دخل صابر المرعشى الى البلد ورآها وهى فى الحالة كما قدمنا ورأى البطريق وهو يسحبها ويضربها كما ذكرنا وأتى بها الى داره وقد ردها الى المطمورة التى كانت فيها وخرج صابر من البلد وسار ومازال سائر الى ان وصل الى ملطية ودخل على الامير عبد الوهاب وأعاد عليه حديثها وأوصل الاخبار الى المعتصم بما جرى عليها ورحل أمير المؤمنين بعساكر المسلمين وأبطال الموحدين وقد طير الطيور الى مالطية يخبرهم بوصوله وهو فى عالم عظيم بعد النجوم وهم خلق لا يحصى عددهم الا الحى القيوم الذى بأحوال المسلمين عالم وهو دائم وغيره لا يدوم (قال الراوى) لهذا الكلام ولما ان وصل الكتاب الى ملطية وقتواله أوقات ولما ان قرب من ملطيه خرج الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب وكان الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم الى لقائه على ثلاثة أيام ولما ان وصلوا اليه استقبلوه أحسن استقبال وعادوا اياهم الى ان نزل على ملطية للراحه وقد أقام ثلاثة أيام ولما ان كان فى اليوم الرابع رحل المعتصم وهو لا يقر له قرار لان فى فؤاده شعله نار وهو يقول عسى الايام تظفرنى ببلوغ الآمال هذا وقد افترقت العساكر فى سائر البلاد من الدروب والوهاد والطرقات ووصلت الأخبار الى وملك الروم بوصول المسلمين وانهم مجدين والى عمورية طالبين والى نحو الملك مرطاوس قاصدين فقامت عليه القيامة وكتب ارمانوس الى مرطاوس يقول كن ياخال على أهبة القتال وعلى ان امدك بالرجال لأنى كما علمت اننى بينى وبين المعتصم هدنة مااقدر ان افسخها الا ان يتعلق ببلادى فتحملنى الضرورة الى قتالهم وان لم يتعرضوا الى فأنا أنفذ لك العساكر ففرح مرطاوس

بذلك وقال هذه غنيمة قد ساقها المسيح الينا وكان الزمان عند اقبال الشتاء أيضا وصلت العساكر الى مفرق البلستين فقال الامير عبد الوهاب الرأى ان تفترق لأجل المضيق والزحام فى الطريق فقال المعتصم هذا هو الصواب ثم سار المعتصم فى الطريق اليمين طالب وسار الامير عبد الوهاب فى الطريق اليسار ثلاثة أيام ووصل الى مدينه عالية الأسوار مليحة البحار جيدة المقدار على ظاهرها ميدان والميدان أخضر مد البصر كثير الشجر طيب الثمر والاطيار على أشجاره صيف وشتاء لكثرتها والانهار جارية والقرى عامره والخيرات وافرة (ياساده يا كرام) فلما نظرت الاميره ذات الهمة الى تلك النعمة الظاهرة والعماره الباهرة قالت والله يعز على كيف اعبر عن هذه المدينه ولا نتعرض لقتالها وان جزناها كان ذلك عار علينا ووهنا وكسرا لهيبتنا فقال الأمير أبو محمد البطال انزلوا عليها لعلنا نستريح من التعب والنصب ونأخذ العلوفه من هذه القرى ونتفرج على هذه المروج والمعتصم ما محتاج الينا لان معه عساكر تسد الفضاء وتملأ المستوى فنزلوا القوم وتأملوا تلك المدينه فوجدوا المرام اليها بعيد لعلو سورها وزحفوا اليها فهلكت برمى احجارها الناس فقال أبو محمد ماقتالها صواب لان العدو فى هذا الارتفاع وإذا ألقوا علينا الحجر الواحد هلكوا منا جماعة ولكن أريد فى غداة غد ادور حول البلد وابصر كيف الوصول اليها ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أصبح الصباح قال أبو محمد البطال لعبد الله سيف الحنيفية اركب يا أميرى فى جماعة من الشباب على نية اللعب بالأكرة والصولجان حتى تدور حول البلد لكيلا يرونى ننظر الى السور فيقع بهم الاحتراز ولا ينكرون علينا ففعل ذلك وجعلوا يطوفون حول السور ويلعبون وكان الامير سيف الحنيفية على ما تقدم من القول أسمر اللون كبير الحدق طويل العنق غنج اللواحظ مليح العوارض وهو كما ذكرنا فارس الخيل واتفق لعبهم تحت البرج الذى فيه دار الملك وكانت ابنته ذات حسن وجمال وقد واعتدال تخجل البدر حسنا والشمس لونا فسبحان من خلقها وتعالى من صورها وكانت قد فتحت أبواب الشبابيك لتنظر الى هؤلاء وكيف يلعبون فى الميدان ومن حولها عشر جوار كانهن الاقمار وهى بأنوارها تكسر أنوارهم بضوء جبينها وحسن قامتها وفى وسطها زنار ابريسم منظوم بلؤلؤ مفصل بجوهر وعلى بدنها بدنة زمرد أخضر مقصوم بياقوت أحمر كما قاله

وجارية فى روشن من الدار ... جمالها عار من العار
قلت وقد فكرت فى حسنها ... أعيذها بالخالق البارى
ماأحسن الزنار فى خصرها ... يالك من خصر وزنار
طوبى لأهل النار ان أصبحت ... بكفرها فى وسط النار

فلما نظرت ابنة الملك الى سيف الحينيفية وجماله وحسن كماله قالت وحق المسيح ان هذا شاب مليح ثم نادت ببعض جواريها يامريم هاتى القانون حتى نوقف هذا الشاب من خلف هذا الباب فبادرت الجارية الى القانون وأتتها به ثم اخذته فى حجرتها وحست الأوتار فثار السرور الكامل فى الاسرار واشتغل سيف الحنيفيه عن الصولجان بطيب هذه الألحان ووقف ينظر الجارية وهى كأنه غزال عطشان وقد كانه غصن بان ونظرت هى أيضا الى حسن وجهه وبياض ثغره وسواد شعره فغنت بصوت ندى تقول

كفرت بالكافور من ثغره ولا عبدت المسك من شعر
ان كنت أبصرت له مشبها فى غنجه كلا ولا فخر
وجملة الأسرة وتفصيله انى أسيره فى يدى هجره
وصولجان العشق قد طيرت أكرة قلبى عن صبره

فلما سمع سيف الحنيفية ذلك الصوت ورأى ذلك الحسن وهى تضحك فلمع سنا برق ثغرها وأرخت من الشباك ذوائب شعرها فى شعاع نور بدرها ووضعت يدها اليسرى على خصرها فحقق سيف الحنيفية لما شاهد أمرها وأنشد وجعل يقول :

وهيفاء مختصر خصرها تقيم باعذارها عذرها
تتيه بعين على عجبها وفى قلب عاشقها سحرها
لقد نال أقصى المنى عاشقا أقام على هجره هجرها
تمنيت والله أسلامها وشق على مهجتى كفرها

فلما سمعت الجارية شعر سيف الحنيفية ضحكت بصوت عال ثم قالت يا مسلم إن كنت أعجبتك فاحضر أنت وصاحبك هذا فى دعوتى تسمع نغمتى وافضى إليك بسر مهجتى فقد قيل كل حديث جاوز اثنين شائع فالتفت البطال إلى سيف الحنيفية وقال يا أمير لقد سمعت المقال والخطاب فما عندك من الجواب فهذه دار الاحباب وقد انجلا غبار الارتياب فقال سيف الحنيفية يا أبا محمد لا تغفل عنى وعن قصتى وبالله لئن لم تصعد إليها لاعدمت عقلى فقال أبو محمد تأنى الآن على نفسك ولا تخاطر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وعلمت الجارية ذكاها أنهما فى المحاورة من أجل الدخول والفزع من الغدر فقالت الجارية لسيف الحنيفة لا تسمع من رفيقك فيكون سبب تعويقك وأنا أفتح لك باب السر لان ما بقى لى بعد رؤيتك صبر فادخل وكل واشرب وتمتع بحسن وجهى واستمع غناى فهو راحة القلوب وأنت فى زمامى وزمام أم النور وخفارة مريم وعهد الحواريين وعقد زنارى على خصرى فإن أنا غدرت بكم قصم المسيح عمرى وقابلنى

يغضبه على ما يكون من غدرى ولا يقبل يوم القيامة عذرى وقسى قلب هـذا الشاب المليح على فقال أبو محمد أشركينى فى هذا اليمين حتى اعلم أنك صادقة وإلا إيش تحلفى لصاحبى هذا اليمين الغموس وأنا مثله فضحكت وقالت ياعربى أعذرنى فإن اللسان ترجمان القلب ثم قالت ادخلوا فقال سيف الحنيفية افتحوا وقد دخلنا الساعه ثم أن أبو محمد قال للجماعة انتظرونا الى الليل فإن لم نخرج وإلا فأعلموا الأمير بحالنا فقالوا سمعاً وانصرفوا بعيد عن القصر ونزلوا ينظروا سيف الحنيفية والبطال هذا وقد فتح لهم الباب فدخلوا إلى أن وصلوا إلى دار كبيرة محكمة الترتيب والسقوف باللازورد والذهب وفيها من الصور كل شىء عجيب وأسرة من العاج مصفحة بالذهب الوهاج وعليها من مراتب الديباج من كل لون بهاج وحيطانها تشعل بازائها تحير النظر فى حسن صفاتها وقد لقيته تلك الصبية بأحسن ملتقى بعد ما علقت طرف قفطانها فى دور زنارها فأفسدت قلوب عشاقها مع زنارها وقد برزردفها فسار مثل التل العالى وسيقانها مثل أعمدة الرخام من لطافة قدم وحلاوة أعطاف وسرعة انعطاف ويعجز عن وصفها الوصاف وهى قد أقبلت واستقبلت سيف الحنيفية والبطال بنفسها وأختهم ورجعت بهم وهى بين أيديهما كانها البدر فى كبد السماء وأردافها تتلاطم من ورائها كانها البحر العجاج أو مثل القباب العاج وذوائب شعرها مثل الليل الداج يفصوص من الجواهر الوهاج (قال الراوى) فلما أن رأى البطال إلى ذلك الحسن والجمال فصار يسبح الله ذو الجلال وقال والله أننى لم أرى مثلها فى زمانها فسبحان من بالحسن زانها ثم إن الجارية أجلست سيف الحنيفية على سرير كبير وعليه مرتبة من الديباج محشية بريش النعام وجلست إلى جانبه وأجلست البطال إلى جانبها الآخر وقالت لأجل عين تكرم ألف عين فقال البطال أنا أعرف من نفسى أنى طفيلى وأنا اليوم زحمة بلا رحمة فقالت له الجارية أنت رحمة ونعمة إن توسطت بيننا واسطة يكون فيها قياده فقال أبو محمد أنا أكثر من القيادة ما أعرف فقالت له الجارية اعلم أنى أنا ما يحتاج جمالى إلى ذلك لانه يقود الابطال ولو كان فيهم أبو محمد البطال العيار المحتال (قال الراوى) فلما أن سمع أبو محمد منها ذلك المقال تغير وجهه وقال والله إن عرفتنى هـذه الجارية كانت تعمل على القبض علينا ولقد فرطنا فى أنفسنا هذا وقد بان الخوف فى وجه أبو محمد البطال فقالت له الجارية لما أن رأت تغيره أنتم فى أمانى ولو قبضنا عليكم مانقت عساكر المسلمين منكم ثم أنها بعد ذلك أمرت بإحضار الطعام فحضرت مائدة من الديباج الاخضر عليها تصاوير الذهب والفضة وفيها من الطعام الخاص أنواع من اللحم والدجاج وغيره من الحلويات ثم أنها تقدمت

إلى المائدة وقالت لهم تقدموا ودونكم والأكل وأكلت قدامهم فعند ذلك تقدموا وأكلوا أكل العرب لأن أكلهم يوجب الطرب ثم أنهم أكلوا وأنهم باركت الجارية لهم وقالت لهم كلوا هنيئاً وطيبوا قلوبكم فوحق المسيح ما فيه من لحم الخنزير شيء وأن لى نحو من عشرة سنين ما أكلت لحم الخنزير وإن كانت حكماؤنا تصفه لنا وأنه أصل مذهب النصارى وإنما أنا بغضته لسماجة وجهه وقبح ظاهره وأنه لا يمتنع من أكل الأقذار وإن كان فى القياس بمنزلة الدجاج عند الروم فى جميع البلاد وإن كانت الدجاج تأكل الأوساخ فليس المثال لأن الدجاج يمكن حبسهم فى الأقفاص وأنا لا آكله إلا بعد أن أحبسه أربعين يوماً لأنه ما يسمن فى أقل من ذلك ويكون قد نظف من جميع الأوساخ الذى ينفر الطبع منها فقال لها البطال نحن ما علمنا أن الحكيم جالينوس معنا فقالت له أنا هو ذلك ولكن أثبت المرض حتى نداويه فقال لها اعلمى أن هذا المسكين قد أمرضيته فداويه فقالت له إذا أخرج الطعام رفع الكلام فعند ذلك أكلا إلى أن اكتفيا هذا وقد غابوا عن صوابهما لما عاينوا من ظرافتها ولطافتها (قال الراوى) ولما أن اكتفوا من الطعام رفعوه ثم غسلوا أيديهم وبعد ذلك ادعت بالشراب فحضرت لها الجوار البواطى من البلور وكاسات من الجوهر وقوارير من الزمرد الأخضر وأوانى من الذهب الأحمر ومن الفضة البيضاء والشراب كأنه دموع المهجور ممزوج بماء الفراح وماء الورد فيه فقال سيف الحنيفية أيتها السيدة اعلمى أننا قد وافقناكى فى جميع ما دعيتينا إليه وقدمنا عليه وهذا الخمر حرام علينا فقالت لهم واعجباه كلام نبيكم يدل على أنه حكيم عالم فكيف حرم هذا الخمر الذى يعدل الحرارة الغريزية وتجرى فى مجارى اللبن وتدفع مضرة السموم وتجلب لذة النوم وتقوى المعدة على الهضم وتعطى لشاربها السمن بعد السقم وتفتح المجارى المسدوده وتذهب فضلات المعدة وتذهب كدر البدن وتنفى الهموم وتزيد فى الفهم وتجلى الصدا عن القلب وتزيد فى التدبير والحكمة ولكن لا أشير عليكم إلا بما يحل عندكما للشارب وقد قال القائل (وللناس فى ما يعشقون مذاهب) ثم أنها ادعت بجارية من جوارها وقالت لها ويحك هاتى ماعندك فغابت ساعة وقد عادت ومعها ثلاث جوار يحملون أطباق من الفضة وفيها كاسات من ذهب أحمر ووضعوها بين أيديهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما أن وضعت تلك الأطباق قالت الجارية هذا نبيذ التمر ومحله من العراق وهو الذى وقع عندكم فيه الخلاف وهى ثمرة طيبة وما ظهر المحرم منه إلا ما يسكر فاشربوا منها وإذا تمت النشوة ومازجت عند ذلك أسراركم وعملت فى قلوبكم وأرادت أن تحتوى على عقولكم فامتنعوا من ذلك الشرب بالقدح وقد زال عنكم

السكر وسلتم من الذى يوجب عليه الحد وهذه الآنية الأخرى فيها المثلث وهو شراب العنب وقد طبخ على النار وزال عنه الحرمة لأنه قد ذهب ثلثه وقد بقى ثلثيه وفيه من سائر العقاقير والطيب والفواكه وهو يشرب من الأنهار التابعة وهو يذهب السقم والهموم وهذه الطاسة الأخرى ففيها شراب التفاح وهو شراب الراحة وراحة الأرواح فدونكم واشربوا منه ما شئتم (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد البطال وسيف الحنيفية ذلك المقال والخطاب وما قد وصفت من أنواع الشراب تحيروا من ذلك الخطاب الخاطر والعقل الوافر والحسن الباهر والوجه الزاهر الذى سلب العقول وتركها فى عقال عند بلوغ الآمال فعند ذلك قال لها ياراحة الأرواح إذا كان ولا بد فنشرب من شراب التفاح لأنه لنا مباح ونحن نفديكى بالأرواح (قال الراوى) هنالك دارت الأقداح والكاسات بتلك الأرواح وكانت الجارية يقال لها زنانير وهى إبنة صاحب القرية هذه وأنها لم تزل تدور عليهم بالكاسات والطاسات إلى أن عملت الخمرة فى أبدانهم وطاف السرور عليهما فعندها أخذت القانون وقالت لهم اعلموا أن هذا القانون للروم وأنا أحسن أضرب به وأضرب أيضاً بالعود وهو للبغاددة وبالعشارية وهى للمصريين والاسكندرانيين والداريكة وهى للشاميين وبالجنك وهو للعجم وبالطنبور وهو للترك وبالكمنجا وهى لليهود من الروم فأى شىء تشتهيان اضرب عليه وأغنى لكما به فقال البطال لسيف الحنيفية هذا وهى بنت بكر ما خرجت قط من بيتها فقال سيف الحنيفية أن هذا العجب ثم أنه التفت وقال للجارية اعلمى أن كلما وصفتيه سمعناه ولا بد من سماعه منكى ولكن ابدئى لنا بهذا القانون لأننا قط ما سمعناه ولا عرفناه (قال الراوى) فلما أن سمعت الجارية هذا الكلام أخذت القانون وجست منه الأوتار فارتجت الاقطار وحارت الأفكار وتراقصت لها الأطيار وطاشت الأخطار وحلت الأسرار وغابت الحضار وغنت بصوت يحير اللبيب القمهار وتغامزت بعيون تسلب بها قلوب الحضار فطاشوا وكان السكر فيهم قد طل من رؤية الجوار الحسان الابكار فكان الغيم قد دمعت عيون بمزن الأمطار والربيع يضحك من ثغور الانهار وقد وافق السرور والفرح ذلك النهار هـذا وأن زنانير تنحنحت وغنت بصوت ندى يطرب الهزار وقد وافقه حسن إيقاع الأوتار فأشارت تنشد وتقول :

سقى الغيث دار جمعنا بها … حبيب من البر فيها حضر
فلله درك من حاضر … كثير الحياء إذا ما خطر

ترى منـــه ما لا يرى مثله ... إذا أنت جـددت فيه النظر
وقد صاغت السحب ينـــابع ... وسبحت على الارض دار المطر
وقد أظهر الزهـــر ألوانه ... فما أطيب الزهر لما ظهر
وقد ســتر النبت من حسنه ... من الارض ما لم يكن يستتر
وكم للنصارى وجوه غدت ... بأنوارها مخجلات القمر
كأن البساتين من حولنا ... مقـلدة بعقود الثمـــر
وقـد ستر الغيث ياقوته ... من الدر ورد ولما اشتهر
يلى كم هنا لك من بلبل ... يبلبل عقلى إذا ما صفر
رياض يحركها ريحها ... على الاصطباح إذا ما خطر
وفى كل يوم لنـا مطرب ... رخيم العنـا مليح الوتر
وفيها تغنى لصب شذا ... تغنى صبابته ما دثر
فان حسن زامره قـد حكى ... زنانير أحداقنا إذ زمر
وبكر يدور بنهل المدام ... من الراح عند أوان السحر
عقار ترى جمرة بنيرانها ... تطير إلى الـكاس مثل الشرر
وفى زمن البرد بعـد انسقام ... وأشهى من الغمض بعد السهر
فديتك يا صاح من زائر ... لقلبى على غفلة قد أسر
وأنى أخاف النوى بغتة ... لان الفراق هلاك البشر

(قال الراوى) هنا لك طاب قلب سيف الحنيفية والبطال وتقطعت منهم الاوصال وصاروا من جملة المقيمين وما منهم إلا من اشتاق إلى الوصول والوصال ونسيوا عساكر المسلمين وسائر الامراء أجمعين ولم يزالوا على طرب وهى تضرب بالقانون إلى أن أقبل الليل بالاعتكار فأمرت باحضار الشمع فأحضرت فى عاجل الحال وأحضرت أنوار من الذهب الاحمر فيها شموع مكوفره بالعنبر وفيها فتات المسك الاعطر هـذا وقد زاد وجه الجارية نور على ذلك الضوء والنور فأقبل سيف الحنيفية على البطال وقال يا أبو محمد هل رأيت قط مثل هذا اليوم فقال له لا والله أن تم إلى آخره وسلمنا من الصفع فما هو إلا ألف طيب ولـكن أنا أعلم أن هذه الاشياء التى نحن فيها ما تخفى على الملك أبو الجارية وأن فى القلعة زهاء عن مائة ألف فارس وراجل فقال له سيف الحنيفية طيب قلبك فما يكون الا الخير وأنا أشتهى لو دفنونى فى هذه الدار (قال الراوى) ولم تزل الـكاسات تدور على وجوه مثل البدور وقد وضعت نوافش المسك الزجاج من

فوق جمر النار والكافور فانعقد أيضاً دخانه مع البخور ودارت كاسات السرور وضربت الأوتار فجاوبتها الأطيار هذا وقد صاحت الجارية ورفعت صوتها وغلب عليها السرور بذلك الصوت الذى يحير العقول :

نحن فى روض نضير ... بين نبت وحبور
وخدود من أقاح ... وقباب من بخور
بين سحب من كؤس ... وبروق من ثغور
نزهة من كان فيها ... كان فى كل السرور
فاسقنيها الآن وأنشد ... لى على وجه البدور
أنا مأسورة حق ... وعجيب هو أسير

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية زنانير من ذلك الانشاد ازداد سيف الحنيفية هو والبطال طربا وازدادوا على سرورهم طربا ثم أن الأمير سيف الحنيفية التفت إلى الملكة زنانير وقال لها : يا منية القلوب إننا قد سمعنا نغمتك على القانون وإننا نريد منكى أيضاً فى هذه الساعة تعملى لنا شغل على الباب الكبير وهو المربع الذى للعرب والمغاربة فقالت له سمعاً وطاعة ثم أنها شالت القانون وأمرت باحضار المربع ولما أن حضر إلى عندها أخذته وشدته وقد علكته وضربت عليه وأشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

خذنى اليك فدتك النفس ياأملى ... أنا قتيل العيون البابليات
وضمنى ثم كن للوصل مغتنما ... قبل الصباح على فرش المسرات
أن نلت منى وصالا عشت منتصراً ... مع العدو ولم يبلغ اراداتى
وحين يذهب هذا الليل قم عجلا ... من الصباح لتبدو بالتحيات
ودر كؤساتنا الأولى بخمرتها ... وزفها بين تلك المطربات

(قال الراوى) ولما فرغت الملكة زنانير من شعرها طرب سيف الحنيفية والبطال وقال له اعلم يا ولدى أن هذه الجارية تريد القرب منك فقال له ما هذا وقت المغانجة هذا وقت المنادمة ولا بد لى ما أسمع منها جميع أنغام الآلات ثم أنه التفت الى الجارية وقال لها يا منية القلوب ما هذا وقت نوم انما هو وقت سرور راغتنام حبور ولكن ها قد سمعنا الرباب ولكن بقى شىء وهو القدح الرباب الصغير وهو لأهل العرب العربا أصحاب الشعبة والحربا فقالت له سمعا وطاعة ثم أنها قد ادعت بقدح من الرباب فأتوها

الجوار بما طلبت فأخذته وجسته وضربت عليه وأشارت تقول :

يا سيف أنت جئت للانشراح فاسمع كلامى ما على جناح
يا سيف أنت جئت لأجل الطرب فاستمع منى معانى ملاح
وأننى أضرب معانى عجب على الربابة وأحب الفصاح
ياسيف جميع الضروب غدت عندنا أدرى طوالعها بضرب مـلاح
وفى الحسينى تلتـقى لى فنون وحركة مع رمل تبدى الصلاح
سيكا نواه عشاق عشق المليح وفى الحجاز أرصـد لوصل الملاح
وادرى الجزل وادرى جميع البحور من كان وكان أنظم الى الانشراح
يا سيف أنا جئتك وعنـدك أقيم أكون جليسك فى المسـا والصباح
هل لا بترضانى أكون خادمة ولا أعود يا صـاح من غير جناح
ادامك الله فى هنا مع سرور ما طار طائر ثم هبت رياح

(قال الراوى) ولما أن فرغت زنانير من ذلك طرب البطال وسيف الحنيفية وقال والله أننى جميع البلاد درتها وعاشرت سائر الجنوس فما رأيت مثل هذه الجارية الروميه ولا مثل فصاحة لسانها ثم أن سيف الحنيفية بعد ذلك قال لها اعلمى أنه بقى عليكى الطنبور وسماعه فقالت سمعاً وطاعة ثم انها ادعت من ساعتها بالطنبور فأحضره لها فأخذته وشدته وأشارت تنشد وتقول :

يا منية القلب والأحباب والناس هل فيكمو من يكن من بعض جلاسى
ويدخل الحـانة الكبرى ينادمنى على الدوام ويشرب رائق الكاس
لأنها حضرت جاد الزمان بها وليس يحضرها هم ولاباس
وليس فيها غير اللهو مع طرب وكل وجه يضاهى ضـوء مقياس
هى حضرة العز للتنزيه قـد جعلت أكل وشرب مع المنثور والآس
انى حلفت بمن أجرى البحار ومن رفع السماء وأرسى طـودها الراسى
اذا دخلها محب لم يرى كدر ما غير بقى الحب مع تدوير للكاس
والحب جالس مابين الشموع وقد عوذته بالاله من شر وسواس

(قال الراوى) فتعجب البطال من ذلك وحار وأماسيف الحنيفية فانه غاب عن الوجود وبقى حاضر فى صورة مفقود هذا والملكه زنانير تنظر إليه وإلى ماجرى عليه فاتت إليه وقبلته فى شفتيه فلما ان أحس بها أفاق من غشوته وعاشت روحه وقال لها ياملكه قد سمعت الطنبور فاسمعينا الضرب على الجنك فقالت سمعـا وطاعه ثم ادعت بالجنك فاحضر إلى بين يديهـا فاخذته وانحنت عليـه وجست منه أوتاره وسارته وضربت عليه وحنت إليه ومازالت تزغزغه بأنامل لطاف وأشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

سلامى على من قد حضر فى مقامنا　　ويفهم اشارتنـا ويفهم كلامنـا
ويشرب مدامتنا ولايك هايبـا　　ويجلس لحضرتنـا ويأكل لزادنا

(قال الراوى) ولما ان فرغت من شعرها طربوا الحضار فقال البطال ان هذا شىء نفيس فقال سيف الحنيفيه نحن نريد منكى الصنطير فقالت له سمعاً وطاعه ثم انها قد ادعت به فأحضروه لها الجوار فأخذته وأصلحته وضربت عليه طرق عده ورجعت إلى الطريقة الأولى وأشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

الخمر قد نطقت باللفظ متضح　　لاتشربن مداما غـير فى الصبح
والنـاس أنطق ممـا فاض منحتـه　　فى الصبح مثلى كم قد صار منطرح
والصبح أحسن شىء فى الصبوح ترا　　كم من طريح به من غير ذى جرح
فانمـا الخمر تحكى فى زجاجتهـا　　فيها السرور ومنهـا يظهر الملح
لـكن مزاقتها عز وحضرتهـا　　تبدد العقـل حتى المرء ينفضح

(قال الراوى) ولما ان فرغت من شعرها قال البطال لسيف الحنيفيه والله ان هذه قد سلبت عقولنا بحسن كلامها وطيبة ألحانها وماتركت لنا عقول فدعنا من هذا وسيربنا إلى أهلنا من قبل أن نعدم حواسنا فقال له . سيف الحنيفيه اعلم ياعماه انى مابقى لى قوة أن أسير وأترك هذه الجاريه لكن دعنـا نقيم إلى الصباح وننظر مايكون ونسمع منهـا غناها على بقيـة الآلات ثم ان سيف الحنيفيه التفت إلى الملكة وقال لهـا اسمعينا مابقى عندكى من الآلات فقالت له وأى الآلات تريد فقال لها الـكمالجا فقالت للجورلى ائتونى بالـكمالجا فما كان غير قليل حتى أحضرت كمالجا من الأبنوس مطعمه بالجوهر والعاج وأيضا الفصوص من الذهب الوهاج فأخذتها وسارتها وضربت عليها طرائق ورجعت إلى الضرب الأول وأشارت تنشد وتقول :

لم يكن يشرب شرابى　　غير صنديد مهـاب

فاسقنى بنت الحميا طعمها يحكى الشراب
بين ليل ونهار عند ترحال الضباب
وسط غادات تراهم لامعات كالقباب
فكانى فى هواهم ميتا غائب صوابى
كل من يهوى حبيبا يحتمل كثر العتاب

(قال الراوى) ولما أن فرغت من شعرها طرب سيف الحنيفيه والبطال طربا عظيما وقال له قد سمعت ماقالت وقد تركنا أشباح من غير أرواح واعدمتنا الصلاح فهل بقى لك شىء غير هذا فقال له سيف الحنيفيه نعم فقال له أعلمها به لعل أن تسمعنا إياه فانه والله ان هذه الجاريه ماتركت لنا معقول ولا لسان إلا من ذلك الشراب والسماع محصول فعند ذلك التفتت زنانير إلى البطال وقالت له ماهذه المحاوره والمجادله بينكما أما أمنت لكم وحلفت بأعظم الايمان ونحن مانؤمن ونخون ولوأراد غيرى ذلك مايكون فاتركوا عنكم الغبون فقال لها سيف الحنيفيه يامنية القلب مانحن فى تلك الأمور وإنما قال لى هل بقى شىء من الآلات غير هذا فقلت له نعم وهو الدف والمزمار فقالت الجاريه هذا هين قوى ثم انها ادعت بالدف والناى فأحضروه لها فأمرت بعض الجوار أن يجلسوا ويضربوا المزمار فضربوا بالمزمار وبعض الجوار بالدف هذا وهى قد أخذت فى يدهادف وضربت به هى والجوار ساعه إلى أن أذهبت عقل البطال هو وسيف الحنيفيه وغابوا عن الوجود وصار كل واحد منهما لايعقل على نفسه فعندها أشارت تقول :

لذة فى العشق مابى من بكايا وانتحابى
وأسرنى مارحمنى وسقمنى بالعذابى
وترك فى وسط قلبى حر نار بالتهابى
ودموعى من عيونى هاطلات كالسحابى
ليس يبرى السقم منى ثم يذهب كل مابى
غير صهباء سلاف طعمها يحكى الشراب
بين عذرا شبه حور فى قصور كالرضابى
حين تنظرهم تراهم سلبوا روح الشباب

(قال الراوى) ولما ان فرغت الملكه زنانير من شعرها طرب سيف الحنيفيه والبطال وقد زادوا سروراً واقبال وقد دارت عليهم الكاسات والطاسات فقال سيف

الحنيفيه يا ملكة الزمان بقى العود لنسمعه منكى ونتلذذ بسماع منطقكى وأعلى انسا بحكمكى وقد بقينا فى أسر حبكى فقالت له على الرأس والعين سوف أسمعك شيء ماسمعته قط من الناس ولا فى مجلس بين الجلاس فقال لها البطال والله انكى حافظه من جميع الفنون ولكن من أين لكى هذه الأمور فقالت له ان لهذا سبب وهو من العجب وهو أن أبى أنفذ إلى ديار مصر واشترى منها الجوار الحسان من الحبش والسودان وهم من أصحاب الطرب وقد أرسل المال الجزيل مع بطريق كبير بجميع الأمور خبير فاتفق لهم عشرة جوار ليس لهم مثال فأتى بهم إلى هذه الديار وقد تربيت بينهم وتعلمت منهم ذلك كله وهاأنا قد فقت الجميع أيضا بالفهم وانى صرت فى ذلك الفن مفرده وهذا سبب ذلك ثم انها بعد ذلك ادعت بالعود فأتوها تعود محكوك مبرود صنعته بلاد الهنود فأخذته وافتقدت ملاويه وصارت بأناملها تداويه ثم انها ضربت عليه ضربا يحير أبناء العقول وأفردت عليه نقار ليس يفردها الا من يكون لبيب ثم انها بعد ذلك أشارت تقول :

أقول وقد سارت عن النوق نوقها ... وحادى النيا من شوم بختى يسوقها
وعج بالمطايا نحو رملة عالج ... فللنوق فيها معشبات يروقها
وبين ضلوعى من فراق أحبتى ... جحيم تلظى نارها لاأطيقها
أنخها فمن دمعى لها مايكفها ... ورودا وإن شاءت فمنه خلوقها
عليكى سلام الله مالاح بارقا ... وما لمعت فى الخافقين بروقها

(قال الراوى) ولما ان فرغت من ذلك الشعر والنظام غيرت الضرب بالعود وذلك على غير نغمتها الأولى وأشارت تنشد وتقول :

زهر النجوم وزهرة الازهار ... وضيا الهلال وحضرة الاشجار
وضيا الشموع محاوجنة ليلنا ... حتى محا للنور عاد نهار
فاجلى كؤوسا بالمدام وديرها ... لتقابل الانوار بالانوار
وغنا الطيور على الغصون مجاوبا ... يتحرك الاثمار فى الاشجار
قسما بفرط صبابتى وتلهفى ... ومحبة فى القلب تشعل نار
وشنا النسيم مبشرا بوصال من ... نهوى فقد أنبا بقرب مزارى

(قال الراوى) ولما ان فرغت من ذلك الشعر والنظام قام سيف الحنيفيه على حيله من طيب ألحاظها ولين كلامها وحسن وجهها وسحر طرفها صاح والله ان هذا مليح ثم انه وقع على الارض مغشيا عليه فقال البطال استوت النوبه وهو هذا البطل الذى هو رفيقنا

قد وقع من غير قتال فكيف حال المسكين البطال لانى والله ماأقدر أدفع عن نفسى بعض هذه الجوار وأنا فى حالة العدم من شرب هذا العقار لان مامر بى قط مثل هذا النهار (قال الراوى) ولما ان نظرت الملكه زنانير إلى ماحل بالامراء ادعت بماء الورد وماء الخلاف ورشت من ذلك الماء ورد على وجهه وشمته المسك والعنبر وكبسته بأيادى لطاف ومازالت تكبسه حتى أفاق وماأفاق إلاوقد تغير لونه وأصفر كونه هذا وأن الملكه قد ادعت فى عاجل الحال ببدله من الجوهر تسوى ملك كسرى وقيصر وقدألبستها للامير سيف الحنيفيه وكان سيف الحنيفيه كما ذكرنا كانه البدر فى الكمال وأحسن فى الجمال ولما ان لبسها زانته وزانها فقال له الامير أبو محمد البطال أيها الامير فما بقى يعوزك الاشد الزنار فضحك سيف الحنيفيه وقال له اعلم ياأبو محمد ان هذه الجاريه قد ملكت قيادى وقد خطفت فؤادى فقال له البطال اعلم أيها الاميران الذى تشكوه لى عندى مثله إلا أنى أعلم انها ماتحب إلاأنت وأما أنا فقد قنعت منها بالنظر (قال الراوى) هذا وان الجاريه زنانير قد ادعت ببدلة أخرى تسوى الف دينار ومنطقه وقلنسوه من الذهب الاحمر مرصعه بقطع الجوهر والبستها للبطال وعادت إلى ما كانت عليه من ضرب الاوتار ونشيد الاشعار والنوادر والاخبار على حس ايقاع الاوتار وصارت لها الجوار مجاوبات فعند ذلك طاب قلب سيف الحنيفيه والبطال قد صفق بيديه وقد أخذه بعض الملاهى وغلب السرور عليه وقد عملت فيه القهوه وطابت له النشوه فعند ذلك زاد فرحا شديد وأشار يقول :

وليتة الاعطاف مائسة القد ... ظلامية الاصداغ مضرجة الخد
إذاغاب عنك الرشد أولتك بالرضا ... وان أنت لم تقنع تداويك بالوعد
وإن لمحت عيناك منها بنظرة ... تحيرت من حسن المعاطف والنهد
من الغانيات الناعمات ملامسا ... تريك كلامامن دجا شعرها الجعد
مهفهفة بيضاء ترنو بطرفها ... فتترك مثلى لايفوق من الوجد
ألا قاتل الله الغوانى فكم لهم ... قتيل غرام لايوسد فى اللحد
حفظت لهم عهدا قديما ولم أخن ... ولكنهم لم يحفظوا فى الورى عهدى
سأقسم بالبيت العتيق وزمزم ... وفضل منى والراقصات على نجد
حلفت يمينا لا أخون ودادهم ... طوال المدا حتى أوسد فى اللحد

(قال الراوى) ولما ان فرغ البطال من هذه الابيات صاح سيف الحنيفية وقال صدقت ياأبو محمد فيما قلت عندى خمسة آلاف دينار على إنشادك هذه الابيات وبعد هذا والله ما

أقدر على مكافأتك فى مثل هذا المقام فلما ان سمعت الجاريه هذا الكلام وثبت قائمة على الاقدام وأقبلت على البطال وقالت له بحق دينك أنت أبو محمد البطال فقال لها أى وحق الملك المتعال وهذا سيف الحنيفيه ولد الامير عبد الوهاب ومهما شئتى الساعة فاصنعى فنحن فى أسرك وخدامك فقالت حاشا وكلا والله بل أنتم نور العين والروح التى بين الجنبين ثم انها زادت فى خدمة سيف الحنيفية وتعظيم البطال وطلبت منهم الاعتذار فى التقصير وقالت لهم أنا ماعرفت لكم بمقدار ولكن الحمد لله الذى لم يكن ضيفنا دنيا ولقد صار عيشنا عيشا هنيا ثم انها رجعت الى ما كانت عليه من السرور واللذه والحبور وشرب الخمور (قال الراوى) فبينما هم على الذ مايكون واذا هم بأربعمائة مالبس وبأيدهم العمد والسيوف وقد هجموا عليهم فى تلك الدار وهم ينادون ياويلكم خذوا هذا الذى هو شيطان فى صورة انسان وهو البطال العيار المحتال اللص المحتال فقال لهم البطال أنا حاصل بلا تعب خذوا انتم رفيقى لانه صاحب الأقوال والأفعال لأنى قلت له لاتدخل الى هذه الديار فما فعل وعزلته فما انعزل ولا قبل (قال الراوى) ان كان السبب أيضا فى مجيء هؤلاء الرجال ان جاريه من بعض الجوار الذين للملكة زنانير لما سمعت بذكر أبو محمد البطال وان سيف الحنيفية ولد الامير عبدالوهاب خافت على نفسها وعلى ستها لاسيما لما رأت الى قلب ستها مائل اليهم فمضت الى الملك فوجدته جالس متفكر فى نزول المسلمين على قلعته مع علمه ان بلده حصين وانهم ما يقدرون عليه ولا يصلون اليه فبينما هو كذلك وإذا هو بالجارية داخلة عليه وقد صقعت بين يديه وصلبت على وجهها وقالت له يامولاى أدركنا والا ملكت قلعتك وأخذت ابنتك وقتلوا المسلمين أهلك وأموالك وسلبوا نعمتك فلما سمع الملك منها ذلك الكلام قام وقعد وأرغى وأزبد وقال لها ويلك ما الخبر فقالت له أيها الملك نزيل عنك الفكر ولابد من رحيل هذا العسكر فقال لها وما معنى الخبر المنكر فقالت له اعلم ان قد حضر الى عندنا بطل واى بطل وهو ولد الأمير عبد الوهاب امير هذا العسكر النازل عليك ومعه آفة الزمان أبو محمد البطال الذى لايخاف ولا يفزع وكم قد طلبوه الملوك فما وقع والآن فقد أوقعه السيد المسيح بين يديك بلا تعب ولانصب ومعه ابن أمير المسلمين وقد عملت عليهم الملكه ابنتك وسلبت عقولهم بحسنها وجمالها وقالت لهم انتم ضيوفى ففعلوا ذلك وقد لعب الهوى بهم ومافيهما من يمنع عن نفسه فقم الآن اليهما واقبض عليهم واخمد أنفاسهما وارمى الى عسكر المسلمين برؤسهما واعلم انهم ما أقاموا علينا الا لأجلهم أن يكون هذا الشيطان المسمى بالبطال أوعدهم بفتح البلد وسرقة ابنتك واعلم أيها الملك انه لايقتصر على ذلك ما دامت انها قربتهما وساروا أيضا عندها وفى قصرها (قال الراوى) فعندها نهض الملك قائما على

الأقدام لما ان سمع من الجارية ذلك الكلام وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح فى الخدام فعندها جاءت المماليك والرجال من البطارقة وكل منهم جذب الحسام وشاشوا بين يديه فى ذلك المقام فأمرهم بأخذ العمد والقواضب وان يقصدوا دار ابنته الملكة زنانير ويختلطوا به من كل جانب فساروا وهم فى هرج ومرج وزجره وهدير وهجموا الدار مثل الزنابير وهؤلاء فى السرور وما عندهم خبر من تلك الامور فما أحسوا الا وهم على رؤسهم وكانوا كما قيل فى الأمثال وعند صفو الليالى يحدث الكدر (قال الراوى) ولما أن نظر البطال الى ذلك الحال التفت الى الملكة زنانير وقال لها أيتها الملكة هذا فعل الملوك بالضيوف ولكن قد ظهرت أفعالك ودل ذلك على قبيح أعمالك بخلاف حسنك وجمالك وقد غيرتى ما كان بيننا من الكلام بعد ما أعطيتنا على أنفسنا الذمام فقالت له يا أبو محمد وحق المسيح ماعندى من ذلك خبر ولا أثر وحرمة الإنجيل المطهر وبعد هذا فانهم أذل وأحقر من ان يصل اليكم منهم واصل لا فارس ولا راجل وقد قتلت روحى دونكما ثم انها وثبت قائمة على قدميها وأخذت السيف الذى كان مع سيف الحنيفيه فقال أبو محمد استوت النوبة وهذا والله فعل مليح لأنها ما أخذت عدتنا الا حتى لا يبقى لنا شىء نقاتل به عن أنفسنا ولقد تمت الحيلة علينا والله لقد كانت هذه الخليعه علينا من أيشم الخلعات فقال سيف الحنيفيه والساعة يا أبو محمد ما الذى نصنع فى أعدائنا فقال له البطال سوف يبان لك باطن هذه الأمور وعواقبها (قال الراوى) وأن الجاريه لما أخذت السيف من يد سيف الحنيفية جذبته وصاحت على الرجال الذين هجموا عليها وأتوا من عند أبيها وقالت لهم يا ويلكم يا كلاب الروم ما هذا الفعل المذموم فلما ان رأت البطارقه الى ابنة الملك رجعوا عن الدخول الى المكان من الخوف منها لانها كانت عند أبيها عزيزة هذا وقد أخرجتهم من الدار وقالت لهم وحق المسيح لولا حرمة الملك لضربت رقابكم ففروا الجميع من هيبتها وسارت خلفهم بالسيف والجميع يهربوا منها وما زالت خلفهم الى ان اقبل أبيها وقالت له وحق مريم الزكيه لقد سلب عقلك ما حالك وما الذى جرى عليك ونالك حتى أنك أمرت الرجال ان يحملوا على دارى فما أوجب هذا فقال لها ويلك أتدرين من عندك من المسلمين فقالت له نعم عندى أبو محمد البطال سارق البنات وصاحب الحيل المهلكات ورفيقه وهو ابن أمير المسلمين لأنهم كانوا خرجوا من بين عسكرهما لأجل الصيد والقنص يتصيدون فى المرج الأخضر فسمعوا حس السماع وضرب الايقاع فأتوا الى تحت الشباك وقالوا يا صاحبة هذا المنزل أتقبلون الضيوف فقلنا لهم نعم وقد فتحنا لهم الباب فدخلوا فلما رأونى فزعوا وأرادوا الرجوع عن الدخول فقلت لهم لا تفزعوا فأنتم فى ذمامى وذمام المسيح وذمام مريم أم

النور فلما أن سمعوا كلامى دخلوا بعد ذلك الى المنزل وأكلوا طعامى وصاروا تحت ذمامى وما بقى ينالهما سوء أبداً وبعد ساعه يمضيان الى عسكرهما وأنهما قد ضمنوا لى أن يتركوا ماأخذوا لنا من القرى لاجل طعامنا ولا يمكنوا أحدا من التعرض لنا ولا لبلادنا ويصرفوا عساكرهم عنا وأنهم قد فتحوا مكوريه ولم يتعرضوا لنا فاجلس أنت أيها الملك فى قصرك ومحل ملكك وكن آمنا على نفسك ولا تضيق صدرك واجعل لنا عند المسلمين أياد جميلة نكف بها شرهم ونأمن عاقبة مكرهم وأمرهم واعلم أن هؤلاء أعز من فى الأرض عندهم ولو فعلت فيهم أمر بعدها فما كنت تسلم (قال الراوى) فلما سمع الملك منها ذلك الكلام فقال لها ويلك فأنا من أجل هذين الشيطانين أكون على يقين من رحيل عسكر المسلمين ولوأنى قتلتهم كانوا يرحلون وما كنا نحتاز الى مطاوله أبدا فقالت له ابنته اعلم أيها الملك الجليل أن مالك الى أخذهم من سبيل فقال لها الملك وأنتى أيضا قد منعتيهما منى وهمافى قبضتى فقالت له ياأبتاه أعلم أن هذا بعقلك تقوله أم وحى من الغير فقال لها بل بعقلى فقالت له اعلم أن هذا الذى عندك لو علم من نفسه أنه عاجز عن لقاء ألف بطل لما كان دخل الينا ولا قدم علينا ولا كان أخفى نفسه هذا فلقد ذهب عقلك وزاد جهلك ولكن الصواب عندى أن تحقن دما اصحابك ودم إبنتك أما دم أصحابك فمن سطوة شجعان المسلمين وأما دمى فلاجل فسخ ذمامى وما فعلت معهم من أكل طعامى فلا تعجل على أبنتك فى الهوان مع هؤلاء المسلمين وأن سلمت أبقى معيره عند بنات الملوك فقال لها الملك وكيف ذلك فقالت له أعلم أن العرب إذا أعطى الذمام أقل عبد لهم أجازوا ذمامه وأريد أن تجعلنى بمنزلة أقل عبيدهم وأن كنت لم تفعل ذلك قتلت نفسى فى هذه الساعه فقال لها وكيف قدمتى أنتى على هذه الفعال وأضفتى هؤلاء الاقوام وأيش قدر هذا الذى تصفيه بالشجاعة والبراعه وانتى تعلمى أن عبدى شماس الكبير يريد لرأسه سائر عساكر المسلمين فارفعى أنتى يدكى عن هذا الشيطان وأنا أخلى شماس يأخذه فى ثياب الذل والهوان ويمكن منه الحسام الصمصام ويسقيه شراب الحمام ويذيقه الذل والانتقام فى هذا المقام ولوأنه بطل همام (قال الراوى) هذا كله يجرى بين الملك وابنته وسيف الحنيفية يسمع الكلام وقد فهمه كله لانه تربية بلاد الأروام ويعرف بلسان الروم ولما أن عرف ماقالوه التفت الى الملكة زنانير وقال لها بحق دينك دعيه يخرج شماس الى حتى أفرج أبوكى عليه فان قتلنى فهو فى حل من دمى وأنتى أيضا مبرأة من ذمامى وأن تركته بلا رأس فينصرف الملك عنا ويدعنا نتم باقى ليلتنا ولا يقع غير هذا ولا يقطع علينا لذتنا ولا يقرب أحدا منا لان العفاف شعارنا والصيانة دثارنا وقد منعنا أنفسنا عن شهواتها

ونخرج من الدنيا بحسراتها لنفوذ برضاربها ونفرح منه بقربها (قال الراوى) وكان سيف الحنيفية يكلمها بالرومى حتى تفهم أبوها مايقول فالتفتت الى أبوها وقال له رضيت بما قال وما قالت لأبوها ذلك الكلام إلا وهى خائفة على سيف الحنيفية من شماس لما تعلم مافيه من شجاعة وقوة المراس لانه كان يقطع الطريق فى بلاد الروم وقد ملك قلاع كثير وحصون فعند ذلك قال أبيها رضيت فالتفتت الى سيف الحنيفية وقالت له وحق المسيح انا ماأسمع منك ذلك ولا أسمح لك بالخروج اليه لانى أخاف عليك من غدره ومكره فقال لها سيف الحنيفية أقسمت عليكى بحرمة الزاد الذى أكلناه عندكى الا ماسمحتى لى بالخروج اليه ودع أيضا يكون الملك معه (قال الراوى) فعندها فرحت زنابير بهذا الكلام وقد علمت انه فارس همام وبطل ضرغام فقالت له ما أمنعك من الخروج اليه ولكنى أعرف من شماس ما لا يعرف أحد غيرى هذا ولما ان سمع سيف الحنيفيه منها ذلك الكلام قال لها سوف ينكشف لكى الحال ثم انه وثب فى الحال كانه أسد ريبال وأخذ السيف من يدها وأدار أذياله فى در منطقته وقال أين شماس

تم الجزء الخامس والخمسون ويليه الجزء السادس والخمسون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر الورعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كاوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما رأى الأمير أبو محمد البطال سيف الحنيفيه أخذ السيف وقال ابن شماس التصـــق إلى الملكة زنانير وقال لها والله ما يصلح لكى زوج سواه أنظرى إلى رشاقته وحسنه وشجاعته فقالت له يا أبو محمد وحق المسيح ما كنت معوله إلا على هذا فقال لها أبو محمد هذا ما يتم لكى إلا ان دخلتى فى دين الإسلام فقالت له اعلم يا أبو محمد انى قد أسلمت وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انها قالت اعلمنى يا أبا محمد ان كان سيف الحنيفية يقدر على شماس وإلا أدبر على قتل أبى وأعمل على خلاصكم واسلم هذا الحصن اليكم فقال لها ابو محمد طيبى نفساً وقرى عيناً فما تباتى ليلتك هـذه الا وأنتى فى حضنه حلالا طيباً ولكن دعينا الساعة حتى انه يكفينا شر شماس واعلمى انه به مليا وبقتاله وفيـــاً وكذلك كل من فى الحصن ان كان ما يصعد الينا من البلد احد فقالت له اما المدينة فهى بمعزل من القصر والأبواب مغلقة والمفاتيح كلها عندى وليس فى القصر غـــير هؤلاء البطارقة الذين تراهم ولا هنا سواهم

(قال الراوى) فبينما البطال والملكة زنانير فى الكلام واذا بشماس حمل على سيف الحنيفية من غير كلام وقال له دونك والصدام فعند ذلك تقدم اليه ووقع بينهما الصدام والمضاربه والالتزام قال أبو محمد فنظرت الى شخص شماس وهو كأنه الجمل الهائج والزبد يطير من أشداقه كأنه القطن المندوف نخفت على سيف الحنيفيه منه وقد تقدمت الى الشباك أنظر ان كان لى طريق ينجينى الى الهرب فقال له سيف الحنيفية لا تفزع يا أبو محمد وانظر العجب ثم أنه مال على شماس ولم يطل الخطب بينهما حتى أنه أتعب شماس ونظر من نفسه أنه قد عدم الحياة والأياس وان فتر وغفل عن روحه سار بدن بلا

رأس هذا وان سيف الحنيفيه جاوله ساعه حتى عرف ما هو عليه من الشجاعه فضايقه ولاصقه حتى سد عليه طرائقه وضربه بالحسام أطاح رأسه عن الهام (قال الراوى) فلما ان رأى الملك الى عبده قد قتل ضاقت منه الأنفاس وانهد منه الأساس فأمر لمن معه من البطارقه ان تحمل على سيف الحنيفية من سائر الجهات فعند ذلك دنت المرهفات الى سيف الحنيفيه فضرب فيهما ضربات وافيات وما كانت غير ساعة حتى بطح منهم سبعين فارس وكل واحد منهم كانه الفتيق فعند ذلك قالت الملكة زنانير يا أبو محمد كيف تدع الأمير سيف الحنيفية يقاتل وحده وأنا أعلم ان المسلمين كلهم أبطال فقال صدقتى ايتها الملكة ان جميع المسلمين كما قلتى كلهم أبطال الا أبو محمد البطال ماله نصيب أيضاً فى القتال لأن اسمه البطال ولكن اعطينى المفاتيح الذين هم لباب السر لأنى أريد أن أغتنم الفرصة عند غفلتهم وسوف تنظرى العجب (قال الراوى) ولما أن سمعت زنانير بنت الملك من البطال ذلك المقال كانت كأنها نائمة واستيقظت فقامت وأتت الى صندوق كان الى جانبها وفتحته وأخرجت منه المفاتيح وقد سلمتهم لأبو محمد البطال وهو لايصدق بذلك هذا ولما أن أخذ المفاتيح نزل من القصر وأتى الى باب السر الذى طلعوا منه وفتحه وسار منه الى ناحية صوب المسلمين وما زال سائر الى أن وصل الى الامير عبد الوهاب فبينما هو سائر اذا به يرى خمسين فارس من المسلمين الابرار وهم دائرين حول الاسوار وقد سمع بعضهم يقول والله ان هذا الذى تم على سيف الحنيفية ما كان الا من أبو محمد البطال وهو الذى طرقه الى هذه الاهوال فتبين البطال المتكلم واذا بها الاميرة ذات الهمه وهى سائرة ومتكلمه ونظر البطال الى الذى هو بجانبها واذا الامير عبد الوهاب (قال الراوى) ان كان السبب فى ذلك غلام سيف الحنيفيه لانهم لما أن أمسى المساء أيسوا من سيف الحنيفية لما أن دخل الى القصر ولم يخرج اليهم من ذلك المكان أحداً لاهو ولا أبو محمد البطال فرجعوا الى العسكر وكان الامير عبدالوهاب قد طلب أبو محمد البطال حتى يشاوره فى أمر البلد فلم يجده فسأل غلمانه عنه فأخبروه بجلية الحال فلما أن سمع ذلك المقال فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أنه قال فى نفسه ما دخل أبو محمد الى هذه القلعه الا حتى يدبر الحيلة فى فتحها فقالت الاميرة ذات الهمه ان كان سالم فاشتغل قلب الامير عبد الوهاب على ولده والبطال ثم انه فى عاجل الحال استنخب من السودان خمسين فارس مثل قراقد وولده قرقود والكادوم والزلوم وأبو كردوم والسموك والدموك وأبو زربول وأبو الفراطيس وأبو الجواميس وزناق العبد والعرنده والفراح وأبو الرداح وطحطح وأبو القرون والمناطح وطحاطح والابلح

والمسطح وأبو القعقاع وأبو فراقع وأبو فروه وابو الموت والاسبط والارقط والامعط وأبو الركب وملابط البغال وأبو الاشبال وأبو عقلين وملاكم الريح وأبو طبيح وأبو سطيح وطمطم ودمدم وعندم وقشعم وضيغم والادهم وطرطوم الفيل وحامل الزنبيل وأبو الليل ومعرفة الخيل ومشقق المرائر وأبو الكبائر (قال الراوى) فاخذهم الامير عبد الوهاب وسار بهم الى أن وصل الى البلد وصار يدور من حول الصور ولا يدرى ما يصنع وقد قلق على ولده وقد أخذه الفزع وغضب على البطال الذى أخذ ولده وفعل به هذه الفعال (قال الراوى) ولما أن سمع البطال كلامهم نادى وقال أدركونى وخلصونى وادركوا سيف الحنيفية وخلصوه من تلك القضية والضيق واعلموا أنه قد وقع بين اربعمائة بطريق فلما أن سمعوا كلامه بادروا اليه كأنهم أسود الغاب وأتوا نحوه لينظروا حقيقة الاحوال وكيف الخطاب (قال الراوى) فهذا ما كان من أبو محمد البطال وأما ما كان من سيف الحنيفيه فإنه قتل من بعد رواح البطال مائة بطريق تمام وقد تكاثروا عليه ورموه بالاحجار والمزاريق والعمد والحدافات وما زالوا عليه الى أن جرحوه فى مواضع عده وحملوا عليه وقد ضاق المكان بين يديه هذا والملكة زنانير تبكى عليه وصارت قريحة القلب ضيقة الصدر مما نزل عليه فلما أن طال عليها الامر أخذت سيف من سيوف المقتولين وجعلت تضرب شمال ويمين وتحمل عليهم حملات منكرات الى أن قتلت احدى عشر بطريق وأقبلت بعد ذلك على أبوها وقالت له يالعين ياابن الملاعين لادين إلا دين المسلمين وشريعة محمد خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين فياويلك اسلم تسلم من نار الجحيم فقال لها أباها أخرجك عشقك لهذا المسلم من دين آبائك وأجدادك فقالت له لا والله بل عشقت الخلاص من النار ورغبت فى دين الابرار الذين هم الاخيار لان دينكم هذا دين الأشرار (قال الراوى) فلما أن سمع أبوها قولها غضب من مقالها واغتاظ من فعالها وكان جبار عنيد وشيطان مريد فصاح فيها وجذب سيفه وحمل عليها وأراد أن يوصل الاذية اليها وقد أشرفت منه على العطب وكذلك سيف الحنيفية قصرت همته عن القتال من خوفه على الملكة زنانير فحمل عليها بطريق وقد ضربه بسيفه فأخذها فى درقته وكانت من الحديد الصينى فانكسر سيفه نصفين وصار يضرب بما بقى فى يده هذا والروم قد طمعت فى جانبه ونادوا يا مسلم سلم نفسك تسلم من قبل حاول رمسك وإخماد حسك ويعدموك أهلك وجنسك (قل الراوى) فبينما هم ينادوا عليه بهذا النداء وقد تغلب من كثرة الاعداء وإذا برجل قد ظهر وفى يده سيف مشتهر يطير منه الشرر وهو ينادى

ويقول الله أكبر الله أكبر وضرب فى الروم وكشفهم عن سـيف الحنيفيه وهو يقول جاءك الفرج من الله تعـالى على يد الأمـيره ذات الهمه العامريه به هـذا ولما ان سمع سيف الحنيفيه كلامها وعرفها عادت إليه روحه وعلم انه نجى مما كان فيه من الضيق هذا والأميره قد حملت على البطارقه وكشفتهم عنه وقد قتلت منهم جماعة وجعلت قصدها إلى الملك فطلع الأمير عبد الوهاب من بعدها وملابط البغال والهدلموس وصاروا يرمون من البطارقة الرؤس هذا وقد ارتفع النهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير وظهروا الرجال والابطال الابرار وصعدوا الجميع وطرحوا البطارقه وهم بسيوفهم ماحقه (قال الراوى) فلم تكن غير ساعه حتى بقيت البطارقه رؤس بلا أبدان وأبدان بلا رؤس هذا وقد تقدم سيف الحنيفيه الى الملكه زنانير وأخذ السيف من يدها وهجم على الملك أبوها وضربه صفحا فوقع على وجه الارض فعند ذلك أدركه وبرك عليه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف فأيقن الملك بالتلاف وأتوا به الى ابنته وقال لها هذا أباكى وهو بحكمك مالنا فيه تصريف فقالت له صدقت ياسيدى ثم انها أقبلت على أبوها وقالت ياأبتـاه قل كلمة تنجو بها من عذاب النـار فقـال لها وماهي الـكلمة فقالت له قل أشهد ان لااله الا الله وأشهد أن محمـداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال لها لمـا ان سمع منهـا ذلك أوترضين أنى بهذه الـكلمه مع معرفتك وعقلك الراجح فقـالت له نعم ياأبتاه فقال لها حيث انك رضيتى بذلك فأنا راضى بما رضيتى انى به لنفسك ثم انه أقر بالشهاده حيلة منه ومـكرا (قال الراوى) فتقدم سيف الحنيفية اليه وحل كتافه وقبله بين عينيه وكذلك ابنته قبلت رأسه وقد أعجبها مالفظ به من كلامه ودخوله فى دين الاسلام وهم يظنون انه صادق فى قوله ومايعلمون انه منافق ومارق (قال الراوى) هذا وقد ملـكوا المسلمين القصر كله واحتووا على مافيه واعلنوا بالتهليل والتـكبير والصلاة على البشير النذير فعندها سمعوا أهل البلد ذلك النـداء فاحتاطو بالقصر من كل جانب وكانوا زهاء عن مائة بطريق ولـكن مالهم سبيل الى الدخول الى القصر لان أبوابه مغلوقة وهو حصين فقـال الأمير عبد الوهاب الصواب اننا ننفذ إلى عسكرنا حتى يأتينـا منهم عشرة آلاف ونفتح هذه الأبواب ونفنيهم بالسيف القرضاب فقـال البطـال هو الرأى الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) فبينماهم على ذلك الخطـاب وإذا بأبطال سادات بنى كلاب قد أتوا فى طلب الأمير عبد الوهاب فعند ذلك دخلوا الجميع عند أميرهم الأسد الوثاب ففتحوا باب القلعـه الذى هو إلى ناحية البـلد وأمرهم الأمير عبد الوهاب

ان يخرجوا اليهم ولا يبقوا منهم أحد فقال له الملك اعلم أيها الأميران المملوك قد صار منكم وأننى أريد أحمل الشقاء عنكم وأبيض وجهى عند الله وعند رسوله وعندكم أيضا ذلك ان لى فى البلد أقارب والزام ومحبين وهم ممن يسمعون أقوالى ويجيبون سؤالى ويتبعون فعالى وأريد ان تمهل عليهم حتى أخرج اليهم وأجتمع بالعقلاء منهم والا كابر وأشرح لهم ماانفتح لى من البرهان ثم انى أرغبهم فى دين الاسلام والايمان فعل الله تعالى ان يهديهم كما هدانى ويوليهم كما أولانى بفضله فان أجابوا فهو المراد وان أبوا مكنا منهم السيوف الحداد (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب منه ذلك الخطاب فقال له لقد نطقت بالصواب فخرج الملك إلى أصحابه واجتمع بهم فلما ان صاروا الجميع بين يديه سألوه عن حاله فأخبرهم بماجرى له من الامر والاحكام وكيف عمل عليهم الحيله بالاسلام حتى انه يخلص من ضرب الحسام ثم قال لهم والساعه أريد منكم ان تبطلوا القتال حتى أخرج أنا اليهم وأقول لهم ان القوم قد أجابوا كلامى وسمعوا منى وأقول ان قومى دخلوا كلهم فى دين الاسلام ثم انى أدبر الحيله على هؤلاء الشياطين والافالنا بقتالهم من طاقه فقالوا له دبر ماتراه من الصواب وأرحنا من قتال هؤلاء الكلاب (قال الراوى) فعندها رجع الملك إلى الأمير عبد الوهاب وقال يافرسان المسلمين وأبطال الموحدين من فيكم يخرج اليهم ويدعوهم الى دين الاسلام ثم انه يشرح لهم مافيه من القضايا والأحكام ولا يكون إلا من له معرفة فى الدين وخبرة بشرائع الموحدين فقال الأمير عبد الوهاب أن هذا الأمر قريب إذا أنهم طلبوا من يشرح لهم دين الإسلام والإيمان فقد تسهل الأمر وهان ثم أنه التفت إلى الأمير أبو محمد البطال له يا أبو محمد خذ معك من تريد واخرج إليهم فلعل إسلامهم يكون على يديك (قال الراوى) فقال البطال اعلم أيها الأمير أنى سكران من شرب التفاح واعلم أن معى إلى الآن فضلته وما راح وما أدرى ما أتكلم به وأخاف أن يسألونى عن شيء فما يكون على ذهنى حاضر بإصلاح ولكن أنظر من يخرج اليهم غيرى ودعنى أنا ههنا مرتاح فقال الأمير عبد الوهاب وقد اغتاظ والله يا أبو محمد ما أنت إلا شيطان لما أن دعيت للشراب والغناء كنت أول من بادر إليه والساعة لما دعوناك إلى شيء فيه الخير والصلاح أبيت وأننا أردناك أن تخرج تشرح وتهدى جماعة إلى الإيمان أخذتك الحمة الباردة (قال الراوى) ثم ان الأمير اقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها ايتها الأميرة خذى معكى برد بن الأزهر وعشرين امير من امراء المسلمين واخرجى مع الملك فقالت سمعاً وطاعة ثم انها خرجت وخرج معها جميع الأمراء المذكورين وسار الملك بين يديهم وهم

صحبته الى ان وصلوا الى الروم وصاروا فى اوساطهم فأمرهم الملك بالجلوس وكان الملعون قد اوصى البطارقة ان لايكن لهم شغل الا القبض على قوائم سيوفهم فأجابوا الى ذلك ولما ان سار من عندهم الملك اخذوا اهبتهم وصاروا باز على قفاز (قال الراوى) ولما اتت الأمراء وجلسوا فما استقر بهم المقام حتى وقعت عليهم الاروام وقبضوهم قبضاً باليد لانهم قد وقع ايضاً عليهم اقوام جبابرة وقد نزل على كل واحد منهم مقدار مائة بطريق فأخذوهم فى عاجل الحال هذا وقد ثار الصياح فجاء الخبر للأمير ابو محمد البطال فقال هذا الذى خفت انا منه وقلت للأمير عبد الوهاب انا سكران من شراب التفاح وهو يظن ان هؤلاء الكلاب يسلموا ويجيبوه الى ما يريد (قال الراوى) وكان ايضاً سيف الحنيفية قد تخلف بهذا ولما ان علم الامير عبد الوهاب بما جرى على الاميرة واصحابها فتح الباب وخرج بباقى اصحابه الى الروم واخذوا معهم فى الطعان والضراب عند ذلك عملت الصوارم الثقال وقد طمعوا الروم فى القوم المسلمين بعد اخذ الامراء الموحدين هنالك طارت القمم وقام الحرب على ساق وقدم وازدحمت الامم وجرت سواقى الدم وزاد الندم وصار الوجود عدم وحامت عقبان النقم وطار الساعد والمعصم وصاح عند ذلك ضيغم فأجابه طمطم وهدر قشعم ودمدم وجال عليهم ابو الموت وهجم وقد ازورت الحدق واحمرت الامق وعظم القلق ولا بقى لاحد رمق وضاق الخناق وزاد الحنق والجبان أخذه القلق والشجاع إلى الميدان أنطلق وتقدم البطل وعلى خصمه قد انطبق وطارت الرءوس من أعلى العنق وسال العرق وعمل السيف ومحق وطير الرءوس كالورق وتواثبت الاقبال بالسيوف والدرق والجبان قد عميت منه الحدق لما أن مال عليه الشجاع وانحرف وما بقى له رمق (قال الراوى) وما زال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبل الليل وقد جرت الآدمية مثل السيل فرجعوا عند ذلك المسلمين إلى الخامة وبقيوا أهل البلد وقد قتل منهم ما ليس له عدد إلا أنهم من كثرتهم ما يبان فيهم نقص هذا وقد اشتغل قلب زنانير على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن معهم من الأصحاب وقالت والله أنى أنا علمت أن أبى لما أن أسلم كان إسلامه خديعة ومحال وإنما سيف الحنيفية سبقنى إليه وحل كتافه فقتلت قد يكون لاح له ما لا أعلمه أنا (قال الراوى) هذا وأن الأمير سيف الحنيفية قد طلب أبو محمد البطال فلم يجده ولا أحداً من غلمانه فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقال ما أخوفنى أن يكون قد قتل فى هذه النوبة فى المعمعة فقالت الملكة زنانير لك الأمان فى هذا الوجه لأنه ما يقرب مكان القتال وأنا رأيته ومعه رأس من بعض رءوس البطارقة

وما أدرى ما يفعل بها فضحك سيف الحنيفية لما أن سمع ذلك المقال وبقى فى قلبه النار لأجل غيبة البطال (قال الراوى) فهذا ما كان من هذه (وأما ما كان) من البطال فانه لما أن رأى الأبطال قد اشتبكوا فى القتال أخذ غلمانه وخرج من القصر وسار إلى البلد وقد تزيا بزى تلك البطارقة الذين فى البلد وقد عمل على وجهه ذقن عريضة كبيرة طويلة مفتولة الشوارب واختلط بالروم فهو كذلك وإذا هو بخمسمائة بطريق وفى أيديهم السيوف والعمد وهم قد أحدقوا بالأمراء من كل جانب وهم مكتفين وسائرين بهم إلى دار الملك ولما أن نظر البطال إليهم اختلط بهم هو وغلمانه وسار معهم كأنه من جماتهم هذا والقتال يعمل إلى الليل ولما أن عادوا من القتال جلس الملك على سرير ملكه ثم أمر بإحضار الأسراء فأحضروهم إلى بين يديه وقد عظم عليه ماجرى على أهل البلد وعلى مدينته لأن الأمراء السودان قد أفنوا منهم خلق كثير فلما أن عاد الملك من القتال وأحضر الأمراء وثب إليهم وقد أدار أذياله فى دور منطقته وشمر أكمامه عن ساعديه كما يصنع السياف هذا ولما ان نظروا الامراء الى فعله فعند ذلك أيقنوا بالتلاف (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا ببطريق وثب من على يمين الملك وقال له أصبر أيها الملك ولا تعجل وأعلم ان قتلهم مايفوتنا لاننا ماندرى مايكون من أصحابهم ولكن تمهل عليهم الى غداة غد وإذا فتحوا الباب وخرجوا أصحابهم يطلبون القتال والضراب اخرج أنت هؤلاء الاسارى وهم مكشفين الرؤس والسيوف على رؤسهم مجذبه وقدمهم الى عندهم وقل لهم وحق المسيح لئن لم ترحلوا عنا وأنتم فى أدب نفوسكم ولا يمد أحدا منكم يده الى قائم سيفه ويضرب به أو يمد يده برمح ضرب رقاب الجميع وبعد ذلك أريد منكم أن تسلمون الحصن بجميع مافيه ولا تأخذوا منه شيء وتسلموا الى أبنتى وتخرجوا من قلعتى وبعد ذلك أسلم اليكم أصحابكم فان فعلوا ذلك وساروا بظاهر البلد ضربنا نحن بعد ذلك رقابهم ونرميهم أيضا برؤسهم

(قال الراوى) ولما أن سمع الملك ذلك الكلام أقبل على بطارقته وقال لهم ما الذى تقولون فى قول هذا البطريق فقالوا له وحق المسيح لقد قال الصواب وتكلم بكلام لا يعاب لانهم اليوم قتلوا منا عشرة آلاف بطريق لاجل هؤلاء الاسارى وان علموا غدا أصحابكم بقتلهم ماكانوا يبقوا منا أحد ولكن هم إذا سمعوا منا هذا الكلام الذى قاله هذا البطريق يقبلون وما علينا من تأخير هؤلاء القوم الى غداة غد (قال الراوى) فعند ذلك قال البطريق الذى قد أشار عليهم بهذه المشورة ياقوم ان أنتم قبلتم مشورتى سلمت أموالكم وأرواحكم وأولادكم ونساؤكم وبعد ذلك نقتلهم وما يكون علينا من اليمين اثم ولا خطيئه فقالوا جميعا مالنا غناء عن هذا الرأى الذى أشار به هذا البطريق مسرقون

(قال الراوى) وكان عندهم بطريق جليل يقال له مسرقون وكان قد قتل فى تلك المعمعه التى جرت بينهم أولا هذا ولما ان نظروا الى ذلك البطريق وسمعوا كلامه فظنوا انه مسرقون وكان ذلك البطريق هو الأمير ابو محمد البطال وقد تزيا بزى ذلك البطريق لطفا من الله تعالى (قال الراوى) فعند ذلك ساقوا جميع الاسارى الى بعض البيوت التى فى دار الملك والقيود فى ارجلهم هذا وإن البطال جلس مع الملك على الطعام وهو يقول له ايها الملك طيب واحسن نيتك ففى غداة غد يباتو كلهم فى قبضتك فطار قلب الملك بذلك هذا ولم يزل أبو محمد يأكل معه الى ان اكتفوا وبعد ذلك جلسوا للحديث والكلام فما زال البطال يسامره حتى انه نام هو وخواصه عندها وثب ابو محمد البطال الى البيت الذى فيه الامراء وفتحه ودخل منه وسار اليهم وسلم عليهم وقد فك قيودهم فى عاجل الحال وخلصهم من تلك الاغلال وسلم اليهم سيوف البطارقه وقال لهم قدموا الآن وادخلوا على الملك ثم أقتلوهم وها هو قريبا منكم وانجوا بعد ذلك بأنفسكم (قال الراوى) أن كان الامير عبد الوهاب لما أن سمع كلام الامير ابو محمد البطال كيف انه أشار على الملك أيضا بتأخير الاسارى من القتل فقال للاميره ذات الهمة سبحان من سخر لنا هذا البطريق مسرقون فقالت الاميره ذات الهمة اما الذقن والشوارب فهى لمسرقون وأما الكلام فهو كلام البطال فقال الامير عبد الوهاب أيها الأميره لايحدثك قلبك بشىء من هذا أبدا كيف يقدر أبو محمد على الوصول الينا أم كيف يتحدث مع الملك ويقبل منه كلامه وهذا البطريق هو معروف بينهم عند الملك وعند البطارقة (قال الراوى) وكان البطال لما ان دخل عليهم رآهم فى المحاوره فقال لهم لاتتحاوروا ولا تتكابروا فانى أبو محمد الذى تعرفونه وقد صرت عند الملك الراهب مسرقون فانهضوا الآن إلى هذا الملعون فاقتلوه هو ومن معه من البطارقه وبعد ذلك ارفعوا اصواتكم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين حتى يسمعوكم المسلمين ويخرجوا فى هذا الليل إلى الكافرين ويفنوهم أجمعين فما يطلع النهار ويبقى من الكافرين ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) فلما سمع الامير من البطال ذلك المقال قال لله درك يابطال فانك خبير بهذه الاحوال ثم ان أبو محمد فى عاجل الحال فك الامير من القيود والأغلال وكذلك الاميره وساروا يتلو بعضهم البعض الى ان خلصوا الجميع ثم ان الامير عبد الوهاب أخذ من العده مايختار هذا وقد تعددوا الجميع وخرجوا من ذلك المكان فكان أول من خرج وسبق الى الملك ووقف على رأسه الامير وصاح به فاذعره وقال له أجلس ياكلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه فقام الملك وهو مدهوش مرعوش فضربه الامير على عاتقه أطلع السيف يلمع

من علائقه (قال الراوى) وما طلع النهار حتى قتلوا كل من كان عند الملك فى الديار هذا وقد صاح الامير عبد الوهاب وقال ياقوم تأنوا على أنفسكم فقد غلقت سائر الابواب حتى لا ينفلت أحدا من هؤلاء الكلاب ولما أن فرغوا المسلمين من الروم طلع الأمير هو وأصحابه وامه وأبو محمد البطال الى سطح الدار وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسمعوا ندائهم فكبروا وقد فرحوا واستبشروا هذا وقد نادى أبو محمد البطال وقال له ياسيف الحنيفية فقال له لبيك فقال له اعلم ياولدى ان الأمراء قد خلصوا وقد ملكوا دار الملك فان قدرت أنت على النزول الى البلد وتضع السيف فى كل من فيه فافعل وإن أردتم تقيموا إلى الصباح فنحن نحرس انفسنا الى آخر الليل وارتفاع النهار وطلوع الضوء (قال الراوى) فعند ذلك صاحت السودان وقالوا نحن مانقاتل إلا فى الليل لانه اسود مثلنا هذا ولما ان فهم الامير سيف الحنيفيه ذلك الخطاب فما كان له جواب غير فتح الابواب وخرجت السودان وبنى كلاب ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم ولما أن سمعوا البطارقة ذلك النداء انذهلوا وثاروا من مراقدهم وصاروا فى حالة العدم وكانت لما تارت تارت من خوفها على نفوسها وتبادرت الى حتفها واخماد حسها (قال الراوى) وكانت الروم لما يخرج الواحد منهم من داره لا يعرف خصمه الا والحسام يعمل فى جسمه وأجرى عليه الحق حكمه فعند ذلك عملت منهم الصفاح فى الأشباح وأتاهم قلة الفلاح ونادى الشجاع لا براح وصار الدليل يهرب ويطلب الرواح ولا يفرق المساء من الصباح (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الرواح الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وبانت الوجوه الصباح من الوجوه القباح هذا وقد رأت الروم الى أرواحها فى الانتزاح فما كان لهم الا الصياح وقالوا الامان الامان ياأهل الصلاح فرفع عنهم الامير سيف الحنيفية السيف وضرب الصفاح هذا قد ملك المسلمين البلد وأخذوا منها شيء كثير مالا عين رأت ولا أذن سمعت وصار معهم من الغلمان والجوارى شيء كثير وأما الرجال فكانوا خلائق لا تعد ولا تحصى فسير الامير عبد الوهاب ذلك كله مع الف فارس من بنى كلاب الى مالطيه وعول بعد ذلك على الرحيل الى الخليفه وعساكر الاسلام خوفا عليهم من الروم اللئام ولما رأت الملكه زنانير الى رحيل الامير فتعلقت بأذيال الامير أبو محمد البطال وقالت له أيها الامير ماالذى عملت معى فقال لها ياملكه مانرحل من هنا حتى يفرغ حزنك على أبوكى وبعد ذلك يبات الامير سيف الحنيفية على صدرك فقالت له والله أن أبي ماله حزن فى قلبى فلما سمع البطال منها ذلك الكلام أمر باحضار أبو الفرج وهو الامام ولما أن حضر أمره ان يخطب خطبه بليغة ويبرم الاحكام وأن يعقد عقدة

النكاح على الامير سيف الحنيفية البطل الهمام فعند ذلك خطب وعقد عقدة النكاح فى ذلك المقام ودخل الامير سيف الحنيفية من ليلته وقد فض الختام وفعل فعلا فيه لا يلام فى تلك الليالى باكرام وعند الصباح اجتمعت الملكه زنانير بالأميره ذات الهمة وقالت اعلمى أن كلما فى هذه القلعة من ذهب وفضة ولؤلؤ وجواهر فهو لى وما للمسلمين فيه ولا حبة واحدة الالى ولبعلى وأما خزانه أبى والعدد وسائر ما للروم فكله لكم وليس فيه شىء وهو حلالا لكم (قال الراوى) فلما سمعت الاميره منها ذلك الكلام تعجبت من كلامها وقالت لها نحن ماأسرناكى حتى نستحل مالك بل انتى أسلمتى وآمنتى وقد ملكتى بذلك نفسك ومالك وجميع جواهرك وأنتى فى محل عزك ولا أحد له سبيل عليكى (قال الراوى) هذا وقد بات الأمير سيف الحنيفية على صدرها ثانى ليلة الى الصباح ولما ان أصبحوا أمر الأمير عبد الوهاب بالرحيل فقالت زنانير للامير أبو محمد أيها الامير لم لاتقيموا ههنا عشرة أيام حتى تستريح الناس من التعب الذى كانوا فيه من القتال فضحك أبو محمد من كلامها ورحلوا الناس يطلبون عمورية (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حديث المعتصم فانه لما أن فارق الامير عبد الوهاب سار بالعساكر الاسلامية طالب مدينه عموريه هذا والعساكر كانها البحر الزاخر وهى سائره تتلو بعضها بعض وهى تتدفق وكان على مقدمتها تسعين ألف أبلق ملاح الحدق صهيلها كالرعد إذا خفق ولمعت دروعهم كانها البرق إذا برق ومن بعدها تسعين ألف أدهم فى لون الغراب الابقع وبقى الجيش فى الموكب كانه رقعة شطرنج عاج وأبنوس تطرب لرؤيتهم النفوس ثم اندفعت العساكر كانها البحر الزاخر وهم على خيول حمر وصفر وشقر (قال الراوى) هذا ولما عاينت الروم تلك العساكر حارت مما أبصرت وذهلت مما عاينت وصارت الروم تنفر من قدام العسكر من مكان إلى مكان إلى ان وصلوا إلى عموريه واعلموا الملك بذلك الشأن وقالوا له على ماذا عولت أيها الملك فقال لهم على القتال واعلموا أن هذه غنيمه قدساقها المسيح الينا ودفعها لنا من غير ملامه (قال الراوى) وبعد أيام أقبلت عساكر الاسلام وأشرفت عليهم عند غروب الشمس فنزلوا وضربوا الخيام والسرادقات فى الليل على ضوء المشاعل وباتوا وهم معولين على الحرب والكفاح ولما ان كان عند الصباح فتح باب عموريه من غير مراسله ولا مخاطبه وخرجت عساكر البلد الكافرين وحملت على عساكر الموحدين وفى أوائلها مرطاووس هذا وقد صاحت الرهبان والقسوس وحمل الفارس العبوس وكفروا عبدة الناقوس بالملك الديان القدوس وقد اشتاقت أهل الايمان إلى الضرب والطعان ونادوا باسم الواحد المنان الذى لس له ضد ولا ند وهو يعلم

بما يكون وإذا قال للشيء كن فكان هذا وقد عمل الصارم اليمان فى جماجم الفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وشابت من هول تلك المصائب الشبان وقد حامت عليهم كواسر العقبان وحملت الفرسان والشجعان وحملت الروم على الاتراك فالتقتها الارمن والترك بالسهام وحملت الديلم على الرستاق هذا وقد برقت الصوارم الحداد وحملت العرب أيضا والاكراد وأصحاب المنطاريات المداد (قال الراوى) فعند ذلك اختلست الارواح وهبت نسمات الموت على الأشباح فكم من جسد عن رأس صاحبه قد طاح والدم من الاوداج قد ساح وكم من فارس قص منه الجناح وآخر على نفسه عدد وناح وأرادالهرب والرواح فمارأى له من الموت مهرب ولا براح وعملت الرماح والبيض الصفاح وخرست الالسن الفصاح وعميت المقل الصحاح ووقعت الابطال من على الخيول وساروا ممددين فى تلك البطاح وصاروا أجساد بلاأرواح وحكم عليهم بذلك الفتاح (قال الراوى) هذا ولم يزال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بدجاه فعند ذلك رجعت كل طائفة إلى خيامها وانفرشوا فى الأرض طولا وعرض وقد امتلأت سرادقات المعتصم وتلك الأرض وقد نزل المعتصم هو والرجال والاكراد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لهم من الأمر والشأن (وأما ماكان) من الهاشميه فانها فى بعض الأيام جالسه وهى تدعو الله تعالى أن يفرج كربها وأن يجعل لها من ذلك السجن فرجا ومخرجا فبينما هى كذلك وإذا بالجاريه الموكلة بها قد دخلت عليها وأعلمتها بما جرى وقالت لها هاقد أتاكى الأمر كما تريدى ولقد كنتى ميشومه على أهل عموريه لان أقل ماقتل منها فى هذا اليوم عشرة آلاف وأكثر وقد جاءكى الذى ناديتى باسمه وهو المعتصم ومعه عساكر المسلمين (قال الراوى) فلما ان سمعت الهاشمية بذلك فرحت وكانت الراهبه أم البطريق قد أسلمت وحسن اسلامهافقالت والله انى فرحت بمجىء المسلمين لاجل خلاص هذه المسلمه الا أننى أخاف من ولدى انه إذا علم ان هذا بسببها أخشى ان يقتلنى أنا واياها فى كياد المسلمين حتى لايفوزوا بخلاصها فقالت لها الهاشميه كفانا بالله ناصرا ومعينا ولا بد ان الله تعالى يلهيه عنا (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من البطريق فانه لما ان خرجت الروم إلى لقاء المسلمين ووقع القتال فوقع ذلك البطريق فى يد رجل كردى فحمله إلى خيمته وهو لايعلم انه صاحب الذمه ولولا انه أسر وأرماه القضاء والقدر وأوقعه والالوأتى سالم إلى منزله لكان فعل ماقالته أمه (قال الراوى) ولما ان أخذه الكردى أسير أتى به إلى خيمته وربطه فى وتدمن أوتاد الخيمه وقال له ياملعون والله لاأطلقك من الاعتقال الا بألف

دينار والاتموت ههنا وأنت فى الاعتقال (قال الراوى) ان كان وقوع هذا الملعون لطفا من الله تعالى بالهاشميه وبامه هذا وقد بات البطريق عند الكردى وهو على ذلك الحال هذا والمعتصم يقول والله ماظننت ان مرطاووس اليوم يقوم بقتالنا ساعة واحده ولقد صبر على قتالنا فى هذا اليوم صبر الرجال ولقد ثبت هو ورجاله على القتال فقال الأمير عمرو بن عبيد الله ياأمير المؤمنين فى غداة غدان شاء الله تعالى نرميهم إلى الأسوار وننتقم من الكفار ثم أقبل على بنى سليم وقال لهم لاشك ان عبد الوهاب وبنى كلاب قدا تعاقوا لان طريقهم وعره فهموا أنتم بالقتال فلعل الله تعالى أن يمن علينا بالنصر على الأعداء من قبل أن يصلوا ويقدموا ليكون الذكر لنا من دونهم (قال الراوى) ولما ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح تارت الفرسان الى صهوات الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتلوا بالرماح وقد اشتاقوا الى القتال والحرب والنزال وحملوا على بعضهم البعض فجرى بينهم فى ذلك اليوم من تداول الحرب ومن عجائب الطعن والضرب أعظم من اليوم الأول ومازالوا على مثل ذلك الكرب إلى ان مالت الشمس إلى المغيب وعاد إلى مكانه كل فارس نجيب وانفصلوا وأن الواحد منهم إذا ناداه رفيقه لايجيب (قال الراوى) ولم يزالوا كل يوم فى قتال ونزال سبعة أيام على التمام وقد أبطأ الأمير عبد الوهاب على المسلمين فاغتم لذلك المعتصم وسأل عن غيبته فقيل له ياأمير المؤمنين ان طريقهم طريق وعره لانها أودية وتلال ودروب ورمال وشعاب وجبال (قال الراوى) ولما ان كان فى صبيحة اليوم الثامن خرجت الفرسان إلى الميدان وطلبوا القتال والطعان واذاهم بغبار قد نار حتى سد الاقطار فتطاولوا إليه بالاعناق والأبصار وبعد ساعة انكشف ومار ثم انجلى وبان للنظار فتبينوه وإذا به الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب وفى المقدمة الأميرة المجاهدة ذات الهمة ومن خلفها ا ودان وقد دقت الطبول ونعرت البوقات وكان معهم أكثر من خمسمائة علم عليها الصلبان ورؤس البطارقة على الرماح وهى أكثر من ألف رأس ومعهم من الخيل والعدد مالا يقع عليه عدد هذا وقد تعجب الخليفه من ذلك وقد نهى الناس عن القتال فى ذلك اليوم هذا وبنى سليم قد حارت من كثرة الأموال والغنائم التى وصلت مع بنى كلاب هذا ولما ان اقبلت بنى كلاب ووصلت نزلوا وضربوا الخيام وسار الأمير عبد الوهاب وأمه وأولاده إلى المعتصم ولما ان صاروا عنده فى الصيوان قبلوا الأرض بين يديه وقد أعلموه بما فتح الله عليهم من النصر وكيف غنموا الأموال والأثقال والسبايا والرحال من بلاد الكفار وأنفذوها إلى ملطيه ففرح المعتصم بذلك وقال ان هذا علامة النصر والظفر والاقبال هذا

والأمير عبد الوهاب قد أقبل على بنى كلاب لما ان رأى عساكر الروم مصطفه فقال لهم دونكم وعساكر الروم والقوهم فى الهموم وأبيدوا هؤلاء الاوغاد ولا تطلبوا غدا الراحه إلا فى الجهاد واطلبوا بذلك رضا رب العباد فعند ذلك حملت العربان والسودان وتلقتها الروم وحملت من كل جانب ومكان وقد أيقنوا المسلمين ببلوغ الارب ولبسوا الروم ثياب الحرب هذا وقد حملت بنى كلاب برماحها وهى مثل آجام القصب فنظروا الروم من قتالهم العجب وقد أوثقوهم بالذل والخبل وقد حمل كل بطل (قال الراوى) هذا ولما اصطفت الطوائف خلا المكان فرأى مرطاوس ما عنده أحد فلم يكن إلا الهرب وقد دخل هو ومن معه من البطارقه إلى البلد وتركوا جميع ما لهم من الخيام والاثقال والرحال والأموال هذا وقد تكردست الروم فى الأبواب وداسوا بعضهم البعض فقتل منهم خلق كثير من الازدحام والمسلمين تضرب فى أقفيتهم بالحسام هذا ولما ان صاروا فى البلد أغلقوا الأبواب وطلعوا على الاسوار ففرحوا بذلك المسلمين الابرار وقد فرح المعتصم بهذه الأحوال وشكر الأمير عبد الوهاب وأصحابه بنى كلاب والسودان الانجاب وقال هؤلاء قوم لهم عند الله سريرة عظيمه فلهذا هو قائم بنصرتهم ومن وراء معونتهم فيرزقهم النصر من دون غيرهم وها نحن لنا ثمانية أيام نقاتل الكفار اللئام وما أزحناهم عن خيامهم ولما ان أتوا بنى كلاب فى يوم أدخلوهم إلى البلد ولو أقاموا ما تركوا منهم أحد فقال الأمير عمرو بن عبيد الله يا أمير المؤمنين نحن بقتالنا أضعفناهم وفعلنا بهم ما أعياهم إلى ان أتوا بنى كلاب وأدخلوهم فى الأبواب وطلبوا الهرب والذهاب فقال الخليفه لا والله ما هذا مقال بل هم أشد من سائر الطوائف واصبر على القتال والحرب والنزال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمراء فانهم لما انفصلوا من الحرب وعادوا وقد وضعت الحرب أوزارها وقد استقرت كل طائفة فى قرارها نهض الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه وسائر الامراء وساروا طالبين سرادق المعتصم ومازالوا إلى ان وصلوا إليه ثم انهم استأذنوا فى الدخول عليه وسلموا وقبلوا الأرض بين يديه فرد عليهم سلامهم وقربهم إليه وأدناهم وسألهم عن سبب ابطائهم فأخبروه بما جرى لهم من أول الأمر إلى آخره وكيف أسلمت الجاريه بنت الملك صاحب أنقره وهى زنانير والسبب فى ذلك انها عشقت سيف الحنيفية وكيف دبرت على أخذ قلعة أبوها وما جرى لها وللأمير أبو محمد البطال من العجائب والاحوال فقال المعتصم والله ان هذا لشيء عجيب وحديث غريب يلذ لسماعه العاقل اللبيب ثم انه أقبل على سيف

الحنيفيه وقال له لقد سبقتنا يا أمير إلى فتح الحصون من قبل فتح عموريه فضحك الأمير عبد الوهاب وقام سيف الحنيفية وقبل الأرض وقال له يا أمير المؤمنين كلنا لهذه الحضرة النبويه وبركاتها تعم على سائر العالم القصية والدنيه (قال الراوى) هذا وقد أقام القتال على مدينة عموريه شهرين كاملين وهبت الرياح الباردة فلما أن كان فى بعض الأيام عندما اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قامت الترك والعرب والديلم تطلب الحرب والكفاح فما كان فيهم من قدر يوترقوس ولا يسحب سلاح ولما أن عرف المعتصم ذلك البرد فأمر أن ينادى فى العسكر أن لا يبقى صاحب قوس إلا ويحمله الى سرادق الخليفة ابن عم صاحب المراتب المنيفه فلما أن سمعت الطوائف ذلك النداء فأقبلوا القواسه بأقواسهم اليه ووضعوها بين يديه فقام المعتصم وجلس على حيله وجعل يوتر قوس بعد قوس من الصبح الى الضحى فأوتر الف وستمائة قوس فتعجب الناس من فعاله وقالوا لقد عضد الله به الدين وشد به ظهور المجاهدين هذا وقد ثارت العساكر وطلبوا القتال وأقاموا شهر آخر فعند ذلك ضجر المعتصم وأيس من فتح البلد وقال والله لو أقمت عمرى كله ههنا ما أبرح حتى أفتح هذه البلد ببركة ابن عمى محمد ﷺ وشرف وعظم ومجد (قال الراوى) فلما أن سمعوا الناس كلامه تعجبوا من كثرة فهمه وفكرته وصولته وشدة عزمه فدعوا له أيضاً بالنصر على الأعداء فعند ذلك اختلا الأمير أبو محمد البطال بالأمير عبد الوهاب وقال له اعلم أيها الأمير أن هذا البلد حصين ومنيع الأسوار وغزير الأمطار وأنا أعلم أن أقمنا عليه بقية الأعمار ما وصلنا إليه بالحصار وأن لم نعمل عملا نتوصل إليه وإلا طال بنا المطال فقال الأمير عبد الوهاب أن جاء المفتاح من عند الملك الفتاح سهل لنا الافتتاح فسكت الأمير أبو محمد البطال ولم ينطق بحرف واحد عند سماع هذا الكلام (قال الراوى) هذا وقد طال الحصار مدة أيام وهم على ذلك الحال لم يقدروا يبرموا إبرام هذا والخليفة قد طار نومه وزاد أرقه وكثر قلقه وهو على هذه الأحكام فكان يركب كل ليلة ويطوف ومعه جماعة من عبيده والخدام ليسمع ما تقول الناس من الأقاويل لعله أن يسمع من أحد شيء يستدل به على فتح البلد وصار يتولى حرس تلك العساكر بنفسه وكان تارة يصلى وتارة يقرأ القرآن إلى وقت الصبح لم ينام وتارة يتفقد أحوال الصعاليك وأى من رآه محتاج إلى شيء أنفذه له (قال الراوى) إلى أن كان ليلة من بعض الليالى مر بحداد فوجده يشتغل بالحديد وبين يديه غلام يدق عليه كأنه غصن بان وقد أقبل على معلمه وقال له اعلم أيها الأستاذان التدبير نصف المعيشة فقال له معلمه وقد أرمى الكلبتين من يده وبطل شغله وكيف ذلك يا شيطان يا ابن الشيطان فقال له

الغلام اعلم يا سيدى أنى متعجب من الخليفة أمير المؤمنين وقائد جيوش المسلمين والحاكم على طوائف الموحدين وابن عم خاتم النبيين مع ما جمع الله فيه من العقل والسداد والقوة والرشاد كيف طال مقامه على عموريه وأنا أعلم أنه لو أقام عليها عشرة أعوام لم يقدر عليها ولا على فتح باب من أبوابها إلا بشيء أقوله أنا فقال له المعلم وكيف ذلك فقال الغلام لو قال لى المعتصم ذلك ما يكون افعله لأخبرته بذلك جميعه فقال له الحداد أسكت يا ولد الزنا وأنا أعلم أن فى رأسك خاطا ما يهدى إلا بالصفع يا ويلك يا نسل الأوغاد اسكت لا يسمع أحد كلامك فيوصل إلى الخليفة ثم يرسل يأخذك ويقول لك ما قلت فان كنت تنكر فيأمر فى الحال برمى عنقك وإن قلت أنا أفعل ذلك وتعجز عن ما تدعى فيكون ذلك سبباً لتلافك وصفعه المعلم وقال له يا شيطان أنت تتكلم بكلام الصغار فقال له الغلام اعلم أيها المعلم أن الله تعالى قال (آتيناه الحكم صبياً) وقد أثبت شهادة الصبى فى المهد وأيضاً أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد وكان كلامه حجة فقال المعلم يا ويلك أنت تتشبه بهؤلاء القوم أسكت سكت حسك وبطل نصفك فقال الغلام لا تقول يا معلم كلام ما تعرف تصريفه واعلم أن فى كل رأس حكمة وإن وصل كلامى إلى عند المعتصم فسوف أوريك كيف أفتح هذا البلد إن شاء الله تعالى (قال الراوى) هذا يجرى كله بين المعلم والغلام والخليفة واقف ولكنه سمع كلما جرى من الكلام فلما أن فرغت المحاورة بين المعلم والغلام عاد الخليفة إلى الخيام ودخل إلى سرادقه ولم يأتيه تلك الليلة منام بل أنه قال للخادم ويلك يا نجاح عود إلى الموضع الذى كنا فيه تلك الليلة قيام وادعى إلى الحداد وصبيه الغلام فان امتنعوا فاسحبهم عنفا بعد ما تذيقهم الآلام فعندها خرج الخادم من السرادق مهرولا على الأقدام وما زال إلى أن وقف على باب خيمة الحداد والغلام وقال له يا معلم أنت وغلامك أجيبوا إلى أمير المؤمنين باهتمام فقال الحداد جاء العمل وهو هذا الحساب الذى كنت أحسبه وقد جرى على التمام ثم أن الحداد أقبل على صبيه وقال له الساعة تنظر يا إبن اللئام كيف يعمل فى رأسك ورأس أستاذك من الارغام ثم أنه أقبل على الخادم وقال له يا نجاح وحياة أمير المؤمنين أنا ما تكلمت بشيء من هذا وهو الذى أكثر الكلام فقال له الخادم دع عنك هذا الاحتجاج وسير إلى عند الامام وانهض مسرعا باهتمام واعلم أنه قد برز الامر الشريف باحضاركما وإلا صفعتكما صفعاً جيداً وأوشحكم بهذا الحسام فقال المعلم صدق الله من قال يخرج من الرأس ما يقلع الاضراس فعندها تقدم الغلام وقال له سير يامولاى وطيب قلبك وسوف ترى أن الله تعالى ما يسرك ولا تضيق صدرك

(قال الراوى) هذا والخادم قد أخذهما وسار بهما إلى أن وصل إلى سرادق المعتصم واستأذن عليه ودخل بهما على الخليفة ولما أن صاروا فى السرادق قبلوا الأرض بين يدى الامام فالتفت المعتصم إلى الغلام وقال له ما إسمك فقال يا أمير المؤمنين إسمى لقمان فقال المعتصم ما يسمى بهذا الاسم إلا من فى رأسه حكمة فقال الغلام ياأمير المؤمنين وهى التى أوصلتنى إليك وقد أوقفتنى بين يديك فى هذا المجلس المنيف والسرادق الشريف وأوجب هذا الكلام الظريف والأمر العنيف (قال الراوى) فأعجب المعتصم كلامه وأمره بالجلوس فقال الحداد ياأمير المؤمنين هذا الغلام قد أجلسته عندك بحكمته والمملوك يسأل الحضرة العباسية أن يعود إلى مكانه لأنه ليس له حكمه فضحك الخليفه وقال له قد أذنت لك فى ذلك فارجع إلى مكانك واعلم إن حصل من كلام الصبى فائدة فلا بأس وإلا فالديه على العاقلة فطار عقل الحداد ثم أنه التفت إلى الصبى وقال له لو علمت أن هذا يقع من كلامك لكنت حطيت المرزبة فى رأسك ثم أنه سار إلى خيمته وهو يدمدم ويشتم الغلام هذا والمعتصم يتبسم من كلامه ثم أن المتعصم بعد ذلك أقبل على الغلام وقال له ياغلام اعلم أنه قد بلغنى أنك قلت كذا وكذا فقال له الغلام نعم ياأمير المؤمنين فقال له الخليفة فبين ماعندك من البرهان فقال الغلام ان كان ولا بد فاعلم ان الملوك يرى من الرأى أدام الله تعالى سعادة أمير المؤمنين ومتع ببقائه المسلمين وعضد به عساكر الموحدين أن يصنع أبراج من الخشب ويعمل لها أطواق من الحديد وتكون أعلا من أصوار البلد حتى أنها تتحكم على الصور وتكون على بكر حتى يخف سعيها ويكون فى صدرها كباش من الحديد حتى إذا دفعتها الرجال ضربت الصور زلزلته ويكون فى باطنها ألف نقاب وتكون أربعة أبراج ويكون عليها اللبابيد المنقوعه فى الخل حتى يؤمن عليها من النار والحريق ويكون فى أعلاها وسائر طبقاتها الرماه بالنبال حتى تكشف الروم من على الأصوار واذا التصقت الأبراج إلى الصور وأمكنتهم الوثبة من الأبراج الى أصوار البلد فليفعلوا وان هم لم يقدروا على ذلك يقاتلوا وتكون النقابة فى الطبقة السفلية فينقبوا حتى يرموا الأحجار من تحت الصور تبقى الأصوار قائمة على النقوب وهى معلقة على الخشب واذا هم فعلوا ذلك تخرج الأبراج عن الاصوار وياأمير المؤمنين تأمر بعد ذلك السوادن والرجال أن تجمع الاحطاب ويحشوها فى النقوب ويضرموها بالنار فتحرق الاخشاب وتقع الاصوار (قال الراوى) فلما أن سمع المعتصم ذلك الكلام قال والله ان هذا كلام يقبله العقل من غير ملام ثم أن المعتصم أدعى بالصناع وجمهم من الخيام ولما أن حضروا قال لهم اعلموا أننى أريد أن تفعلوا كذا وكذا فى هذه الايام فقالوا له سمعا

وطاعة أيها الامام ثم أنهم تجهزوا فى هذه الاحكام ولما أن كان من الغد وضعت الاخشاب الرومية وهى أصول الجوز الرومى الكبار وتقدمت الصناع والمعلمين والنجارين واشتغلوا فى ذلك الاخشاب وصارت كل جماعة فى شغل (قال الراوى) فهذا ما كان (وأما ما كان) من عقبة فانه لما رأى الى هذه الاحول فما هان عليه ذلك الحال وخاف على عمورية وقال ما الذى يكون عذرى عند المسيح ان غفلت حتى تؤخذ هذه البلد ولكن لابد لى أن أعمل على هلاك هذا الغلام وهو غلام الحداد ثم أن عقبة قام من وقته وساعته و خرج يتمشى بين المضارب والخيام لعله أن يقع بأحد يوصل معه كتاب الى ملك عمورية فبينما هو سائر واذا هو قد حاز على خيام الاكراد فوجد على باب خيمة رومى أسير فتقدم اليه ووقف على رأسه وقال له من تكون فقال له أنا من أهل عمورية وكان كلامهم بالرومى ما يفهموه الاكراد وكان هذا الاسير هو البطريق الذى عنده الهاشمية أسيرة وكان ذلك الكردى أسره وربطه وقال له ما تخلص من يدى الا بألف دينار (قال الراوى) ولما ان كان فى ذلك اليوم وخرج عقبة فجاء طريقه عليه فوقف عنده وسأله عن حاله وما جرى له فأخبره بأمره فعند ذلك التفت عقبة الى الكردى وقال له دعنى أضرب هذا حتى أشتفى منه بالضرب فقال له الكردى هو لك خذه اليك وافعل به ما تريد فأخذه عقبه وسار به الى خيمته وهو يجره من رقبته إلى أن دخل به إلى خيمته ولما أن حصل عنده فقال له لا تخاف ولا تفزع وأنا ما جبتك إلى هذا المكان الا أريد أن أطلقك من الاعتقال وارسل معك كتاب فى هذه الليلة توصله الى الملك مرطاووس وتعرفه بقصة هذه الابراج وتقول له يفعل بها ما فى كتابى هذا وتقول له ان السبب الذى أخرج المعتصم من العراق الى هذه الديار جارية هاشمية أخذت من سبايا ميافارقين وقيل أنها عرضت للبيع فاستغاثت وقالت عند البيع وامعتصماه فبلغ الخبر اليه وقد اقسم انه لا يبرح ولا يرحل من على عموريه حتى أنه يخلصها وقل له أنه يطلبها الملك ويأخذها وعلى الصور يحملها ويقول لهم يامعشر المسلمين هذه الهاشمية التى دخلتم لأجلها وقد منعكم المسيح منها ومن خلاصها وكان مجيئكم سببا لقطع حياتها وأنفاسها ثم أنه بعد ذلك يضرب رقبتها بالسيف ثم يرميها لهم (قال الراوى) فلما أن سمع البطريق كلام عقبه قال له يامولاى اعلم أن هذه الجارية جاريتى وأنها قد أفسدت عقلى وقد اسلمت على يديها وهى معها فى المطمورة والقيد والغل فى يديها فقال له عقبه اقتل امك قبل الهاشمية ودع اثمها فى رقبتى فقال له البطريق فاذا كان الأمر على هذا الحال فأول ما أبدأ بقتل أمى (قال الراوى) ثم أن عقبه بعد ذلك كتب كتاب يقول فيه كلمة الكفر فتعالى الله عما يقول

الظالمون والجاحدون علوا كبيراً من الشيخ الفاجر الجاحد لقول صفوة الواحد أما بعد فقد عوضك المسيح ثواب الجهاد من دون من حولك من البلاد ومع ذلك فأنا أيها الملك أشير عليك أن تخرج إلى قتال المسلمين لأن مكانك حصين أمين والذى أعرفك أن المسلمين قد صنعوا أبراج من الخشب مصفحة بالحديد موثوقه بالمسامير وأنهم يريدوا إذا فرغوها يطلقون فيها الرماة بالنبال ويكونوا فى أعلاها والنقابة من تحتها وإذا تمت تكون الأنقاب كلها محشية بالأحطاب ويطلقون فيها النار وإذا عملت النار فتقع سائر البدنات والأبراج وأنا فقد رأيت من الرأى أنكم إذا رأيتم الأبراج قد تقدمت إلى الصور تثبتون فى مقابلتها ويكون داخل البلد جماعة يبنون من خلف الصور صورتانى ويكون أعرض من الأول ولا يبقى أحد إلا ويعمل فيه ثلاثة أيام ثم أنكم تخرجون من عندكم قوارير النفط ومشاقة الكتان والبوارى والزفت والقطران وأيضاً تضربون الأبراج بها وتمزقوها بكل من فيها وسوف أكتب إلى الملك أرمانوس وأوبخه على قعاده عنكم حتى يرسل إلى سائر الملوك الذين يشيدونه من دين النصرانية حتى لا يخرج أحد سالم من هذه العساكر الاسلامية ومع هذا فساعة وصول هذا الكتاب نقبض على البطريق حامله وتصفعه صفعاً جيداً وتطلب منه الجارية الهاشمية التى كانت سبب هذه البلية وإذا سلمها إليك تطلب أيضاً أمه فانها قد أسلمت وإذا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ارفعها على الصور وأمر المنادى ويقول يا معاشر المسلمين هذه الجارية الهاشمية الذى جئتم من أجلها فخذوا رأسها وتكون واقفه مهتوكة على الصور مكشوفة الرأس والوجه حتى يكون ذلك أعظم لثوابكم وأهيب فى قلوب المسلمين لكم ثم ترموا رأسها اليهم فاذا انقطع طمعهم منها وعلموا أنهم لا يصلون إلى البلد ولو أقاموا طول الأبد فما يكون لهم الرحيل وأنى قد أرسلت إلى سائر الملوك الذين للروم وأمرتهم أن يسيرون إليك ويسدون عليهم الدروب وسائر المذاهب وتكون أنت من ورائهم وهم من قدامهم وتأخذوهم مواسطه فما يسلم منهم هارب ولا ذاهب (قال الراوى) ولما أن فرغ الملعون من كتابة الكتاب سلمه إلى البطريق فأخذه وسار الى أن التصق الى الصور ونادى بالرومية الى الحرس فقالوا له من أنت فقال لهم أنا خنانيص فقالوا له ويلك يا خنانيص أنت ما قتلت فقال لهم لو كنت قتلت ما جئت اليكم وانما أنا كنت مأسور عند المسلمين وقد حصلنى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وقد أنفذ معى كتاب الى الملك مرطاووس فارفعونى من قبل أن تظفر سيارة المسلمين بى فقالوا له ما نقدر نرفعك حتى نأخذ لك اذن الملك فاجلس الآن

ههنا حتى تأخذ لك اذن الملك ونعود اليك بالخير ثم أنهم قد مضوا الى الملك وأعلموه بذلك فقال لهم اعلموا أنه لو كان ولدى ما رفعته إلى البـــلد فى ظلام الليل لأن هؤلاء القوم فيهم رجل يقال له أبو محمد البطال يدخل فى صورة كل محتال فقالوا له أيها الملك هذا يزعم أن معه كتاب من عند القاضى عقبة وفيه كلام يريد أن تقف عليه وأن تعمل بما فيه لأنه من حجة المسيح الذى هو عند المسلمين (قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك الكلام فقال إذا كان الأمر كما ذكر فارفعوه إلى من قبل أن يأخذوه المسلمين فعندها عادوا اليه ودلوا له الحبال ورفعوه وأطلعوه الى فوق الصور هذا ولما أن صعد اليهم ورأوه عرفوه فهنوه بالسلامة وأخذوه وساروا به الى أن أدخلوه على الملك هذا وقد فرح بسلامة نفسه وحمل كتاب عقبة وهو يقول الساعة يخلع على الملك ويكرمنى على سائر البطارقة الذين له (قال الراوى) ثم أنه ألقى الى الملك الكتاب فأخذه الملك وفضه وقراه الى أن أتى الى آخره وعلم ما فيه تغير لونه من عمل الأبراج وذكر النقابين ورجع بعد ذلك الى كلام عقبة وما أشـــار عليه وكيف ذكر أنه يكاتب سائر الملوك بسببه فقال وحق المسيح ما كنا إلا من الهالكين لولا لحقنا عناية السيد المسيح على يد الشيخ النجيح (قال الراوى) ثم أن الملك ادعى بذلك البطريق ولما أن صار بين يديه أمر مائة بطريق أن يصفعوا الذى أتى بالكتاب من عند عقبة وهو البطريق كما أمره عقبة فعند ذلك نزلوا عليه بالصفع الى أن وقع الى الأرض مغشياً عليه بلا تعويق فعند ذلك قال الملك كفوا عنه ودعوه الى وقت الصباح واذا هو أفاق طلبنا منه الجارية الهاشمية الذى جاءت المسلمين بسببها وقد ذكر الشيخ النجيح أن أم هذا البطريق أيضاً أسلمت وقد أمرنا بقتلها قبل قتل ولدها لأنه كتم عنا أمر هذه المسلمة وقد أخرجها الى البيع حتى جرى علينا هذا المجرى ووصلوا الى ههنا فقال بعض البطارقة الذين على رأس الملك وحق المسيح لقد استحق القتل والحريق الذى أخفى عنك هذا الأمر ولقد نظر الشيخ النجيح موضع النظر ومن الرأى أن تتوكل جماعة على البطريق حتى أنه من غشوته يفيق لأنه قد صار به من الصفع ما يبقى فى خمارة ثلاثة أيام ومن الرأى أن تنفذ الى سائر أصحابك والمقدمين من البطارقة الموصوفين ولا يبقى أحداً فى المدينة الا وينقل الصخور الى عمارة الصـــور وتقول لكل بطريق بجماعته أن يعمل عشرة أذرع وقد صعدت الابراج والابدان ونعمر الصور فى ثلاثة أيام فان تم على الصور شىء مما ذكر الشيخ النجيح لنا فى كتابه فيكون الصور الجوانى قد تعمر من ورائه وما يطول الامر اكثر من ثلاثة أيام قلائل وقد وصـــل الملك ارمانوس فقال الملك وحق المسيح قلت

الصواب وأتيت بالامر الذى لايعاب (قال الراوى) ثم أن الملك أدعى بالبطارقه ورؤساء البلد المقدمين وأمرهم بذلك وقد عرفهم من أين تأتيهم الابراج لأن عموريه ماعليها قتال إلا من جهه واحده وهو جهة الباب الذى هو الى جانب العسكر وباقى البلد تمنع عنه الابراج وكذلك الخندق (قال الراوى) فهـــذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من خنانيص فانه قد أقام أيضا فى غشوته طول ليلته الى الصباح ولما أن أفاق قال له الملك ويلك ياخنانيص نحن ماصفعناك بأمرنا وإنما الشيخ النجيح أمرنا بذلك فقال له خنانيص يحق له ذلك كونى إنى حملت كتابه لاأصلح المسيح له حال وأحـــل به الذل والنكال فقال له الملك أعلم أنى أريد منك الجارية الهاشمية جاريتك والاضربت رقبتك ثم إن الملك وكل به جماعة من تلك البطارقه فساروا معه الى داره وإذا بالجارية الافرنجيه على الباب وعليها علامة والحزن الاكتئاب لأنهـا أيقنت أن سيدها قتل فى الواقعه وبقى له رجعه (قال الراوى) ولما أن نظرت اليه وثبت مثل اللبوه وسلمت عليه وهنته بالسلامه وقالت له يامولاى وحق المسيح لقد سررت بسلامتك فدفعها فى صدرها ألقاها على ظهرها وقال لها ويلك وأى سلامة قد سلمتها وقد وقع فى رقبتى صفع يكفينى عمرى كله وحق المسيح لو وقع الصفع الذى نزل على على سائر الروم لأخذهم الصداع وهذا كله من أجل الجاريه التى عندى فانزلى اليها وأخرجيها وإلى غلمان الملك سلميها وإن كانت أمى أيضا بالحياه فسلميها اليهـم وها أنا مقيم فى الدار حتى يهدأ مابى من الصفع والاضرار فقالوا له البطارقه وحق المسيح مانقدر نخليك لأن الملك أمرنا باحضارك لأن الشيخ النجيح أوصى الملك فى حقك بوصية أخرى ولاندرى ماهى فقال لهم وماهى الوصيه الأخرى فقالوا له ماعليـك فيها مضره لأنه أمر بضرب رقبتك على الصور (قال الراوى) فلما أن سمع ذلك ندم على أقراره بالجاريه لعقبه وقال فى نفسه ليت المسيح أحال بينى وبين هـذا الشيخ النحس هذا وقد زعقت البطارقة على الجاريه الافرنجيه وقالوا لها ويلـكى أخرجى الجارية الهاشمية وأم سيدك الراهبة المسلمة فعند ذلك قامت الجارية الافرنجيه وهى فرحانه القلب بقتل الجارية الهاشمية ثم أنها أتت بالبطارقه الى عند المطموره فوجدت القيود مكسره والاغلال مطرحه والمطموره فارغة ليس فيها احد فصعدت عند ذلك وهى صارخة نادبه وممـا أملته خائبـه فقالوا لها غلمان الملك ويلـكى مالذى قد حل بكى فقالت لهم أعلموا أنه والجارية وأم سيد ماوجدت لهم فى المطمورة خبرولا وقعت لهم على أثروالبارحه كانوا فى المطمورة وقد أنزلت لهم الطعام والشراب وطلعت وأغلقت عليهم الباب وفى هذه

الساعة لما أن نزلت إليهم فما رأيتهم (قال الراوى) فلما أن سمعوا البطارقة منها ذلك الكلام ظنوا أنها ما قالت لهم ذلك المقال إلا من خوفها على سيدها من القتل والنكال فتواثبوا عند ذلك إليها ولطموها إلى أن أشرفت على الممات ونزلوا إلى المطمورة فما وجدوا فيها غير القيود والأغلال فطلعوا منها وطافوا جميع الدار فلم يجدوا فيها ديار ولا نافخ نار فرجعوا إلى الملك ومعهم الجارية الأفرنجية وخنانيص مولاها وأعلموه بما جرى فقامت عليه القيامة وقد أمر بضرب الجارية فضربوها إلى أن ألهبوا قلبها وأغمى عليها فتركوها ساعة حتى أفاقت من غشوتها فلما أن أفاقت قام إليها الملك بنفسه وقال لها قولى لى الحق وأصدقينى وأخبرينى أين الجارية الهاشمية وألا ضربت رقبتك فقالت له وحق المسيح أيها الملك ما لى علم إلا من البارحة وأنها أبغض الخلق إلى فكيف تظن أنى أخفيها وهذه البلد محاصر ومن خارجه المسلمين ولا يقدر الطير يطير فقال بعض البطارقة للملك أيها الملك اعلم أن الجارية ما خرجت من البلد لأن الابواب مغلوقة والأسوار عليها الحرس الشديد ولا يدخل إلى البلد ولا يخرج منها خارج ولعل الجارية المسلمة تكون التجأت إلى بعض الأماكن واختفيت فيه لما أن هربت من المطمورة أو إلى بعض دور البطارقة من شدة الفزع والجزع والضر الذى كانت فيه وما أمر السيد المسيح أن يموت الأسير بالجوع بل أمر السيد المسيح إما أن يطعم وإما أن يطلق والصواب عندى أن تقتل هذا البطريق وهذه الجارية الأفرنجية لأن البطريق أخطأ الذى لم يطلعك على أمر هذه الجارية الهاشمية وأما هذه الجارية أقرت أنها كانت تعذبها حتى أنها هربت منها فقال الملك وحق المسيح لقد صدقت فيما ذكرت وقد قلت الصواب ونطقت بالرأى الذى لا يعاب وهذا جزاءه (قال الراوى) ثم أن الملك أمر بضرب رقبة خنانيص والجارية نسل إبليس فضربوا رقابهم وهلكوا الاثنين فى ساعة وعجل الله تعالى بأرواحهم إلى لعنة الله وبئس القرار ومحق الله منهم الآثار (قال الراوى) وكان هذا البطريق الذى أشار على الملك بذلك وأمره أن يضرب رقابهم ويأمر وينهى ويقول هذا المقال كان هو الأمير أبو محمد البطال (قال الراوى) إلى هذا المقال وكان السبب فى دخول الأمير أبو محمد البطال إلى البلد كلام عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى سيدنا محمد النبى الحبيب الذى كل من يصلى عليه ما يخيب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما غرد قمرى على غصن رطيب وذلك أنه كان قد خرج من عساكر المسلمين ومعه غلامه لؤلؤ فجعل يدور من حول البلد لعله يجد حيلة يصل بها اليه فلم يقدر على ذلك

فهو كذلك واذا هو قد نظر دواب مقبلة من بعيد وهى قاصدة الى البلد فصبر الى أن وصلت اليه وقد تأملها واذا هى ثلاث دواب ومعها رجلين وهما من أهل عموريه والدواب محملة خمر فقال لهما الأمير أبو محمد من أين جئتما فقالوا له من قرية اشمونيت وهى قرية الملك اشمونيت ابن مرطاووس الخاص وقد أرسل معنا هذه الظروف وهى ملآنة خمر خدمة للملك ولكن ها نحن سائرين وخائفين من المسلمين وقد سرنا فى هذا الليل كما ترى من خوفنا فقال لهم الأمير أبو محمد البطال اجلسوا مكانكم حتى ينتصف الليل أن أردتم أن تسلموا من عسكر المسلمين فقالوا له صدقت وحق المسيح لان الباب البارحة فتح لنا نصف الليل وكانت أحمالنا عسل فقال الملك لو كنتم جئتم لنا بخمر لكان أحب الينا من العسل فقال للذى يكلمه فما اسمك يا اخى فقال عبد الصليب واخى هذا اسمه عبد المسيح (قال الراوى) فتركهما الامير ابو محمد البطال الى ان جلسوا وهمز هو وغلامه عليهما بالخناجر فقتلوهم واخذوا ثيابهم ولبسوها وقال البطال يا لؤلؤ الآن بنا فقد سهل الله لنا وقد رضينا بأن نكون خمارين فلعل الله تعالى ان يفرج عنا وعن المسلمين ويملكهم هذه البلد ببركة محمد سيد المرسلين ولعل ان يسهل الله تعالى علينا حتى نخلص الهاشمية من قبل ان يفرط فيها امر من الامور لانى ما آمن من عقبه أن يرسل إلى الملك كتاب ويعلمه بسبب ما جئنا فيه الى هذه الديار ويشير عليه فى قتلها فى كتابه الذى يكتبه فقال له لؤلؤ صدقت (قال الراوى) ثم أنهم ساروا وساقوا الدواب بين أيديهم وما زالوا سائرين الى باب عموريه ثم صاح البطال بالحراس فقالوا من أنت فقال لهم انا صاحب العسل البارحة والليلة اتيت بالخمر كما امر الملك (قال الراوى) عندها مضوا الحراس الى الملك واعلموه ايضا فقال الملك صدقوا فى المقال وهم اصحابنا الذين من قرية اشمونيت افتحوا لهما الباب الصغير فهما رجلان لا غير واذا فتحتم لهم ودخلوا فاياكم ثم اياكم ان يدخل احداً غيرهما فعند ذلك رجعوا الحراس وفتحوا الباب فدخل ابو محمد البطال وساق بين يديه الدواب ولؤلؤ من خلفه وما زال سائر الى أن وصل الى الملك وصار قدامه وبين يديه وضرب كبوس فقال له الملك اجلس فجلس فسأله الملك عن حاله فقال له بخير وسأله أيضاً عن الطرماخ والريس وعن أحوال أهل القرية وقال له هل وصل اليكم أحد من المسلمين فقال له أبو محمد البطال لا وحق المسيح يا ملك لأن قريتنا فى الجبل كما تعرف ما يصل إليها أحد (قال الراوى) وكان البطال عارف بالقرية التى نحن فى حديثها وبطرماخها وريسها وفى تلك الساعة دخلوا وأعلموا الملك بوصول خنانيص وكتاب

عقبه فأمر بدخولهم فعادوا وأتوا به وقدموهم إلى بين يديه وناوله الكتاب كما ذكرنا وقد عرف البطال ما فيه وأشار بصفعه وكان أول من صفعه أبو محمد البطال ولؤلؤ غلامه وأشار على الملك بالامهال وطلب العيار وهو تعجيله فى طلب الهاشمية ثم اشتغلوا الناس بذلك وسار أبو محمد وقد سأل عن دار خنانيص فعند ذلك أرشدوه إليها وصاح على من فى الدار فما خرج إليه أحد إلا أن كان الجارية الأفرنجية فقال لها أبو محمد اذهبي إلى دار الملك فقد وصل سيدك خنانيص فمضت الجارية وسألت عن سيدها ففى خروجها دخل أبو محمد إلى الدار وفتشها وما زال كذلك إلى أن وقع بالمطموره التى فيها الجارية الهاشمية فقدح الزناد وأوقد شمعة مضيه كانت معه فى جرمدانه ونزل إلى المطمورة وإذا هو بأم الطريق وهى تقول لا تعتمدى ألا على الملك الجبار الذى أوصل المسلمين الى هذه الديار فناداها أبو محمد البطال صدقتى ها قد أتاكى الفرج وهون عليكى المخرج (قال الراوى) ثم أنه فتح الباب الذى للمطموره وتقدم اليهما وفك القيود من أرجلهما وأزال الأغلال عنهما وعرفهما بالحال وأعلمهما بأن الملك قد عول على قتلهما ثم أنه قال وأنا قد خاطرت بروحى وأتيت اليكما لأعمل على خلاصكما من يد قناصكما ولكن ما ادرى اين اخبيكما حتى يفرغ الملك من ضروف الخمر واخرج ايضاً بالدواب وآخذكما واخفيكما واحمل كل واحدة على بغل ونخرج ان شاء الله تعالى فقالت له ام البطريق اعلم يا اخى ان لى اخت وهى راهبة فى زاوية البلد وقد علمت باسلامى وهجرتى وليس عندها أحدا فى صومعتها فهلم بنا إليها فان أنكرت أمرنا قتلناها وقعدنا مكانها إلى أن يسهل الله تعالى أمرنا ولو أقمنا شهراً كاملا والا أكثر ما عرف أحد مكاننا لانه مكان منقطع وفيه كلما نحتاج إليه وهو على غير طريق ولا هناك تعويق (قال الراوى) فعند ذلك خرج أبو محمد البطال وأخذهم معه وسار ومازالوا سائرين وهم على ذلك الحال إلى ان وصلوا إلى الصومعه فدقت أم البطريق على أختها باب الصومعه فلم أحد أجابها فعالج البطال الباب ومازال به إلى ان فتحه ودخلوا الصومعه وإذا بها واسعه فتأملوا مافيها فما وجدوا أحدا غير الراهبه وقد جافت وفاحت رائحتها لان الناس مشغولين عنها بما هم فيه من أمر المسلمين (قال الراوى) ولما رآها البطال وهى على تلك الحاله رماها فى جب كان هناك وقال سبحان من يدبر الأمور ويسهل كل محظور ثم انه ترك أم البطريق والهاشميه فى الصومعه وقال أى من دق عليكما لا تكلموه إلى أن أعود اليكما ثم انه تركهم فى الصومعه وعاد إلى الملك وكان فى تلك الساعه أفاق خنانتص وأمر الملك برواحه إلى داره وساروا به ورجعواهم وإياه وأعلموا الملك انهم ما رأوا أحداً وأمر بقتلهم كما وصفنا

وكان ذلك كله بتدبير أبو محمد البطال (وأماما كان) من المعتصم فانه لما ان عمل الابراج فانهم لم يفرغوا من عملهم حتى بنت الروم سورها الذى أمر به عقبه وهو من داخل السور فكان سورا كبير بمشورة عقبه (قال الراوى) وكان عقبه أيضا قد كتب إلى ارمانوس وإلى سائر الملوك وإلى البترك الكبير يوبخهم على نصرة دين النصرانيه ولما ان فرغ من الكتاب أنفده مع غلامه فأخذه وسار إلى ان وصل إلى الملك ارمانوس فى القسطنطونيه فدخل عليه وسلمه الكتاب ولما ان وصل الكتاب الى الملك ارمانوس فضه وقراه وعلم رموزه ومعناه فقال وحق المسيح الجليل لقد شبعنا من قتال المسلمين والشيخ النجيح مايبالى بأحد بل انه يريد يفنى الروم من أجل رجل واحد ولايدرى ان كان يحصل له أم لاوقالوا له الروم ووجوه البطارقه الصواب ايها الملك اننا نقعد فى هذه المره ولانتعرض لقتال المسلمين لانهم لم يتعرضوا لنا (قال الراوى) فهم كذلك اذ دخل عليهم البترك الكبير وقد كشف رأسه وأحرق أثوابه فلما ان رأوه وثب الملك وسائر الملوك اليه ووقفوا بين يديه على أقدامهم وجعلوا يقبلون يديه ورجليه ويقولون له ياأبونا بحق المسيح لاتفعل فقال لهم وكيف لاأفعل وقد رضيتم بالحياة الدنيا وضيعتم الآخره اذا كان خليفة المسلمين لأجل امرأة واحده قد فعل هذا الفعل المليح فكيف لاتغضبوا أنتم لأجل مائة ألف من الروم أو أكثر وقد قرب أيضا هلاكهم وهلاك ملكهم وضيقوا على عموريه وعلى أهلها المسلمين واذاهم فتحوها وملكوها مايبقى عليهم الافتح مدينة القسطنطونيه ويزول بعدها ملك الروم لأن الاطراف اذا ملكت ملكوا من بعدها البلاد ويبلغوا المسلمين منا المراد فقال له الملك ياأبونا وحق المسيح ماأبات غداة غدالا على ظاهر البلد بعدماأ كتب إلى سائر النصرانية حتى لايتخلف أحد عن قتال الملة الاسلاميه ثم انه فى عاجل الحال كتب الكتب وأنفذها إلى سائر الملوك ومابات تلك الليله إلا على ظاهر البلد (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأماما كان) من المعتصم فانه لما ان فرغت الابراج أقام فيها الرجال والنقابين وأمر بدفعها فدفعتها الرجال فصارت أخف من ريح الشمال هذا وقد اشتد القتال وتقدم الأمير عبد الوهاب وأمر فرسان بنى كلاب ان يطموا الخندق بالتراب والأحجار فامرت ساعة من النهار حتى طموه واتصلت الابراج بالاسوار وتقاتلت المسلمين والكفار وهما قسطل الغبار بالصياح وارتفع العجاج وزاد الحرب بينهم والهياج وتقطعت النحور والاوداج وكثرة الارتجاج وسال الليل الداج وزمجر البطل وهاج وهدر البطل المناصل الرهاج وعملت فى السور عند ذلك النقابين بالمعاول وجعلت السودان تنحت التراب بمخاليب مثل الأسود وتقلع بقوة ساعدها

الصخور والجلاميد ويرموها بعيدا عن المجـــاز (قال الراوى) هذا وقد دام الصدام والقتال سبعة أيام عندها قال لقمان الغلام أجير الحداد ردوا الابراج ياكرام إلى مكانها وأقيموها الى أركانها باهتمام حتى ننظرها ماكان من النقـابين الـكرام ففعلوا ماأمرهم به من الاكرام والاحكام فرآها المعتصم على حالهـــا لم يتغير شيئا عليها من شأنها فقال له يالقمان أراك ماعملت شيئا فقال له ياأمير المؤمنين مابقيت الابراج الاخاويه على عروشها وما ماسكها الا الدعائم التى تحتها وتعاليق الخشب تزحف الابراج وترمى الزراقين بقوارير النفط والنـار وترتج الأرض فتحرق التعـاليق وتقع الاسوار ففرح المعتصم وقال والله يالقمان بانت حكمتـك على حكمة لقمان الحـكيم وقد اخذت من حكمتـه نصيب ولك على عشرة آلاف دينـار وخلعة سنيه ان خلصت الهاشميـه (قال الراوى) هذا وقد تقدمت السودان وبين يديهـا الرماه بالنيران فما زالت ترمى حتى وصلت الى الاخشـاب وعملت النيران وعادت بعدها السودان وتركت النار تاعب فى الجدران فقال عند ذلك لقمان ياأمير المؤمنين مر سـائر العسكران تركض حول البلد بالخيـل غاية الركض حتى ترتج الارض فعندهـا أمر الخليفـه ان تركب سائر الرجال ففعلوا ذلك وقد ركبوا سائر المسلمين على الخيل الجياد وركضوا من حول الاسوار وإذا بالأسوار قد وقعت فدقت الـكوسات وصاحت أيضا الطوائف التى للروم ودقت كؤساتها وتعرف بدقاتها ساعة ولما انـكشف الدخان وبطل لهيب النيران واذا قد ظهر من خلف الاسوار سور تانى وهو أعلا من الاول وهو مبنى بالاحجار الـكبار وعليه الرجال من الروم الانذال وفى أيديهم السيوف الصقـال (قال الراوى) فلما ان رأى المعتصم الى ذلك عظم عليه فقال لقمان والله ياأمير المؤمنين ماعملوا هذا السور الثانى الا فى هذه الايام ولاشـك ان بعض الجواسيس مضى اليهم من عندنا وكشف أحوالنا وأطلعهم على أمورنا والا ماكانوا علموا بهذه الاحوال ولاهذه الفعـال التى دبرناها وعملوا هذه المـكيده وظنوا انها لهم حميده ولو عملوا عشرة أسوار هدمتها بقدرة العزيز الجبار مدبر الليـل والنهار (قال الراوى) هذا وقد اشتغل قلب المعتصم بالنار لتلك الامور والاخبار وقال لله الامر فهو يحكم فى خلقه بمايريد ومايختـار فقال له لقـمان أجير الحداد ياأمير المؤمنين لاتشغل بهذا الامر خاطرك واعلم ان هذه الاشياء ماتمنعنا عن مرادنا وكما اننا فعلنا بالسور الاول نفعل بالسور الثانى وان عملوا آخر أخر بناه ولم نزل بهم كذلك حتى نضيق بهم البلد ونوقع بهم المهالك فقـال المعتصم هذا أمر يطول وقلبى بالجاريه الهاشميه مشغول لانى ماأدرى ماكان منها وأخاف ان أسأل فى الآخره عنها وانى ماتوانيت فى خدمتها (قال الراوى) هذا وقد فاضت عيناه بالدموع وأمر ان تدفع

الابراج الى الاسوار ثانى مرةففعلوا ذلك وتراشقوا بالنبال وقد اشتد بينهم القتال وعمل الحسام الفصال وزادت بينهم الاهوال ومالت الرجال على الرجال واقتحمت الابطال وصارت كانها فى المجال وتأخر الجبان وتقدم الشجاع وطيرت الرؤس بشدة الباع وصمت عند ذلك الاسماع وزادت الاطماع (قال الراوى) فبينماهم على ذلك الامتناع واذاهم بسهم قد وقع من أعلا السور فى رأسه كتاب فأخذوه السودان الانجاب وأنوابه الى الامير عبد الوهاب ولما ان رآه الامير عرفه فى عاجل الحال وقد علم انه من عند الامير أبو محمد البطال ففتحه وقرأه واذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد أيها الامير لا يصعب عليكم بنيان هذا السور واعلم ان ما كان سبب بناءه الاعقبه لانه كتب كتاب الى الملك مرطاووس يأمره فيه بقتل الجاريه الهاشميه ولولم أكن فى البلد كانت هلكت وأيضا كان عقبه يبلغ غرضه من قتلها ويكسر غرض أمير المؤمنين واعلم انى انا خلصتها بعون رب العالمين واخفيتها فى بعض اماكن البلد وأرجو لها الستر من الواحد الاحد الفرد الصمد لانها لو وقعت فى يد الكلب مرطاووس لما كان يشرب عليها الماء بل كان يقتلها لاجل كتاب عقبه ووالله هذه الجارية لقد فاقت على سائر المتعبدات من اهل زمانها ولقد نظر امير المؤمنين موضع النظر ولكن سوف ادبر شيء ما يهتدى اليه أحد من البشر ويكون سببا لفتح هذا البلد ان شاء الله تعالى وفى غداة غد ارمى اليكم سهم وفيه كتاب واعملوا ما فيه واياكم ثم اياكم ان يطلع عقبه على هذا الكتاب فيعمل على هلاكنا بسبب من الاسباب ويحذر الملك منى ويعلمه بأمرى والسلام (قال الراوى) ولما ان وقف الامير عبد الوهاب على ما فى الكتاب من الكلام فرح فرحا عظيما لاجل خلاص الهاشمية نسل القوم الكرام وقال لعن الله عقبه فلقد بالغ فى شره وكفره واتبع الحرام ثم ان الامير عبد الوهاب اجتمع بالاميرة ذات الهمه وقد حدثها بما جرى من الاحكام فقالت والله لقد حسبت هذا الحساب ولولا عقبة لكنا ملكنا البلد بتدبير الغلام لقمان وكنا رجعنا الى ديارنا والبلاد ولكن لااعتراض على رب العباد فانه يفعل فى خلقه ماأراد (قال الراوى) هذا وقد قاتلوا المسلمين بطول ذلك النهار الى أن أظلم الوقت واتى الاعتكار ورجعت كل طائفة الى مقامها وأوت المسلمين الى خيامها عندها سار الامير عبد الوهاب طالب سرادق الخليفة وما زال الى ان وصل اليه وقد وقد اوقف غلمانه على باب السرادق ودخل على الخليفة بعد ما استأذن عليه واخذ منه الإذن ولما ان صار قدامه باس الارض وسأله أن يكون حارس له فى تلك الليلة فأذن له فى ذلك فعندها خرج الامير الى اصحابه الذين هم مقيمين على حصار سور البلدفبينما الامير

دائر واذا هم بسهم قد وقع من السور وفيه كتاب وعلى عنوانه يسلم الى الاميرعبدالوهاب ليقف عليه ويعمل بما فيه والسلام وهذا آخر الكلام (قال الراوى) ولما أن رأى السهم وفيه الكتاب فضه وقرأه ولما أن علم معناه وما فيه من الكلام فرح فرحا شديداً وزاد فى الابتسام فقالت له الاميرة وما الذى فى هذا الكتاب يا ولدى فقال لها ما أعلمك بهذا الشأن حتى تريه عيان ان شاء الله تعالى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وما كان منهم (وأما ما كان) من النقابين فإنهم جاءوا الى أمير المؤمنين وأعلموه أنهم نقبوا فى يومهم أعظم من اليوم الاول فقال ما اخوفنى ان يكونوا عملوا سور ثالث ثم انه بات تلك الليلة ضيق الصدر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم (واما ما كان) من الامير ابو محمد البطال فإنه اقبل على الملك مرطاووس وقال له اعلم ايها الملك ان الرئيس استاذى الذى فى الضيعة قلقان قلق زائد لأن عنده احمال كثيرة من الخمر وهو يريد أن يحصلها عندك من قبل أن يحصل حادث يمنع من الوصول اليك وعنده أيضاً زيت كثير وزبيب ودجاج وعنده علوفات كثيرة وخنانيص وهو خائف من عسكر المسلمين أن يبلغ اليه الخبر فيأتوا اليه ويأخذوا جميع ذلك وقد قال لى أستاذى قل أيضا للملك واستأذنه فى رجال السودان الذين هم عندنا كانهم الجواميس ان كان يحتاج إلى أحد منهم فيحضروا بين يديه مع ما عنده من الأحمال يساعدوه على نقل الأحمال وعمارة الأسوار فقال له الملك هذا الأمر ما يحتاج الى مشورة ولكن عجل أيها البطريق بما ذكرت فما كان أبرك من مشورتك وأسعد طالعتك ولكن احرص أن تكون عندنا ليلة غد ولا تأتى الا ويكون معك الرجال الأقوياء الشداد ويكون معهم كل المحمول من الزيت والخمر والعسل فقال البطال السمع والطاعة أيها الملك واعلم أن أقل ما أجيب معى ثلثمائة جمل عسل وزيت وخمر وخنانيص وعلوفات ومعى كل واحد من هؤلاء الفلاحين يصلح للقاء العسكر الا أن مالهم خبرة بركوب الخيل بل انهم يصلحون للرمى بالاحجار وجر حبال المنجنيق فقال له الملك بارك المسيح فيك وفيهم وحق المسيح ما تصلح إلا أن تكون وزيراً فما اسمك أيها البطريق فقال البطال أنا اسمى خادوعس (قال الراوى) فضحك الملك وقال وحق المسيح ما سمعت قط مثل هذا الإسم فى الروم الا أن كان فى هذه الساعة فقال أبو محمد يامولاى أهل السواد يسمون مثل هذا الإسم كثير فضحك الملك وقال أخرج يا خادوعس فى هذه الليلة وليلة غد تكون عندنا وتكون الرجال الذين ذكرت معك حتى تطمئن عند ذلك قلوبنا وأيضا يكون قدومك نصف الليل وان قدرت على خمسمائة من تلك الرجال الذين ذكرت هات معك فقال

البطال سمعاً وطاعة ثم خرج هو ولؤلؤ وقد أخذوا معهم الضروف التي كان فيهم الخز فلما أن صاروا من ظاهر البلد قال الامير أبو محمد البطال لغلامه لؤلؤ اذهب يا ولدى الى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة ولا تدخل اليهما الا سراً ثم أعلمهما أنى لم أدخل الى العسكر خوفا لا يطلع على حالى عقبة فيرسل الى الملك ويبطل على كل ما أعمل لأنى فى هذه الأيام كلها قد أوهمته بغيبتى وقد نسينى وأخاف أن يفتكرنى فقال لؤلؤ يا مولاى أمضى اليهم وأعمل ما تشتهى وماتريد ثم عاد اليهم ودعاهما فتبادروا اليه وقالوا ما الخبر فقال الخير والسلامة وسوف أفتح لكم البلد بقدرة الفرد الصمد ثم أعلمهم بما دبر ففرح الامير عبد الوهاب وقال وقال أيها الامير لقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل فقل لنا ما تريد أن تعمل حتى نمتثله ولعل الله تعالى أن يفتح البلد على أيدينا ولا تفتح على يد غيرنا وتشمت بنى سليم بنا ويقولوا ما كان السبب فى فتح البلد الا غلام الحداد ويقول الخليفة ما قصر لقمان ونحن ما يحسب لنا حساب فقال البطال أن هذه الاشياء تريد رجال وأشغال ولو عاش لقمان الأكبر احتاج الى ابو محمد البطال الأزرق العينين الاشقر فارجع أيها الامير الى العسكر واجمع الف بغل وحمار ذكر واجعل على كل بغل عدلين واترك فى كل عدل أسود ويكون معه سيف مهند ويكون وراء كل حمل رجل من بنى كلاب وعليه فروه مقلوبه مغطى الحمل وسيفه معه وأيضا تكون أنت والأميرة فى الألف رجل ويكونوا أبطال شجعان اقيالى كل واحد منهم يلقى الف رجل من الأبطال ومعهم الدرق والسيوف الصقال الا ان كل واحد منهم يكون معه سيفين ودرقتين بقدر ما ندخل ويعطوها لأصحاب الاعدال واريد يكونوا هنا ليلة ثلث الليل الاول فعندها طار قلب الامير من الفرح واتسع صدره وانشرح وكذلك الاميرة اعجبها ذلك القول وقالت والله يا ابى محمد ما سبقك احد الى هذه الحيلة ولا بد مايتحدثون بها أهل الرتب وتكون أعجوبة من العجب فقال لؤلؤ أيتها الاميرة واسمه أعجب من الحيلة فقالت له الاميره ما اسمه بحياتى فقال اسأليه فهو يخبرك فقالت له بذمة العرب ما يكون اسمك عند الروم فى هذه النوبه فقال ما هو وقته وان اخبرتك به ذهبت حلاوته فكررت عليه الكلام فقال اسمى خادوعس فضحكت الاميرة وقالت ان الله غطى على بصائرهم واذهب اذهانهم والا فهذا الإسم مكشوف فقال ابو محمد البطال انا رب الخداع وهو رأس مالى (قال الراوى) هذا وقد رجع الامير والاميرة ذات الهمه من عند الأمير أبو محمد البطال إلى ان دخلوا الى عسكرهم وأقاموا إلى الصباح فعند ذلك أمر الأمير عبد الوهاب بجمع البغال والحمير فسألوه عن ذلك فقال لهم اعلموا انني اريد

أنفذهما إلى الرستاق تجيب لنـــا علوفات (قال الراوى) فاجتمعت الدواب وانتخبت الأميره من السودان ألفى فارس اسود ولمـا ان كان فى وقت الليل طرحوهما فى الاعدال فقالوا له ماالذى تفعل بنا أيها الامير فقال لهم أنتم الليله ضروف العسل وفى غداة تبلغون الامل لانكم سباع الاسل فلما ان سمعوا السودان من الامير عبد الوهاب فرحوا الفرح الشديد هذا وقد ادعى الامير عبد الوهـاب بعـد ذلك بألف من بنى كلاب الذين هم فى الحروب مجربه وألبسوا الفراوى المقلبه تركهم فى أوساط الجمال وسيوفهم ودرقهم معهم تحت لباسهم فقالوا له أيها الامير ماالذى عولت ان تفعل أبعد الله شرك فقـال لهم أنتم الليله أحمال وفى غداة غد أحمال وأبطال وأقيـال (قال الراوى) ثم ان الامير لف فى رجليه طرماخ وجوارب ولفـائف وتزيابزى الاكراد فى زمن البرد ولبس على جسده ملوطة سوداء وأيضاً قلنسوة حمراء وعملت الاميره مثل فعاله وكانـــ أحسن من تشدد وتحزم ولمـا ان رأت الرجال إلى فعاهم عملوا مثاهم فعند ذلك قال الامير عبد الوهاب هذه النوبه مانخفيهـا عن أمير المؤمنين وامام المسلمين فربمـا انه يعتب علينا ونريد ان يدخل معنا الى البلد لانه والله فارس الحرب وليث الطعن والضرب فقالت الاميره ماهذا صواب ان نخاطر بأمير المؤمنين وندخل به الى بلاد الـكافرين فقال الامير له اسوة بنـا (قال الراوى) ثم ان الامير دخل على الخليفـه المعتصم وهو بتلك الهيئة التى ذكرناها فوجد عقبه عنده وهو يقول يامولانا اعلم ان هذه عموريه بلد حصينة وأنا أعلم أننا لو أقمنا عليها عشرين عام ماقدرنا عليها ولا كان لنـا وصول اليها ولـكن لا يصعب عليـك كلامى فانفذ الى هذا الملعون من طاووس الـكلب المنحوس واطلب منه هذه الجاريه الهاشميـه فان كانت بالحياه فهو تسلمها اليـكم وان كانت عدمت فارحل ياأمير المؤمنين بالناس من هذا البرد الذى قد قتل أكثرهم واعلم ان الجاريه ان ماتت أوجرى عليها أمر من الامور فلا تجتهد فى طلب معدوم هذا والمعتصم يقول والله لو أقمت عليهـــا حتى يشيب الغراب ماأرحل عنها حتى انى أفتحها ان شاء الله تعـالى وسوف ترى من فضل الله الملك الوهاب مالم يكن فى الحساب (قال الراوى) فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم الامير عبد الوهاب وقد سمع كلام عقبه المرتاب الملعون الـكذاب هذا ولمـا ان دخل الامير فقال له يا أمير المؤمنين لا يصعب عليك واعلم ان الله سبحانه وتعالى فتح عموريه رغما عن أنف الـكافرين المارقين فقال له عقبه أحسنت ياعبد الوهاب لم تزل بحمد الله مبشراً بالخيرات ومحلل الامور المشكلات فقال الامير عبد الوهاب أنا أعرفك ياقاضى انك تحب المجـــاهدين والجهاد واعلم ان هذه الليله من بعض لياليك التى بحسن مساعيك ولابد ماتصحبنا فى هذه

الليلة إن شـــاء الله تعالى لأننا ما يمكننا أن نتعب خليفتنا وأنت مستريح فقال المعتصم فايش الذى جرى أيها الأمير فأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها هذا وعقبه يسمع كلامه وقلبه يتقطع وأحشـــاؤه تتصدع وكادت مرارته أن تنفطر فقال المعتصم والله ما أكون إلا معكم فقال الأمير عبد الوهاب والله ما نفعل هذا إلا بشرط وهو أن يكون القاضى عقبه معنا حتى تشملنا بركاته ثم أنه قال له قم وقد شدد عليه (قال الراوى) فعند ذلك قام عقبه وقلبه يرجف وخاف على عموريه أن تخرب إلا أنه بقى بين المصدق والمكذب وهو تارة يقول فى نفسه ما هذا صحيح هيهات هيهات أن يقدر أحد على أخذ عموريه ثم أن الملعون طلب أن يمضى إلى خيمته يلبس مثل ثيـــابهم فقال الأمير أننا ما ندرى ما يجرى لنا بعد مضيك إلى خيمتك فعلم عقبه معنى كلام الأمير فبقى حائر فى أمره مرتبك فى سره ما يعلم كيف يمضى إلى خيمته حتى أنه ينفذ إلى الملك ويبطل الحيلة ثم أن الأمير عبد الوهاب أتى له بطرماخ ولفائف وملوطة وقال له خذ ما تحتاج إليه ولا تتعب وتمضى إلى خيمتك وربما أنك ما تلقى عنـــدك من يأتى لك بمثلهم فضحك المعتصم ثم خرجوا من السرادق وتموا سائرين إلى العسكر وإذا بالدواب فنظروا إليها وإذا فى أوائلها لؤلؤ وأبو محمد البطال وكلها محملة إلا أنه ما يدرى ما حملوها فبهت إليها وجعل يدبر فكرة فيها ويجتهد أن يعلم ما فى الحمول فلم يقع على أمر من الأمور وقد تعجب فى هذه الحيلة وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته وبليته وقال والله لقد أنكرت غيبة البطال الشيطان وما كانت إلا لهذا الشأن وحق المسيح ما مر على مثل هذه النوبة وعلم الملعون وتحقق أن ما عملها غيره فأكل كفيه ندامه الذى لم يحذر الملك مرطاووس من البطال هذا والأمير عبد الوهاب تقدم وقال للبطال يا أمير تقدم وسلم على أمير المؤمنين وهـــذا صديقك عقبه الشيخ الصالح معنا فعندها تقدم البطال وقبل الأرض بين يدى الخليفة وقال يا مولانا أريد أكون المؤمر على المجاهدين لأكون نائباً عن أمير المؤمنين فقال المعتصم يا أبا محمد أنت العدة والعمدة لكل شدة وقال للقاضى مرحباً يا قاضى الليلة مباركة بحضورك وقد وجب عليك نصحك للإسلام ففرح الخليفة بمدح أبو محمد البطال لعقبه شيخ الضلال وقال ما ينكر القاضى محبتك فقال البطال أنا أعلم أنه ما جاء معكم بإرادته ولا باختياره ولكن قد قال القـــائل الضرورات تبيح المحذورات ولقد رأيت الصواب فى مجيئه معكم لأنكم قد حقنتم دماءنا ودماءكم فضحك المعتصم من ذلك وقال خابينا يا أبا محمد ما هذا وقت مزاح فقال عقبه دعه يا مولانا فهو ولدى على كل حال وتلميذى يا أمير المؤمنين من يعمل على مثل هذه البلد الحصينة المسماة

بعموريه ما يكون إلا أوحد البرية هذا وقد تقصف عليهم الليل وكان الملك مرطاوس قد أمر الحرس أنه إذا جاء خادوعس يفتحون إليه البـــاب من غير استئـذان (قال الراوى) وكان الملعون عقبه كتب قبل ذلك إلى الملك مرطاووس يقول يجب الآن عليك أن تأمر اثنين من الروم يخاطرون بأنفسهم ويخرجون أيضاً فى الليل ويضربون هذا البرج بالنار فانها تعمل من داخله ولا يرجعون يعملون غيره ثم أن الملعون بقى حائر فيمن يوصل الكتاب للملك مرطاووس (قال) فبينما هو فى حيرته إذ وجد غلام أرمنى على بعض الخيام وهو مأسور عند بعض الأتراك فقال له عقبه هب لى هذا الغلام وأخذه عقبه وأتى به إلى خيمته وقال أريد منك أن تسير فى هذه الليلة بهذا الكتاب إلى الملك مرطاووس فقال الغلام كيف الوصول إليه فى هذه الليلة فقال عقبه إذا وصلت إلى السور نادى بالحراس يفتحوا لك الباب فان لم يفتحوا لك الباب يدلوا لك الحبال فشدهم فى وسطك واصعد إليهم وقل أوصلونى إلى الملك مرطاووس لأن معى كتاب فقال الغلام سمعاً وطاعة (قال) ثم أنه أخذ الكتاب وسار وقد تنصف الليل فبالاتفاق العجيب والأمر المطرب الغريب التقى بالمسلمين وهم سائرين فقال لهم من تكونوا فقالوا نحن معنا أحمال خمر ونحن سائرين إلى الملك مرطاووس ففرح الغـــلام الأرمنى وقال فى نفسه الساعة يفتحوا لهم الباب وأدخل فى جملتهم فقال البطال وإلى أين أنت ماضى فربمـا أن تكون جاسوس للمسلمين فقال الغلام لا وحق المسيح إنما كنت فى خيام المســلمين وخلصنى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وقد أعطانى كتاب إلى الملك مرطاووس وأنا ما أعلم ما فيه (قال) ففرح البطال فرحا شديداً وتقدم إلى الأرمنى وقال هات الكتاب فهذا حاجب الملك وقد أشار إلى الخليفة بيده فأعطاه الأرمنى الكتاب فقال البطال يا مولانا احفظ هذا الكتاب ولا يقرأه عليك إلا عقبه ربمـــا يكون خطه خط عفص فما يقرأه أحداً غيره هذا وقد وصلوا إلى باب البلد وقد صاح أبو محمد بالحراس فقالوا له من تكون فقال أنا خادوعس فقالوا له أهلا وسهلا يا خدوعش وحق المسيح ما نصدق بوصولك جبت الأحمال والرجال الذى أوصى بهم الملك فقال نعم جبت كل من فى القرية وشيوخها ورؤسائها وفتيانها هـــذا كله يجرى وعقبه ينظر للحراس وقد نزلوا وفتحوا الباب وهم فراحاً به وهم ينادون أهلا وسهلا يا خدوعس فقال عقبه فى نفسه لاستر الله على ذلك الشيطان والله أن هذا الاسم واقع به ولا بد أنه الليلة يخرب بيت مرطاووس ويقطعون رأســـه مع جملة الرءوس (قال) ثم أنهم دخلوا البلد وقد انفطرت مرارته ودمعت عينه الصحيحة فنظر اليه أبو محمد وهو على تلك الحالة فقال له

ما بال الشيخ تجرى دموعه هـــذا كله فزعا على عموريه فقال يا ولدى سروراً على نصرة المسلمين على الروم الملاعين أجريت دموعى كما قال الشاعر حيث يقول :

غلبت السرور على حتى أننى　　　من عظم ماقد سرنى أبكانى
ياعين قد صار البكالك عادة　　　تبكين من فرح ومن أحزان

فقال أبو محمد يامن هو بنصرة المسلمين راضى أنا أسألك أن تكثر له من هذا الفرح معنا فى هذه الليلة ولما أن صاروا من داخل الحراس فقال أبو محمد البطال اعطوا هؤلاء قليلا من هذا الزيت والعسل وأطعموهم من هذا العسل (قال) فجعلوا الحراس يدعون وعقبه يحرك رأسه ويقول أخرب الله بيوتكم لا تأخذوه الا مصفى والساعة يخرجوا السودان ويجعلوكم رءوس بلا أبدان هذا والبطال سار قاصداً الى الملك مرطاووس الى أن دخل عليه وصار بين يديه وقال يا مولاى ائذن لى ادخل عليك الرجال فقال ادخلهم بارك المسيح فيك وعليك فرجع البطال وقد فك الأعدال واخرج منها الرجال ودخل على الملك برجال كأنهم من الجبال العوال فقال الملك يا خدوعس لقد صدقت فى وصفك لهؤلاء الرجال وهم يصلحون لنقل الصخور والأحجار الثقال (قال الراوى) هنالك تقدم اليه الامير الكبير والسيد الخطير الاسد الوثاب الامير عبد الوهاب وقال وحق الملك التواب لقد صدقت فى هذا الخطاب ولكن فى غير هذه الديار ثم وثب صار معه على السرير واقتنصه اقتناص الباشق لاضعف العصافير وقد وقع السيف بعد ذلك فى الكبير وفى الصغير (قال) واما لؤلؤ فانه حط حمل واخرج منه الامير ملابط البغال وهو كأنه جمل حل من الاعتقال (قال الراوى) الى هذه الأقوال ان كان بعض الحراس قائماً وفى يده قصعة يريد ان يأخذ فيها عسل فلكمه ملابط البغال على وجهه فهشم انفه وكان ذلك سبب حتفه فقال له عقبه ذوقه هـــل هو طيب ام لا فقال بعض الحراس اشربه يا قرنان فوحق المسيح انه عسل مليح وهو من راس الضرف ثم انه انهزم وطاب النجاة هذا وقد حات السودان جميعها ومالت على الحراس وقطعوا منهم الانفاس وقد صاروا مثلا بين الناس وجعلوا ينثرون الرءوس والاضراس وطلبوا الخلاص هـذا والحسام يعمل فى تلك الاجناس وما تركوا لهم مناص وصاروا كل من لحقوه ارموا منه الراس (قال الراوى) هذا وقد ملكوا مفاتيح البلد ووقعت الوقعة وثار الصياح فى القلعة فعند ذلك قام القاعد واستيقظ الراقد هذا وقد عملت السيوف فى الرقاب ونزل على الاعداء البلاء والعذاب وصاح بعض الحراس وكان من جملة الاوباش الارجاس وقال وحق المسيح ان هذه الاحمال كلها التى اتوا مع القوم كلها اكياس

(قال الراوى) هذا وأبو محمد البطال لم يكن دأب الا انه أخذ جماعة وفتح باب البلد ونادى من داخلها بالتهليل أيضا والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وسلم فعند ذلك تصايحت بنى كلاب هم والسودان الانجاب هذا ولما ان رأت العساكر باب البلد قدفتح والتهليل منهقد سمع وثبوا مثل الذئاب وأخذوا سيوفهم وحجفهم وساروا نحو البلد (قال الراوى) فما كانت الاساعه حتى صاروا إلى البلد وتبعتهم سائر الاصحاب ومازالوا يتسابقوا إلى ان صار فى البلد مقدار مائة ألف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم هذا والسيف يعمل فى أهل البلد وأتت الاجناد وقد ضربوهم بالصفاح إلى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فقتلوا من الروم خلق كثير هذا ولما ان رأت الروم إلى ما حل بهم من الذل والهوان صاحوا الامان الامان (قال الراوى) لهذه المقالات هذا ولم يكن للمعتصم شغل الا انه طلب الجاريه الهاشميه وقال له ياأبو محمد ائتنى الساعه بها فقال سمعا وطاعه ثم انه أعلمه بمكانها فقال عند ذلك المعتصم أنا أسير بنفسى اليهافعند ذلك تقدم الأمير أبو محمد البطال وسار وقد سار الخليفه من خلفه إلى ان وصلوا إلى تلك الصومعه فدخل البطال إلى الجارية هذا والمعتصم قد داخلته الحميه الإسلاميه ولما ان تقدم البطال إلى الجاريه الهاشميه فقال لها يازينب فقالت له لبيك فقال لها ارفعى صوتك ونادى وامعتصماه فعند ذلك رفعت صوتها ثم نادت وامعتصماه فأجابها المعتصم وقال لها لبيك لبيك هاأنا قد سمعت ندائك وبادرت إلى خلاصك من أعدائك (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما ان سمعت الهاشميه كلام أمير المؤمنين وقعت إلى الأرض من شدة الفرح وكذلك المعتصم أخذه الزمع وغاب وقد وقع مغشيا عليه من ساعته ثم انه بعد ساعه أفاق وقد جرت دموعه من الآماق وكذلك غشى على الاميره ذات الهمه وولدها الأمير عبد الوهاب هذا وعقبه قد خرق ثيابه وعلا بكاه وانتحابه ورفع صوته وقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا) فلما ان سمع أبو محمد ذلك الكلام قال صدق الله العظيم وصدق رسوله النبي الكريم هذاكلام الله وهذا صوت طيب منجوف خبيث ولكن لعنك الله ياعقبه يانحس (قال الراوى) فلما ان سمع عقبه من البطال ذلك الكلام ضحك ضحكا عاليا لكنه ضحك الخجل وقال له اسكت الساعه ياأبو محمد فما هذا وقت مزاح ومولانا أمير المؤمنين فى هذا الاستماع فقال له ابو محمد وحق الرحمن مارأت عينى أبلط منك ياابن القرنان ولاأجلد على العقوبه والهوان (قال الراوى) ولما ان أفاق المعتصم أحسن الى الجاريه غاية الاحسان وأخلع عليها ثياب حسان وقد أوهبها الأموال وقال هذه الجاريه أريدها أن تكون قهرمانه فى دارى فقالت الجاريه وقدقبلت الأرض

بين يديه اعلم يا أمير المؤمنين ان دارك وحرمك مثل حرمى ولكن قد نذرت لله نذرا متى ماخلصنى ربى من هذه الشده التى كنت فيها أن أقيم مجاوره فى مكه طول عمرى إلى ان أموت فقالت أم البطريق وأنا كذلك يا أمير المؤمنين فتعجب المعتصم من كلامهما وقال ذلك اليكما وعلى الكسوه والنفقه وجميع ماتحتاجون (قال الراوى) هذا كله يجرى والنهب عمال فى البلد وقد جمعوا منها أموال وأسلاب وقلعوا من عموريه الأبواب وكانوا قد أعجبوا الخليفه وكان قد وصى بقلعها لما ان أعجبوه وقال مثل هؤلاء لايكونوا إلا فى دارالسلام ببغداد هذا ولما ان قلعوا قال المعتصم كيف نعمل الساعه بهذه الابواب حتى يوصلوا إلى بغداد فقال لقمان الغلام أجير الحداد اعلم يا أمير المؤمنين ان هذه الابواب يعمل لها بكر ويركب عليها عجل وتحمل هذه الأبواب إلى الفرات وتحمل فى الزوارق الكبار إلى بغداد ثم تعمل من تحتها أطواق الظروف (قال الراوى) ان كانت هذه الأبواب لهـا ثلاث مصارع أزواج مارأى أحداً أحسن منها ولا من صنعتها ولا شاهدوا مثلها أبدا ولا عمل شكلها فى بلاد الروم ولا فى بلاد الاسلام هذا وقد عمل لها عجل على بكر وحملت عليها وسيرها المعتصم مع جماعه إلى الفرات وسيرت مع الملاحين وأما المصاريع الكبار فانها غرقت فى الفرات وأما المصاريع الآخرين فانها ركبت على باب الرقه والزوج الثالث فانه ركب على باب العامه ببغداد وهى إلى يومنا هذا (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ماكان) من المعتصم فانه لما ان سير الابواب وعول بعدها على الارتحال والذهاب قال له أبو محمد البطال يا أمير المؤمنين قبل أن ترحل تنظر فى الكتاب الذى أخذته من الغلام فى الطريق فقال له الخليفه والله لقد ذكرتنى به ثم انه أخرج الكتاب من عمامته ونظر اليه وإذا هو بخط عقبه فقال الخليفه هذا والله خطه لامحاله فعند ذلك أمر باحضار عقبه فى عاجل الحال فلما ان حضر ناوله الكتاب المعتصم فأخذه منه ولما ان أخذه منه فتحه ورأى مافيه من الخطاب التفت إلى المعتصم وقال له يا أمير المؤمنين من عمل على مثل عموريه هذه الأعمال وخبا السودان فى الاعدال الذى كل واحد منهم مثل الجاموس وفعل فعلا يعجز عنه بطليموس وهرمس وجالينوس مايقدر يتفرغ لى أنا ساعه من النهار ويعمل عملا تحير فيه الافكار يامولانا ان ولدى الأمير عبد الوهاب يقول والله ماندخل البلد الا وعقبه معنا حتى نتبرك بطلعته وتشملنا بركته فكيف تدع يا أمير المؤمنين شهادة الامير عبد الوهاب وأمير بنى كلاب ومقدم جميع السودان الانجاب وتسمع من هذا الشيطان الكذاب الذى زور على هذا الكتاب وأنت تعلم انه لو أراد ان يزور على خط كل من فى الدنيا الفعل ويكون ذلك عليه من

أيسر العمل (قال الراوى) فلما ان سمع المعتصم من عقبه ذلك المقال انقلا عليه المحال ودخل عليه زخرف المقال وعلى سائر الحاضرين ممن لا يعرف ماعليه عقبه ولا يعلم بكفره ونفاقه فقال المعتصم نحن مانقطع عليك إلا بشهادة الأمير عبد الوهاب ثم ان المعتصم ضحك فى وجه الأمير عبد الوهاب وفى وجه أبو محمد البطال وقد ظن الخليفه ان ذلك من مكره لأجل مابينه وبين عقبه من العداوه ودخات النوبه وتغطى بياض حق أبو محمد بنفاق عقبه وسواده وزوره ومحاله وبهتانه وضلاله (قال الراوى) هذا وقد جمعت الأموال والغنائم وعولوا المسلمين على الارتحال والعوده إلى الديار والاطلال وقد خرجوا من عموريه وأمر المعتصم بهدمها فهدموا أسوارها وحصاراتها وقصورها وسائر أماكنها وتركوها قفراً خراب وساروا بعد ذلك طالبين بلاد الإيمان وما زالوا سائرين إلى أن أشرفوا على مرج الأقحوان واذا بالملك ارمانوس نازل فى ذلك المكان وقد ملأت عساكره البرارى والقيعان وهو منتظر عساكر الايمان (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء أرمانوس من القسطنطينية وركوبه كان عقبه لما أنفذ اليه الكتب ودخل عليه البطرك وأمره ايضا بالمسير هنالك جمع عند ذلك عساكره وسار طالب عساكر المسلمين على عمورية لأنه كان انفد من يكشف له الأخبار فساروا الجواسيس وعادوا اليه واعلموه بفتح عموريه فلما ان سمع بذلك الخبر صعب ايضا عليه وكبر لديه وكذلك جميع اهل ملة الصلبان فسار عند سماع هذه الأخبار بهذه العساكر العظيمة ليلتقى عساكر الإسلام وما زال عمال الى ان نزل فى هذا المكان واشرفت عليه عساكر الإيمان وجند الرحمن فعند ذلك حملوا جميعهم من غير راحة هذا وقد التقى الجمعان واقتتل العسكران وطارت الرؤوس عن الأبدان وفتحت ابواب الجنة فى ذلك المكان للمسلمين الأبرار اهل الأيمان هذا وقد صاح الأمير عبد الوهاب فى اصحابه الفرسان وذكر اسماء بنى كلاب الشجعان وقال لهم يا بنى عمى افعلوا مثل فعلى واصدقوا فى الضرب والطعان فعندها حملوا والى الحرب اقتحموا (قال الراوى) ثم ان الأمير بعد ذلك نادى بالسودان الأنجاب وقال يا آل حام يا آل حام يالون الظلام اشفوا الصدور بضرب الحسام وافنوا الكفرة اللئام واربحوا الثواب من الملك العلام ثم ان الأمير جعل يخترق المواكب وينكس الرجال على المناكب ويصيح ويقول هذا فى طاعة رب المشارق والمغارب وفى رضا رسول الله ﷺ سيد الأعاجم والاعارب هذا وقد فعلت الأميرة ذات الهمة مثل فعاله واشد من اعماله عند ذلك طاب الجولان وصاح ابو الموت فى طائفة السودان وكشف رأسه فكشفت السودان عند ذلك رؤوسهم وقد طابت نفوسهم وقدحت النار

من عيونهم وقد حملوا على عباد الصلبان فارتعدت منهم الأبدان وتغيرت الألوان وهبت رياح النصر على أهل الإيمان وطلعت طلائع السوء على أهل الكفر والطغيان وطارت عليهم طيـــور الرزايات وحامت عليهم أيضا عقبان المنايات ونزفت الدماء من الأجساد مثل أفواه القرب مع الروايات وأضحت الأجسام من لباس الحياة عاريات وعوى عليهم ذئب الفلا فأصبحوا كأنهم ضحايات وتعست أهـــل الأباطيل والزور وقد زاد من الكفار العوى (قال الراوى) ولم يزال السيف يعمل فى الأبدان والشجاع تقدم وفر الجبان وقد زادت الحقود على الروم والأغبان وطعنوهم أيضا المسلمين بكل رمح مران وشالوهم على رؤس السنان وضربوا فيهم بالسيف والدبوس و أيقن ملك الروم بالعكوس وكان عليهم ذلك اليوم منحوس وطالعهم فيـــه معكوس فعند ذلك قال الملك أرمانوس وحق الرهبان والقسوس ما كان فى نيتى ألتق عبد الوهاب ولا بنى كلاب وما كان هذا كله إلا برأى الشيخ المعكوس فإن رأيه دائما رأى منحوس (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم أنه ألوى عنان جواده وطلب القسطنطينية وتفرقت بعده عساكر النصرانية وتبعتها جميع الملوك الأفرنجية وقد طلب كل واحد منهم دياره و بلاده وقد دارت عليه الرزيه والمسلمين تضرب فى أقفيتهم بالسيوف الهنـــديه وأيضا تطعنهم بالرماح الخطية وما زالوا خلفهم إلى أن مزقوهم فى البريه وبعد ذلك عادوا المسلمين عنهم وهم فى حميه وأى حميه وقد غنموا غنيمة عظيمة (قال الراوى) هذا وان عقبه لما رأى ما جرى على الملوك وأبناء النصرانيه فقال فى نفسه وحق المسيح ما قصرت أنا فى هذه المشورة الرديه فلقد انعكست عليه حيلته وكانت حيلة ردية ولقد كانت الروم فى يوم مذموم وما بقى شك فى أن المسيح مسلم ولولا أنه من المسلمين ما كان يفعل هـذه الفعال ويتخلى عن أبناء النصرانيه ويمكن منهم المسلمين الأنذال ويترك أهل ملته المحاميه (قال الراوى) هذا وقد جمعوا المسلمين الغنائم والأموال وساروا فى حميـه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطيه ونزلوا فى ظاهرها ونصبوا خيامهم والسرادقات ونزل المعتصم وأقام للراحة ثلاثة أيام وبعد أن أراح واستراح قسم الأموال بين الناس بالسويه بعد أن خرج الخمس لبيت مال المسلمين فكان مال جزيل وقد أنعم المعتصم على الغـلام أجير الحداد وأعطاه من الغنائم حتى أرضاه غير الذى خصه من الغنيمة وقال له سير معى إلى بغداد فقال له بعد ما قبل الأرض أنا أريد يا أمير المؤمنين أن أكون مع الأمير أبو محمد البطال من بعض الغلمان أقرأ عليه فنون الحيـل لعلى أن أبلغ من زمانى الأمل

فضحك المعتصم من هذا الكلام وبعد ذلك بأيام عول على الرحيل وقد أوصى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال بعقبه المرتاب وأنهم يكرموه ولا يؤذوه فقال أبو محمد يا أمير المؤمنين إن كف عن المسلمين الأذية نحمله لأجل مولانا أمير المؤمنين على الرأس والعين مادام أنه يلزم أمره ولا يتحدث فى ما لا يعنيه وإن عاد إلى التعرض بنا أقمنا عند ذلك عليه البينة والشهود بالبراهين ونكائه على قدر فعاله بالمسلمين فقال الخليفة لكم ذلك إذا أقمتم عليه البينة وأنا أيضا إذا أقمتم عليه الشهادة بذلك أعنتكم عليه (قال الراوى) ثم أن المعتصم رحل بعد ذلك طالب بغداد وقد ترك فى قلوب الروم حرارات وأحقاد هذا ولم يزال سائر بالعساكر والأجناد وهو يقطع بهم الآفاق إلى العراق فكان له نهار لا يعد من الأعمار ودخل إلى بغداد فكان لدخوله يوم ما رؤى مثله فى سالف الأعوام وهو وهو أحسن من أيام الأعياد ولما أن صار فى القصر ومحل نهيه وأمره وأقام ذلك اليوم وقد ركب فى موكب لم يوجد مثله ولما أن كان ثانى يوم اجتمعت عنده أرباب الدولة والوزراء والحجاب وأرباب الدواوين والكتاب والشعراء والأدباء وكل من فيه حكمة فجال فى خاطره ما جرى له فى عمورية من الحرب وما تم عليه من البرد والكرب فقال على بجميع الشعراء فحضروا الجميع بين يديه وفيهم الشاعر الرئيس حبيب بن أويس الطائى فقال له الخليفة ياحبيب أريد منك أن تنشدنى قصيدة تمدح فيها المجاهدين وتهجو فيها المنجمين فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين (قال الراوى) وكان سبب هذا القول من الخليفه أنه لما طال عليه فتح عمورية عند نزوله عليها وطال عليه المطال أحضر جميع المنجمين وأصحاب التقاويم وقال انظروا إن كنت أقدر على فتحها فى هذه الأيام أم لا فاعتنوا ذلك ثم قالوا يا أمير المؤمنين رأينا فى علومنا انما تفتح هذا البلد إلا فى أيام الصيف فى زمان التين والعنب تأخذها بحيلة أبو محمد البطال فى عشرة أيام (قال الراوى) فلما أمره الخليفة بذلك قال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ثم انه رفع صوته فى ذلك المجلس وأنشد يقول هذه الأبيات :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفايح لا سود الصحائف فى ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الأرواح لامعة ... بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف التقويم والكذب
تخرصاً وأحاديث ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب
عجائب زعموا الأيام مجفلة ... عنهن فى صفة الأصفار أو رجب

وخوفوا الناس من وهن فما ظلمت ... إذا بدا الكوكب الغربي والذنب
وسيروا فى علا الأبراج مرتبة ... ما كان منقلباً أو غير منقلب
يقضون بالأمر منها وهي غافلة ... ما زادني فلك منها وفي وطب
فتح الفتوح تعالى أن يحاط به ... نظم من الدر أو نظم من الحطب
يا يوم وقعة عمورية فانصرفت ... منك المحافل مع معتلة الحسب
ألقيت ماتم للإسلام فى صعد ... والمشركين ودار الشرك فى ضبب
بكراً فما اقترعت كفى بحادثة ... ولا تخطت اليها همة النوب
من عهد اسكندرا وقبل ذلك قد ... شابت نواصى الليالى وهي لم تشب
حتى إذا محض الدهر السنون لها ... إن الخلافة كانت زبدة الحقب
لما رأت أختها بالأمس قد خرجت ... كان الخراب لها أعدى من الحرب
كم بين حيطانها من فارس بطل ... فانى الذوائب قد ذابت من الشهب
لقد تركت أمير المؤمنين بها ... والناس بين دليل الصخر واللهب
حتى اذا ما جلاليب الدجا طلعت ... عن لونها وكأن الشمس لم تغب
لو يعلم الكفر كم من أعصى كنت ... له العواقب بين السمر والقضب
تدبير معتصم لله منتقم ... لله مرتقب لله مرتعب
لم يرم قوساً ولم ينهض الى بلد ... الا ويقدم جيش العجم والعرب
ومالك الله يرجها فهدمها ... ولو رمى غيركم والله لم يصب
لما رأى الحرب رامى العين من غلس ... والحرب منشقة النعاس والحرب
هيهات زعزعة الأرض الأسود بها ... عن غر ومحتسب لاغر ومكتسب
لم ينفق الذهب المربى لكثرته ... عن الحصار به فقراً الى الذهب
ان الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب إلا السلب
فما ملاذى وما ذخرى وما سندى ... سوى شفيع الورى والناس فى عطب
ثم الصلاة مع التسليم ما طلعت ... شمس النهار وما لاحت من السحب

(قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك الشعر والنظام شكره على ذلك وأخلع عليه وكذلك كل من كان حاضر وخرج الشاعر شاكراً ولنعم الله ذاكراً وأقام الخليفة وهو فرحان بما فتح الله عليه وهو على حاله يخلع ويهب ويتصدق بالفضة والذهب ويكسى لأرامل والأيتام والفقراء شهراً كاملا حتى غمر جميع الناس بالعطاء الشامل ومدحته سائر القبائل (قال الراوى) وكانت هذه الغزاه مذكورة لبنى العباس وعمت بركاتها جميع

الناس ثم أن الخليفة بعث من الثياب الرومى كسوة لبيت الله الحرام وأنفـــذ الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وكذلك لمن فيها من الخدام وأخذه الدعاء من سائر الأقطار فهذا ما كان من امير المؤمنين (وأما ما كان) من أخبار ملطيه فإن عقبه كان فى قلبه النار الحيه من أخذ المسلمين عموريه ومما جرى على أهل ماء المعموديه فكانت عليه أعظم بليه وكان أشد ما عليه حجاف النميرى مما كان يرى من عبادته وحسن مواظبته على الخير والصلاح والقيام والصيام وكان كلما رآه على تلك الحالة زاد به الكمد من شدة الحسدهذا وقـــد انفطرت مرارته واشتدت حسرته وتمنى هلاكه واتلاف مهجته وانصرام عمره (قال الراوى) ان كان حجاف مشتغل بعبادة الملك الكبير وهو صائم النهار قائم الليل وكان الله سبحانه وتعالى قد ابتلاه بمحبة ابنته لأنها كانت طوعا له تؤنس وحدته وتعينه اذا هدأ الليل على تلاوته وتساعده على قضاء حاجته وكان لها من العمر اثنى عشر سنة وقد عبرت فى الثالثة عشر ومع ذلك كانت صوامة قوامة كثيرة الخوف من يوم الحسرة والندامة وهى راغبة على صغر سنها فى الدار الآخرة ومعرضة عن الدنيا الساخرة وكانت تقوم فى المحراب ولا تلبس الا أخشن الثياب وكان أبوها أقرأها القرآن كتاب الله الملك الديان جل جلاله وتقدست أسماوه وكانت كل ليلة جمعـــة تختم ختمة وقد صار لها بهذا عادة ولم تزل كذلك تنطق بالحكمة وتتكلم بالمواعظ الحسنة وتتلو كلام محيي العظام حتى أنها أذهلت بفصاحتها الفقراء الكبار وقد ظهر من جبينها الأنوار وصار وجهها مثل البدر اذا استنار وهذا تصديق لقول سيدنا محمد المختار صلى الله عليه وسلم آناء الليل واطراف النهار حيث قال من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار هذا وقد شاع ذكرها بين العبادحتى وصل حديثها الى بغداد وصاروا الناس يقصدونها من كل مكان وكذلك النساء والبنات الأبكار وأسلم على يديها جماعة من بنات الأبكار الكفار الذين هم فى ملطية وتركوا دين الضلال ودخلوا فى دين الحنيفية وصار لها تلامذة من بنات السادات وقد بقوا معها متعبدات يصومون لصيامها ويقومون لقيامها (قال الراوى) فلما أن نظر عقبة الى ذلك ذابت مهجته واشتدت مصيبته وقال فى نفسه وحق المسيح لقد ازدادت هـــذه الشيطانه فى العبادة والدين وأنزلت الهم على قلب عقبه اللعين وأن دام هذا بطل دين النصرانيه ولا بد لى أن أدبر على هلاكها وأفجع المسلمين فيها وأحرق قلب أبوها عليها وأن فعلت ذلك فما يدخل على قلوبهم أعظم من هـــذه الحسرة ولا يطأ أبوها أمر من هذه الجمره وينااله على فقدها حسره وأى حسرة (قال الراوى) ثم أن الملعون جعل عليها الرصد وصار يدبر على أتلافها هذا وقد شاع ذكرها فى سائر

الآفاق مع السفار والطراق إلى أن وصل إلى أرض العراق وسمع المعتصم والسيدة زبيده بذكرها وحديثها وصيامها وقيامها فتمنوا أن ينظروا اليها ويشاهدوا كلامها فكتب الخليفة بذلك إلى الأمير عبدالوهاب كتاب وشرح له ما فى قلبه من محبة هذه الجارية فى الكتاب وقد قال له فيه أعلم أيها الأمير انى قد سمعت بحديث هذه الجاريه العابده الزاهده وأريد منك أن تسأل أباها أن يسير إلى العراق لأنه قد شاع ذكرها فى الآفاق ثم أنه أنفذ ذلك الكتاب مع نجاب فسار من وقته طالب ملطيه وما زال إلى أن وصل اليها ودخل على الأمير عبد الوهاب وناوله الكتاب ففضه وقرأه وفهم رموزه ومعناه فأجاب بالسمع والطاعة وأخبره بما أتاه فى الكتاب وقد أرسل الأمير عبد الوهاب وأحضر الامير حجاف من تلك الساعة وأعلمه بهذه الامور والاسباب ثم أنه أعرض عليه ذلك الكتاب ففرح الامير حجاف بذلك غاية الفرح وقال له أيها الأمير والله انى كنت أشتهى ذلك حتى نسمع كلامها علماء بغداد ويقيسونه بكلام أهل العلم والمعرفه والسداد لأن قلبي قد خامره الشك فيما تقول وقد قلت ربما يكون كلامها كثير بلا فائدة ولا محصول ولا يكون يوافق الشرع وأنا خائف من هذا (قال الراوى) وكان عقبة قد شنع عليها فى ملطيه أن كلامها هذا خلط وجنون وهو لا يوافق كلام الشرع الشريف المفتخر وأن رأسها قد نشفت من القراءه وكثرة السهر وذلك من حسده وبغضته للمسلمين وأراد أن يوقف كلامها عند العوام أجمعين (قال الراوى) بهذا وقد امتثل أبوها حجاف أمر الامام فعمل شغلها وجهزها فى ثلاثه أيام وسيرها إلى بغداد وسير معها أيضا جماعه من صويحباتها العابدات ومعهم من العجائز جماعات (قال الراوى) ولما أن سارت أنفذ الامير كتاب إلى ملطيه على جناح الطائر إلى الخليفه من وقت خرجت من ملطيه ولما أن وصل الكتاب إلى العراق أتى به البراج إلى الخليفه وقرأه وفهم معناه فوقت لها ميقات وما زال فى انتظارها حتى قربت من العراق ولما أن وصلت إلى بغداد أخرج المعتصم إلى لقائها جماعة من جوار القصر ومعهم الخدم وخرجت من نساء بغداد ومازالت سائره إلى ان التقت القادمين بالمقيمين فسلموا عليها وأخذوها وساروا بها إلى أن أدخلوها على الخليفه وكانت قد ضيقت لثامها وحوالها أيضا جماعة من البنات بهذا ولما أن وصلت إلى الامام وصارت بين يديه ورأت أرباب الدوله والحجاب والوزراء الكتاب الها لما أن دخلت وسلمت ولم تقبل التراب فوقعت الهيبه فى جميع الحضار فعندها رفعت صوتها وقالت السلام عليك ياأمير المؤمنين الناظر فى أحوال الرعيه أجمعين المتولى مصالح المسلمين أهل النصيحه المتقين ياأمير المؤمنين كم من نعمة فى الدنيا وافره أورثت صاحبها عذابا

طويلا فى الآخره وكم كرامه أورثت صاحبها ذلة وندامة وكم شهوه بلغها العبد فى هذه الدار أعقبته ذنوبا وأوزار واحرمته النظر إلى وجه الملك الجبار ياأمير المؤمنين ما كلما وقع فى يدك باق عليك فقدم لك فى الآخرة قدم وسابق بالمكرمات من قبل الندم ولا تميل إلى ماجمعته واعلم بانك تاركه ولا تنسى طريق الموت فانك سالكه ولا تقول أنى رأيت الناس يجمعون فالكل على ما يجمعون يندمون وأكثر من العمل الصالح من قبل أن تسئل عن الذى جمعت وتسأل الرجعة فلا تقبل وتحل فى لحدك وتنصرف عنك عساكرك وجندك فان قربك أطمأنت نفسك وان أبعدك هجروك أهلك وأبناء جنسك اما سمعت قول الملك الجليل يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه واعلم أنه مايلزمك أمر الا مادامت الروح فيك فلو أنها فارقتك أبعدوك أهلك وأخرجوك من بينهم ولم يحملوك وما أنت الا بمثل ضيف أقام قليلا وارتحل وخلى فى لحده بالعمل فاياك أن تاهيك قصورك ودورك فانك ليس لك فيها قعود وان ماتسكنه فى دار الخلود واذا حصلت فى جوار الملك المعبود ونظرت الى منازل الاتقياء والمقام المحمود وقبلت منهم ثمرة الركوع والسجود يوم تنكر الوالدة المولود وتطاير الصحف على رؤس الخلائق بيض وسود وتساق المجرمين ويظهر صدق قول الملك المعبود كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فاتبع ياأمير المؤمنين سبل العارفين والزم سنن الصالحين وسنة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمع الخليفه كلامها على صغر سنها علم أن هذا علم وهبى وأن لها عملا مرضى فبكى حتى غشى عليه وبكى كل من كان حواليه فلما أفاق قال لهم أى شىء تقولونه فى هذا الكلام فقالوا له هذه الحكمة بعينها فالتفت الخليفة اليها وقال سبحان الذى أجرى على لسانك هذا المقال وسوف أعطيك من المال شىء يرضيك ويرضى آبائك ويكفيكى بقية زمانك لانكم من أهل بيت العباده والقرآن فقالت ياأمير المؤمنين ماارضى بالدنيا لغيرى فكيف أرضى بها لنفسى دعنى أعود الى بيت أبى فلا أخرج منه حتى يدركنى الموت فقال لها الخليفه أدخلى الساعة عند الحريم حتى تجتمع بكى السيده زبيده لتفوز بمشاهدتك وتنتفع بموعظتك فقالت السمع والطاعة ثم وليت تطلب بيت الحريم فأرسل المعتصم خلفها الخدم وقال لهم كلما تقوله اكتبوه عن آخره فهو كلام تنتفع به أهل العقول ويقع للإنسان منه المحصول هذا وقد دخلت إلى بيت الحريم وكانوا قد اجتمعوا لقدومها فلما رأوها قاموا عند دخولها ورفعوا قدرها فقالت السلام عليكن يا مخفيات خلف الحجاب والآمنين من البكا والا نتحاب ولابد لكن من الوقوف والحساب ويكفيكن أن فى الخبر عن سيد البشر أن النساء

أكثر أهل جهنم لأن ما فيكن من يقنع باليسير ولا يشكرن على الكثير فإياكن أن تجعلن هذه الدار لكن دار على أنكن مخلدات أما سمعتن قول رب العالمين فى كتابه المبين وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وقد قال محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ معاشر المسلمين اعلموا أنكم ركب وقوف ما يدرى أحدكم متى يدعى فيجيب ومثل ابن آدم مثل الراكب فى يوم هجير فرأى شجرة استظل تحتها ساعة من النهار ثم تركها وانصرف فلا تشتغلن إلا بما يجب ولا تعملن إلا ما يكون لخلاصكن سبب فكأنكن بالموت قد اقترب ويندم العبد على ما فات من أيام اللهو والطرب إذا قام من التراب وحضر الحساب ويقال أوقفوه ولا ينفعه حسب ولا نسب ولا فضة ولا ذهب إلا ما كتب (قال الراوى) ولم تزل السعيدة تردد الكلام حتى أبكت سائر النسوان وأما السيدة زبيدة فانها اغشى عليها من ذلك الكلام وتاب فى تلك الساعة من تاب ثم أن السيدة أعرضت عليها شىء من المال فأبت وقد قالت مدرعة من الصوف أحب الى من المياه والألوف ثم أنها باتت عندهم فى القصر وكانت صائمة فأكلت عند المساء مع السيدة زبيدة شىء يسير وقامت الى عبادة الملك القدير ووافقتها زبيدة على ذلك العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وطابت منها الدعاء فأوصتها بفعل الخير (قال الراوى) وكان صبيحة ذلك اليوم قد اجتمع علماء بغداد وطلعوا الى المعتصم وقد سألوه فى احضارها وأيضاً سماع كلامها قبل انصرافها فهم كذلك واذا بها قد دخلت مع الخليفة تطلب منه الوداع والاذن فى الانصراف الا أنها لما رأت ذلك الجمع تكلمت وخطبت خطبة بليغة وجلت منها القلوب وقالت عند انتهاء الخطبة اللهم انى اسألك بالف المعطوف والنقطة التى هى مبدأ الحروف بباء البهاء بتاء التابية بثاء الثناء بجيم الجمل بحاء الحياء بخاء الخوف بدال الدلالة بذال الذكر براء الربوبية بزاء الزلفى بسين السناء بشين الشوق بصاد الصفاء بضاد الضمير بطاء الطاعة بظاء الظلمة بعين العبادة بغين الغناء بفاء الفوز بقاف القدرة بكاف الكفاية بلام الألوهية بميم الملك بنون النهاية بواو الوفاء بلام الالفة بلا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك وحبيبك ونجيبك الحسيب النسيب صاحب البردة والقضيب والبراهين والآيات والدلائل والمعجزات والشفاعة فى المحشر ﷺ وعلى آله وأصحابه ما اتصلت عين بنظر وسمعت أذن بخبر (قال الراوى) إلى هذا الكلام المفتخر ثم أنها أقامت إلى الصباح وسألت السيدة زبيدة فى العودة إلى أبيها فتكلمت زبيدة مع المعتصم فى ذلك فجهزها أحسن جهاز وأركبها على ناقة عالية وجهز لأبوها هدية وأرسل معها خيلا

تحفظها وما زالوا سائرين ليلا ونهار يقطعون البرارى والقفار حتى وصلوا إلى أراضى الهيلار وهو مكان قريب من ملطية وإذا قد خرج عليهم سبعون فارس من العرب المتنصرة (قال الراوى) فأخذوها وقتلوا كل من كان معها من الفرسان وقد ساروا بها وهم طالبين عبدة الصلبان وكان هذا من تدبير عقبه المهان لأنه لما رأى فعلها وعلم بخروجها إلى بغداد أعلم بذلك غلامه عبد المسيح وقال له اعلم أنى منذ نشأت ما رأيت مثل هذه الجارية ولا أفصح منها لسان ولا أقوى جنان وإن لم أعمل على هلاكها وعذابها ما يكون من عبدة الصلبان وقد عولت أن أرسلك إلى جزيرة من جزائر الروم إلى صديق لى من العرب المتنصرة ثم أنك تأتى بجوابه وتغتنم من المسيح ثوابه فقال سمعاً وطاعة (قال الراوى) فعند ذلك كتب له عقبه كتابا وقد أعطاه لغلامه حتى أوصل الكتاب فأخذه وقرأه وإذا كلمة كفرهم ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وبعده يقول أيها الملك أنى ما قطعت عنك أخبارى إلا لأجل اشتغالى بعبد الوهاب وأبو محمد البطال الكذاب وقد زاد بلاى برجل آخر يقال له حجاف وهو أزهد كل من فى الأرض الآن وله بنت ما رأيت فى علماء المسلمين مثلها وأريد أن تنفذ جماعة من أصحابك من غير أن تعلم بهم الملك أرمانوس ولكل فارس منهم ألف دينار ولك أنت عشرة آلاف دينار على سبيل الهدية والمزار وتأخذوا هذه الجارية من أراضى الهيلار وتودوها إلى آخر الجزائر الكبار (قال الراوى) فلما سمع الملك مرحبون ما فى الكتاب أنفذ إليها هؤلاء الفرسان فأخذهم غلام عقبه وسار يقطع البرارى والقفار حتى وصل بهم إلى أراضى الهيلار وأكمن بهم فى طريق الجارية فلما أن رجعت من بغداد كما ذكرنا أخذوها وقد ساروا بها طالبين بلاد الروم كما وصفنا فلما وصلوا بها إلى بحر أقلعوا بها إلى جزيرة روبيس ووصل الكتاب إلى مرحبون ويقول فيه أنى ما قدرت على الخروج من ملطية لا ليل ولا نهار وإياكم أن يراكم أحد من التجار وأكثروا عندها من قراءة الإنجيل فلعلها إلى دين النصرانية تميل وإن تنصرت وطلب أحد من البطارقة زواجها زوجوها وإلا فأرسلوها فى بعض المراكب من جزيرة روبيس إلى جزيرة المعادن وملتقى البحرين وأطراف الأقصى (قال) وكان بين جزيرة روبيس إلى جزيرة المعادن أربعين يوماً بالقلع وفى البر أربع شهور ومن جزيرة الطرف الأقصى فى البحر شهرين وفى البر سنة كاملة وإذا وصل أيضاً الإنسان إلى هناك يرى أربعمائة قلاية فى لحف الجبل وقد أحدق بهم البحر وذلك البحر لا يرى من خلفه عمارة الأسواد مظلم لا يعلم أحد هل هو بحر أو بر وكل راهب قد اشتغل بالعبادة عن غيره

(قال الراوى) إلا أن الملك مرحبون لما أن وصلت إليه الجارية جلس فى كنيسته وأحضر الشمامسة والرهبان وأيضاً القساقسة وأمرهم بتلاوة الإنجيل فأجابوا بعضهم بعضاً باختلاف الألحان والترتيل فلما أن سمعت الجارية ذلك بكت وأنت واشتكت فقال لها مرحبون لم تبكى يا جارية فزاد بكاها ورفعت إلى مولاها قصة شكواها وقالت يا مولاى هذا كله برضاك وما وقعت مع هؤلاء الكفار إلا بقدرتك وما يخلصنى من أيديهم إلا إياك فلا تعوضنى من حلاوة التوحيد بالاشتراك فأنت الواحد فى أرضك وسماك ثم أنها أشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

إلهى قد شكوت إليك حالى ... وأنت عالم يا ذا الجلال
إلهى بعد صومى فى نهارى ... وبعد بكائى فى ظلم الليالى
وبعد قراءتى فى جنح ليل ... واقرارى بانك ذى الجلال
وبعد جهادى فى الأعداء حقاً ... عن الاسلام فى يوم النزال
فتسمعنى شيوخ الكفر يتلو ... من الانجيل أصناف المحال
فهذا كله بقضاك يجرى ... وفيه رضاك يامولى الموالى

(قال الراوى) فقال لها مرحبون ما اسمك يا جارية فقالت له أنا سعيدة إن كنت على ما يصيبنى منكم جليدة وأموت على الاسلام شهيدة فقال لها دعى عنكى ما أنتى فيه وعودى إلى الدين العتيق تعرفى ما كنتى عليه من خلاف الطريق وإن كان غرضك الزواج فأنا أزوجك بأحد من هؤلاء فقالت له أقصر عن هذا الكلام وألا تندم عند نفخ الصور يوم خروج الخلائق من القبور وكل دنياكم محال وغرور لأن المسيح عبد الله ورسوله بلا فجور وهو يحشر مع الخلائق ويسئل عن الدقائق (قال الراوى) فلما أن سمع مرحبون كلامها أمر بضربها فضربت إلى أن غشى عليها فعندها قال الملك مرحبون لأهل دولته أريد مركبا تحمل هذه الجارية إلى أرض المعادن وله ألف دينار ويوصلها إلى الطرف الأقصى حتى ينزلوا بها العذاب والبلاء فقالوا البطارقة السمع والطاعة (قال) فجهزوا لها مركباً مليحاً وأنزلوها فيه وساروا بها يومها وليلتها إلى الصباح فأفاقت على نفسها ووجدت الراحة مما كانت فيه من الشدة والضرب ونظرت روحها فى مركب سائرة على وجه الماء فأقبلت على البطارقة وقالت لهم ويلكم إلى أين تذهبون بى فقالوا لها إلى موضع لا يطلع لكى منه خبر ولا تعودى إلى بلاد الاسلام ما أظلم الظلام واعتكر وأضاء الصبح وانفجر حتى تقولين أن المسيح هو المعظم ومخرج الماء من الحجر فصاحت الجارية السعيدة الله أكبر الله أكبر الذى نهى وأمر وخالق

الشمس أيضاً والقمر ومظلم الليـــل إذا اعتكر ومنور الصبح إذا انفجر خالق الخلائق أجناساً وصور خالق آدم أبو البشر من غير أنثى ولا ذكر ولا أم تكون للنطفة مستقر بل خلقه من تراب حتى يكون لكم فى ذلك معتبر وكيف يصل عقل من كفر لأجل خلقه المسيح من غير ذكر وهو نبي عظيم مكرم موقر صـــلى الله عليه وعلى نبينا وسلم عدد ورق الشجر وأنه يقف فى يوم القيامة خجلان لأجل كذبكم عليه وقد علم غضب القادر المقتدر وأما قولكم تحملونى إلى موضع لا يطلع لى منه خبر فهل تقدرون أن تطرحونى فى محل لا يكون لمولاى فيه أثر وهذا شيء لا تقدرون عليه أبداً وما دمت فى ملكه فأنا أؤمل الفرج وما بى غربتى مثل ما بى من والدى وما يجرى عليه لفقدى ولكن الله تعالى يحمل عن قلبه هم البشرية ويعينه على هذه البلية بحرمة محمد خير البرية ﷺ وبالله المستعان فقالوا لها البطارقة لا تحزنى فما دام الشيخ عقبه فى ملطية فهو أيضاً يعمل على أبيكى ويقتله كما عمل عليكى فقالت ما شاء الله كان (قال الراوى) وصاروا بها مقلعين وهم من حسن صبرها الجميع متعجبين ثم أنها قامت إلى جانب المركب واخذت شيء من الماء وجددت الوضوء للصلاة ثم جلست وخلت بنفسها وجعلت تسجد وتركع وعيناها من شدة الخوف تدمع وباتت فى حرقة قلبها تبكى وتخشع والملائكة من حسن صبرها تتعجب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ماكان) من اخبار ملطية فانهم انتظروا الجارية سعيدة من يوم وصل الكتاب على جناح الطائر بخروجها من بغداد واقاموا ينتظروها مدة ايام حتى انها جاوزت الحد وزاد بأبيها اليها الاشتياق والوجد فاقبل على اخيه زحاف وقال له اعلم يا اخى انى كما ترى رجل زمن وحسبك من لا يقدر يقوم على رجليه حتى يؤدى فرض الله تعالى الا قاعداً وانا لله شاكراً وحامداً وما قلت هذا على سبيل الشكوى بل انا راض بما ابتلانى به المولى من البلوى ولكن اعلمك انى عاجز عن المراد وهذه سعيدة ابنتى قد ابطأ على خبرها وانت تعلم انى ما رزقت سواها وهى محبوبة قلبي وما لى عنها صبر اكثر من هذا وقد اضر غيابها عنى واسودت الدنيا فى عينى لأنها كانت تساعدنى على الصلاة وتنبهنى اذا نمت بتلاوة القرآن وبذكر الساعة واهوال النيران فاركب يا اخى وانا اعلم محبتك لها (قال الراوى) وكان زحاف ايضاً يحبها ولا يصبر عنها وهى التى حببت له المقام فى المدن والأمصار بعد مقامه فى البرارى والقفار فشد عليه وسار الى ان وصل الى ارض الهيلار فوجد النسوان المتزهدات مقتولات وعلى الأرض مطروحات وكذلك الفرسان الذين كانوا يشيعوها فحثى التراب على راسه وصاح ورجع نحو ملطية بالخيبة والرزية فلما ان وصل الي البلد

ناح وعدد ودخل على اخيه حجاف ودموعه منه جارية واعاد عليه ما شاهد وما رأى ووصف له ما حل بالنسوان من البلاء واشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

الا يا اخى حل المصاب فقم بنا لنبكى على ما نالنا وجرى ليا
دهينا بها الله فاسمع لقصتى وعدد فقد جارت على اللياليا
كسينا وبيت الله عاراً مؤبداً مقيما فهل تبكى عليناا البواكيا
عليك سلام يا اخى من سعيدة سلام شهيد ام اسير الأعاديا
سبوها وبيت الله ثم تجبروا على عابدات كن معها غواليا
الا يا اخى ما راقبوا الله حرمة ولا عرفوا ما كنت عنهم محاميا
فلا شك هذا الأمر شتت شملنا بسهم شتاتٍ بعد طيب التلاقية
نعم يا اخى لا لأعلى ملطية لنا منزلا من بعدها فى حياتيا
واى حياة بعد ذا اليوم فى صفا تكدر عيشى بعد ما كان صافيا
الا ما ترى محرابها بعد انسه بصورتها قد اصبح اليوم خاليا
وما ذاك الا من مناصب عقبة فكن عالما بالله ما كان خافياً

(قال الراوى) فلما أن فرغ من ذلك بكى بكاء شديد فلما أن سمع الأمير حجاف ذلك ثارت حرقته وعظمت زفرته واشتدت لوعته وقد انعقد لسانه وانهدمت قوته وأركانه وازدادت نيرانه وقد وقع مغشياً عليه فى مكانه وبلغ الخبر إلى الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب فجاءوا كلهم إليه وارتفع الصياح والبكاء والنواح وما فى القوم إلا من ورد عليه مثل ما ورد على أبيها وعمها من الوحشة والقلق وقد خرج زحاف والسيف فى يده وهو طالب عقبه وهو يقول لابد لى أن أقتله وكان عقبه تلك الساعة فى داره وقد سمع الخبر وما جرى فى ملطية من الضرر فجعل يدور فى البيت ويقول يا مسيح لا تجمع شملهم ولا تبق من المسلمين نسمة واحدة وأرنى الدنيا منهم خامدة ولا ترحم هذه الشيبة التى هى لملة الاسلام جاحدة يا مسيح طول عمر عقبه إلى يوم القيامة حتى أنه يلقى بين المسلمين كل مصيبة زائدة وأسبهم فى الأقطار وتبلغ روحى الزكية ما هى لهم قاصدة (قال الراوى) ولم يتم الملعون هذه الكلمات حتى سمع الضجات وقد ارتفعت وبلغ الخبران زحاف قصده والسيف فى يده مشتهر ليقتله فى هذه الفتنة الواردة فأخذته الحمة الباردة وقد تعلقت خصيتاه الى حلقه صاعدة فخرج يعدو حتى لحق الأمير عمرو بن عبيد الله وأرمى روحه عليه وقال له يا مولاى وحق القرآن ومن أنزل عليه القرآن لقد ورد على قلبي من غيبة هذه الجارية السعيدة ما لو ورد على جبال تهامة

لها تارت به وبعدذلك أنامنهم متهم واليوم سلمت ان اقتل مظلوم لأنى الساعة سمعت الخبر وانا قائم اصلى وقعدت مستقبل القبلة واذا بالخبر قد وصل الى بان زحاف اخو جحاف قد خرج يطلبنى مثل الخطاف وفى يده سيف يريد أن يسقينى به شراب التلاف فقلت سبحان الله أنا أدعو لهم فى محرابى وهم يقصدون قتلى وذهابى ولا يراقبون الله فى غيبتى ولا يرحمون شيبتى وأريد منك الساعة تسير معى غفيرالى أرض العراق وتغالط بأمرى وتقول أننى عندك مخبى فى مكانك وأسير عن البلد وأطلب لروحى النجاة من النكد (قال الراوى) فلما أن سمع الامير عمرو بن عبيد الله هذا الكلام قال له يامسكين هذا يقال عنك وأنت مابرحت من مالطيه فكيف يرموك فى هذه الرزيه وما كنت فى الطريق حتى تأخذ هذه الجاريه وايش بينك وبينهم من العداوه وأنا أكتب لك الساعة كتاب للخليفه بانك برىء من هذه الاسباب وأسيرك الى العراق والا أهلكوك بنى كلاب على أنك والله قد أفجعتنى مما حدثتنى عن هذه الجاريه وغيبتها فالله تعالى بينها وبين ظالمها (قال الراوى) ثم أن الامير عمرو أبن عبيد الله كتب معه الى الخليفه كتاب فيه شرح ماجرى من الاسباب وكان عقبه قد خلع العمامه والطيلسان وسيرالامير عمرو معه خمسين فارس من بنى سليم وقد لبس عقبه زيهم حتى أنه ما بقى يعرف بينهم وأوصاهم الامير عمرو به وقال لهم احتفظوا بابن عمكم لايهلك ثم انه بعد مسير عقبه ركب زحاف وسار إلى دار عقبه فلم يراه فعاد وقد زاد جواه وبلاه هذا والامير عبد الوهاب قد نادى فى بنى كلاب وركب هو والامير عبد العزيز العلوى فى ألف فارس أبطال معودين للشدائدأيضا والاهوال وساروا الى أطراف بلاد الروم وفتشوا الاطلال والربوع ثم غابوا عشر أيام وعادوا بالخيبه وكان عند مسيره قد أنفد الجواسيس بين يدي الى سائر الاقطار وأمرهم أن لايعودوا إلا أن كان بحقيقة الأخبار فغابوا أيام وليال وماطلعوا للجاريه بأخبار ولا علموا لها حقيقة آثار فلما رأى الامير حجاف هذه الأهوال زاد به البلاء والأنذهال وأن الأمير عبد الوهاب سار إلى دار الأمير حجاف ومعه سائر الأمراء والكبراء المشورة وأحضروا أبو محمد البطال ولما أستقر بهم القرار فقال لهم معلوم ان هذه الجارية ماأخذوها الجان وماهى الا فعال الأنس وهانحن قد سرنا إلى أطراف بلاد الروم وأرسلنا الجواسيس وما ظفروا بماتروم ولو أخذوهاحرامية لحقناهم ولوأن خبرها أيضا فى بلاد الروم كنا كشفناه فقالت الاميرة ياولدى مابقى الأمن تكلم بكلام وقاس الحديث بعقله الا الأمير أبو محمد البطال فانه قاعد أيضا منكس الرأس كثير الفكر فقال الأمير عبد الوهاب ياأبومحمد ايش تقول ومالى أراك ساكت لاتتحدث معنا فيم قددهانا

وتعاونا فلعل نبلغ منانا فقال البطال ياقوم أيش أقول وحق محمد صفوة الملك المتعال من أول الأمر عرفت الحال ولكن خفت أن لا تسمعوا الى مقالى لأننى ما رأيت من مقاله معقوله فسكت وتركت عنى الفضول والآن فقد صح عندى أن هذه المصيبة من بعض تدبير عقبه فقال الأمير بالله عليك ياأبو محمد دعنا من معرفه عقبه ولا ترجع لأجله تاتى بيننا وبين الخليفه وتثير الفتن بين المسلمين فقد أوصانا الخليفة عليه وما بقى إلى معارضته من سبيل إلا أن تبين عليه بينه وهذا الذى تقوله من طريق القياس وما أقول أن له حقيقة من أين أن لعقبه قوم يقفون فى الطريق قريبا من بلدنا ويفعلون هذه الفعال تحت ملجأ نا وكيف يخاطر بانهتاك ستره على أنه مابرح الميشوم من ملطية ولا هو قريب من بلاد النصرانيه فقال له أبو محمد البطال وقد اغتاظ كيف كذبه الأمير فقال والله ياأمير وحق البشير النذير مافعل هذه الفعال إلا عقبه وما الجارية إلا فى أبعد مكان من أهل الكفر والطغيان وإن أردت أن تجعله خاط وجنون أحسبه وإن أردت أن تنظر بيان هذه القصة فانفذ الساعه خاف عقبة فان كان فى ملطيه فكلما أقول عنه محال فقال الامير والا أيش اصابه فقال له هرب إلى بغداد إلى عند الخليفه لأنه خاف أن يقتل فى هذه الفتنة ولا بد أن تحكم أيضا نوبتنا فى بغداد فاما أن سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب خالطه الشك فانفذ احضر الأمير عمرو بن عبيد الله وقال له أيها الأمير اعلم أن هذا الامر الذى جرى يلزمك منه مايلزم لأن حجاف جارنا وعاره عارنا وقد رأيت مافعل وجاهد بين أيدينا حتى قطعت رجلاه وله عند المعتصم أوفى منزله وجاه ومافى المسلمين إلا من يحبه لأجل دينه وجهاده والرجل ماتهم بأخذ ابنته إلا عقبه ونريد أن تسلمه الينا حتى نقرره ونهول عليه بالقتل فلعله أن يكون عنده خبر منها فقال له عمرو ياأمير أقسم بالله قسما صادقا انى لو تحققت منه ذلك لضربت بسيفى هذا رقبته ولو أنه ينال السماء بعبادته ومن الذى جرى عليه من هذه السعيده مثل ماجرى على أبيها فوالله تعالى يهتك ستر الذى أذاها وأما عقبة فوحق محمد سيد البشر ماهو فى ملطية لأنه لما سمع بأنه قد اتهم بهذه الجارية أخذ من أصحابنا جماعة من الرجال وصار من فزعه من القتل أيضا والنكال فارسلوا أنتم إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله واعلموه بكلما قد كان واطلبوا منه عقبة فهو الان يسلمه اليكم إذا علم أن الامير حجاف قد اتهمه بذلك (قال الراوى) فلما سمع الامير عبدالوهاب هذا المقال بان له صحة قول أبو محمد البطال وكتب إلى الخليفة يذكر له جميع ماجرى عليه ويقول له يامولانا قد قالوا القوم أن مالهم خصم إلا عقبه وأن من وقت هرب صدقوا أنه الذى عمل على أبنتهم (قال الراوى) ثم أنه أرسل الكتاب على جناح الطائر فوصل إلى بغداد وأطلع

الخليفة أيضا على كلما جرى فقامت عليه القيامة وبكى على السعيده بكاء شديدا وقال ياليتنى لم أرسلت خلفها ثم أعلم السيدةزبيدة بذلك فبكت هى وجميع النسوان بتوع القصر وأخذوا فى البكاء وتنغص عيش الامام المعتصم عند الطعام والشراب (قال الراوى) وبعد أيام وصل عقبه ودخل محل الخليفة فأكرمه وترحب به ورآه على غاية من الخوف وسأله عن حاله فأعاد عليه الحديث وقال له ياMولانا سلمت ان أقتل فى هذه النوبة فقال له الخليفة لما سمع بفقد الجارية ماكنت أنت فى ملطيه فقال له بلى وحق أبى بكر وهذه الامير عمرو بن عبيد الله ومشايخ بنى سليم فى هذا الكتاب وبالله أقسم يامولانا لقد ورد على قلبى من فقد الجارية مالم يرد على قلب بشر فقال له المعتصم وكيف تستحل أنت هذه شهادة الفعال ياأمير المؤمنين كل مصيبتى من رجل واحد وعلى كل حال ذكره الله بخير الا أنه هو الذى يقلب قلوبهم على وأنا فما يسعنى فى دينى أن أتكلم فيه إلا بالخير لانه غائب وما أستحل أن أستغيبه ولا أتكلم فيه إلا بما يرضى الله تعالى ورسوله فقال له المعتصم بالله من هوهذا الرجل فقال له يامولاى هو أبو محمد البطال وكذلك ولده مذبحون لانهما كانا قد عولا أن يقتلونى إذا عدنا من عمورية وقد أبصرت كيف زور البطال تلك على خطى ذلك الكتاب وسلمه اليك وما تم له مايريد ولما سألتهم فى شأنى قد سمعت كيف قالوا ماتكلمه أن لم يعمل بالمسلمين عملة وبهذا أرادوا قتلى وشارطوك وسبقوا بالكلام قبل هذه الفعال وقلت أنت رضيت فما وجدوا نوبة شنيعة فى الكلام إلا هذه حتى تحنق على وتسلمنى اليهم يقتلونى تحت الضرب وأنا والله العظيم ماأريد بعد هذه النوبة ولكن لابدلى أن ابين لك الحق قبل مماتى حتى تعلم اننى مظلوم وتحضر البطال وولده مذبحون وانك تقول اريدهم الآن يحضرون حتى أحكم بينهم وصب على وعليهم العقوبه وانظر كيف يظهر الله الحق وإن كانوا هم يطلبون يقتلونى وقد كتبوا اليك كتابا يطلبونى فانفذ أنت اليهم وقل لهم ما تنفصل هذه النوبة إلا على يدى (قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله هذا الخطاب فقال له يا شيخ قد وصل إلى قبل قدومك كتاب وفيه كلما قلته وأنا أعلم ان هذا كله من شيطنته فلاجل هذا قال لى فى ملطيه ذلك المقال لما سألته فيك وقال ان أقام فينا ولم يؤذينا فنحن نقبل سؤالك وإذا عمل فى الإسلام عمله توجب الكلام فلابد لنا من قتله وماوجد شيئا يفضحك به إلا هذه القضيه ولقد دبر هذا الشيطان وماقصر لانه قليل الدين شديد الكياد (قال الراوى) فلما ان سمع عقبه ذلك فقال والله لقد صدقت فى هذا الشيطان أيها الإمام فالله تعالى يصلحه لنفسه ويشغله عن أذية الصالحين فقال الخليفه للوزير اكتب كتابا إلى العبد الصالح حجاف وأمره

أن ينحدر وهو وأخوه زحاف ويحضروا معهم أبو محمد البطـال وولده مذبحون حتى ننظر كيف يفعلون وأيضاً اضمن لهم عنى فى الكتاب انى أسلم اليهم عقبه فيعاقبوه وان خطر لهم أن يصلبوه فأجاب الوزير بالسمع والطاعه وكتب الكتاب وأرسله على جناح الطائر فوصل فى يومه إلى ملطيه وقراه الأمير عبد الوهاب ففرح بذلك الخطاب ثم قام وأتى إلى الأمير حجاف وقراه عليه فقال أنا أنحدر إلى العراق وأصبر على ماقضى رب العباد فان ظهر خبرابنتى والاسافرت إلى أرض الحجاز فقال الأمير عبدالوهاب لاتفعل أيها الأمير وارجع الينا لعل ان يكشف خبرها الحى القيوم (قال الراوى) فعندها أخذ الأمير حجاف فى الانحدار وفى قلبه من سعيده شعل النار وكذلك الأمير أبو محمد البطال قد أخذ أهبته برأى الأمير عبد الوهاب لانه هو الذى كلفه إلى ذلك لانه ماكان طيب القلب بالمسير وكان قد قال للأمير عبد الوهاب ماقلت لك ان عقبه يروح للخليفه ويحكم نوبتنا عنده ولكن هاأنا سائر ولاأخالف لك قولا حتى تنفصل هذه النوبه وعلى اننالابدلنا من الضرب والعقوبه وكان الخليفة من قبل وصول عقبه إلى بغداد قد كتب إلى ملك الروم يذكر له القصه ويقول له ان أنت كشفت لى خبر هذه الجاريه فأنا أترك لك خراج أربع سنين وان لم تخرج خبرها وكانت فى بلاد الروم فأنا أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين ورفع الحجرين افعل بالقسطنطونيه كما فعلت بعموريه وأترك أقل من فى الهود يطأ عنقك فما هذه النوبه مثل غيرها فعجل بكشف أخبارها والا أنت أخبر بخصومك فانها بنت الأمير حجاف النميرى وهو من أصحاب الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب وأتيتك بالسودان الانجاب فالعجل العجل فى كشف الخبر قبل حلول الاجل وفوات الأمل (قال الراوى) ولما وصلت الرساله الى عند الملك ارمانوس أنفذ يحلف بالايمان المعظمه عندهم ان ماعنده من هذه الجاريه خبر وان اطلع على حالها أسرع فى خلاصها (قال الراوى) وكان الأمير عبدالوهاب بعد انحدار حجـاف وأخيه زحاف والامير أبو محمد البطال وولده مذبحون كتب الى يانس المتعزب وأطلعه على الخبر ويقول له اجعل بالك على الجـاريه وحرض ارمانوس على كشف خبرها فلم يجد اليها سبيل وقال وحق المسيح ان كانت هذه الفعله الامن الشيخ السفله وقد عدل بهذه الجاريه الى بعض الاقاليم ولابد للبطال مايظهر خبرها ويكون سبب خراب بيرتنا (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأماما كان) من البطال وأصحابه فانهم ساروا حتى انهم قربوا من بغداد ثم عاد أبو محمد نظر فى العاقبه وقال لولده مذبحون بعد ان خلى به ويلك يابنى اعلم انامنحدرين الى ضرب السياط لكن لاأقدر أخالف الامير عبدالوهاب والصواب انك تعود من ههنا الى ملطيه

وتصبر حتى تنظر ما يكون منا فان جرى علينا أمر من الامور فأنت قادر على خلاصنا ولا يبلغ عقبه غرضه منك ومنا ويشتفى قلبه فقال سمعا وطاعه امضى انتى الى حال سبيلك فأنا الليله اذا نزلتم للمبيت وأظلم الظلام أعود عنكم وان وقعت أيضا خلصتك ولو انك تحت رأس السلطان ثم انهم ساروا حتى أمسى المساء ونزلوا للراحه والمبيت فلما أصبح الصباح وعولوا على الرواح افتقدوا مذبحون فلم يجدوه فقال حجاف للامير أبو محمد البطال أين ولدك يا أمير فقال ما أمره الا عجيب ولا شك انه خاف من الضرب والحبس فرجع وحلنا لانه غلام وجاهل فلما ان سمع حجاف ذلك الكلام ظن انه صحيح وانطلا عليه وساروا القوم حتى انهم وصلوا الى بغداد فدخلوا واستأذنوا على الخليفه فأذن لهم فلما ان صاروا بين يديه بكى حجاف وزحاف حتى بكى كل من كان حاضرا فقال المعتصم هذه نازله نزلت علينا كلنا فالله تعالى يهتك ستر من أفجعكم فى ابنتكم وهذا الشيخ الذى اتهمتموه حاضرا وهو مسلم اليكم فافعلوا به ما شئتم وقد ادعى ان هذا كله من أبو محمد البطال فقال حجاف معاذ الله يا أمير المؤمنين اما عقبه فقد صح عندى كفره واما أبو محمد البطال فما أقول انه يفعل هذه الفعال (قال الراوى) فهو فى الكلام واذا بعقبه قد خرج من خلف ستر الحريم وهو قابض على شيبته ويقول حاشا مثلك يا أمير ان يتحدث بهذا الكلام وانت فى هذا الزهد والعباده وتشهد بما لا تراه فيكون رجما بالغيب وانا أجعلك فى حل مما تقول وها قد اجتمعنا كلنا قدام الامام المعتصم سيد الزمان فلا يفوته كل مكتوم ينظر بنور الحى القيوم وانا والبطال خصوم فلا يزال علينا الضرب حتى لا يقدر احداً منا يقوم ويبان الظالم من المظلوم والله تعالى ينتقم ممن فجعك فى ابنتك وأقرح عليها كبدك ومهجتك وينتقم منى ان كان ما اصابنى عليها مثل ما قد اصابك (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك قال هذه نوبه ما تنفصل هكذا الا بضرب عقبه والبطال حتى يبان لنا الصدق من المحال وانا اريد الساعه رجلين جليدين يجلد كل واحد من هؤلاء الخصمين فعندها قام طيبون وقال انا العقبه وقال مطرون وانا لابو محمد البطال فعندها قال المعتصم مدوا الاثنين وأنا أشاهد بالعين فمدوا عقبه والبطال وأخذ طيبون سوط ووقف عند رأس عقبه وأخذ مطرون سوط ووقف عند رأس البطال فلما ان نظر حجاف إلى ذلك بكى وقال لاخيه ويلك تذهب ابنتى ويضرب أبو محمد فى تهمتى والله لا كان ذلك أبدا وانا أعرف ان عقبه من أهل الظلم والاعتداء والبطال من المجاهدين فى سبيل الله تعالى وطاعة نبى الهدى ثم تقدم إلى الخليفه وقال له يا أمير المؤمنين دعهما فأنا أتوكل على الذى جمع شمل يعقوب بيوسف ان يجمع شملى بابنتى ولا يساطا عليها من

يلبسها ثوب العار بل يحفظها حفظ الجنين فى بطن امه فقال المعتصم والله ما افعــل هذا ابدا وان كنت ماتريد ضربهما فأنا احبسهما ولايبرحان فى الحبس حتى تخلص ابنتك فقال حجاف يامولانا لاتفعل هذه الفعال فأنا محتاج إلى ابو محمد البطال حتى يدخـل معى إلى بلاد الروم فعسى ان اطلع على خبرها واقفو اثرها لاننى مايمكنى المقـــام اكثر من هذا وأعود وادبر ما يكون ثم انه بكى وان واشتكى واشار ينشد ويقول :

لقد حل هذا الامر حتى كاننى لظى الجمر من حرثى بطول غرامى
فواللهماابغى الحيـــاة هنيئة وقد سبيت بنتى ولست احامى
ولو كنت ادرى اى ارض هى بها جعلت بهافى الاقربين مقـــامى
سلام على الدنيا فلا عيش بعدهـا سلام ضعيف راحـــل بسلامى
فدع عقبة حقـا ولا تحبسنه ولاتحبس البطـــال فهو مرامى
وان كان لى عمراً طويلا فاننى ادور بلاد الروم قبـــل حمامى
فاما الاقيها واما ان التقى بغصتى حقا قبل نيل مرامى

(قال الراوى) فلما سمع الخليفه شعره زاد على البطال وعقبه حنقه وقال والله لابد من حبسهما ثم امر بحبس عقبه فى دار منفرده وكذلك البطال فى دار اخرى حتى لايتحدثان واقبل على حجاب وقال له ايها الامير لاتضيق صدرك فأنا اطلق البطال بعد ايام وربما لحقك فى الطريق واكون قد وفيت بيمينى (قال الراوى) وكان فى نفس الخليفه شىء آخر وذلك انه عول إذا رحل حجاف يخرج الاثنين ويعاقبهم بمافى قلبه عليهم وبات حجاف تلك الليله وهو لزحاف والله ياأخى مالحقنا من مجيئنا الا التعب وفوات الارب وشىء ماحصل فى ايدينا وقد حبس الخليفه البطال واخاف ان يطول به المطال وربماضر به بعد سفرنا واكسب انا من جانبه الاثم والخطيئه فقــال زحاف ياأخى هذا تمام القضـاء والقـدر وعسى خبر السعيده يطلع ويظهر ثم انهم باتوا ينظرون الصباح وقد عولوا على الرواح فقال له ياأخى اخاف ان يتم على البطال ماقلت فقال زحاف ياأخى انا فى غداة غدادخل على الخليفه واتكلم فى خلاصة (قال الراوى) ولمـا اصبح الصباح تقدم حجاف إلى المعتصم وقال له يامولانا انى اريد الاذن فى الانصراف ولعلى ان اسمع خبر السعيده ثم انه بكى وسأل فى ابو محمد البطال فقال الخليفه سوف اطلقه فودعه حجاب وقد اكد عليه فى حق البطال وحمله اخوه واخرجه من القصر واركبه جواده وساروا يطلبون إلى

ان اتوا عكبرا فقال حجاف لزحاف ياأخى انزل بنا ههنا على هذا الماء حتى نتوضأ ونقضى الصلاه ونأكل شيئاً من الطعام فعول على النزول واذا على الماء شخصين قعود الواحد يقول للآخر ويحك يامذبحون ماهذا زحاف واخوه حجاف فلما ان سمع حجاف ذلك الكلام انخلع قلبه وتبين المتكلم واذا به ابو محمد البطال فقال له سبقنا إلى هذا المكان وكنت، والله ضيق الصدر لاجله كيف خليته محبوس عند الخليفه فياليت شعرى كيف كان سبب خلاصه من السجن (قال الراوى) هذا وابو محمد قد التقاه وعانقه وقال له والله ماقصرت ياامير هكذا تكون الرفاق يمضون الى ملطيه ويخلوهم محبوسين فى العراق فقال له حجاف بالله ياابو محمد لاتزيدنى على مافى قلبى فانى قد اعترفت بذنبى والخطأ كان منا من الاول والواجب اننا كنا كلنا انحدرنا الى العراق سواء وما كان واجب منا نرحل ونخليك فى الضيق فبالله عليك ياابو محمد كيف خلصت من هذا المكان فقال ابو محمد سيروا بنا فماهذا وقت الحديث حتى لايلحقنا من يضيق صدورنا فأنا لولاوقوفى ههنا فى انتظاركم والاكنت قطعت الأرض فقال والله لقد صدقت إلا انك مايغلبك شيء ثم ساروا وجدوا فى المسير والبطال قد عدل بهم الى طريق اخرى ما يهتدى اليها الجن طالب ملطية (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص الأمير ابو محمد البطال حديث عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان والده مذبحون لما تحدث معه ابوه فى الطريق عند مسيرهم الى بغداد وقال له ارجع عنا حتى يبلغ عقبة مراده منا فرجع فى الليل وسبقهم الى بغداد وابو محمد يظن انه قد سبقهم الى ملطية وكان قد سبقهم ودخل فى زى الخراسانية وقعد فى انتظارهم وجرى لحجاف وعقبة والبطال قدام الخليفة ما جرى وحبسهم كما ذكرنا وعرف مذبحون المكان الذى قد حبس فيه ابوه فصبر حتى دخل الليل وناموا اهل القصر فقال ما لى الا اغتنم الفرصة ثم انه استضعف موضع من بعض حيطانها ونقب فيه نقب يسع جمل وحمل نفسه على اهوالها ودخل فراى دار كبيرة عالية واسعة فجعل يدور فيها ويتصنت لعل ان يسمع لأبوه خبرا او حس او اثر فما راى شيء بل راى فى صدرها باب مفتوح وفيه ضوء يلوح فقصده وهو يظنه باب حجرة فطلعه وهو مثل المجنون واذا به وقد عثر فى إنسان نائم فكاد ان يقع على وجهه فعاد الى ورائه وسل الخنجر وانتظر احد ان يقوم فما قام احد فعاد وقد سكن روعه وتميز الذى عثر فيه فرآه مكتوف اليدين مربوط الرجلين فقال هذا ابو محمد لاشك فيه ولاشك ان فى فمه اكره والا كان تكلم ثم مد يده إلى خدوده فوقعت يده على خدود ناعمه مثل خدود النساء فقال لاحول ولاقوة الا

بالله العلى العظيم والله لقد كانت نوبة صعبه وقد ضربوا الى هكذا ونتفوا دقنه وما تركوا فيها شعره ثم حل يديه ورجليه وقال له قم يامسكين فكلما جرى عليك من عقبه فقام الشخص وهو يقول قد فرجت عنى فرج الله عنك فقال له مذبحون ويلك من تكون ومن انت واين ابو محمد البطال فقال له الشخص فى لعنة الله لا كان البطال ولا من تركه عندى فى الاعتقال فقال مذبحون ويلك من تكون ياشيطان فقال له انا خادم الخليفه وكنت موكلا بالبطال وانا آمن من جهته لانى انا واياه فى دار الخليفه فما حسيت به الا وقد حل كتافه وفعل فى هذه الفعال ونقب هذا البيت الذى تراه بين يديك يبان منه الضوء وخلانى ومضى (قال الراوى) فلما ان سمع مذبحون ذلك خاف من الخادم لايرجع ينذر به فلكمه بنصاب الخنجر ارماه وكتفه مثل ماكان وتركه مرمى وطلب النقب ليخرج منه ويفتش على ابوه وخرج من النقب الى ظاهر الدار واذا بشخص يصيح ويلك من انت فى دار الخليفه فى هذا الوقت وايش هذا النقب فلما سمع مذبحون كلامه عرف الصوت فناداه يا أبتاه أنا ولدك مذبحون وما جئت إلا لخلاصك فوجدتك قد تخلصت إلا أنك أخطأت الذى ما صبرت حتى أجىء اليك وتنقب فى دار الخليفة من جانب وأنا من جانب وقد أخربنا الليلة الدار فقال البطال يا ولدى ما كان فى ظنى أنك تجىء الساعة خلفى بل ظننت أنك اليوم فى ملطية فقال له والساعة فى إيش عدت إلى ههنا فقال له كنت قد بقيت حائراً أطلب موضع أختفى فيه حتى يصبح الصباح ويفتح باب القصر وأخرج فرأيت الليل بعد فى أوله فافتكرت فى الخادم لايكون ما كتفته طيب فيحل نفسه وينذر بى فعدت افتقدته فرأيتك فقال له سير بنا الساعة وطيب قلبك فأنا افتقدته وكتفته كتاف أشرف منه على التلاف ثم أنهم ساروا إلى باب القصر وأكمنوا بالقرب منه إلى أن أصبح الصباح وفتح الباب فخرجوا مع جملة الناس حتى أنهم صاروا ظاهر بغداد ثم استقاموا على الطريق وطلبوا وأنا وعكيرا وسار حجاف كما ذكرنا وسبقه البطال على ما وصفنا ساروا طالبين ملطية وقد أمنوا من كل بلية وقد مضى حجاف فقال الخليفة وقد غضب وحق اتصالى من حمزة وعقيل ومحمد خاتم النبيين ما نمت البارحة من غيظى على عقبة والبطال ولا بد لى اليوم ما أضربهما حتى أقطع منهما الأوصال ثم انه أرسل خلف الإثنين وكانوا خادمين وقال احضروهما إلى بين يدى فلم تكن إلا ساعة حتى عاد الخادم الأول ومعه عقبة والآخر عاد وهو يضحك فقال المعتصم مما تضحك فقال له يا أمير المؤمنين الدار الذى كان فيها البطال قد نقبت من أربع جوانبها فقال له المعتصم هو ما ساعه نقب واحد حتى نقب أربعة فقال

له يا مولاى لا اعلم ولا شك الا انه أراد أن يخرب الدار فأدركه الصباح فخلاها وراح فقال مطرون يا أمير المؤمنين من هذه الفعال فعاله فكيف أيضاً لا تنسب الرداوة اليه فقال طيبون السعيد من الرجال الذى إذا وقع فى شدة كان فيه أن يخلص نفسه ولو أراد أن يؤذى أحداً لفعل ذلك فقال المعتصم وحق محمد ماهرب البطال إلا وقد عمل على ابنة الحجاف وخاف من الضرب فهرب فقال عقبة أنت سيد من يعين المظلومين وينصف بين المتخاصمين والله ما كان فى التهمة يا أمير المؤمنين ولكن كان بى أننى أبقى فى عين النقصان اعند كل المسلمين ويقولون قاضى يعمل على بنات المسلمين المجاهدين (قال الراوى) وبريت ساحة عقبة بهروب البطال وقد استقام أمره بالمحال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حجاف وأخيه والبطال ومذبحون فإنهم ساروا حتى انهم وصلوا إلى آمد وتموا حتى قربوا من ملطية وسمع الأمير عبد الوهاب بخبرهم فخرج فى سائر الأمراء إلى استقبالهم كل ذلك لأجل الأمير حجاف واحبوه الناس لأجل عبادته وزهده وشجاعته (قال الراوى) وكان حجاف رضى الله عنه من حين عقل على روحه ما صلى قط الفجر إلا على وضوء العشاء الأخيرة ولما قطعت رجلاه كان يصلى وهو قاعد (قال الراوى) ولما قرب منه الأمير عبد الوهاب حرك اليه واعتنقه وسأله عن حاله وعن الخليفة وقال له أرجو أيها الأمير ان يكون ظفرك الله بمرادك فبكى حجاف النمرى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

رجعت بزفرة زادت لهيبا ... وداء ما وجدت له طبيبا
وفيض الدمع قدأدماجفونى ... إذا كفكفته أبدا نحيبا
دهانى عقبة الملعون فيمن ... ألفت وكان من قلبى قريبا
واشعل بالسعيدة نار قلبى ... فزاد وقودها أبداً لهيبا
كفى بك انه قد ضل حتى ... رمى الإسلام واختارالصليبا
وها أنا صابراً لقضاء ربى ... لعلى أن أرى فرجا قريبا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير حجاف من شعره بكى الأمير عبد الوهاب لبكائه وعادوا إلى ملطيه ونزل الأمير حجاف وأقاموا الأمراء ذلك اليوم عنده وتلك الليلة يحدثونه ويسألونه والأميرة تقول له كتبنا إلى يانس المتعزب كتاب وأعلمناه بهذه الأسباب وسألناه أن يكشف لنا خبر ابنتك وفى هذه الأيام يصل الينا الجواب (قال الراوى) فلما كان من الغد وصل الكتاب من يانس يخبر أنه قد اجتهد فى كشف خبر الجارية فما وقع لها على خبر ولا ظهر لها على أثر فوقع بالأمير حجاف الأياس وزاد به

الوسواس وخلا بأخيه زحاف وقال له يا اخى ما بقى لى سوى الله عز وجل ثم أنت واريدك تساعدنى على نيل مرادى وإلا ينفطر منى فؤادى فقال له زحاف يا أخى وما الذى تريد قل ما عندك وما بدالك فأنا ابلغك آمالك فقال ادخل الى بلاد الروم واطوف الصوامع والأديرة فاما ان اجتمع بابنتى واما ان اموت بغصتى فقال له زحاف انا اساعدك على ذلك ولكن كيف ندخل الى بلاد الروم وانت مطلوب من العرب المتنصرة وما فيهم الا من له عليك تار والذى بك لا يخفى عليهم فلما سمع حجاف ذلك بكى وقال ان الله تعالى يسبب أسباب ما هى لنا فى حساب (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى ابو محمد البطال فخاف على حجاف ان يحمله حزنه إذ دخل إلى بلاد الروم وحده ان يهلك فقام ودخل عليه وقال يا امير بالله عليك لا تبرح من ملطية وقلدنى بهذه القضية وأنا ادخل الى بلاد الروم واطوف على ابنتك اليوم والشهر والشهرين ولا اعود لك الا بخبرها فان كانت فى بلاد الروم فما يخفى خبرها وإن كانت فى بلاد الإسلام فما يخفى خبرها عن الامام فقال حجاف والله ما سبب ضيعان ابنتى إلا عقبة فإن كنت عولت على الدخول إلى بلاد الروم فخذنى معك فقال له ابو محمد والله ما يمكنى ذلك لأنك ما تخفى على كل حال لأجل ما بك من قطع رجليك فبكى حجاف وقال الحمد لله على كل حال يا ابو محمد فعند ذلك عاد ابو محمد الى منزله واخذ اهبته الى السفر وقال لولده مذبحون لا قعدت عن هذا حجاف ولا حاجته وإن لم تساعدنى أنت وسائر الغلمان والا هجرتكم طول الزمان فقال مذبحون والله يا ابتاه لو خضت بحراً لخضناه ولو سرت الى آخر الدنيا لسرنا معك فعندها لبس ابو محمد فى زى الأرمن وكذلك البس غلمانه واما مذبحون فإنه تزيا بزى بطرك كبير واقام الى الليل وسار وقد اخذ معه احمال قطن وغزل وخرز وعقيق وطلب بلاد الروم وهو فى زى التجار من الأرمن الذين يدخلون الى بلاد الاسلام وقد عملوا غلمانه الشعور وارخوها على اكتافهم ولبسوا قلانس المرعز على رؤوسهم وابو محمد فى اوائلهم بذقن طويلة شقراء كأنها الذهب وشوارب الى خلف قفاه وغير حلية مذبحون حتى انه لو رآه من يعرفه لما عرفه ثم دخلوا على هذه الصفات (قال الراوى) واقام حجاف يندب الليل والنهار حتى وصلوا اليه بنى عمه من الشام الى زيارته لما سمعوا بضيعان ابنته فانغموا وقالوا له ايها الأمير كل هذا من يدك كان لأنك كنت عندنا بالشام بعيداً عن هذه الأحكام تركتها واتصلت الى ههنا وطاب لك المقام والآن فنحن لك وبين يديك اذ ظهر خبر ابنتك واردت الدخول الى بلاد الروم ارسل الينا حتى نأتيك ونسير كلنا بين يديك ونكتب الى ملك الروم ونعلمه بذلك فقال لهم قد ارسل اليه مولانا الخليفة بالتهديد والوعد

والوعيد فأتى الجواب من عنده يحلف بالأيمان المغلظة ان ما عنده منها خبر وانا اعلم انه صادق فى ذلك لان الذى دبر عليها انفذها الى بعض المواقع المنقطعة حتى لا يطلع لها خبر ولا يقع لأحد عليها خبر لا من الروم ولا من المسلمين ولكن يابنى عمى جزاكم الله عنى كل خير فإنى متى احتجت اليكم ارسلت خلفكم واعلموا ان الأمير عبد الوهاب وسائر بنى كلاب قد اغتموا عليها وانفجعوا لها مثل فجعتى والأمير ابو محمد البطال قد دخل الى بلاد الروم هو وغلمانه وولده مذبحون يدورون عليها ويتجسسوا اخبارها قال الراوى فلما ان سمعوا بنى عمه كلامه اقاموا عنده برهة من الزمان ينتظرون قدوم البطال حتى طال عليهم المطال فرجعوا الى بلاد الشام الى ديارهم فهذا ما كان من هؤلاء الأقوام (واما ما كان) من عقبة فإنه لما وصلت اليه الأخبار ان ابو محمد دخل الى بلاد الروم هو وغلمانه وولده خاف السعيده ففزع الملعون على نفسه وخاف وقال لغلامه يا بنى وحق المسيح انى خائف من هذا الشيطان ابو محمد البطال ان يطلع على خبرها ويدبر على خلاصها ويفوتنى الأجر والثواب فى طول عذابها وأسرها وربما تكون ايضا هى سبب هتك سترى وقرب منيتى وهلاكى وضرب رقبتى أو صلبى لأنى قد نظرت اليوم فى مولدى فرأيت أن هذه السنة على فيها قطعية ولا شك أن هذه الجارية إذا ظهرت افتضحت مع المسلمين كلهم فقال له غلامه هون عليك يا مولاى هذا الأمر فلا يكون هذا الشىء أبدا ولا تخف من هذه الأشياء ولا تهتم ولا تنغم لأنها اليوم قد صارت فى آخر الدنيا ولو أنهم علموا بها ثم أرادوا خلاصها لأقاموا سائرين خمسة سنين حتى يصلوا اليها فلما أن سمع عقبه كلامه سكت عن جوابه وضحك ضحكا مبرحا واطمأن قلبه وأقام يدبر الحيل ويحكم العمل على كلام الغلام لعله يتوصل إلى هلاك أبو محمد البطال وولده وغلمانه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فإنه اقام فى بلاد الروم على تلك الحالة التى وصفناها اربعة أشهر كوامل وما ترك موضع للروم الا ودخله ولا راهب فى صومعة إلا وسأله بحيث أنه ما بات بطول هذه المدة الا على الطريق ولم يطلع لها على خبر حتى وصل الى الجزائر وعبر سائر المعابر وضاقت عليه الأرض بما رحبت وضجر من السفر والدوران فقال لغلمانه بعد هذه الأيام ما أظن السعيدة دخلت قط الى بلاد الروم فارجعوا بنا الى بلاد الأسلام لنتحيل على عقبه ونقبضه ونضربه الضرب الوجيع فى بعض المواضع ونصب عليه فنون العذاب حتى يخبرنا بامرها لان ما مصيبتها إلا منه والعلم عند الله تعالى

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر

والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلادالأفرنج

وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكرالمازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن

عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد

الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمدالشمشاطى

وصابر المرعشى ونجدبن هشام العامرى

الجزء السابع والخمسون

يطلب من

مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطبعة دار التعاون: ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال مذبحون لأبيه أبو محمد البطال يا أبتاه كيف لنا وجه نرجع به الى الأمير حجاف وما معنا له فرج فقال ابو محمد امره الى الله تعالى عز وجل وربنا يعلم اننى أذهبت نفسى وطولت روحى وطفت طوفان فى هذه المدة ما يطوفه غيرى فى عشر سنين ولكن ما بقى بالى الا على موضع واحد فقال مذبحون واين يكون هذا الموضع فقال له يابنى هى جزيرة رويس وملكهم يقال له مرحبون وهم يباع عندهم القطن والحنطة فاحملوا بنا من ذلك ونركب فى بعض المراكب ونقصد اليهم فنزلوا الغلمان واشتروا قطن وكتان وغلة من ساحل البحر وعبوها سفرى ووجدوا هناك مراكب قد عولوا على الاقلاع وفيهم عشرة مراكب رهبان وعشرة من البطارقة فقال لهم ابو محمد خذونا معكم فنحن قوم تجار فقالوا هاتوا الكرى فقال البطال لهم نعم ثم انه أخرج اليهم الدراهم ونقلوا مصالحهم ورحالهم اليها فى الحال واقلعوا باقى يومهم وساروا اول يوم وثانى وثالث وكانوا رابع الايام ضحى نهار فى الجزيرة فلما ان وصلوا نزلوا ونزل البطال وغلمانه وباعوا ما معهم وعولوا أن يسألوا عن أخبار السعيدة وإذا بمائة شخص وقد دخلوا وراءهم إلى الكنيسة وبأيديهم السيوف المجذبة ولما ان صاروا فيها أغلقوا الأبواب وصاحوا خذوا هؤلاء الكلاب وصبوا عليهم العذاب وقبضوهم عن بكرة أبيهم

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك عقبه لأنه كتب إلى الملعون مرحبون كتاب يذكر فيه حديث البطال وما صار عازما عليه من خلاص الجاريه سعيده ويقول أيها الملك

أخبرك أنه دخل اليك البطال وهو لص اللصوص والاسد القنوص ومعه أيضا ولده مذبحون ذباح البطارقة وكذا غلمانه الزنادقة الشياطين المارقه وقد دخلوا الى هذا الاقليم يطلبون خلاص البنت أو كشف أخبارها ولا بد لهم ما يصلون الى ساحل بلدك وأريد من اتمام فضلك ان تترك على الساحل مركب معدا بكل ما يحتاج اليه ويكون فيه عشرة رهبان كبار وعشرة من البطارقة الأعيان ولكل واحد منهم له عندى ألف دينار حق طريقهم وفى نظير بطالتهم فاذا وصل اليهم أبو محمد البطال وغلمانه وولده فلا بد له ما يسأل منهم عن خبر الجارية فيقولون له نعم وصلت الينا بنية من صفاتها كذا وكذا ويذكرون حالها فيفرح ويطمئن ويركب معهم حتى يصل الى عندك فلا بد له من دخول الكنيسة التى للبلد حتى تأتيهم الاخبار فتكون أعددت لهم الرجال فيقبضون عليهم فى الحال وارموهم فى الحديد والاغلال واضربوهم الضرب الشديد الذى ما عليه من مزيد وثقلوهم بالحديد وارسلوا الى اعلمونى حتى أرسل اليكم الأموال وأدبر نفسى وأقول للخليفة انى أريد الحج وأدخل إلى جزيرتكم وأصلب الجميع وأجعلهم عبرة لأمة عيسى فى كل عام حتى يزورون جزيرتك من سائر الاقطار مثل عيد انوار (قال) فلما قرأ الكتاب الملك مرحبون أرسل البطارقة والرهبان فى المركب وأمرهم بالمال وصبروا حتى دخل البطال كما ذكرنا هو وولده وغلمانه وقبضوهم كما ذكرناه وولده كما قدمنا وضربوهم حتى أشرفوا على الهلاك وتركوهم فى مطموره وعاد غلام عقبة عبد المسيح وهو الذى غمز عليهم وشاهد ماجرى لهم وسار حتى وصل الى مولاه عقبة واعلمه بالحال وكان قد تبقى من شهر رمضان عشرة أيام ففرح عقبة بمسك الجماعة ثم أعاد عليه القصة ثانيا وثالثا فباس عقبة الأرض وقال الشكر لك يامسيح ثم جعل يجهز حوائج السفر ويظهر للناس انه مشتاق الى مكه المشرفة ولما فرغ رمضان ودخل عيد الفطر ما اقام فى بغداد اكثر من ثلاثة أيام ودخل على المعتصم وقبل الارض بين يديه وقال ياامير المؤمنين مابقى فى العمر اكثر مما مضى وانا اريد ان احج حجة الوداع فربما انى ما ارجع فبكى الخليفة لذلك واخذته الرعدة من الاستماع وصار يقول هنيئا لك ياشيخ انت ومن يعمل بعملك فلا تنسانا من دعائك فى تلك المواقف الشريفة والمعاهد المنيفة فقال عقبة علم الله انى ما انساك فى ركوعى وابتهالى وخضوعى انت والسيدة زبيده لأنكما أولادى وسوف ادعو لكما فى البيت الحرام وعند زمزم والمقام وعند قبر خير الانام وودع الخليفة وخرج بعد ما اعطاه خمسة آلاف دينار وسار مع الحجاج حتى وصل الى مكه وطاف واعتمر وحلق وقصر وأفدى ونحر وفرق مالا كثير على الفقراء حتى صار له اسم يذكر وكل ذلك زيادة فخر وسمعة بين البشر حتى أحبوه

الخاص والعام ومن فى ذلك المقام وانه حضر وشهدوا بانه أعبد البشر وذلك لينفى عنه مابريد ان يفعله من الخطر ولا يصدق الخليفة فى حقه فى بدو ولاحضر ولما تم للناس الوقفة وما بقى الازيارة سيدنا محمد صاحب الفخر أظهر اللعين المرض والوهن وانقطع فى حجرة من الحجر حتى جاؤا للسلام عليه حجاج العراق زمر بعد زمر وصاو يوهم انه فى القبلة محتضرة ويقول بلغوا سلامى الى المعتصم والسيدة زبيده واعلموها انى اسكن الحفر وان كان لى عمر ففى العام القابل يكون الاجتماع به عند سيد البشر (قال) ولما خرج الناس من عنده أقام على اقدامه كانه الكلب الاقشر وقال لغلامه عبد المسيح مابقى إلا بلوغ الوطر ثم خرج مع العرب حجاج البصرة وسار معهم وأخذ عن الطريق وسار فى أماكن يعرفها حتى دخل جزيرة رويس وقدنجى من الخطر ودخل على الملك مرحبون فلما رآه الملك تلقاه وقربه اليه وبشره بالنصر والظفر فسأله عن البطال ومن معه فاخبره بالخبر واعلمه انهم فى بعض المطامير كما امر وقد بكى على حالهم صم الحجر لما وقع لهم من العذاب والضرر والساعة كانوا بين يدى وانا اضربهم بالسياط حتى صاروا عبرة لمن اعتبر (قال) ففرح الملعون بذاك وضحك عن انياب مثل انياب الكلاب الكشر وقال على بهم الساعة ياملك حتى اريك تمام النصر والظفر فما كانت الا ساعة وقد احضروهم بين يديه فلما رآهم عقبة اخذه الفرح والسرور وقال وابرداه على كبدى كيف ترى حالك يابطال قال الحمد لله بخير ما لم ارى وجهك الخبيث لاكنت ولا وصلت ولا سلمت من الخطر فزاد عقبة من كلام البطال الضحك واخذه البطر وقد قال هاتوا السياط حتى ازول هذه الحدة من راس هذا الشيطان والذى معه الاخر وصار يقدم واحد بعد واحد ويضربه حتى تشخص عيناه حتى ضرب الجميع فقال له البطال ويلك يالعين ماتحالفنا انا وانت فى ملطية ان لاتؤذينا ولا تؤذيك وقلت قدام الخليفة وقد سمع منا وانك لا ترجع تتعرض فقال له عقبة الويل لك ياويلك متى اصدق فى كلامها هيهات هيهات ان يجرى الصدق لى على لسان ولابد فى هذه النوبة ان اعدمك الحياة فقال له ابو محمد ويلك ياملعون يامن هو بجهله مفتون كل هذا يزول وعلى خواطرنا يهون وهو اهون من عذاب الاخره على انك تعلم انه مامضى قتالنا سدا الان وراءنا من ياخذ لنا بالنار ويكشف عنا العار ويحرق عظامك بالنار ياشيخ الضلال ياغدار وهو الاسد الادرع والنمر الصميدع الليث الوثاب الامير المهاب سيد بنى عامر وكلاب الامير المجاهد عبد الوهاب ولاسيما اللبوه الصمه الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) ثم قال عقبة وقد تفكر ساعة وقال ويلك يا بطال اريد اقول لك شيئا آخر فقال له أبو محمد قل ما شئت ياملعون وماعسى ان تقول وكلامك كله

فضول فقال عقبه والله يا أبو محمد ما نترك قتلك الساعة إلا شفقة منى عليك ولا أشتهى أن أراكم ولا أسمع كلامكم وما أخوفنى إلا الذى قتلوه والمنام الذى عن نبيكم تعلموه وقال لكم عن صلبى وهو محال وانما هو أضغاث أحلام وانا أريد ان أقيم هنا عشرون يوما واعود الى العراق واحتال على الامير عبد الوهاب وامه ذات الهمة ومن قدرت عليه من ابطالكم واحضرهم الى خدمتك واتى بهم الى ههنا وارميهم فى هذا السرداب وبعدها اضرب منكم الرقاب وافجع منكم الرجال والأحباب واريكم الساعة كيف يكون الهوان والعذاب اذا انقطعت بكم الاسباب وبطلت آمالكم عن الظن الكذاب ثم قفل عليهم باب المطمورة وصعد الى الملك مرحبون واقام عنده شهرا كاملا ثم اوصى الملك بهم ان يطعمهم ويسقيهم كل ثلاثة أيام ما يمسك الرمق ويعذبهم عذاب شديد ولا ينقلهم أبداً من الحديد ولا يدعهم يهلكون جوعا بالكلية لأن فى حياتهم أرب ثم ودعه وسار وحسب الأيام وسبق حج العراق إلى مكة وأقام بها أياماً قلائل حتى وصل حج العراق فلبس حلة سوداء وخرج إلى ملاقاة الحج وفتح حنجرته وجعل يقرأ شيئاً من القرآن العظيم بصوت حنون يشفى السقيم والناس يقبلون يديه ويثنون بالجميل إليه وأياديه تقبل وعمله لا يقبل وتباركوا به ودخل مع الحجاج الى مكة محرماً وحج واعتمر وطاف بالبيت وخرج مع حج بغداد الى ان وصل الى الديار جنح الطيلسان ودخل على المعتصم بالله فقام الخليفة اليه واكرمه وقبل شيبته ومسح بيده على وجهه ومسحها على بدنه وتبرك بها لأنها من روائح الحجاز وقال له هنيئاً لك يا قاضى فادعو لنا بالمغفرة فدعى له وللمسلمين وسار معه الى الديار وهو يقول له لعلك ذكرتنا بشىء من دعاءك عند زمزم والمقام فقال له يا مولاى الدعاء لك من جملة المفروضات بل ما صليت قط صلاة الا ودعوت لك بها وكذلك الأمير حجاف انى والله متوجع لقصة ابنته فهل وقع لها على خبر ام لا فقال المعتصم لا والله يا شيخ فقال عقبة اللهم يا رباه بحق هذه الحجة المبرورة والوقفة المشكورة اسألك ان ترد عليه ابنته وان تغفر له ذلته وانى مسامحهم من جميع ما استحلوه فى حقى وكيف انهم اتهمونى بابنتهم ورد اللهم على حجاف ابنته رداً جميلا بحق من صلى وصام وادعى فى البيت الحرام وبحق الأنبياء الكرام والأولياء العظام قال الخليفة يا قاضى قلوب الناس متعلقة بغيبة ابو محمد البطال لأنه قد دخل يدور عليها فى بلاد الروم فقال عقبة والى الآن ما ظهر له خبر قال لا والله يا قاضى ما سمعنا بعدها خبر لأحد منهم ولا عاد ظهر فقال عقبة هو ولدى على كل حال ولا أؤاخذه بما يقول فى حق من هذه الأقوال فالله يسهل عليه كل عسير بحرمة البشير النذير والسراج المنير فوالله

لقد قطعت ظهرى يغيبته فانه ركن من اركان الاسلام وناصر جيش الموحدين (قال الراوى) ثم ان عقبة عاد الى داره وأقام مع غلمانه وهو يقول لهم أريد أن أدبر على قبض الاسود الامير عبد الوهاب وأوديه إلى الجزيره عند البطال وأريد واحد منكم يساعدنى على عبارتى ويحمل كتابى هذا إلى الرجل من أهل البصره وهو فيها مقيم فقالوا له يامولانا كلنا غلمانك وبحكمك لاننا نريد الثواب بدعاءك فقال لهم جزاكم الله خيرا عندها كتب الملعون كتاب وختمه وأنفده مع غلامه عبد المسيح وقال له إذا وصلت إلى البصره فاقرأ ما على عنوان الكتاب تعرف الذى أنت ماضى اليه والسلام فأخذ الغلام الكتاب وسار ولم يأخذه قرار حتى وصل إلى البصره وقرأ عنوان الكتاب وإذا به يصل إلى زقاق المحال ومساطب اللصوص إلى يدى مالط ابن برق المغالط أبن قحطان فقال الغلام ياترى من يكن هذا النحس الآخر وأين أراه ثم انه جعل يسأل عنه حتى انهم دلوه عليه فوصل اليه ودخل عليه فوجده شيخا أعمش أزرق العينين أغبش كانه شيطان أو مارد من جان سيدنا سليمان طويل عريض من الرجال فلما أن رآه ناوله الكتاب فأخذه وقرأه وقال بعد قراءته للغلام قد عرفت المقصود ارجع أنت إلى مولاك فها أنا سائر وراءك فخرج غلام عقبة من عنـــده وسار يقطع الأرض ليلا ونهارا حتى انه وصل إلى مولاه ولما دخل عليه فوجد الشيخ مالط عنده وهو جالس يتحدث معه وقد سبقه إلى عقبة فتحير من ذلك وقال له متى جئت ياشيخ مالط فقال له عقبة ياولدى هذا له يومين عندى فتعجب الغلام من ذلك لأن ذلك الغلام قد سافر بطول الليل والنهار فرآه قد سبقه لانه كان آفة من الآفات أو بليه من البليات وكان عقبه قد أكرم مالط هذا غايه الاكرام وقدم له الطعام فأكلوا والمدام فشربوا وزاد فى إكرامه ثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع قال له عقبة يامالط قد وجب الآن حق عليك ولى دعوة أقصصها عليك ثم أنه فى الحال أحضر ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار ذهب فلما رأى مالط ذلك زاد طربا فقال له مالط ياشيخ أطلب منى الان ماتريد حتى أوصله اليك فقال له عقبة أريد منك الان الامير عبد الوهاب إلى ههنا وفى رجله قيد ثقيل ولك عندى خمسه آلاف دينار ذهب استعين بهم على وقتك والتعب (قال الراوى) فضحك مالط وقال هل لك حاجة أخرى غير هذه فتقضى فقال له وأيضا ذات الهمة أمه أن قدرت فقال له مالط وإن أردت أسرق لك الخليفه من بغداد وأشراف مكة وعدول مصر وشيوخ اسكندرية ورهبان مدينة القسطنطينية لفعلت ذلك فقال له عقبة ماأردت هذا وما أردت إلا عبد الوهاب وأمه ذات الهمة فقال له مالط أمهل على أربعين يوم يكون عندك فى الدار فضحك عقبة واعتنقه

وقبل صدره وبكى فى وجهه فقال له مالط لاتبكى فلو أردت أن أذبح لك الكل على فراشهم لفعلت ذلك وكان على هين ثم بات تلك الليلة عنده وأصبح اخذالذهب وسار حتى أنه وصل إلى البصره ثم ادعى بعشرة من غلمانه وقال لهم قد نقضت التوبة ورجعت إلى المعاش والعيارة فلما أن سمعوا كلامه غلمانه فرحوا له بذلك الحال لأنهم كانوا قد أضر بحالهم توبته وعلاهم الدين من أجله وهم صابرين لذلك وما صدقوا المناحيس بعودته لفعل الحرام والمكر واللصوصية وشرب المدام (قال الراوى) وقالوا لمالط ماتريد فأخرج لهم من الذهب الذى أعطاه له القاضى عقبة مقدار ألف دينار فرقها عليهم وقال لهم تزودوا واشتروا لكم سلاح وآلات الخديعة والمكايدات ثم أنه أخبرهم بما ضمن له عقبة من المال على سرقة عبد الوهاب وأمه ذات الهمة من ملطية فقالوا وكيف نقدر نحن أو غيرنا من البشر وهم الرجال والابطال وأسد الحرب والقتال قال مالط دعوا عنكم هذا الكلام فقد علمنى عقبة الحيلة التى آخذهم بها ودلنى على مكان أحملهم اليه وأتركهم فيه وهو قريب ملطية ولا يطلع لهم خبر ولا جلية أثر (ياسادة ياكرام) هذا ما كان من مالط العيار (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب الفارس المهاب فانه كان معتكف على العبادة ولا عنده من هذا خبر ولا جلية أثر بل يعبد الله هو والامير حجاف ويسليه ويعده بالمعاونة أن ظهر لبنته خبر ولا يبيت غالبا إلا عنده لأنه يحبه لاجل زهده وعبادته ويأكل معه ويشرب معه وقت الافطار لأن حجاف كان صائم الدهر كله هذا ومالط أتى إلى ملطية وذهب إلى المكان الذى وصفه له عقبة وهى ضيعة قديمة مقابل لباب ملطية تسمى ضيعة القباب وفيها كنيسة قديمة جدا من عهد الروم القدماء وهى من ملطية بثلاث أميال إلا أنها خالية خاوية وبها آثار خربه لايعبأ بها ولكن فيها صورا وتماثيل وأشارات تعرفها عباد الاوثان والانجيل وكانوا صعاليك أهل ملطية يسيرون اليها ويحفرون فيها فيجدون فيها الفضة والذهب وان الشيخ مالط أنزل أصحابه فى المكان الذى وصفه له عقبة القرنان ودخل بهم فى عقود وقناطر ثم نزل بهم فى درج وعاد صعد بهم فى درج أخرى فوجد بابا إلا انه مسدود بالحجارة ففتح هو وأصحابه الباب فوجدوا كنيسة لطيفة وفيها صور تدهش من اليها نظر وتصاوير شتى مشرقة ملمعة كان الصايغ عنها نزل وفيها قناديل ذهب وفضة وبيت مذبح لطيف وفيه شيخ كبير (قال الراوى) وكانت هذه الكنيسة معبد لعقبة وكان الذى أعلم عقبة بأمر هذه الكنيسة ملك من ملوك الروم قال له ياشيخ لنا عندك كنيسة فى الموضع الفلانى وفيها راهب قد وهب نفسه للمسيح وله هناك ثلاثين سنة ونحن نحمل اليه كلما يريد من أكله وشربه ومن

الصلبان ومن القناديل والزيت والصور والكسوة وغير ذلك وان أردت أرسل بعض القسوس يريه لك خفية ففرح بذلك عقبة وجعله فى باله (قال الراوى) ولم يرد جوابه وعلم عقبة أنه مايتم لمالط أمر الابه الاول لقرب المكان ثم اخفاؤه عن كل أحد لانها مقفوله بين الكيمان وأثر البلد القباب الذى قدمناه ذكرها خراب فوصف له وأعلمه بما يريد يفعل بالأمير عبد الوهاب وأمه وعلمه كيف يسرقهما ويوديهما إلى ذلك المكان (قال الراوى) الا أن مالط وأصحابه لما أتو إلى الكنيسة وشاهدهم الراهب مات فى جلده وهب فيهم يقول ياويلكم من أين جئتونى وأنا شيخ ضعيف فقال مالط ويلك ياشيخ لاتخف ولا تفزع نحن قد جئنا من عند صديقك عقبة ثم أعطاه الكتاب الذى كان أعطاه له عقبة ففضه وقرأه فطاب قلبه وخلا مالط أصحابه عنده وسار إلى ملطية وسأل عن الامير عبد الوهاب وهو أعرف الناس به كان تاب عن الحرام على يد الخليفة المهدى وكان المهدى قد رتب له جامكيه وجراية يأكل فيها إلا أن الشقاوة كتبت عليه لأمر محتم يأتى ذكره إلى حين وصولنا اليه ولا زال الشيطان يسأل عن الأمير عبد الوهاب وكان قد اجتمع به الأمير عبد الوهاب على زمان المهدى وطلبه الأمير عبد الوهاب حين تاب عن الحرام وقال له أريدك تبقى معى مجاهداً فى سبيل الله تعالى فقال له هيهات يا أمير إن بقيت أحمل حديد إلا انى الليل والنهار أقضيه بالبكاء والاستغفار والصلاة عسى الله ان يغفر لى ماقد مضى من ذنوبى والأوزار ويجود على بالعطف والرضا ففرح الأمير عبد الوهاب بتوبته وتركه على حاله من تلك الأيام إلى هذه المدة ولعب بعقله عقبة قاتله الله وأرغبه بالمال وأغواه فنقض التوبة ونافق لأنه كما قدمنا ما اراد الله إلا أن يموت شقياً نعوذ بالله من سوء الخاتمة (قال الراوى) ولما دخل ذلك اليوم على الأمير عبد الوهاب عرفه فى الحال وقال له أهلا ومرحباً يا مالط لا شك أنك عولت على الجهاد فقال نعم يامولاى لأن حديثى عجيب وأمرى غريب لعل الله تعالى يتوب على ويسامحنى فيما مضى فقال له الأمير عبد الوهاب وما هو حديثك الذى تقول انه عجيب فقال يا أمير ما كل حديث يصلح ذكره بين الملا فقال تعالى إلى جانبى واذكر لى ما تريد وحدك فتخطا الرقاب فأخذه الى جانبه وقال له أيها الأمير أبشر بهتك ستر هذا القرنان عقبة وبخلاص السعيدة بنت حجاف وإخراج المسلمين كلهم من عند هذا الكافر الملعون والفاجر المفتون وهى تكون سبب صلبه وعذابه ففرح الأمير عبد الوهاب وظن ان كلامه صدقاً وقوله حقاً فطار قلبه من الفرح وقال لمالط حدثنى فقال أنت تعلم أنى كنت تبت هذا الزمان كله ولم أزل فعل الخير إلى أن وصلت السعيدة بنت الأمير حجاف إلى بغداد فوصل إلى ثلاث نفر

من غلمان عقبة ومعهم عشرة آلاف دينار ذهب وكتاب يقول فيه أن انقض التوبة وإثمك فى رقبتى وهذا المال لك وعلى كل سنة مثله وتأخذ لى السعيدة اذا خرجت من بغداد وتقتل كل من كان معها وتقصد بها القرية الخراب المسماة بالقباب ووصف لى أيها الأمير مكان ما تهدى اليه الجن ولا تعرفه فقلت له والله ياشيخ هذه مواضع ماأعرفها ولا فى القرية الخراب شىء منها ولا من هذا الذى تقول لأنها كانت مسكن لأولادى وغلمانى من العيارين أيام جهلى وما كنت عليه من الشقاوة فقال لى واحد من غلمان عقبة يا أخى خذنى معك وإذا أخذت الجارية انا اوديك الى الموضع الذى فى القرية فاتركها فيها فلما سمعت ذلك يا أمير نزغنى الشيطان ثم لعب بعقلى المال فنهضت وأخذت معى خمسين عيار وأعطيت لهم جانب من المال وأخذت السعيدة وفعلنا ما فعلنا ثم جاءنا غلام عقبة الى الموضع الذى وصفنا لك فدخل بنا إلى كنيسة لو رآها عابد لتمنى ان يكون فيها ورأينا فيها يا سيدى من الذهب والفضة والصلبان والستور والصور ما يكل عن وصفه اللسان ولولا حفظ الله على دينى والا كنت تنصرت وفيها راهب كبير السن مقتصر فيها أكثر من ستين سنة فوضعنا السعيدة هناك عند الراهب واوصينا عليها الراهب وقلنا له هذه وديعة الشيخ النجيح ولا علمت انا ياموﻻى ما عرفت هذه الأشياء ما معناها ولا كنت أعرف أن الميشوم نصرانى وتركنا غلام عقبة عند الراهب وانصرفنا راجعين الى البصرة وأنا قد ندمت على ما فعلت وبقيت أنا محتار ندمان على ما جرى منى بعد توبتى واذا به الملعون قد عاد أرسل خلفى مرة ثانية وأحضرنى عنـــده وجعل يبلسنى ويقول ويلك ويلك يامالط أنا أعرف منك بالأديان ولم يزل يغوينى حتى تنصرت وأعطانى خمسة آلاف دينار أخرى وقال لى ياولدى أريدك أن تكون عوناً لى فى هـــذه البلاد وتكون عينى التى أنظر بها وكل ما جرى شىء تعلمنى به واذا أتاك كتاب منى تعمل بما فيه لأننى قد عولت على السفر فقلت له والى أين انت عولت ياموﻻى فقال الى الموضع الذى وديت السعيدة فيه فقلت له وكيف تقدر على الدخول وملطية فى طريقك وأنت منها مطلوب فقال لا تخف من هذا فأنا أسير بالليل وأكمن بالنهار وأدخل مع النصارى التجار وأنزل انا وغلمانى الى الموضع فقلت له ياشيخ وهذا كله من أجل هذه الجويرية التى لا قدر لها ولا قيمة فضحك وقال ياشيخ مالط قد حصلت لك ذلك الشيطان الرجيم واللص اللئيم أبو محمد البطال وولده مذبحون العفريت وغلمانه لأنهم أخذوهم الروم وأرسلوا يشاورونى فيهم فقلت لهم أرسلوهم إلى الى ضيعة القباب لأنى أنا هنا ولى الف عين فى الف مكان فأرسلوهم الروم الى ان وصلوا لضيعة القباب عند الراهب وهم هناك

الآن فلما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك الأحكام وسمع بذكر السعيدة خنق قلبه من الفرح وقال احقا ما تقول يا مالط قال وحق رأسك قسم ولكن اصبر يا مولاى حتى أذكر القصة بتمامها فقال الأمير قل وأوجز حتى نسير الى خلاص السعيدة ومن معها كما قلت من الرجال فوالله لقد ضاقت على الدنيا بسببها ولأجل أبوها قال مالط فقلت قواك المسيح يا شيخ ثم خرجت من عنده وأنا موسوس بكلامه الى الليل فنمت وإذا بقائل يقول لى فى منامى ويلك يامغبون بعت الآخرة بالدنيـــا الساخرة فلما سمعت يا مولاى ذلك الكلام ارتعدت فرائصى وقشعر بدنى فقمت من فزعى منه ورعبى أشهد أن لا إله إلا الله وأشـــهد أن محمدا رسول الله وقلت ياترى يقبلنى ربى بعد كفرى فقال لى ذلك الشخص نعم إذا أنت استيقظت من منامك قم من وقتك إلى ملطية وتقول للامير عبد الوهاب قدهتك الله ستر عقبه وهاهو واصل الى الكنيسة فى ليلة الاحد ثانى عشرين فى الشهر ليكفر بالفرد الصمد لأنها ليلة عيد النصارى يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير ويكون انهتاك ستره وسبب صلبه وقهره (قال الراوى) فلما سمع الامـــير عبد الوهاب ذلك الكلام كاد ان يغشى عليه وقبض على يد مالط العيار ودخل به على الأميرة ذات الهمة وقص عليها الحكاية واخبرها بما قال وذكر لها الكنيسة فقالت للأمير وكيف تكون فى ملطية كنيسة ونحن ما نعلم بها فقال الأمير والله يا أماه انا سمعت من البطال مرار وهو يصفها لى وما القيت الى هـذا الكلام بالى والآن فقد ثبت صدقه بهذا المقال لأن الأمير وامه كانوا مسلمين بالجهاد للكفار واذا أقاموا فى ملطية شهر واحد ما يقطعوه الا بالعبادة ليل ونهار فى طاعة الملك الجبار وهم مسلمين القلب والنية فدخلت عليهم حيلة هـذا اللئيم العيار التى رتبها له عقبة الغدار ولكن الله يعينهم عليه حتى يصابوه ويبلغوا منه المنى والأوطار ويحرقوا عظامه بالنار (قال الراوى) وقال الأمير لأمه ماذا تشيرين على يا أماه فقالت له يا بنى وما الذى اقول فعسى الله يكون جعل هتك ستره على يد هذا الرجل من دون غـيره من الرجال الشطار لأنه رجع إلى الله من قريب بعد كفره وشد الزنار وما فرحت يا ولدى بكشف ستر عقبة وحده إلا فرحت بخلاص السعيدة من الاضرار لانه كان على قلبى لفقدها حزن عظيم وحزن أبيها زاد بى شعل النار لانه رجل من خيار الاخيار ومكســـور الخاطر وغريب الديار وله المواقف الجيدة فى جهاد الكفار وكانت هذه الجويرية قائمة بأوده فرض كفاية وتعاونه على العبادة فى ظلمات الاسحار ولها من الزهد فى صغرها والعبادة ما لا يوجد فى أهل الولاية

والاسرار ثم أن الاميرة قالت صح خروج عقبة إلى هذه الكنيسة ولكن قد سمعت أنا منك هذا الكلام فقال لها نعم يا مولاتى ولكن سمعت عن بعض المشايخ يقول استعينوا على أموركم بالكتمان وأنتم تعلمون أن عقبة خبيث وله ألف عين فى ملطية وغيرها ولا سيما بنو عمه وأقاربه من بنى سليم وربما يلتقيه أحد منهم يعلمه بحالى وينفسد الأمر ويعمل على هلاكى عند الخليفة فقال عبد الوهاب والله أنك لصادق فيما تقول ولو علم بهذه الكره ولو أننا قلنا أنك قلت لمالط خذ بنت حجاف ودعها فى الكنيسة ودبرت على البطال وغلمانه وولده كابر أهل الأرض وقال ما عندى من هذا خبر وهذا الأمر من عندكم وحيلة وصناعة من البطال أبو محمد ومن بغضكم فينا تقولوا هذا المقال اللص المحتال وما تبعد عنه هذه الأحوال لأنه سرق السعيدة ودبر على وسرقنى وحطنى عندها حتى يشنع على بهذه الأقوال والأحوال وأن الناس لهم الظاهر والله متولى السرائر وما فى الأمر إلا أننا نسبقه على الكنيسة وإذا دخلنا إليها نكمل فيها وإذا أتى قبضنا عليه فقم بنا يا مالط فنهض الشيطان مثل السلهب ثم نهض قائماً والأمراء معه على نيتهم ومالط ناوى الزغل عليهم ولكن نيته ميشومة عليه والله تعالى يرد كيده فى نحره كما سيأتى ذكره (قال الراوى) فلما قال له الأمير عبد الوهاب قم يا مالط أنا وأنت وأمى ذات الهمة وما نحتاج معنا لأحد قال افعل يا مولاى ما تريد ولكن يكون خروجنا وقت العصر ويكون معك شيء من الطعام لأننا ما ندرى أى وقت يأتى وأنا أحمل لكم الطعام من أجلنا ولأجل المأسورات لأنى خليتهم جياع ولا أدرى إن كان الراهب أطعمهم شيء أم لا وإنى والله قطع قلبى بكاء السعيدة وهى تشكو الجوع على صغرها وكنت أوصيت للراهب من جملة ما كتب لى من الشقوة أن يقل عنها الزاد ويعذبها بالجوع حتى يبليها بالقطوع كما قال لى عقبة (يا سادة) فبكى الأمير عبد الوهاب على السعيدة وما تقاسى من الهم وما هى فيه ثم قاموا إلى آخر النهار وخرجوا وهم فى زى المنفرجين حول البلد بلا عدة كما قال أهل الفضل حساب العواقب أمان من النوائب ثم بعد ذلك خرج غلام الأمير عبد الوهاب ومعه طعام كثير وحلوى وساروا وهم مطمئنين ولا يعلمون ما خبىء لهم فى الغيب وصاحب الغيب يدبر الغيب كيف يشاء ولما أبعدوا عن البلد حتى وصلوا إلى الموضع وقت صلاة العشاء الأخيرة وصلى مالط بن برق المخالط ثم جعل يبكى ويتخضع وهو بلا وصف مثل حال أستاذه عقبة إلى أن فرغوا من الصلاة (قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب لامه يا أماه هنيئاً لهذا العبد الصالح مالط فى هذه النوبة ثم نزل بهم من

موضع إلى موضع ومن عقد إلى عقد وكانوا الامراء قد ترجلوا عن خيولهم ومسكوها لغلام الاميرة ذات الهمة ثم قصدوا الكنيسة حتى دخلوا إليها وطلبوا باب المذبح فوجدوا الراهب واقف يدبر أمر القناديل فرمى مالط الطعام وهجم على الراهب ثم مسكه من ذقنه وقال له يا ويلك أين السعيدة ويلك يا شيبة الكلاب وأين أبو محمد البطال وولده مذبحون وبقية الغلمان والأصحاب قل لنا وإلا قتلناك فقال الراهب يا مولاى أنا شيخ كبير كما ترى أعبد المسيح فى هذا الموضع وما لى وحق المسيح فى هذا الأمر جنية ولا سبب لأننى رجل ضعيف وأنا قد أتانى هذا القرنان عقبة المنهان المتلاعب بالأديان وبحث على وأنا كاب عتور حابس نفسى عن الناس تحت الارض والكيمان وما أدرى من دله على وأنا لى ثلاثين سنة فى هذا المكان فأتانى على غفلة مثلكم ومعه رجال وقالوا لى خبي لنا هذه الجارية وهؤلاء القوم عندك وإلا قتلناك قلت يا قوم ما لى طاقة بهذه الأشياء نخذوهم من عندى فقالوا ما نكلفك بشىء إلا هذه الجارية تطعمها ثم تسقيها بقدر ما يمسك رمقها حتى لا تموت ولا تزيل القيد من رجليها أبدا ففعلت هذا فزعا منهم وفى هذه الأيام من قريب أتونى برجل آخر أنزلوهم إلى هذا السرداب وهم فيه إلى الآن وكذا الجارية فى هذا البيت الذى ترونه لأن فيه سرداب كبير وهم فيه والبنية معهم أنزلوا إليهم وخذوهم ولا تقتلونى لأنى شيخ كبير ولا لى ذنب ونبيكم نهاكم عن قتل الرهبان كرامة للراهب بحيرى كونه بشر بدخوله فلما سمعت الأميره ذات الهمة ذلك والأمير عبد الوهاب تحققوا أن السعيدة هى وأبو محمد البطال وولدة مذبحون وغلمانه وباقى أصحابه هناك فتبادروا إلى البيت وإذا فيه سرداب يغرق فيه الرمح وبابه مفتوح فتبادروا إليه ثم نزلوا فيه إلى أن وصلوا إلى آخره فلم يجدوا فيه أحد فقال لأمه ذات الهمة يا أماه ما أخوفنى أن تكون الحيلة قد تمت علينا فقالت ممن يابنى فقالت من الحراب المنحوس وأما مالط فهو رجل من اهل الخير ثم صعدوا وهم يتحاورون فوجدوا الباب مسدود عليهم بطابق من حجر قدر حجر الطاحون فندموا حيث لاينفع الندم فأيسوا من الحياة وقالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان هذه الموتة التى كتبت لنا (قال الراوى) وكان مالط العيار قد خرج إلى غلام الأمير عبد الوهاب ومسك منه الفرسين وقال له أدخل الى سيدك فهو يطلبك يريد يرسلك الى ملطية فى أمر عرض له فدخل الغلام وهو لايدرى ما كتب عليه وهو على قلب غافل ولا يعلم ما خبىء له فى الغيب فما امهلوه حتى دخل من باب الكنيسة فخرجت عليه الرجال بالسيوف حتى صيروه إرباً إرباً وراح الى رحمة الله تعالى ثم التفت اللعين

مالط إلى أصحابه العيــارين وقال يا أولادى هاقد قضيت الحاجه إلى عقبه وتمت الحيلة والنصبه لانه أعطانى هذه الأموال على أخذ هــذا عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وقد أخذناهما ولكن ما نقدر نخرج بهما من هذا المكان ولا نقدر عليهما وربما لا يصلون معنا فقالت رجاله وما عساهما يقدران يفعلان وهما بلا عدة فقال مالط ويلكم خلوا عنكم هذا الهذيان فلو كان واحد منكم يملك خوصة صغيرة لأوراكم الهوان ألوان هؤلاء هم أبطال الزمان وحماة كل ميدان والليلة تنقلب ملطيه لأجلهما حتى تسـير الخيل فى طلبهما شرقاً وغرباً وأنا أريد منكم اثنين يركبان ويسيران طول الليل على غير طريق من على السويديه الى تل باش الى البارعيه ثم يقطعان الأرض ويصلان الى بغداد واذا دخلا الى عقبه فيقولان قد أخذنا لك عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وقد خشى مولانا الشيخ مالط أن يسير بهما اليك فيصدفان فى الطريق ويتولد من هذا ضرر فان كنت تتم لنا العشرة الآن فهو يسلمهم اليك (قال الراوى) فعندها وثب منهم اثنين شيطانين عيارين وقالوا له نحن نسير اليه وطلعا وركبا على حصانين وساروا يقطعون الأرض وقد أخذا معهما غلام عقبه وجدوا سائرين حتى وصلوا الى أرض العراق هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من ملطيه فان الأمراء دخلوا على الأمير عبد الوهاب ليسلموا عليه فما وجدوه فقالوا لا يكون عند الأميرة ذات الهمه ثم مضـوا اليها فما وجدوهما فقالوا لا يكونوا عند الأمير حجاف فلم يجدوا لهما خبرا (قال) فاشتد الطلب وماجت بهم البلد وانقلبت البلد لفقد الأمير والأميرة وحجاف يقول يا قوم أخبركم الخبر العجيب فقالوا ما الخبر فقال لهم حجاف قد وصل الينا البارحه واحـد لاستر الله عليه أزرق العينين عيناه مغلوبتان فسمعت الأميرة تقول أهلا وسهلا يا مالط الحمد لله على تمام نوبتك فقلت لها من هذا قالت هذا يقال له مالط بن برق المغالط ثم تحدث مع الأميرة ذات الهمه سرا ورأيت الأمير باس الأرض شكرا لله تعالى ففرحت بذلك وقلت يا مولاى ايش الخبر قال سوف ترى وتقف عليه حينما يتم ثم مضى به والأميرة وأنا والله لقد بت البارحه على غاية من القلق فاطلبوه لا يكون تم عليهم حيلة فعندها ركبوا بنى كلاب وحملوا على بنى سليم وقالوا والله الذى لا اله الا هو ان فقد الأمير والأميرة سفكنا دماءكم ونخلى دماءكم تفج فى ملطيه وما هذا الأمر الا منكم ومن جملة حسدكم وتصايحت السودان وبربرت الحبشان وأحدقوا بدار الأمير عمرو بن عبيد الله وقالوا نريد أميرنا والا قطعناكم فلما رأى الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك خرج ومعه مصحف وسيف وحلف عشرة ايمان بليغه ماعنده من ذلك خبر وكذلك كل مشايخ بنى سليم فصدقوهم وداروا

حول البلد فما وجدوا أحدا ولا حس حسيس وقال سيف الحنيفيه ماهم إلا بلعتهم الأرض والا فأين يكونوا ثم عادوا الخيل فقالوا مارأينا أحد فقال الأمير حجاف ياقوم اكتبوا إلى الخليفه واعلموه بماقد جرى على الامراء وكيف أتاهم ذلك الرجل وتحدث معهم ثم غابوا معه إلى هذا الوقت ولم يظهر لهما خبر حتى يجدوا فى طلبهما ولا يغفلوا عنهما وانت تعلم يامولانا انهم عماد الإسلام وكتب الأمير سيف الحنيفيه كما ذكر حجاف وأرسله وكتب فى الكتاب وان نحن يامولانا مالنا خصم إلا عقبه فان أردت ان أبانا يظهر تقبض عليه وترسله إلينا وتسلمه انا فهو إذا قررناه يخبرنا بخبر الأمير وأمه أين ماكان وان كنت ياأمير المؤمنين ماتفعل ذلك ولا تمكنا منه فانا نخرب البلاد ونأخذه بأيدينا قبضة بالكف فبالله عليك ياأمير المؤمنين أترك الهيبة مقيمة بيننا وبينك ولاتحوجنا لخلع العذار لان أكباد الرجال ماتحتمل غبن فلا تدع مثلنا يعصى الله فى مخالفة امام عصرنا وولى أمرنا والسلام وسلموا الكتاب إلى البراج فعلقه على جناح الطائر فوصل إلى بغداد (قال الراوى) فأخذه البراج وسلمه للخليفه فقراه وفهم معناه فقامت عليه القيامه وانقلبت بغداد وقال الخليفه ومايكون فى مقابلة الجميل مثل هذه ولاأحسن منها وتكون بالامس بغداد قد أشرفت على الاخذ من كلب الروم كرفناس وأشرفت الناس على الهلاك وماقالت الناس أن يسلم من الناس أحد متى وصل الينا هذا الأمير عبد الوهاب البطل الاجد والليث الأسود وترس قبر النبى محمد الامجد وأمن الناس به من بعد الخوف وبعدما ايسوا من الحياة فيالها من رزيه ماأعظمها (قال الراوى) هذا جرى ههنا وأما المتعصبون لعقبه فانهم قالوا هذا محال ولا يصح ذلك فى حق قاضى من قضاة المسلمين صاحب الدين والعلم والورع والابتهال وهم أخفوا نفوسهم واوصوا أولادهم أن يطالبوا الخليفه بعقبة حتى يسلمه لهم ويقتلوه ويعذبوه حتى يهلكوه تحت الضرب ويعودوا يظهرون ويكونوا قد اشتفوا منه وقصدوا اضرره والرجل كان مجاورا فى بيت الله الحرام وماتركت له العباده جسم يتحمل الضرب والعذاب ومايلقوا الامراء بهذا خيرا أبدا فالله تعالى يخلص حق هذا المسكين كما انهم عليه باغين وظالمين من أين لهذا الشيخ قدرة على هذه الفعال وهو من جملة المتغفلين ولا سيما عن أذية المسلمين (قال الراوى) هذه ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الخليفة فانه أرسل قبض على العيارين من سائر البلاد والبصرة ماترك فيها عيار إلا وقبض عليه وكذلك فعل بمدينه بغداد وسأل عن مالط الآخر فقال واحد من العيارين والله ياأمير المؤمنين لقد نقض التوبة ورجع الى العيارة والعياقه وأخذ عشرة من رفقته من أول أمس ومضى وما ندرى ماكان منهم فحينئذ تحقق الخليفه

أن الامر منهم وان له حقيقه بعد أن كان خامره الشك من كلام المتعصبين لعقبه هذا كله والملعون عقبه قد طار فؤاده من الفرح ثم بكى وأظهر للناس الحزن والترح ثم انه أظهر أنه مريض وأشرف على الموت مما جرى عليه من الخوف والفزع وحسب فى نفسه ان يقر عليه مالط إذا انمسك لأنه كان شيطان أخبث أهل زمانه وما يحسب حساب الا ويجىء حقا كانه نقش فى حجر فلعنه الله وخزاه ما أمكره وأدهاه واعمى بصيرة. فرآه الخليفة وهو يبكى ويتورع ويدعوا للامارة وللسعيده أن يحسن خلاصهم وقد انطلى على الخليفه زخرف المحال وقال لا إله الا الله محمد رسول الله هذا العابد يدعولهم وهم له متهمون وكان بالامس فى بيت الله الحرام ولما قدم سأل عن اخبارهم وقد حرت فى امرى وعلبهم الجميع عند الله ووالله لولا هذه الحالة التى هو فيها من حال المرض لكنت سلمته لهم ودفعته اليهم يفعلون به ماأرادوا وكنت قلدتهم دمه ولكنه الساعة فى غمرات الموت ولو انى سلمته اليهم لمقتنى الله تعالى والعالم فقال مطرون والله يا أمير المؤمنين مايصدق عقلى أن الشيخ يصل إلى هذا الفعل كله والاقرب للعقل انها حيلة من القوم لينالوا مرادهم منه ويعذبوه وان كانوا دبروا هذا زورا وبهتانا فقد تجرؤا على أمر عظيم واستحقوا العذاب الاليم فقال له طيبون الحكيم اسكت عن هذا الكلام فانه افتراء منك فى حق أمراء الاسلام المجاهدين للقوم اللئام هؤلاء قوم يدلونا على مولانا اذلال العبيد ولوجرى على اليهود ما قد جرى عليهم لما رضيوا به ولاصبروا عليه (قال الراوى) فقال له المعتصم والله لقد صدقت ياطيبون وكان هذا الحكيم أقامه الله تعالى لمطرون وكان رجلا مسلما ظاهرا وباطنا وقد أسلم على يد الامراء كما تقدم ولهم عنده محبه عظيمه وهو غرض الامير عبد الوهاب ومطرون على مذهب عقبه لعنه الله وخزاه وعقبه الكافر بمولاه لعنا وخزيا فى الدارين آمين (قال الراوى) فقال الخليفه أنا أعلم أن لهؤلاء القوم حساد كثير والكفرة لايبعد لهم أن يبذلوا الاموال الجزيلة فى تلافهم وهلاكهم فان هؤلاء عماد الأسلام وجعل المعتصم يدعولهم ويتوسل الى الله تعالى بخلاصهم انه على كل شىء قدير (قال الراوى) ولما كانت هذه الأحكام فى ثانى يوم وصل الكتاب من ملطية وجاء غلامان مالط آخر النهار ولم يعلما ما جرى قبلهما فى العراق فبينما هما سائرين إذ التقاهما مصلحى من المصالحة وكان قد مشى مع العيارين زمناً طويلا ويعرفهم جميعاً ولما رآهما سلم عليهما وقال لهما أهلا وسهلا كيف أنتما وما حال سيدكما وشيخكما مالط بن برق المغالط فقالا له لا شك أنه مقيم بأرض البصرة ونحن كنا ماضيين إلى بغداد وكسبنا هذين الفرسين وقد قابلناك وأنت ستر علينا كلنا فقال لهما بيتا عندى الليلة لأنكما غربا

وأبياتكم فى البصرة وأنا أحق الناس بكما فعودوا معى إلى دارى فقالا له كثر الله خيرك فنحن ندخرك لوقت آخر ونحن مستعجلين وقد أحببنا أن نبيت الليـــلة فى وكالة من الوكائل لحلف عليهما بالله وشدد أنهما لايبيتان إلا عنده وتعلق بعنان الفرسين وشدد عليهما وأغصبهما فطاعوه وساروا معه إلى دياره فأنزلهما عن فرسهما وأنزلهما فى قاعة وأتى لهما بطعام فأكلوا ثم قدم المدام بعد الطعام فما رضيوا يشربوا الخمر لأنهم خافوا أن يزيدعليهم الشراب فيبيحوا بالسر فقالوا نحن لنا زمان تائبين عن شرب الخمر فعرف الرباب المصلحى قصتهما لأنه الآخر عيار من كبار العيارين فشـــاله من بينهم وقعد يحادثهم ونظر إلى وجوههما تلعب فما خفى عليه أنهما فى أمر مشكل فقال فى نفسه ما بقى لى فى هذه الساعة قعاد وما لى إلا أقوم فى هذه الساعة وأدخل على الخليفة وأدعه يقبض عليهم وأقل ما آخذ منه على هذه الفعلة عشرة آلاف دينار ولم يزل معهما فى حديث ومسامرة حتى غلب عليهما المنام فناموا مثل الأموات فقام وقد تركهم نائمين وخرج وقفل عليهما الباب وخرج كأنه ينام عند زوجته وسار طالب دار الخلافة وقالوا أهل الفضل فى المثل ما يأخذك إلا الذى استهونته (قال الراوى) وأما ما كان من المصلحى الرباب فانه ما خرج من باب الدرب إلا ومقابله نور وضوء مقبل فتأمله وإذا به غلام فى يده شمعة وخلفه شيخ راكب على بغلة ووجهه مصفر وهو جاء على عجل حتى قرب من الرباب المصلحى وإذا به عقبة بن مصعب فلما أن رآه تقدم إليه وسلم عليه وقال له إلى أين أنت سائر فقال إليـــك يا ولدى وحياتك قال الرباب يا مولاى أنا كنت أحق بالسعى إليك وإلى خدمتك فقال عقبة يجب على المسلم أن لا يتكبر على أخيه المسلم بشىء بل يجب عليه أن يسعى فى مصلحة أخيه المؤمن ولو مشى على عينيه ولا يرى لنفسه أذية على أحد من المسلمين وكان هذا الكلام من عقبة شيخ الضلال مكر على المصلحى ولعنة حتى يبلغ فى حيلته مراده ويقضى منه حاجته ثم قال له يا ولدى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لا كان متكبراً ولا متجبراً فشكره الرباب المصلحى على ذلك الكلام وقال وبعد هذا ما الذى تريد يا مولاى فقال عقبة يا أخى هنا ما يقع كلام ولكن سر معى يا ولدى إلى دارك حتى أحادثك ونحن مطمئنين فعاد معه حتى وصلوا إلى دار العيار وفتح باب الدار وقال له أعبر يا مولاى بسم الله فترجل الملعون عن ظهر البغلة ودخل إلى دار المصلحى العيار وغلقا عليهما الباب وجلسا للحديث (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء عقبة فى ذلك الوقت أننا ذكرنا أن غلمان مالط قد جاءوا إلى بغداد وكان لمجيئهم سبب وكان غلام عقبة تابعهما كما قال له أستاذه من بعيـــد لبعيد وقد رأى الرباب

المصلحي وقد رآهم وقد تعلق بهما وعزم عليهما وحلف عليهما وأخذهما إلى داره وجاء غلام عقبة إليه بعد ما مضى وراءهما وعرف الدار وعاد أخبر مولاه بما جرى فى ملطية وكيف دبر مالط على الأمير عبد الوهاب وعلى أمه ذات الهمة وأخذهما ثم قال يا مولاى الحق غلمان مالط لأنهما أتيا معى اليك ليطالبان منك بقية المال الذى وعدت أستاذهما به ويشاوروك على ما تريد تعمل على الامارة ودخلا معى الى بغداد وأخذهما الرباب المصلحي ودخلا معه الى داره فتركتهما يا مولاى سرعة وأتيت اليك فادركهما والا جرى ما لم يكن فى الحساب (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام تغير لونه ثم قال وحق المسيح هذه روائح أنه مطلوب فى هذه السنة وقد انهتك ستره فى هذه النوبه وأن لم أعمل على قتل هذا المصلحي وأسكنه المقابر والا أوقعنى فى البلاء وصلبنى على الجزوع والأخشاب ويصدق فى قول العداء وقد تخفى ونزل من داره وركب بغلته وساروا الغلمان بين يديه والتقى بالرباب المصلحي كما ذكرنا ودخل معه الدار ولما جلسوا واستقر بهم القرار (قال الراوى) وأقبل عقبة عليه وقال له يا ولدى اعلم أنه يجب على المؤمن أن يسعى فى حقن دم أخيه المسلم والسبب الذى أتى بى اليك فى هذا الوقت أن بعض الغلمان قد رآك لما عزمت على هذين العيارين الذين هما عندك وقد عرفتهما وتعلم أن مولانا أمير المؤمنين قد حث الطلب فى حقهما وشيخهما مالط وكذلك جميع العيارين فما تتكلم فى حقهما أكثر من كلمة واحدة الا وضربت أعناقهما بريان كانا او سقيمان لأن أغلب الحال وأصدق الرأى أن الأمراء أخفوا نفوسهما وأرادوا بذلك ايقاع الفتن بينى وبين المعتصم حتى يسلمنى اليهم كما احتال البطال وأخفى نفسه وأخفى بنت الأمير حجاف وقد نسب هذا كله الى حتى يوبخونى ويلقوا العداوة بينى وبينه وأنا عنده بالعين الذى تعرفها وما عنده أعز منى ولكن ما أشتهى أن يقال فى حقى هذا المقال وما بى الا شماتة الأعداء ويبلغوا مرادهم منى وانا أعلم غاية قصدك من الخليفة ما هو الا أنك تسعى بهما اليه وتؤمل أن يعطيك شىء من المال وأنا أعلم أنك اذا جئت اليه بكل من فى الأرض ما أعطاك شىء لأن طاعته على كل مسلم واجبة ولكن يخرج على العيارين اسم ميشوم وأنهم يتعرضون للمجاهدين وتضرب رقابهم وما تسلم لأنك منهم ولكن أنا أعمل معك ما تشكرنى عليه ثم أنه نادى على غلامه وقال له ويلك اطرح ما معك فطرح فى الحال كيساً فيه ألف دينار ذهب أرمانوسيه وأقلب المال بين يديه فاخذ المال بعقل المصلحي ولعب به وقال له يا مولاى ما هذا فقال هذا كله لك ولا يسمع أحد هذا الحديث ولو الى خمسين سنة والا ضربت رقبتك قال الرباب والله

يا مولاى لو طلبت بعد هذا أن اسرق لك الخليفة لفعلت خذ أصحابك وتوجه فى دعة الله تعالى وأنا غلامك ومهما عرض لك من اللوائح فأنا لقائم بها فشكره عقبة على ذلك وقال له فما تقوم معنا حتى تتمالح وتحصل بيننا المالحة ثم أمر غلمانه فمضوا فى الحال وعادوا معهم خروف مشوى وجام فيه ملح وجام فيه حلوى سكرى فأكلوا جميعاً ثم تقدم الحلوى فأكل عقبة وجعل يلقم كل واحد منهم لقمة وكان نبه غلمان مالط حتى أكلوا معهم وجاءت للمصاحى اللغمة فما ألقمه اياها وكانت كبيرة وأشغلها فما نزلت فى حلقه حتى انقلبت عيناه فى أم رأسه وجاء يقوم قائماً فما قدر فصاح ويلك يا عقبة قتلتنى فصاح عقبة فيه ورفسه فى صدره ألقاه على ظهره وجذب يده طلعت من كتفه ونزل لحمه عن عظمه ونظرت غلمان مالط الى ما حل بالرباب ففزع أن يصيبهما مثل ما أصابه فقال لهما لا بأس عليكما انما فعلت ذلك حفظاً لرؤسكما والا ما كان له به الا أن يقر عليكما ونهلك كلنا ثم أخذ المال وعول الى المسير فقال عقبة لغلامه طرف يا ولدى انظر فى هذه الدار التى لهذا الكلب وانظر أى شىء فيها فطاف فما وجد فيها الا سلم التسليق ومنقب وسكين فأخذ عقبة سلم تسليق وعتلة ومنقب وأوتاد حديد ولباس الليل وآلة اللصوصية فأخذ عقبة الجميع وأيضاً الكيس الذهب الذى أعطاه اياه وخرج من الدار وهو يقول هذه بضاعتنا ردت الينا ثم غلقوا باب الدار وذهبوا الجميع إلى دار عقبه ولما استقروا عنده فى الدار قال لهم عقبه الساعه حدثونى ياأولادى بالذى عملتم فى الحاجه فذكروا له القصه من أولها إلى آخرها ففرح الملعون بذلك وقال لهم المال حاصل ثم أحضر لهم عشرة آلاف دينار حاضره للوقت ولم يسوف بهم وقال بقى هذا الكلب حجاف ان أنتم أخذتموه أعطيكم فيه مثل عبد اوهاب فقالوا له لكن بس أنت تزن المال ونحن نأخذك كل من على وجه الأرض من الرجال ان أردت وبعدهذاما الذى تشير به علينا أن نعمل من الأمور فقال الرأى عندى ان تقوموا تخرجون من بغداد رجاله بغير خيل فى زى الصعاليك حتى يخفى أمركم لئلا فضولى يراكم تروح أرواحكم لان المعتصم عليكم بحرقة الشكلا ثم تدفعوا هذا المال فى الموضع الذى تريدون حتى تأتون إليه وقت آخر لان الخليفه صح عنده ان الامراء ماأخذهم إلا أنتم لما قبض على العيارين وطلب شيخكما مالط فما وجدوه قال ماأخذهم إلا مالط وجماعته وماعندى من الرأى إلا هذا ولاتباتوا ليلة غد إلا على بعد من هذه الديار وإذا وصلتما إلى مالط فسلما لى عليه ثم سلموا المال الذى أعطيتكم وقولا له يأخذ الامراء ويسير بهم إلى بلاد الروم حتى انه يوصلهم إلى جزيرة روبيس ويسلمهم إلى الملك مرحبون ولكم على فى كل سنة عشرة

آلاف دينار وأزوجكم من بنات البطارقه اللاتى مثل الاقمار وتلبسون ثياب الخزو الديباج وأنا أدلكم على الخير والنجاة دنيا وأخرى لانى أعلم أهل الأرض وقد عرفت دين الحق واتبعته وهو دين النصرانيه وإلا بعد قد اختاره لنفسه ولكل من يعز عليه من أولاده وأحبابه وسائر أصحابه ومن يسمع الحق ويتبعه وينتصح فانصحه وأدلة على الصواب وقد صرت عند سائر الموحدين بمنزلة الاولياء والاصفياء والعلماء المكرمين ويتبركوا بى كلهم ويبوسوا يدى ويسألونى الدعاء (قال الراوى) فلما سمعا غلمان مالط هذا الكلام من عقبه حارت عقولهما وزاغت عيونهما ومالت إلى الدنيا نفوسهما وقالوا والله مانعرف نحن لادين ولاتين ولانحن لانصارى ولامسلمين وماقصدنا غير الاكل والشرب والمدام فى الفطر والصيام ولانعرف حلال ولاحرام ونحن مالنا ههنا زوجة ولا ولد وأن ظهرنا فى بلاد الإسلام ووقعت علينا عين كما قلت هلكنا لامحاله فلابد مانعرض على كبيرنا هذا القول ثم أخذوا الأموال وحملوها على بغل من البغال وخرجوا من أول الليل إلى ثانى يوم الصبح أكمنوا فى كهف جبل إلى الليل ساروا وهم على هذه الحـــاله يسافروا بالليل ويكمنوا بالنهار حتى وصلوا إلى ضيعة القباب ونزلوا فى ذلك الخراب ودخلوا على أستاذهم بتلك الأموال وأخبروه بانقطاع الآمال وانقلاب الديار والإطلاع على فقد الامراء والدنيا كلها مخبطه والخليفه حرم على نفسه الزاد والمنام وقبض سائر العيارين وسأل عنك فأخبروه انك نقضت النوبه وتعيشت وطالبك فما وجدك فخنق عليك القول قال مالط هذا شىء لايهمنا ولاعلى بالنا منه ولانفزع ولكن هذا شىء آخر نحن ماكان لنا فى بلاد الاسلام شىء نبكى عليه وقد عولت على اننا ندخل إلى بلاد النصارى فى مثل هذه السنه أنا وأنتم ونأكل ونشرب فى هذه الأموال التى حصلت لنا وان عازنا شىء سرقنا وأكلنا ونعيش طيب ونستريح من الفقر والخوف ونخلى للخليفه بلده ونبعد عنه فقالوا غلمانه طب نفسافان عقبه بنفسه نصرانى وأشار علينا بالتنصر وقال لنا فيه كلام لوفهمناه لقلناه لك ودعا للتنصر ويعطينا كل سنة مثل هذا المال فقلنا حتى نشاور فى ذلك أستاذنا (قال الراوى) ففرح الشيخ مالط بهذا وقال ويعطينا عقبة عشرة آلاف دينار كل سنة قالوا نعم قال لنا وهو رجل لايكذب ولايليق بمثله الكذب فاجمعوا رأيهم على مثل ذلك وان يتنصروا على يد البترك ثم أقاموا ينتظرون عقبه وكل يوم يفتحون باب السرداب ثم يقفوا على بابه بالسيوف المجذبه ويرموا إلى الأمير والأميره مايأكلان ومايشربان وأقاموا على ذلك مدة من الزمان وكان المعتصم بالله قدكتب إلى الأمير سيف الحنيفيه جواب الكتاب يحلف بالله انه قد ورد على قلبه لفقد الامراء وعقبه الذى تطلبونه الآن

موجه إلى القبله وهو فى النزع من قبل ورود كتابكم الينا بخمسة أيام ماقى على قفاه لا يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض ولو سبق كتابكم قبل هذه الحاله بيوم واحد كنت أقول حيلة منه وأسلمه اليكم وكان كلام الخليفه فى حق عقبه صحيح لانه كان بالنهار يلقى نفسه على الأرض ويظهر انه فى سكرات الموت وفى الليل يأكل ويشرب ويفعل مايريد فانه جبار من الجبابره فلا رحم الله روحه وكتب الخليفه بذلك وهو يقول ان هو مات انقطع الأمل منه وان لم يمت وتربة آبائى وأجدادى سلمته لكم ثم قلدتم دمه ولو يكون ولدى الواثق لما منعته منكم تفعلوا به ماتريدون لعل يكون سبب الخلاص للمجاهدين فى سبيل الله وكان المعتصم قد كتب أيضاً كتاب ثم أرسله إلى ملك الروم يهدده من أجل الأمراء وماجرى على السعيده بأن يركب عليه بسائر المسلمين ويرجع يهدم مدينة للقسطنطونيه وجاء الجواب ان ملك الروم يحلف ويتضرع ان ماعنده من هذا خبر ولاسمع السعيده حس ولا أثر ولا أحد غيرها وبسائر المسلمين فضلا عن الامراء والمجاهدين وأنا أبذل المجهود ان ظهر لى خبر أرسلت أعلمتكم ان عجزت عن خلاصهم وان قدرت على شىء بلا كم خلصتهم وقلدتكم هذه المنه واعلم انها لاتضيع معكم ومع الأمير عبد الوهاب فأرسل الخليفه أيضاً كتاب ملك الروم مع كتابه للأمير سيف الحنيفيه ان ابذل المجهود أنت من جانب وأنا من جانب عسى الله ان لايفجع الاسلام فيهم ولعل ان يظهر خبر فلما وصل الكتاب إلى الأمير سيف الحنيفيه وكان قد بلغه خبر ان هذا الكلام من الخليفه حق وصدق وانه بلغ به الحزن على الامراء مالا مزيد له فقال ماأصيب أبى وجدى إلا من بلاء الروم ثم خرجوا من ملطيه ثلاث فرق مع الأمير سيف الحنيفيه فرقه مع أبو الموت الأسود وفرقة مع الأمير سيف الحنيفيه ودخلوا بلاد الروم قتلوا ونهبوا وزعزعوا الأرض وقد قتلوا الرهبان والقساقس وهدموا البيع والكنائس (قال الراوى) ولما عول سيف الحنيفيه على ان يعود للديار أتاه رسول من ارمانوس يقول له ماهذه الفعال والهدنه التى بيننا ان كان ذلك من أجل الأمير عبد الوهاب فماعندى منهم خبر ولاتعرضت لهم فى هذه السنه بضرر فلما سمع سيف الحنيفيه أرسل يقول خلى عنك المحال لاجعل بلاد الروم خراب لاجل أبى وستى وصار كل يوم يقصد طريق بعد طريق ويأتى بالسبايا حتى وصل إلى مرج الديباج وبلغت الجارية الروميه ثلاث دنانير فى ملطيه من كثرة السلب والسبى (قال الراوى) وأما ما كان من عقبه فانه بعد مامضوا من عنده غلمان مالط جمع من نصارى بغداد أربعين نفساً واشترى لكل واحد منهم بضاعة بألف دينار وقال لهم قفوا تحت حرم الخليفه ونادوا

يامولانا نحن قوم تجار ومعنا بضائع ماتنفق إلا فى بلد الروم وليس لنا معيشة إلا بها لأننا ندخل الى مدينة القسطنطينية ونخرج بالأمان وقد سمعنا أن ولد الأمير عبدالوهاب سيف الحنيفية قد قطع الطريق وأخاف السبيل ومنع المسافرين ونريد أن تكتب لنا كتاباً يكون أماناً لنا على أنفسنا وأموالنا لأننا قوم ذميين تحت الطاعة حتى نمضى تحت أشغالنا فإذا خرج لكم من عند الخليفة مرسوم وجزتم على ملطية فميلوا عنها الى عند القرية الخراب المسماة بالقباب ولا يكون خروجكم إلا فى آخر النهار لأجل ماتصلون هناك دباشة صندوقين مال وهم نذور لكنيسة روبيس وأريد أرسلهما صحبتكم ولكم الاجر من السيد المسيح واذا أنتم قاربتم القسطنطونية يفارقكم غلامى بالمال والنذور وتدخلوا أنتم القسطنطونيه تبيعوا مامعكم من البضائع وان وصل خبركم إلى الملك ارمانوس وسألكم قولوا له نحن قوم تجار وإذا رجعتم اشتروا من البضائع التى تصلح لهذه البلاد واذا رجعتم أيضا إلى هنا بيعوا البضائع وخذوا أنتم الربح وردوا إلى رأس المال وأنتم فى حل من المكسب كله ولا آخذ منه شيئا لانكم عباد المسيح فقالوا الجميع نحن غلمانك وبحكمك وانهم خرجوا من عنده وجاؤا تحت قصر الخلافه ونادوا كما علمهم عقبه وذكروا كل ما لقنهم شيخ الملاعين لعنة الله عليه فى كل وقت وحين وسمع الخليفه هذا الكلام فأذن لهم بالمسير وأمر الوزير أن يكتب لهم كتاب بالوصية عليهم والتحذير لأنهم تجار العراق فلا يعارضهم أحد من أهل الآفاق لأن الخليفه له معهم مال جزيل وأعطاهم الكتاب ففرحوا به ثم دعوا للخليفه وساروا إلى عقبه وأوروه المرسوم ففرح بذلك وأعطاهم غلامه وخرجوا من عنده وقد ساروا حتى وصلوا إلى ملطيه فرأوها خالية من الرجال والأبطال لأنهم كما قدمنا ساروا لغزو بلاد الروم والسودان كلهم ومقدمينهم ودخلوا إلى القسطنطينيه وغاروا حتى وصلوا إلى أبوابها وأما سيف الحنيفيه فقد أفسد بلاد الروم جميعها وأخذ منها أموالا يكل عن وصفها المقال والأمير ظالم وضيغم وقشعم قصدوا حال العرب المتنصرة ولما رأوا ملطيه خالية من الرجال والفرسان فرحوا بذلك ثم دخلوا البلد وأعرضوا كتاب الخليفه على أمير الثغر عمرو بن عبيد الله فأنفذ معهم عشر رجال من بنى سليم وكتب الآخر كتاب مثل كتاب الخليفه بالمراعاة وبرزوا من ملطيه آخر النهار ونزلوا قريباً من ضيعة القباب وغلام عقبه معهم لما تنصف الليل أخرج غلام عقبه ماالط وأصحابه وهم فى زى المكاريه والصندوقين معهم والأمير عبد الوهاب فى صندوق وأمه فى الآخر بعد ما أضعفوهما بالجوع والعطش وهما مكتفان مسدودان الأفواه حتى لا يصيحون ولا يتكلمون وهم وقوف على

رؤوسهما بالسيوف ورحلوا بهما مع القافلة الذين استأذنوا الخليفه المعتصم وساروا وهم مجدين الليل والنهار ومالط العيار لما تنزل القافلة فى محطة من المحطات ينزل فى وسط تجار العراق ويجعلهم حواليه وإذا ناموا أهل القافلة يأمر غلمانه أن يجذبوا السيوف فى أيديهم حتى أنه يخرجهم يأكلوا ويشربوا ويقضوا حاجتهم وهم مكتفين ويعود يسد أفواههم ويضعهم فى تلك الصناديق وهم على تلك الحالة بطول الطريق حتى أنهم وصلوا إلى مرج الأسقف وإذا بالغبار من بين ايديهم قد ثار وعلا على سائر الأقطار ففزعت التجار وأرسلوا من يكشف الأخبار وتقدمت فرسان بنى سليم وهم يقولون إن كانوا مسلمين فلكم الأمان وإن كانوا غير ذلك فقد وقعنا كلنا فى الهوان وقارب الغبار منهم وإذا به الأمير ظالم وضيغم مقدمين بنى كلاب وقد رجعوا من بلاد الروم ومعهم من الغنائم ما يملأ الرحال وكان ظالم وضيغم قد عولوا على قتل رجال بنو سليم وأخذ القافلة فلما أقبلوا اليهم ترجلوا اليهم فلما رأوهم وقد ترجل كل من كان فى القافلة وباسوا كتاب الخليفه وقدموه اليهم فلما قرأوه تركوهم وساروا طالبين بلاد الإسلام وتمت القافلة سائرة وقد فرحوا بالخلاص وكان مالط والعيارين إذا أتى الليل ينعزلوا بالأمارة ويفعلوا ما قدمنا من أكل الزاد وشرب الماء وقضاء الحاجه والقيود فى أرجلهم والكتاف الشديد فى أيديهم ويقولون لهم إن تكلمتم طيحنا رؤوسكم عن أبدانكم وهم كذلك مرحلة بمرحلة حتى وصلوا بهم الى مرج الأسقف ثم هنأهم غلام عتبه بالسلامة وقال لهم أبشروا فإننا فى أول بلاد الروم وقد ذهبت عنا المخافة والهموم فما تم كلامه حتى ظهر غبار وقتام فقال مالط جاء الأجل قوموا بنا حتى ننظر كيف العمل فى هذا الغبار الآخر وبعد ساعه وقد انكشف الغبار وفى مقدمهم الأمير سيف الحنيفية ومعه أموال الروم التى أخذها وسباياها شىء كثير فلما رأت ذلك بنى سليم أخذهم الحسد وصاروا يقولون و لله ما هذا الا مال عظيم وإن لم ينصفنا أميرنا عمرو بن عبيد الله وإلا كان لنا معه حال آخر لأنهم رجالنا على كل حال وكل ما كسبوه لنا فيه الثلث وإلا ما يرسلنا إلا غفراً للقوافل خصوصاً هؤلاء التجار النصارى لو كانت غنيمة ما أرسلنا اليها ثم ساروا حتى وصلوا الى سيف الحنيفية وسلموا عليه وسألوه هل وقع لأبيه وجدته على خبر فقال لا والله فهنوه على السلامة وأخبروه بالخبر وأعطوه كتاب الخليفه فقرأه فأهابه وترك القوم سائرين وسار الآخر الى حال سبيله ونزلوا هم الى نصف الليل ورحلوا حتى أشرفوا على مرج الزعفران نصف النهار وعولوا على النزول واذا قد ثار من خلفهم غبار متعلق بجو السماء وقد صعد الى عنان السماء وفيه زمجرة وهدير كهدير الجان وهو يذهل

الإنسان ولما رأو تجار القافلة الى ذلك الحال لخارت عقولهم لذلك وأيقنوا الجميع بالوقوع في المهالك ووقفوا حتى انكشف الغبار وظهر من تحته رجال مثل العقبان على خيول أخف من الغزلان والرجال كلهم سود الألوان وأبو الموت فى أوائلهم مثل الشيطان يهدر كالأسد الغضبان وفي يده عامود ما يخرجه قبان وهم سائرون وبين أيديهم بغال وأموال قد ملأت مرج الزعفران وسبايا من بنات الروم يمشون قدامهم مثل الغنم قدام الرعيان (قال الراوى) ولما قرب أبو الموت من القافلة مال اليها وهدر وزفر ونفر وقال يا ويلكم يا ابن الزوانى نحن نخرب وأنتم تعمرون أبشروا يا ويلكم بشرب كاس المنون وصاح على السودان وهو يقول دونكم واياهم عجلوا قتلهم فوقفت رجال بنى سليم وناولوه كتاب السلطان فلما سمع أبو الموت منهم وتناول الكتاب قام عليه جنونه وانقلبت عيونه ودمدم وبربر وأزبد وفاح صنانه وقطع كتاب الخليفة بأسنانه وزعق على سودانه وهو يقول دونكم وهؤلاء الأندال نحن ما بقى لنا خليفة يحكم علينا بعد الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة ثم قطع الكتاب وحملت السودان على بنى سليم فخرجوا منهم أربع فوارس وهربوا الباقون وأخذوا الأموال والأحمال وقتلوا جميع الرجال من النصارى التجار وأخذوا السودان صندوق وأحضروه قدام أبو الموت وكان وقت المساء ففتح أبو الموت الصندوق فوجدوه ملآن ذهب ودنانير وكان ذلك هو الأول الذى أعطاه القاضى عقبه لمالط العيار وصحبه فظن أبو الموت أن جميع الصناديق كلها ذهب ففرح هو وسائر العبيد ثم ألصق الصناديق الى بعضها البعض فصارت شبيه الدكة وطلع ابو الموت نام على أعلاهم وكان مالط قد هرب بعد ما قاتل ساعة وقتل من أصحابه سبعة رجال والباقى هربوا مع مالط وطلبوا دير الزعفران وصاحوا بالرهبان الذين فيه وقالوا نحن قوم من نصارى أهل العراق وقد أخذوا هؤلاء السودان أموالنا فاربحوا ثواباً وخبئونا عندكم

(قال الراوى) وكان قد أظلم عليهم الليل ففتحوا لهم الباب وأدخلوهم وهم فى خوف زائد وأما طائفة السودان الذين لابو الموت فانهم داروا بالسبايا يحرقونهم من كل مكان ونام أبو الموت على الصناديق كما ذكرنا وهو يظن أن الذى فيهم كله مال وكان بالامر المقدر نام على الصندوق الذى فيه الامير عبد الوهاب وكان الامير سمع الصياح وعرف صوت أبو الموت لكن ماقدر يتكلم من الاكره التى فى فمه فشال الامير رجليه فى القيد وضرب بهما فى قاع ذلك الصندوق فجاء لها صوتا عظيما فقرب أبو الموت كانه شيطان وهو يقول يه يه وعلى ذلك طيب وظن أن الجن يلعبوا معه وقال لاشك أن هذا الشيطان

بهذا المكان يريد أن يخوف السودان حتى لاينامو في هذا المكان وأنا أريد الساعة أقسم على السودان حتى لاينامو في هذا المكان لعلهم يحتملونا في هذه الليلة ولا يفزعون ولا يشوشوا علينا وإذا بالامير عبد الوهاب ضرب برجليه الصندوق ثاني مره فقال أبو الموت ياجن ياجن إن كان مايعمل ما تسمعون ما أقول لكم من الاقسام وإلا ضربتكم بهذا العامود الذي ما يحمله غيرى من الفرسان وقاتلتكم لو كان معكم فرعون وهامان فصوت الأمير عبد الوهاب والأكره في فمه بصرخة قوية وضرب أيضا برجليه الصندوق ضربة عظيمة فقال أبو الموت أقسمت عليكم ياسكان هذه الديار ان كنتم من النصارى وأصحاب الزنار بعيسى بن مريم الذي ركب الحمار وسار في البراري والقفار وجعل من الطين كهيئة الأطيار وذلك كله باذن الواحد القهار وبحق الحواريين والأنصار وإن كنتم من اليهود وقد سكنتم في هذه الديار بحق موسى بن عمران الذي طلع جبل الطور وكلمه العزيز الغفار وقال له اعرف قدري فأنا الله الواحد القهار وبحق اخاه هارون المذكور في القرآن وبحق عيد المظلة والتوراة والأسفار وصوم الكبار وإن كنتم مسلمين ومن أهل الايمان فبحق سيد ولد عدنان الذي هو صاحب الآيات والقرآن والدلاله والبرهان والمعجزات الحسان الذي قد أسرى به الرحيم الرحمن وخاطبه وقال له يامحمد ياسيد الأكوان لك الشفاعة العظما في جميع العصاة من المسلمين الأشقياء والمذنبين من المؤمنين والجان ونحن من إخوانكم السودان الذين نقاربكم في الأحوال والألوان ثم سكت قليلا وأنتصت إلى الصندوق حتى ينظر كيف الحال (قال الراوى) وكان الأمير عبدالوهاب قد غلب عليه الضحك الشديد لما سمع كلامه وتعجب من هذه الأقسام ثم شال رجليه وضرب بالنيد الصندوق بأقوى عزمه واهتمامه فسمع لها قعقعة عظيمة فقال أبو الموت أم أقول لكم يابنى الخالة هؤلاء الخدام مالهم دين ولاهم يهود ولانصارى ولا مسلمين ولاهم لنا تاركين وإن كانوا لنا قاصدين شيئا الساعة يبان وقام على حيلة وأخذ العامود وهو يزمجر ويدمدم ويقال أنه صار يقول ياعفاريت ياقرود لاتسمعوا كلام نصارى ولا مسلمين ولا يهود فأنا أدقكم بهذا العامود ثم ضرب به الصندوق فطيره قطع وفصص ألواحه وجاء باقى الضربة على ظهر الأمير ولما كسر الصندوق وطارت ألواحه بهت ينظر إيش الذي يخرج منه وإذا قد ظهر له شخص أسود اللون إلا أنه مكتف مقيد وفى فمه أكره مثل قالب محكم فحرر أبو الموت فيه النظر وتأمل فعرفه أستاذه فصاح يا آل حام يا آل حام فدارت به السودان وجاوبته من كل مكان وهم يقولون ما بالك ايها الأمير فقال ويلكم يابنو حام يا وجوه الليل والظلام أنظروا إلى أميركم وأمير بنو كلاب وهو

الأمير عبد الوهاب وقد ظهر من هذا الصندوق ولا شك أنه كان مسروق (قال الراوى) ولما سمعوا السودان هذا الكلام وحققوا أنه الأمير عبد الوهاب تراقصوا حواليه وداروا به وسلموا عليه وكسروا فى الحال قيده من رجليه وفكوا كتافه من يديه وقلعوا الأكره من فيه وقال الحمد لله وأشار بيده إلى الصندوق الثانى وقال للسودان افتحوا هذا فالأميره ذات الهمة فيه ففرحت السودان وداروا بالصندوق وكسروه ونظروا ما فيه وإذا هى الأميرة ذات الهمة فأخذهم الوله والجنون وزادت منهم الصرخات وكسروا قيدها وقطعوا منها الكتاف وأخرجوا الأكره فقطر الدم من مناخيرها وأنفها مثل الرعاف لشدة مالاقت من الكمد والأسر على ولدها والالتهاف حتى أشرفت على التلاف فلما رأت ولدها حمدت الله وأثنت عليه على النجاة وما كان لها دأب إلا على السؤال عن البطال فقالوا لها والله ما معنا منه خبر ولا وقعنا له على أثر ونظن أن الذى عمل بكم هذه الأعمال هو الذى سرق أبو محمد البطال فقال الأمير أظن أبو محمد دخل بلاد الروم وكلما يجرى علينا فهو من فعل عقبه المذموم بعد قضاء الحى القيوم فقالت الأميره صدقت يا بنى ولكن نحن الذين نوالس على أرواحنا ولا بقى لنا سكنى فى ملطيه بعد هذه القضية لأن أهلها لايحبونا ولو وضعنا معهم ألف جميل لأنهم ما يدعون قاضهم عقبه ويصدقوا لنا أقاويل وهو الذى يغويهم بنا مع الحسد الذى فى قلوبهم علينا فقال الأمير عبد الوهاب الرأى لكى يا أماه إن شئتى فأنا فى هذه الساعة أرسل إلى ملطيه وأقول كل من أرادنا يأتى إلى عندى والذى يقيم فى ملطيه بعدنا فلا يلومن إلا نفسه ونرسل أيضا إلى الأمير نافع أن يخلى القلعة ويأخذ جميع مالنا هناك من الأموال والرجال على ظهور الخيل والبغال وينضاف إلى أولاى والرجال فما بقى عيش فى بلاد يكرهونا أهلها والله ما غاب أبو محمد إلا وقد تم عليه ما تم علينا ولولا صادفونا هؤلاء السودان اتفاق وإلا ما كنا خلصنا من الوثاق الذى آلم أيدينا وأرجلنا ثم التفت إلى أبى الموت وقال والله يا أمير ما فى قلبى حسرة ونار لايطفى لهاالهيب ولا شرار من هذا الكلب مالطالعيار وفعل بنا هو وأصحابه الأشرار وكذلك النصارى التجار الذين قد والسوا علينا وأطاعوا عقبه الغدار وقد سمعناهم يكفروا بالرحمن قال أبو الموت ياسيدى فنحن قتلنا النصارى التجار وماهرب منهم إلا قليل من الأنفار وذلك الذى تقول إسمه عيار وكان الوقت ماشى فضاعوا منا بين البرارى والقفار (قال الراوى) وباتوا مكانهم حتى أصبح عليهم الصباح وأضاء بنوره ولاح وفتشوا بين القتلى على جماعة مالط فوجدوا منهم سبعة قتلى بقى منهم ثلاثة لأنهم كانوا عشرة كما قدمنا وكبيرهم مالط العيار فقالت الأميره يابنى معلوم أنهم ما عادوا يقدروا

يبانوا فى بلاد الإسلام ولا لهم رجعه اليها يوم وقد عرفوا إننا تخاصنا منهم ولا يقدرون يظهرون حتى نروح من ههنا وهم بلا شك كامنين أطلبوهم فى دير الزعفران فان فاتنى حزرى فماهم إلا فيه وقد استجاروا فيه وأريد منكى الساعة عشر رجال سودان يكونوا شجعان يمضون إلى دير الزعفران ويقولوا للراهب افتح لنا الباب حتى نتفرج فى الدير فتواثبت عشرة مثل أفراخ الجان مثل أبو الموت والدموك والمربيد وشفطم وزويع وسعدون وأبو الريح وأبو الركب وغاشم وملاكم الهوى وأبا سطيح وكان الراهب فى الصومعه ينظر إلى الكنيسة وما جرى من الوقعة وينظر إلى قتال السودان ولما نظر إلا هؤلاء السودان مقبلين نحو الدير مثل فحول الرجال وفى أيديهم السلاح والدبابيس قشعر جلده ونزل من أعلى الدير وأعلم العارين بمجيء السودان وقال لهم كيف يكون الحال وهؤلاء السودان القادمين مثله أفراخ الجان وقد وصلوا إلى الدير وأن رأوكم عندى ما ينالنى منهم خير فقالوا العيارين لاتخف الموضع حصين وما نبالى بهم ولو أقاموا عشر سنين (قال الراوى) فقال الراهب صحيح أن الموضع مثل الحديد وحيطانه كلها بالصخور والجلاميد ولكن لابد من التدبير وأنا كان قد وقع بينى وبين صاحب هذا الحصن الذى هو فى آخر مرج الزعفران منازعة فأتى إلى ونزل حول الدير فى ألف فارس وأراد أن يخرجنى من الدير ويجعل فيه راهبا غيرى فلم أبالى ولم يزل حتى سمع بما قد جرى بيننا وبين الملك أرمانوس وقدأخذ لى بالمحاماه فبعث اليه يقول إرحل عنه وإلا كنت خصمك حتى رجع بعد ماقام على الدير أربعـــين يوما وما قدر على شيء لأنه بعد ما يغلق بابه ما نبالى بكل من على وجه الأرض ولا أهل الدنيا إلا أن الباب ثقيل لا أقدر على غلقه وحدى فقوموا معى وساعدونى حتى نأمن على أنفسنا منهم ومن غيرهم (قال الراوى) فلما سمعوا منه العيارين هذا الكلام قاموا إلى الباب تعاونوا على غلقه وطرحوا السلاسل والأغلال والأقفال وعادوا إلى الموضع الذى هو فيه لأن الراهب كان قد خبأهم فى أزج معقود من قديم الزمان وماكانت الا ساعة وقد وصلوا السودان الى باب الدير وقالوا ياراهب فطل عليهم وقال ماحالكم فقالوا نحن مسلمين من أصحاب الاميرعبدالوهاب افتح لنا باب الدير حتى نتفرج ونخرج نروح الى حال سبيلنا فقال لهم ياقوم أنا رجل وحيد فريد قد تفردت وحدى فى هذا المكان ورضيت بالوحدة من الناس حتى لا أرى ولا أرى لعلى أن أخلص من مصائب الدنيا وتبعاتها وهذا الدير من عهد الحواريين لا يفتح الا فى كل سنة مرة واحدة لان الملك اذا نزل على يأتى بالبطارقة ويكون معه سلالم طوال ينصبها ويصعدوا الرجال الكثيرة حتى يفتحوا له الباب ويدخل يزور ويتصدق

ثلاثة أيام ويعود إلى بلده بعد ما يكون قد ترك عندى من الزاد ما يكفانى طول السنة فلا تغيروا أنتم على عادتى ولا تفسدوا على عبادتى وما ههنا شيء يصلح للفرجة لأن ما فيه إلا تصاوير ولا عندى شيء يؤكل ولا يشرب وما إلا بعد إلى مثل كلب عقور حبس نفسه فى هذا الموضع المنفرد عن الناس أجمعين حتى لا آذى ولا أوذى فقالوا السودان افتح لنا الباب يا قرنان ودع عنك هذه الحماقة والبهتان وهذا كله منك زور وبهتان فقال لهم دعونى وانصرفوا من عندى فلو أنكم أقمتم ههنا إلى أن يشيب الغراب ما فتحت لكم الباب ولا إلى غيركم لأننى ما أقدر أفتحه وحدى إلا إذا جاء الملك بالرجال والأبطال والسلاسل والحبال والسلالم الطوال وهذا ما عندى والسلام ولا بقيت أخاطبكم ولا كلمة واحدة بعدها أن أقمتم أو رحلتم (يا سادة) فعندها غضبوا السودان وتعلقوا بالحيطان وكان معهم سلالم من أبريسم لطلوع القلال والصوامع العوال صنعها لهم أبو محمد البطال لمثل هذه الأشغال فما كانت إلا ساعة حتى رموا مفاردهم وصار فوق الدير منهم جماعة مثل أفراخ الجان فلما رأى الراهب إلى تلك الأحوال ندم على ما فعل ومات فى جلده من الفزع ومن النكال ودنى منه أبو الموت وقال له يا شيخ الضلال وراهب المحال لك كم سنة فى هذا الدير قال أربعون سنة يا مولاى قال ما بصرت أنحس من هذا النهار ويلك أين العيارين الذين أخبيتهم عندكم فقال له يا مولاى عندى وحق المسيح فلا تقتلنى ومن على بروحى والعفو منكم وخذوا هؤلاء المناحيس من عندى وحق المسيح لو علمت أن لهم طالب مادخلتهم ديرى فقال أبو الموت لك ذلك دلنا عليهم فقال قوموا إلى ذلك الازج الذى خلفكم خذوهم منه فخاف أبو الموت من حيلة تتم عليه وكذلك السودان ثم قبض أحدهم على عنقه كاد أن يخنقه وقال قم أنت معنا دلنا على المكان فقام وهو يقاسى نزع الموت حتى وقف بهم على رأس السرداب وكانوا السودان قد أخذ مفاتيح الدير وفتحوا الأبواب وأدخلوا باقى أصحابهم ولما وصلوا اليهم داروا الجميع بالراهب وأبو الموت واقف به قابض على دقنه نصاح الراهب بالعيارين وقال قوموا اخرجوا عنى لا ستر المسيح عليكم فقد قلع هذا الأسود قلبى وطير ذهنى وعقلى فما كان دخولكم عندى مبارك على ولا كان صواب (قال الراوى) فلما سمعوا السودان قوله فقال واحد منهم دونكم يابنى حام والعيارين فنزلوا اليهم فى الحال وقبضوا على مالط وأصحابه الانذال وأخرجوهم على أقبح الأحوال فلما رأى مالط تلك الأحوال التفت إلى الراهب وقال له ماحملك أنت

على هذه الفعال قال يارقيع هؤلاء الذين حولك يحيطون بك النكال فلكمه أبو الموت لكمة على صرصور ودنه طن لها الدير وكتفوه والثلاثة الغلمـــان الذين قد سلموا من الوقعة وسبعة من بقية التجار ونزلوا من الدير حتى أوقفوهم قدام الأمير عبد الوهاب فلمــــا رآه الأمير عبد الوهاب فقال ويلك يا كلب المتنصره لعنك الله ماحملك وما الذى أحوجك إلى هذه الفعال وخصوصاً فى حق مثلنا وقد فعلنا معك الجميل الذى مايفعله خليل مع خايل وشفعنا لك المعتصم حتى انه قبل توبتك لارحم الله شيبتك فقال له ماالذ حملنى على ذلك حب الدنيا يامولاى وما كتب على جبينى من القدم حتى أكون شقيا أول زمانى أكلت الحرام وآخر زمانى جحدت الإسلام ايش تريد يامولاى أكثر من هذه الشقاوة وعقبة كان سببها بعد قضاء الله وقدره (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبدالوهاب منه ذلك الكلام بكى إلى ان غشى عليه وقال أعوذ بالله من خاتمة السوء والساعه ياشيخ إلى أى دين يميل قلبك قال والله إلى دين الإسلام ياسيدى ولكن بالله عليك وبحق محمد ابن عبد الله اضرب عنقى لعل الله تعالى أن يغفر لى ما كان من ذنبى وكفرى بعد الايمان وأريد أن تمهلنى ولاتقتلنى حتى توصلنى للخليفه أنا وأصحابى حتى أحدثه بالقصه على جليتها ولاأزيد فيها ولاأنقص ثم أظهر للخليفه كتب عقبه المره بعد المرة وأنا قاعد فى البصره وكتابه الذى قد أرسله لى بعد أخذك يشكرنى وأنا فى البيعة الخراب ويقول لى صفهم فى الصناديق حتى انى أرسل لك جماعة من التجار تسير فى صحبتهم إلى جزيرة روبيس والله العظيم والنبى الكريم ماقلت هذاالمقال حتى تعفوعنى لا والله ماأريد الاالقتل ولايطهرنى الا السيف (قال الراوى) ثم بكى على ماأصابه وقالوا رفاقه مثل مقاله وحلفوا كلهم ان يشهدوا عند الخليفه بأن ما أعطاهم المـــال غيره وهو الذى لعب بعقولهم وهو سبب خراب بيوتهم فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك فرح فرحا شديداً وأخذهم معه وسار حتى وصل الى ملطيه ثم بعث المبشر بقدومهم سالمين وكان يوما عظيما وطير الطيور الى مدينة بغداد دار السلام مخلقة بالزعفران مبشرة بخـــلاص الأمير والأميره ذات الهمه ففرح المعتصم بذلك وأخلع على البراج كل ماكان عليه من الثياب وادعى بغيرهم ولبسهم وبلغه ان الامراء منحدرين الى العراق من أجل المناظره بينهم وبين عقبه وقالوا هو الذى دبر عليهم ومعهم العيارين والنصارى التجار بينة على عقبه ولابد لهم من المحاكمة ويظهر الحق على أحدهم فان ظهر على عقبه أخذوه من مأمنه (قال الراوى) فقال المعتصم والله مايظهر لهم على عقبه وجه حق ويشهد عليه العيار لاقطعن رجليه ويديه وأقلع عينه الصحيحة وأسلمه بعد ذلك اليوم لوانه يبلغ السماء بعبادته حتى يعلموا أنى لا أتبع الهوى

ولاأراعيه إلا لعلمه ولعبادته واجتهاده فى طلب الآخره ولا لى معه غرض ولاأمر فقال له مطرون وأنت الساعه تصدق هذا الحديث فقال الحكيم طيبون بسك من هذا النفاق يامطرون مامثل الامراء من يفرط فى أمرهم حتى يأخذوهم الأعداء ويحلوا بهم الرداء وما عقبه إلا كلب زنديق وأنا أعلم ان عقبه أخبث أهل الأرض ولكن يامولاى ان أردت تقف على صحة الخبر أرسل الساعه الى عقبه واقبض عليه والا ماتجده بعد ساعة أخرى فعجل يامولاى مادام حاضر (قال الراوى) فلما سمع الخليفه من طيبون هذا الكلام استصوبه وأرسل جماعة من الغلمان وقبض عليه وأما الامير عبد الوهاب فانه ركب ومعه الامير عمرو بن عبيد الله وساروا الى القريه الخراب المعروفة بالقباب وقصد الامير عبد الوهاب نحو باب السرداب فضاع ولم يهتدى اليه فقال له يامولاى وليتنى ماعرفته ولاعرفنى ثم تقدم بهم ودلهم عليه وكانوا قد غطوه بالتراب ففتحوه ونزلوا فى السلالم حتى وصلوا الى الكنيسه وأحس بهم الراهب فالتفت اليهم فرأى مالط العيار معهم فما قدر ينطق بكلمة واحده الا أن قال لمالط ماالذى أتى بك بالعجل قال ماهنا الا الخير حتى نصفعك فى قفاك حتى يرن الدير ونقطع بعدها رأسك هذا والمسلمين لما رأوا هذه الكنيسه تعجبوا وقالوا هذه الكنيسه تحت حكمنا ولانعلم بها وهى وسط بلدنا وأخذوا الراهب وأخرجوا أموالها وصلبانها من ذهب وقناديل من الجوهر شيء يدهش البصر وصدقوا الأمير وقال الأمير عمرو بن عبيد الله أناأتولى قتله بيدى ثم رجعوا الى ملطية ثم رحلوا من الغد الى بغداد ولما دخلوا على الخليفة المعتصم سلموا وقدموا العيارين فابتدأ مالط يعيد ماجرى له ثم قدم الكتابين فقرأهم المعتصم فقال للعيارين لولا عقبه ماوقعتم أنتم فى هذه النكبه ولا كان لأحد عليكم سبيلا حتى نصبتم هذه النصبه قال الأمير عبد الوهاب هل بقى عند مولانا الخليفه فى عقبه شك أو لبس فقال لا والله ياأمير قد طلعت الشمس ثم ان المعتصم التفت الى من كان حاضرا عنده من المسلمين بين يديه ذلك اليوم يقول كيف ترون يامسلمين هذه الفعال وقد ذهب الشك باليقين فما بقى بعدها كلام قال الأمير الساعه يامولاى الشرط أغاب أريد خصمنا نصلبه على خشبه من الخشب قال الخليفه نعم على به فى هذا الوقت والحين حتى أسمع مايقول بعد هذه البراهين وأسلمه الى هؤلاء الأمراء وأما أنا فقد مانعت عنه أيام وسنين (قال الراوى) فمضوا الغلمان والخدام ومعهم السيوف الى الدار التى كان عقبه فيها واذا هى بلاقع فعادوا الى المعتصم وأعلموه بذلك وان عقبه قد هرب ورأينا الدار منه خاليه ومن كان متوكلا به (قال الراوى) فقامت على المعتصم القيامه وقال وحق محمد بن عبد الله لئن صح انه هو

الذى فعل هذه الفعال وماهرب إلا وهو سقيم وأمر بنصب الخشبه على الدجله وصلب مالط العيار وأصحابه ونادى فى أسواق بغداد جزاء من يدبر على الأمراء المجاهدين من أبطال الموحدين وليوث المسلمين ثم صلب أيضاً التجار الذين أتوا بهم العيارين ثم قبض على كل نصرانى فى أرض العراق وأخذ منهم خمسين ألف دينـــار وأخرب لهم بيعة كبيرة كانت لهم فى بغداد وكتب المعتصم إلى سائر الأقاليم وهو يقول من رأى عقبه وكتمه حل ماله ودمه للسلطان ومن أتى به فله الخلع السنيه والأموال الزكيه (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه انه لمـــا تركه الخادم صندل ووكله بالقـــاضى عقبه فكان كل مايراه يسجد ويبتهل ويتضرع ويقرأ القرآن ويسبح للرحمن ويصوم ولا يفطر إلى ان يصلى العشاء الأخيرة فرق له قلب الخادم صندل وقال ماهذا الامن الأولياء الكبار وماأريد أترك مثل هذا يدعو على فقال له يا قاضى ما هذه العبادة والاجتهاد والنواح والتعداد وأنت من أهل الصلاح والسداد (قال الراوى) فقال عقبة يا ولدى ما أعرف من هو أهل الصـــلاح إلا من مات واستراح وأنا ما أفعل بروحى هذه الفعال إلا للآخرة التى ما أدرى ماذا يكون وقوفى بين يدى الله تعالى وقد بليت بقوم قد زهدوا فى الآخرة بحب الدنيا الغادرة على أنهم مجاهدين فى الظاهر مرائين فى الباطن وما يريدوا بجهادهم إلا قتلى وقد رضـــيوا بقتلى ويدخلون النار من أجلى وكل يوم ينصبون لى حيلة بعد حيلة يريدون هلاكى والله تعالى يدفعهم عنى وهذا الذى دبروه على فى الآخر أعظم من كل شىء لأنهم أخـــذوا عيارين قليلين الدين وهم الذين برطلهم فى الأموال حتى قالوا عنى هـــذا المقال وأخفوا الأمراء أنفسهم عن المجاهدين من الناس وقالوا أنهم سرقوا وأشرفوا على الهلاك وأتوا بقوم نصارى شهدوا على وهذا كله حتى أنهم يقتلونى وأنا فما للدنيا عندى قدر ولا قيمة ولا بدلى من الموت ولكن اترحم على نفسى على كل حال على أنى ما أعلم إن كان لى أجل فلله الحمد الذى لا يخلينى من هذا المحال لأن العناية منه تعالى أفضـــل من سائر الخلائق والمخلوقات وقد علمت إنى أنا خسرت الدنيا ونلت الآخرة لأن السعيد الذى يعلم أنه يعمل لتلك الدار لأنها دار القرار ثم صار يبكى ويقول إلهى لا تفضح هذه الشيبة غداً ولا تمكن منى العدا بجاه محمد نبيك المصطفى فأنا أعلم أنك مجيب الدعاء (قال الراوى) فلما سمع الخادم ذلك من كلامه قال والله أن قتل هذا الشيخ دخلت النار وحرمت الجنة ثم قال لعقبة يا قاضى أبشر فقد قبل الله عز وجل دعاءك وأجاب نداءك وأنا أعمل على خلاصك وأبلغك مرادك ولكن أريد منك التدبير ومنى العمل والقول

المبلغ المسؤل والمأمول وما علي صعوبة إلا من يخرجك من القصر لأنى أخاف أن تعرف فنهلك كلنا أنا وأنت والخليفة قد قال لى رأسك مرهونة به على أنى لو خلصت ما قعدت فى هذه البلد بغداد بل أتسع بك فى البلاد ولى أسوة بك فلما سمع عتبة كلامه قال له يا ولدى أبشر بكلما تريد فانى بعون الله أتركك فى الدنيا سعيد وفى الآخرة إن شاء الله شهيد وأما فزعك من الخروج من القصر فأنا أتسبب فى ذلك من غير أن ينالك مكروه إن كان هذا اختيارك فقال له الخادم ما هو إلا برضاى واختيارى إلا أخبرنى كيف نقدر على الخروج (قال الراوى) فقال له عتبة ائتنى بخف وازرار حتى أخرج فى زى بعض العجم الكبار ولا يعلم بى أحد من الحضار فلما سمع الخادم ذلك من عتبة أتاه بما طلب فابسهم الشيخ عتبة وتنقب كالعجايز العابدات ثم انحنى وأخذ فى يده عكاز وسبحة وخرج وهو يهمهم ويوهم الناس أنه يقرأ القرآن حتى صار برا القصر فقصد إلى داره والخادم معه وهو متعجب من فعايله وجعل يقول لولا أن هذا الشيخ له عند الله منزلة ما كان ألهمه إلى هذه الأفعال ولما صار عتبة فى منزله أمر غلامه أن يشد له بغلين وركب واحد وركب الخادم آخر وبقى عتبة بعد على حاله التى خرج بها من القصر وهو كل من رآه يقول هذه عجوز وهى ماضية لبعض الزيارات وسار عتبة إلى أن وصل إلى حلة من بعض الحلل وبذل المال لمن يحمله إلى الحجاز فحملوه والخادم معه ولما حصل عتبة فى الحجاز سار إلى زبيد وخرج منها طالب عدن وكان قد أخذ معه مال عظيم وهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أيس من عتبة قلق لذلك وتحير وقال للخادم ويلكم اجعلوا بالكم عليه فى القصر فما أقول أنه خرج ولا شك أنه عند بعض أصحابه مختفى وقد خاطر بنفسه ولا شك أنه متهم لأن النساء والرجال تحبه لأجل عبادته وعلمه (قال الراوى) والخليفة معهم فى الكلام وبعض الخدام قد دخل عليه وقال له يا مولاى قد رأيت فى الدار التى كان عتبة فيها محبوس هذا الكتاب ولا أعلم ما فيه ثم رمى من يده مختوم فأخذه الخليفة وفك ختمه وقرأه وإذا فيه يا أمير المؤمنين وثبة من قدام سلطان خير من ألف شفيع والله ما هربت ولا ذهبت خوفا من الموت ولكن خفت عليك أنت بان تتقلد بدمى وتتوزر بوزرى ولو اطلعت على باطن القصة لعلمت الحق فى أى جانب هو ولكن سبحان من يمهل الطغاة لأن أعدائى هم الذين دبروا هذا التدبير ورتبوا العيارين والنصارى وأخفوا أنفسهم فى الصناديق وقال للسودان الحقوا بنا وخلصونا وأنا أكبر شاهد لى أنى كنت مريض موجه للقبلة على شرف الموت وقد وقع منى الاياس عند جميع الناس وبعد هذا

ما لى أسف على الدنيا إلا على فراقك أنت يا مولاى وعلى ابنتى السيدة زبيدة لأنكم أولادى وأنا ذاهب عنكم أقول أنى ما بقيت أرجع إليكم أبداً إلا بين يدى الله تعالى فى عرصات القيامة (يا سادة) فلما قرأ الكتاب المتقدم بقى متحيراً وقال علمهم عند الله الجميع وإن وقع فى يدى أسلمته إليهم وأقلدهم دمه لأن الذين شهدوا عليه عيارين ولصوص ولا تقبل شهادتهم عليه وكذلك النصارى لأنهم كفار ولا تقبل شهادة الكافر على المؤمن ولا يجوزه الشرع ولكنى ما أقدر أخالف الأمير عبد الوهاب لأنى أعرف دينه وما أظن فيه وفى أمه إلا الخير وما أقول أنهم يستحلون هذه الفعال ثم ادعى بالأمير عبد الوهاب إلى بين يديه وطيب خاطره وخلع عليه وعلى سائر الأمراء وقال أيها الأمير لقد أذنت لك فى عقبة أينما وقعت به أقتله أو أفعل به ما تريد فقبل الأرض بين يديه وقال ما بقى على مولانا ملام يا أمير المؤمنين دم لنا ولسائر المسلمين صاحب العز والتمكين (يا سادة) ثم ودعه الأمير وعادوا كلهم طالبين ملطية فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير حجاف النميرى فانه بكى على السعيدة حتى نحل جسمه وضعف بصره وكان شيخاً كبيراً وقد طعن فى السن لكن له نخوة وحمية وكان مقيم فى ملطية يندب الليل والنهار ويتعلل بالاصطبار حتى مضت سنتين كاملتين وأيس من ابنته واشتدت بليته ثم أقبل على أخيه زحاف وقال يا أخى أنا أعرف أن الاخ يكون شفيقاً على أخيه وإذا وقع فى شدة أعانه وقد قيل فى المثل كن عون أخيك ظالماً كان او مظلوما وما أقول أنك تقعد عنى ولا عن مساعدتى ولولا أننى أقطع الرجلين لكنت أقوم بروحى وأسعى فى مصالحى ولكن اقعدنى الزمان ورمانى بطوارق الحدثان ثم أنه بكى وأنشد وجعل يقول :

ألا يا أخى والأخ ما زال مسعداً	إذا طرقت يوماً أخاه النوائب
لقد طرقتنى حادثات كثيرة	وقد سلمتنى يا أخى للمصائب
فان كنت تبقينى فأنت مساعدى	وان كنت تخذلنى فأنت موارب
فلا صبر لى من بعد هذى فانها	مصيبة دهر أدركتها النوائب
سأدخل أرض الروم أبغى خلاصها	لذاك وأن سدت على مذاهبى
فبالله أركبنى على ظهر حجرتى	ودعنى أطوف الأرض من كل جانب
لعلى أنال القصد من شأن ابنتى	وأما أعد عنها وظنى خائب

(قال الراوى) فلما سمع زحاف من أخيه هذا المقال ركبه الغم وحمل الهم وبكى بكائه وقال يا أخى لا تحمل على قلبك هم وأنا والله أسير معك أينما أردت وأنا

أعلم أننى أنا وإياك نهلك فى الطريق لا محـــالة لأنك أقطع الرجلين وقطع رجليك يكون سبب هلاكنا وبه نعرف فقال حجاف ما يكون إلا ما يريده الله تعالى ولا يجرى علينا شىء الا بارادته فلبسنى ثوبا أسود واخرجنى فى زى الرهبان والبس أيضاً أنت مثلى ودعنا ندخل الى بلاد الروم وكل من سألك عن حالك فقل نحن سواحين من بيت المقدس وهــذا اخى ناظر المسلمين وغلبهم فقطعوا رجليه واعلم يا اخى ان ما حملنى على هذا إلا أن رأيت منام ثم كتمته عنك إلى الآن وهو والله منام غريب عجيب ولولا هو كادت مرارتى أن تنفطر فقال له زحاف وما هو يا أخى المنام أخبرنى به لعل أن يكون فيه فرج فقال يا أخى ليلة من الليالى توضأت وصليت العشاء الأخيرة ثم أنى ركعت حتى طلع الفجر فلما طلع الفجر غلبتنى عيناى وأنا أسجد فرأيت السعيدة فى المنام وهى فى وسط دير وفيه رهبان عدة وقد شدوا الزنار فى وسطها والصليب على صدرها وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فحانت منها التفاتة فرأتنى وأنا أبكى فقالت يا أبى ما كنت أعهد منك هذا الجفاء إلا أن تكون قد تغيرت لما غبت عنك وإن كنت قد نسيتنى فأنا ما أنساك وإن كنت أيست فأنا ما أيست من لقاءك ثم أنشدت تقول:

ألا ياأبى ما أحلا ندائى بأبى	قدصدع البين المشتت فؤادى
وصبرت عنى بعد طول تحنن	والفضل للآباء والأجداد
فلئن بعدت وكان قلبك قاسيا	ونسيتنى فى حالة الأفراد
ما تنظر الأعداء بى قد أحدقوا	حتى أقول مقالة الإلحاد
وأنا الذى لاأنثنى عن سيدى	فهو المليك لكل خلق هادي
أن تطلبونى فاقصدوا ديرالهم	فى قلة منصوبة فى الوادى

(قال الراوى) فلما سمع زحاف من أخيه حجاف هذا الكلام قال له إن كان الأمر على هذا الذى ذكرت فما بقى لنا مقام ولا لمقامنا وجه فاقصد بنا يا أخى إلى أين شئت نسير فقال حجاف مالى إلا بلاد الروم وأريد أن أسير فى هذه الأيام قبل وصـــول الأمير عبد الوهاب من العراق ويعذلنى ويقول لى أنا لك وبين يديك ولا يمكننى من المسير وأنا فما كنت أقدر أخالفه ولكن اظهر للناس فى ملطية أننا سائرين إلى زيارة أهالينا حتى لا يضيق لهم صدراً فقال له زحاف سمعاً وطاعة هذا هو الصواب ثم أنه أشاع فى ملطية ما أمره به أخوه حجاف وعولوا على المسير وخرج الناس لوداعهما وبكوا على فراقهما فقالوا والله ما لنا صبر على غيبتكما عنا ولكن لعل الله تعالى أن

يفرج عن الأمير الأجل عبد الوهاب فقال لهم حجاف اللهم أزل ما بقلبهم من الهم ومن الحزن ثم أنهم رجعوا الناس وهم يبكون وساروا هؤلاء يقطعان الأرض حتى وصلوا الى حلب وطلبوا انطاكية وساحل السويدية (قال الراوى) وبعد رحيله بيومين وصل الأمير عبد الوهاب فأخبروه الناس بذلك فضاق صدره على الأمير حجاف وعلى أخيه زحاف وقال والله لو كنت ههنا لما مكنته من المضى وانى أخاف ان يحمله هوى ابنته وحزنه الذى هو فيه فيدخل بلاد الروم فيهلك ما يكون إلا ما يريده الله تعالى فهذا جرى فى ملطيه (وأما ما كان) من حجاف وأخيه فانهما وصلا إلى انطاكيه ونزلا بدير شيخالون ثم لما رأوهم الرهبان عجبوا من زيهما ثم نظروا إلى حجاف متطوع الرجلين فسألوه عن حاله فقال زحاف هذا من فعال المسلمين لانه لما ناظرهم فى دينهم وأقام عليهم دليل على المسيح هو الاله ففعلوا به هذه الفعال وأنا أخوه وقد أمرنى المسيح ان أدور به فى البلاد وأن أسيح به فى الأرض كلها وأوريه لأهل الديوره كلهم والصوامع والقلايات فلما سمعوا منه الرهبان ذلك أكرموهم وأدخلوهما الى الدير وأقاموا يتحدثون جميعاً حتى مضى بعض الليل وكان حجاف يعرف بعض شيء من أحوال الرهبان (قال الراوى) ومضوا الرهبان عنه وتركوه هو وأخوه فلما خلى حجاف بنفسه قام فصلى ما كان عليه وغلب عليه النوم وهو فى الصلاة فما هو إلا أن غفل حتى صاح صيحة عظيمه وقعد على ركبتيه وقد انزعج وقام من منامه زحاف وقصد اليه وظن ان الإنسان هجم عليه فقال له ياإخى ما الذى دهاك فقال له حجاف ودموعه قد بلت لحيته وغسلت شيبته يا أخى رأيت الساعة السعيده فى المنام وهى كانها مستجارة وخمارها على وجهها وهى تقول هذا فى طاعة الله تعالى ثم نظرت إلى وبكت وانت واشتكت ولزمت ازيالى وهى تنشد وتقول هذه الأبيات :

أين السرور وأين عيشى الصافى ... أو من يخلص ابنة الحجاف
من مبلغ عنها السلام تحية ... نحو الذى قد فاز بانصاف
فى الجانب الأقصى تقاد بشعرها ... عريانة تمشى كمشى الحافى
ماط الخمار وقد تجمع حولها ... من كل ذى كفر بقلب جافى
قد أوعدونى انهم فى عيدهم ... يسعون فى قتلى وفى اتلافى
وينصرونى أو اقطع عامدا ... بسيوفهم قطعاً بغير خلاف
فانجز وإلا قد أصير شقيــة ... من بعد اسم سعيدة الاسعاف
واسأل عن الأقصى ورهبانهم ... فى لحف تل ساطع الأطراف

واقصد إلى روبيس فهى مصيبتى ... واقصد جزيرة معدن الاصداف
وادخل بلاد الروم فهى مصيبتى ... واستقص عن خبرى فليس بخافى
ان جئت فى عيد النصارى قاصدا ... خلصتنى ونجيت قبل تلافى
والا فانى لست أقوى عامدا ... للضرب ان جارون فى الاسراف
قالوا تقولين ابن مريم خالقا ... فأجبتهم بجواب صدق شافى
ما كان إلا مرسلا من ربه ... وبذاك اخبر ابن عبد مناف

(قال الراوى) ثم ان الأمير حجاف قال لأخيه زحاف يا أخى فلما سمعت منها هذا الشعر بكيت وشهقت وانتبهت من منامى وأنا أحفظ الشعر الذى قالت والكلام الذى قد وصفت وقد صح عندى انها فى بلاد الروم وقد قالت انها فى عيد الصليب تصلب ان لم تتنصر فكم تقول يا أخى قد بقى لعيد الصليب فقال له يا أخى سبع شهور فقال والله لولا غليل البكاء لسألتها كيف الطريق اليها قال زحاف يا أخى قد فسرت لك وما يحتاج سؤالها فانها تذكرت البعض من ذلك الأمر وقالت أقصد إلى روبيس ولكن فى الامر شيء واحد لانها قد وصفت لكم القوم التى هى عندهم ولكنهم لاشك انهم قد علموا انك مقطوع الرجلين ونخاف إذا عرفوك انك أبوها فلربما يكون هذا سبب هلاكنا فقال حجاف يا أخى الله تعالى مهما شاء فعل فسيرنا واستعن بالله (قال الراوى) لهذا الكلام ثم انهم أقاموا إلى الصباح وقد ودعوا الرهبان وأركب زحاف أخوه حجاف على حمار أسود وعليه ثياب الرهبان وبرنس طويل وفى يده عكاز مقمع بنحاس وقد شد رجليه تحت رجلىّ بطن الحمار وسار به يطلب بحر الروم الذى للساحل الاكبر وكان كل من التقاهما ونظر حجاف بهذه الحاله فيبكى عليه فيقول زحاف ياقوم هذا راهب نجران فعلوا به المسلمين هذه الفعال لما ناظرهم فى دينهم وغلبهم فقالوا أنت ماعرفت هذا العلم إلا من كثرة السواحه فنريد نقطع رجليك حتى لاتكون هجنه على المسلمين ولم يزالوا حتى وصلا إلى ساحل البحر المذكور وأقلعوا فى بعض مراكب التجار الذين يأتون الى روبيس وكان حجاف قد حرم على نفسه المنام وواظب البكاء والسهر وأهل المركب يظنون ان بكاءه من خوف الآخره وعذاب الآخره الى ان كان فى تلك الليله غلب عليه النوم ساعه ثم انتبه وهو يقول لزحاف يا أخى ويأتيك بالأخبار من لم تسائله فقال زحاف ايش الذى جرى يا أخى فقال الساعة أتتنى السعيده وزارنى خيالها فى الكرى وهى تبشرنى بالاجتماع وتبكى فى وجهى من خوف التلاف وتقول يا أبى فى غداة غد عند الصباح تكون فى جزيرة روبيس وتقيم فيها ويجرى عليك شدة عظيمه ويكون

عقباها الفرح العظيم ولاتخرج من هذه الديار الا وأبو محمد البطال معك وفى صحبتك وهو الذى يعينك على شدتك وهو يكون سبب خلاصى ومعه ولده مذبحون وغلمانه لانهم دخلوا فى طابى ثم وقعوا فى الأسر بسببى وهم فى غاية من الضر والعيش المرثم غابت عنى الساعه واستيقظت كما ترى فقال زحاف وحق من مسك السماء ان تقع على الأرض الا باذن الله لتكون هذه أعجوبة فى الدنيا وهذا هو الوحى الذى ذكره المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه قال المنام وحى المؤمن من الله وساروا الجميع فلما أصبح الله بالصباح وصلوا الى جزيرة روبيس ثم طلع زحاف الى البلد وهو حامل حجاف فلما ان دخل الى الكنيسه دارت به الرهبان وسألوه عن حاله فقال ياقوم أنا رجل كبير كنت فى بيت المقدس وانى نذرت السياحة على نفسى فى الأرض كلها الى ان وقعت فى بلاد المسلمين فناظرتهم فى دين المسيح ففعلوا بى هذه الفعال وقالوا لى ما علمت هذا العلم الامن كثرة مادرت فى الاقطار وصاحبت علماء الامصار ونحن نريد نقطع رجليك ونعدمك السياحه ثم فعلوا بى هذه الفعال وبقيت مرميا أقاسى البلاء حتى تعافيت وقد نذرت على نفسى ان لاأبطل السياحه ولا أركن الى راحة فلما هدىء مابى من الضربان عدت الى سياحة البلاد والوديان وزيارة القسوس والرهبان وجعلت أقصد أطراف الجزائر لعلى التمس الدعاء من الرهبان حتى أكون قدسبحت فى البر والبحر (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه جعلوا يقبلون أقدامه وقصدوا الناس زيارته وطلبوا منه الدعاء وقد طمس الله على قلوبهم ولم يفتكروا السعيده ولاجرى لها ذكر وتسامعت الرجال النساء بحجاف فأتوا اليه من سائر الأقطار وصاروا يتبركون به ويضعون أولادهم بين يديه ويطلبون منه البركة ومافيهم الامن يأتى وفيه عاهة الاويبرأ باذن الله تعالى وقالوا النصارى هذا هو العبد الصالح سائح فى الدنيا حتى ينال المنزلة العليا (قال الراوى) وفرح به الملك مرحبون وواظب على زيارته وقد تعجب من عظم بركته وقال لولده مرحب ياولدى لقد من المسيح علينا بهذاالرجل الصالح وماقصدى الا ان يكون عندى حتى لاتكون هذه الجزيرة خالية من البركات وقد عولت ان اعرض عليه لص المسلمين البطال وأصحابه الأندال وأقول له ياأبونا ان الأولى ان تأخذ من هؤلاء اللصوص بثار رجليك وماعلينا من الشيخ النجيح لان هذا الرجل أعظم منزله منه عند المسيح لانه يفعل فعال الحواريون فقال مرحب افعل مابدالك ولكن ياأبتاه قداشتهيت ان تأمر الاثنين بالمناظره فى الاديان بحضرة القسوس والرهبان حتى ننظر من يقهر صاحبه لانى أرى هذا اللص الشيطان المسلم شديد فى دينه وقد عذبنا العذاب الاليم وهو لايرجع عن دينه وهذا

الراهب الذى زعمتم انه ناظر المسلمين وقهرهم قد رأينا منه المعجزات فاذا ناظره بان الحق بينهما وظهر (قال الراوى) فقال مرحبون سمعا وطاعه يابنى ولما كان الصباح نزل الملك مرحبون وولده مرحب الى الكنيسة التى للبلد أول الرجال ومعه جماعة من خواص الدوله وتقربوا من الأمير حجاف فقال مرحب ياأبونا عندنا لص من لصوص المسلمين ومعه جماعة من الغلمان الموحدين وهم ياأبونا شديدين فى دينهم وأريدان أريك اياهم وأحكمك فيهم بعدما تنظر اليهم وتناظرهم وتغلبهم كما قلت بين الرهبان والقسوس وتقيم لهم الدليل على ان المسيح كما قال العلماء والحواريون وأهل الدين وبعد ذلك خذ منهم بثار رجليك فى هذا المكان بعدما تبين لنا حقيقة الحال والاديان ونطلع على صلب المسيح ومن كان له صالب ويبان لنا الصادق من الكاذب وكذا المغلوب من الغالب (قال) فلما سمع حجاف ذلك فرح فرحا شديداً وعلم ان المشاراليه بهذاالمقال هو الأمير أبو محمد البطال وغلمانه وولده مذبحون وقد بان له صحة المقال (قال الراوى) فعندها قال الملك مرحبون احضروهم حتى أريك العجب وابين لكم حقيقة كل مذهب قال فما كانت الا ساعة حتى أحضروا أبو محمد البطال وأصحابه وهم فى أسوأحال واشر بال فى القيود والاغلال وقدقال غلمان الملك لابو محمد يامسلم حضرعندنا راهب وهو يريدان يناظرك ولاجل هذا الملك قد أحضرك (قال) فلما سمع أبو محمد كلامهم قال لولده مذبحون ولغلمانه والله لقد كرهت روحى الحياة مماانا فيه وما أحضرنا الملك ليناظرنا الا ان يقيم الحجة علينا ويقتلونا فالحمد لله الذى نقتل على دين الإسلام هذا وان الكنيسه قد أمتلأت بالخلق ليسمعون من يكون معه الحق (قال) وجلس الملك مرحبون على كرسيه وكان من الذهب وولده مرحب الى جانبه واقف على أقدامه فى خدمته (ياساده) وقد دارت حوله خواص مملكته ورؤساء مملكته وقدموا الأمير أبو محمد البطال الى قدام الأمير حجاف فلما نظر حجاف الى البطال صاح صيحة كادت مرارته ان تنفطر وأراد ان يعرف البطال بنفسه فالتفت اليه وقال له يامسلم أريدك اليوم تبين لنا مذهبك والاأمرت الملك بضرب رقبتك اويقطع رجليك كما فعل المسلمون برجلاى هاتين وبعد ذلك نسألك عن الشىء الذى تقوله فى المسيح الناسوت واللاهوت وماتعتقدون فى الصلب والصلبوت (قال) فلما سمع الأمير أبو محمد كلامه ونغمته بقى مشكك فيه لانه يعلم ان حجاف ماهو من اهل هذا الكلام لما يعرف من دينه وزهده وتوحيده وعبادته ثم اعاد فكره فيه ونظره وقال قد يكون حمله على هذا الكلام فقد ابنته السعيده ثم نظر الى حديثه وتبين رجليه وكان زحف قد كشف رجلين حجاف وقد نظرهما ابو محمد

البطال هنالك تحقق معرفته (قال الراوى) فقوى نفسه وجنانه ثم انطلق بالكلام لسانه وكذلك حجاف لما رأي البطال وهو بذلك الذل والجوع وسوء الحال رثاله وقال للملك أن تشبع هذا المسلم هو وجماعته من خاص الطعام قبل المناظرة والكلام حتى انه لا يقول كنت جيعان وإلا ما كان غلبنى فقال له الملك صدقت ياأبونا وانصفت ثم أمر البطارقه فأحضروا الطعام إلى البطال وغلمانه ثم أكلوا حتى اكتفوا ثم قال أيها الراهب سل عما شئت حتى أجيبك عليه فقال حجاف اخبرنى يامسلم عن أول اعتقادكم فقال البطال ان أول اعتقادنا اننا نقول ان الله واحد أحد فرد صمد وان كنت ياذا منصفا فلا تعجل واعلم أن الرب لا يكون له ولد لان الخلق بخلاف الخالق لان الخلائق موصوفون بالأزواج والاضداد والآباء والأجداد وهو تعالى لم يلد ولم يولد فيكون محدثاً ولا يمكن ان يكون له شريك فيكون عاجزا لاندله ولا كيف ولا محتاجا إلى الآخر واما ان يكون على سبيل الاستقلال وهذا لا يكون إلا لواحد تفرد بالبقاء فهو الله الذى لا إله الا هو كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى منزه عن الآباء والأجداد والاضداد والانداد (قال الراوى) وبعد ذلك أنت ايها الراهب نزهت نفسك عن ملامسة النساء فلم تنزه العلى الأعلى الذى كان قبل المكان ولا تغيره الأمور والأزمان واذ كنت تستقبح شيئاً لنفسك ولسائر الرهبان فكيف تستحسنه للرحمن وكيف تنسب شيئا الى خالقك لا ترضاه أنت لنفسك وتقول انه من أبناء جنسك وأما قولك عن اعتقادنا فى المسيح عليه السلام فانا نقول انه كان نبيا كريماً بعثه الله بالحق الى أمته وأعطاه المعجزات والآيات البينات كما أعطى من قبله الأنبياء والسادات وكذلك اعطاء نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حتى خاطبه المولود وسلمت عليه الأسود ورفعه الله تعالى الى المقام المحمود وأعطاه الشفاعة العظمى والحوض المورود وحنت اليه نخيلات البقاع وكلمه الذراع وأما قولك عن صلب المسيح فهذا عنه غير صحيح لانه ماصلب ولا نكب ولا تمكنت الاعداء منه ولا ضرب الا كذب عليه ظالم مثلك من بنى اسرائيل ودلهم على مكانه فلما أتوه الرجال ليقتلوه كفاه الله شرهم وألقى صورته على ذلك اليهودى ليظهر قدرته فى الآفاق ويقاتل أهل الكفر والنفاق ورفع المسيح وهم يبصروه وصلبوا ذلك اليهودى الذى به شبهوه وهو فى خدمة رب الأرض والسماء وخالق الضياء والظلماء ولوكان أيضاً صح كما تقول النصارى أن الله أبوه لم ترك الأعداء صلبوه وأيضا قدر المسيح أضعتموه بقولكم أن اليهود قد صلبوه ثم جعل ينشد ويقول :

اسمع مقالى يامن فيه معرفة   فالحر من قد وعا لفظى ومن سمعه

يا راهب الدير انصفني وكن فطنا ودع كلام النصارى فهي مبتدعه

(قال الراوى) فلما سمع الأمير حجاف هذا الكلام كاد ان يخرج من عقله ثم يظهر أمره غير انه ثبت جنانه حتى يتم له الاحتيال وقال للبطال يا مسلم هذا الذى قلت بعضه كذب وبعضه صدق صحيح وكان الواجب ان ينزه عن الصليب ولا يقال انه رب ولكن هذا شيء قد وجدنا عليه آباؤنا والأجداد ونريد ان نرجع الى عقولنا ونفصل بين الأديان ولكن يا مسلم انا اخبرك هل لكم انتم مثل هذه الكنائس وهذه الصلبان والرهبان والقسوس والشمامسة والمطران وتلاوة الانجيل والالحان وهذه الصور اللواتى فى الحيطان والمذبح والقربان والمترهبات من النسوان والرهبان (يا سادة) فلما سمع البطال هذا المقال تبسم وقال يا راهب نحن لنا القبلة والقرآن والنور والإيمان والعفو والغفران وسورة الواقعة والرحمن والبقرة وآل عمران والرعد وسبحان والتوحيد للملك الديان ونحن فى النهار ابطال الميدان وفى الليل رهبان لكن مافينا قس ولامطران ولا زنار ولا رهبان ولا نسجد لصورة فى الحيطان ولا ننسب نبينا انه ولد للرحمن فلما سمع حجاف كلام البطال اظهر العجز وقال يا مسلم أفى المسلمين من يعرف معرفتك فى دينك فقال ابو محمد يا راهب انا جندى واما اهل العلم لو حضر ورأيت العجب فقال حجاف انا الساعة لى عندكم ثار ولابد لى من قتلك او ترجع إلى ديننا وتدع هذا الكلام الذى ليس بالصدق وتعود إلى كلامى والتحقيق وتدخل فى الدين العتيق ولا تجعل بين المسيح وبينى تفريق (قال الراوى) فلما سمع البطال كلامه قال يا راهب المحال ويا رأس الضلال كيف أفارق دينى وأبقى عند الناس فى انحطاط المرتبه وهذا شيء لا أفعله أبدا إلا أن غلبت فقال حجاف إذا كان الأمر كما قلت فما لك دواء إلا الصلب وإلا خرج على النصرانية منك البلاء والكرب ثم صاح فى البطارقة وقال ردوهم إلى مواضعهم وخلوا أخى هذا الراهب يتولى عقوبتهم ثم أشار إلى أخيه زحاف وقال له إن لم يتنصروا وإلا صلبناهم غداً (قال) فعندها ردوهم إلى مواضعهم ووكلوا بهم زحاف لأجل تعذيبهم وانصرف الملك الى قصره ومضت خواصه الى أماكنهم وكذلك عوام البلد وبقى حجاف فى الكنيسة وفى تلك الليلة فك زحاف قيد أبو محمد البطال وغلمانه وولده وكانت قيودهم ثقال وهم منها فى أسوأ حال وحل كتافهم وقطع الأغلال من أعناقهم ونعشت أرواحهم وقال الأمير أبو محمد البطال هذا من فضل الله تعالى علينا وعليكم ولكن كيف علمتم أننا ههنا ومن جسر أخاك على هذه الفعال وما هى من عوائده فأعاد عليه زحاف ما جرى فى ملطيه والقضية وكيف شاع الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وقصة العيارين وما كان عقبة علمهم وما جرى

لعقبه فى هروبه وكيف أبصر حجاف المنام وخرج فى ذلك الزى وتأهل للدوران فتعجب من ذلك وقال والله لا ضيعنا تعبنا ولا رجعنا حتى نعمل على خلاصها إن شاء الله تعالى وندخل خلفها أين ما كانت واذا كان فى غداة غد حصلوا لنا مركب اما كبيراً أو صغيراً حتى نتسبب فى نزولنا اليه فى الليل ونسير الى جزيرة المعادن لنخلص السعيدة قبل عيد النصارى (قال الراوى) فقال زحاف هذاهو الصواب ثم عاد الى أخيه حجاف وأعلمه بذلك ففزع الفزع الشديد لذى ماعليه من مزيد وقال له عند الصباح ندبر فى تحصيل المركب فلما كان عند الصباح أتو البطارقة الى الملك ليبشروه أنه قد وصل مركب من القسطنطونية وفيه راهب عظيم الشان خبير بسائر الأديان يسمى شومدرس القرنان وقال أنه ما أتى أيها الملك الازائر أو يريد يزرع فى جزيرتكم شيئا من علم النصرانية من وسط الانجيل وقال أنه يوقفكم على التحريم والتحليل ويعرفكم اعتقاد أهل ماء المعمودية فى هذا الدين فلما سمع الملك ذلك قال وحق المسيح ما الرب الا وقد رضى علينا اذا قد أنفذ مثلك الينا وأتى الى زيارتى فان كان هذا شومدرس كما ذكرتم ناظرت بينه وبين لص المسلمين الذى قهر بالأمس الراهب السايح فى علم الدين على أنه حين رآه أخبره عند لقاه (قال) وكان السبب فى مجىء شومدرس الى هذه الديار كتاب عقبه رأس الأثوار وقائد الاشقياء الفجار الى النار (قال الراوى) وكان كتاب عقبة قد وصل الى مطران الطبيب يخبره أنه فى بلاد اليمن ويقول له أريد تكتب الى أخى شومدرس كتاب تعرفه فيه أن أبو محمد البطال وغلمانه وولده مذبحون اليوم فى جزيرة روبيس وأخاف أن يطول عليه المدا وما أدرى أرجع إلى الديار ام لا فكتب بذلك الى شـــومدرس حتى يمضى ويأخذ البطال وغلمانه وولده مذبحون من جزيرة روبيس ويضرب رقابهم ثم يسلخ وجوههم وينفذ سلخاتهم الى عندى حتى أشتفى منهم (قال الراوى) فلما وصل مطرون هذا الكتاب من شيخ الملاعين عقبه المهين وفى هذا الشرح والخطاب كاتب شومدرس بهذا الحال وذكر فيه يقول عندى خبر آخر أطلعك عليه وهوان حجاف النميرى هو وأخاه زحاف كانا اظهرا للناس فى ملطيه انهما ماضيان الى الشام وقد دخلا الى بلاد الروم يدوران على السعيدة وهو فى صورة راهب سايح فاجعله فى بالك لعلك أن تظفر بهما فلما وصل الكتاب الى شومدرس فى القسطنطونية قال للملك أرمانوس قد عولت على الزيارة الى جزيرة روبيس لان هناك مكانا شريفا لعباد المسيح فقال له أرمانوس ادعى لنا هناك ايها الشيخ الصالح فقال سمعا وطاعة أيها الملك وما أنا ماضى الا أجل ذلك فاكتب معى كتاب الى صاحب الجزيرة عرفه قدرى حتى انى اذا أشرت عليه بشىء لايخالفنى فى أمرى فكتب له أرمانوس

كتابا الى مرحبون وسار شومدرس حتى وصل الى الجزيرة كما ذكرنا ولما دخل بين يدي الملك مرحبون سلم كتاب عقبه اليه واذا هو فيه يابنى سلم المأسورين الى الراهب شومدرس ثم سلم اليه كتاب الملك ارمانوس فلما قرأه مرحبون قال ما كنا تحتاج الى كتاب أرمانوس ولا أرسله الينا فى مثالك لاننا سمعنا أنك رحمة المسيح على أهل البلاد من النصرانية وآفة الموحدين ولكن فى غداة غد اسلم اليكم لص المسلمين واصحابه اجمعين وكلما تأمرنا به فنحن مطيعين ولكن ياأبونا أنت تعلم أننا قليلين المعرفة بالدين وضعفين اليقين وقد تشوشت القلوب من أجل مناظره جرت عندنا بين لص المسلمين وبين راهب وصل الينا ورأينا له من الكرامات والمعجزات مثل بعض الحواريين والصالحين الا اننا راينا ابو محمد البطال يتكلم والراهب يصـــدقه ولا يجاوبه بما يشفى القلوب وقد بقينا وحق المسيح حائرين فقال شومدرس يمكن ان يكون فى الرهبان من يكون نيته صادقة فى عباد المسيح ويكون له كرامات ويكون قليل العلم والعبادات فأى شيء تكون صفة هذا الراهب فقال له الملك صفة هذا الراهب هو رجل عظيم الهيكل واسع المناكب الا انه متطوع الرجلين ومعه آخر كانه اخوه (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك من كلامه ضحك ثم قال ايها الملك سلمت جزيرتك فأفق من سكرتك وتلافا فصتك اتدرى بحق المسيح من هو ذلك الراهب الذى عندك هذا مبيد الاقران وقاتل الشجعان ومنكس الصلبان الذى افنى عباد المسيح فى كل مكان من جميع الروم وصبحهم بكل صباح ميشوم وهو ابو الجارية التى دبر عليها الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح هذا الامير حجاف فتبرك الآن بطلعتى والا لو كان المسيح اعاقنى عن القدوم اليك اخذوا روحك من بين جنبيك ولربما كانوا قبضوا عليك فأين حجاف حتى اجعله اول من ضرب وآخر من صلب وايضا ابو محمد البطال الكلب الكلوب (قال الراوى) فلما سمع الملك مرحبون كلام الراهب شومدرس حار ووقع به الانبهار وقال يا أبونا أنهم يكونوا فى الكنيسة الا انه وحق المسيح قلبي ما يصدق أن يكون فى المسلمين من تكون له هذا الكرامات لان هذا الراهب يضرب بيده على المريض فيبرأ وعلى العليل فيشفى وإن كان كما تقول مسلما فما هو الاله اعتقاد صحيح لاننا مارأينا قط مثل هذا فى عباد المسيح وأريد أن تمهل على الى غداة غد حتى انى أجمع بينك وبينه وبين البطال ويبان لنا الحق من ضلال وأنا أدخل عليه عند الصباح كانى أزوره وأسأله عن حاله وأقول له قد سمعت أنك فارس شديد وبطل صنديد حتى أسمع ما يقول فان أنكر فتدخل انت اليه فما تعرفه فقال شومدرس وكيف لا اعرفه ويعرفنى ومادام قلبك قد تشوش من معرفة البطال وما نظرته مع حجاف الى غداة غد

حتى اننى اريك ما يكون (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من الأمير حجاف فانه بات تلك الليلة فى الكنيسة وهو يتلو القران ويمجد الرحمن لانه كان خلى له المكان من القسوس والرهبان لانهم تلك الليلةقد اشتغلوا عنه بشومدرس وكانوا مشتغلين مع شياطينهم وبات الامير حجاف مشغول بين يدى ربه بالركوع والسجود والبكاء والخشوع وهو غافل عما يرى ولكن له من يحرسه ويحفظه ويرعاه ولم يزل كذلك الى ان مضى من الليل الربع الاول واذا قد اقبل عليه راهب مستعجل وهو مسرع نحوه فحس به الامير حجاف وسمع حسه وكان مستقبلا للقبلة وهو بارك على ركبتيه ثم اراد الاميران يدور الى الشرق ويظهر انه على الدين القديم واذا بالراهب قد ادركه وعرف مراده وقال له لا تدور وجهك عن القبلة الحرام ولا ترائى وتكتم دين الاسلام فلك ربك يرعاك من أعدائك وأرسلنى اليك بزمام المشيئة لاقص ماجرى عليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ (قال الراوى) فلما سمع الامير حجاف كلام الراهب وأسلامه وذلك الخشوع ففاضت عيناه بالدموع وأن أنين مغلوب موجوع وقال له يا أخى من أنت الذى من الله على بك وأرسلك إلى كيف عرفت انى على دين الاسلام وأنا أعبد الله الملك العلام سراً فقال الراهب وكان عالما كبيرا فى دين النصرانية ويقرأ الإنجيل والتوراه وكان مع ذلك كثير الاسفار وشديد البحث عن دين الاسلام وكان أصل هذا الراهب أنه كان يهوديا من جزيرة السواحل يقال له شيخاون وانه قد دخل فى دين النصرانية فما رأى فيه شيئا ينجيه ولا رأى له خلاص فقال فى نفسه اريد ان اسافر وابحث عن حقيقة الأديان واختبرها وانا اعلم انما خلقنا سدا ولا بد لنا من الحساب غداً ثم انه طاف الجزائر وقد قصد الى مواضع الرهبان واعجبه انفرادهم عن الانس والجيران وبعدهم من الاهل والجيران من الانس والجان وفى جملة ماطافه من الجزائر والبلدان حتى سمع بجزيرة روبيس وكان اهلها فى الأصل يهود وتنصروا فقال ماتنصروا هؤلاء إلا وقد بان لهم الحق ثم قصد اليهم ودخل قدام الملك مرحبون وقال انا من بنى عمك وقد اتيت الى جزيرتك حتى ادخل فى دين الإنجيل واريد ان تتركنى فى البيعة مع جملة الرهبان والقسوس واصحاب التلاوة والدروس (قال الراوى) وفرح به الملك مرحبون ووجده حبرا عالما بالتوراه والإنجيل فأكرمه غاية الإكرام ونزله فى البيعة مقدما على جميع الرهبان وراوا علمه فى الدين القديم والنصرانية على طول الزمان الا ان قلبه كان ينفر من الشرك بالملك المجيد وطول ليله بقى متفكرا فى دين الإسلام حتى هم ان يدخل الى بلاد الإسلام ويسمع من فقهاء الدين وفى تلك الأيام وصل الأمير حجاف

ونظر الى مناظراته مع البطـــال وكان هذا الراهب حاضر وهو يسمع الـكلام الذى جرى بينه وبين ابو محمد البطال فى بحث التوحيد فثبت فى قلبه دين الملك المجيد وصار متفكر فى كرامات حجاف وما تم على يديه ويقول هذا راهب مثلى ولـكن يمر بيـده على المريض فيشفى وكـذلك كل عايـل فيـبرأ وما يكـون هـذا الا عن اعتقاد صحيح ولم يزل كذلك الى ان وصل شومدرس وقال للملك ما قال عن حجاف وأنه مسلم فعلم الراهب أنه من بركات دين الإسلام فقال مابقى بعد هذا الـكلام كلام وأريد أن أنظر كيف الحـــال بين حجاف والبطال وما يجرى لهم مع شومدرس وأخرج معهم إلى بلادهم ولعلى أن أدبر على خلاصهم وأترك دين المحـال وقول الـكـفر والضلال ثم أنه بات وهو منتظر الصباح ويفكر كيف يعمل فى خلاص جند الرحمن وهو بين النائم واليقظان وإذا بهاتف من الجـــان وهو يخاطبه بالشعر والأوزان وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

ودع مقال النصارى فى المسيح فقد ضلوا وقد كـفروا بالواحد الصمد
ومل إلى ملة الإسلام تنج بهـا فى الحشر يوماً تعود الروح للجسد
لا تجحد المصطفى يوماً وصحبتـه فـكل من جحد الرحمن لم يسد

(قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك الـكلام قام من وقتـه ودخل بين يديه وأقر قدامه كما ذكرنا بكلمة التوحيد ودين الإسلام وقال له أيها الأمير قد وصـــل الليلة إلى الملك مرحبون راهب شيطان يقال له شومدرس القرنان وقد أخبر الملك بأنك مسلم وحدثه بحديثك والأمر قد اســتقر على قتلك وهلاك البطال ومن معه من الرجال (قال الراوى) فلما سمع حجاف هذا الخطاب اشتغل قلبه على كل حال وقال للراهب يا أخى هل تقدر لنا على عـــدة نقاتل بها قبل الصباح حتى نبذل فى طاعة ربنا النفوس والطاعة ثم قال سوف آتيك بكل ما تريد فى هذه الساعة ثم مضى الراهب ليحضر لهم العدة وبقى حجاف ضيق الصدر لاجل هذه الشدة وهو يقول عند الصباح أبذل المجهود وأجاهد أهل الـكفر والجحود ولـكن ما قضى الله بأن أجتمع بابنتى (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال وغلمانه وأولاده فى الـكنيسة وقد استراحت أبدانهم فناموا وهم مثل القتـلى وما كان فيهم من صلى أكـثر من الفرض ونام ثم انضجع على باب السرداب حتى لا ينـكر عليه أحـــد (قال الراوى) وكان زحاف قد خرج إلى ساحل البحر فى طلب مركب يكون فيها إلى جزيرة المعادن قالوا له ما نقلع إلا بعد ثلاثة

أيام فعاد زحاف الى أخيه وأخبره بذلك وكان قد أعلم أبو محمد البطال فقال ما بقي في الأمر الا أن نجهز أمرنا ونقيم على حالنا الى أن يسهل الله علينا بالاقلاع الى بلادنا وما كان فى حسابنا مجيء شومدرس ولما دخل الراهب على الأمير حجاف وأسلم على يديه ثم مضى عنه ليأتيه بالعدة كان زحاف فى ذلك الوقت قد نظره لما عاد الى أخيه فسأله عنه فأعاد عليه الحديث وكيف أسلم الراهب وأخبره بمجيء ذلك اللعين شومدرس فقال أنا أمضى الى البطال وأعلمه بالحال فأتى اليه زحاف وذكر له الحال فبقوا فى أمرهم حيارى وحملوا هم من حضور شومدرس وكان هما عظيما فقال مذبحون والله لو علمت أن شومدرس حاضر لكنت تسلقت اليه فى هذه الليله وكنت أرحتكم من شره وساروا وهم يتحدثون فى ذلك وقد أتوا الى الأمير حجاف واذا بالراهب شيخالون قد عاد ومعه ثلاث عدد فلما رأوه صافحوه وهنوه بدين الاسلام ثم أعلموه بما هم فيه من التدبير على شومدرس وسألوه عنه أين هو نائم فقال فى قصر الملك وحجرته وما للقضاء عليه طريق لا ينقب ولا يتسلق والباب الذى عليه وثيق (قال الراوى) فقال أبو محمد سر بنا اليه وأوقفنا على المكان وأنظر العجب ولكن أبصر كيف ندخل فقال من باب السر الذى فتحته أنا عند خروجى ثم أخذهم وسار حتى أدخلهم الى القصر الذى فيه شومدرس ثم أوقفهم تحت الدار فرأوا حيطانها عالية وثيقات الجدران فالتصق مذبحون الى بعض الأركان وتسلق وكان كأنه ثعبان وصار فوق السطح أسرع من البرق ونظر الى صحن الدار فرأى شومدرس القرنان نائماً وحوله جماعة من الرهبان وقنديل يشعل فى صدر الديوان فجرد فى يده خنجر أمضى من القضاء والقدر وصار يتخطى النيام حتى حصل تحت السرير الذى عليه شومدرس وهم بالصعود واذا بالرهبان قد تواثبوا اليه وكان شومدرس قد حسب الحساب ودبر هذا التدبير فلما وقع مذبحون سلم نفسه اليهم وهو يقول والله ما كأنه الا كان منتظرنى ورتب لى هذه الرهبان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعون شومدرس لما أن سمع كلام مرحبون ورآه متحير فى كلامه فى حديث البطال وقد طلب منه أن يسلم فى قتل حجاف فأبى عليه وأراد امهاله فعلم اللعين أن الملك فى خاطره الشك الذى خامره من اعتقاد حجاف وكراماته فقال شومدرس وحق المسيح أن المسلمين فى هذه الساعة كلهم مطلوقين ولو أنهم كانوا فى غير هذه الجزيرة لهربوا وما دام الملك لم يسمع منى ما أشرت به عليه فلا بد أن يصيبه منهم مصيبة وأريد الليلة أحتفظ بنفسى الى الصباح وأنظر كيف تنفصل هذه النوبة ثم خلى بالرهبان فى الدار التى أنزلهم الملك معه فيها قال شومدرس احفظوا رؤوسكم ولا فيكم

من لا ينام الا وسيفه مشهور الى جانبه فى هذه الليلة والا تم عليكم أنحس ما يكون ثم اعلمهم بما قد خطر بباله ثم قال انا اعلم ان المسلمين قد علموا بخبرى ولا بد لهم منى لا سيما ومعهم مذبحون الذى هو نحس القلاع والحصون (قال الراوى) يا سادة فلما سمع الرهبان كلام شومدرس طار المنام من اعينهم وانطرحوا حوله وبجانبهم العدة والسيوف الحداد ورقبوا مذبحون حتى نزل وبلغ منه الامل ولما قبضوا عليه قال له شومدرس يا شيطان ما جلدك وجلد اباك على الاهوال وحياتك انا ما جئت الى هذا المكان الا من اجلك واجل ابيك ولو قبل الملك منى ما كنتم اصبحتم الا مصلوبين ولكن اباك لعب بعقله بما قد وصف له من دين الاسلام ويريد غداً يحضرنى لمناظرة المسلمين وانا اعلم انها عليكم ايشم السنين ثم قال للرهبان اخفوا حسكم وانطرحوا فكانكم بالبطال وقد اتى يطالب ولده اذا ابطأ خبره عليه ولولا فزعى من هذا الملك لكنت اسير اليهم وآخذهم ولكن اخاف ان يكون قد حصل عندهم عدة فما كانوا يبقون على ولا كنا نلقى منهم خيرا فلما سمعوا الرهبان كلامه امتثلوه وعادوا الى ما كانوا عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان من) ابو محمد البطال فانه انتظر ولده مذبحون الى وقت السحر ان يصل اليه فلم يرى له خبر فقال اخذ ولدى وحق رب الكعبة وما كان طلوعه الى شومدرس صوابا لانه العن من عقبة وانحس بطبقات واكثر احتراز فقال الراهب شيخالون يا ابا محمد لا تخف فنقول ان ولدك اخذ بهذا اللعين شومدرس ما كنا نسمع له صوتاً ولا خبراً وحق دين الاسلام لو كان أخذه كان الساعة أقلب القصر فقال له أبو محمد يا أخى لا تحلف انه قبض على ولدى واخفى امره فى الدار وهو الساعة قاعد لى فى الانتظار انا الآخر وما بقى لى إلا انى ارجع الى عند حجاف واعلمه بالامر والخبر وندبر فى خلاصنا من هذا الامر المنكر ثم عادوا والعدة معهم الى عند الامير حجاف واذا به قائماً يصلى على قدميه وهو مستقبل القبلة وقد رفع طرفه الى السماء ويداه مبسوطتان بالدعاء ودموعه جارية على خديه وهو يقول اللهم انك قادر قد رددت على قدمى لاقوم بهما فى طاعتك وخدمتك فوفقنى اللهم اشكر نعمتك واجاهد عليهما اعداءك بهدايتك (قال الراوى) فلما سمع البطال والراهب شيخالون الى ذلك المقال حارت منهم الافكار وذهلت الابصار وزحاف جالس ورأسه على ركبتيه وهو جالس باهت مما جرى عليه وكان قال يا حجاف اخبرنى عن هذا الحال وهل انا فى اليقظة او فى المنام ومن رد عليك هذه الاقدام قال حجاف يا اخى ردها الله تعالى على ببركات سيد الكونين صلى الله عليه وسلم وهو الذى نجى موسى من

الغرق وحفظه على وجه الماء وأنزل عليه التوراة وأنجى يونس من بطن الحوت وإذا ثبت عندك أنه قادر فلا تكن لأمره وفعله ناكر وانى بعد مضيك يا ابا محمد ضاق صدرى وقل جلدى مما اريد ان الاقى فى غد من الأعداء وانى هالك فى بلاد اهل الشرك والكفر والجحود ولا بلغت من خلاص ابنتى السعيدة مقصود فرجعت بقصتى الى الملك المعبود وقلت الهى قضيت على بفقد ابنتى فما اعترضت عليك وافقدتنى قدمى فصبرت وسلمت امرى اليك وقد تركتنى وحيدا فريدا فى بلاد اعداءك فتوكلت عليك وقد عجزت عن خلاص ابنتى فتوسلت اليك ولا بقى لى من اعتمد عليه سواك يا جبار يا عظيم يا دائم يا قديم يا من كان ولا مكان ولا اين ولا اوان ولا انس ولا جان ولا طير ولا صوان ولا سماء ولا ارض ولا طول ولا عرض بل كان عرشك على الماء منفرداً عن الاشياء وما زلت يا ابا محمد على ذلك الخشوع والسجود والركوع والابتهال الى الملك المتعال حتى انه غلبنى النوم فنمت فرايت فى منامى محمد المصطفى صلوات الله عليه وسلامه وهو امامى فزاد ما كنت فيه حتى قلت من وجدى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم مسنى الضر فقال وبشر الصابرين فقلت له وقع الاياس بى من لقاء ابنتى فقال لا تيأس من رحمة الله فقلت له يارسول الله غدا تتحكم فى العدا فقال فرض عليك الجهاد فى الكفار فقلت له يا رسول الله انا عاجز عن القيام عادم الاقدام فقال انك الليلة خرق دعاءك الحجب وضجت الملائكة الى الله تعالى فى كشف بلاك فسبحان من خلقك وسواك وهو متحكم فى اعداك فهات يدك وقوم بقدرة الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وصاح فى فتنبهت واقفا على قدمى وكان حجاف يتحدث وابو محمد قد بهت لهذا الأمر وهو يرتعد من هيبة الله تعالى وأما الراهب شيخالون فانه أخذه الزمع وقوى يقينه فى دين الاسلام وزاد إيماناً بالملك العلام وغشى عليه مما أخذه من الزمع ساعة وأفاق ودنا من أقدام حجاف وصار يقبلهما ويبكى ويقول سبحان مولانا القادر على كل شىء (قال الراوى) هذا ما جرى والأمير أبو محمد البطال قد أعاد على حجاف ما جرى على ولده مذبحون فقال له طب نفساً وقر عيناً فوحق من رد على هذين العضوين إن قلبى الساعة طيب أن ألقى كل من فى هذه الجزيرة وسوف ترى يا أبا محمد فى غداة غد مقامى إذا ملكت فى يدى حسامى وسعيت على أقدامى فقال أبو محمد لا بحق التهامى اسمع كلامى وأقبل منى رأيى ومرامى وذلك أن الملك إذا أتى للكنيسة فى غداة غد عند الصباح ومعه البطارقة والأعوان ثم يحضروا للمناظرة فلا تظهر لهم أن رجليك قد رجعت إليك حتى أتناظر انا وشومدرس فى الأديان واقول

ما اعرف على الدين المليح والقول الصحيح إلا من يدعو ربه فيجب نداه ويقبل فى هذا المقطوع الرجلين دعاه ويرد عليه رجلاه فقد عرف من فى بلاد الروم والمسلمين انه مقطوع الرجلين بلا اقدام فمن تركه يمشى على قدميه كان الحق معه ومايل إليه وملنا كلنا إليه وتكون انت يا امير مقطى الرجلين كما لك بالعادة إلى ان ادعو انا وآتى إليك اقيمك على قدميك ويكون سيفك تحت ثيابك وانت قريب من الملك مرحبون واول ماتثور اضرب راسه واخمد انفاسه ثم نصيح نحن ونخرج وزحاف وغلمانى بالعدد ونطلب المعونة من الواحد الأحد الفرد الصمد فقال الراهب شيخالون يا قوم ما تحتاجون إلى هذا كله فأنا عند الملك أدنى الرهبان وهو ما اعلم ان الله هدانى الى دين الاسلام والايمان وانا ادخل على الملك اول من يقف على راسه انا واى من اردتم اشيروا اليه اضرب راسه اتركه شلوا لانى اريد ان اضرب غداة غد هؤلاء الكفار عسى ابيض وجهى غدا عند الملك الجبار فالويل كل الويل لمن يرى هذه الكرامات فى دين الاسلام ثم يطلب فى الدنيا مقام (قال الراوى) واقاموا ينتظرون الصباح والبطال قلبه على ولده وكان اللعين شومدرس لما اخذ مذبحون قد انتظر البطال حتى انفجر الفجر فلما ايس منه حمل مذبحون الى الملك وحدثه بحديثه وقال ايها الملك أنى كنت حسبت هذا الحساب ثم اعلمتك ان الكل مطلوقين ولا بد لهم منى فجعلت روحى نائم وبالى معهم انا ومن عندى من الرهبان واذا قد نزل الينا هذا الشيطان ابن الشيطان فقبضت عليه وانت لا تسير الى الكنيسة الا والبطارقة حولك وبين يديك فانك ما تدرى بما يقضى عليك فقال الملك طب نفسا وقر عينا فما للقوم حيلة ولا حياة الا ساعة واحدة فسواء عليهم ان كانوا مقيدين او مطلوقين وكلهم ستة رجال وذلك المقطوع الرجلين على انهم لو ارادوا ان يهربوا لما وجدوا اليه سبيلا لأن البحر هو دائر بنا من كل جانب ولا يقدر احدا يأتى الينا ولا يمضى من عندنا الا فى المراكب ثم ركب الملك والبطارقة بالسيوف البارقة ثم امر باحضار حجاف بعد ما وصل الى الكنيسة وشومدرس صحبته وجلس الملك مرحبون على سريره وولده الى جانبه الأيمن واقف على راسه وسائر الرهبان والقسوس.

(قال الراوى) فلما صاروا من داخل الكنيسة أمر بإحضار حجاف فأتى به أخاه زحاف حامله على اكتافه فقال الملعون شومدرس يا ملك هاتوا اللص المحتال فأحضروا أبو محمد البطال وغلمانه فقال الملك وقد رآهم مطلوقين اين قيودكم يا شياطين فقالوا فكها

صاحبنا هذا على أننا ما بقينا نحتاج إلى قيود وقد صرنا بين يديك فقل أنت لهذا الراهب شومدرس وكل هؤلاء الرهبان أن يناظرونا فإن غلبونا صلبنا (قال الراوى) هـذا والكنيسة قد امتلأت بالخواص والعوام وقل الكلام فعندها اقبل شومدرس على ابو محمد البطال وقال له يا شيطان فى اى شيء أناظرك وحق المسيح لو قبـل الملك منى البارحة ماكنتم أصبحتم الا مصلوبين ولكن باحتيالك وزخاريف أقوالك هلوست الملك فى الدين حتى دخل عليه الشك بعد اليقين وما كان هنا من يعرف كلامك ويبطل عليك ماتم لك من المسلمين فقال ياالعين حاشا دين الإسلام ان يكون باطلا وله كل يوم دليل ومعجزة وعلى انكم ما تقدرون تصلون الينا الا بحكم ربنا لأننا قد عرفنا الحق وطريق الآخرة وقد هان علينا امر هذه الدنيا الغادرة وقد سمعنا القرآن وأخذناه بقبول وعلمنا ان نبينا صادق ونيتنا صادقة فيما يقول نبينا فإن اردت أن يبان لك الصحيح وتعلم انكم تكذبون على السيد المسيح فاجعل حجاف بيننا واسطة لأنك انت عرفت وكل من فى بلاد الروم وكذا المسلمين انه أقطع الرجلين ولا له قدمين واستقبل أنت الساعة الشرق وأنا القبلة وأتوجه بقلبي إلى البيت الحرام وندعو الملك العلام فمن استجاب منه دعاه وقبل نداه ورد على حجاف قدماه كان الحق معه ونميل كلنا اليه ونتبعه فى دينه فلما سمع شومدرس هذا الكلام ضحك وقال وحق المسيح ما يقدر المسيح يرد رجلين لهذا الشيطان ولو سأله كل من فى الدنيا فقال البطال انا ادعو لمن يقدر على ذلك وهـو مالك الممالك (قال الراوى) هذا كله يجرى والملك مرحبون قد حار فى أمره وقع به الانبهار وقال للأمير أبو محمد البطال يا مسـلم ادعو انت إلهك كيف ما اردت والمطلوب منك ما أشرطناه عليك فإذا هى رجعت قدما هذا الرجل أسلمنا كانا على يديك وإن لم تقدر على ذلك اسقيناك شراب المهالك فقال البطال ايها الملك قد رضيت أنا بذلك ثم أن ابامحمد أدار وجهه إلى قبلة البيت الحرام وصلى ركعتين وبسط يديه بالدعاء ساعة زمنية وكل من فى الكنيسة ناظر اليه ثم دنا من حجاف وقال له قم بقدرة الله تعالى الذى ردعليك رجليك وخلصك مما كان قد تم عليك فقام حجاف مثل الاسد القسور وهلل فى قيامه وكبر وتشهد بعلو صوته واجهر ولسيفه اشهر وهز حسامه ووقع فى البطارقة الذين قدامه ونظر الملك الى ذلك (قال الراوى) فقال يا بطارقة دونكم وإياه ولا ينطلى عليكم محاله وسحره واشغاله فصاح مرحب والله يا أبى ما هذا سحر ولا محال بل نحن يا أبتاه على دين الضلال والله أول ما قام حجاف على قدميه وجعلت بالى اليه فرأيت كل شعرة فى ساقيه تنطق وتقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فلما سمع ابوه كلامه قال له

أنت صبوت الى هؤلاء القوم وعمل سحرهم فيك فقال والله ما هو الا دين الحق وما سواه باطل فعندها صاح الملك وقال دونكم وهؤلاء القوم قطعوهم بالسيوف واسقوهم شراب الحتوف فلما فرغ الملك مرحبون من كلامه واذا بولده قد صاح الله اكبروضرب ابيه بالسيف على عاتقه اطلع يلمع من علائقه فعند ذلك كبر الأمير حجاف وضرب فى البطارقة ضرباً يودى الى التلف وقاتل ايضا الراهب شيخالون على كبر سنه وزحاف وابو محمد البطال وولده وغلمانه فرأت البطارقة ضرباً احدمن الجمر وامر من الصبر وابن الملك يضرب فى عسكر ابيه طولا وعرضاً وهو ينادى بكلمة الإخلاص المنجية من هول يوم القصاص وهى أشهد ان لا اله الا الله محمداً رسول الله ﷺ فعندها صاحت البطارقة وأعيان عسكر أبيه أيها الملك كف عنا السيف نحن نتبعك إنشاءالله تعالى ونشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فانقلب البلد باهله فلما رأى شومدرس ذلك ايقن بالهلاك وسوء الارتباك فما كان له الا انه من اول ما رأى ابن الملك قتل ابيه علم ان النوبة ما تقع الا عليه فخرج مهرولا إلى المركب يعدو على رجليه وقال لأهل الملك يا بنى الزوانى اقلعوا بنا الى مدينة القسطنطينية وكان عندهم الماء والزاد والمركب معبا واقلعوا وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ماكان) من حجاف وزحاف اخيه وابو محمد البطال فإن البطال فتش على شومدرس الجزيرة كلها فلم يجده فاتى الى الميناء فاخبروه ان الراهب اتى من اول النهار وطلع الى المركب التى أتى فيها وذهب الى مدينة القسطنطينية (قال الراوى) فرجع ابو محمد وهو يلهث عليه وأتى الموضع الذى كان فيه واخرج ولده مذبحون وامرهم بقتل الرهبان الذين بقيوا والذين سلموا مضوا مع شومدرس وفرح ابو محمد بالسلامة لولده وغلمانه واجتمع بالملك مرحب ولد الملك مرحبون وما امسى المساء وفى الجزيرة نصرانى إلا والكل صاروا مؤمنين موحدين مقرين برسالة سيد المرسلين محمد خاتم النبيين والمرسلين ﷺ واكثرهم فرحا الملك مرحب بن مرحبون ثم بعد ذلك اقاموا عندهم عشرة ايام وعلموهم شرائع الاسلام وماتيسر من القرآن وبعد ذلك قال حجاف للأمير ابو محمد البطال أيها الأمير والله لقد طال شوقى إلى ابنتى السعيده وانى رأيتها فى النوم وهى تعاتبنى وتقول لى يا ابتاه ما كنت اعهد منك هذا الجفاء وقد وصفت لى هذا المكان والأديرة والقلالى فلما سمع الملك هذا الكلام قال ايها الأمير هذا عسكرى بين يديك فاختار من شئت وان شئت سافرت انا معك بنفسى وشاهدت ما يجرى لك

وجاهدت العدا بين يديك حتى تحصل لك المسرة ونخلص ابنتك وإن اردت الرجوع كان اصلح لك لأن يا أمير قدامك بحاراً وجبالا وتلالا واهوالا والوصول اليها صعب شديد فلما سمع حجاف هذا المقال من الملك مرحب قال ايها الملك هيهات أن اقعد بعد ما سمعت كلامها فى منامى وأنا متوكل على الله الذى لطف بى عندكم ورد على اقدامى أن يرد على ابنتى فقال الأمير ابو محمد البطال وأنا اسير معك وكذا قال الأمير مذبحون وسائر الغلمان ثم انتخب لهم مركبا كبيرة ونقل اليه جميع ما يحتاجون اليه وساروا إلى ثانى يوم وتوكلوا على من لا تأخذه سنة ولا نوم الذى لا يخيب من استرجاه ولا يذل من والاه (قال الراوى) فقال البطال والله انى كنت سائر وأنا متأسف على الملعون شومدرس (قال) وكان شومدرس قد سار إلى الملك ارمانوس ودخل عليه وهو طائر العقل فزعان مذهول مما نظر وأبصر فقال له الملك ويلك ما الذى دهاك وبشره رماك فقال شومدرس أيها الملك لا تسأل عن حالى فلو كتب ما جرالى بماء الذهب لكان قليلا ولولا كان لى الأجلى الحصين لكنت من الهالكين (قال الراوى) فقال له الملك ارمانوس عمن هذا الذى جرالك فقال أيها الملك اسمع العجب ثم ابتدأ يحدثه بتدبير عقبه على السعيدة وعلى البطال هو وولده وغلمانه وكيف حصلهم فى جزيرة روبيس وكيف انه دبر على الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وما تم لهم وكيف هرب عقبة وصار إلى موضع لا يطلع له خبر لأن الخليفة قد أباح دمه وان عقبة ارسل يقول لى ياشومدرس أنا قد أيست من الحياة والعودة اليكم فاذهب انت إلى روبيس واقتل البطال وولده وغلمانه وخلص النصرانية من شرهم فهذا الذى اقدر عليه واما بنى كلاب واميرهم عبد الوهاب فالمسيح يهلكهم فلما سمع ارمانوس كلام الراهب شومدرس قال ويلك فلم لا كنت اعلمتنى لما انك سرت طالبهم وسائر اليهم (قال الراوى) فقال شومدرس كان القاضى عقبة أوصانى فى كتابه انى لا اعلمك لأنك ما صرت هذه الأيام على ما يريد وقد اشتغلت بدنياك عن دينك ثم اعاد عليه حديث حجاف وقص عليه كيف كان وصل إلى الملك مرحبون فى صفة راهب ومعه اخوه زحاف وكيف رد الله عليه رجليه (قال الراوى) فلما سمع ارمانوس برد رجلين حجاف قال لشومدرس ورأيت انت رجلين حجاف عادت قال نعم ايها الملك وهذا كله او مثله قليل من سحره لأن السحر اصله من ارض بابل واهل الشام كلهم اصلهم من هناك وحجاف اصله يمانى والمسلمين يظهرون من هذا كثير حتى يردوا عباد المسيح عن دينهم ويزولوهم عن الحق وقد اسلم كل من فى الجزيرة

على يد حجاف ومرحب قتل مرحبون ابوه واسلم هو ايضاً وكل من يلوذ به فقال أرمانوس لشومدرس فما بقينا نقعد عنهم ولا يسعنا فى ديننا القعود وهذه الجزيرة لا يعلم المسلمون بها ونحن نسير اليها ونقتل كل من فيها ونأخذ البطال وولده وزحاف واخاه حجاف ونورى رجليه للعلماء منا ونقول لهم ان رجلاه كانتا مقطوعتان وانهما قد عادا إليه وهذا سحر منه فقال شومدرس هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فعندها أمر الملك أرمانوس بتجهيز مائة قطعة وعبأ فيها كلما يحتاج إليه من الرجال ومن الأبطال وعول على الإقلاع وحرص مارس وأخيه دارس على أنهما ما عرفا أين الملك سائر فلم يقدروا يسألون عن ذلك وكان الملك أرمانوس قدكتم حاله فزعا من جواسيس المسلمين لأنهم ما تخلو منهم مدينة القسطنطونية وبعد أيام أقلع أرمانوس وهو طالب جزيرة روبيس وهو يقول لقد عدمنا الشيخ النجيح لأنه ركن عظيم من أركان المسيح فاذا مات مايبقى على وجه الأرض رجل صالح وأنا أعلم أن ما فى الدنيا مثله فى المكر والحيل (قال الراوى) فقالوا الرهبان والراهب شومدرس للملك أرمانوس أيها الملك خلينا منه لأنك تخليت عنه بالكلية ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على جزيرة روبيس ونظر أهلها إلى تلك المراكب فعظم عليهم وكبر لديهم وعلم الملك مرحبون أنه الملك أرمانوس قد أتى إلى قتالهم فقال هذا ملك القسطنطونية قد أتى إلينا وهذه مراكبه قد أقبلت علينا فقالوا أصحابه دع يكون من كان نحن كنا هنا على الضلال وما منعناإذ رجعنا إليه فما يضيعنا ومكاننا حصيناً وموضعنا أميناً ولا نبالى به ولا غيره وعندنا من القوت ما يكفينا عشر سنين ثم أعدوا آلة الحصار وطلبوا النصرة من العزيز الجبار خالق الليل والنهار (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حجاف وأبو محمد البطال ومن معهما من الرجال فانهما أقاما فى البحر أربعين يوما وأشرفوا على جزيرة المعادن فلما وصلوا إليها أرسوا بالقرب منها ونزلوا إليها فى زى رهبان السياحة بالبرانس على رؤوسهم والمسوح على جلودهم والبطال فى أوائلهم وعلى وجهه لحية سوداء طولها ذراع وهى شديدة السواد وحاجبيه وشواربه بيضاء نقية البياض فلما توسطوا الجزيرة رفع أبو محمد صوته بقراءة الإنجيل بطيب نغمته ولذاذة حنجرته وحجاف يرى فعاله وقد تحير من أعماله وقال مثلك والله من يدخل بلاد الروم هذا وأهل الجزيرة قد داروا بهم من كل جانب وحملوا إليهم الصلبان الذهب والفضة والجواهر وأبو محمد البطال يأخذ كل ما يأتيه حتى وصلوا إلى الكنيسة التى للجزيرة وصلوا فيها فقال أهل

الجزيرة وقد داروا بهم وقالوا ياأبونا اقعد عندنا فى الكنيسة حتى نسلم إليك هذه الكنيسة ونوليكم أحكامها فقال البطال ما يمكننا ذلك لأننا قد عرفنا بركات السياحة ولو أننا أقمنا فى مكان واحد لغضب علينا السيد المسيح لأن السياحة قد صارت علينا فرض ولا بد لنا من زيارة الطرف الأقصى وبعد ذلك نعود إليكم فقالوا لا شك أنكم قد عولتم على زيارة رهبان القلالى والصوامع فقال أبو محمد وحق المسيح أنكم صادقين ثم أنه أقام عند القوم حتى أنه أنشأ له مركب آخر وأحكمها على ما يريد ثم سار بأصحابه (قال الراوى) فأقاموا مقلعين مدة شهرين كاملين حتى وصلوا إلى البحر الأسود فهبت عليهم رياح باردة وماج البحر بجانبه وزعزعت الأمواج مراكبه واعتكر حتى طلع زبده ونطق الماء بلسان الإشارة يسبح الله تعالى ويقدسه ويوحده وزعق فيه الملك الموكل به وهاجت زلازله وعب عبابه وسبحت فيه دوابه وتمطى واصطفق وصاح بالفلق ثم أيقن أبو محمد البطال بالغرق وقال البطال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق اللهم انظر إلينا ونحن فى هذا الظلام الذى غشينا (قال الراوى) ثم أن حجاف قال يا من كان عرشه على الماء وخلق النور والظلماء وخلق درة بيضاء شعشانية كثيرة الضياء ثم لحظها بعين الجبروتية ونظر إليها بعين القدرة الكونية انتفضت وعرقت وذابت لهيبته فرقا ثم أنها رشحت بماء مندفق ففاض على الآفاق منطبقاً وأمر الرياح أن تكشف فعقد له زبداً أسود فدحاه أرضاً ومسح طولها والعرض ونصب منه الجبال الشواهق فى الأرض آية للخلائق فظهر منها الدخان ثم على إلى العنان فعقد منه السماء كالأيوان وبث فيها الانس والجان والنبات والحيوان اللهم إنى أسألك بقدرتك التى لا يقدر عليها إنسان ولا أحداً سواك أن تنجينا من بلاك وأحسن فينا قضاك فما تم كلامه حتى انجلى عنهم الظلام بقدرة الملك العلام (قال الراوى) وساروا ذلك اليوم كله وتلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح ولاحت لهم السواحل فهللوا وكبروا وبعد ساعة وصلوا إلى البر كأنهم قد وصلوا إلى الآخرة وساروا إلى قرية كبيرة وأقاموا فيها ثلاثة أيام حتى احتووا على أهلها وقالوا لهم إلى أين عولتم فقالوا لهم نريد أن ندور إلى القلايات التى فى الطرف الأقصى ونتبرك بمن فيهن من الرهبان المنقطعين عن العمران فقالوا ياقوم لا تفعلوا لأن الطريق معطش عظيم تبقون فيه ثلاثة أيام إلى أن توصلوا الجبل وفى لحفه وأطراف الجبل صوامع رهبان لا يكلمون ولا يخاطبون إنسان ولا يطلع على أمرهم إنس ولا جان فما الذى تريدون من ذلك المكان فقالوا لا بد لنا من كل حال ثم أقبل أبو محمد البطال على

غلمانه وقال لهم يا أولادى أقيمــوا أنتم ههنا مع ولدى مذبحون حتى أننى أمضى أنا وحجاف وزحاف ثم ننظر ما يكون منا حتى أن هلكت طائفة تسلم الأخرى وإذا سلمتم أنتم أجهدوا فى خلاصنا أو ردوا لأحبابنا سلامنا وأخبارنا لعل الأمير وأمه وأصحابنا يأخذوا ثأرنا فقالوا والله ما نسير إلا كلنا وما نريد الحياة بعدكم لاسيما ومعنا الأمير حجاف ولنا أسوة بكم فقال البطال افعلوا ما تريدون ودبروا ما تحتاجون ثم أخذوا الأهبة وساروا وأخذوا معهم البغال وعليها قرب الماء والزاد ولم يزالوا سائرين ستة أيام حتى وصلوا إلى أول الصوامع والقلايات وأشرفوا عليها وقت السحر فلاح لهم الضوء من الصوامع فساروا إلى الصومعة الأولى فى ظلمات الدجا والغيهب كأنه ضياء كوكب وهو يتوقد ويتلهب فلمـــا نظر حجاف إلى ذلك زادت حسرته وفاضت بالدموع عبرته وعاد إلى طبع عربيتــه وقرب من الصومعة فسمع فى أعلاها راهب يتلو فى الانجيل بصوت حنين فتقدم حجاف وأنشد وجعل يقول :

أيا راهبا فى الدير قد زاد بلبالى ... بمصباح ضوء لاح فى ديرك العالى
أيا راهبا فى الدير زدت تفلق ... وفاضت دموع العين منى باهمالى
أيا راهبا فى الدير كم بت ليلة ... وفى كبدى نار تهيج باشعالى
أيا راهبا للدير أسألك بالذى ... تنحنح فى الأحشاء وأنطق فى الحالى
بحرمة حنا والمسيح بن مريم ... ومن ساح سوحا بين كهف واجبالى
برهبان دير الانقطاع وقسهم ... إذا بات طول الليل لانجيله تالى
بحق الحواريين هل أنت عالم ... بما سوروه فى قيد ذل وأغلال
تنادى أباها وهى فى دير غربة ... أيا أبتى ما كنت أعهدك لى سالى
أيا أبتى ما كنت أعهدك جافيا ... فما الذى أشغلك عن كشف أحوالى
وها قد أتينا نحو ديرك عاجلا ... تخبرنا عنها وتنطق بالقـــال

(قال الراوى) فلما أن سمع من حجاف الراهب ذلك الشعر والنظام بوجد وإشغاف وحرقة والتهاف بطل ما كان فيه من تلاوة الانجيل واطلع عليهم فرأى شيخا هرما بلحية طويلة بيضاء وعلى جسده مسح أسود وهو نحل من العبادة ومن حوله جماعته المذكورين فلما رآهم فاضت دموعه وكثر توجعه وتفجيعه وتأوه تأوه الحيران وأن من فؤاد ملآن وأنشد يقول :

ايا سائلا اجرى دموعى باهمالى ... رويدك ان الحب هيج بلبالى

دع الجهل لا تنظر الى بريبة   لأنك يوم العرض تسئل عن حالى
انا مؤمن بالله عبد موحد   وهذا اعتقادى يوم تحضر اعمالى
اقر بأن الله ارسل احمدا   نبيا ابان الحق من بعد اضلال
واسرى به نحو السما فتباشرت   بطلعته الأملاك من الأفق العالى
وخاطبه الجبار من فوق عرشه   وعاد وسجف الليل مرخى باذيال
فهذا شفيعى فى المعاد وعمدتى   إذا قمت من تحت التراب باذلالى
واخبرت انى قد اموت وانكم   تواروا عظامى فى التراب وانحالى

(قال الراوى) وكان هذا الراهب عالماً فصيحاً قد قرأ الكتب القديمة وطالع كل سيرة عجيبة وملحمة وباشر الأسرار المكتتمة وعلم حقيقة الأديان ووحد الملك الديان (يا سادة ياكرام) ولما رأى هؤلاء الرجال على وجوههم الأنوار صاعدة إلى المنان على أنهم من أهل الإيمان ولما رأى حجاف وسمعه يسأل عن السعيدة ويشكى ما بقلبه من الأحزان وهو يبكى فبكا الراهب لبكائه وقال يا قوم أنتم محمديون فقال أبو محمد نعم يا راهب ولكن كيف علمت أننا موحدون مسلمون وكيف اهتديت أنت إلى التوحيد وأنت فى هذا المكان البعيد بين القسوس والرهبان ومن عرفك برسالة سيد المرسلين فقال أنا أشرح لكم الحال وأبين لكم المقال (قال الراوى) ثم انحدر إليهم ونزل فى الحال وجعل يتمرغ على مواطىء أقدامهم ويقول ما جابكم أنتم إلى هذا المكان إلا حال من الأحوال وهو أن أجلى قد حضر وبهذا أخبرنى سيد البشر لأنى رأيته فى المنام وهو الذى دعانى إلى دين الإسلام فقال لى يا شيخ أن الله تعالى قد أراد نجاتك من النار وبعثنى إليك أنقذك من الهلاك والساعة فما بقى عليك شىء وأنا شفيعك يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فقلت يا رسول الله ما بقى لى عنك صبرا فقال أبشر فأنت عندى بعد عشرة ايام فقلت ومن يتولى امرى وينزلنى إلى قبرى فقال سوف يصل اليك اقوام من امتى الواحد منهم يقال له حجاف وليا من اولياء الله تعالى والآخر يسمى ابو محمد البطال وابنه مذحون وغلمانه وعرفنى بحالكم وشأنكم جميعه وهو يسلم عليكم وقال لى ما يمضون من عندك حتى يجهزوك للآخرة واما ابنة الأمير حجاف فهى امامك فاذا انتم دفنتمونى ثم فرغتم من امرى ونهى اشغالكم فامضوا الى حالكم فالله يسهل عليكم وانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الراهب استقبل القبلة ومد يده الى السماء ومات رحمه الله فبكت الأمراء والغلمان بكاء شديدا

واخذوا فى جهازه وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه فى صومعته ومضوا عنه وساروا بقية يومهم حتى اشرفوا على قلاية ثانية فتقدم الأمير حجاف الى تحتها واشار الى الراهب وقال :

يا راهب الدير والقلات ... منفردا يعلم بالطاعات
اسألك بالانجيل والآيات ... وبالطيب الكامل الصفات
وبالمسيح سيد السادات ... العابد السابح فى الفلوات
هل عبرت عليك قبل فات ... منذ سنين طفلة فتاة
سعيدة تقر بالآيات ... وتعبد الرحمن فى الخلوات
اخبر فقد دنت وفات ... والحر مسئول عن البنات

(قال الراوى) فلما فرغ حجاف من شعره اشرف عليه الراهب فى الحال وانشد :

اما واللات والعزى جميعا ... يمينا قد حلفت بها سنينا
فانى لا افارق دين قومى ... ولا اعدا لعداه بمسلمينا
وكل قد اتى بغيا وجورا ... وكل قد اتى جهلا مبينا

(قال الراوى) وساروا الجماعة الى ان قربوا من صومعة راهب فسمعوا حس الناقوس وهو يضرب عند الراهب فتقدم حجاف اليه وانشد يقول :

يا راهبا قد طول الملهاثا ... وحث نفسا تقبل الحثاثا
لا تطلب الدنيا ولا الميراثا ... ولا يرى اللهو ولا الخبائثا
بحق ناقوسك والطيباتا ... هل قد رايت طفلة فثاثا

(قال الراوى) فلما سمع الراهب كلام الأمير حجاف بطل ضرب الناقوس وتطلع عليهم بوجه عبوس وهو متغير اللون مضطرب الكون واجاب حجاف على شعره :

ويلك يا من اغفله المقياسا ... سألت عن جفنها النعاسا

(قال الراوى) ثم انحدر اليهم وهو مسرعا فى الانحدار كانه العقاب وبيده سيف قرضاب فلما صار عندهم رمق اليهم ببصره وتميزهم جيد وقال لهم يا ويلكم كانكم أنتم من القوم الذين يقولون ان الله واحد احد فرد صمد ثم بدر اللعين الى نحوهم كانه شيطان وهم ان يضرب الأمير مذبحون واذا بالأمير حجاف وقد ضربه طير قحفه ثم تركوه على حاله وساروا بقية يومهم وليلتهم فاصبحوا فى ارض سبخة واسعة بيضاء معتدلة الجنبات وكثيرة الخيرات من الزهر والنبات وفيها مياه مندفقة مطردة

وأطيار مغرده ورائحتها عطره وأشجارها تميل الاغصان شبه السكران على طيب الالحان وتسبح الواحد المنان العزيز الرحمن ووحوشها تلعب على الغدران وهى مفروشة بالازهار ملتحفة بملاحف الأصفرار ومطرزة الحواشى بالبهار منعقد الجلنار ذلك هو تدبير الرحيم الرحمن الواحد القهار العزيز الغفار وفى وسطها دير عالى البنا واسع الفنا والجدران فى جانبه صومعه من الرخام الاحمر قد سقتها الأمطار الليـــل والنهار حتى بقيت تأخذ بالابصار وتدهش النظار وكان هذا الدير لراهب وكان له صومعه فى هذا المكـــان وقد اطلع على حقائق الأديان وأحوال الرهبان وكان مولعاً بحب النسوان مكذبا بسائر الأديان وقد زار سائر الديوره حتى وصل إلى هذا المكان وقطع فيه الطريق على بنات عبدة الصلبان ولما أشتد به الأمر على النسوان أظهر التوبة ولبس لباس الرهبان وعمل هذا المكان وأنشأ هذا الدير المليح البنيان وجعل له موسما وزيارة فى كل شهر تجتمع اليه الرجال فيظهر لهم العبادة والجمال ويقرأ لهم الأنجيل ويقيمون عنده ثلاثة أيام (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما وصل الأمير حجاف إلى الدير والأمير أبو محمد البطال كان الراهب عنده الزوار وقد اجتمعن إلى الدير من كل مكان البنات منهن والنسوان (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد البطال لما نظر إلى هذا العالم العظيم سأل من بعض النسوان عن اجتماعهن فى ذلك المكان فقالت له هذا الدير له عيد للرجال وعيد للنساء ولاشك انكم من بلاد المراقله (قال) فلما سمع أبو محمد ذلك قال أى وحق المسيح وأنتم ايش تقولون وماتخبرنا عن هذا الدير وهذا الموسم واسم الراهب فقالت الأولى اسمه باحه وكل معجزاته فى بيت الراحه (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد البطال كلامها قال لحجاف أيها الأميران كان خبر ابنتك السعيده يظهر فقد جاء وقته ثم هجموا وصاروا فى الدير فقال الراهب إلى أين وما هو عيد للذكور وهذا عيد عامود النور فعندها رفع أبو محمد صوته وقرأ فصلا من الانجيل وجاوبته غلمانه بألحان نديه وأصوات شجيه فطربن تلك النسوان وافتتن من حسن غلمان البطال (قال) هذا والراهب قد عظم عليه وكبر لديه الا انه لم يظهر لهن ذلك فقال للبطال من أين أنتم فقال نحن قوم غرباء ومالنا إلا طلب السياحه فبكى الراهب وقال هنيئاً لكم ولمن يكون معكم وأما أنا فان المسيح قد هيمنى وبالحب قد تيمنى ثم سار إلى موضع فى جانب الدير وتركهم فيه هذا وحجاف قد أراد أن يسأل الراهب عن السعيده فغمزه البطال وقال له لاتتكلم فانى أرى هذا الراهب شيطان لئيم جبار عنيد وأخاف أن يكون بكاؤه خديعة ومكر فانه قد فزع منا أن ننكر عليه ولكن أنا أخرج إلى بعض النسوان

وأسألها عن السعيده وبينما هم فى الكلام وإذا بالراهب دخل عليهم ومعه قصعة فيها عدس وخبز حار وكانوا قد قاسوا شدة عظيمة من الجوع والبرد فى الطريق فأكلوا القوم أكلا جيداً حتى ما بقى لهم إلى القيام سبيل فما هم إلا أن أكلوا من ذلك الطعام حتى وقع عليهم المنام ولم يعلموا هم فى الارض أم فى السماء هنالك أغلق عليهم الباب وخرج اللعين وهو يقول هيهات هيهات ان يخلق المسيح واحدا مثلى وكان ذلك اليوم ثالث عيد النساء فأقمن عنده إلى الصباح وطول النهار وانصرفن عند غروب الشمس وودعن الراهب وعاد إلى الدير ومضى إلى البيت الذى فيه الامراء (قال الراوى) فشدهم كتاف وثقل أرجلهم وهم لا يعلمون لانهم مبنجين لان هذا الملعون كان يصنع البنج وكان قد طرح منه فى العدس وأكثر منه فلم يفيقوا إلا بعد ستة أيام فلما أفاق أبو محمد البطال ووجد نفسه فى أنحس الأحوال فقال هذا مالم يكن فى الحساب ثم انه التفت إلى أصحابه وقال هذا من فعال العدس الميشوم ووالله لقد علمت أنا ان بكاء هذا الملعون لعنة منه وخبث والمنافق لا يخفى على المؤمن الصادق ولكن غلب على الجوع وقلت هذا الديار وهى برارى وقفار والآن فقد نفذ فينا القضاء والقدر الذى لا للعبد منه مفر (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذا بالراهب قد دخل عليهم وقنع البطال بالصوت وقال له من يكن لص المسلمين وغيار العرب والعجم وآفة الروم وسائر الأمم يقع هكذا رخيص ثم انه ميزاليهم طويلا وأوما اللعين إلى وجه الأمير حجاف بيده ثم قال ان صدقنى حزرى ولم تخطى فراستى فهذا هو أبو الجارية التى هى عندنا محصوره فى قيودنا مأسوره وقد بقى ثلاث ليالى ونجتمع كلنا ونسير إلى العيد الأكبر لانه بقى له قليلا ولا يبقى راهب منا ولا قس إلا وقد حضر وقد استقر الحال على ان ملك هذه الأقطار وصاحب هذه الديار ان يحضرها ذلك اليوم ويعرض عليها الدين القديم والمذهب المستقيم فان لم تتنصر والا يطرحها فى قدر النحاس ويوقد تحتها حتى يذوب لحمها عن عظمها ويأكلها الزيت والقطران وهى التى قالت امهلونى إلى ذلك اليوم فان كان لى فرج والا يفعل الله مايشاء فقال البطال يا راهب هذا حديث لا نعرف معناه فدع عنك هذا المقال والا غضب عليك المسيح فهذا الفعل مالنا به طاقه وإلا غضب عليك المسيح لاننا قوم مالنا الا النيه باننا سائحين فى الدنيا نزور الديوره والصوامع بقصد السياحه ولا لنا فى هذه الدنيا راحه وحالنا التعديد والنياحه فقال له صدقت يا بطال يارأس المكر والمحال فأنتم ماتنالون ماأنتم له طالبون الا بالسياحه كما انى مايتم لى ما أريد إلا بتبيت الراحه ويلك ياشيطان يامحتال لمثلى تقول هذا المقال وتنكر فمالك وهذه

صورتك عندى فى كل أشغالك واخرج من جيبه درجا طويلا وفرده واذا لابى محمد وغلمانه خمسمائة صوره كل صورة منهم على صفة ولون غير صفة الاخرى ولونها ثم أقبل على البطال وقال له يالص المسلمين أنا كنت أول زمانى لصا ودرت الدنيا كلها ودخلت القسطنطونيه وغيرها وكانت أخبارك تصل الى ودخلت كنيسة سوفيا ونقلت مالك فيها من الصور ولم يكفينى ذلك حتى دخلت وراءك إلى بلاد الإسلام ورصدتك سنين وأعوام حتى نسخت بيدى هذه الصوره كلها لامحبة فيك ولارغبة الالعلى أريح منك ملة النصرانيه وأوقعك فى البليه وأفجع فيك الأمة المحمديه وهاهى عندى الى الآن وقت مااحتجت اليها وجدتها ومن أول ماوصلتهم الى هنا وشفتك ياشيطان تسأل النسوان عن هدا الدير وعرفتكم وحق المسيح وكنت قد رأيت ابنة هذا الرجل الطويل وأشار الى حجاف وهى كأنها اياه فعلمت انكم ماأتيتم الى هنا الا بسببها وكنت أقول ان يومها يكون يوماً عظيما وهو يكون بكم أتم وأعظم والساعه لابد لى أن أرسل الساعه الى ملك هذه الديار وأعلمه بكم حتى يأخذ كم ليأخذ منكم بثار أولاده الذى غيرتهم ابنتكم السعيده عن دينهم بكلامها ومقالها وكثرة هذيانها حتى غضب عليهم الملك وطبخهم وأكلهم (قال الراوى) وكان السبب فى هذا الكلام والأصل فيه ان السعيده لما وصلت الى هذه الديار وحضرت الى الملك المقدم ذكره فلما حضرت بين يديه أعرض عليها التنصر فقالت له هذا مالا يكون أبدا وكيف أكفر بمن خلق العباد ومهد البلاد والاطواد وهو الملك الجواد المنزه عن الأزواج والأولاد والأشباه والاضداد والاقران والانداد ومبيد الفراعنة والمارده والاطواد وهذه الدنيا وان زهت مصيرها الى الفناء والزوال لانها دار نعيمها تزول وحالها يحول ولالها ثبات ولامنها محصول فلما سمع هذا الملك كلامها قيدها وأمر بعقوبتها فى الليل والنهار وهى على دين الاسلام لاتحول ولاتزول ولما زاد عليها البلاء بكت وأنت وقالت :

ألا يادار قد زاد اشتياقى	وأقرح مقلتى طول الفراق
ودام تغربى وفقدت أهلى	وقل مساعدى وبدا احتراقى
وأسلمنى الزمان الى أناس	يرون الضرب لى كرم الخلاق
فواشوقى الى شيخ كبير	أقام مجاوراً أرض العراق
وابنته بأرض الروم حيرى	بقيد لايفك من الوثاق
ترى هذا الزمان يعود يوماً	لنا بعد التفرق بالتلاقى

(قال الراوى) وكان للملك ثلاثة أولاد ذكور وبنية وكلهم قد خالطوا الرهبان وقرؤا الكتب من العلماء والحكماء وعرفوا جميع الأديان ولما شاهدوا أحوال السعيده وصبرها على البلاء والعذاب وماتناجى ربها به من التوحيد والابتهال ووقعت فى قلوبهم رحمتها ورقوا لما بها فصاروا يحملون اليها الطعام والشراب فتقول أنا صائمة شكرا لهذا العطاء والنعمه وتصبر إلى المغرب وتأكل منه اليسير وتعبد الملك القدير وتحتمل العذاب الكثير وتكثر التسبيح والتمجيد للملك القدير وتقبل على هذا القضا بالصبر والرضا الى ان زادت بأولاد الملك الشفقه عليها وتحرك فى قلوبهم الايمان والتوحيد فصاروا يصدون عنها ولا يدعون أحداً من الغلمان يضربها إلى ان طال عليها الامد فأقبلوا عليها فى بعض الأيام وقالوا والله ياهذه لقد انقطعت محبة النصرانيه من قلوبنا حتى اننا ما بقى لنا فيها اراده ولا نيه وقد اشتهينا أن ندخل فى دين الاسلام فهل يقبلنا ربنا فقالت السعيده نعم يتقبلكم ربكم ويغفر لكم ذنوبكم فقالوا لها ايش هو الدليل على صدق قولك قالت السعيده لقوله تعالى فى كتابه العزيز قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فقالوا فكيف نقول حتى نصير من أهل دينك فقالت تقولون أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها أسلموا أولاد الملك وصارت السعيده وهى تلقنهم سور القرآن وكذلك فرائض الصلاة والايمان وهم يكتمون ذلك إلى ان كان يوم من الأيام وكان يوم الأحد وقد صلت إلى الكنيسه بنت الملك وعادت تضرب السعيده بعد صلاتها لانها كانت تظن ضرب السعيده قربه وثواب عظيم وعباده فلما دخلت على السعيده ذلك اليوم وجدت اخوتها عندها وهم يقرؤن القرآن ويوحدون الرحمن فقالت بنت الملك وحق المسيح أفسدت هذه الجاريه اخواتى بحديثها وهذيانها وأشغلتهم عن الصلاة فى هذا يوم الأحد ثم انها مضت من وقتها الى ابيها واخبرته بالخبر واوقفه على جلية الأثر (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام ابنته انقلبت عيناه فى وسط راسه وطار منها الشرار وصارت كانها الجمر الاحمر وقال وحق المسيح ان هذا حديث عجيب ماجرى مثله فى عباد الصليب نكون نحن نضرب هذه المسلمة على ان تخلى دينها تخرج اولادى من دينهم بغير ضرب ولا عذاب ثم زعق على البطارقه والغلمان على باولادى فما كانت الا ساعة حتى حضروا الثلاثة فلما رآهم قال لهم ياويلكم صرتم الى دين المسلمين الأبرار وصبيتم الى قول هذه الجاوية وتركتمونى فضيحة فى سائر

الأقطار وأحدوثة بين السفار فلما سمعوا كلامه هانت عليهم الوفاة وقالوا له افعل ماشئت فما نرجع عن التوحيد فافعل ما بدالك نحن ما نحيد عن توحيد الملك المجيد الفعال لما يريد فعد لهم ساعة من الزمان فلم يفيد فيهم ملام ولا عدول ولا تفنيد فغضب الملك غضبا شديدا على اولاده

وبعد ذلك أمر بهم فذبحوا بين يديه وامر بهم
ان يجعلوا فى قدور النحاس وامر بهم
يطبخوا كما تطبخ الغنم فصقلوهم
واوقدوا تحتهم حتى نضجوا
واستووا وقدموهم
بين يديه

(تم الجزء السابع والخمسون ويليه الجزء الثامن والخمسون)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر

والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج

وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقاني وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن

عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد

الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والخمسون

يطلب من

مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصيه ... بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده ياكرام وجعل الملك يأكل أولاده واحداً بعد واحد وهو يقول هذا فى طاعة دين المسيح والمذهب المليح ومن شدة ما حصل عنده من القهر أمر بالسعيدة أن يفعل بها كذلك فقال له بعض الرهبان المقربين اليه وكان عزيزاً عنده يسمع قوله ويركن اليه أيها الملك اصبر فإنه قد بقى لعيدنا أيام قلائل ونجمع عندنا سائر الرهبان والقسوس من سائر الأطراف والصوامع وملوك الأقطار والبطارقة وما معهم من عباد الصلبان وبنات العمالقة وإذا اقبلوا الجميع فإن أجابت وإلا جعلناها فى قدر النحاس وأوقدنا عليها النيران وسلقناها فنأكلها بالزيت والقطران وتركنا لحمها قربان فى الديورة للرهبان ولكل قس ومطران (قال) فامتثل الملك لهذا المقال وأمر الغلمان يفعلوا للراهب ما قال فأجابوا إلى ذلك وعذبوا السعيده عذاب شديد حتى صاحت بهم بها اتركونى ليوم العيد وذلك من شدة ماجرى عليها طلبت الإمهال وكانت تطلب بذلك لعل أن يأتيها فرج (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال والامير حجاف وبقية الرجال والأبطال فإنهم بقيوا فى قبضة هذا الراهب خمسة أيام وكان فى النهار يعذبهم فى الليل ثم يصعد الى صومعته ويغلق عليه الباب وينام فلما كان فى اليوم السادس قال الأمير حجاف للأمير ابو محمد البطال أما تنظر ما قاسينا وفى الآخر ما قضى لى أن أجتمع بابنتى ولا أنظرها وما كنت أريد إلا أن يكون راهب الضلال يحملنا الى عند الملك حتى أنظر الى ابنتى السعيدة نظرة واحدة ودع الملك يقتلنا كما قيل

وما غالت نظرة منكم بسفك دمى يا أحسن الناس من عرب ومن عجم

(يا ساده) فقال البطال ان شاء الله تعالى يكون الفرج قريب فقال الأمير حجاف أما أنا والله لو كان لى من يقرض كتافى ويطلق يدى قدرت أن أهلك هـذا الملعون وكنت أخلص من هذه المصائب (قال الراوى) فقال لؤلؤ ان كان الا هذا الأمر وهذا كلامك فدر لى كتفك فقال له لو كان كتافك من حديد قرضتها لأن أنيابى مثل المبارد فضحك الأمير حجاف وأدار ظهره الى لؤلؤ فقرض كتافه حتى أضعفه وتمطى حجاف فى الباقى قطعه وقال لهم أبشروا الآن بالفرج فإن الامر قد تيسر دوروا حتى أحل لكم كتافكم ويكسر كل واحد منكم قرمته ثم تصعدون الى هـذا الراهب فى صومعته وتسقوه كاس منيته فقال ابو محمد البطال ما هذا صواب لأن هـذه القرامى ما تنكسر إلا بعمود حديد أو قدوم إلا أن الملعون أتقنها بمسامير وما فيها حيلة ولا يقدر واحد يقوم على حيله او على قدميه من ثقلها ولكن اصبروا على ما أنتم عليه إلا أن يصبح الصباح وينزل الينا كما جرت به العادة وتكون أنت قد درت يديك الى خلفك الى ان يقرب منك فاقبض عليه واعصر على حلقه وأضلاعه وكتف يديه ثم قل له وحق المصطفى لئن لم تدلنا على شيء نفعله ونفك به الخشب عنا وإلا نخنق حلقك إلى أن تموت فإذا رأى الموت دلنا على ذلك فقال حجاف السمع والطاعة ثم أقاموا كذلك الى وقت الصباح وإذا بالراهب قد فتح عليهم الباب ودخل فأول ما أتى الى الأمير حجاف ورفسه بين اكتافه وقال له يا شيطان تريد أن تخلص ابنتك من العدم أبشر بما يحل بك وما ينزل عليك من النقم ثم تقدم الى عند حجاف ليبرك عليه (قال الراوى) فقام الأمير حجاف على قدميه وجذب الراهب اليه وقد تركه تحته وقال له يا ملعون عذابك لنا إلى متى يكون فأنا الساعة أقابلك بما لا يكون فى حساب ثم ترك يديديه فى حلقه وأراد أن يخنقه فصاح الراهب يا مسلم لا تعجل وأنا وحق المسيح بن مريم أخلصكم من القوم ولا أرجع أوصل اليكم قبيح ودع يغضب على المسيح فقال حجاف يا ملعون كيف أخليك وأنا ما صدقت انك وقعت فى يدى فقال يا مسلم أنا احلف بالمسيح بأنى ما بقيت أغدر بك فقال حجاف ياملعون ما بقى لك من يدى خلاص الا ان أخنقك أو أقتلك ودع ما يجرى يجرى فصاح الراهب وهو فى غمرات الموت يا مسلم إن كان ما تصدقنى فى إيمانى فهذا القدوم وراءك خذه وخلص نفسك ورفقاءك وبيعونى نفسى بالمال ولا تقتلون مثلى فإن نبيكم نهى عن قتل الرهبان (قال الراوى) فلما سمع الأمير حجاف كلام الراهب قام عن صدره وإذا بالراهب قد وثب وعول ان يعيده الى

الكتاف ولم يدرك أن الأمير حجاف يعد فى الحرب بآلاف وأنه لما وثب اليه طالبه يلقيه إلى الأرض فنهض عليه وما قدر عليه وعاد إلى الراهب وهو يطلب الهرب فلحقه حجاف أسرع من البرق وعلم ان قوله كله محال وانه كذاب ومسك رجليه وسحبه فدق برأسه الأرض فصاح أبو محمد كتفه لعنه الله تعالى ففعل حجاف ذلك وكتف يديه ومسك على حلقه بيديه وركب على اكتافه وقال له قوم الساعة يا ماعون يا ميشوم اورينى موضع القدوم قبل ان اصبحك صباح ميشوم فقال الراهب و حجاف على اكتافه مثل الجبل حتى دخل الى بيت المذبح واوراه القدوم فأخذ حجاف القدوم ولم يعمل شيء حتى انه كتف الراهب وشد يديه على رجليه ثم القاه مثل الأكرة وتقدم ابو محمد وكسر قرمته وكذلك فعل بولده وغلمانه ثم خلص نفسه وأخوه وبعد ذلك قام البطال الى الراهب وضربه بأغصان مثل أغصان الشجرة الخضرا حتى شخصت عيناه فقال الراهب ويلك لاتفعل وبعنى نفسى بكل ما جمعته من الأموال والجواهر والصلبان والياقوت والمرجان فقال البطال وأين هذا المال وأنا افكك من الاعتقال فقال له أدخل أنت وأصحابك الى بيت المذبح ثم اقلعوا بلاطة هناك فقلعها البطال وأخذوا من تحتها الأموال (قال الراوى) وتركه البطال واخذ معه الرجال وأخذوا جميع ما هناك من الاموال وكان شيء يدهش العقول فأخذوا الجميع وقالوا يا أبا محمد هذه الاموال ايش نصنع بها قال ابو محمد تدفنها فى هذه الارض واذا عدنا ان شاء الله مع السلامة أخذناها معنا ثم عاد الى الراهب واحتمله على اكتافه وسار به إلى صدر الدير فقال له الراهب الى أين انت سائر بى يا أبا محمد فقال اوديك ياراهب باحه الى بيت الراحة فقال يا شيطان ايش تعمل بى فى ذلك المكان فما يصلح لى ولا لك هذا الشان فقال له البطال لا تخف من شيء فما عليك باس الا أن أريحك من الحياة واسقيك المنية بامر كاس ثم دخل فى ذلك المكان وحط يده فى حلقه وهو يقول يا ابى محمد لا تفعل فإنى أعطيكم المال الكثير بقدر ما تحبون وفوق ما تريدون فقال البطال نحن ما نريد منك ما نطلب الا نشفى قلوبنا منك ثم عصر فى حلقه الى ان خرجت روحه وخرج البطال هو واصحابه من الدير والبطال يقول لحجاف لو تركنا هذا الشيطان فى الحياة فوالله ماكنا آمنا على انفسنا من غائلته وربما كان قد سار وانذر منا كل من فى هذه الديار فقال حجاف والله صدقت يا أبا محمد وما فعلت الا صواباً ثم أنهم نزلوا من الدير واغلقوه وساروا وهم طالبين آخر الصوامع ومنتهى الاطراف إلى الطرف الاقصى وهم يسائلون الرهبان وهم خائفين لايقرب العيد وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا حتى

توصلوا إلى الأديرة ويسيرون بالليل على ضوء قناديل الرهبان (قال الراوى) هذا والأمير حجاف قد طال عليه الزمان وضجر من طول سماع أصوات الرهبان هذا وحجاف قد سد آذانه لايسمع أصوات القساقس ولا يرى لا راهب او قسيس من تالى الالحان او نادب على المنازل والأوطان وكان سائر والصوامع عن يمينه وعن شماله وأصوات عالية بقراءة الإنجيل فعند ذلك هطلت دموعه من اجفانه تنحدر من فؤاد عليل وكبد من ألم الفراق حزين وينشد ويقول :

إلى كم أدور الأرض والشوق ناميا ... وأشكو فما ألقى من الناس راثيا
وها أنا قد اصبحت فى دار غربة ... ادور وفى قلبى زنادا كاويا
فيا أيها الرهبان بالله ارحموا ... لديع جوى ما انه اليوم راقيا
بحق الذى جاءت بعيسى مكرما ... وقال لها لا تحزنى أنا كافيا
وكلها فى المهد وهو ابن يومه ... واصرف بالبرهان من كان عاديا
الا خبرونى هل رأيتم أسيرة ... وثيقة اسر لا تجيب المناديا
تحكم فيها ضدها وهى طفلة ... وارسلها نحو البلاد القواصيا
فسرت اليها طالبا لخلاصها ... وقد حرت فى امرى وخاب رجائيا
وأسلم قوم من سلالة مرحب ... وصاروا على دين من الحق هاديا
وصرنا إلى ارض الصوامع عصبة ... لعل إلهى يجمع الشمل دانيا

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما فرغ حجاف من شعره وقصيدته وبكاؤه وعديده أطلع عليه بعض الرهبان من بعض أصحاب تلك القلايات والصوامع ونادوا أيها الشيخ لقد أحرقت منا القلوب وأجريت منا الدموع كالبحر المسكوب ولكن نحن قوم علينا عهود من مخالطة البشر لاننا من هذه الصوامع لانكلم بشر وما عندنا مما تقوله خبر ولا لنا إلى معاونتك من سبيل وإلا كنا أول من بادر إلى خدمتك لرقة ما سمعنا من شعرك وقصدك لأن هذا الكلام قد صدع منا القلوب ولو كانت من حجر وما عندنا أكثر من هذا الافادة وما منا من يشتغل بأهل الدنيا عن العبادة ثم عادوا إلى ما كانوا عليه وساروا هذا وحجاف يقول يا أبا محمد ما أحسن اشتغال هؤلاء الرهبان عن أهل الدنيا لأنهم يوحدون الملك الاعلا فقال له البطال ولم يرد المقال وربما يا أخى فيهم من يوحد الرحمن ويكون هداه الله تعالى إلى وحدانيته ورأى له حق عبادته (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى أنهم عبروا سائر الصوامع والأديرة وأشرفوا على المدينة الكبرى ودير المعبود والمعمود العظمى فنظر إلى مدينة مالها شبيه فى الدنيا ولا سائر البلاد كانها

أرم ذات العماد جارية الأنهار طيبة الأثمار كثيرة الأشجار فيها خلق لا تحصى ولا يعلم عددهم إلا الله الواحد الأحد القهار وكلهم مشركين منهمكين على عبادة الصلبان ويكفرون بالذى ركب الأرواح فى الأشباح تعالى ربنا عن الشريك والولد والأصحاب والزوجات وفى تلك المدينة كنيسة كبيرة على أربع عواميد وأنها قد عمرت وبقيت فى خيار البنيان باللازورد والذهب الوهاج وقد زينت بأحسن الصور وقناديل من البلور وخواص الياقوت الجوهر وسلاسل من شريط الذهب الأحمر وفى تعاليقها ترهج وتأخذ بالبصر (قال الراوى) وكان أهل هذه المدينة مثل الولدان والحور بالمثل والشعور بيض الألوان والأبدان والوجوه كالأقمار وكان قد بقى للعيد أيام قلائل وينصرون السعيدة وقدجاؤا أناس يهرعون من كل جانب ومكان وأقبلوا من سائر القرى والبلدان ورجالهم والنسوان وكان هذا دأبهم فى كل عام وهم لابسين الملبوس الخاص والعام ومنهم بالزى الفاخر والديباج والجواهر (قال الراوى) وكان الوقت زمان الربيع والأرض قد أزهرت وزهت بألوان من الأزهار وبكى الغيث لضحك نوره بثغر الاقتدار وغصون الروض فى حلل الافتخار واعتدال الليل والنهار وكان الملك قد خرج من المدينة ومعه من أنواع الزينة ما يحير الأبصار ويذهل النظار (قال الراوى) فلما نظر البطال إلى ذلك القهار وقال والله ما هذا إلا ملك كبير وعالم غزير فقال له الأمير حجاف يا أبو محمد لو أن للدنيا عند الله قدرا ومقدارا ما سقى كافر منها شربة ماء هذا والبطارقة قد نظروا محل مفرج فنصبوا فيه للملك سرير من الذهب الوهاج فى وسطه وهو مكلل بالدرر والجوهر والملك قاعداً لا يستطيع أحد ينظر إليه من هيبته وكان جبار عنيد وشيطان مريد أكفر أهل الأرض فى طولها والعرض وأجراهم على الله بالمعاصى سفاكا للدماء هتاكا للنساء والأماء وكانت هداياه واصلة إلى بلد القسطنطونية من الدر والياقوت والجوهر والذهب الأحمر وأنواع الشقق من الديباج المدنر ويقول له ما أريد منك فى مقابلة هذا الاكرام إلا الأسارى من الأقوام الذين يقولون أن المسيح مخلوق وعبد مرزوق وكانت ملوك القسطنطونية ترسل له من المسلمين الأسارى المائه والمائتين (قال الراوى) فاذاهم وصلوا إليه وصاروا بين يديه يبليهم بالقطع والكى وقلع العينين ويعذبهم العذاب المهين وبعد ذلك يذبحهم ويأكلهم على طول الأيام مثل ما يأكلوا الناس الأغنام حتى صار ذلك عادته وتجرى على مالك الممالك بكفره وجحاده (قال الراوى) فلما وصلت إليه هذه الجارية السعيده ألقى الله تعالى محبتها فى قلبه لما يريده الله من إرادته حتى أسلموا أولاده على يداها وقتلهم ثم أكل لحمهم وهذا ما كان يفعله مع

غيرهم من المسلمين الموحدين وكان الملعون كلما سمع السعيدة توحد ربها بصفاء قلبها وتتكلم بتلك المواعظ فيتعجب من كلامها ويقول لو كانت هذه الجارية مع هذا الزهد مسيحية كانت مثل مريم الزكية وما كان يكون فى الدنيا راهبة مثلها ولا بدلى أن يطول روحى عليها حتى أنظر ما يكون من أمرها (قال الراوى) وانقضت الأيام والشهور ووصل الأمير أبو محمد البطال وولده مذبحون والأمير حجاف وزحاف وغلمان البطال كلهم وأصحابهم واختلطوا بالقوم حتى أتت ليلة عيدهم وكانوا على نية الفرجة وقد اجتمع الدير خلائق لاتحصى هذا والبطال يوصى الأمير حجاف وهو يقول له قال رسول الله ﷺ استعينوا بالصبر على النوائب ونحن بين هذه الخلائق مستورون لايدرى بنا إلا رب العالمين وخالق السموات والأرضين وأنا أعلم أنهم فى غداة غد لابد لهم ما يخرجون السعيدة ويضربونها فى وسط الدير حتى أنها تتنصر فإياك أن يأخذك عليها حنة وتطلب خلاصها منهم بالقوة على أن هذه الخلائق كثيرة جداً ويكون هذا سببا لضرب رقابنا جميعا ولا ننال مقصود أبدا ولكن دعنى فأنا أتقرب اليها وأكلمها كيف تدافع عن نفسها إلى أن يأتى الليل وأعرف أن يكون مستقرها وندبر على سرقتها ونكون كلنا سالمين إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فقال حجاف أنا أسأل الله تعالى أن يرزقنى الصبر الجميل عند نظرها ولا يضيع تعبنا وبات القوم مع جماعة الروم ولم ينم فيهم أحد إلى أن برق ضياء الفجر وصاح الرهبان والقسوس ودقوا الناقوس وكفروا بالملك القدوس وازدحم الخلائق فى الدير بذلك الزى والملبوس وضاق المجلس بالمقام والجلوس ونصبوا لكبيرهم كرسى ودارت به الرهبان والقسوس وركب حوله البطارقه حتى نزل على سريره فى الدير ودارت خواصه وأصحابه وسل له واحد سيفه من قرابه والعالم كله قد وقع عليهم الهيبة من الملك هذا وقد خرج البترك وهو يرتعش على بدنه ثوب من الشعر والقسوس معه يعضدونه ويدورون حواليه والبطارقة والروم يقبلون يديه وكذلك النسوان يبوسون موضع قدميه (قال الراوى) ولم يزل سائر حتى وصل إلى الكرسى ثم جلس عليه وقد اشترك بالله ونسب الخالق تعالى إلى مالا يليق إلا بالخلائق من ملامسة البشر وذكر أهوال يوم القيامة حتى أبكى كل من حضر فعندها صاح الملك بغلمانه وقال إئتونى بالسعيدة الجاريه المسلمه الأسيرة فهذا وقتها ويومها وساعتها قال فما كانت إلا ساعة ثم أنهم أحضروا السعيدة وقد بقيت مثل عود الخلال من صيامها وقيامها فلما نظر أباها إليها طارت الدمعة من عينها وعينيه ثم ضاقت أخلاقه وقد أخذته الحمية وثارت فى نفسه النخوة العربية فلما نظر البطال إلى حجاف وهو فى هذه

الحالة قال له أهكذا استقر الحال بيني وبينك والخطاب أليس قلت لك على ذلك وقد حسبت لك مثل هذا الحساب وقلت لك إياك أن تبدوا منك خطاب أو شيء من الأمور الصعاب يكون هلاك نفوسنا ولم ينفعك ذلك فقال له الأمير حجاف لا تطيل يا أبا محمد الخطاب أنا أريد الساعة أهجم على أعداء الملك الجبار وأعتمد على العزيز الغفار واضرب الملك ضربة اسقيه كاس البوار فقال له أبو محمـــد لاتفعل واحسب أنك قلت للملك كيف تصنع بهذه الخلائق إياك والعجلة فى الأمور هـذا وقد أتو بالسعيدة إلى عند البترك الكبير وقال له الملك يا أبونا أمرتك انك تعرض عليها الدين العتيق ومقال التحقيق فلما سمع البترك ذلك اخذ السعيدة اليه ومسح بيده على رأسها وقال لها ايتها الطفلة الماسورة الذليلة اعلمى ان للمسيح بك عناية اذا وفقكى للهداية فاحديه وقرى له بالحمية فهو الذى خلق من الطين طيورا واقام الموتى من القبور واحياهم قبل النشور فاعرفى هذه الاشارة حتى تنالى اعلا الدرجات ويصطفيكى الملك لنفسه ويجعلكى زوجته وعروسه ويحميكى فى مملكته ونفسه وخواصه وارباب دولته وتصيرى مالكة لملوك الروم وسيدة اهل هذه الديار والرسوم وان انتى عصيتى فتكونى على نفسك تعديتى (قال الراوى) فقالت السعيدة لما سمعت كلام البترك لااله الاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الله هو الملك العظيم خالق المسيح والكليم ونوح وابراهيم الذى يحي العظام وهى رميم ويلك أيها المغرور والعبد الكفور كيف يكون مالك فى يوم العرض والنشور إذ الجبـــال تسير والسماء تمور وتدعى إلى قراءة الكتاب المسطور فترى فيـه الاعتقاد الفاسد والمحال الزور ثم يقال لك انظر إلى عيسى بن مريم وهو بين يدى الملك الغفور وهو يحاسب الخلائق فى المقام المشهور والحق تعالى جل ثناه ولا معبود سواه ينادى ويقول أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فعندها يقول ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب (قال الراوى) فلما سمع البترك كلامها علم صغرها جحده وقال هذه ابنة شديدة فى دينها وأريد ان أشرح لهـــا شيئاً من على الحقيقة ثم تلا فصلا من الانجيل وأراد البترك أن يتم كلامه فاعتقل لسانه وأقبـل على الملك وقال له قد تغيرت أحـــوالى وتشكل اسانى وقد سمعت أنه إذا أجتمع أهل ماء المعمودية وقرؤا الانجيل وكان فيهم رجلا من أصحاب محمد بن عبد الله وكان يحفظ القرآن وأراد أحداً من أهل الانجيل أن يذكر هذا الكلام لايقدر أن يتكلم ثم أنه قام على قدميه وقال يامسلم بحق دينك ونبيك أشهر نفسك حتى يعلم هذا الملك عذرى (قال الراوى) فتغير لون الامير حجاف وقال لابو محمد البطال قد أقسم على هذا البترك بهذا

القسم وهو قسم عظيم عند رب زمزم والمقام والتعظيم وأنا أريد أن أقوم ودع يقضى الله ما هو قاض فقال أبو محمد لا تفعل أيها الامير هذا والبترك قد عاد إلى كلامه الأول إلى أن وصل إلى ذلك الموضع وأراد أن يشرك بالملك العلام فما قدر على الكلام فالتفت يمين وشمال ثم قال يامسلم بحق دينك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم تكلم فعندها وثب الامير حجاف وقد قام وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياساده) فنظرت إليه السعيده وإذا به أبوها ورأت رجليه فأنكرته وقالت فى نفسها كانه ابى لولا أنه كان قائما على قدميه وأبى كانت الكفار قطعوا رجليه وأعدموه قدميه هذا والبترك يقول يامسلم تقدم إلى عندى حتى أقول كلام خطر بقلبى الساعة وأرجو على يديك السعاده ومن نبيك الشفاعة هنا لك تخطى حجاف رقاب الناس وهم باهتين إليه حائرين من أمره وقصته حتى صارت يده فى يد البترك وحجاف يقول يابنيه أنا أبوكى فلا تعجبي من قصتى فان الله تعالى قد رد على رجلى وأوصانى اليك وله المنه على بعد ماقاسيت شدائد وأهوال جرت على ثم أنه اعتنقها وهو يبكى وهى كذلك من الفرحه وكلاهما يشكى ماقاساه من الفرحه هذا والبترك وقع عليه الدهش وأخذه الزمع من شدة ماجرى عليه وفاضت الدموع من عينيه إلى أن خضبت لحيته وعارضيه وشرح الله تعالى صدره للاسلام وأقبل برحمته عليه فقال أشهد لا اله الا الله أن محمد رسول الله ﷺ ثم قام عن كرسيه واعتنق حجاف وقد غاب عن الدنيا وانقلب المكان من صياح القسوس والرهبان فصاح الملك فى البطارقة والغلمان وبلكم هاتوا الكل إلى بين يدى وقدموهم قدامى حتى أرى هذا المصاب بين يدى وقدموهم لما أرى هذا البلاء فهذا أمر ما كان لى فى حساب ونحن قد قلنا ان بتركنا ينصر السعيده فنراه هو قد أسلم على يديها وأن شاع عنا هذا الحديث فى البلاد افتضحنا عند كل العباد (قال الراوى) فعندها تبادرت البطارقة وفى أيديهم السيوف البارقه وحملوا الامير حجاف وابنته والبترك إلى قدام الملك وقد غابوا عن الدنيا ولا فيهم من بقى يسمع ولا يرى فلما رآهم اللعين فى حالة الموتى قال لابد لى ما أحرق هؤلاء الجميع بالنار وأذيقهم طعم الحريق والبوار وأن ماتوا وهم بهذه الحالة ارموهم للكلاب وأول ما أحرق هذا البترك الكذاب الذى مال عن الحق وعن الصواب فعندها أفاق البترك من الوجد والاستماع وقال أيها الملك وفعل بى ماشئت وعذبنى كما هويت فهذا الذى كنت أريده له وقد اشتهيته لانه قد لاح لى لائح الحق والبرهان وتحقق عندى ما كنت أشك فيه من زمان وقد عشت حتى رأيته عيان ولا أصل الى غرفة الجنان الا بضربك لى وعذابك والهوان ياساده) فلما سمع الملك البترك لطمه على

وجهه وقال للغلمان شيلوهم الى برج الحمام الذى فى الدير ونادوا فى الروم بأن لايتفرق منهم أحد ولا يعودمن هنا الى غداة غد فان أفاقت المسلمه هى وأبوها أحرقناهما بالنار مع البترك المرتاب وأن ما أرميناهم للكلاب والاطيار فانى قط مارأيت أيشم من وجه هذه المسلمه علينا لانهـــا من أول وصولها الينا أفسدت أولادى وأحوجتنى إلى أن طبختهم وأكلتهم مثل المسلمين الذين كنت افعل هذه الفعال وبعده انظروا فى هذا اليوم ايش جرى علينا منها لانها ايضا كانت سبب اسلام بتركنا الذى ماكان للنصرانيه مثـــله لعمله وعبادته وكانت هذه الميشومه سبب شقوته فامتثلوا الغلمان امره وحملوا الأمير حجاف وابنته الى المكان الذى عينه الملك وطرحوهم فيـه واذابه برج أملس من صلد الأحجار مظلم بالليـــل والنهار لاتدركه الشموس ولا الأقمار له باب من الحديد وبنيانه مشيد وكان من جملة من سار مع الغلمان والأبطال الأمير أبو محمد البطال وقد أوصى ولده مذبحون وغلمانه أن يراقبوه هــذا والملك قد أمر الغلمان أنهم يضربون البترك فضربوه حتى غشى عليه ثم قال الملك اتركوه عنـد المسلمين واجمعوا الأحطاب إلى وقت الصباح ولا فيكم من يرجع إلى بيته حتى يتفرج على حريقهم (قال الراوى) ولما حصل حجاف وابنته والبترك فى البرج خرجوا من عندهم البطارقة وبقى البطال فى ظلمة المـكان فما علم به منهم إنســـان وأوثقوا الباب بالأقفال الثقال وباتوا الروم تلك الليلة فى فرح وسرور وغبطة وحبور وقـد ضج لهم الدير بالطبول والزمور والملك أيضاً قدموا قدامه بواطى الخمر وجمع البطارقـة من حواليه قياما وقعودا وما برح يشرب حتى أظلم الظلام وسكر أكثر الناس ووقعت الخمرة على جملة القيام والجلاس بعد الانزعاج الذى كانوا فيه والوسواس وذهب من الليل أيسره وما فيهم من بقى من السكر يفتح عينيه (قال) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه بعـد خروج الغلمان من البرج تقدم إلى الأمير حجاف ثم حل عنه الكتاف وهناه بلقاء ابنته السعيدة ثم قال له ما قلت لك أن العجلة من الشيطان كما أن الصـــبر طريق الظفر بعد الحرمان فقال حجاف والله يا أبو محمد ما طقت يا أخى الصبر وقد رأيت السعيـــدة تدعا إلى دين النصرانية فما بقيت أبصر ما بين يدى من شدة ما جرى على من الوجد والحمية وما تعهد من الغيرة العربية ونخوة النفس الأبية والساعة فما نحن إلا فى خير كثير من فضل رب البرية ولكن قد نلنا الثواب من جانب وسعدنا أيضاً باسلام هذا الراهب وقد تألمت لما جرى عليه من الضرب حتى أنسانى فرحتى بلقاء ابنتى فياليته لو كان على جسدى فقال البترك وحق من عرفنى توحيده وأنه بارى النسم وأهدانى حتى أقررت برسالة محمد سيد

الامم صلى الله عليه وسلم وحقه أنى ما وجدت لضرب هذا الملك ألما ولا ضررا وما كنت أريد من الله تعالى إلا أن يسهل لى الخلاص ويفرج عنى حتى أننى كنت أمضى إلى بلاد الاسلام والايمان وأسمع التوحيد والآذان وأموت وحولى من يقرأ القرآن (قال الراوى) فقال أبو محمد لا بد لى أن أبذل المجهود ونطلب الخلاص من الملك المعبود ثم أنه أخرج من وسطه سلما أبريسما وحدفه على أعلا البرج فما علق لأنه كان صخر أملس ولا تقدر النملة أن تدب عليه فصار الأمير أبو محمد كلما حدف الكلاليب لا تعلق وإذا قد جذبها وقعت فضاق صدره وقال والله العظيم أن هذه نوبة صعبة ثم عاد إلى الباب ليفتحه فوجده كالجبل العظيم لا يتقلقل ولا فيه حيلة لمحتال فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم رجع إلى القوم وقال لهم أبشروا بالحريق فوالله ما وجدت إلى الخلاص طريق على أنى أول من يذوق البلاء والعذاب لأننى لفضولى وعدم تدبيرى أخبيت نفسى خلف الباب (يا سادة) فقال حجاف يا أبو محمد لا تضيق صدرك فقال أبو محمد لكل أجل كتاب وهذا الذى قضاه رب الأرباب ومسير السحاب وقابل التوبة على من تاب فيابشرى من قد توكل عليه وإليه أناب وقال والله مابالى بعد ما رأيت أنا السعيدة أى موتة ماتت بها فقال أبو محمد بس هذا الذى كنا محتاجين إليه فأنت يا أمير قد رأيت ابنتك السعيدة فهانت عليك المصائب وقلت النوائب وضيم الزمان فأنا ايش كان لى فى هذا الفضول والهذيان والمجىء إلى هذا المكان ولكن ما حسبت أنا هذا الحساب ولا قرأت عنوان هذا الكتاب ولا قلت أنها تجرى على هذه الأمور وهذه الأسباب (قال الراوى) وهم فى الكلام وإذا هم بانسان قد أطلع عليهم من أعلا البرج ونادى ايش عافكم ما تعرفون تطلعون من هذا المكان فشالوا رؤسهم إليه ليعلموا من هو المتكلم وإذا به الأمير مذبحون ابن أبو محمد البطال فقال له البطال أحسنت يا ولدى ويا قطعة من كبدى ولكن كيف كان طلوعك أنت إلى هذا المكان وما تعلقت فيه الكلاليب فقال له مذبحون والله لقد حسبت لكم هذا الحساب لما رأيتكم قد أبطأتم فلأجل هذا قد صعدت إليكم فاحدف الساعة الكلاليب التى لكم حتى أوثقها لكم ثم اصعدوا واحد بعد واحد (قال الراوى) وأن البترك الذى قد أسلم لما رأى مذبحون تعجب ثم قال يا أبو محمد وهذا رفيقكم أيضاً قال نعم وباقى أصحابنا مختلطين فى جملة الروم ويكونوا الساعة بظاهر هذا البرج ونحن ما علينا صعوبة إلا بمقدار ما نطلع من هذا المكان وقد خلصنا بمعونة الرحمن فقال البترك يا أبو محمد هذا ولدك كيف علق سلمه فى البرج وأنت لم تعلق سلمك فقال يا أخى ما يحتاج إلى سلم ولو كنا مثله كنا نتعلق بالأركان ولم يبق

منا أحداً فى هذا المكان ثم أنه حدث البترك بحديث مذبحون فتعجب البترك من هذا المقال هذا والبطال قد تقدم إلى تحت ولده مذبحون وحذف الكلاليب إليه التقطها فاخذها مذبحون بكلا يديه وأوثقهم بين الأحجار وقال لهم اصعدوا الآن وابشروا من الله بالسلامة وكان أول من صعد الأمير أبو محمد البطال والأمير حجاف وابنته ونظر البترك إلى ذلك فصعد مثل صعودهم وهو يقول والله هذه صفة ما نعرفها نحن ولا سائر الروم ولما صاروا الكل فوق البرج أرمى مذبحون سكك السلم إلى زحاف وغلمان أبيه البطال وهم وقوف ينتظرون أصحابهم فلما رمى السكك نزل إليهم الدير وقد أيقن البترك بالخلاص فقال لهم اطلبوا بنا الساعة النجاة لا نقع فقال له البطال اعلم أن هذه الديار بعيدة عن ديارنا ولابد ما يقع النفير خلفنا والطلب وتدركنا الخيول فنعطب ونريد شيء لعل يكون فيه سببا لنجاتنا فقال حجاف أول الأشياء أننا الساعة وقوف مثل النساء وكأنكم بالصباح قد طلع علينا وما كنا نريد إلا خيول سوابق ورياح خوارق حتى نترستق ونركبها ونسير نبعد ودع يكون يلحقنا ألف فارس وترون العجب مما يتم لى معهم فقال زحاف والبطال ما يلحقنا النفير إلا ونقاتل حتى لا يبقى منا صغير ولا كبير ونتوكل على اللطيف الخبير فقال زحاف يا أبو محمد ما لهذه النوبة إلا أنت وأنا أرسل الخيول الجياد وأنت تسرق السيوف والقنطاريات وبيض العاديات وثلاث زرديات (قال) فغاب زحاف قليلا ورجع ومعه خيول سوابق فركب وتقلد بسيف بارق واخذ أبو محمد جميع ما طلبوا منه من آلة السلاح الكامل فلبس حجاف وركب وقال يا أبو محمد صيح على الخيل وقل لها الساعة تتبعنا وانظر ما أفعل بركابها وما أصنع بأربابها ثم ركبوا جميعهم وكذلك الغلمان والبترك حائر من أعمالهم ويقول لهم أنتم الموصوفون فى الانجيل حقا بأنكم رجال الله صدقا لأنكم ما لكم قلوب تفزعون بها من أهوال الطعن والنزال والساعة قد خلصنا ولابد للنفير ما يلحقنا وأخشى أن تهربون ولكن لا تنجون ولا تصلون إلى البحر إلا وقد حصلونا ويأخذوكم وتبلون بما لا تطيقون لأنكم لم لكم جهد ما تقاتلون إذا فاضت الدنيا عليكم بالمواكب ولم يسعها شرقها والمغارب لأن هذا الملك يركب فى مائة ألف فارس وقد بقى فى الأمر شيء واحد (قال الراوى) فقالوا له وما ذاك فقال لهم البترك اعلموا أن لهذا الملك أخ يقال له القانون وهو رجل يدعى الحكمة ولا يرى بعدها فى الأديان شيء بل يقول أن هذه الدنيا لا تزول ولا يكون هناك بعث ولا نشور وأن الزمان والفلك هما المصوران لهذه الصور وأن البحارات هى التى تطلع حمل الغيوم ثم تصيرها الأرياح فتدبر الأمطار

وان طلوع الشمس هو الفــارق بين الليل والنهار وبين هذا الملك وبين اخيه القانون واقعه من عشرين سنه والقانون فى قلعة عاليه على جانب البحر وقد بنيت على سن جبل عالى شاهق فى الهوى إذا نظر اليها الناس يظنون انها للارض مفارقه وبالسماء لاحقه لايدركها البصر لاترى الا مثل الكوكب إذا أزهر ومثل القمر إذا أبهر وليس لأحد عليها سبيل وكان القانون أراد ملك هذه القلعه والأرض التى تحت مكان أخيه فماأطاعوه عباد المسيح بل قالوا هذا رجل معطل الأديان وأرادوا انهم يقبضوا عليه ويسلموه إلى أخيه فهرب إلى هذه القلعه التى كانها الثريا لاجل علوها وارتفاعها وبينى وبين القانون صداقة عظيمة لايقطعها شيء لانى كنت قائم أعتبه على تفريطه فى دين المسيح وكان يقول لى ياشيخ لو انى كنت أقول بالشريعه كنت أدخل فى شريعه المسلمين لانها أصح الشرائع والأحكام ثم قال البترك وكان قد أرسل الى كتابا وهو يقول تعالى إلى عندى واترك أخى وأنا أعطيك من المال مهما أردت واشتهيت وأعطيك أيضاً عشرين جاريه وأقيم أنا وانت نقرأ قانون الحكوم والعلوم الصحيحه ونعود أنا وأنت إلى ماكنا عليه من المودة والصداقه والساعه فقد خلصنا ومالنا غيره ان كان لنا نجاة وإلا فنحن بعد من الها لكين (قال الراوى) فلما سمع البطال وأصحابه ذلك المقال علموا ان الذى قاله تحقيق وما فيه محال فقالوا والله وان هذا هو الصواب فهل اليه طريق وتقدر على ذلك ونمضى من هناك ديارنا من عنده فقال نعم ان شئتم فى البحر وان شئتم فى البر سرت أنا معكم أيضاً وبعد ذلك لو أقمتم عنده فى القلعة ألف سنه ماسلمكم الى أخيه لانه رجل كثير الكياد وله جرمه وهمه وزمام وهو يأكل أموال هذه الأرض كلها وله علينا شيء معلوم والا كان يحرق ويخرب ويفعل كل شيء مذموم فقال له سر على بركة الله تعالى وعونه (قال) فسار البترك بين أيديهم وهم من ورائه على خيول مستريحة يركضون بطول الليل الى ان برق ضياء الفجر (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الملك الذى هو ملك الاطراف فانه لما أصبح الصباح ادعى بالقسوس وبالرهبان فقال لهم ياقوم أما تنظرون الى مضيق بارحه وماتم على لانى قلت ان بتركنا ينصر المسلمه فأسلم على يديها ايش يكون مصيبة عظم من هذا فى بلاد الروم وحق المسيح لابد ماأحرقه بالنار مع المسلمين الآن يكون قد ندم على مافات ورجع عن توحيد رب الأرض والسموات ثم انه لوقته أرسل الغلمان إلى البرج الذى هم فيه فوجدوه فارغ فعــادوا الى الملك وهم متحيرين وعلى وجوههم يلطمون فقال الملك ويلكم ما حالكم فقالوا أيها الملك ماوجدنا فى البرج أحد والباب مغلوق على حاله بالاقفال والمفاتيح عندكم وما نعلم أهم فى الأرض نزلوا أم فى السماء طلعوا فلما

سمع الملك هذا الأمر والخبر تحير وقال لهم لاتشيعوا ياقوم هذا الخبر فان النصرانيه إذا سمعوا هذا أسلموا كلهم ويقولون هذه معجزة لهؤلاء المسلمين ومايدرون ان المسلمين كلهم لصوص وأنا وحق دين المسيح سمعت ان فى بلاد المسلمين رجل يقال له أبو محمد البطال وانه يتعلق فى حبال الشمس ويصعد من طلوعها من مشارقها إلى مغاربها وأنا أخاف ان يكون هو أبو الجاريه التى كانت مأسورة عندنا ومااتى الينا إلا فى جماعة إلى هذه الديار ثم قال أسرجوا الخيل حتى نركب خلفهم فقدموها وقد نقص من الخيل الخاص ثمانية رؤس من أجود الخيول فقال ياقوم ماقلت لكم انهم فى جماعة وحق المسيح ان صدقنى حذرى ولم يخطئنى فمالهم مقصد الامكان واحد لانهم أين يذهبوا يردهم علينا البحر ومالهم من بلادنا مهرب وماالبترك إلا أخذهم وسار بهم إلى بلاد أخى لانه صديقه وقد مضوا اليه ويتحصنون فى هذه القلعة وهى نظير لها وأنا أعلم ان أخى لايسلمهم الى وقصد أخى شيء حتى يغيظنى به ادركوهم قبل مايصلوا اليه وهاأنا معكم فركب فى عشرين ألف بطريق كلهم على الخيول الغربيه وعليهم الثياب الديباج الروميه والبيض العاديه وساروا وهم يقطعون الأرض فى طولها والعرض (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على القلعه ونزل الملك عليها وقال لأصحابه أريد إذا أصبح الصباح أرسل منكم من يكشف الأخبار ان كانوا القوم وصلوا اليه أم لاحتى إذا عملتم شيئاً يكون على علم ويقين (ياساده) فهذا ما كان من الملك وأصحابه (وأما ما كان) من البطال ومن معه من الرجال فان ذلك البترك الذى أسلم أحدهم سار بهم تلك الليله وأكمن بهم وساروا طول النهار إلى ان أمسى المساء وساروا فى الليلة الثانيه حتى وصل بهم تلك القلعه ومازالوا طالعين حتى تنصف الليل وقد خيل لهم انهم فارقوا وجود الدنيا وكانت لهم طريق معموله من أول الزمان لطلوع الخيل والدواب قد احكموها الحكماء والرهبان القدماء فلما ان صاروا عند بابها قال لهم البترك قفوا ياقوم ههنا حتى أدخل أنا للملك القانون وأذكرله حديثكم وصفتكم وكيف قد هربت معكم وآخذ لكم منه الامان وآخذ عليه العهد والمواثيق والقبول التام لكم والاكرام وأخبره انى هربت من أخيه الشيطان وأسأله أن ينفذنا كلنا إلى بلاد الاسلام والايمان وأراضى أهل التقا والاحسان (قال الراوى) فقال له البطال نعم ماقد قلت أيها الشيخ الصالح والأخ الناصح دونك وماتريد أعانك الله بالنصر والتأييد فتقدم البترك وطرق الباب الذى للقلعة فصاح عليه الحارس يقول من الطارق فى الليل الغاسق فقال له أنا بترك ملك الاطراف أخو ملككم فانهض اليه وبشره بقدومى وخذ منه البشاره والاحسان لانى صديقه وقال له قل له ان البترك الذى لاخيك واقفا على الباب (قال

الراوى) فقام الحارس من ساعته وسار نحو الملك وأخبره بذلك الشان فأرسل معه عشرة من خواص الغلمان ففتحوا بابا من حديد وثيق شديد ومن ورائه مشط من الحديد أثقل من الصخر والجلاميد ومن كثرة أثقاله لايشال إذا نزل الا بالبقر فلما فتح ذلك الباب دخل البترك ومعه البطارقه إلى الملك فلما رآه وثب له قائما على قدميه واعتنقه مليا وهاله أمره وأحواله وقال له أخبرنى ماوراك ومن بشره قدرماك وماأتى بك فى هذا الوقت فى هذا الليل وأنا الذى أتمناك من عشرين عام وأنا أرسل لك وأقول لك تعال إلى عندى فما ترضى وتأبى ذلك والساعه قد جئتنى فى هذا الليل الحالك من غير طلب وهذا من غاية العجب فقال نعم أيها الملك ان حالى عجيب وأمرى غريب فقال له الملك حدثنى بحديثك بحق المسيح فابتدأ البترك يذكر الجاريه السعيده وكيف تنطق بالحكمه وكيف أراد أخوه ان ينصرها وما تنصرت وكيف قتل أولاده وذبحهما وأكل لحمهما من أجلها وكيف وصل أبيها ومعه البطال وبقية الرجال والملك القانون ومن حوله يسمعون مايقول وهم متعجبون ويتعجب الملك ويقول لوان هذا الحديث يكتب بالذهب ليكون عبرة لمن يتعجب واعتبر وتهذب (قال الراوى) ثم قال الملك القانون وبعد هذا وما الذى تريد أيها الشيخ المجيد فقال له البترك وحق الله ماأريد منك الا الأمان من كل من على وجه الأرض انا والمسلمون فقال الملك القانون ولك ذلك أيها البترك ولوانهم أقاموا وسكنوا عندى عشرين سنه لهم أسوة بى وبأولادى وعيالى وأصحابى ورجالى ومع ذلك بوصفك لى شوقتنى اليهم وأريد أنظر اليهم وأعاملهم بما يليق بهم فقال البترك الساعه يردوا عليك وهذا الوقت يصلون بين يديك وتراهم بعيناك ثم خرج البترك اليهم ليدخلوهم (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه كان لما تركه البترك هو وأصحابه قيام تحت الابراج وهم فى الانتظار وقد سلموا نفوسهم إلى الملك الجبار خالق الليل والنهار وقد حملوا هم غربتهم فى هذه الديار لأنهم لايدرون كيف يسلكون فى تلك الأقطار ولا يعلمون أين يقصدون يمينا أو يسار فبينما هم وإذا بشباك قد فتح من برج كبير وهو أكبر الأبراج والشباك بأبراج عاج وقضبان منقوشه مرصعة بالأبنوس والذهب الوهاج وقضبانه فضة فمد البطال عينيه وإذا من ورائه عشرين شمعة عنبر وكافور والمكان منقوش بالذهب واللازورد وفى وسطه كرسى من الذهب وعلى الكرسى جارية وحوالها عشرين كرسيا كلهم من الذهب الأحمر وهى كانها جارية من الحور العين كالبدر ليلة تمامه بغرة كالصباح أو كانها نور المصباح ووجنتها أزها من البدر الوضاح

والدر ينثر من ثغرها الوضاح والمسك من نكهتها والليل الحالك من سواد شعرها وغرتها وهي كأنها البدر المنير واعكان أردافها فاضت من على السرير وعلى بدنها ثوب لؤلؤ منظوم بالجواهر ولها ذؤابتين مثل سواد الليل الاعكر نازلة على صدرها وكلما شالت سواعدها تراها كأنها عواميد رخام والمجلس يتلألا من بياض كفوفها وبين يديها على الكراسي جوار كأنهن الأقمار ولما نظر البطال إلى ذلك الجمال حار وأخذه الانبهار وأمازحاف فانه حس أن فؤاده قد طار وأقبل على البطال قال له يا أبو محمد إن البترك قد أسلم وفاز بالإيمان فأنا أتنصر فى هذا المكان وقد سلب عقلى ودينى هذا الغزال العطشان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الشان (قال الراوى) ولما سمع البطال من زحاف هذا المقال قال له البطال بعد مازاد به الضحك والله ما أنت الا عاشق بارد ويلك أنت رجل خائف فزعان غريب مطلوب مسلم فى بلاد الكفار ما عندك شغل شاغل عن العشق فى هذه الشده والأهوال ثم جعلوا يسمعون على هذه الجاريه هى وجوارها وإذا بها تلعب مع جوارها وتقول لهن بالعربى الفصيح ويلكن قمن من بين يدى كلكن حتى نتصارع فعندها وثبن كلهن ورمين ما عليهن من الملبوس وبقين بأجسامهن كأنهن الورد والياسمين بيضاء مشربة بحمرة ثم جعلن يتمايلن ويتصارعن وهن ثقيلات الأرداف كما قال

كل عذراء كعوب ذات غنج ودلال ... بعيون وجفون راميات بنبال
صائبات قاتلات لصناديد الرجال ... ساحبات الشعور كعناقيد الدوال
بصدور لينات وأرداف ثقال ... بعيون راميات كعيون للغزال

(قال الراوى) هذا والملكه قد أقبلت إليهن فقالت لهن كل واحدة منكن تبرز إلى صاحبتها وتتسمى باسم فارس من فرسان المسلمين واتركونى أنا ذات الهمة أو عبدالوهاب فقالت واحدة منهن أنا إسمى عيارهم أبو محمد البطال وقالت واحده أخرى أنا إسمى لؤلؤ غلامه وقالت أخرى أنا جوهر غلامه وقالت أخرى أنا سيف الحنيفة وقالت واحدة منهن أنا إسمى ظالم وواحدة قالت أنا اسمى ضيغم وقالت أخرى أنا اسمى قشعم (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك الكلام تحير هو ومن معه ثم قال والله اذا كنا عرفنا فى هذه الأرض فهذا يكون آخرتنا وآخر العهد بيننا وقد تقدمت احداهن الى الملكه وهى تضاهيها فى الحسن والجمال وما كانت الا ساعة واحدة حتى أنها رفعتها الملكه على يديها وأتت بها الى طاقة تحت الشباك الذى هم فيه وقالت لها أريد أرميكى الساعة الى عيار المسلمين الى أسفل حتى تموتى وأريح الروم منكى ومن سرقة بناتهم هنا هذا والجارية تضحك فلاح لها خيال أبو محمد البطال وهو على صخرة عالية فى مقابلة المكان ففزعت الجارية منه وصاحت

ياملكه بحق المسيح خذيني اليكى فانى أرى خيال شخص قائم فى مقابلة البرج وقد فزعنى فظنت الملكه أنها تقول ذلك مزاح فقالت لها لا تطيلى الكلام ياأبو محمد ياعيار المسلمين فلا بد لى مما أرميكى الى برا الحصن فقالت الجارية وحق المسيح ما أنا مازحة يامولاتى وانما هذا شخص واقف وأظنه لص فضحكت الملكه وقالت ويلكى أقول لكى من هو هذا الشخص هذا أبو محمد البطال وقد أتاكى من غيظه منكى لما انكى تسميتيه وادعيتى صنعته وقدجاءيأخذكى لأجل هذا ثم دلتهاقليلاقليلا وقالت يا أبو محمد بحق دينك خذها اليك فعندها مد البطال يديه وتعلق بها وسحبها اليه سحبة شديدة ففزعت الملكه وخلت الجارية من يدها وهى قد انخرعت وقالت وحق المسيح لقد أخذت جاريتى كالهار ثم عادت الى طاقة وتبادرت الجوار فعندها صاح زحاف وقال ايش نعمل نحن بالبطال نحن ما نطلب الا عبد الوهاب فقال البطال يازحاف ما هو قليل ان تعمل على ضرب رقابنا أسكت أنت يا هذا ولا تتعرض للكلام هذا والملكه تنادى ياويلكم ايش أنتم طالبين فقال لها البطال نحن قوم جئنا مستجيرين بهذا الملك صاحب هذه القلعة وقد أرسلنا اليه رسول حتى يأخذ لنا منه الإذن ونحن له فى الانتظار فلما رأيناكى أدليتى هذه الجارية وقلتى خذها يا أبو محمد فأخذتها على وجه المزاح وطلبت بذلك تصديق قولكى ايتها الملكه وقاكى الله شر البؤس والهلكه حتى انكى تضحكين انتى وجواركى وهذه صاحبتكم ارجعو خذوها بارك المسيح لكم فيها فلما ان سمعت الملكه ذلك الكلام من البطال فقلت الشباك واخرجت يدها من الطاقة ورفعتها اليها فلما أن صارت عندها قالت لها ويلكى ياكلهار هذا شخص واحد والا معه جماعه فقالت الجارية لا وحق المسيح على باب القلعة جماعة ومعهم خيول مجنوبة وما ادرى من اين اتونا هؤلاء الشياطين وانا قد خفت على قلعة ابوكى منهم فى هذه الليلة (قال الراوى) فلما سمعت من الجارية ذلك غلقت الشباك والطاقة وقالت للجوار شيلوا الشمع حتى اقوم الى عند ابي واوقفه على هذا الحال لا تكون هذه حيلة من عمى على القلعة حتى أنه يأخذها ثم انها ولت. فلما ولت اظلم المكان فالتفت البطال وزحاف الى رفاقهم وهم متعجبين وبقى فى قلب زحاف من الجارية امر عظيم ونار لاتطفأ ولا تخفى وفى تلك الساعة خرج البترك اليهم ووصل فى طلبهم فلم لماهم فى الموضع الذى تركهم فيه فدار عليهم حتى رآهم ثم بشرهم بما سمع من الملك فقال له البطال نحن قد جرى لنا اعجب من هذا ثم حدثه بحديثه هو والجارية فقال البترك هذه ابنة الملك وما عليكم منها خوف ثم سار بهم وادخلهم على الملك القانون فرحب بهم وادناهم وطيب قلوبهم ومدوا اعينهم للجارية فرأوها الى جانبه وهى تنظر اليهم وتميزهم واحد

بعد واحد وزحاف قدنظر اليها فزاد وسواسه وكبرت حسرته وارتجت مفاصله وهاجت بلابله وقال ابو محمد أنا فى صنيعتك الليلة ابصر ايش تعمل معى فقال البطال دعنا من خرافك ومن عشقك حتى نبصرا يش يحصل لنا هذا ولما ان الجارية أقبلت على ابوها وقالت له كيف خبر هؤلاء يا ابتاه فقال يا اديبة لروم هؤلاء قد اتوا الينا مستجيرين ومن شر اخى خائفين وقد زعم البترك انهم مسلمين ونحن ما نطلب الا الفعل الجميل وما علينا من الأديان وان اختلف فان الرب واحد والمذاهب اهوية وبعد ذلك كله وحق المسيح ما يعلم احد ماذا يقدم بعد الموت فقالت الجارية وانا قد توهمت فى هذا الشخص انه ابو محمد البطال لأن الصورة التى هى عندى فى الكتاب كانها صورة هذا ثم اخرجت درج كبير فيه صور امراء المسلمين عن آخرهم وصورة عبدالوهاب وجماعته الازحاف وهو شاب مليح اسمر اللون ظريف الكون له شعر اجعد مثل اللال فقالت لاشك ان هذا عبد الوهاب ثم قالت بعد هذا كله وحق الدهر المقيم والزمان القديم والفلك المستقيم لئن لم تصدقونى والا ضربت رقابكم عن آخركم ثم قالت أنتم الذين ذكرت اسمائكم ام لا فقال البطال ايتها الملكه نحن قوم من اهل مصر ماندرى ماتقولين ولا نعرف هؤلاء القوم ولا سمعنا بأسمائهم الى هذه الساعة ولا راينا صورهم الا فى هذا الكتاب كما قلتى ولا تجعلين له حجة ونحن مسلمين وقد استجرنا بالملك الكريم والسيد العظيم الذى من التجأ اليه اواه واعز جانبه ولا يسلمه الى اعدائه ولا دخلنا اليه الا بعد ما دخل البترك واخذ لنا منه امان عندها قالت الملكة لاسبيل الى هذا ولا اسمعه ولا التفت الى هذا الكلام وانا صاحبة الموضع والعسكر عسكرى والجند جندى وابى ما يقدر يخالف امرى ولو عارضنى فيكم قتلت روحى ثم انها كشفت عن صدرها وهو مثل المرمر وفيه نهدان كانهما حقان رمان كل واحد منهما يجىء رطل بالكبير وقالت وحق المسيح أن خالفنى انى ضربت روحى بسكين فى صدرى (قال) فلما نظر زحاف إلى ذلك الصدر زادهيامه وأباح بكتمانه وقال لاتفعلين أيتها الملكه الكريمة أنا أقول لكى من نحن وحيات هذا الوجه الجميل والقد الأسيل والطرف الكحيل والشرف الأصيل هذا هو البطال أبو محمد كما ذكرتى وأنا عبد الوهاب سيد بنى كلاب وهذا حجاف غلامى وما أنا قد وضحت لكى الحال فان أنت عفوتى فما هو منك عجب وإن أنتى قبضتى علينا فهو المقصود فاننا ما نريد غير مشاهدتك ولا نريد نبرح من عندك متى نشاهد هذ الوجه المليح والجمال الصبيح فان النظر اليكى عبادة والقتل فى حبك شهادة عندها صاحت الجارية وهى تقول وقعتم يا كلاب العرب ويا حمالين الحطب وحق المسيح لقد كنت إذا سمعت بفعالكم مع النصرانية أتمنى

أن تكون لى أجنحة أطير بها اليكم واقول لعل المسيح يمكننى منكم بالثار وأكشف عن الروم العار (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك أقبلوا على زحاف وقالوا ما قصرت معنا بهذه الفعال والمقال فقال زحاف يا أبى محمد ما أحمقك أيما خـــير أقول لها من نحن أو تقتل نفسها فضحك أبو محمد من وسط الغيظ وقال له أماتك الله ولا أحياك ثم عاد إلى الجارية وقال وحق دين الإسلام ما هذا عبد الوهاب وما هو إلا كذاب لأجل سبب من الأسباب فقالت أنا ما يكون قصدى إلا عرفكم فان كنتم ما تقرون على أنفسكم فأنا عندى من يعرفكم وهو معلمى الذى صوركم فى هذا الكتاب ثم أرسلت إلى الكنيسة واحضرت راهب كانه شيطان من شياطين الجان قد أنحله الهوا وأسقمه الجوا وتوصل بهذه الأسباب حتى صار ينادمها وإذا شربت يشرب معها وهى تضحك على عجائب أحاديثه وكان أكثر ما يحدثها بحديث البطال وما جرى له فى بلاد الروم فقالت له ياأبونا قد وصل الينا هؤلاء القوم وهم مسلمين فانظر ان كانوا هم الذين تحدثنى عنهم فان كانوا هم فقد وقعوا فى أيدينا وقد بتوانى ضيق الأقفاص وما بقى لهم من هذا المكان خلاص فعند ذلك نظر الراهب اليهم ثم قال لها يا ابنتى ان هذا هو البطال وهؤلاء غلمانه فيا ابنتى هذا شيء ما ناله أحد غيرك ولكن هذا ما أعرفه ولا هذا الآخر يعنى بقوله على زحاف وأخيه حجاف ولا أدرى من هما ولولا انى أتيت اليهم وعرفتهم كانوا فى هذه الليله قد سرقوا القلعـــة وودوها إلى بلاد المسلمين فضحك البطال من كلامه وقال يا ملكه من هذا الكلام كلامه يصدق فيما يقول وأنا أقدر أقلع قلعة من تخوم الأرض وأسير بها فى الهوى هذا من تخرفه وتغير عقله فى مقاله فلا ينطلى عليكى محاله وضلاله فقالت ابنة الملك دع عنك هذه الحيل إذا صح عنك القول انك البطال فما يبعد عليك هذا المقال وهذا الراهب حدثنى عنك انك فى كل سنة تسرق مدينة القسطنطونيه مع كبرها وعظمها وتسير بها إلى ملطيه وترجع تبيعها للروم حتى صار ارمانوس يبعث اليك المال فى كل عام حتى تتركها موضعها وانه كان يقول لى انك إذا ذكرت حضرت وإذا صاح بك فى الظلام خذ واحد تاخذه وما كنت أصدق هذا حتى رأيته فى هذه الليله لمـــا صحت لك خذ هذه الجاريه فأخذتها فاصدقنى بحق نبيك محمد ما أنت البطال فقال نعم يا ملكة الزمان أنا أبو محمد البطال (قال) فعندها وثبت قائمه واخذت رأس أبو محمد وقبلتها وقالت أهلا وسهلا بك يا شاطر الزمان وفتى الفتيـان وحق الفلك المصور والدهر المقدر انى إذا كنت سمعت بفعالك وحيلك يطربنى ذلك وأقول مثل هذا ما يستاهل يموت لان الحيل ما تكون إلا من الحكمة التى فى رأس الانسان والآن فعليك مطر السماء من أكل الخبز وشرب الماء (قال الراوى) فرفع

أبو محمد رأسه اليها وفرح بقولها وفرح أبوها بفعالها ثم رسم لهم مكان ينزلون فيه وحمل اليهم كلما يحتاجون اليه ثم أقبل الملك على حجاف وقال له قول لابنتك تسمعنا شيئاً من كلامها فعندها قامت السعيده على قدميها وقالت الحمد لله الذى سطح الارضين وقد صنعها وأحكم الاقاليم وأوضعها وفجر فيها الأنهاروأنبعها ونسم الرياح وزعزعها وكون السموات ورفعها وبالشمس والقمر المنير زينها وشعشعها وأمر الافلاك بالدوران وفطر الصور وأنطقها وأنشأ الأشجار وخلقها وهو الذى خالق المخلوقات ثم يميتها ثم يحييها ثم يجمع عظامها اليها بعدما يفرقها وينادى أين شركائى الذين تمردوا فلاتكن ياهذا من الجهال ولاتكن من أهل الضلال وعد إلى عبادة الملك المتعال الذى فطرك وأحسن تصورك وأحكم تكوينك ولاينفعك أهلك ولاأقاربك فلا تغتر بشىء كان لغيرك وانتقل اليك وأعلم انه لابد ان ينتقل إلى سواك ولو كان لغيرك مقاما ماكنت أنت خلقت فى دنياك فوحق من هاداك وجعل لك السمع والبصر والحراك وحفظك فى طيات الأحشا ورعاك الذى بقدرته رباك وباذنه سمعت أذناك وبحيله سعت رجلاك ياهذا فلاتخيب مسعاك وخذ من دنياك لاخراك (قال الراوى) ولم تزل السعيده تذكر أحوال الآخره حتى تغيرلون الملك من كلامها واصفر وجهه من نثرها ونظامها وذكرها ووعظها وقال لها لقدطرحتينى فى بحر الفكر ولقد كنت خالياً من الهم والغم لأنى كنت أقول انمالى خالق يطالبنى بفعالى ولايحدى على أعمالى ولقد قاتى الساعه قول يليق بالعقل ولكن ماأدرى ماأقول فان كان ثم خالق كما قاتى فأنا أسأله ان يهدينى للصواب من أى شريعة أراد (قال الراوى) فلما كان طلوع الفجر أذن البطال وتقدم حجاف يصلى بالناس بعدما استأذن الملك فقال ماأمنعكم عما تفعلون فأنا أشتهى أنظر كيف تصنعون فتقدم حجاف واستقبل القبلة واصطفوا أصحابه من ورائه والسعيده من ورائهم من خلف الرجال وقد قرأ حجاف فى أول ركعه بعد الفاتحه لاأقسم بيوم القيامه إلى آخرها وفى الركعة الثانية والسماء والطارق إلى آخرها إلى أن وصل قوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولاناصر (قال الراوى) فتحير الملك القانون من سماع كلام الله عز وجل ووكف طرفه ودمع (قال الراوى) فبينماهم كذلك إلى طلوع الشمس وإذا بنواصى الخيل قد طلعت وانقلبت الدنيا كلها رجال وفرسان مع ملك الأطراف فأول ماعمل غار على مواشى القلعه وأخذها وكان له رستاق وضياع فقبض على من كان فيها وأرسل إلى أخيه يقول وحق المسيح اعلم ان هذه الكره ماهى مثل سائر الكرات لانه قد وصل اليك قوم مسلمين وقد أخربوا الدنيا وقد أبلوا أمة عيسى بالبلاء وفيهم الجاريه التى قتلت أولادى من أجلها لما

ان تبعوا دينها ومعها أبوها والبترك قد أسلم على أيديهم ومعها جماعة من اللصوص الذين للمسلمين والكل قد حصلوا عندك وأنا أريد ان تسلمهم إلى جميعا وحق المسيح أردعليك الذى أخذت الك من حول قلعتك وهى مائة قريه عامره وأحلف لك بالانجيل العظيم أنني أقعدك على سرير مملكتى وأحكمك فى سائر بلادى وان أبيت ذلك فوحق المسيح ما أبرح من هذا المكان حتى آخذه وأجمع كل هذه الأرض على حصارك وأبذل المال للرجال وأرمى أحجار قلعتك إلى البحر وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر وقد بالغت فى النصيحه وقدمت اليك بالاعذار والانذار وشأنك أخبر (قال الراوى) فلما وصل الكتاب إلى الملك القانون وقرأه قدام أهل مملكته وكبراء دولته وأحضر البطال وجماعته وقال لارباب دولته أنا أخبر بأخى وجبره ونيته لاننا إذا سلمنا هؤلاء اليه لابد له من محاربتنا فانه ماله قول وأنا أريد منكم الساعه والصدق وأنا اريد أقاتل أخى ولا أسلم اليه هؤلاء القوم الذين قد استجاروا بى فقالوا له أهل القلعه أيها الملك القتل الينا أحب من أن نسلم اليه واحد منهم ويركبنا العار العظيم مع اننا قد رأينا من عبادتهم وحفظهم لدينهم وتلاوتهم على مايشددنا على مراعاتهم فقال الملك القانون وأقول لكم شيئا آخر فقالوا وماهو الكلام أيها الملك فقال اعلموا ان كلام هذه الجاريه قد دخل فى قلبى وقد بان لى ان كلامها حق وقد صح عندى ذلك وان هذا القرآن الذى يتكلمون به مايقدر مخلوق يتكلم بكلمة واحدة مثله وما هو إلا كلام خالق ولعمرى أيضا انى ما كنت نصرانى حتى إذا أسلمت يصعب عليكم وأنا قد رغبت الساعة فى هذه الشريعة فقالوا أيها الملك أنت قد قلت لنا مافى خاطرك ونحن نقول لك مافى خواطرنا فلا تحرد فقال الملك لا وحق ما أعتقده قولوا مابدا لكم فقالوا نقول كلنا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله (قال) فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا شديداً وأقر عند ذلك بالشهادة وادعى عند ذلك بابنته فأسلمت ولم يبق فى القلعه إلا من أسلم ووحد الله تعالى (قال الراوى) فلما نظروا المسلمين إلى ذلك أيقنوا بالفرج وطمعوا فى النجاه فقال زحاف يا أبو محمد اعلم أن هذه الجارية قد أسلمت فاخطبها لى من أبيها فقال البطال ما بقى لى الساعة إلا الخطبة والزواج دعنا الساعة من رقاعتك فعندنا الساعه شغل أعظم من هذا أحدها أننا الساعة ما نقدر على الخلاص من ههنا وربما حصرنا هذا الملعون وضيق علينا ونحن مالنا طريق ونحن الساعة فى أمرنا حائرين وما نعرف ما يجرى علينا وأيضا فما نعرف ما جرى على الأمير عبد الوهاب وأخبار المسلمين وأنا خائف عليهم من عقبه اللعين لأنه قد خلت له منى البلاد فالله يسهل علينا بالخلاص كما أراد (ياسادة)

هذا وقد ارسل الملك القانون إلى أخيه وهو يقول صحيح أن القوم عندى ولكننى ماأسلمهم اليك ولا يمكننى أن أسلم من استجار بى ودخل تحت زمامى ولو ذهبت فى ذلك روحى ومالى وأما قولك أنك ترحل من على قلعتى حتى ترمى حجارتهـا إلى البحر فافعل أنت ما خطر لك وجهد ما تقدر عليه وأنا ما أنكر فيكم ومن الرأى عندى أنك ترجع إلى ديارك وإلا كان هلاكك على يدى بلا محالة وأنا مع ذلك قائل بقولهم وبدينهم ومذهبهم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله فان أنت تبعت قولنا لك ما لنا وعليك ما علينا ونصير كلنا لبعضنا بعض ونكون كلنا نوحد ربنا فى هذه الأرض (قال الراوى) فلما أن عادت الرسالة الى ملك الأطراف شخر ونخر وطغى وتجبر وقال لقومه ياويلكم اصعدوا اليهم فقال الرسول أيها الملك ما تحتاجون ان تطلعو اليهم فان القوم عازمون أن ينزلوا اليكم فقال ملك الأطراف يا ويلك ينزلون الينا ونحن فى عشر آلاف فقال لهم الرسول القوم كلهم قد أسلموا وقد قال لهم أبو المأسوره التى كانت عندنا انا انزل الى القوم وحدى وهم فى غداة غد ينزلون اليكم بلا محاله فيكونوا على اهبة القتال (قال الراوى) فلما ان سمع الملك ذلك تحيروبات تلك الليلة حتى اصبح الله بالصباح واذا هم بالخيل وقد تحدرت من العقبه التى للقلعة (قال الراوى) وكان الأمير حجاف قد قال للملك القانون انت ما عليك من هؤلاء القوم انا انزل اليهم وحدى واقاتلهم لعل الله تعالى يدفع عنا شرهم فقال الملك القانون وحق من هدانى الى دين الاسلام ويعلم ما كان قبل ان يكون ان كان لابد لى من النزول اليهم وأجاهد فيهم حتى يعلم الله انى مابخلت فى طاعته بروحى ولا برجالى ثم انهم نزلوا عند الصباح بعد ماصلوا صلاة الصبح ونزلوا إلى الوطاق قريب من القلعه ثم اصطفوا صفا واحداً فصعب ذلك على ملك الاطراف وقال وحق المسيح لا اتقدمت اليهم لان هذا من أكبر العار ولكن أين البطريق بترن فقام اليه بطريق مثل الفتيق من الرجال كانه نحت من الجبال فقال ماذا تريد أيها الملك فقال خذ معك ألف بطريق واخرج إلى هؤلاء القوم واتينى بهم فقال السمع والطاعه يامولاى وحق المسيح لولم تأمرنى بذلك ماكنت خرجت اليهم إلا وحدى ثم انه أخذ ألف بطريق من خيار البطارقه ومع كل واحد منهم سيف وطارقه وعده كامله وحمل طالب الأمير حجاف وهو يبربر بالروميه (قال الراوى) فلما رأى حجاف ذلك أراد ان يوقع الهيبه فى قلب ملك الأطراف فخرج إلى الألف فى عشر فوارس من جند القلعه وفى جملتهم أخوه زحاف وحمل بهم فى أسرع من الاجل وحكم الصارم فى القلل وكبر باسم الملك الاول الذى لايزول وصلى على سيد البشر ومن عليه الوحى قد نزل وعمل الصارم البتار وطلع

عليهم الغبار ودام القتال ولم يزالوا كذلك ساعة من النهار ونظر الأمير حجاف إلى ذلك البطريق وهو فى أول الخيل فعلم انه مقدم فى القوم فحمل عليه أسرع من البرق وصرخ فى جيشه ففرق جمعه وأدركه وصرخ فى وجهه فروعه وكبر وأجهر بصوته وطعن البطريق فى صميم فؤاده أرداه عن جواده ولم يرد عليه درعه ولا سواده وحمل بعده على بقية الالاف وحمت معه خيل القلعه وقد قويت هممهم بفعاله وماراأوا من عظيم قتاله ولم تكن الا ساعة واندقت بقية الخيـــل بين يدى الأمير حجاف وهى طالبه رايات ملك الأطراف وقد أشرفت بعد قتل بطريقها على التلاف (قال الراوى) لما نظر الملك إلى هذه الفعال أسودت الدنيا فى عينيه وصرخ صرخة نفرت منها الوحوش وحمل هو بنفسه على الأمير حجاف وحملت من خلفه تسعة آلاف من فرسان الاطراف وقد صاحوا والتقاهم الأمير حجاف ولم يفزع من حلول التلاف بل كبر ونادى الله أكبر الله أكبر وكبر إلى جانبه أخوه زحاف ورأى البطال إلى ذلك فحمل فى غلمانه وطلب من الله الاعانه وحمل الملك القانون فى أهل قلعته وقد اشتدت فى دين الله حميته ونادى الله أكبر وأدرك الأمير حجاف بحملته وكشف كربته فلما ان صار تحت القتال كبر وأجهر بدين الاسلام هذا وقد نظر الملك العلام إلى صدق نياتهم فأعطاهم النصر على الكفرة اللئام (قال الراوى) وكان الأمير حجاف من يوم رجعت عليه قدماه قد زاد الله تعالى فى قواه وهانت عليه دنياه وطلب لقاء الله وكان ذلك اليوم يقاتل الكفرة الدناه وهو ينادى واشوقاه إلى لقـــاه وحنقا على أعداه وكلما سمع القانون نداه يكبر من وراه ويكبروا أصحابه ورفقاه وضجت الملائكه بتوحيد الاله وصاحت عمار تلك الأرض والفلاه إلهنا ما أحلا تلاوة توحيدك يامن خضعت له الجبابرة العتاه (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الليل بظلماه وافترق الجمعان عن حومة الميدان وعادوا عن ضرب النصال ونزلوا فى الخيام وأضرموا النيران الا ان الرابحون كانوا جند الرحمن لانهم قتلوا فى ذلك اليوم من عسكر الاطراف خلق كثير ولم يبق الا القليل ولم يقتل من المسلمين إلا القليـل وقد غسلوا أوساخ ذنوبهم التى سلفت بصابون الجهاد والتمجيد (قال الراوى) هذا وملك الاطراف وقد نزل وهو فى غاية الحنق على أخاه وقد سمع نداه وأصحابه ورفقاه بتوحيد الله ونظر إلى قتالهم وصلاتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادت بغضته واشتدت عداوته فأرسل فى الحـال عشرة آلاف من الفرسان ينفرون العساكر من العشائر وسائر الجزائر حرصا منه على قتل أخيه ومن التجأ اليه من من المسلمين (قال الراوى) وكانوا المسلمين قد باتوا فرحين وزاد الملك القانون فى

الاسلام يقين فاما ان كان الغد باشر الأمير حجاف القتـــال وطلب النزال واصطفت حواليه الأبطـال الرجال وكذلك ملك الأطراف حمل فى جميع البطارقه وقلوبهم من الفزع خافقه فقاتلوا الى ان أتى الليل ولم يزل القتال سبعة أيام متواليه وفى كل يوم يقتـل من الكفار خلق كثير مايقـع عليه من عيـار حتى بقى ملك الاطراف فى ثلاثة آلاف فارس وباقى رجاله هلـكت على أيدى المسلمين ولولا حجاف يقـاتل بنفسه لـكانوا قد هلـكوا وانهزموا ولـكنه كان يصطلى الحرب بنفسه وقتل من أصحاب القلعة أيضـاً جماعة حتى بقى منهم ستمائة ألف ولـكن قد ضعت منهم الابطال والاقيال والا كانوا من أول يوم قد اصطلوا القتال وكانوا فى النهار فى المصادمه والنزل وفى الليـــل فى عبادة ذو الجلال الملك المتعال فاما ان كان فى اليوم الثـامن قال حجاف أراكم قد ذهب منـكم قريب نصفـكم وعلى هذا الحســاب تفنوا كلـكم فقالوا أيها الأمير هذا من الملك فقال حجاف لقـد صدقتم لانى كل يوم ألقاه وأفزع لئـلا يبلغ فى القتـال مراده وقد عولت ان أجعله اليوم مبارزى لعلى ان أظفر به وأنا أعلم انما يقوم للعسكر بعده قائمه ثم ان الأمير حجاف خرج على جواد وكان جواد يحاكى الليـل فى السواد يصلح ليوم الطراد له غرة وتحجيل وهو بين الخيول يثيل له غرة كالقنديل وفرة كالمنديل وعليه درع قصير الاكمام صنعة داود النبى عليه السلام لايعمل فيه القضيا والاحكام ولاتخرقه السهام متقلد بسيف أخضر مقيل أبتر وعلى رأسه بيضه عاديه مليحة مجاليه من عمل عاد لاتعمل فيها السيوف الحداد ولاالرماح المداد كانها منقورة من الحجر الجامد وهى حصن للجسد وفى يده رمح طويل الانابيب مليح التـكعيب أصم البنيان ماضى السنان كانه لسان ثعبان لايسقى الا من أدمية الاكباد ولايرى حتى يجوز الى الفؤاد ثم انه ظهر بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى يا كلاب النصرانية واخس من فى غمس ماء المعموديه أنا حجاف النميرى أبو المـأسوره الذى قد خلصتها من عندكم يخون الله تعالى وها أنا قد خرجت الى الجهاد وأطلب لقاء الاعادى الاوغاد هل من مبارز يعرج الى مقام الهزاهز ثم انه جال وصال وتذكـر الاوطان والاطلال وبكى على الاهل والعيـــال وأنشد وقال:

ألا أيها الـكفار هل من مبارز	يقابلنى فى حومة الـكر والفر
لحا الله عبـــداً لايطيع لربه	ويختـار دين الحق حقا على الـكفر
دخلت بلاد الروم من أجـل طفلة	فزعت عليهـا أن تخـلد فى الأسر
وطفت عليها فى الجـــزائر كلها	فأمسى على بر وأصـــبح فى بحر

وجاوزت رهبان الصوامع بعدما ... لقيت من الأهوال ما قصم الظهر
وجئنا بعون الله فى وسط ديرهم ... وفيه قسوس قد حلفن على الكفر
وقام لهم شيخ ليخطب خطبة ... فبادر بالأشراك للصمد الوتر
فأصبح مغلول اللسان ولم يجد ... سبيلا إلى ذكر الذى كان فى الدهر
وقال لهم لا تعجبون لقصتى ... وصمت لسانى وابسطوا كلكم عذرى
فإن حديثى كله من عجائب ... له سبب ما مثله حاك فى صدرى
تأملت فى الإنجيل ان محمداً ... له آية فى حفظها يحكم الذكر
إذا حضر الإنسان منهم وقلبه ... ملآن من القرآن فهو روى صدرى
فلا يقدر المطران منا بحرفه ... يكون مسيحاً فى المقالة والذكر
وهذا بيان الحق قد صح قوله ... وإنى وبيت الله أبرأ من كفرى
وصاح بحق الطاهر الطهر أحمد ... يقوم الذى قد حضر بالذكر فى الصدر
فقمت سريعاً من غرامى بأحمد ... نبى الهدى خير الورى الطاهر الطهر
وأسلم إسلاما صدوقا لربه ... وعاد إلى دين الحقيقة والنصر
وقد حبسونا وسط برج مشيد ... ومن علينا الله بالنجح فى الأمر
وسرنا إلى القانون والسيد الذى ... هداه إله الحق بالوعظ والزجر
وأسلم من فى قلعة النجم كلهم ... وقد عاونونا فى الصلاة إلى الفجر
وصبحنا كلب النصارى بجيشه ... وهددنا بالفول والعجب والفخر
ولا فخر إلا للذين تراهم ... قيام سجود فى المحاريب للذكر
نزلنا اليهم مرة ليس مثلها ... تركناهم صرعى على مهمه القفر
وكانوا عشر آلاف صاروا ثلاثة ... وقد حكمت فيهم صوارمنا البتر

(قال الراوى) ولما تم الأمير حجاف هذا المقال جال على جواده وصال فخرج اليه بطاريق من بطارقة الملك ملك الأطراف فكان اسمه توما فارس الأطراف فحمل على الأمير حجاف فأخذا فى المصادمة والأتراف والمخادعة والأعراف حتى غابا تحت الغبار من شدة الانعطاف وكلت منهما المناكب والأكتاف وحنق على البطريق الأمير حجاف وضايقه وصاح به وضربه ضربة على أسم محمد بن عبد الله بن عبد مناف فطير رأسه إلى عسكر الأطراف ووقع جسده إلى الأرض عفير وعجل الله بروحه إلى النار فكبر الموحدون وانخذل المشركون وبكى ملك الأطراف على البطريق توما وقال وحق المسيح ما لهذا البدوى غيرى لأنه قد فتك فى عسكرى ثم أن الملك خرج على جواد

فسيح الخطا وعليه درع مليح وبيده قنار به خلنجيه عليها سنان لامع سقاية الأفرنج كان لسانه لسان حيه الصادى وقبس على وادى ولما أن نظر الملك القانون إلى أخيه وقد خرج الى الأمير حجاف بكى وتململ فقال البطال وما الذى أبكاك لا أبكى الله عيناك ولا كان من يشناك فقال والله ما بكائى إلا على العبد الصالح حجاف لأن أخى جبار من من الجبابرة وهو يزيد مثل توما أضعاف لأن ما ولدت النساء مثله فى الحرب وأنا أريد أفدى الأمير بنفسى ولا أكون قد أسلمت على يديه وأبصره فى يد الأعداء وأنا فى قيد الحياة لا كان ذلك أبداً فعندها حلف القانون على الأمير حجاف أن يرجع فرجع وحمل هو على أخوه (قال الراوى) فلما نظر ملك الأطراف إلى أخيه وقد حمل عليه فرح فرحا شديداً وقال أنا إن أخذته أسير أخذت كل من عنده من المسلمين ولا أسلمه حتى يسلم إلى القلعة ثم حمل عليه القانون وقد سمى باسم من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون ولا يخشى ريب المنون وهو الذى يقول للشيء كن فيكون هذا وقد علاهما الغبـــار وغابا عن الأبصار ولم تكن الا ساعة حتى تقابضا بالسواعد على الجوادين فصاح ملك الأطراف بأخيه صيحة اهتزت لها الدنيا بحيله وقوته أخذه من سرجه ورجع به إلى عسكره وهو يقول يا مطرود عن باب المسيح أمكن منك المسيح وما بقيت تخرج من يدى الا بكل من عندك من الأسارى وبالقلعة التى احتميت فيها فقال القانون افعل ما شئت فما بقى لى فى الدنيا حاجة لأننى قد آمنت بالله تعالى ورسوله سيد الانبياء وتاج الأصفياء والثانى أننى ما سلمت من استجار بى حتى بان عذرى وقاتلت دونهم بروحى ووقعت فى يد عدوى (قال) فسلم أخيه الى غلمانه وعاد الى الميدان يطلب الامير حجاف (ياساده) وكان قد صعب عليه أخذ الملك القانون فوق بيـــد على يد فلما أن نظر الى ملك الاطراف قد عاد إلى الميدان حمل عليه بقلب وأخذا فى المجاولة والطعان بضرب يشيب رؤوس الولدان والاطفال ولم يزالا فى جهد جهيد وقتال عنيد حتى ذهب النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار وافترق كل واحد منهما عن صاحبه (يا ساده) هذا وقد أقبل حجاف على البطال يشكو ما لاقاه من قوة الملك وجلده وهو يقول يا أبا محمد وحق محمد ما كأن هذا الشيطان فى الشدة والباس إلا كرنفاس وربما كان هذا أشجع منه وأثبت فى المراس وهو جبار عنيد فالله تعالى يعيننى على قتاله حتى أخلص أخوه من يده والله لقد شق على أسره لانه قد فدانى بنفسه (قال الراوى) فلما أن اختلط الظلام نزلت اليهم ابنة القانون من القلعة وقد سمعت بأسر أبيها فنزلت اليهم وهى باكية العين وهى تقول لاتتخلوا عن أبى فإنه ما وقع فى أيدى الاعداء الا بسببكم

ولو كان غير عمى قد خرج الى القتال كنت أنا قد خرجت الى قتاله ولكن عمى هذا ما لأحد به طاقه ولا فى الديار من يقوم مقامه (قال الراوى) فلما أن نظر اليها زحاف وهى تتشرق بالدموع وأبصر وجهها وقد أضاء طاش عقله والتهب فؤاده فقال أيتها الملكة طيبي نفساً وقرى عيناً فما يصبح الصباح الا وأبوكى عندك ثم بات هو والبطال متفكرين فى خلاصه فلما كان ثلث الليل طلبوا زحاف فلم يروه إلا وقت السحر واذا به وقد أقبل والقانون على أكتافه وهو يعدو به كأنه الحصان فى شدة الجريان فقام اليه البطال وقال أنت زحاف فقال نعم وقد خلصت الملك القانون فقال لله درك وجبت لك الكرامة (يا سادة) هذا وقد قامت الملكه الى أبيها وعانقته وعادت الى زحاف تشكره فقال لها أنا عبدك وما أشتهى أن أبرح من عندكى (قال) فضحكت من كلامه ولم تعلم ما معناه (قال الراوى) فلما كان عند الصباح افتقد ملك الاطراف أخوه فوجده قد عدم وقد ذبحت البطارقة الموكلين به فصلب الملك على وجهه فخاف على نفسه من السرقة وقال هؤلاء ما نقدر نحترز منهم ثم ركب وأمر عسكره بالركوب وأراد أن يزحف وإذا بالغبار قد ارتفع الى العنان وانكشف عن عشرين الف فارس من بطارقة الاطراف كلهم بالحديد بالزرد النضيد معتقلين بالقنطاريات فلما أن نظر الامير حجاف الى ذلك فأيقن هو ومن معه بالهلاك وكانوا ركبوا يطلبوا الحرب والقتال وقد بقى منهم أربعمائة فارس الا أنهم قد حلى لهم التوحيد فى دين الملك المتعال وعادوا الى الله على كل حال وصبروا على الحرب والقتال ولما أشرفت تلك العساكر حملت تطلب الغبار الثائر وكفروا بالرحمن وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان فلما نظر الامير حجاف الى ذلك أقبل على أصحابه وقال لهم اعلموا أن هذا العسكر كثير ونحن لابد لنا من الحملة عليهم ونحمل حملة رجل واحد ونروى الاسنة من قلوب الكفار ونفوز بالشهادة ونرزق السعادة فقال الملك القانون افعل ما تريد ولكن الرأى أننا نقف مواضعنا إلى أن يصبح الله بالصباح ونقاتل القوم ساعة من النهار ويفعل الله بيننا وبينهم ما يريد ويختار فقال البطال الرأى عندى أننا نصعد إلى القلعة ونصير على ضيق الحصار ثم نجاهد الكفار فان المكان حصين لا سبيل لأحد عليه ولا يقدروا أن يصلوا إليه وما عندى رأى أوفق من هذا إلى أن يسهل الله تعالى لنا بالخلاص ونسير من ههنا فى المراكب إلى جزيرة روبيس ونتوصل منها إلى بلاد الإسلام فقد والله طالت غيبتنا وما ندرى ما قد جرى بعدنا من حديث الثغور فقال القانون هذا هو الصواب وأن نحن قاتلناهم فلا نأمن أيضاً من قوى أن يهلكون وأنتم ترجعوا إلى بلادكم ولا يكون

وأبقى أنا وحدى فى هذا المكان فى وسط بلاد الكفار ولا يكون عندى من يمسك هذه القلعة فيكون ذلك سبباً لهلاكى فقال الأمير حجاف وكانك تقيم بعدنا بل أخرج معنا إلى بلاد الإسلام أحب إليك من المقام فى بلاد الكفرة التى لا يسمع فيها إقامة أذان ولا من يصلى على سيدنا محمد ولد عدنان فكيف يكون حالك يوم العرض على الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن فقال زحاف وإذا كنت عزمت على ذلك وطابت نيتك فخذ معك ابنتك حتى أتولى أنا تعليمها للصلاة وأتكفلها فى جميع الأمور حتى تصير فى الأدب ماهره وفى خطوط الأقلام والحساب شاطره فضحك البطال وقال كل عين تبكى شجوها زحاف فى وادى ونحن فى وادى ثم أقبل على الملك القانون وقال له أيها الملك ما لنا سبب من عندك إلا فى البحر فقال الملك الساعة لو طاب الريح أخرجتكم من باب القلعة واعلم أن لى باب إلى البحر مبنى بالرخام وعندى عشر مراكب جياد فقال البطال هذا هو المراد على أقبل على حجاف وقال له ماذا ترى فقال أقسم بالله لابد لى أن أحمل على هؤلاء القوم حملة واحدة أعين بها دين الاسلام فقال البطل إذا كان ولا بد لك فافعل ما تريد فيها نحن مقيمين من أجلك وباتوا على ذلك وكان ملك الأطراف قد فرح بقدومهم وكان كما ذكرنا عسكر كثير ولم يزالوا ينزلوا حتى أمس المساء وجلس الملك على سريره وأرباب الدولة حواليه وكان هذا الذى قدم مقدم العساكر يقال له مرتورس وكان كأنه الجن له عينان مشقوقتان ووجه طويل بأكتاف عراض وكانت أهل هذه الديار كلها تضرب به المثل لقوته وشجاعته وأنه لما دعاه الملك حضر وقلبه ملآن من الغيظ والحرد وقال لملك الأطراف أيها الملك لا تقول هذا المقال فان فيهم رجال قد خلقوا من الموت والتلاف وحق المسيح لاشربت إلا دمه ولا أكلت إلا لحمه فى هذه الساعة الذى آخذه فيها ولا أتركه ينجو ولا يسلم ولو دخل تحت الأرض السابعة أو أطلع إلى السماء الرابعة ولا بد لى أن أطبخه وآكله فعند ذلك دعا له ملك الأطراف وشكره على ذلك وقال له أنت سيفى الذى أسطو به على الأعداء ثم بات تلك الليلة إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح وارتفع من القوم الصياح وجردت الصفاح هذا وقد ركب حجاف وركبت وجوه الرجال الذين أمنوا من أهل القلعة والملك القانون والبطال وغلمانه وسائر الرجال وكان أول من خرج إلى الميدان يطلب الحرب والقتال كان مرتورس يقول لملك الأطراف أترك اليوم القتال أنت ورفقاءك وقفوا تفرجوا علينا وما يجره من القتال والحرب والنزال ثم أنه أمر ألف من القوم الذين قدموا معه أن تحمل فحملت وقالت أريد أنظر إلى قتال

المسلمين قبل حملتي عليهم هذا والأمير حجاف قد التقى الألف وأصحابه وصدمهم بطعناته وضرباته وقد عظم فى أعين الكفرة بوثباته وضرباته وقد عظم عليهم ودارت طاحون الحرب واشتد الطعن والضرب وأدهشوا المسلمين والكافرين بكثرة التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وأذاقوهم طعناً أحر من نار السعير وجرت عليهم المقادير وذهل منهم البطل النحرير ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى انهزمت عصابة الكفار ونصر الله تعالى أمة محمد المختار الموحدين للملك الجبار وطلبت الكفار الفرار والطعن فى ظهورهم مثل شعل النار وما وصلوا إلى أصحابهم حتى هلك أكثرهم فلما نظر مرتورس الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وحمل من شدة ما جرى عليه وحملت الروم بأسرها وقد أعلنت بكلمة كفرها وثبتت لهم الأمة المسلمة لحسن صبرها وباعت أنفسها لربها وأجادت طعنها وضربها وأشد من المعركة كربها وعمل سنانها وعضبها وطلبت النفوس من حياض الموت هربها وبذل الأمير حجاف غاية المجهود وأكثر من اسم الخالق المعبود هذا وقد اندفعوا المسلمين الى ذيل الجبل واشتد عليهم العمل ودار البلاء عليهم من كل جانب وكثر الصياح وفر الجبان وراح الى أن وصلوا الى العقبة وقد أيقنوا بالغلبة فدافعوا عن أنفسهم مدافعة حتى أمسى المساء هذا والأمير حجاف يقاتل ويناضل كأنه الأسد الكاسر وقد قتل أكثر أصحابه تحت الخيل وحل بهم البلاء والويل ورجعوا الروم عنهم وهم يتحدثون فى صبرهم وقتالهم وكان أكثر وصفهم فى الأمير حجاف وكم قد قتل منهم فقال الملك لمرتورس المقدم ذكره يا قوم أنا وحق المسيح اليوم طلبته جهودى فما قدرت أن أصل اليه لأن العسكر كثير وما عرفته وفى غدات أخرج اليه وأجرب روحى معه لأن فى نيتى أخرج الى بلادهم وأملكها وأقتل أبطالهم وأهلكها وأفتح بسيفى شيء أذكر به بين عباد المسيح من بعدى فقال ملك الأطراف لا كلام حتى نفرغ من حجاف فقال مرتورس أنا فى غداة غد أخرج اليه وأفرغ منه ومن عسكره فى فرض ساعة وآخذه اذا نزلوا غدا ما يرجعوا به فهذا أجرى للروم (أما ما كان) من أمر حجاف وأصحابه المسلمين المؤمنين الموحدين فانهم باتوا يشتورون فيما يفعلون والقانون يقول لحجاف ما كان الصواب فقالوا نا لهذا الخلق العظيم فقال حجاف أحق محمد المصطفى ما تولى عنهم الأدباء وتحضر أنفسهم حتى نبذل المجهود ونرضى بأفعالنا الملك المعبود وأن نحن ولينا لوجوهنا عن الكفار استحقينا عذاب النار فان بأن تروننا غدا فأنا أتولى الحرب ولا أحوجكم الى طعن ولا ضرب فلما سمع البطال ذلك رآه صواب وقال هذه نوبة ان لم يفصلها والا ما تنفصل أبدا ويطول بنا المطال ثم أن البطال

أخذ غلمانه وولده وودع أصحابه وسار فى ظلام الليل حتى اختلطوا بعساكر الروم وقد صعب ذلك على الملك القانون وقال والله لقد مضى يخاطر بنفسه فالله تعالى يستر عليه (يا سادة) ولم يزل الأمر على ذلك الا أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ثم نارت عساكو الروم تطلب الحرب والكفاح فكان اول من برز البطريق المقدم ذكره وتقدم بين يدى أصحابه يطلب البراز وهو يقول وحق المسيح انى أريد أنصفكم ولا اتعدى عايكم ولا أظلمكم أبرروا فارس لفارس حتى تشهد الابطال بما ترى من القتال ثم نادى يامسلمين أين فارسكم المعروف وبطلكم الموصوف حجاف أخرجوه إلى من طلب الانصاف فأنا صاحب هذه العساكر الكثيرة التى قد وصلت إلى هذا المكان ونصف هذه الارض لى وبحكمى وتحت طاعتى وأنا ما برزت إلا حتى أوريكم طرفا من شجاعتى وإلا لو أردت هلاككم أمرت هذه البطارقة بالحملة عليكم لكانوا أفنوكم وتكاثروا عليكم وكنا نصعد خلفكم إلى الجبل ونسقيكم شراب الاجل (قال الرواى) فلما أن سمعوا المسلمين ذلك قال الملك القانون للأمير حجاف أيها الامير اصعدوا بنا إلى هذا الشيطان فهو فارس العصر ونتيجة الدهر والأطفال فى المهود تخافه ونحن فما بقينا نقدر نلتقيهم فقال حجاف معاذ الله أن أدعى إلى الجهاد وأقعد عنه أبدا ثم أنه انحدر من ذروة الجيل وهو بالحداد مسربل وللحروب قد احتفل فلما أن صار فى الوطاه دق الجواد وصار فى مقام الطراد وصال على البطريق وأنشد وقال

إنى أنا حجاف ليث الحرب ... أبيدكم فى معمات الكرب
أنصر دين الحق دين ربى ... وخير دين العجم بعد العرب

(قال الراوى) وحمل بعضهما على بعض وأخذا فى الابرام والنقض وأوسعا فى الكر والفر والهزل والجد والبعد والجهد والوصل والردحتى علا الغبار وأظلم النهار وقد حاز القتال بينهما الجد وحمى الهجير واشتد هذا وقد اختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة حجاف فوقع السيف على صدر البطريق أعظم من حجر المنجنيق فطلع الذباب من ظهره فوقع إلى الارض يخور فى دمه ويضطرب فى غمدة وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وكبر الأمير حجاف وأجابوه أصحابه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وجال الأمير حجاف وطلب البراز هذا وقد صلبت الروم على وجهها لانهم كانوا يقولون إنما فى الدنيا مثل صاحبهم فلما أن قتله حجاف عظم فى أعينهم وقالوا لقد هدمنا هذا الشيطان ركن عظيم هذا وحجاف قد طلب البراز فما جسر أحد يخرج اليه إلا ولد البطريق الذى قتله وكان شديد البأس قوى المراس معروف بالشجاعة والشوم واللعنة

أعظم من أبيه هذا وحجاف لم يمهله أن ينظر العنان بل استقبله بالطعنة بين ثدييه أطلع السنان من بين كتفيه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار والتحق بأبيه مع جملة الكفار وقد استحق عذاب النار من الملك الجبار مكون الليل عن النهار ونظروا الروم إلى ذلك فزاد غيظهم وحنقهم وقالوا مالنا كلنا إلا الحملة عليهم وإلا فما نصل اليه فلما سمع ملك الأطراف ذلك غضب غضبا شديدا وانقلبت عيناه فى أم رأسه وقال لهم ياويلكم ماتريدوا عار أكثر من هذا إن تكونوا ثلاثين ألف عنان من عباد الصلبان تعجزوا عن شيخ مؤمن وحملت بجمعها وهذا عار عظيم الى الأبد ثم قال بل أبرزوا اليه وارفعوا هذه الذلة عنكم فقالوا أيها الملك من اشتهى العار لنفسه يكون رأسه قد طار ودمه قد فار وفرسه قد غار هذا نعم هو العار ونحن مالنا بقول الناس بل نحمل عليه كلنا ونأخذه على رؤس أسنتنا ونملكه اذا حملنا عليه بجمعنا وأنت تعلم أن مافى الدنيا أشد منك بأسا ولا أقوى مراسا وقد عجزت (قال) فعند ذلك زاد حنق الملك واشتد غيظه وصاح بجواده نخرج من تحته مثل البرق الخاطف وصمم على الأمير حجاف وصاح وزعق وقد ارتفعت الضجة من الروم لحملته وصاحوا المسلمين بالأمير حجاف خذ حذرك أيها الأمير من أخو الملك القانون بان ظفرت به تفرقوا الكل فعندها التقاه الأمير حجاف وأشار بقوله

اليوم يوم الضرب بالأسياف	فى موقف الهلاك والتلاف
هذا اللعين صاحب الأطراف	قد برز اليوم الى حجاف
وعاد من ظلم الى الانصاف	سوف أجاوبه جواب شافى

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا بالصفاح وبذلا الأرواح واشتد بينهما الطراد ودام الجلاد وطلع عليهم الغبار الى أن ملأ الأقطار ولم يزالا كذلك حتى مضى أكثر النهار ثم تقاضيا على الرجلين وتعاركا على الجوادين (قال الراوى) فلما زاد بحجاف الضجر زعق وكبر وصلى على سيد البشر وجذب الملك من سرجه وقد تحير أخذ الأسد الغضنفر ونظرت الروم الى هذه القضيه فأخذتهم الحمية وقال بعضهم لبعض ياويلكم هذا هو العار العظيم والذل المقيم أن شيخ من شيوخ المسلمين أقام بقتالنا وأخذ ملكنا وأفنى رجالنا وقتل بطارقتنا ياويلكم احملوا عليه وكاثروه (قال) فحملوا عن بكرة أبيهم وصاحوا إلى المسيح بن مريم وصاح أيضا الملك بمن بقى من رجاله وحمل فى أهل قلعته وأبطاله إلا أن الأعداء فى ثلاثين الف وقد ادركوا الأمير

حجاف وما كانت إلا طرفة عين حتى عرقبوا جواده وكان قد مل من القتال ووقع إلى الأرض فأخذوه وخلصوا منه الملك الذى لهم وأخذوه أسير وقتلوا جماعة من أصحاب القانون وما أمسى الليل إلا وبقى منهم اليسير فعادوا وقد انكسرت قلوبهم ثم طلعوا إلى قلعتهم الا زحاف أخو الأمير حجاف فإنه قال أنا ما أطلع الى القلعه وأخلى أخى فى ايدى الاعداء ولا أفعل ذلك ابداً فقال الملك القانون يا أخى أنت تعلم ان ما بقى لنا الى القتال من طاقه وما فى الأمر إلا أننا نصعد إلى القلعه فلما قال زحاف ما قال على أخيه حجاف فقال الملك القانون الصواب ما قلت وما فى الأمر غير ذلك حتى يقضى الله ما هو قاض فقال زحاف أيها الملك انتم ما بقى عليكم لوم لأنكم قد أشرفتم على التلاف من عساكر الأطراف فعند ذلك طلعوا القوم الى القلعه وبقى زحاف مختفى الى نصف الليل وقرب طلوع نجم سهيل فسار يطلب عساكر الروم وكان الملك الذى قد حصل حجاف فى قبضته وقد عول على هلاكه عند الصباح مما قاسى منه عند الكفاح فقال له كبار البطارقة من خواصه وأرباب دولته بل اقتله فى هذه الساعه واطرحه فى النار حتى يستوى وتأكل لحمه وتكسر عظمه وإلا فما تبرد قلوبنا فقال لهم الملك هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنه أمر باحضار الأمير حجاف فسحبوه إلى بين يديه وما فيهم إلا من يلطمه هذا وزحاف أخوه قد وصل فى تلك الساعة فرأى حال أخيه والعذاب الذى هو فيه فضاق صدره وبقى برا السرادق حائر فى أمره وهو لا يقدران يتكلم فسكوه وإذا هو ببطريق قد دخل مليح الصورة أبيض الوجه أسود الشعر كثير اللحية فلما وصل إلى قدام الملك صاح بالملك وقال إيش هذا الرأى الذى ليس بصواب ولم تسمع من هؤلاء الأوباش الكلاب أيها الملك أنا الرأى عندى أن لا تقتله حتى يصبح الصباح وتصعد به إلى باب القلعة مادام المسلمين قد تحصنوا وما بقى فيهم من يقدر على النزول وتقول وحق المسيح إن لم تسلموا إلينا القلعة وكل من فيها وإلا ضربت رقبته فأنا أعلم أن أصحابه يسلمون القلعة إليك ولو كانت بلد القسطنطونية ولا يخافون من القانون ولا يدرون أهو عاقل أم مجنون وإن أردت تقول سلموا إلى القلعة وخذوا صاحبكم ولكم الأمان على نفوسكم فهم يسلمون إليك ما أردت فلما سمع الملك ذلك قال هذا هو الصواب ثم فرق البطارقة وقال هذا يكون عندى فى السرادق حتى لا يسرق فقال له البطريق المتكلم صدقت يا ملك وأنا أحفظه مع أخوتى حتى تنام (قال الراوى) وكان هذا المتكلم أبو محمد البطال وغلمانه فسلمه الملك إليهم وجلس ساعة يشرب حتى غاب عليه السكر والنوم وذهب أكثر الليل وقد قرب وقت

السحر وقد خمدت النيران ونام الملك فعندها وثب الأمير أبو محمد البطال وأول ما عمل ذبح الملك من أذنه إلى أذنه ثم ذبح عشرين بطريق كانوا فى السرادق وأخذ حجاف وخرج فوجد أخوه زحاف قد ذبح عشرين أخر من السرادق فعجب أبو محمد من فعله وقال له لقد فرجت عنى كربى ثم انهم صاروا طالبين باب القلعة فما وصلوا إلى بابها إلا وقد انفجر الصباح هذا وأهل القلعة لايعلمون ما الخبر فوصلوا هؤلاء إلى بابها وصاحوا وكبروا وعلم القانون بذلك ففتح لهم الباب وأدخلهم ولما حصلوا فيها وأمنوا على نفوسهم حدثوا القانون بما فعلوا ففرح فرحاً شديداً وقال الساعة بعد هذا ما بقى لنا مقام فقال البطال صدقت افتح لنا باب السر الى الميناء فقال الملك السمع والطاعة ثم أنه أنزلهم الى اسفل العقبة التى للقلعه من الجانب الآخر وفتح لهم الباب فرأوا البحر يتلاطم بالأمواج والمركب على ظهره مستعدة للشغل فلما رأوا ذلك أيقنوا بالخلاص الى بلاد المسلمين ثم نزلوا وأقلعوا فى المراكب وخلوا بيوت القلعة تصفر إلا من كان فى قلبه محبة لدين النصرانية فانه أقام وساروا هؤلاء فى البحر وشوقهم قد طال الى المنازل والأطلال ولم يزالوا سائرين وهم لربهم ذاكرين والرياح تساعدهم بأمر الملك الفتاح ثلاثون نهار فلما كان اليوم الحادى والثلاثين أشرفوا على جزيرة روبيس فرأوا الصياح عالى والضجيج مرتفع وحولها ألف مركب والقتال يعمل وكان هذا الملك أرمانوس محاصرها وله عليها مدة طويلة والقوم قد أشرفوا على الأخذ وكان السبب فى ذلك أن شومدرس لما هرب من الأمير أبو محمد ووصل إلى القسطنطونية حدث الملك بما جرى فى الجزيرة فصعب ذلك على الملك وقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح إن تم هذا على النصرانية لا كان لهم عيش هنىء لأن هذه الجزيرة أجود المواضع وفيها هؤلاء الشياطين والساعة يقطعون الطريق على مراكب الروم ويكدررن على أهل القسطنطونية عيشهم وربما ساروا إليها من بلاد المسلمين رجال ويقولوا وما لنا إلا أن نحاصرهم وهذا كله من الشيخ النجيح لأنه فتح للنصرانية باب جاء عليهم لا لهم فقال شومدرس لا تفعل هذا ولا تقول هذا أيها الملك فيغضب عليه المسيح لأنه حجته وعقبة ما عمل هذا العمل إلا وهو فى أرض اليمن هارب من خليفة المسلمين خائف على نفسه من الطلب وهو يدبر مصالح أمة عيسى ولولا البطال وغلمانه فى الحبوس وأنت ملك الروم ما قدرت عليه وعقبة الذى أرسل أمرنى أن أسير إلى هذه الجزيرة حتى أقتل البطال ويكون الأمر مكتوم عنك وعن المسلمين لأنك صرت تتوانا فى حقه وما يستاهل منك ذلك لأنه عينك على بلاد المسلمين ولولاه ما كنت تقدر عليه ولا تطلع على الأسرار وما يهتك

ستر عقبة عند المسلمين الاتوانيك والساعة فقد كان الذى كان وهذه الجزيرة فلا بد من فتحها ما داموا المسلمين فى غفلة عنها فلا تغتر عنها بالقتال فسار الملك أرمانوس بتلك المراكب ونزل عليها ودام القتال على الجزيرة هذه المدة الطويلة والملك مرحب صابر على القتال هو وقومه المسلمين الأبرار وقد رأى الهول المهول وهو يقول لمن عنده من أصحابه وجنده اعلموا أننا كنا غرقا فى بحر الضلالة نأكل رزق الله تعالى ونعبد غيره والساعة فقد عرفناه وما لنا شىء يسلمنا إلا الجهاد فى سبيل الله فقاتلوا قتال من ترك الدنيا وراء ظهره والآخرة نصب عينه فقالوا أيها الملك نقاتل إلى أن يمن الله علينا بالنصر لأن هذه الجزيرة التى نحن فيها حصينه وما عليها قتال إلا من جهة واحدة فقال يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (قال الراوى) هذا وقد أرسل اليهم الملك أرمانوس يقول لهم سلموا الينا أبو محمد البطال وغلمانه الأندال حتى أعفو عنكم أن رجعتم عن هذا الدين ودخلتم فى دينكم القديم ولا تغتروا بهذا الفســاد وعودوا الى دين آبائكم والأجداد والا وحق المسيح تركتكم مثلا للنصرانية كما أنزل عليكم من البليه (قال الراوى) فلما سمعوا هذه الرسالة ردوا عليه بأقبح رد وقالوا معلوم أن الشيطان كان لعب بعقولنا وعقول آبائنا حتى عبدنا الصلبان وردنا الله الى دين التوحيد والايمان وهو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ونحن كلنا اليوم نشهد أن لا اله الا الله ونشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قولك تسلمون الى البطال وغلمانه فوحق من وحدناه وعبدناه وآمنا برسوله وصدقناه ما هو عندنا ولو كان عندنا ما سلمناه وكان قد دبر أمرنا ودفعكم عنا وانما أخذه الشيخ حجاف الذى رد الله عليه رجليه بعد ما كانت مقطوعات كل ذلك حتى فتح الله تعالى الأقفال التى كانت على قلوبنا من لطفه ورحمته لنا والبطال وحجاف قد ساروا إلى طلب السعيدة وما بقى فى هذه الجزيرة غيرنا فان رجعت عنا والا فدونك وما تريد فوالله ما نحن منزعجين منك ولا من عسكرك فان الله المستعان وعليه التكلان مع ما أننا فى مكان حصين وموضع أمين ولا نخاف الا من رب العالمين القادر علينا وعلى الخلق أجمعين (قال الراوى) فلما أن سمع مرطاووس ذلك اشتد غضبه عليهم وزحف اليهم فى الحال ووقع بينهم القتال فقتل من أصحاب ارمانوس ما لا يحصى بعدد الرمل وما عدم من المسلمين الا نفر قليل الا انهم قد غسلوا الأوساخ التى كانت عليهم من ايام كفرهم بصابون صدقهم وظهر الصبر عليهم من الله تعالى واقام الملك ارمانوس على حصارهم اربع شهور حتى ضجر من المقام فى المكان وقال لأرباب دولته كيف نعمل قد طال مقامنا ههنا ونريد نبلغ منهم الغرض قبــل ان يشيع عنهم

الأخبار إلى بلاد المسلمين قال شومدرس معلوم أيها الملك أن المكان حصين إلى الغاية وما لك إلا أن تخرج إليهم وترميهم بكل قارورة نفط فى الخزائن ودع يفرغ الكل لأن بلوغ الآمال ما تغلو بفروغ الأموال (قال الراوى) فعندها قبل الملك رأيه وأرسل إلى القسطنطونية وحمل إليه كل ما فيها من النفط فلما وصل إليه زحف إلى الجزيرة فأحرقها كلها وأشرف أهلها على الهلاك وصبروا على قضاء الله صبر الصادقين كما أخبر عنهم رب العالمين قال عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (قال الراوى) وفى تلك الساعة التى أشرفوا فيها على الهلاك أقبلت مراكب البطال وفيها غلمانه وجماعة من الرجال الذين أسلموا فى القلعة وتركوا الضلال فلما نظر أرمانوس إلى المراكب ظنها نجدة جاءته مع بعض الناس فأقبل على شومدرس وقال له يا أبونا اذهب فى حراقه وانظر إلى هؤلاء من أين أتوا وعلى ماذا قدموا فقام شومدرس من وقته ونزل فى حراقة لطيفة وسار حتى وصـــل إلى المركب والتصق بهم وقال من أين أنتم فقالوا من جزيرة الأطراف وهذا الملك القانون الأكبر معنا وقد عزم على الحج إلى بيت المقدس ونزور كنيســـة سوفيا وقد عزمنا على ذلك فما هذه المراكب التى نراها فقال شومدرس هذه مراكب الملك أرمانوس وهو يحاصر لهذه الجزيرة لأن أصحـــابها قد أسلموا وخالفوا دين النصرانية وقد طال مقامنا عليها إلى الآن وقد أنعم عليه المسيح بالنصر يأخذها اليوم أوغد لأن الذى فيها قد احترقوا أكثرهم بالنار فقال الأمير أبو محمد وهو فى زى الروم ورجال القانون وحرك لســـانه بكلام الرهبان الرومية أهل الأطراف وقال أيهـــا الشيخ نحن ماعلينا من هذا الحديث نحن نريد الذى ذكرناه لك من الزياره وانما كنا معولين على قصد الملك ارمانوس لنخدمه ونزوره وقد أتت معنا هديه سنيه توصلها اليه حتى يوصى علينا الى ان نصل إلى بلادالشام وتوصلنا عنايته إلى بيت المقدس وقمامه من غيرأن يتعرض لنا أحد من المسلمين ونحن ماخرجنا من بلادنا إلا فى طلب الحج وظننا ان بينكم وبين المسلمين الصلح حتى نسير نحن فى الامن إلى بيعة قمامه فقد انقطعت ظهورنا وتحيرنا كما رأينا كم محاصرين لهؤلاء المسلمين ونريد من فضلك أن ترجع إلى الملك وتسلم عليه وتعلمه بأمرنا حتى انه يخلى قتال هذه الجزيرة ولاتتعرض لهم حتى نحج ونرجع وبعد هذا يفعل فى بلاده مايريد فقال شومدرس هاأناعائد إلى الملك ارمانوس ثم انه عاد إلى الملك وأعلمه بالخبر وقص عليه جلية الأثر فعجب من ذلك وقال لارباب دولته كفوا اليوم عن القتال واستعدوا إلى لقاء هذا الملك الكبير أخو ملك الاطراف لانهم ملوك قدماء وما وطؤا

بساط أحد من الملوك ولاسألوا ملك حاجه لما فيهم من العز والسلطنه ولقد سمعت عن هذا الملك القانون انه أعلم أهل زمانه فى الحكمة والهندسة والفروسيه والشجاعه والديانه وقد أتى إلى هذه الأرض فى طاعة المسيح ثم ان المراكب ميلت إلى نحو الملك القانون انهم أتوا يتلقونه فنصب له سرير من الذهب الاحمر قوائمه من الفضة البيضاء وهو مرصع بالجواهر والياقوت الأحمر (قال) وليس بدنه محبوكة باللؤلؤ المدور وفيه حبل ياقوت أحمر (ياساده) وقامت الرجال والبطارقه تحجبه وقال القانون للأمير ابو محمد البطال كيف ترى فقال البطال أيها الملك اننا كلنا قد حصلنا فى قبضتهم بل اننا نرجو من الله تعالى أن يتم عليهم ماقد دبرته وأحكمته فان تم وصلنا إلى بلاد الإسلام لان الأمر قد تعلق بخبر الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه وبالثغور (ياساده) فقال حجاف ياأبو محمد نحن مانرحل ونخلى هؤلاء الذين أسلموا ولكن الرأى اننا نظهر لارمانوس اننا نريد الغزاه معه فى المسلمين ونقول له اننا نريد أن نعاونك على هؤلاء المحاصرين ونتقدم ونظهر القتال حتى نخلص مراكبنا ونلتصق بالجزيره ونقتل كل من يتبعنا ومن نقدر عليه نأسره ونخلص نفوسنا إلى عند أصحابنا وأحبابنا ونكون عونا لاصحابنا فان نصرنا وخلصنا فهو الذى نريد ونحن نؤمل هذا من المجيد وان كانت الأخرى فنكون قد بذلنا المجهود وأرضينا بفعالنا الملك المعبود (قال) فلما سمع أبو محمد البطال ذلك المقال قال أيها الأمير لقد ضربت رقابنا وحق رب الكعبه ياأبو سعيده ولكن نحن نفعل هذا وبالله المستعان وأنا أؤمل من الله تعالى ان أدبر على أسر الملك ارمانوس وأفرق هذه المراكب فى المشارق والمغارب (قال) هذا وقد وصلت اليهم البطارقه وجعلوا يسلمون عليهم وعلى الملك القانون ويتقربون اليه ثم قالوا أيها الملك الكبير ان الملك ارمانوس يسلم عليك ويأمرك بالحضور إلى بين يديه ولو ماتعلم من ناموس المملكه والا قد كان سار إلى عندك بنفسه (قال) فعندها سار القانون بنفسه إلى مركبه وأبو محمد إلى جانبه بزى بطارقته والأمير حجاف مختفى فى بيت المؤخر ولم يزل الملك القانون حتى وصل إلى مركب الملك ارمانوس فقام له قائما على قدميه واعتنقه وقبله وأجلسه إلى جانبه وسأله عن سبب مجيئه فقال له انه قد عزم على الحج إلى قمامه ففرح الملك ارمانوس بذلك ثم ان الملك القانون خلع التاج والبدنه وقال أيها الملك هذه وراثتى من أبى ومالاحد مثلها ولا رأى أحد من الملوك شكلها وهى هدية منى اليك (قال الراوى) ولم يكن فى الدنيا أكبر جواهر من هذه الهديه ولاعمل شكلها فلما رآها الملك ارمانوس تحير من قيمتها وقبلها منه وفرح بها فرحا شديدا ماعليه من مزيد ثم قال ايها الملك الساعه نأخذ هذه الجزيره

ونقتل كل من فيها ونعود إلى القسطنطونيه وأنا أسير معك إلى الحج إلى قمامه وأخرج العساكر كلها بين يديك (قال الراوى) وتحدث القانون معه ساعه وعاد إلى مركبه هذا والأمير أبو محمد قال له كيف سمحت لارمانوس بالتاج والبدنه فقال لاجل قولك قد وصل معنا هديه سنيه فقال أبو محمد لاترجع عن هذا أنا أخرج فى هذه الليله وآخذ التاج والبدنه والملك ارمانوس ونحصل كانا فى الجزيره ان شاء الله تعالى فقال القانون أتقدر على ذلك ياأبو محمد قال نعم انك تساعدنى وترسل اليه وتقول انى قد اشتهيت الاجتماع بك فى هذه الليله وأريد أن تكون عندى فى مركبى حتى أتحدث أنا واياك فى خلوه وأكشف لك كلما فى فؤادى وماجرى فى ديارى وعندى خمر من بلادى شىء ماتعرفوه أنتم فى بلادكم وأريد أسقيكم منه ومعلوم اننا مااجتمعنا وواحد منا فى بلده ليخدمه أويكرمه وانما كلنا فى المراكب على وجه الماء وعندى عندك واحد وتبصر مايجرى فقال القانون ياأبو محمد نخاف أن يأتى معه من يعرفك ويعرف الأمير حجاف فيكون ذلك سببا للتلاف فقال أبو محمد من هذا لاتخاف لحجاف وسعيده وغلمانى يكونوا هم مخبيين فى قاع المركب ومايبق الاأنا ومادمت بهذا الزى لاأعرف (قال الراوى) وكان أبو محمد بزى عجيب وقد لبس لحية سوداء قصيره معتدلة وشعر اسود مثل ذلك وعليه ثياب منسوجة بالذهب وعلى رأسه قلنسوه ملكية حمراء فى حمرة الشقائق وهو كانه من بلد الاقصى لايعرفه بذلك الزى أحد هذا والملك القانون قد فعل ماأشار أبو محمد البطال وأرسل إلى الملك ارمانوس بذلك المقال الذى جرى ولما ان وصلت الرساله إلى ارمانوس بذلك المقال الذى جرى قال والمسيح لقد قال الصحيح وكلنا على وجه الماء وأنا قد اشتهيت الخلوه معه حتى أتلذذ معه بسماع كلامه وأسأله عن عجائب بلاده ثم سار فى المركب الخاص فى نفر قليل من خواصه ولم يزل حتى قارب مركب الملك القانون والتصق اليه فقام له الملك القانون وفرح بقدومه وقدم له كل شىء مليح ثم صف الأوانى بين يديه وفيها من قلعة اثريا فضلة خمر كانت معه يشربها من وخم البحر ودارت عليهم الاقداح وكان الملك ارمانوس قد طلع اليه فى عشرة من البطارقه ومن جملتهم مارس ودارس والملك القانون أيضا جالس ورجاله من حواليه والأمير أبو محمد البطال قد قعد يغنى لهم بالروميه وهم يشربون والملك ارمانوس وأصحابه يتعجبون من فصاحته حتى مضى من الليل أكثره وتقدم البطال الى البطاطيه كانه يذوق مزاجها وطرح فيها البنج وعادلانه كان من أول قدح وصل اليه المَلك القانون قال لارمانوس أنا على ندر لا أعود أشرب الخمر حتى أرى بيت المقدس وأمزجه من عين سلوان وبعد ذلك أشرب إذا علمت ان المسيح

راضى عنى غير غضبان وان البطال لما بنج البطاطيه زعق فى السقاه ياويلكم املوا الاقداح وديروها على الملك ارمانوس وأصحابه لان الليل قد مضى وكانكم بالصباح قد أتى ثم صاح بصوته الندى وأزعج وان البطال سقاه وشرب ارمانوس فكان آخر عهده بالدنيا رفعل بأصحابه مثل فعالهم فنالهم مانالة الامارس ود'رس فانهما قائمان لايشربان فلما ان نظرا إلى ماحل بالملك وأصحابه أنكروا ذلك وأخذتهم الحيره فعلم البطال مافى نفوسهما فكشف عن وجهه وقال كيف الشيخين فلما عرفاه وسمعا نداه ووقع بهما الانذهال حتى حققاه ودنيا اليه واعتنقاه وقال مارس وحق الله العظيم لقد انقطعت منك آمالنا وقلنا انك قد فارقت الحياه مع الشيخ الصالح حجاف وأما الأمير عبدالوهاب كل يوم تصل كتبه الينا يسألنا عنك ونحن نرد له اننا لم نسمع عنك خبر وكذلك الأمير حجاف وقد بكى عليه كل من فى ملطيه وماعلم أحد ما كان منكم فقال أبو محمد البطال فهذا الأمير حجاف يسمع كلامك وقد رد الله تعالى عليه رجليه والسعيدة وهذا الملك القانون قد آمن بالله ورسوله وكل من معه قد صاروا مسلمين مؤمنين فقال مارس الحمد لله رب العالمين وماذا قد عزمتم الآن عليه الساعة فقال ندخل إلى الجزيرة فقال مارس وكيف نقدر على ذلك فقال أبو محمد أقدر على ذلك بقدرة مالك الممالك لأننى أول ما أعمل أحصل أرمانوس فى هذه الجزيرة وهؤلاء البطارقة الذين معه ونحرق من فى المراكب وإذا صرنا فى الجزيرة قلنا لأصحاب الملك ترحلون أو نرميكم برأس أرمانوس فما يقدر وأبعد ذلك على الاقامة وبعد ذلك ما أخليه إلا بالمال الجزيل وأن يحلف لنا على جوازنا إلى بلادنا فقال هذا هو الصواب يا أبو محمد وفقك الله لهدايته لقد قلت الحق ونطقت بالصدق فدونك ما قد عزمت عليه قبل أن يمضى الليل فعندها وثب البطال وأمر أصحاب المراكب فساروا به وأرمانوس معهم حتى لاصقوا مينا الجزيرة فصاحت بهم الرجال من أعلى المينا وقالوا لهم من أنتم وما تريدون فقال الأمير أبو محمد لا بأس عليكم أين الأمير مرحب بن مرحبون قولوا له يكلمنى فقالوا له أنت من تكون فقال صديق موافق فقالوا نحن مالنا صديق إلا من يقول كلمة التحقيق وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو محمد البطال لكم البشرى فأنا قائل هذه الكلمة وأنا حبيبكم فقالوا مانعرف لنا حبيب ولا طبيب ولا خليل إلا الأمير أبو محمد البطال والأمير حجاف فقال الأمير أبو محمد هذا الأمير حجاف وها أنا أبو محمد البطال ونحن فى المركب الذى وصل اليكم اليوم وقد من الله عليكم بالفرج فلما سمعوا كلامه بالعربية عرفوه ونزلوا ورفعوا السلاسل من باب المينا وفتحوا الباب ودنوا منه وانطرحوا عليه وجعلوا يبكون من الفرح ويضجون بالدعاء ثم صعد الأمير أبو محمد

وحجاف والسعيدة وأبو محمد والملك القانون ورفعوا أرمانوس والبطارقة ومارس ودارس وتقدمت بقية المراكب كلها ونزلوا فيها أصحاب الملك القانون فقويت قلوب أهل الجزيرة هذا وأبو محمد البطال يقول لهم ما هذا وقت المقام عودوا بنا إلى المراكب وخذوا معكم قوارير النفط حتى أقول لكم ما تفعلوا ففعلوا ما أمرهم به وعادوا إلى مراكبهم ومعهم من أهل الجزيرة جماعة وسار بهم الأمير أبو محمد حتى توسط مراكب أرمانوس وفرقهم بينهم وجعل بين كل خمس مراكب مركب واحد وقال إذا أنتم سمعتم تكبيرى كبروا وهللوا وأنادى أنا عبد الوهاب يامنصور فصيحوا أنتم يا آل كلاب يا آل كلاب حتى يظنون أن مراكب الاسلام قد وصلت اليهم فيصدم بعضهم بعضا ويعمل السيف فيهم طولا وعرضا ثم أن الأمير أبو محمد بعد عنهم ونادى تحت ظلام الليل الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله فأجابوه أصحابه من كل جانب ونادوا وسط المراكب وأرموا قوارير النفط وأعلنوا بتوحيد الجبار وصلوا على سيدنا محمد النبى المختار فأجابتهم حيتان البحار من كل جانب ومكان ثم صدموهم (قال الراوى) وانطبقت الدنيا على الكفار وعملت فى مراكبهم النار وصدموا بعضهم بعض فى موجات البحر فغرقت بعض مراكبهم إلى القرار ولم تزل الموجات تأخذهم والسيوف تعمل فيهم حتى ذهبت غياهب الاعتكار وأقبل النهار ولاحت المواكب بالتحقيق وبان العدو من الصديق وقد أحرق الأمير أبو محمد من مراكبهم احدى وأربعين مركب وكانت المراكب إذا عاينت النار تهيج فى البحر خوفا من النار حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ونظرت الروم إلى بعضهم البعض فتراجعوا بعد أن كانوا قد هجوا فى البحر وافتقدوا ملكهم فلم يجدوه فعلموا ان الحيلة قد تمت عليهم فصاح بهم شومدرس وقد صار وهو معهم فى الجزيرة محبوس إن أنتم تخليتم عنه غضب عليكم المسيح والناسوت والناقوس وماهم فى عساكر كثير وأن أبو محمد البطال قد وصل من بعض الجزائر ومعه غلمانه فى زى الملك القانون حيلة منه علينا لا يفعل أكثر من هذا فلا لقاه المسيح خيرا ارجعوا إلى لعلكم تظفرون بالبطال وتخلصون الملك أرمانوس من الاعتقال (قال الراوى) فتراجعت المراكب والتمت من كل جانب وانهزم أبو محمد ومن معه وصعدوا إلى الجزيرة ووقع القتال وبان الصدق من المحال واشتدت الأهوال وترامو ا بالنبال حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصلوا عن القتال واجتمع الأمير أبو محمد وحجاف وزحاف وباقى الغلمان والملك واهل الجزيرة وقد فرح بعضهم ببعض وتبأشروا بدين الاسلام وبالنصر على الكفرة اللئام وبالثواب من الملك الوهاب (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وزحفت

المراكب على حسب العادة تطلب القتال وأقبلت المراكب مثل الجبال هنالك أشرف عليهم الأمير أبو محمد ونادى بأعلى صوته يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أنا من تعرفوه ولا تنكروه وتصفوه وتذكروه وتذموه ولا تشكروه أنا أبو محمد البطال وقد عرفتم من قتلت منكم من الأبطال وها ملككم معنا فى الاعتقال وأنتم كل يوم خاسرين معنا فى القتال والرأى عندى أنكم ترحلون عنا وإلا وحق البيت العتيق أخرج الساعة أرمانوس واضرب رقبته ورقبة كل من معه وبعد ذلك مانعبأ بكم فاجهدوا جهدكم فنحن قد طيرنا الطيور إلى بلاد الاسلام إلى الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب والسودان الانجاب أن يرحلوا إلى ساحل على ريحى الارموى ويركبوا من طرسوس ويقطعون البحر اليكم فلم يخلصكم من أيديهم أحد وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام ثم قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه ضجوا وكفروا وقالوا يا أبو محمد خلى عنك المحال فما بقى من حياتك إلا اليوم ولقد أوقعك المسيح فى أضيق الأماكن وسوف نخرب ديارك ونعجل دمارك فلقد جاءت هذه السفرة عليكم أيشم السفرات ثم تقدموا للقتال وتراشقوا بالنبال وزحفوا حتى لصقوا بالساحل ووصل بعضهم إلى بعض وعلا الصياح ووصل شومدرس وهو يحرضهم على القتال ويقول لهم ولو قتلوا الملك حقيقة لاتبقوا منهم أحد فلما نظر أبو محمد إلى ذلك صاح على غلمانه ويلكم إئتونى بالملك أرمانوس حتى أصبحه صباح ميشوم منحوس فحملوا الملك أرمانوس اليه وقد أحدقت حواليه البطارقه والاقيال وفى أيديهم الصوارم الصقال وكان بذلك أشار عليهم البطال وأتوا بمارس ودارس لأن عقبه كان يتهمهم عند الملك ويقول ما أخشى على دولتك إلا من مارس ودارس وكان أرمانوس لايصدق ذلك ولما سحب ذلك اليوم ورأى الهوان أيقن بحلول الآجال وكان قبل ذلك أفاق من البنج وأصحابه ونظر إلى نفسه وهو فى الجزيرة مقيد والقيد فى رجليه عند ذلك نادى وقال ويماه ايش هذه المصيبة قالوا لا علم لنا ولا ندرى الا كما ترى فقال والمسيح لقد هدينا من مأمننا وما كان الملك القانون الا من بعض التدابير حتى أوقعنا فى قبضته التعتير فـــلا كانت هذه الجزيرة ولا كان من فيها ولا كان شومدرس الذى جابنا الى ههنا (قال الراوى) ولما أحدقت به الرجال ونظر الى السيوف الصقال أيقن بالبلاء وقال لأبو محمد ويلك ايش هذه الفعال أليس بيننا وبينكم الهدنة والصلح فضحك أبو محمد وقال أنت ماجئت من القسطنطونية الى ههنا الا فى طلبى فهل بقى ثم هدنة بعد هذه أتدرى ياويلك لماذا أتيت بك الى ههنا فقال أرمانوس وبحق المسيح لماذا عودتنى فقال ماهو الأخير أريد أن أضربه

رقبتك ورقبة كل من معك فقال أرمانوس وأى خبر هذا وأنت تبشرنى بضرب الرقبة ويلك قل لى ما فى قلبك وابديه لأن الروم إذا قتل ملكهم أجلسوا غيره ولا بد لهم من ذلك وقتلى لايفيدك فى شىء وحياتى لك فيها منفعة فقال الأمير ابو محمد اعلم انى ما أشتهى قتلك وإنما هذا الأمير حجاف الذى رد الله عز وجل عليه رجليه بعد ما كانت مقطوعتان هو الذى يريد ذلك لأنه قد أندر على نفسه انه اذا قدم عليك قتلك وهو رجل صالح ولا بد له مما يوفى بنذره ولا سبيل الى مخالفته وأنا مالى سبيل إلى دفعه ورده الا ان تقول لهذه المراكب ان انصرفى عنا إلى القسطنطونية وبعد ذلك ترغبنا فى المال الجزيل وتحلف أنك لاتعود تتعرض الينا وتسلم الى من اريد وهو شومدرس وبعد ذلك نخليك (قال الراوى) فلما سمع الملك ارمانوس ذلك قال فاغمدوا سيوفكم حتى أنادى وآمرهم بذلك فأغمدوا عنه السيوف فصاح الملك بملو بطنه يامعاشر النصرانية من كان منكم يعلم انى ملك ملوك النصرانية وطاعتى واجبة عليه فلينصرف الى القسطنطينية حتى أتخلص من هذه البلية (قال) فلما سمعوا الروم ذلك والبطارقه علموا ان مالهم سبيل اليه ولا يقدروا عليه الا بالرواح والمضى الى بلادهم ووقع ذلك موافقاً لمرادهم فقال بعضهم لبعض اعلموا ان ابو محمد البطال اذا أظلم الظلام يعود الينا ويحرق باقى مراكبنا وهو شيطان الدنيا ولو أراد ان يحرق القسطنطونية فعل فكيف بمراكب على وجه الماء ومانى الأمر الا الرواح (قال) فرحلوا طالبين بلادهم وتركوا الملك ارمانوس وأقام ابو محمد بعدهم فى الجزيرة ثلاثة أيام وعول على الإقلاع فقال لمرحب يا أخى خذوا أهبتكم لتسيروا معنا الى بلاد الثغور وتقيموا عندنا فى الأمن والسرور وإلا فما يكون لك ههنا قرار لأجل ما حولك من جزائر الكفار لاسيما وقد سمعوا أنك مسلم فقال مرحب والله ما قلت الا الصواب لأننى فى هذه النوبة قاسيت العذاب ولولا من الله بك علينا كنا هالكين ثم انه عبأ أمواله فى مراكبه وجميع من آمن معه واقلع الأمير ابو محمد وقد ترك الجزيرة خالية خاوية ما فيها الا من قلبه مائل لحب دين النصرانية (قال الراوى) ولم يزالو مقلعين حتى وصلوا جزيرة المقاطع وكان وصولهم اليها وقت الصباح واذا حولها سبعمائة مركب وهى قد الصقت بعضها الى بعض واصحابها قابضين على المجارى (قال) فلما نظر البطال ومن معه من الرجال وقد دهشوا لذلك وحاروا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان شومدرس لما اخذ المراكب وانصرف الى الجزيرة كان انصرافه بغير اختياره فجعل يقول للبطارقة ان الملك ما قال لكم هذا المقال ولا أمركم بالارتحال الا فزعا من الموت فقالوا البطارقة كيف نصنع فقال انا اقول لكم

اعملوا ما تقدرون عليه ولا تروحوا وتخلو الملك فى ذلة الأسر بل تسيروا وتكمنوا فى هذا المكان حتى تلوح مراكبهم ونحدق بها من كل جانب ونأخذهم عن بكرة أبيهم لأنهم ما يقدرون فى ذلك على الهروب فقالوا ياراهب مانخاف إلا من شيطانهم البطال لا يطارح فى مراكبنا النار فقال دعوا عنكم هـــذا فأنا اوريكم ما أعمل فيهم فى الكلام وإذا بالمراكب قد أقبلت من ناحية البرغل وهى ثلاثمائة مركب وهم مقلعين طالبين الملك ارمانوس خدمة له وكانوا قد سمعوا انه فى الجزيرة يحاصرها وأن اصحابها قد اســـلموا فأتوا ليعاونوه ولما نظروا مراكبه وشومدرس مقبل منها فقدموا اليه وسلموا عليـــه فأخبرهم ان الملك فى قبضة البطال فقالوا نمضى اليه ونخلصه من يديه فقال لا ولكن ارسوا ههنا فإنهم اليكم يجيئون وعليكم يعبرون فأكمنوا الروم حتى أشرفوا عليهم فرآهم ابو محمد فأيقن بالهلاك وقال للملك ارمانوس يا ويلك هذا شومدرس وهذه مراكبك وانا أريد أن أضرب رقبتك فقال الملك لا تفعل يا ابا محمد فأنا لا امكنهم من ذلك لأنى قد حلفت لكم ولا أحنث فى يمينى ولا أدع الناس يعيرونى بالكذب (ياساده) ولم تكن إلا ساعة حتى احدقت بهم المراكب ودارت حولهم فقال الأمير حجاف والله لا تركتهم يأخذونا مثل أخذ النساء قبضاً باليد ولا بد أن نقاتل حتى نموت ثم أنه صاح وكبر وحسامه أشهر وقال الله أكبر وفعل الملك القانون مثل فعاله وكذلك بقية أصحابه ومرحب وابطاله ووصلوا الى المراكب وتضاربوا بالسيوف القواضب وفارت الدماء على وجه الماء واحموا المسلمين انفسهم الا ان العدد عليهم كثير والأذية وصلت اليهم وما صار من الأوقات حتى هل من أهل الجزيرة وأصحاب الملك القانون جماعة كثيرة وتطلب عند الكثرة والشجاعة وقبضت الرجال قبضا عنيفا وصعدت الروم الى المراكب الفاً الفاً واطبقت على حجاف الرجال وارموا عليه الدرف وما أخـــذوه حتى أشرفت مراكبهم على الغرق وأخذ ابو محمـــد البطال والقانون وملكت البطارقة سائر الرجال قبضاً عنيفاً وخلص ارمانوس من الاعتقال وفرح فرحاً شديداً لما فكت عنه الأغلال ثم شكر المغابيط وشومدرس على تدبيره فى هذا المكان ثم قال اعلموا انى قد حلفت للمسلمين ان لا يصلهم من جانبى مكروه ولا أقدر أمكن احداً من أذية المسلمين بل لما أصل بهم الى القسطنطينية أعطيهم شيئاً استقر لهم عندى وأطلق سبيلهم فضحك شومدرس وقال لا كلام على وجه الماء ولكن فى القسطنطينية اقول لك ما يكون وكانوا مقلعين الى ان وصلوا الى القسطنطينية وخرجوا الناس الى لقائهم وانقلبت البلد بوصـــولهم وفرحوا بأسر البطال ورأوا الملك القانون الكبير وسمعوا انه أسلم فصاروا يلعنونه

ويلطموه وكانوا حنقين على الأمير حجاف لاسيما من حين رجوع رجايه وكيف رده الله تعالى عليه وكانوا بين مكذبين ومصدقين وكان يوم مشهور ولما حضر الملك ارمانوس فى قصره أحضر ارباب دولته وكبراء بطارقته والمطارين والأساقفة واحضر الجاتليق الكبير والبترك وكل من كان له قدر رفيع وملك المغلبيط وملك البرغل ولما حضروا قال لهم اعلموا ياعلماء الروم أنى معول ان اخلع على ابو محمد البطال ومن معه من الابطال وأسيرهم إلى بلاد الإسلام لانى قد رأيت فى ذلك مصالح احدها انى اكون قد وفيت باليمين والعهد والميثاق الذى حلفت للقوم لأن على الايمان المغلظة انى لاأترك أحداً يتعرض اليهم الا بالخير وقد وثقوا منى باليمين والثانى فهذا يؤثر مع الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب لأجل مابيننا من الهدنة ولأجل ماكنت قد حلفت للخليفة اننى متى ظهر لى خبر السعيدة بنت حجاف كنت اسعى على خلاصها واوصلها اليه وكذلك سألنى عن ابيها حجاف وحلفت له ما عندى خبر وان علمت بهم كنت حريصاً على خلاصهم وانى لا آمن اذا قتلت هؤلاء ان يدخل الخليفة بعساكر الإسلام وعساكرنا متفرقة وما هو وقت جمع العساكر فماذا انتم قائلون (قال) فوثب اليه الراهب شومدرس وقال له أيها الملك ما هذا قول مثلك والملوك كلها من قبلك فلا تغتر بحياة الدنيا فيغضب عليك المسيح وأنت تعلم هذا ابو محمد البطال وغلمانه الأنذال قد خربوا بلاد الروم واكثروا فيها الفساد وتعدوا على العباد واخذوا السبايا والأولاد وهم اهل البغى والفساد وأما حجاف فهو آفة الحروب ومهلك ابطال الوقائع فى المعامع الذى أحدث فى بلاد الروم الفجائع وانت ترى هذا القانون كيف اسلم على يديه وكذا اهل جزيرة رنبيس واما القانون فعاله لا تزول عنا اذا رأوه المسلمين والروم لأنه رجل حكيم والرأى عندى أن نضرب رقاب الكل فقال الملك ارمانوس هذا لا افعله ابداً لأنى قد حلفت للأمير عبد الوهاب ان ظهر خبر الامير حجاف وابو محمد البطال سعيت على خلاصهما وهذا لايكون أبداً ثم ان الملك ارمانوس قام مغضبا الى بيت الخلاء لإراقة الماء فدخل الى بيت الحرم فغاب ساعة وعاد فجلس فما لحق ان يجلس حتى وجد الملوك جميعهم والحاضرين عيونهم تلعب وانبهت الملك ارمانوس واراد ان يقول مما هذا الذى انتم فيه وإذا قد قام من بين الجماعة صبى امرد أسمر اللون عريض المناكب وقصد الى الملك ارمانوس وقبض على منكبيه واداره كتاف واوثق منه الاطراف وقام شومدرس وهو يقول ويصيح بمند يامنصور وصاحت البطارقة والحاضرين بمند بن ميمونة يا منصور (ياساده ياكرام) وكان شومدرس هو الذى دبر هذا التدبير لما قام الملك ارمانوس الى بيت الحرم لانه

قال للملوك وهذه المشورة التى اشرناها عليه ما دخلت فى أذنه ولا بد ان يطلق ابو محمد وحجاف ومن معهما وترون ما يجرى على الروم فى هذا العام ثم قال الرأى عندى أن نقبض عليه حتى نبلغ من أعداءنا المراد وأن رضى بذلك تركناه فى المطمورة وسلمنا البلاد الى الملك بيمند لأنكم تعرفوا شدته وقوته وحميته (يا سادة) فكان بيمند قاعد يسمع هذا الكلام فقال ياشيخ وحق المسيح لولا أبى وحيائى منه لكنت فتحت بلاد الاسلام فى فرد عام وتركت ملوكهم لكم خدام وضربت بحسامى هذا كل عزيز وحر وغلام ولكن أخاف من الملوك يعيرونى ولا يطيعون (قال) فلما سمعوا الملوك ذلك من حنقهم قالوا بلى قد أطعناك واخترناك ملكا ورضينا ولم يعد ارمانوس من بيت الحرم حتى انكسر غيظه مما سمع وعاد وقد تمهد له الأمر واستقر بيمند الحال وقبض على ابيه قبضة الأسد وتركه بين يديه مقيد وأوقفه على فعاله وانزله فى المطموره بقيوده واغلاله ووكل به من يحفظه وقال ائتونى بالمسلمين الذين هم اعداء الدين فأخرجوهم بين يديه وكان مرحب بن مرحبون أول من قدم اليه وكان معه سائر اصحابه من اهل جزيرة روبيس فقال لهم بيمند ترجعون الى دين النصرانية حتى اعفو عنكم فقالوا هذا شيء لا يكون ولا نرجع عن دين الاسلام ابدا فافعل ماشئت فلما سمع بيمند ذلك غضب غضبا شديدا وضرب رقاب الكل وماترك غير مرحب وجماعة النسوان والصبيان وقال لمرحب ان رجعت الى دين النصرانية والا صلبتك على باب الذهب ورميتك بالسهام مع ابى محمد البطال وحجاف وسقيتك كاس التلاف فقال اصنع ماشئت فو الله لا كفرت بعد ان آمنت ولا اشركت بعد ان اسلمت ثم انه بكى واشار يقول

رويدك يابيمند بالله عن عذلى	فمثلك حقا لا يطاوعه مثلى
فوالله لاأشركت بالله ساعة	ولاحلت عن دين الحقيقة والفضل
ولاخالفت روحى مقالة أحمد	وخير البرايا الصادق الخاتم الرسل
فيامرحبا بالموت فى الله خالقى	ولاسيما فى قتلة الفاسق النذل

(قال الراوى) فلمـــا سمع بيمند ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه مثل أجاجين الدم وطلع الزبد على شدقيه وقام بنفسه اليه ولكمه فى صدره أخرج يده من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنه ثم ان بيمند اللعين رجع إلى طبع العرب الذى فى أمه وكان الملعون فصيح اللسان بالعربيه أكثر من الرومية مما صرفت أمه عليه وعلمته من فنون الأدب أنشد بعد ماقتل مرحب وجعل يقول هذه الأبيات :

ألا يا جميع الروم استمعوا قولي | فلا بد مما تنظروا في الوغا فعلي
وأفتح ابواب الخزائن كلها | وأغمركم بالجود والمال والبذل
وأجمع أبطال النصارى وانني | أجوب الى الاسلام بالخيل والرجل
وأفتح بغداد وأهدم ركنها | وذلك قد أعيا الفراعن من قبلي
وأشفي فؤاد الشيخ شومدرس الذي | أتى ناصحا للدين بالقول والفعل

(قال الراوى) ثم أتى بالملك القانون وقال له ترجع إلى دين النصرانيه فقال لا أريد عن دين الإسلام بدلا فقتله وقتل قومه جميعهم عن بكرة أبيهم ثم قال للنسوان تعدن عن الاسلام أو ألحقن بمن مضى فقلن لا خير فى النسوان بعد هلاك السادات فافعل ما أردت فقتل الكل عن آخرهم وهم نسوان جزيرة روبيس ونسوان قلعة الثريا الا ابنة القانون وابنة حجاف فانه أحضرهم بين يديه وقال لهما ان تنصرتما والا فعلت بكما مثل النسوان فقالت ابنة حجاف افعل ما بدا لك فوالله انك عبد حقير لا تقدر على شيء الا بقدرة الله تعالى وان كان ذلك وحضر الاجل فلو اجتمعت الانبياء والاصفياء والملائكة على انهم يدفعون عنى ما حكم الله به على لما قدروا وأنا أؤمل من الله تعالى ان تمتلئ وأسعد بقتلك وتزداد فى شقاوتك (قال) فلما سمع ذلك قال ياويلك وحق المسيح ما أقتلك حتى أقتل أباكى بين يديكى وعمك زحاف وأبو محمد وغلمانه ثم عاد إلى ابنة القانون وأراد قتلها فرأى جاريه ما تحت السماء مثلها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال فهام قلبه بها وكاد ان يطير عقله من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقال لها ويلك أترجعين عن دين الاسلام حتى أتخذك لنفسى وأنتى تعلمين انى قتلت أباكى القانون ولو كنت علمت انكى بهذا الجمال لما وجعت قلبك به فقالت يامولاى أنا الساعة فى قبضتك وتحت نهيك وأمرك ومهما أمرتنى به فعلت فلما سمع بيمند رقة كلامها زاد هيامه بها وقال ارفعوها الى بيت الحرم فهذه قريبة المرجوع فرفعت كما أمر وأقبل على الراهب شومدرس وقال له ياأبونا فما الرأى عندك فى البطال وحجاف وزحاف فقال قتلهم فقال ياأبونا يكون هذا فى غداة غد عند استقبال النهار حتى تضرب الطبول والبوقات ويخرج كل من فى البلد من السادات ونتركه مثل يوم العيد الأكبر وتجتمع ملوك الاقاليم وسائر البطارقه واذا عولنا على الغزاة والخروج الى بلاد المسلمين صلبنا الجميع وشفينا قلوب النصرانيه منهم ودخلنا بعد ذلك بنيات صادقه اذا فرح الروم بهلاكهم والبطارقه فقال شومدرس افعل ما تريد فان المسيح راض عنك وعن فعالك فعندها رد بيمند الكل الى المطامير وفتح الخزائن وأخرج الاموال وأعطى البطارقه والرجال وفتح خزائن من عهد هرقل الهراقله ما فتحت قط وكان أكرم

من كل ملوك النصرانية فأعطى الناس من اهل ملته وطير الطيور إلى سائر الآقاليم وفيها خط البترك وعلامة شومدرس وضمن لهم المال الجزيل والغزاة الى بلاد الاسلام وبشارة بصلب البطال وحجاف وشرح لهم ما قد فعل ومن اهلك وقتل وطير الطيور واضطربت سائر الأقطار ووقع فيها الفرح والاستبشار بهلاك البطال والغلمان ومن معهم من اهل الايمان فكتب الملوك اليه بالسمع والطاعة واننا مسارعون الى الخدمة وهو اكبر مرادنا ان يظهر المسيح دينه وينظر الى عبد من عبيده بالنصر والظفر (قال الراوى) فزاد فرحه باجابة الملوك لطاعته واقام ينتظر قدوم العساكر وقد اعد لهم الهدايا والثياب ونصب على باب الذهب والأخشاب (قال الراوى) واجتمع دارس ومارس لما حققا ذلك وبكيا على من قتل من المسلمين وهلك من الموحدين وقالا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال مارس لاخيه دعنا الساعة من هذا البكاء فقد مضى ما مضى ودبرنا فى خلاص هذا العبد الصالح حجاف حتى يصل الى بلاد الاسلام ويروا المسلمين هذه المعجزة وكيف رد الله رجليه ودبرنا فى خلاص البطال والا هلك ومن معه من الرجال فقال دارس كيف يكون التدبير قال نكتب الساعة الى الأمير عبد الوهاب كتاب على جناح الطائر الى حصن يانس المتغرب ويانس يوصله الى ملطية ويكون فيه ان البطال وحجاف وابنته السعيدة قد ظهروا ثم نقص عليهم ما جرى ونحدثه بمن قتل من أصحابه المسلمين ونقول له العجل العجل فان بيمند قد ملك القسطنطينية وقد قبض على أبيه أرمانوس وأن الروم قد أطاعته على ذلك حتى يشفوا قلوبهم من حجاف والبطال ومن معهما من الرجال وقد أخروا قتلهم إلى عشرين يوم من الزمان حتى تأتى ملوك الأقاليم والبلدان ويهلك جند الرحمن فقال مارس هذا هو الصواب ثم كتبوا هذا كله فى كتاب وعلقوه على جناح الطائر إلى عند يانس المتغرب فلما وصل إليه ووقع عليه فرح بظهور خبرهم وكان قد أيس منهم ثم أرسل الكتاب إلى الأمير عبد الوهاب وفيه ما ذكرنا من الخطاب فلما وصل الكتاب إلى ملطية قامت فيها القيامة واحترق قلب عبد الوهاب لما سمع ما فى الكتاب وخاف على أبو محمد البطال وحجاف وفرح بخلاص السعيدة وكتب من وقته الى المعتصم كتاباً وأرسله على جناح الطائر وأطلعه على هذا الحال فلما كان من الغد أتاه الجواب ارحل فى بنى كلاب وادخل الى بلاد الروم لعل تشغلهم عما يريدوا يعملون وها أنا لاحق بك وسائر وراءك فلا يأخذك التوانى عن العبد الصالح حجاف (قال) فلما وقف الأمير عبد الوهاب على ما فى الكتاب نادى من وقته وساعته فى بنى كلاب

والسودان الأنجاب ثم رحل طالب بلاد الروم وكان الأمير فى ثمانين ألف من بنى كلاب وعشرين ألف من السودان الأنجاب لأن كتاب مارس ودارس قد أشعلا فى قلبه النار وكان بيمند قد قبض على مارس ودارس باشارة الملعون شومدرس وسجنهما عند أبيه أرمانوس وكانت الأميرة ذات الهمة مريضـــة فتركها فى ملطية وسار يطول المراحل والمنازل وقلبه قوى بكتاب المعتصم وقوله له أنه لاحق به ولحق معه الامير عمرو بن عبيد الله فى أربعين ألف من بنى سليم وتخلف ضيغم عند الأميرة ذات الهمة هذا ما جرى من ههنا (وأما ما كان) من أمر بيمند وعساكر النصرانية فانها اجتمعت من سائر الأقاليم وصاروا عنده فى القسطنطونية خلق عظيم ومافى الملوك من وصل ودخل على بيمند والا وهناه بالملك وسلم عليه وهو يخلع ويهب ويترحب بالملوك ويملأ عيونهم بالفضة والذهب ولما تكاملت العساكر أشار بيمند لشومدرس فى أمر الرحيل لأنه قد جعله بتركه ومدبره ومشيره ووزيره وأنه لما شاوره قال أيها الملك لا تعمل عملا ولا تتحرك بحركة حتى تصلب البطال ومن معه من الرجال حتى لا تقول الملوك والبطارقة هـذا بيمند مثل أبيه أرمانوس يفزع من المســـلمين واذا وقع منهم أحدا فى يديه تركه فى الاعتقال وما كان وعده لنا إلا زور ومحال وربما خامروا عليك يوم يقع القتال (قال) فلما سمع بيمند هذا المقال من شومدرس شيخ الضلال طلع من وقتـه على برج باب الذهب ونادى فى العساكر فداروا بالخشب وجعلوا ينظرون البطال كيف يصلب وأمر البطارقة فاخرجوا الأمراء من المطامير فلما حضروا فـــكوا قيودهم وأغلالهم وقال الملك علقوهم بالحبـال وإذا رفعوا اضربوهم بالنبال واطعنوهم بالقنطاريات الطوال ولا تعلقوهم الا بأكتافهم حتى يطول عـذابهم اذا عاينوا بأعينهم هلاكهم هـــذا والمسلمون يقرؤون القرآن ويتشهدون ولبعضهم بعضا ينظرون والدنيا يودعون وبلقاء ربهم يفرحون ولم تـكن الا ساعة حتى صاروا الـكل على الأخشاب وارتفعت عليهم الضجات من الروم الـكلاب ودقت النواقيس وصاح كل راهب وقسيس وكشفت رؤسهم البتاركة والشمامسة وقد ربطوا البطال الى جانب ولده مـذبحون وحجاف الى جانب أخيه زحاف والسعيدة الى جانب غلمان البطال وفوقت النبال واستأذنوا الملك وقال اضربوهم بالنبال فما طلعت الـكلمة من فيه الا وغبار قد طلع وعجاج قد ارتفع حتى حجبت شمس النهار فبهت الملك بيمند وسائر الملوك إليه بالابصار واشتغلت الروم عن الأمراء الأخيار وإذا الغبار قد

زال وظهر من تحته خمسة آلاف فارس مقبلين وتحتهم خيول عوال عليها فرسان مثل قطع الجبال غائصون فى الزرد وهو يلمع مثل اللآل وفى أيديهم رماح طوال باسنة مثل شعل النار عند الاشتعـــال وهم متقلدين بسيوف يمانيه طوال الحمائل صقال فلما رأت عساكر الروم إلى ذلك ركبت وتأهبت وإلى لقاء الخيل طلبت وأمر الملك بنزول المصلوبين عن الأخشاب حتى ينظروا إلى هذه الأسباب والخيل سائرة بغير اكتراب وكل من صـــاح عليهم وسألهم يقولون خطابنا مع الملك يكون ولم يزالوا سائرين حتى صاروا قدام الملك بيمند وكان لما أمر بتخلية المصـــلوبين عن الأخشاب ركب تحت الأعلام وتأهب وزعقت البطارقة الأرض الأرض فترجلوا والأرض قبلوا وتقدم المقدم عليهم وقال أيها الملك نحن قوم من عرب اليمن من سكان عدن كنا على دين محمد فوصل إلينا الشيخ النجيح وعمـدة المسيح فدلنا على دين السعادة والأسعاد فرجعنا إلى الدين العتيق وهاقد أتينا إلى خـــدمة الملك راغبين فما زال المسيح ينصرك وبأعدائك يظفرك (قال) فلما سمع بيمند ذلك فرح بذكر الشيخ عقبة وقال فمن أنتم ومن يقال لكم من أهل اليمن فقال مقدمهم يا مولاى أنا يقال لى الهجام ابن عم الأهوج ومعنا كتاب إليك بخط عقبة ثم قبل الكتاب وناوله إياه فأخذه منهم ونظر إلى خط عقبة فعرفه معرفة صحيحة وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر غريب لأن عقبة لما هرب من عند المعتصم سار إلى مكة ومنها إلى بلاد السودان وأقام عند الملك منكلان مدة من الزمان ثم ارتحل من ذلك المكان وسار إلى عيداب فى البر وسار فى البلاد بعد ما قتل الخادم الذى خلصه من الاعتقال ولم يزل سائر حتى وصل إلى حلة هؤلاء القوم وكان معه مال جزيل وكان حولهم جبال شاهقة وهم من بقايا قوم عثمان على العبادة منهمكين وعلى فعل الخير ملازمين وأن عقبة أخذ المـــال ودفنه فى موضعين ثلاثة فلما نزل عندهم قرأ شيء من القرآن وجعل يوحد الرحمن وقد نظروا القوم إلى تسوية خلقته قالوا يا شيخ من فعل بك هذه الفعال قال لهم الروم وذلك أنى كنت سائر إلى بيت المقدس فوقعت فى الروم فأسرونى وفعلوا بى هذه الفعال وأطلقونى فذهبت إلى بيت المقدس فصار لى هناك أخوان وخلان فأردت الرجوع إلى أهلى فقـــالوا لى الآن ما نتركك ترحل من عندنا نخرجت من عندهم فوصلت إلى هذا المكان فقالوا له ونحن أيضاً ما نتركك تمضى من عندنا فقال لهم يا أولادى لى تلاميذ يقرؤن على القرآن وما يمكننى أن أتركهم فقالوا نحن لا نخليك تمضى من عندنا فلما سمع ذلك علم أنه قد احتوى على قلوبهم وقد أنشب مخاليبه

فيهم وعلم أنه سوف يبلغ ما يريد منهم فصعد إلى بعض الجبال وقد أنشب مخاليب الاحتيال إلى أن رآه ملك القوم فى بعض الليالى وهو يقرأ القرآن ويمجد الرحمن وكلما قرأ خمس آيات نزلت عليه الأنوار فلما رأى الملك ذلك دهش وحار وأخذه الزمع والانبهار وبكى هو وكل من حوله من الرجال الأخيار ومشوا على الحس حتى قربوا من عقبة الغدار فرأوه قائماً على صخرة يصلى ويتعبد وعلى جسده مسح أسود فدنا الملك إليه وألقى روحه بين يديه وقال أيها العبد الصالح أدع لى عسى أن أوفق للصلاح لأنى أنا صاحب هذا البلد وقد خرجت إليك راجلا أطلب منك البركة والدعاء وأسألك أن تدخل إلى بلدى وتقيم فيها مهما شئت حتى ننال من بركتك فلما سمع عقبة ذلك رد عليه بكلام ضعيف فقال يا أخى فى الإيمان ما يضيع مشيك إلى هذا المكان ولا أفرط فى مشى هؤلاء الإخوان على أننى والله من أصحاب المعاصى والذنوب وقلبى ملآن من الخطايا والعيوب ولكن نطلب المغفرة من علام الغيوب وأنا أدخل معك على شرط أننى أكون وحدى فى مكان لأنى ما أتعود الانس بانسان ولا أظهر إلا يوم الجمعة لقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » فقال يا أخى الأمر مردود اليك وما يعارضك فى ذلك أحد فقام معه وهو لا يصدق بذلك ولما كان من الغد أفرد له الملك داراً الى جانب داره فأنزله فيها فتم ذلك اليوم صائماً الى أن صار وقت المغرب فأتاه الملك بما يفطر عليه فقال يا مولاى أنا لا آكل شيء مما فى أيدى العالم ولا بما فى أيدى الملوك ولا أغتذى الا من الحلال الخالص وهو المال المخبى الذى قد تعب أصحابه عليه وكنزوه وبقى عليهم حسابه فهو لى مباح لأن من صدق فى معاملته مع الله أعطاه مفاتيح كنوز الأرض وأريد الساعة أن تخطو خطوات يضاعف الله لك بها الحسنات ولا يكون ذلك الا فى كتمان سرك وتأخذ معك من أصحابك من تثق به وتخرجون الى الجبل الذى كنت أصلى فيه لأنى نظرت بنور الحق الى مطالب وأنا أدلكم على بعضها ثم أعطاه علامة المكان الذى فيه بعض المال الذى قد وصل معه وقال يامولاى تمضى وتأتى به حتى آكل منه مدة مقامى ههنا فأنا أعرف من جمعه ومن كنزه وهو من المباحات الحلال فلما سمع الملك ذلك المقال زاد تعجبه وقام فى جماعة من الرجال الذين يطلعون على أحواله وسار بهم يطلب المكان الذى وصفه له عقبة وهو يحدثهم بذلك وهم يسبحون الله ويقدسونه ويقولون فدينا الصالحين الذين يعبدونه ولم يزالوا حتى وصلوا الى الموضع فحفروا وطلع لهم المال فزادت منزلة عقبة عندهم وعادوا وقد اعتقدوا

أنه من جملة الابدال السبعة التى تمسك الارض فلما دخلوا به عليه ضحك وقال ارفعه يا ملك الى خزائنك فهذا اليقين أصحاب العقول الناقصة فرفعه الملك وكان ينفق عليه منه وصار يتوسل بعقبة فى صلاته ويقول الهى بحرمة هذا الشيخ الذى مننت به على الا غفرت ذنوبنا فلما كان يوم الجمعة سار إلى الجامع وخطب للناس فبكى المسلمون من الصفوف ومزقوا لباسهم من لين كلامه وتواضعه وسجوده وحنانة صوته إذا خطب وخشوعه إذا زفر وصار الناس يزدحمون من باكر النهار على المواضع وإذا أقبل عقبة قاموا كلهم على تقبيل يديه ويأخذوا التراب من تحت قدميه وكان الملعون إذا دخل الدار لا يرجع يترك أحداً يدخل اليه إلا الملك أو وزيره وكان لهذا الملك ابن أخ يقال له الهجام ابن المقدام مصر على شرب المدام لا يصحو فى ليل ولا نهار ولا فى ظلام وكان عمه الغيهال يبغضه ويبعده وإذا دخل عليه لايقربه ولا يعطيه شىء من المال حتى لايدور به أحداً من الرجال وكان عقبة قد سمع بخبره من العوام فصار يدعوه ويظهر لعمه أنه يعظه ويرده عما هو عليه ثم يعطيه كلما يعتقده به من الإعتقاد ويعينه على المعصية والفساد حتى احتوى على قلبه ولعب بعقله وقال له يا ولدى لم ترضى لنفسك بالذل وتقيم تحت طاعة عمك وأنت مغبون أنت أبوك ما كان له فى هذه البلاد حكم فقال الهجام بلى والله يا عماه أن أبى كان ملك هذه الديار ومات وأنا صغير ولما كبرت رأيت هذا عمى قد احتوى على قلوب الرعية بالدين والعدل والناموس وقد أطاعوه ولم يلتفتوا إلى ولما رأيت أنا نفسى فى هذا الحال صرت أقضى الأوقات بشرب المدام وأسلى روحى وأقضى الأيام وأردت والله مرارا كثيرة أن أقفز على عمى وأقتله ولكن خفت العاقبة وقلت ربما إذا قتلته يحتوى على هذه الأرض غيرنا ولا يحصل الملك لا لى ولا له وكنت فى هذه الأيام قد عولت على أن أسير الى بلاد النصرانية لولا من الله على بك وصرت تبرنى بهذه العطية فلما سمع بذلك عقبة قال يا ولدى فما قولك فيمن يدعك أفضل من عمك ويبعثك الى موضع تصير فيه ملكا كبيراً ويدفع اليك الخراج من البلاد وتحكم على قلاع وبلاد فقال له الهجام وأين ذلك يا مولاى فقال عقبة يا ولدى اعلم أنك قد وقعت فى قلبى محبتك وأريد أطلعك على سرى كما أطلعتنى على سرك فأنا ما أعطانى الله هذا الا باطلاعى على حقيقة الاديان ومعرفتى بعلوم الزمان ومخبرتى بأحوال الآخرة سخرت لى هذه الدنيا الغادرة وصرت أعرف كنوز الارض وما تحتها من الذهب والفضة ولا بد لى مما أظهر برهانى حتى يصدق لسانى وبعد ذلك أدلك على الدين القديم الذى يكون

صاحبه فى الدنيا سليم وفى الآخرة فى جنات النعيم وأعطيك من الاموال ما لا يخطر لك على بال فقال هجام أنا والله الاديان ما أعرف منها شىء ولا أحب الا اللهو والطرب والاكل والشرب فقل لى كلما تريد حتى اتبعه وأمرنى بما شئت حتى اصنعه فقال عقبة أول ما ادلك على شىء يفرح قلبك اخرج اليوم الى الجبل الذى لكم واحفر عند تربة الشمال فيطلع لك مال كثير وكنز كبير فاجمع لك به رجال ودبر لك به أبطال واكتم سرك وتعالى حتى أكتب لك كتاب تكون فيه سلطان وتحت ركابك خيل وفرسان وجنائب وغلمان وجوار حسان وعيش تعيش به سعيداً باقى الزمان (قال) فانذهل هجام وخرج من عنده بقلب مستهام وعاد إلى صديق له يوافقه على أكل الحرام وشرب المدام وكان اسمه الأهوج ابن الأشكع وحدثه بما سمع من عقبة من المقال وأعلمه أنه قد دله على كنز من الأموال فقال الأهوج أين هو يا أخى إن كان هذا صحيح فقد أتانا الإقبال وولى عنا العناء وزال وأنا أقيم لك بكل ماأردت من الرجال فقم بنا إلى هـذا المكان الذى فى الجبل حتى ننظر صحة القول وما قد ذكر فقام معه هجام ومعهما آخر يقال له عكاس وكان الآخر مطابقهما على العصيان وصاروا حتى وصلوا إلى ذلك المكان الذى وصفه له عقبة وحفروا مقدار ثلاثة أذرع وإذا بالمال قد ظهر فلما رآه هجام طار عقله وقال الأهوج ما هذا الرجل إلا ملك من الملائكة والرأى أنك تضع هـذا المال مكانه فهو أحفظ له ونعود أنا وأنت إلى هـذا الشيخ ونسأله عن الموضع الذى يرسلنا إليه والدين الذى يدلنا عليه ونقول له كم تريد تسير من الابطال والرجال فقال هجام هذا هو الصواب ثم عادوا وضموا المكان كما كان بالتراب والأحجار وساروا حتى دخلوا على عقبة فجعل هجام يقبل يديه ويقول يا مولاى المال قد وقعت به فقل لنا ما هو الدين الذى تدلنا عليه وما هو الملك الذى توصلنا إليه فعند ذلك أخرج عقبة من تحت سجادته صليب وقال له يا ولدى قبل هذا الصليب ورد له فى التقريب فهو طريقك إلى الدين القديم وسبب وصولك إلى الملك العظيم وإذا واقيت الجهاد فتحت لك أبواب السعادات وبلغت منها الارادات فلما سمع هجام هـذا الكلام زاد عجبه وانذهل لبه وقال له يا شيخ وأنت بهـذا الدين قد صرت فى هـذه المنزلة وتكتمه قال نعم يا ولدى لأنى ما أجد له أهـل مثلك الا من قل من الناس أو مثالك وكلما أظهره من هـذه الصلاة والعبادة زور ومحال حتى أبلغ فى دين المسيح الآمال وأختار له أنصار ورجال ينصرونه على من يطلب له الزوال فعندها قرب هجام الصليب وقبله وفعل

الأهوج كذلك فقالا يا شيخ وتقبيل الصليب يقربنا الى إله السماء السميع المجيب فقال ولكن يقربكم الى من كلم أمه فى المهد وهو صبي وقال لها لا تفزعى من بنى اسرائيل ولا تعجبي منى وأنا أقيم الحجج وأبلغك كل فرج وهو الذى لطف بي والمسلمون ياولدى يقولون أنه نبي وهو المسيح بن مريم الذى أحيي الموتى وأبرأ الزمنى وفتح عين ونفخ فى الطين فطارت منه طيور الى جو السماء ولم يزل حتى أخرج القوم من دين الحنيفية وقالوا والله كنا فى جهالة من أن نسمع هذه المقاله ونريد نسألك ياشيخ عن هذا الدين الذى دخلنا فيه هل شرب الخمر حرام فقاله لا بل هو قربان ورياضه فى الأرواح والابدان ثم أمر باحضار الخمر وشرب بين أيديهم وما خرجا من عنده الا وهما فى غاية العجب فرحا بهذا الذهب وقالا فى هذه الأيام تجمع الرجال ونسير إلى الموضع الذى يأمرنا به وكان مع الاثنين ألف فارس ما فيهم من يعرف دين الإسلام فى الجهاله وأكل الحرام منهمكون فما باتوا تلك الليله الا والكل تنصروا لان هجام شرح لهم ذلك المقال ولعب بعقولهم بالمال وخرج بعد ذلك هو والاهوج وجماعة من عرب اليمن تمام الخمسة آلاف الا انهم كلهم مقلون جياع فكساهم هجام وأصلح منهم الأحوال وأعطاهم من تلك الأموال واشترى لهم الزرد والعدد الثقال وقد أجابوه إلى ما طلب من دين الضلال لانه لما دعاهم قالوا نحن لا نعرف مذهب ولا نكون الا عند من أعطانا الفضه والذهب وخدم لمن يأكل معنا ويشرب ففرح بهم هجام ونزل بهم بظاهر عدن ودخل على عقبه وأعلمه بما قد فعل وقال يامولاى أكتب لى إلى عند من تسيرنى اليه كتابا فكتب عقبه إلى الملك ارمانوس وهو يظنه بعد فى الملك وهو يقول أيها الملك أن كنت أنت غفلت عن خدمة المسيح فأنا ما غفلت ولا قعدت ساعة عن طلب الثواب فى حال العباد وهاأنا قد نفذت اليك هؤلاء الاعراب يعينونك على جهاد المسلمين وينصروك على أعداء الدين فاذا وصلوا اليك فعمدهم وأدخلهم وأرهم عبادة الرهبان والقساه والرجال حتى تميل قلوبهم إلى دين النصرانيه وإذا نظروا إلى أولاد البطارقه بالحسن والجمال يرمون أرواحهم إلى الحرب والنزال لانهم أبطال أقيال وانى قد كنت أنفذت إلى أخى الراهب شومدرس وأعلمته بحال البطال وانه فى جزيرة روبيس عند مرحبون فى الاعتقال وأمرته أن يسير اليه ويقتله هوومن معه من الرجال وما كان فى نيتى ان أرجع إلى بلادكم لان الخليفه أباح دمى وسمع من الرجال ذلك المقال وقد دبرت فى هذه الأحوال حتى

صرت عند الخليفه فى المنزلة العاليه المنيفه وقد أخرجت من بلاد اليمن ومعى خطوط المشايخ بما دبرت من الاحتيال وأريدمنك أيها الملك أن تقضى حاجتى وهو ان كان البطال فى الحياة تتركه عندك فى الاعتقال وتحتفظ عليه لئلا يهرب إلى ان أجىء وأختفى من عذابه وعذاب غلمانه فانى واصل بعد كتابى هذا إذا تممت الأمور والاحتيال والاخرجت وأظهرت دين النصرانيه عند الخليفه والسلام منى واصل اليك ورضوان المسيح عليك ثم ختم الكتاب وسلمه للهجام وقال له قم ياولدى وشد عزمك واطلب بلد القسطنطونيه أنت ورجالك وسلم هذا الكتاب إلى الملك ارمانوس وانظر ماذا تعطى من النعم فأخذ منه الكتاب وودعه وخرج وأعلم بذلك الجماعه وشدوا عليهم وساروا عن العين وهم فى خمسة آلاف فارس من صعاليك العرب مافيهم الا كل شجاع منتخب قد قطعوا الطرقات واستحلوا المحرمات وكان عقبه قد تخلف عنهم لانه فزع أن يبلغ خبره إلى بلاد المسلمين ويسمع الخليفه انه خرج من بلاد اليمن فى جيش إلى القسطنطونيه يعين به دين النصرانيه (قال) وسار هجام حتى وصل إلى بلد القسطنطونيه فى اليوم الذى أرادوا أن يصلبوا البطال ومن معه من الرجال (وعدنا إلى سياقة الحديث العجيب) وان بيمند لما قرأ الكتاب أمر برد الامراء إلى المطامير واعتذر إلى الملوك وأعلمهم بما أوصى به عقبه قال ومن ذلك اليوم أكرم بيمند هجام ومن معه غاية الاكرام وعمهم بالخلع والانعام وأدخلهم الحمامات وأطعمهم الطيبات وأنزلهم فى ماء المعمودية ودخلوا فى دين النصرانيه وقالوا نحن كنا فى عدم والساعه رأينا النعم والمسيح يحفظ صاحب الهمم (قال الراوى) وأخذ بيمند فى أمر الرحيل والغزو الى بلاد المسلمين ونادى فى العساكر فى أخذ أهبتها إلى ثلاثة أيام فهذا جرى هنا (وأما البطال) وأصحابه لما عادوا إلى المطموره وقد عاشت أرواحهم بعد نزولهم من على الخشب وقال حجاف سبحان من قدر الآجال والله كنا اليوم قد أشرفنا على الانتقال من دار الزوال إلى دار السعاده والاقبال فقالت السعيده سبحان من قدر الاحوال والمنجى من الاهوال فقال البطال دعونا الساعه من هذه الاحوال فدبر فى خلاصنا والا ان قدم عقبه فى هذه الأيام سقانا كاس الحمام لان بيمند يوافقه على مايريد لان مافى عينه من أحد شىء بعدما فعل بأبيه ارمانوس مافعل فقال حجاف فكيف نصنع وما الذى اليه نرجع فقال أبو محمد علينا أن نحتال فى خلاصنا والله يوفقنا إلى الصواب ثم تقدم إلى أضعف الحيطان وأمر غلمانه أن ينقبوه فنقبوه بمناقب لطاف كانت فى شعورهم وكان ذلك الموضع سهل عليهم والرب جل وعلا إذا أراد أمر أبلغه فما أمسى

المساء حتى نفذوه وأخرجوا منه وإذا به فى دارمارس فلما رأوا ذلك فرحوا به وعادوا أخرجوا السعيده والرجال مثل حجاف وزحاف فلما وصلوا دار مارس قال أبو محمد ابشروا بالفرج وذهاب الحرج ثم طلبوا مارس وأخاه دارس فما رأوا فى الدار من يخبر بخبر فأقاموا متفكرين وهم فى ذلك متحيرين وإذا قد طلع من خلفهم من النقب البطريق الذى كان موكلابهم وكان اسمه ميلاص وكان عند الملك من المقربين الخواص وسبب مجيئه من النقب انه نزل يفتقدهم عندالمساء فلم يراهم بل رأى النقب فدخل فيه فلما رآهم مطلوقين ماجسر أن يتكلم فقال أبو محمد ماالذى أتى بك خلفنا ياملعون ما كفى مالقينا منك حتى تبعتنا فقال ياقوم أنا مالى ذنب وأنا عبد مأمور وما فعلت بكما شيء الا بارادة الله تعالى وأمر الملك والآن فقد خلصكم الله تعالى بحسن نياتكم سيروا ستر الله عليكم فقال البطال أين أهل هذه الديار فقال أهلها مارس ودارس وقد قبض عليهما ونهب مالهما قال ولم ذلك قال لان الملك أحضرهما وقال لقد كنت أسمع من الشيخ النجيح وأمى ميمونه انهما كانا يقولان عنكما انكما مسلمين وأريد ان أقبض عليكما حتى لايكون فى دولتى منافق على دين النصرانيه لانى أعرف الشيخ النجيح صادق لا يستعمل الكذب فى المقال ولا يدخل فى محال وقدضربهما وصادرهما وحبسهما فلما سمع البطال ذلك صعب عليه وقال للبطريق اعلم يا ميلاص ان دولة الملك بيمند لا تدوم عليه لانه صبى وماله معقول بسياسة الملوك فاعمل أنت شيئاً تحمد فيه وتشكر عليه فقال ميلاص وما هو يا مولاى قال خلص الملك ارمانوس من وثاقه وخلص من معه من حجابه حتى يعمل فى خلاصنا إلى بلد الاسلام وإذا خلصنا عدنا بعسكرنا وأهلكنا بيمند وأعدنا ارمانوس إلى ملكه وتبقى أحظى الناس عنده وان كان بيمند يخرج الى بلاد الاسلام فهو يكون عليه أيشم الاعوام (قال الراوى) فلما سمع ميلاص هذا الكلام رجع الى عقله وعلم ان هذا القول صحيح فغاب عنهم ساعه ثم عاد ومعه الملك ارمانوس ومارس ودارس فلما نظر البطال الى ذلك تقدم الى الملك وسلم عليه وأعلمه بالحال وقال له ابشر فنحن نعينك على ولدك ونعيد الملك اليك ونسقى بيمندكاس الوبال ثم سلم على مارس ودارس وسألهما بما جرى عليهما فقال الملك ارمانوس ياأبو محمد قد تحققت فانهما على دينك لان هذا سلام أهل الدين ومن بينهما معرفة من سنين فقال البطال يا ملك انما سلمت عليهما لانى أعرف قربهما منك وانهما بجنابك

ولهما قدم فى الروم وقد ربيا الملوك وبيننا وبينهما معرفة قديمة من بلاد الاسلام لما كانا عندنا أسيرين والساعه ما تقربت اليهما بالسلام الا حتى يعملان فى خلاصنا ويدبران كيف نصنع وكيف ننزل من الاسوار ونمضى اما ليلا واما نهار فقال ارمانوس صدقت يا أبو محمد وحق المسيح لو كانا مسلمين ما كانا عندنا مقيمين بل كانا يخرجان الى عندكم ويقيمان فى بلادكم (قال الراوى) فهم فى مثل ذلك الكلام واذا بالرجال عليهم قد هجمت والبطارقه قد تصايحت والسيوف قد لمعت وهم مائة بطريق وبين أيديهم غلام كانه طود من الاطواد وهو يصيح أين تهربون يا كلاب وأنا البطل الهجام ثم قبض على جميع القيام وأدارهم كتاف وما بقى غير الأمير حجاف لانه هجم على ميلاص وأخذ منه السيف وقال وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لا سلمت روحى حتى أبتر الرؤوس وأقتنص النفوس وانا عبد الملك القدوس فعندها صاح الملك بيمند بالبطارقه يا ويلكم خذوه وبالغيد أوثقوه (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذا الملك سبب عجيب لانه كان فيه يقظة واحتراز لا ينام الليل ثم حذروه الروم من أبو محمد وكيف حاله وانه مهلك الاقران الذى يتسلق فى الغيوم ويسرق النجوم ويغوص التخوم فكم من ملك قد قبض عليه وكم من قس قد ترك رأسه عند رجليه فكن منه على حذر حتى يحضر الشيخ النجيح وتسلمه اليه فهو أخبر الناس به فقال بيمند صدقتم وهذا يدل على ان الروم ما ملكهم رجل وما ملكهم الا نساء والآن أنا أجدد ملة الصلبان ثم صار اللعين يخرج الى القصر بنفسه لا يرضا بأحد ينوب عنه وكان قصده ان يسمع أخبار المسلمين وكان قد دار حتى أتى الى المطموره فوجدها مفتوحه ولم يرى البطريق ميلاص فقال ماهو الا قد نزل يعذب المأسورين ونزل فرأى النقب ولم يرى أحدا فى المطموره فدخل من النقب وسار حتى انتهى الى مارس ودارس واذا بالامراء قيام ومعهم الجماعه وهم فى انتظار ارمانوس وقد مضى ميلاص يأتى به فلما نظر بيمند ذلك قال وحق المسيح ان هذا شغل مليح ثم رجع وأتى بالبطارقه الذين ذكرناهم وهجم عليهم كما وصفنا وشدوا الكل كتاف ولم يبق الا حجاف فقاتل قتال الاشراف ومال بنفسه اليهم وعدت يده بالسوء اليهم وصاح بيمند بالبطارقه دونكم وهذا اللئيم فعندها حملوا وعلى قتل العبد الصالح عولوا هذا وهو يهجم فيهم

هجمات الأسد ويصلي على النبي محمد ولم يزل حتى قتل عشرين بطريقا ممن يوصف وافترقوا عليه من كل جانب وخافوا من وقع المضارب وهو يضرب فيهم طولا وعرضا (قال الراوى) ثم ركب عليهم وقد طمع فيهم وكانت السيوف تلمع فى الظلام فيطلع لها برق مثل برق الغمام وبيمند قد رأى ذلك فتحير وأخذه من قتال حجاف العجب وانبهر وحمل من شفقته على أصحابه حمله واحده هائلة ونادى يا ويلكم خلو بينى وبينه فلقد كانت روحى تأبى أن تخرج اليه وقلت إذا خرجت لهذا ماذا أدخر لعبد الوهاب والساعة قد ألجأتنى الضرورة إلى ذلك لأنى أراه قد أفنى رجالكم وجندل أبطالكم فقالوا أيها الملك أنت تعلم أن هذا من الجن وأنه قد قطعت رجلاه وردها عليه مولاه وما مات كرفناس إلا وفى قلبه منه النار فقال بيمند سوف ترون العجب ثم قال أنا له ومال إلى حجاف وصاح صيحة الغضب وأظهر شجاعته الذى لا تقدر على مثلها العرب وحقق حملته وطلب وبربر بلغة الروم وضرب الأمير حجاف صفحا وكفحه بالسيف كفحا واذا به على الارض ملقى بطحا فصلبت الروم على وجوهها وقالوا ان كان أجل عبد الوهاب قد دنا فهذا الملك يدرك منه المنا وهذا يجب أن يكون سلطان لنا ثم أن بيمند أمر البطارقه أن يشيلوا الكل إلى المطامير وعاد إلى مكانه حتى ولى الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه وأمرهم بهم فأحضروا بين يديه فقال ياويلكم من جسركم على الهرب فقال أبو محمد أيها الملك كل واحد يطلب لنفسه الخلاص من ضيق الأقفاص نحن نقبنا المطمورة التى فيها أبوك أرمانوس لخفنا منه فقوى هو نفوسنا وأصبنا أن البطريق ميلاص يهرب بنا ووعده أبوك بكل جميل (قال) فلما سمع بيمند ذلك قامت عيناه فى أم رأسه وصارت فى مثل أجاجين الجمر وعاد إلى طبع السودان وبطح أباه أرمانوس وضربه خمسمائة صوت وقال له ياملعون لولا كتاب الشيخ النجيح لكنت ضربت رقبتك ولكن سوف أصلبك وسمع البطال بعقبة فأيقن بالهلاك وعلم أنه مارسل كتابه إلا ويأتى من بعده ولو كان فى آخر الدنيا فبينما الملك بيمند على ذلك واذا بالراهب شومدرس قد تقدم من بيعة سوفيا وجلس إلى جانب الملك وسمع الحديث الذى جرى وكيف أراد الأسارى ان يهربوا فقال للملك من شدة غيظه أيها الملك لى اليك حاجة أريد أن تقضيها لى قال وما هى يا أبى قال تسلم هؤلاء الى حتى أعذبهم وأشفى فؤادى منهم فقال الملك افعل ما تريد فلولا وصية الشيخ النجيح كنت قتلتهم واستريح فجعل شومدرس يقدم واحد بعد واحد ويضربه حتى يشتفى

منه ولم يزل حتى قدمت السعيدة فقال هذه الملعونة أشد كياد من الرجال وأشد اعتقاد وهى التى تجسر هؤلاء الشياطين على الأهوال فلا تعود تحبسها معهم فى مكان واتركها وحدها حتى تذوق طعم الهوان ثم جعل الملعون يضربها الضرب الوجيع وقال شيلوها الى مطموره أخرى ناحية عن قومها وشدوا الى رقبتها كلبين كبار حتى ينهشوا وجهها فى الليل والنهار وأنزلوها مطمورة مظلمة موحشة مدهشة وأنزلوا حجاف ومن معه ناحية أخرى عنها (قال الراوى) وصارت قلوبهم تتقطع على ما أصابها (قال الراوى) وكان آخر من قدموه الى الضرب زحاف فمدوه وقد أيقن بالتلاف إلا أنه قال للملك بيمند بحق دينك قبل أن تضربنى أريد أن أسألك عن شىء وتصدقنى فيه قال الملك وما هو يا شيطان قال الجارية ابنة الملك القانون الأكبر التى هى أحسن من الشمس والقمر ما الذى فعلت فيها قال عاقبتها وضربتها حتى عادت عن دين الاسلام وتزوجت بها ودخلت عليها من ثلاثة أيام فلما أن سمع زحاف ذلك وأن الجارية قد تنصرت وتزوج بها الملك ووقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد :

غلب الهوى والنار فى أجفانى ... والقلب محترق بما أبلانى
من حب من بخل الزمان بوصلها ... ذات الجمال الفائق الفتانى
فكأنها قمر بدا فى ليلة ... ظلماء أو شمس على كثبانى
هام الفؤاد بحب من أحببتها ... بغض الجنان وعاود النيرانى
ممشوقة فتانة خربوعة ... تسبى العقول بمثل قد البانى
انا عاشق وموله ومقيد ... من ذا يفك قياد صب عانى
يا أيها الملك الذى ساد الورى ... الهبتنى والله بالنيرانى
انى أحس النار بين جوانبى ... والموت عند فراقها يغشانى
ان كنت تسمع ما أقول وانه ... عند الكلام يلين قلب الجانى
فاسمع بنظرتها وانت محلل ... من سفك دمى فى أخس مكانى

قال فلما سمع بيمند ذلك ضحك حتى استلقا على قفاه وقال يا عربى وحق المسيح انى قد رحمتك لأنى ارى صفار العشق قد خيم على سائر بدنك ولولا رحمتك فى قلبى لضربت رقبتك وعندى رأى أقوله لك فقال زحاف وما هو أيها الملك فقال بيمند تخلى عنك دين المسلمين وتدخل فى دين النصرانية وأنا وحق المسيح أزوجك بها فلما سمع

زحاف ذلك قال هات يدك وانا على نفسي اشهد ان زحافا برىء من دين التوحيد ففرح الملك بذلك وجميع البطارقة وقالوا ايها الملك علمنا كيف ننصر المسلمين فهم على ذلك واذا قدقام واحد من بين الرهبان وقد لمع فى وجهه نور التوحيد والايمان وقال للملك بيمند من انا فقال سمعان فقال تعرفنى اعرف شيئا من العلم ام لا فقال بيمند مافى علماء الروم مثلك وقد بان لنا عقلك وفضلك فقال دعنى من الصفات اليس انك قد اجتهدت حتى نصرت مسلما وتركته باع دينه واعتقاده من اجل غرض نفسه قال نعم قال وانا عولت على الاسلام وان كان هذا المسلم باع آخرته بدنياه فانا اشتريتها فلازهدفيها الان طائر إيمانه قدطار من قلبه ونزل فى قفص يعنى فى قفص قلبي فافسده وما اصلحه فما احسن الثبات على الصراط المستقيم والرجوع الى دين ابراهيم وانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت إلى زحاف وقال له يامغبون ولكن لا اعتراض على الرب الكريم الذى هو بخلقه عليم لانكما عضوين عضو إلى الجنة وعضو إلى النار فمن مثل حجاف فى العالم واليقين والصبر على العذاب الأليم ولا بد لكما من العرض على مالك يوم الدين ويقول حجاف ياليت بينى وبينك بعد المشرقين والمغربين فلبئس القرين ويلك ابنة أخيك جارية صغيرة السن هى أوفا منك فى العقل والوهن لأنها عذبت بأنواع العذاب وربطوا فى رقبتها الأغلال والكلاب وهى لاترجع عن توحيد رب الارباب فقال زحاف لاتكون قليل العقل ياراهب فانا الليلة ادخل على محبوبتى وأنال طلبي وابلغ أمنيتى بطول بقاء هذاالملك وبركة الشيخ النجيح وزحاف يعلم أن هذا هو الدين الصحيح فقال سمعان اللهم أهلكه وثبتنا على ملة الاسلام فعند ذلك زعق الملك وقال ويلك ابنة القانون كانت نصرانية فرددتها إلى دينها واشتريت بها قلب هذا المسلم وأريد أهبه إياها فانت أى شىء أخرجك من دينك ولكن سوف ترى ما أصنع بك ثم قام وخرج الى باب الذهب وأمر برفعه عليه وقال أرموه على ام رأسه فرفعوه على أيديهم والرهبان والقسوس يلعنونه وهو يقول مرحبا بالموت فى طاعة الله وهم عولوا أن يلقوه واذا بسواد أقبل وصياح مرتفع وضجيج قد علا فقال الملك بيمند ما الخبر فقالت الروم يامولاى هؤلاء أهل السواد قد أتوا جافلين وقد ذكروا أنه وصلت اليهم عساكر المسلمين وقد نزلوا فى مرج الديباج المراحه وقد أهلكوا خلقا كثيرة من الروم والرهبان وخربوا الرستاق وشدوا البطارقة فى الوثاق وهم الينا واصلين والى نحونا قادمين فعند ذلك ناداه الراهب سمعان وقال له

جاك الموت يا قرنان وان كانت لى حياة سوف أتفرج على قتلك فلما سمع بيمند ذلك حمق عليه وضربه ضربا عظيما وقال ردوه الى المطمورة التى فيها جميع المسلمين حتى يشاهد ما أصنع فيهم ولا يبقا فى قلبه شبه فاخذته البطارقة وأنزلوه إلى عند الأمير أبو محمد البطال ومن معه من الرجال وكان قد هلكوا من الضرب وهم يشكوا لبعضهم بعض بما جرى عليهم من بيمند الملعون ويصفون شجاعته وبراعته وحجاف يبكى على حال السعيدة ابنته لما قاست من العذاب فلما نظروا إلى الراهب وقد نزل اليهم ودماءه تسيل فسألوه عن حاله فاعاد عليهم قصته فبكوا المسلمين وزاد بكا حجاف لاجل كفر أخيه زحاف وحدثهم سمعان عن بيمند كيف أراد أن يرميه من أعلا الصور إلى ظاهر البلد وكيف وصلت الأخبار بوصول عبد الوهاب وبنى كلاب الى مرج الديباج وبلاد الروم قد انقلبت وانه فى عسكر ثقيل فسجدوا الأمراء شكرا لله تعالى وأيقنوا بالفرج (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك بيمند فانه ركب وخرج إلى باب الذهب ونادى فى العساكر فركبت وأعرضها فوجدها ثمان مائة ألف فانتخب من الثمان مائة الف اربع مائة الف وانتخب من الاربعمائة الف مائتى الف ثم قال إئتونى بالأمير الذى جاء من اليمن من عند الشيخ النجيج فأحضروا الهجام ابن المقدام فقال له بيمند ايها الأمير اعلم ان امير المسلمين عبد الوهاب قد أتى إلى عندنا ونزل بارضنا وأريدك ان تلقاه فقد قدمتك على العساكر المنتخبة فخذهم فى صحبتك وسر بهم هم والعرب المتنصرة الى مرج الديباج بلا جلبة ولا ارهاج وتمكن فى اربع جوانب العسكر بتاع المسلمين حتى أدركهم على غفلة منهم واكسبهم فاذا سمعت صياحنا فى الليل اخرج أنت ومن معك من الخيل وخوضوا فيهم بلا كسل وابذلوا فيهم السيوف والاسل حتى لا يصبح الصباح الا والأمر قد انفصل فقال الهجام أيها الملك عندى رأى غير هذا الرأى فقال وما هو فقال آخذ معى نفر قليل من العرب المتنصرة قدر عشرين الف ومعى من أصحابى خمسة الاف والبس الكل زى اهل اليمن وأسير بهم حتى أصير خلف عسكر المسلمين وأعود اليهم فاذا أشرفنا عليهم وسألونا عن حالنا أقول نحن قد جئنا من عدن من عند الغيهال نطلب الجهاد فى طاعة رب العباد والزهد وأخباره تصل إلى كل أحد

فاذا أمنوا الينا واختلطنا بهم وقربنا عبد الوهاب صبرنا الى أن يظلم الظلام
وأول ما أعلم إذا كبسناهم أكون خلف عبد الوهاب وأسقيه شراب
الذهاب فاذا قتل بذلنا السيف فى أصحابه ودبرنا أمرنا على
قدر ما نراه ويتفق وصولك فى تلك الساعه
فتبلغ المراد حتى لا يسلم
منهم نسمة
واحدة

تم الجزء الثامن والخمسون ويليه الجزء التاسع والخمسون

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصيه [illegible]وت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمع بيمند كلام الهجام وتدبيره فى قتل الأمير عبد الوهاب الهمام فرح فرحا شديداً ما عليه من مزيد وقال ان تم هذا كان لك الأجر من المسيح والشكر منا ومن الشيخ النجيح وها أنا راحل الساعة ميمنة فارحل أنت ميسره ثم رحل الملك بيمند وأمر العساكر كلها أن تسير وراءه فسارت كل طائفة مع ملكها وهم على الطريق العظمى وركب هجام فى خمسة وعشرون الفا من العرب المتنصرة وقد لبس الملعون ثياب أهل اليمن وفعل بمن معه كذلك وأركبهم خيلا عراة بغير سروج وألبسهم ثياب الخام ولحفهم بالأزرق من القطن الجافى وشد أوساطهم بحبال الليف وسار بهم يقطع الأرض ولم يزالو كذلك حتى صاروا خلف ظهر الأمير عبد الوهاب وكان الأمير قد وصل إلى مرج الديباج فى ثمانين الف من بنى كلاب سوى من معه من بنى سليم وعمرو ابن عبيد الله والمجاهدين كلهم متلاحقين وهو يقصر المراحل فى المنازل حتى يأتوه المجاهدين فبينما هم كذلك وإذا طلعت عليهم غبرة القوم وأقبلت من نحو بلاد الإسلام فقال لأصحابه يا قوم هذا غبار قد طلع من خلفنا وأراه غبار يدل على عسكر جرار وهو كثير غير قليل وما أقول ان الخليفه بعد أن أدركنا ولاجله يلحقنا وما أقول إلا أن هذا غبار العرب من المجاهدين قد لحقوا بنا ثم قال لغلامه نافع الصغير اركب يانافع واكشف لنا خبر هذا الغبار فركب وسار بعد ساعة وعاد وهو فرحان وهو يقول أيها الأمير هؤلاء عرب

اليمن قد وصلوا فى طلب الجهاد وهم خمسة وعشرون الف كلهم أبطال أقيال يصلحون للقاء ويصبرون على الشقاء مقدمهم يدعى هجام ابن المقدام ابن أخى الغيهال فلما سمع الأمير ذلك سجد شكراً لله تعالى وخرج الى لقاء القوم وسلم عليهم ورحب بهم وأنزلهم بالقرب من خيامه وخلع عليهم وكان الأمير يعرفهم وقد سمع بهم من سفار اليمن فلما استقر بهم القرار ادعى الأمير بهجام وأحضره عنده وقال له أنت مثل ولدى كيف أنت وكيف عمك الغيهال قال تركته فى أحسن حال وأنعم بال ولقد أراد الجهاد فما تهيأ له فى هذه السنة أمر وهو عازم على ذلك السنة الآتية فقال الأمير وما شغله قال يامولاى قد قدم عليه رجل زاهد يعرف كنوز الأرض ويسيح فى طولها والعرض يدعى عقبه ابن مصعب يصوم النهار ويقوم الليل وقد اشتغل عن أهل الأرض ففرح الأمير بذلك وقال الحمد لله الذى أعلمنا خبره ولو كان فى الصين لسرنا خلفه فقال هجام ومتى توصل أيها الأمير قال نستريح لأن خيلنا قد تعبت من المسير وتستريحون أنتم ايضا فقال هجام افعل ما بدالك وأقاموا حتى اقبل الليل بالاعتكار وانصرمت جيوش النهار وهجام يقول لأصحابه كونوا على أهبة بحيث ان كل واحد منكم يكون باله إلى واحد من الأمراء المذكورين فإذا وقع الصياح بضرب السيف نصيح عيسى بن مريم فقالوا سمعاً وطاعة وما بقينا ينجينا إلا قوائم سيوفنا (قال) ولما اشتد من الليل السواد وطلبت عيون الناس الرقاد أنفذ الامير عبد الوهاب سيف الحنيفية إلى ميمنة العسكر وأمره بالحرس فى جماعة من بنى كلاب وضم أيضا عبد العزيز العلوى جماعة من المجاهدين والاشراف وقال له كن فى الميسرة فقال سمعاً وطاعة (قال) وكان هذا هجام لبيباً حازما فى الامور فأقبل على الاهوج وكان كما ذكرنا جبار من الجبابرة ولهذا سمته العرب بهذا الاسم وقال له اعلم أن ملك الروم كلفنا بهذه الخدمة فإن أفلحنا فيها وبلغناه مناه أكلنا أموال الروم وتزوجنا بناتهم طول الابد فقال له الاهوج صدقت فما الذى نفعل فقال اركب بنفسك فى ألف فارس وكن مع عبد العزيز الذى تولى الحرس ولا تكن الا على حذر منه واهجم هجمة الأسد القسور فهو مثل عبد الوهاب فى الحرب وأنا أركب فى الف فارس وأكون مع سيف الحنيفية وقد وكلت بمضرب عبد الوهاب جماعة أخرى حتى اذا وقع الصوت واقبل الملك بيمند نضرب المقدمين بالصوارم حتى نرمى منهم الجماجم فقال الاهوج حباً وكرامة أنا لعبد العزيز العلوى ثم دخلوا على الامير عبدالوهاب واستأذنوه فى ذلك فقال يا قوم ما تحتاجون الى ذلك وأنتم قد جئتم من بلد بعيد وتعبتم تعب شديد

فقالوا والله يا مولانا لابد لنا من حفظك من الاعداء لانك فى بلادهم ونحن فما أتينا الا نطلب طاعة ربنا ونجاهد فى سبيل الله تعالى فمن أسعد منا ونحن قد اشتهرنا فى حراسة المسلمين وكنا من جملة المجاهدين فجزاهم الامير خيراً وسار الهجام مع سيف الحنيفية والاهوج مع عبد العزيز فى جماعة من الفرسان مع رجل يقال له عكاش ابن معلس وقد وصاه الهجام بما يفعل (قال الراوى) ولما استقر هذا الحال ومضى من الليل الثلث الاول هناك أشرف الملك بيمند من نحو بلاد القسطنطينية ومعه تلك العساكر التى ليس لها أول من آخر فلما قرب صرخوا صرخة واحدة عيسى بن مريم والصليب فوقع الصياح من كل جانب وتبادرت الفرسان وارتجت الارض من وقع حوافر الخيل وسمع عبد العزيز العلوى ذلك فقال والله لقد قلت للامير عبد الوهاب ارحل بنا قبل أن تكبسنا الروم فما فعل وما حسبت الا هذا الحساب ولكن لله الامر من قبل ومن بعد فقال له الاهوج أيها السيد اذا أتوا الينا قاتلناهم أشد قتال ثم جرد سيفه من غمده وبدر نحو الامير عبد العزيز وضربه ضربة هائلة فقطع يده من كتفه وثنى عليه بأخرى وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح الاهوج عيسى ومريم والصليب وأما سيف الحنيفية فإنه لما وقع الصوت ركض بالجواد وهو يقول للهجام يا أخى كبستنا اللئام وأكثر أصحابنا فى الخيام نيام وقد كنا فزعانين من هذه الاحكام ونحن ما نقول ما للروم من قوة أن يأتوا الى هذا المكان فلقد فعلت سوى الرأى فقال الهجام الآن يا أخى قد كان ما كان وقد جرى الامر بما فيه وما بقى لنا خلاص إلا أن نلقاهم بقلوب أقوى من الجلد ونقاتل عن شريعة سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ثم حرك جواده يطلب الصوت وقد سل سيفه من غمده وهزه حتى برق ولمع وصاح بسيف الحنيفية وضربه طير رأسه عن جسده ووقع الى الارض وهو يقول الله أكبر الله أكبر وصاح الهجام فى رجال اليمن وقال دونكم وبنى كلاب ونادى عيسى ومريم والصليب وكذا حمل الاهوج ورجاله وقد تركت الدنيا تسيح بالدماء وانقلبت الارض بضجيج الروم ولاحت الصوارم مثل النجوم وخرج الامير من المضرب وهو مدهوش لينظر هذه المصائب فضربه عكاش فى ظلمة الغياهب فجرحه جراحات بالغة وصاح فى أصحابه وقد ركبت الخيل وضربوا الناس فى ظلام الليل وصار كل انسان يخاف من رفيقه الذى الى جانبه ويفزع من أخيه وصاحبه وكانت ليلة شديدة الاهوال نثرت فيها رؤوس فيها رؤوس الابطال وارتفع الصياح من كل جانب وحلت بالناس المصائب ومطرت

سحائب المعاطب وقد أزهرت النجوم والكواكب وقصرت الخيل والجنائب ونصرت الروم على الاعارب ووقع الفزع بالراجل والراكب ودخلت الروم مع المسلمين فى المضارب وتعثرت الخيل بالاطناب ولم تعرف الاعداء من الاصحاب وشابت الذوائب وذابت الارواح من طول الليل وعبرت الدنيا جريان السيل ووقع فى بنى كلاب الحرب والويل الى أن اصبح الصباح بالابتسام وولى الظلام وقتل عبد العزيز وسيف الحنيفية وطلب الأمير من شـــدة الجراح الانهزام وملكت الروم الأثقال والخيام والخيول والأسلاب والغنائم العظام وكانت وقعة ما جرى مثلها فى الأعوام (قال الراوى) وكانت ذات الهمة غير حاضرة كما ذكرنا وإلا ما كان تم عليها هـذا المتم ولما تضاحا النهار ملكوا باقى الرحال والأثقال والأموال والجمال والبغال وأسر عمرو بن عبيد الله ومعه عشرين الف من بنى سليم وكانت هذه الوقعة أخت واقعة القبا بلغت الروم فيها المنى إلا أن عبد الوهاب لما ولى قد كان خاف على نفسه لأنه نظر إلى المسلمين وقد انهزمت والسيف يعمل فيهم من كل جانب والروم قد ملكوا عليهم سائر المذاهب (قال الراوى) فلما انفصلت الواقعة فرح بيمند فرحا شديد ما عليه من مزيد وشكر هجام وسأله عن حاله فقال قد قتلت سيف الحنيفية وعبد العزيز العلوى فصلبت الروم على وجوهها من شدة الفرح وطافوا القتلا فوجدوا عبـد العزيز وهو مطروح إلا أنه يبدى الأنين ويحن أدق حنين فقطعوا رأسه وعجل الله بروحه إلى الجنـة ووجدوا سيف الحنيفية وقد وطئته الخيل وهو مضمخ بالدماء ففرحوا الملاعين الفرح الشديد وضربوا الطبول والزمور وسكبوا الخمور بعد ثلاثة أيام بنوا موضع الاميرين صومعتين وطلعت عليهما الرهبان والقسوس ودقوا عليهما الناقوس وكفروا بالملك القدوس وبقيوا هنالك ثلاثة أيام أخر وأنفذوا الأسارى الى مدينة القسطنطينية وفيهم عمرو بن عبيد الله ولما كان اليوم الرابع أراد بيمند أن يرحل فعند ذلك عمل رأس سيف الحنيفية على قنطاريه وتركها على الصومعة الواحدة وفعل برأس عبد العزيز كذلك وتركها على رأس الصومعة الاخرى وطابت الدنيا للكفار وسارت إلى سائر الاقاليم الاخبار وقال بيمند ارحلوا بنا على أثر المسلمين الى ملطية ونملك البلاد والثغور فقالت الروم هـذا شىء ما نفعله الساعه حتى نعود ونترك الرجال والاموال التى كسبناها فى القسطنطينية ونجمع باقى الملوك والعساكر ونطلب بلاد المسلمين فقال افعلوا ما بدالكم ثم رجع معهم الى القسطنطينية ولم يدخل البلد حتى أخرج البطـال وأصحابه والراهب سمعان وأصحابه وأوراهم الاسارى الذين معه والذين أرسلهم وضرب رقاب الكل قدامهم ثم أقرن الامير عمرو بن عبيد الله

مع البطال وأصحابه لحدثهم الامير عمرو بما جرى على المسلمين من المصائب فبكوا بكاء الثكلات من النوائب وجرت العبرات وقالوا هذا كله بقضاء الملك العلام ولقد انهدت أركان الاسلام (قال الراوى) وان بيمند لما فرغ من قتل الاسارى رد البطال وأصحابه الى المطمورة وأمر بحبس الامير عمرو فى ناحية عنهم وقال هذا أمير العرب كلها وأنا أريد أضيق عليه حتى آخذ منه كل مال حمله اليه أبى أرمانوس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما رجع منهزماً وأتى إلى عند قومه أمن على نفسه وأقام ينتظر ولده سيف الحنيفيه وعبد العزيز العلوى ومن يرجع معهما وقد ظن انهما فى الحياة وماعلم انهما شربا كاس الوفاة ولم يزل كذلك حتى أتت باقى الجيوش بعد ستة أيام وأعلموه بالحالى فبكا بكاءشديداوأرمى عمامته واشتدت حسرته وشاع الخبر فى العسكر فما بقى أحد الاوبكى ثم مضى الأمير إلى ملطيه وهو على تلك الحاله فلما ان وصلوا وجدوا المنهزمين قد أعلموا بالخبر أهل ملطيه واللطم يعمل من كل جانب فلما ان وصلوا والامير عبد الوهاب على تلك الحالة زادت المصائب ووقع الندب فى الازقه وحل بالناس أعظم حرقه ودخل الأمير عبد الوهاب إلى والدته وهى مريضه فبكى بين يديها فزاد مرضها وبكت على المجاهدين ثم انها تحسرت كيف لم تكن حاضره فقال لها الأمير عبد الوهاب ياأماه لاتتحسرى فما على المريض حرج فى تخلفه عن الجهاد وأنى قد استولى عليك الكبر فقالت يابنى ما كنت أشتهى الا ان أكون معكم حتى أقتل ومن أسعد منى ان أكون مثل هؤلاء الذين قتلوا فى هذه الوقعه ويكفيهم انهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين (قال الراوى) فهم فى الحديث وأخوات عبد العزيز قد دخلن عليهم وهن لابسات السواد مجزوزات الشعور ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور فلما ان رأتهم الأميره ذات الهمه على ذلك الحال بكت وقعدت على فراشها ونهتهن عن ذلك فقالت زينب ماشاء الله كان لامرد لقضاه ولا دافع لبلاه والصبر أجمل ولابد لنا ان نلبس الدروع ونسير فى هذه النوبه مع الجيوش والجموع وندخل فى بلاد الاعداء ونجاهد حتى نشرب كاس الرداء فسير أيها الأمير والسيد الخطير حتى نسير بين يديك ضاربات ولاخذ التار مشمرات فقال الأمير سمعا وطاعه بعد خمسة أيام أرحل وأدخل إلى بلاد الكفار ثم خرج فنظر إلى الناس وقد أقاموا الرايات وتظاهروا بالحسرات ولبسوا السواد وهلبوا الخيل الجياد وهم معولين على الرجعه إلى بلاد الكفار وبذل المهج وخوض اللجج فنادى الأمير ماعلى من طلب التار من حرج خذوا الاهبه للمسير ففرحواالناس بذلك وأخذوا

الاهيه وكذلك أخوات عبد العزيز حصلن آلة الحرب والجلاد وعولن على أخذ التار والجهاد وقد قالت زينب والله لارجعنا إلى الديار حتى أدخل بلاد الروم وآخذ عظام عبد العزيز أخى وأعبر بها إلى بلاد الإسلام وأموت حول القبر صبر ولا أريد بعد عبد العزيز صيانة ولاسترا (قال الراوى) وبعد خمسة أيام رحل الأمير عبد الوهاب بالناس وقد وقع فيهم الوسواس وخرجت الأميره ذات الهمه فى المقدمه وهى على تلك الحاله من الضعف لان الغيره على الإسلام حملتها على هذه الاحكام (ياساده) هذا وعبد الوهاب معلق القلب بالخليفه وقدومه ويقول والله لقد أبطأ علينا خبره وقد قال انه يلحقنا إلى بلاد الروم بعسكره ثم انه سار من الثغور حتى أمسى المساء ونزلوا فى مرج الطيور والمجاهدين متلاحقين بهم من الثغور فلما أصبح الصباح وعول الاميران يرحل وإذا بغبار قد طلع وعلا وارتفع فجعلوا الناس ينظرون اليه ويتعجبون منه ثم انكشف ذلك الغبار كانه البحر الزخار وفى أوائله الرايات والاعلام مع الديلم والاعجام وعلى مقدمهم المعتصم الامام والعسكر من ورائه يندفق مثل الغمام (قال الراوى) فلما نظر عبد الوهاب إلى ذلك ركب وركبت الأميره ذات الهمه وأمراء بنى كلاب وقد ارخوا العمائم فى الرقاب وضجوا اليه بالبكاء والانتحاب والتقوا المعتصم على تلك الحاله فانذهل لما رأى الناس غارقين فى لبس السواد مثل الغربان والويل قد ارتفع من شدة الاحزان فقال المعتصم للأمير عبد الوهاب ايش هذا الذى بكم اشرحوا لى خبركم فبكى الأمير عبد الوهاب بدمع مسكوب وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

ألا ياخير شخص فى العباد ... ويا ابن العز من أهل السدادى
أعنا فالحوادث قد دهتنا ... وقد فنيوا الحواضر والبوادى
وقد كسرت رجال بنو كلاب ... وقد حطمت لنا يوم التنادى
وتمت حيلة الكفار فينا ... وأفنونا بأسياف حدادى
مضى سيفى الذى قد كنت أسطو ... به يوم الحروب على الاعادى
نعوه وأقلعوا لما نعوه ... حشاى وكان مصرعه فؤادى
سيلقى ربه وعليه ثوبا ... بدا مخضبا بدم الاعادى
ويلقى فى جنان الخلد حورا ... وولدانا بكاس للودادى
كذا عبد العزيز غدا طريحا ... تطاه الروم بالخيل الجيادى

يقول أنا ابن فاطمة وجدى على المرتضى باب الرشادى
ألا من لليتامى بعد فقدى يراعينى ومن يرعى ودادى
ألا من للحنينات بعد موتى يغير عنهم لبس السوادى
سلام الله يغشاكن منى ورحمته إلى يوم التنادى

(قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب ينشد ويبكى والخليفه أيضا يبكى ثم نزلوا الناس عند السور وأقبلت العساكر فملات الدنيا بجنباتها لان الخليفه كان وصل فى ستمائة ألف بطل همام أعراب وأعجام وأتراك وأكراد كرام وغير ذلك وهو قلقان على المجاهدين ولما أصبح الصباح نادى مناديه فى الناس بالرحيل ولم يأخذه اصطبار ولاقرار على فعل الكفار بالمسلمين الابرار ثم انه سار وعبد الوهاب فى المقدمه مع بنى كلابه ثم يسيرون موكب واحد كلهم لابسين السواد وخيلهم مهلوبة الاذناب وأخوات عبد العزيز سائرات من أجل تار أخيهم وكل الجيش يضج بالبكاء ويبتهلون بالدعاء إلى رب السماء (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من ملك الروم بيمند فانه أقام فى القسطنطونيه حتى اجتمعت العساكر من سائر الأقاليم ولم يبق فيها الا النسوان والصبيان أو رضيع أو فطيم والبلد مزين بالزينة الحسنه والطبول تضرب على باب البلد والروم تقدم قوم بعد قوم وهم يلتقون القادمين ويبشروهم بالنصر والظفر وقد قال لهم اللعين بيمند لاتخرجوا هذه النوبه الا على نية الاقامه فى بلاد الاسلام لانى أريد أملك لكل ملك منكم أقاليم من أقاليم المسلمين لان المسلمين قد هلكت أبطالهم ولابقى يقوم لهم قائمة أبدا وقد ذكروا أيضا ان الأمير عبد الوهاب ضربه رجل من هؤلاء اليمانيين فى الظلام بالحسام ونحن منتظرين الجواسيس تأتى بخبر هلاكه والروم قد فرحت بماقاله وقالوا هذا شىء مارأيناه فى أعمارنا من ملك ملوك النصرانيه والمسيح يشد عزمك ايها الملك بيمند فما يصلح للملك الا أنت ثم قالوا ارحل أيها الملك إلى بلاد الاسلام قبل ان يرجعوا ويقووا ويجتمعوا فقال انا على هذا معول وفى غداة غد ارحل بالروم على ان المسلمين مابقيت تقوم لهم قائمه ثم أقام حتى أصبح الصباح وعول على الرحيل واذا هو ببطريق قد دخل عليه وصار فى الحال بين يديه وهو متغير اللون مضطرب الكون فقال له بيمند مابالك فقال أيها الملك ادرك الشيخ النجيج قبل ان يهلك والحقه قبل ان لاتلحقه فقد وصل الينا وهو فى زى قسيس من قسوس الشام حتى يخفى أمره عن أهل ملة الاسلام وقد أخذوه البارحه عشرة من المسلمين وقد طلبوا به طريق ملطيه وعليه ذلك الزى حتى ينهتك ستره وقد أخذوا معه بنت صاحب الدير وهى ماريه محبوبتك التى

أردت ان تتزوج بها فاعزم على خلاصهما وخلاص الشيخ النجيح ولا تقعد عنه فيطالبك المسيح لان المسلمين مايبقوا عليه ان انهتك ستره ويشتفوا فيه ويقتلوه ولو قتلت بعدذلك كل من في بلاد الاسلام لما رضى عنك السيد المسيح بعد ان يقتل الشيخ النجيح (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان القاضى عقبه بعد مسير الهجام بأيام أخذ خطوط أهل اليمن بما بان لهم من عبادته وكرامته ثم دخل على الغيهال صاحب البلد واستأذنه فى المسير وقال له قد قتلنى الشوق إلى مدينة القدس لان هناك اخوان وقد اشتقت إلى زيارتهم وأريد ان تأذن لى فى ذلك فشق ذلك على الغيهال وقال يامولاى ما بقى لى صبر عنك ولا عن مشاهدتك ومادام انك تطلب الزيارة ماأقدر أمنعك ولكن أشتهى منك خرقة تكون عندى تذكره أتبرك بها فان أنامت قبل ان ألقاك تركتها فى كفنى حتى ألقى ربى بها فقال عقبه لاتظن بى شيء من هذا من أنا ياملك وهذا شيء ما أنا من أهله ثم أعطاه بعض قصانه وودعه وسار حتى وصل الى الشام ودخل الى القدس ونزل الى الساحل وأكرى منه مركب وسار فنزل قريب من مرج الديباج موضع كانت الوقعة فنظر إلى القتلى ووجد المجاهدين مرميين فقال واحسرتى الذى ماكنت حاضر هذه الوقعة وابردها على كبدى هذا أراه فى المنام أوفى اليقظة ثم انه عدل إلى دير شمونين فاستضاف صاحبه ونزل عنده وكانت له ابنة يقال لها ماريه وكانت أحسن زمانها فى الجمال والكمال والقد والاعتدال واللطف والدلال ولها وجه جميل فلما انرآها عقبه طار عقله وحار لبه وانذهل خاطره الا ان الراهب أكرمه غاية الاكرام وأتاه بشيء من الخمر ولحم الخنزير وأكل ثم اجتمعوا سائر الرهبان وقال اقعدوا بنا فى هذه الليله حتى نساهر الشيخ النجيح فقعدوا يشربون ومعهم بنت القس تسقيهم وهى مثل القمر إذا أضاء وقد شدت خصرها بزنار ابريسم وقد نفر ردفها من شدة شد الزنار وهى تدير عليهم الاقداح وخدودها مثل حمرة التفاح وعقبه يأخذها من جانب أبيها ويقبلها فى خدها ويقول بارك المسيح فيك فقال أبوها أيها الشيخ النجيح لقد شرفت ابنتى بتقبيل خدها وتقول لها بارك المسيح فيك وأنا أعلم ان الرحمه نزلت عليها هذا وعقبه سكر وطاب وكلما نظر اليها زادبه الاكتئاب (قال الراوى) ياساده وكان بيمند يحب هذه الجاريه محبة عظيمه شديدة من ايام أبيه الا انه مايقدر عليها لاجل انقطاعها للعباده فى الدير وهذا عندهم أمر عظيم (قال الراوى) وفى ذلك اليوم وصل عشرة من الناس عند المساء فى زى تجار الارمن وكان فى أوائلهم شاب حسن الشباب جميل الاهاب مارأى أحدا احسن منه يقال له قيس بن عمرو وكان هذا الغلام من أهل الجزيرة وكان قد ورث من أبيه مال كثير وضيعه مع الشباب وأبذله

للفقراء والمساكين والقاصدين فلما كمل عقله خطب ابنة عمه فزوجه بها وهو يظن ان معه شيء من المـــال فقطع عليه مهر ثقيـل ومن كرم نفسه ماشكى الفقر لعمه بل أجابه الى ماطلب وقال لعشرة من أصـــدقائه وأحبـــابه ومن يلوذ بهم ويلوذون به وشكى اليهم حاله وطلب منهم المسـاعده فأجابوه إلى ماطلب فأخذهم ودخل بهم إلى بلاد الروم فى زى تجار الارمن ومعه الطيب والندوالمسك فصاريبيع منه فى الاديره حتى وصل إلى هذا الدير الذى فيه عقبه فرآهم القس فقـدم لهم خبز وعدس وهم يدعون له بلسان الارمن وهم يأكلون إلى ان لاحت منهم التفاته فرأوا القاضى عقبه وقد خرج من داخل الدير يريق المـاء وكان عليه برنس راهب وثوب شعر اسودودقنه الى سرته فتعجبوا منه الى ان عاد وهو يقول ماأبرك هذا الزمان ببركة هؤلاء ثم ذكر قتال الروم للمسلمين وهلاك سيف الحنيفيه والأمير عبدالعزيز فلما رآه قيس قال لاصحابه اماهذا عقبه الذى هو قاضى القضاة فى بلاد الاسلام فقالوا أصحابه هواياه ولا شك فيه فقال لهم ماأسعدنا ان أخذنا هذه الجاريه وعقبه أيضا ونحملهم الى عبدالوهاب ونأخذمنه مايغنى فقرنا فقالوا له افعل ماتشاء ثم أقاموا يرصدون هؤلاء وهم يشربون ومع عقبة يتحدثون ويحكون له ما فعل بيمند وكيف قبض على أرمانوس وما دبر على المسلمين والأمراء وهو يضحك ويقول كل هذا عملى وبتدبيرى وأما أرمانوس فانه قد أذل النصرانية ويحمل الأموال إلى المسلمين وأنا أدخـل إلى القسطنطونية وأدبر دولة بيمند ويبلغكم ما أفعل ولم يزالوا كذلك إلى وقت السحر ووقع كل واحد منهم يشخر مثل البقر فعند ذلك قام قيس بن عمرو وأصحابه وقال دونـكم والجهاد فى هؤلاء الأوغاد ومكنوا منهم الخناجر فقاموا القوم وفعلوا ذلك وذبحوا الـكل عن بكرة أبيهم ورموا رؤسهم مثل رؤس التيوس وكتفوا عقبة وهو سكران طريح وقد تقايا على ثيابه وصـــدره ولحيته فحملوه وهو على تلك الحاله وأخذوا الجارية معهم ونهبوا كلما كان فى الدير واستقاموا على الطريق طالبين بلاد الاسلام وقيس يقول لأصحابه كلما أخذتموه أنتم فى حل منه وانما أنا أريد هذه الجارية مارية والشيخ عقبه أسير به إلى عسكر المسلمين وأشهره بين الموحدين فقالوا له افعل ما بدالك (قال الراوى) وكان قد بقى فى الدير بطريق من أنحس البطارقة وكان يعشق الجارية وترهب مـن أجلها وانقطع إلى العبادة بسببها حتى يكون ينظرها ويشاهدها وكان شرب مع عقبه وطلع إلى قلايته وغلق عليه بابه ونام ومعه قليل من المدام وطلب بذلك إلى أن يناموا ويقوم لمحبوبته لأنه رآها فى الزى الذى ذكرنا وقصد منها فرصة فنام وما انتبه إلا على الشخير

وهو شخير المذبوحين فلما رأى ذلك بقى مكانه يرتعد من شدة الفزع حتى أصبح الصباح ونزل إلى الدير فرآه فضيحة من كثرة ما فيه من القتلى ووجد عقبه قد فقد والجارية قد أخذوها وأخذوا كلما كان فى الدير من المال والصلبان فقال وحق المسيح ما أصبنا إلا من تجار الأرمن الذين باتوا عندنا وما أقول إلا أنهم كانوا من شياطين المسلمين وما طلبوا إلا طريق ملطيه وإلا فأين يهربون ثم نزل من الدير وسار إلى بيمند كما ذكرنا وأخبره بالخبر كما وصفنا فقامت عليه القيامة لأنه كان يحب الجارية محبة عظيمة وما سمح لزحاف بابنة القانون الا لما كان فى قلبه منها وكان أمل أن يأخذها من الدير وطمع فى ذلك ملك القسطنطونية فعند ذلك قام الهجام وقال للملك ما تبان الرجال أصحاب الهمم الاوقت الشدائد والأهوال وأنا أسير فى هذا الوجه وأخاص الشيخ النجيح ولو وصلو الى بلد الاسلام انى أنا ما أنكر ولا يعرفنى أحد فقال بيمند افعل ما بدالك بارك المسيح فيك فسار الهجام فى مائة فارس والراهب الذى أتاهم بالخبر بين أيديهم وهو يقطع بهم الأرض فى مواضع يعرفها وكان قيس وأصحابه لما أخذوا عقبه والجاريه قد ساروا برفق فى المسير لأنهم آمنين ممن يلحقهم وقلب قيس قوى بما فعله فى أصحاب الدير وقد أيقن انه ما بقى فيه من يخبر بخبر فصار يسير الليل ويكمن النهار الى ان وصل الى مجمع الجبلين ورأس النقيب واذا قد التقى بهم ثلاث جواسيس وهم طالبين القسطنطونية فلما رأوهم فى زى الأرمن أمنوا لهم وقالوا لهم الى أين انتم سائرين فى هذه الأرض وبينكم وبين عسكر المسلمين ليلة واحدة وخليفهم قد دخل الينا فى عساكر تسد الفلا وتملا المستوى وهو لابس السواد وكذلك عبد الوهاب وذات الهمة والكل لابسين السواد وقد تحالفوا انهم لا يرجعون حتى يتركوا الدماء تجرى فى ازقة القسطنطونية مثل الأنهار ولا يبقون فيها ديار ولا نافخ نار بل كل من وقعوا به قتلوه وقد حذرناكم فارجعوا الى ورائكم قبل ان تقعوا فى عساكر العراق وقد ملات الافاق وقد حلف الخليفة لا بد ان يسقى الروم كاس المحاق فلما سمع قيس ذلك نزل ونزلت رجاله واظهر للروم انهم راجعين وباتوا تلك الليلة وقد طابت قلوبهم وقالوا غدا تصل الينا عساكر المسلمين ونهتك ستر هذا الشيطان عند امير المؤمنين ونتركه عبرة الى يوم الدين فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم الهجام ابن المقدام وعرفهم البطريق الذى سلم من الدير فقال للهجام دونك واياهم فزعق فيهم وحمل عليهم ودارت بهم البطارقة اسرع من الأجل ولم تكن الا ساعة حتى قتلت التسعة واخذ قيس ابن عمرو اسير وكانت

الجارية قد عشقته لما رأت حسنه وجماله وقده واعتداله وقد اشتهت أن لا ترجع الى بلاد الروم وقد أصاب قلبها من هواه جراح وكلوم وتمنت ان تعيش معه فى بلاد الاسلام وهى التى كانت سبب سلامته من الحمام لأنها قالت وحق المسيح أن قتلتموه لأقتلن روحى ولا أوريكم شخصى ولا أصل معكم الى عند الملك فتركوه لأجلها وحلوا القاضى عقبه من الوثاق وساروا طالبين القسطنطونية والروم ينزلون على اقدام عقبة يقبلونها ويهنوه بالسلامة وهو يشكر الهجام والهجام يقول ياشيخ جزاك المسيح خيرا لانك انفذتنى الى النعيم وارشدتنى الى الدين القديم وقد خلصتنى من بلاد اليمن من ذلك العيش الزميم ثم جعل يحدثه بما فعل وكيف احتال على المسلمين وكيف قتل أمراءهم (قال الراوى) وعقبه لاتسعه الدنيا من الفرح وسار حتى وصل الى القسطنطونيه فوجد الروم فى قلق عظيم من انتظارهم لعقبة فلما اروه جعلوا يسلمون عليه والملوك يقولون ايها الشيخ النجيح لقد طال شوقنا اليك وانتظارنا لك فما الذى حملك على تغريب نفسك هذه الغربة ولك فى بلادنا متسع وما بقى فى العمر أكثر مما مضى فقال عقبه لو لم أدخل إلى بلد اليمن ما كان جاء اليكم هذا العبد الصالح والأمير الناصح سيد ملة المسيحة والطائفة المريمية الهجام ابن المقدام وكنت فى اليمن ودبرت هذا التدبير وقتلت عشرين ألف مسلم وضربت خمسه آلاف رقبة وأهلكت سيف الحنيفية وعبد العزيز العلوى الذى كان فى فؤادى منه نار لا تطفأ ومن الساعة ما بقى فى قلبى حسرة إلا من أبو محمد البطال وولده وغلمانه وعبد الوهاب وأمه ذات الهمة فاذا لم يبق أحد من هؤلاء انطفت نار قلبى وبردت وما أبالى بعد ذلك كيف مت على انى وحق المسيح ما تموت من بدنى شعرة إلا وقد نالت هذا من بعدى ويلعنونى لأن لعنتهم تجدد الرحمة على قبرى وتبرد تحت الأرض مضجعى واعلم أن ذلك من غيظهم وحنقهم على وأنا أجد الراحة إذا أدخلت على قلوبهم الغيظ على أن المسيح يعطينى شهوتى ويبلغنى بعد ذلك إلى جنات النعيم ويتركنى فى العيش السليم بما قد فعلت واجتهدت فى الطاعات لأنى أقل ما قتلت فى حياتى فى بتدبيرى من المسلمين مائة ألف أو يزيدون وخربت المساجد فمن فى الأرض له مثل هذه هذه الحسنات فقالت الروم ما يقدر على هذا أحد غيرك (ياسادة) هذا وبيمند قائم فى خدمته وقد أقبل عليه بعد فروغ حديثه وقبل رأسه ومسح بيديه على صدره وقال حفظك المسيح فقال وأنت أيها الشيخ النجيح فقام عقبه ودعا له وقال لازلت محفظا بعيد وقريب وعليك بركات المسيح و

والصليب ياولدى أين أبوك أرمانوس وأين البطال وأصحابه قال الكل بحكمك ثم أمر بهم فحضروا بين يديه فلما رآهم صلب على وجهه وقال ما كان المسيح بالذى يهلككم وأنا غائب فأبقى عليه طول الدهر عاتب ثم قدم الأمير حجاف وأسرف عليه بالضرب غاية الاسراف وحجاف قد رفع طرفه إلى السماء وهو يقول يامن خلق الخلق ورفع السماء وتفرد بالدوام والبقاء وضمن على نفسه الاجابه لمن اتقى اجعل يارب لنا من كل ضيق مخرجا ومن كل أمر فرجا وكان عقبة يسمع وكلما سمع دعاءه ضربه حتى كاد يقضى عليه ثم ثنى بالبطال وولده مذبحون وكانوا لما رأوا طلعته ما فيهم الا من قد علم أنه قد حانت منيته ثم رد الكل إلى المطمورة بعد ما عاقب الراهب سمعان وهو يقول ما أرجع عن قول أن الله واحد أحد فرد صمد ليس له زوجة ولا ولد وعقبه يقول سأرجع اضرب فؤادك بسكين ولا تقول هذه الكلمة ثم أمر برفعهم وهو يقول وحق المسيح لا أقتلنكم حتى أجعل رأس عبد الوهاب على رقبة مذبحون ولما رفعوا قال لبيمند أحضر لى ابوك حتى أوقفه على فعله لأنه ما كان له قط يوم من أيامك بل كنت اقول له عليك بالجهاد والعزم الصادق وهو لا يسمع منى بل يزن الجزية مثل اليهود فلا فرج المسيح عنه من الحبس والضيق والقيود حتى يموت موت القرود هذا والهجام قد قدم الجارية قدام بيمند فلما رآها فرح واندهل من حسنها وامر بضرب رقبة قيس ابن عمرو فقالت الجارية وحق السيده مريم أم النور وبيعة مريحنا ويعفور ان قتلتم هذا المسلم لاقتلن روحى ثم بكت ولطمت فحار الملك من ذلك وقد زاد هيامه بها لأجل جمالها فرفعها الى قصره وامر بقيس ان يرفع الى المطمورة التى فيها ابو محمد البطال فصار بيمند كلما اراد ان يخلو بالجارية بكت ولطمت وهو يتخضع لها ويدارى قلبها وهى لا تلتفت اليه ولا تقبل عليه ولما حار فى امره شكا حاله الى عقبه وقال إيش اعمل فى هذه الجارية فقال دعها ايها الملك حتى تبصر إيش يكمل لنا من جيشنا ومن جيش المسلمين لأن خليفتهم اليك قد دخل وإلى بلادك قد وصل ومعهم عساكر المسلمين فدبر امرك واتركنا من هذه الأمور وهذه النوبة هى نوبة الانفصال لأنك ان كسرته فاخرج على حالك واملك البلاد فما يمنعك منها احد من العباد والمسيح قد رزقك مالم يرزقه اياك ولا أحدا سواك فقال بيمند يا أبونا دعهم حتى يصلوا بالبعد من ديارهم وتنقطع عنهم الميرة والطعام وأنا أفعل بهم كما فعلت بأصحابهم فقال عقبه بارك المسيح فيك فما رأيت قط أبصر منك بالحرب إلا أن تكون أمك ميمونة رحمها المسيح ورحمتها القسس والرهبان

ورحمتى عليهم فى كل أوان فلقد كانت امرأة صالحه وعن الدين مكافحه فلما سمع بيمند ذلك قال هنيئاً لها على هذه الفعلة ثم قال للروم خذوا الاهبة حتى ندبر على المسلمين أخت تلك الوقعة (قال الراوى) فهذا ما كان من هـؤلاء وأما ما كان من المعتصم فانه سار بعساكر المسلمين يقطع الارض فى الطـول والعرض حتى دخل إلى بلاد الروم وأشرفوا على مكان الوقعة فرأوا رؤوس المسلمين قد بنيت صـوامع ورأس سيف الحنيفية ورأس عبد العزيز قد عملا على قنطاريات وأبدان المجاهدين مطرحة على الارض فدفنوهم وانقلب العسكر وضج من سائر الاقطار وكانت هـذه الوقعة أعظم من وقعة الفنا فقال المعتصم وقد بكا حتى كاد ان يغشى عليه ليتنى لم أكن فى الدنيا ولم أرى ماحل بهؤلاء المجاهدين من البلاد (قال الراوى) هذا واخوات عبد العزيز قدتجاروا إلى رأس أخيهم وأخذوه من على الرمح وصارت زينب تلثم ذوائبه وعارضيه وتقول ياأخى مااتصلنا حتى انفصلنا ومتى اجتمعنا حتى افترقنا رحمك الله ورحم من ترحم عليك يعزوالله على ياأخى ان أراك مقتول ياأخى من تركت لنا بعـدك يرعانا ياأخى ماكان لنا غيرك يتولانا ياأخى عرينا الساعة اننا غرباء لفقدك بالعويل والانين ثم انهم طيبوا الرأس وكفنوه وأخذوه معهم وفعل الامـير عبد الوهاب برأس ولده سيف الحنيفيـة كذلك وهـو يقول ياأخوات عبد العزيز والله انى حملت من همكن أكثر مما حملت من حزن ولدى سيف الحنيفيـة هـذا والمعتصم يقول وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لابدلى من أخذ الثأر واكشف العار واجعل روس المشركين موادن مثل هذه الصوامع وألقى فى بلاد الروم الفجايع ثم رحل طالب القسطنطونية وعبـد الوهاب يقول ياأمير المؤمنين لقد أخـبرت أن هذه الامور التى جرت كلها كانت من تدبير عقبة ابن مصعب وهو الذى نصر هذا الملعون وانه هو الذى أخرجهم من بلادهم فقال الخليفه ياقوم لاتفعلوا بالله ارجعوا إلى الله تعالى فقد جاءتنى الكتب وفيها شرح ماجرى لعقبة وان الله تعالى قـد فتح له كنوز الارض والمطالب فى عـدن وقد تاب على يديه خلق كثير من أهل اليمن وهـو يدعوا للمسلمين ليلا ونهـارا على انى والله العظيم ماأقول هـذا الا ممـا سمعت فى الكتب التى وصلت إلى وانتم تعلمون ان الشرع مايقبل شهادة الا مع المشاهد ولم يزالوا سايرين حتى وصلواالى مرج الاسقف فباتوا تلك الليلة واحترزوا لانفسهم خوفا من النوبة الأولى (قال الراوى) ووصلت الاخبار إلى ملك الروم فجمع البطارقه والعمالقة وشاورهم فـيما يعمل فقالوا أيهـا الملك عساكرنا كلهـا على باب الذهب ولابد لنا من الرحيل إلى هؤلاء العرب فقال الملك اذا كان الامر

كذلك فاعزموا وعلى قتالهم صمموا ثم قال لعقبـــة أيها الشيخ النجيح اركب معنا حتى تشاهد فعالنا بهم فقال عقبة ومثلى من يقعد عن هذه النوبة لاوحق المسيح ولا بد مما أعينك بدعائى عسى تنال بركة شيبتى ومابينك وبين القوم الا ان تأخذ منهم عبـــد الوهاب والمعتصم وذات الهمـة فما يبقالك هم ولاغم وذلك الوقت أكشف رأ.ى وأقول لهم انا عقبة ابن مصعب يامعاشر العرب وارسل بعد ذلك من يخرب ديارهـــم العامرة ويتركها قفار وأجوز فيها بعساكر النصرانيه ليلا ونهار فقال الملك مالك شىء أقرب من هذا فابشر به فى أيامى ثم نادى فى العساكر ورحل بلا قرار حتى أشرف على عساكر الاسلام وثار الغبار وقد وقع الصياح والتكبير من عساكر المسلمين وعلا التهليل والتسبيح لرب العالمين وكان ذلك الوقت وقت العصر وقد وقعت الطلايع على الطلايع وكان فى أوائل المسلمين الأمير ضيغم ليأخذ بثار أخيه وكان فى طلايع الروم بيمند بنفسه لأنه كان مدل بشجاعته وبراعته وما فى عينيه من أهل الأرض شىء إلا أن ضيغم لمـــا عاين صلبان الروم تجدد فى قلبه الهموم وحمل من وقته وساعته على الروم حملة الأسد الهجوم واصطدمت الأبطال وثبتت الرجال وحامت عقبان الآجال وعملت الصوارم الصقال وفاضت السمر العوال والتقت الأبطال بالأبطال وأضرمت نار القتال واهتز الشجاع فى سرجه ومال وأيقن الجبان بالفنا والزلزال وأهلك الملك بيمند من المسلمين جماعة كثيرة وأبطال غزيرة فلما نظر ضيغم الى حملاته وضرباته وطعناته والروم تكر لكراته وتحمل لحملاته وتقف لوقفاته علم انه الملك فأطلق نحـــوه عنانه وقصده بسنانه وشفا من البطارقه غليل فؤاده وجعله قصده ومراده وصوب سنانه اليـــه وهمته قد عزمت عليه فلما قاربه التقاه بيمد فعنـــد ذلك تجاولا وتقاربا وتضاربا وتحاربا كانهما اســـدين ومعهما سيفـين قاطعـين وكان الملعون بيمند قـــد حمل على ضيغم ثلاث مرار فعند ذلك حمل ضيغم عليه وضربه وكانت ضربته قاطعة فوقعت على عنق جواد بيمند قطعته فوقع ووثب الملعون وصار على وجه الأرض وبادر وضرب جواد ضيغم على قوائمه أبراها فوقع ضيغم وصار على وجه الأرض وحمل على بيمنط وبدر إليه لأجل نخوته هذا وبيمند غضب غضبا شديد وصاح مثل أسد وانتقل تحت درقته وانقلب وأدرك ضيغهم فتراجع ضيغم إلى وراه فزعا من العطب فعثر بحجر فوقع على قفاه فأخذه عدو الله أسير وقاده ذليل حقير ورجع به إلى عسكره فاول من التقاه القاضى عقبه ابن مصعب ونادى ابشر أيها الملك بالظفر فهذا عبد الوهاب الأصغر فالمسيح نصرك وأيدك بالنصر (قال الراوى) واتصل الخبر إلى

الأمير عبد الوهـاب فبقى قلق الفؤاد مسلوب الرقاد قال إنا لله وانا إليه راجعون لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا الملعون قيل لى عنه أنه سفاك الدماء وقد قتل ولدى وأسر الآخر ولـكن ما يكون الا ماقضاه الله تعالى وبقى مشغول الخاطر لأجل بيمند وشجاعته وأسر ولده وانـكسار طلعته (ياساده) وأن عقبه أمر بضيغم قدوه وضرب تحت الظلام إلى أن أشرف على الحمام وقال لبيمند أيها الملك أنفذه إلى القسطنطينيه وأمر بحبسه عند البطال حتى يتفرغ قلبك من هـذه الأشـغال فقال صدقت هـذا هو الصواب ثم أرسله فى الحـال مكتوف بالحبال مع الرجال وأقام الى الصـباح ثم نادى فى عساكره بالركوب وصاح وكذلك الامير عبد الوهاب عبأ كتائبه ومواكبه ونشر أعلامه وقد عزم على القتـــال وقدم عزمه واهتمامه وأمر النـاس بالحملة فحملوا ورأى عقبه ذلك فنـادى بالملك وقال يا ملك ابدر بالقوم فالبدره لمن بدر وتولى أنت الأمر بنفسك لأن المسيح لك ناصراً ومساعداً (قال الراوى) فلما سمع بيمند كلام عقبه صاح فى البطارقة والعـلوج واختلطت الـكتايب والفيوج وتزلزلت الأرض والمروج ودقت الطـبول والبوقات وخفقت المنجنوقات ونشرت الرايات وظهرت العلامات واســودت الآفاق بغبارها وأظلمت الأرض بأقطارها وتعثرت الخيـل بأحجارها وأضرمت الحرب نارها وخطت الهيجا أوزارها وأيقنت النفوس بانقضاء آجالها وقصر أعمارها (قال الراوى) وكان أول من صدم الناس الأميرة ذات الهمه كأنها اللبوة المصممه فخرقت المواكب وبددت الكـتايب وكذلك الأمير عبد الوهاب ودارت طاحون الحرب مثل الدولاب وكان الأمير يقاتل ودمعه يسـبق وقلبه محترق والمجاهدين قد بذلوا المجهود وطلبوا أخذ التـار من أهل الـكفر والجحود وعفر التراب نواعم الخدود وتنـكست الأعلام والبنـود وقطعت الصوارم والخلايف والـكبود ووصلت أرواح أهل الإيمـان الى المقام المحمود فى جنات الخلود وتلقتها الملائكة بأمر الملك المعبود ونقلت أرواح المشركين إلى النار حتى تنضج منهم الجلود (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتـل ونار الحرب تشعل إلى أن تنصف النهار والأميره ذات الهمه قد حملت تحت الغبـار وخرقت الصفوف وجدعت الانوف ونثرت القحوف وهى بقلب غير مخوف وقلبهـــا محزون ودمعها على الأمير سيف الحنيفيه مذروف فبينما هى تضرب وجوه الاعدا وتسقيهم من سيفها شراب الردا إذ نظرت إلى فارس يحمل حملات العمالقه ويفتخر بقتاله على سـائر البطـارقه وينادى بصوت كانه الصاعقه ويقول أنا الهجام ابن المقـدام والأسد الضرغام

سيف النصرانيه والحامي عن ملة ماء المعموديه وقاتل سيف الحنيفيه (قال الراوى) فلما أن سمعت الأميره كلامه وحققت مقاله تمرمر مراقها وعلا زعاقها ومالت عليه وقصدت اليه ونادت ياابن اللئام الكلاب حل بك العذاب ممن لاتفزع من شرك ولاتهمل أمرك وسوف آخذ منك بثار من اغتلته وأقتلك كما قتلته ومات شهيدا ثم انها هاجمته مهاجمة الليث العرين ونادت أنا والله أم المجاهدين وناصرة دين محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين ثم ضربت بيدها الى مراق بطنه اقتلعت الهجام من سرجه (قال الراوى) وأحاطت بها السودان من كل جانب ومكان واحموها من عباد الصلبان وهموا بالرجوع واذاهم بصوت قد أذهل الجموع فنظروا الناس الخبر واذا به ترس قبر سيد البشر النبي المطهر وقد مال على الاهوج ابن الاشكع وقبض عليه قبضه الأسد الادرع وحمله بين يديه مثل الطفل المرضع وهو قاتل عبد العزيز وخرج أبوالموت ومعه ملك المغابيط وخرج طحطح ومعه ملك الأرمن وخرج ملابط البغـال ومعه ملك الافرنج وأما أمير المؤمنين المعتصم فانه وقع فى قسم ملك الروم بيمند وذلك أنه لما خرجت الاميرة بالهجام وعبد الوهاب بالاهوج وخرج أبو الموت بملك المغابيط وطحطح بملك الارمن وملابط البغال بملك الافرنج (قال الراوى) فغضب بيمند غضبا شديداً واسودت الدنيا فى عينيه ونظر إلى اللواء وهو على رأس المعتصم وغلمان الدار وقد أحاطوا به من كل جانب ومكان وعليه الهيبة من آثار محمد المختار سيد ولد عدنان فقال لعقبة أيها الشيخ من هو هذا الذى قد أبهرت العقول حشمته وأرجفت القلوب هيبته فقال له هـذا خليفة المسلمين وإمام الموحدين وهو الذى يعتمدوا عليه فقال أنا ظننت انه أسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب واذا كان هـذا خليفتهم فلابد لى منه ثم حمل بقلب غير مخوف وجعل يخترق المواكب والالوف ويسقى الرجال كاس الحتوف حتى قرب من المعتصم وأظهر الهمم فبادره المعتصم وتطاعنا طعنات شافيات ورأى ملك الروم من الخليفة ضربا كافيا ودام بينهما القتال وعظمت الأهوال وبيمند يحاوله والمعتصم يطاوله والنـاس مشتغلين ببعضهم البعض وقد ضاقت الأنفاس وتطاولت الناس إلى خليفة بنى العباس فبينما هـو كذلك وإذا بصوت يرعد الكنود ويفتت الأجساد وقائلا يقول يا عدو الله وبلغ من قدرك أن تقاتل الامام وابن سيد الانام ثم أطبق على بيمند مثل الأسد الغلاب وانقض عليه انقضاض الشهاب ونادى أنا الأمير عبد الوهاب ومقدم بنى كلاب فلما نظر عدو الله بيمند إلى ذلك وأنه قد جاءته المهالك صبر صبر الأبطال وقاتل قتال من يطلب الآجال ولم يزالا

كذلك إلى أن عزل النهار من ولايته وأقبل الليل بظلمته وافترقا عن سلامه وعاد عدو الله إلى سرادقه وقد كاد الغيظان أن يخنق عدو الله بما لاقا من الشدائد فى يومه (قال الراوى) وكانوا المسلمين فى ذلك اليوم على غاية من الاستظهار وقتل من الروم زياده من ماية الف بطريق إلا أن الامير عبد الوهاب رجع وهو يقول لقد لاقيت الابطال ومارست الاقيال فما رأيت أبطش من هذا الملعون عند القتال ولقد رأيت اليوم منه الأهوال ولا بد لى فى غداة غد ما أخرج اليه وأريح المسلمين منه ومن شره (قال الراوى) وأما بيمند فانه افتقد أصحابه فرأى أكثرهم قد فقدوا مع الهجام والأهوج فقال وحق المسيح لأرمين غداً روحى فى الغبار ولآخذن لهم بالثار فقال عقبة يا ملك ما فى الأمر غير هذا الذى أريد أشير عليك به فقال بيمند وما هو الذى تشير به على فقال ترسل فى غداة غد إليهم وتقول وحق المسيح ان سقط من رأس واحد من أصحابى شعرة واحدة ضربت رقاب المأسورين الذين عندى وتكون قد كافأت القوم على ما فعلوا معك لان الهجام ماخرج من دياره وتغرب وأتى اليك إلا فى طلب الجهاد وما كانت الكسرة التى جرت إلا ببركاتى وبركاته ومن الرأى أنك لاتغفل عنه لأن المسلمين حمقين عليه وأنا أقول انهم يهلكون الليلة الاثنين لا سيما أصحاب عبد العزيز وأخوته وسيف الحنيفيه وجماعته والخليفه أيضا يوافقهم على ما يريدوا لأجل محبته لعبد العزيز فارسل إليهم الساعة من أجل هؤلاء ومن أجل ملوك الروم أيضا (قال الراوى) فلما سمع بيمند ذلك أرسل إلى المسلمين بطريق من خواصه وأوصاه بما يقول وعلمه ما أشار به عقبه وسار حتى قرب من عسكر المسلمين وأعلم المسلمين أنه رسول (قال الراوى) فأوصلوا خبره إلى الخليفه ثم أدى ما حمل من رسالة وكان الأمير عبد الوهاب حاضر فسمعه وهو يقول افدوا منا صاحبكم ضيغهم بالاهوج والهجام وافعلوا بعد ذلك ما أردتم فقال عبد الوهاب أما الهجام فقد نفذ فيه الحمام وغضب عليه الملك العلام وكذلك الأهوج ابن الاشكع قد أخذه الله بما صنع وهاهم برا السرادق وقد غضب عليهم الخليفه بقدرة الخالق فنظر الرسول إليهم وإذا بهم قد قطعوا أيديهما وأرجلهما (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما ملكهما الأمير عبد الوهاب قدمهما قدام المعتصم وقال يا مولاى هؤلاء الذين كفروا برب الأرباب وجحدوا ربوبية الملك الوهاب مسبب الأسباب فقال المعتصم ومن يضلل الله فماله من هاد ثم قال عذبوهما أشد العذاب قبل التلاف وقطعوا أيديهما وأرجلهما من خلاف فقدموا الهجام وقطعت يده من غير خلع

فصاح وقال لعن الله عقبه وأخزاه فهو الذى أضلنا عن الاسلام وأخرجنا من بلادنا إلى هذه الأحكام (قال الراوى) فلما سمع الخليفه ذلك الكلام حار ووقع به الأنبهار وقال ويلك ايش قلت وعمن تعنى وكيف كان حديثك قال الهجام يا أمير المؤمنين خلد الله ملكك أعلم أن أبي صاحب عدن ولما مات كنت صغير فعقد عمى مكان أبى إلى أن كبرت وطلبت موضع أبى فما صح لى ولا طاوعتنى الاعوام بل مالوا الى عمى الغيهال وبقيت أنا فى غاية الاقلال والاذلال وعولت أنى أمضى إلى بلاد الحبشة ولا أرى نفسى بعين الذله والقله وإذا قد وصل إلينا شيخ من العراق طويل اللحية وافر الشيبة وعليه وقار وسكينه قد رضع من ألبان العلوم درها والتقط من بحار الكتب السالفه درها وأظهر لنا أعاجيب الأخبار وخيل لنا بالليل أنه تنزل عليه الأنوار وكان نهاره يصلى وهو صائم وليله قائم حتى أعتقدنا فيه أنه من الأولياء وأنه من أوتاد الأرض الاتقياء وكان ظاهره مليح وباطنه قبيح لا يعتقد بشىء فى الاسلام إلا أنه قد حفظ أشياء من كتب القدماء وصحب العلماء وهو يقال له عقبه ابن مصعب لا كلاه الله ولا رعاه فما أمكره وأدهاه وما احفظه لكل علم نفيس إلا أنه فى الحيل ابليس وأنه رآنى أطلب الحبشة دعانى إليه وشرح لى ما هو عليه وحمانى على شىء من المال ولعب بعقلى بما تحدث وقال لى يا ولدى لا يغرك ما ترى منى من الصلاة وهذه العبادة أنما هذا كله أعمله عاده لا عبادة وهو زور غرور وأعلم انى قد قرأت الكتب المنزله والعلوم المفضلة فما رأيت دين أفضل من دين عيسى ابن مريم وأنا عليه أحتيال على كل الأمم وبعد ما أنك تريد تمضى إلى أرض الحبشة فأنا أسيرك إلى بلاد الروم وأن سرت بلغتك ما تروم وتصير حاكما فى القسطنطونية وتبلغ غاية الأمنية فقلت له وكيف ذلك وما الذى أصل به إلى ذلك وهو عظيم الجناب عزيز الباب فقال لى أنا أكتب لك كتاب إلى ملك الروم وآمره ان يجعلك من خواص الاحباب والحجاب وما زال بى حتى أغوانى وأرسلنى إلى أعدائى فلا رحم الله صداه ولا بل ثراه ولا كلاه ولا رعاه (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك الكلام قال له ويلك تعرف ما تقول فقال يا مولاى وحق من أبلانى بما لا أطيق ما قلت الا تحقيق فعند ذلك قالوا المقعصبين لعقبه مسكين الشيخ الصالح عقبه وهو الساعة فى بعض المساجد وهم يشهدون أنه كافر جاحد فقال هجام والله ما قلت فيه إلا الحق ولا تكلمت

إلا بالصدق وها هو فى عسكر الكفار (يا ساده) هذا واخوات عبد العزيز يقولون يا مولانا لم لا تسلم خصمنا إلينا حتى نأخذ تارنا بأيدينا ونطفى نار قلوبنا فقال المعتصم قطعوا أيديهما وأرجلهما من خلاف واربطوهما برا السرادق ففعلوا بهما ذلك ووصل الرسول إلى ملك الروم كما ذكرنا ورآهم على تلك الحالة كما وصفنا (قال الراوى) وفى تلك الساعة أتت أخت عبد العزيز ودنت من الاهوج وبيدها سكين فقطعت بها راسه ونظرت الأميرة ذلك ففعلت بهجام كذلك وعاد الرسول إلى ملك الروم وقد قال له عبد الوهاب إذا أراد أن يفادى ضيغم فليفاديه بالملوك (يا سادة) وكان هذا من حرقته على ولده ضيغهم لئلا يقتل كما قتل سيف الحنيفية (قال) فلما عاد الرسول إلى بيمند وأخبره بقتل الهجام والأهوج ابن الاشكع فقامت عليه القيامة وقال لعقبه ما الذى ترى من الرأى فقال عقبه ما فى الأمر إلا انك ترسل إليهم برأس ضيغم حتى ينهد ركن الاسلام فعند ذلك أمر الملك بيمند أن يرتد بضيغم من الطريق وهو لا يصدق بأن النهار يطلع والصباح يصبح حتى يباكر الحرب وقد طلعت الشمس تجرى فى فلكها حتى نادى بيمند فى البطارقة وركب إلى الحرب وركبت أيضا عساكر المسلمين وركب المعتصم وهو يقول وحق البيت الحرام لا رجعت من هذا المكان حتى أفتح القسطنطونية وآخذ عقبه وأصلبه على بابها فلما اصطفت الصفوف وجردت السيوف خرج بيمند إلى مقـــام الحـرب وموقف الطعن والضرب وفى يده سيف صاعقة وعلى كتفـــه طارقه (قال الراوى) وهو على جواد يحاكى الليل فى السواد يتعلم منه الخيل الجولان والطراد بقوائم شدائد وهـو غائص فى الحديد منغمس فى الزرد النضيد كأنه برج مشيد أو شيطان مريد ثم طلب الملعون البراز وسأل الأنجاز فخرج إليه فارس من عسكر العراق وأخذ معه فى الجولان والانطباق ساعة فقتله وخرج إليه ثانى فجندله وثالث ففصله ورابع الى المقابر رحله ولم يزل حتى قتل خمسة عشر فارسا فلما رأى المعتصم ذلك قال ما رأيت قط اشد من هـذا الملعون الا ان بيمند حير العقول ولما رأى الناس قد امتنعوا من الخروج اليـــه جال ميمنه وميسره وطلب القلب وعاد الى الميدان ولعب بالسيف والسنان وأنشد يقول * الا اننى أفنيـكم * فما أتم هذه الكلمة حتى خرج اليه فارس أسود كأنه الليـل الدامس وتحتـه جواد شـديد كان قوائمه من الحديد وراكبه على برج مشيد وكان هذا الاسود ملابط البغال وقد

تمنوا المسلمين أن يكون غالب بيمند وكان هذا بيمند أقوى منه ساعد فشد على ملابط البغال وهزه أخذه أسيرا وبقى فى يده كأنه العصفور فى يد الباشق وقد قيل ان بيمند كان فى قوة أبو الهزاهز مرتين وان الملعون لما أخذ الأسود سلمه الى قومه وعاد يطلب البراز وسأل الانجاز وقد وقع الفرح فى عساكر النصرانية والهم قد وقع فى عساكر الحنيفية وهابوا الخروج الى هذا الجبار وبقوا يرمقوه بالابصار واذا قد خرج إليه فارس هائل المنظر عظيم المخبر فنظروه الناس وإذا به أبو الموت المعروف فى قيام الصباح وحمل وقلبه عليه ملآن ثم تصادما البطلان والتقى الخيلان وعمل بينهما الضرب باليمان والطعن بالسنان حتى تحيرت منهم الفريقان وأشتد الحرب وقامت الدنيا على ساق وضجت المسلمين بالدعاء لأبو الموت ويتلون من خلفه القرآن ورفعت قسوس الروم الصلبان وصاح عقبه بالملك وقال يا ملك أبذل المجهود مع الشيطان فانه فارس السودان وهو الموت إذا برز الى الميدان (قال الراوى) فبينما عقبه يتكلم بهذا الكلام واذا بفارس قد خرج إلى الميدان الى أن وصل الى أبو الموت وقال يا أبو الموت ارجع فما هذا يومك فالتفت ينظر من الصائح واذا بها الأميرة ذات الهمة وكانت الاميرة قد خرجت بعد ما تعلق الأمير عبد الوهاب بها وقال لها أيتها الأميرة ما هذا صواب ان نحن نتركك تخرجين الى هذا الجبار وتقتحمين معه الغبار وانكى قد بان فيك الكبر وضعف منك السمع والبصر وما بقى لك قوة على الجلاد فدعينى أنا أخرج اليه وعلى الضمان اننى آتيك به اسير واتركه قتيل عفير ان شاء الملك القدير فقالت هيهات يا بنى ان ارجع بعد ما هممت بالخروج إليه والجولان وقد عاد عمرى الى الانتهاء والنقصان ومالى رغبة فى الدنيا الا المقام فىالآخرة ان شاء الله فى الجنان لأن هذه الدنيا دارحرمان ثم صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وكان جواد أحمر لا يأخذه فى الجولان ضجر يسبى العقول اذا خطر فلما صارت عند أبو الموت وقالت له ارجع يا أبو الموت فقد حل بك الفوت فلما سمع ابو الموت كلامها رجع عن بيمند وحملت الأميرة عليه وحمل عليها وكان عقبه لما ان خرجت الاميرة ذات الهمه عرفها وحذر الملك منها وقال للبطارقة حذروا الملك منها (يا ساده) واذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن الا ان الاميرة ذات الهمة جاولته وزاوغته وضيقت عليه مجاله وطاولته ساعة من النهار وقد وزن نفسه معها واذا

به فى نقصان فتتعتع فى سرجه وانبهر وأخذه الملل والضجر وعلم انه متى ماثبت أخذته فأشار إلى عساكره وإذابها قد هجمت فأشارت الأخرى إلى عساكر المسلمين فانطبقت وتصادمت الخيل وعاد النهار كالليل وتضاربوا حتى لم يبق فى السواعد حيل هذا والأميره تابعة لصاحبها بيمند وهو منهزم بين يديها وقد خاض فى كثرة المواكب وهى طالبة له كالشهاب الثاقب وسيفها يعمل فى الرؤس والمناكب والأبطال عنها قد اشتغلت بالقتال وعملت الصوارم الصقال فى أجساد الرجال وسالت الاردية بالدماء وولوت النساء وتعلقت الرجال باللحاء وعدم الضوء واسود الجو وعثرت الخيل بالجماجم وقطعت العلاصم وخاضت الخيل فى الدماء حتى غابت القوائم وضاقت عليهم تلك الساحه وعدموا اللذة والراحة وخيل للجبان المنهزم ان الوادى كله أعادى ولم يسمع صوت المنادى وقطعت الأيادى ونهبوا المسلمين الأموال ووقع النهب فى الاثقال وجملت السيوف الصقال حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى منادى من قبل الملك الجبار بالنصر لطائفة الابرار والفنا فى طائفة الكفار وكان جملة من قد هلك من الفجار مائتين ألف وخمسين ألف وملكوا المسلمين من الاموال والأثقال والأحمال ماعجزت عن حمله الدواب ومانهزم من الروم إلا القليل والباقى بين جريح وقتيل (قال الراوى) وأقام الأمير بالناس ثلاثة أيام حتى أخذوا الراحة فعند ذلك جمعت الرؤس وعمل منها عشر موادن وطلعوا المجاهدين عليها وأعلنوا بكلمة التوحيد ووقع النصر على المسلمين باذن الملك المجيد وقال الأمير عبد الوهاب للخليفة يا أمير المؤمنين ماالذى ترى من الرأى هل ترسم ان نتبع آثار هذا اللعين بيمند أونرد إلى بغداد فقال المعتصم أنا ماأعود حتى أفتح القسطنطونيه وأبصران كان عقبه فيها كما يقولون فقال الأمير عبد الوهاب افعل مابدالك يامولانا ثم رحل بالناس طالب القسطنطونيه وقد بردت نيران القلوب وشكروا على ذلك علام الغيوب (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من ملك الروم بيمند فانه لم يزل هارب لما وصل من أبواب القسطنطونيه وجمع المنهزمين وقال نحن فرطنا بالمبارزه لهذه المرأة التى للمسلمين وحق دينى ماكانها الإساحره والافقد لاقيت ابنها وأبو الموت وملابط البغاله وضيغم أسرته وقدته ذليل حقير ومارأيت فيهم من أقام معى سواها فقالت الروم صدقت أيها الملك فماذا ترى من الرأى فقال الرجعة اليهم لان فى القسطنطونيه مائتى

ألف قد تخلفوا عنا وأنا أريد آخذهم وأعود فقالوا الروم ماهذا صواب لان المسلمين
الساعه قد داخلهم الطمع فينا ولابد لهم مما يأتون الينا والصواب ان يكون هذا البلد
خلف ظهورنا يكون أقوى لقلوبنا لان فيها رجال بعدد العسكر كله فقال عقبه هذا
هو الصواب أيها الملك حتى نأخذ الاهبه إلى ثلاثة أيام فالقوم اليك سائرين وعليك
قادمين فعند ذلك دخل الملك بيمند إلى البلد وقال ماأصابنى هذا المصاب الامن
مارس ودارس ثم أمر باخراجهما من المطموره وادعى بعد ذلك بالقاضى
عقبه وقال له أيها الشيخ النجيح بحرمة السيد المسيح صح عندك ان هؤلاء
مسلمين وأنا الآخر صح عندى لاننى كنت أسمعك تتهمهم بذلك فى أيام أبى فلما
ملكت أنا قبضت عليهم فقال عقبه لاوحق المسيح ماصح عندى اسلامهما
ولاكنت أتهمهم إلا لأجل ماكنت أرى ميلهما مع المسلمين وماكنت اتخذت مع الملك
بأمر من الأمور إلا وأسمه فى بلاد المسلمين وماكان عنده غيرهما فأقول هذا
ما اطلع عليه سواهما والا كيف علموا المسلمين فلاجل هذا كنت استريبهما والا فما
اطلعت على شىء من أمرهما فقال مارس أيها الشيخ النجيح أنت تعلم ما ظهر
منا الى دين النصرانيه وربينا الملوك وخدمنا الهراقله ولو أردنا ان نكون
مسلمين كنا خرجنا الى بلاد الاسلام وماكنا أقمنا فى هذه الديار ليلة
واحده فلا تتكلم فى حقنا بمالا يكون فينا فيطالبك المسيح بحقنا فقال
بيمند هذا وحق المسيح قول الصدق وماأصابنا هذا المصاب الابخطيئتكما وبأبى ارمانوس
ثم أطلق عن أبيه وأحضره بين يديه وقال له أنا كنت فى منام وماعلمت تأويله وها أنا
قد أطلقت عنك لتدبر ماترى بفعلك قبل قدوم المسلمين الينا وهذه العجوز التى فيهم
فقال عقبه دع عنك هذا واعلم ان المسيح لوكفى الروم شرها ملكنا البلاد كلها ولولا
انك أشجع الروم ماسلمت من بين يديها (قال الراوى) وأخذ بيمند الاهبه وخلى
بعقبه وقال له قد عولت انى أعمل على المسلمين كمين فى أربع مواضع وإذا ولوا المسلمين
لايخرجوا عليهم حتى يصيروا فى أوساطهم ونطلع نحن من بين أيديهم والكمين
من خلفهم وعن يمينهم وعن شمالهم فقال عقبه هذا هو الرأى السديد افعل
مابدالك فعند ذلك أخذ من جملة العسكر أربع مائة ألف وكمنهم فى أربع مواضع وأقام
فى باقى العساكر ينتظر قدوم المسلمين وهو فى حيرة وقلق وحمق كيف انه لم يصل الى
ذات الهمه لان كبده يميل الى كبود السودان لأجل أمه ميمونه لانها منهم ولما زاد

عليه الغيظ أقبل على أبيه ارمانوس وقال يا أبتى ماأخرجتك من الحبس اكراما لك إلا لأمر فى قلبى ومارأيته يتم الا باخراجك فقال ارمانوس وما هو يا بنى فقال اعلم ان فى قلبى نارلا تطفأ من هذه العجوز المسماة بذات الهمه وأما ولدها فقد مارسته فى الحرب فكنت أنا واياه سوى وربما كنت أوفى وأما ذات الهمه فما أدرى لأى سبب قد عجزت عن قتالها وأنا أعلم ان المسلمين اذا وصلوا وقامت الحرب تخرج وتدعنى الى الحرب والبراز فما تطاوعنى نفسى أخرج اليها وان أنا خرجت اليها قتلتنى لامحالة ومالى قتلى وان أبقى معيره عند الروم وقد عولت ان أسبق المسلمين وأختلط بسوادهم لان لونى أسود وأبصر كيف أقتل هذه ذات الهمه ولا يرجع لهم بعدها قائمة فقال ارمانوس نعم مارأيت (قال الراوى) وان ارمانوس يخاف من كيده لاجل مافعل معه فى عزله وأخذ الملك منه فحسن له ذلك لعله يقتل (ياسادة) هذا وبيمند قد لبس من ثياب القتلى وسار إلى الجبل الذى قد ذكرنا وأقام فيه ذلك اليوم ومن الغد أقبلت عساكر المعتصم والسودان وفى أوائلهم ذات الهمه فى المقدمه ثم ان الملعون اختلط بهم وسار معهم إلى ان بقى بينهم وبين عساكر الروم ثلاث فراسخ وراح الأمير عبد الوهاب بالناس إلى العصر ورحل فأشرف على العساكر ونزل فى مقابلتهم فلما أظلم الظلام قال لأصحابه ياقوم لاتبيتون الاعلى أهبه لأنى أخاف ان يكون لهؤلاء الملاعين كمين لانهم قد علموا برحيلنا ومسيرنا اليهم فقالوا أبطال المسلمين مانظرته ياأمير إلا موضع النظر ومافينا من يبيت الاقدام جواده لابس سلاحه فعند ذلك جلس المعتصم فى سرادقه وجمع الأمراء للمشوره وأقاموا أمر القتال وقد رتبوا حولهم أربع مواكب للحرس وكان فى المركب الأول الأمير ظالم والثانى قشعم وأميرين آخرين من عسكر المعتصم ولم يزالوا يتحدثوا إلى أن مضى من الليل ثلاث ساعات وعادت الأميره إلى مضربها وكان الأمير عبد الوهاب على يقظة من بعد ترتيب العساكر (ياساده) فلما ان وصلت الأميره إلى المضرب ودخلت وكان الملعون بيمند فى انتظارها لانه اختلط بالسودان لما نزلوا فى ذلك المكان وعرف موضع الأمير وسار وقد اظلم الظلام وحصل فى جانب الخيمه وبيده خنجر أمضى من القضاء والقدر وأنفذ من البلاء فلما ان دخلت الأميره إلى مضاربها وعولت على المنام وثب عليها من جانبها وضربها بالخنجر فى كتفها غاب الحديد إلى النصاب ثم ضربها أخرى فوقعت فى ذراعها ووقعت الأميره على الأرض وقد صاحت صيحة عظيمه وصاحوا السودان

من حولها ووقع الصوت فى العسكر وقيل قد قتلت الأميرة ذات الهمة فاختبط العسكر وركبت الرجال الخيل وماج العسكر فى ظلام الليل واختلط بيمند بالسودان وأبعد عن ذلك المكان وسمعت الروم ذلك الصياح فقال أرمانوس ويلكم احملوا فى هذه الدهشه وقد أهلكتموهم عن آخرهم وسوف تخرج الكمناء إلى معونتكم وتكون هذه ليلة الانفصال وما هذا الصياح إلا على بيمند لأنه قد فعل شيء يوجب هذا فعند ذلك صاحت الروم بكلمة كفرها وسمعت الكمناء ذلك النداء فخرجت من كل جانب وانقلبت الأرض من ركض الجنائب وزاد الغبار حتى عم المشارق والمغارب وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع الخبر عن أمه فأراد الرجعه فرأى الروم قد أقبلت وكتائبها قد وصلت والأرض قد تزلزلت فصاح فى الرجال وقال يا قوم هذا الذى قد كنت أحسبه ولو لم نكن على أهبه كانت هذه الليلة ليلة صعبه فما وصلت كتائب النصرانيه إلى أهل الحنيفيه إلا والكل على ظهور الخيل الأعوجيه وهم مستيقظين للحرب بالكليه فاضطربت عند ذلك المواكب ولعبت السيوف فى الغياهب ونفذ السنان فى ظهور الخيل وجرت الدماء كجريان السيل (قال الراوى) وركب الخليفه عند الصيحه فى موكب الفقهاء والعلماء وأخذوا فى الدعاء إلى رب السماء (قال الراوى) وكان العلامة بين الروم كيريالسون وعلامة المسلمين الصلاة على راكب البراق الذى اخترق السبع الطباق إلى مناجاة الملك الخلاق ودام السيف يعمل إلى وقت السحر وقد وقعت الخذلة على من كفر وعملت السيوف فيهم عمل القضاء المقدر فعادوا كلهم وطلبوا أعلام أرمانوس وهم طالبين الخلاص من أبطال المجاهدين وما انقشع الظلام إلا والكل نيام تحت الأعلام وقد خلصت منهم طوائف الإسلام الا وان المسلمين كانوا رابحين لأنهم قتلوا منهم خلق كثير من المشركين ونزلت طائفة الموحدين وفترت الحرب نارها وقر قرارها وكان بيمند لما أن جرح الأميرة ذات الهمه ورأى الفيوج وقد اختلطت والمواكب وقد انبسطت فنجى بنفسه إلى عسكر الروم وركب بعض الخيل وقاتل إلى أن أصبح الصباح بنوره ولاح ونزلت العساكر فى الخيام وأتى إلى أبيه أرمانوس فقام له قائماً ورفع مكانه وعظم شأنه وقال له ما الذى فعلت يا ولدى فلقد كان قلبي خائف عليك فقال له لا تخف على فقد قتلت العجوزه ذات الهمه أم الأسود وأنا الذى القيت هذه النوبة العظيمه فإياك أن تبوح بهذا إلى أى أحد حتى يكون أمرى

قائم عند الملوك ولا يقولون اغتالها وقتلها حين لم يقدر على قتالها والساعة أؤكد القصة وأخرج أطلب البراز وأنادى باسمها وأدعوها إلى الميدان وأقول اننى ما كنت انهزمت بين يديها إلا كنت أستجر عساكر المسلمين إلى بلاد الروم حتى أبلغ منهم ما أريد فقال أرمانوس وقد أعجبه حيلته وشرف نفسه وشدته وغلظ كبده وحميته فقال يا ولدى ما بقى بعد هذا اليوم حرب وما بقى فى الناس أحداً يطيق القيام عما جرى عليهم فى غسق الظلام فاذا أردت أن تفعل هذا فاتركه إلى غداة غد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه كان قد قاتل إلى الصباح وقلبه مشتغل على أمه لا يدرى ما كان منها ولما أن وضعت الحرب أوزارها وخمدت نارها وطلعت الشمس وشعشعت أنوارها أتى طالب أمه وهو بقلب ملهوف وقد شدوا غلمانها جراحها وهم حولها يحفظونها من وقت ما وقع الصياح إلا أنهم رأوا الناس وقد اختلط بعضهم ببعض وقد خاف الرفيق من رفيقه الذى الى جانبه (قال الراوى) فلما وصل الأمير عبد الوهاب ورآها على تلك الحاله بكى بكاء شديدا وأحضر الاطباء والجرايحية وشدوا جراحها وأسقوها شيء من الشراب وعادوا بها الى مضربها وهى تتكلم بصوت ضعيف وهم يبكون ذلك اليوم جميعه فلما كان اليوم الثانى صاحت الروم بأصواتها واصطفت مواكبها واعتدلت كتائبها وقد أوصاهم بيمند وقال لا فيكم اليوم من يحمل هم القتال بل اتركونى أنا حتى أخرج وأقود الابطال (قال الراوى) فلما اعتدلت الصفوف واشتهرت السيوف خرج بيمند بقلب ملهوف ونادى برفيع من صوته معاشر المسلمين ان كنتم قد قتلتم بالامس منا البعض فنحن نقتل اليوم منكم الكل بمعونة المسيح وها قد خرجت اليوم أطلب براز خصمى الذى قاتلنى فظن أنه بقوته يقتلنى وما علم أن مرادى أن تقربون الى بلادى حتى أشفى منكم فؤادى وما أريد فى هذا الحين الا أميرتكم ذات الهمه تكون أول من يخرج الى البراز حتى أريها كيف كانت تحمل على وان كانت تكره أن تبارزنى وتخاف سطوتى فليخرج لى ولدها (قال الراوى) فما استتم كلامه حتى خرج اليه ظالم من غير استئذان وحمل عليه وساواه فى الميدان وأخذ معه فى الجولان وأنصفه فى الحرب والطعان ولم يزالا كذلك الى أن انقضى النهار وصار وقت الاصفرار فرأى بيمند النهار قد تقضى والنور قد مضى فعند ذلك صدم ظالم صدمة جبار ثم ضربه بالسيف ضربة من يريد

لله الهلاك والبوار فقطع السيف الترس المغفر ونزل إلى رأسه شجه فأذهل ظالم فقبض بيمند عليه واخذه أسير من سرجه وعاد به وعطعطت الروم من كل جانب وفرحت طائفة الصلبان وأغتمت طائفة الرحمن وقال الأمير عبد الوهاب يا لها من غزاة ما أعظمها ثم رجع إلى أمه فوجدها قد صلحت عما كانت فيه وهي مشدودة قاعدة ففرح بها وحدثها بما جرى على ولده ظالم فضاق صدرها وقالت ياولدي ما يجرى على العبد إلا ما كتب عليه وسطر على جبينه وها أنا قد صلحت بحمد الله تعالى وعونه (قال الراوى) وكانت الضربة التي ضربها لها بيمند في غير مقتل لما يريده الله من سلامتها والضربة الثانية قد خدشت ذراعها (يا سادة) إلا ان الأمير عبد الوهاب لما رأى صلاحها سلى قلبه بعض ما أعدمه لفقد أولاده ظالم وضيغم وقال يا أماه ما كنت أريد الا أعرف الذى اغتالك وضربك وأراد قتلك فقالت ياولدى أن صدقنى حزرى ولم يخطئ زجرى فيكون بيمند هو الذى وثب على وضربنى وفعل بى هذه الفعال فقال لها الأمير يا أماه كيف كان يعمل هذه الاعمال واليوم أول ما خرج دعاك إلى القتال فقالت ياولدى ما فعل هذه الفعال إلا حتى لا ينكر ناموسه عند الروم ويقولون ما قدر عليها فى الحرب فاغتالها وقتلها وأنا رأيته لما ضربنى ولكن ما أخذت حذرى منه لأجل سواد وجهه وان كان فى أجلى تأخير فأنا اريك ما افعل به وباتوا على ذلك حتى أصبح الصباح وقامت الحرب على ساق وأصبحت الروم فرحا بأسر ظالم هذا وقد صارت عساكر الاسلام وعولوا الناس على الصدام وصاح ملك الروم بيمند على البطارقه وردهم عن الحملة وقال لهم ارجعوا فهذا يوم البراز وأريكم ما افعل بالسودان وعرب الحجاز ثم قدم إلى بين الصفين على جواد يسبق الوحوش حتى بقى كل من نظر إليه مدهوش ونادى برفيع من صوته إلى ذات الهمة أم الأسود المليح انها تركض خلفى بجوادها وتطاعننى ذلك اليوم وأنا اليوم أدعوها فلا تجيبنى وهذا من غاية المذلة وان كانت ما تشتهى البراز فليبرز ولدها عبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك تأهب للخروج إليه وإذا بفارس قد مسكه عن ذلك فتبين الأمير وإذا بها الاميره ذات الهمة وهى تقول لا تفعل ياولدى فوالله الذى رفع السما بغير عمد وسطح الأرض على ماء جمد لا يخرج إليه غيرى أحد فتحير الأمير من ذلك لما سمع كلامهما وتبينها وإذا بها خافتة وعليها الصفار من ألم الجراح فقال

يا أماه لا تفعلي فقالت يا بنى لا تشغل قلبك على فانى كنت من الهالكين وقد أيستم منى وأنى كلما أعيش من هذا اليوم ربح ثم أنها خرجت بالجواد على مهل حتى صارت عند بيمند فلما نظر إلى شمائلها صار يبحلق عينيه إليها فقال لهـا أليس جاءنا الجاسوس وأخبرنا بقتلك وأن بعض السودان أهلكك فقالت قد كان ذلك ولكن الله سلم وقد أعادنى إليك حتى أرسلك إلى الاخرة وتصلا جهنم وبئس المصير ثم أن الأميرة حملت عليه وكان الملعون قد دخل فى قلبه منها فزعا عظيما فعند ذلك تطاعنا بالرماح طعنا أمر من الجمر وأمر من الصبر ساعة من النهار ووقع بيمند الانبهار وجعل يطلب من الأميرة الخلاص وهى تأخذ عليه المذاهب وتضيق عليه المسالك فلما نظر إلى ذلك وقف وقال أيتها الأميرة أنا وحق المسيح الذى ضربتك وقلت أنك بعد تلك الضربة لا تقومى وهذا هو الدليل على أن الإسلام هو الدين الصحيح وأنا أريد الآن أسألكى عن شىء وبعد ذلك أسلم على يديكى وأعود إلى أصلى الطيب لان أمى ميمونة كانت منكم وأن أبى ارمانوس عشقها وعشقته وهو الذى حملها على الكفر كما بلغنى وأنا الساعة قد طار قلبى إلى دين الحنيفية ولكننى أخاف من شىء واحد وأريدك أن تؤمنينى منه فقالت الأميره ياويلك خل عنك الخداع ودونك والصراع فما أنا ممن ينطلى عليها محالك ثم حملت عليه فأيقن بالهلاك وعلم أن محاله ما انطلا عليها فزعق من شدة غيظه وطعن الأميرة طعنة (يا سادة) وقال خذيها يا عجوز السوء وأنا بيمند بن الميمونه فلما وصلت الطعنة إليها ورأت طعنته سبقتها قبل طعنتها نقلت رمحها من يدها اليمين إلى يدها اليسار وقبضت على رمحه بيدها اليمين وجذبته من يده وكادت ان تخلع كتفه ثم عادت وقد أقلبت رمحها إليه وطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره (يا سادة) ونظر ارمانوس ما حل بولده فصاح بالروم يا ويلكم ما هلك ولدى إلا بما فعل فى حقى فدونكم والقوم والمسيح ينصركم عليهم فعندها دقت الروم نواقيسها وكانت الأميرة قد عادت إلى عسكرها وهى لا تصدق بالنجاة لأجل ما حل بها من الألم وانما حملها على الخروج إليه حميتها ونخوتها فعند ذلك صاح الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب والخليفة فى عساكر العراق فخلت المواكب وجالت الكتائب وظهرت العجائب واطلعت الاعنه وقومت الاسنه وصار للصوارم على الدرق رنة ولم يبق فيهم من له نفس مطمئنة ووقعت القتلا على الأرض وهاجوا بعضهم فى بعض (قال الراوى) ولقد نظرت المعامع وشاهدت الوقائع فما رأيت أعظم من هذه المعمعة

لانى كم رأيت من رأس مقطوع وأنف مجدوع وفؤاد مصدوع وصدر مخسوف وقلب مرجوف ودمع مذروف ورأس مقطوف وقد اصطفت الصفوف وازدحمت الالوف وعملت الرماح والسيوف (قـــال الراوى) وكان عقبه ينظر فعل بيمند وقد ظن أنه قتل ذات الهمة فلما خرجت سالمة قال لارمنيوش ما عهدى بابنك انه قتلها فقال أهكذا قال ولعل هذا الفارس يشبهها فلما ان قتل بيمند وحميت الجيوش على الجيوش والتقا الجمعان واصطدم الفريقان ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المسا وانفصلت العساكر ورجع الأمير عبد الوهاب فقال المعتصم يا أمير نرجو من الله تعالى فى غداة غد تكون وقعة الانفصال فقال الأمير عبد الوهاب يا مولانا ما كنا بحمد الله إلا ظافرين عليهم ولكن أمسا المسا ثم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح فوجدوا الدنيا من الروم بلاقع وخلوا خيامهم والأموال وفازوا بالخيل والأرواح ففرحت المسلمين بالنصر والظفر وغنموا أموال الكافرين ورحلوا فى أثر عساكر النصرانية ولم يزالوا سائرين إلى أن أشرفوا على القسطنطونية فوجدوها معمرة بالسلاح والأبواب مغلقة والرجال فوق الأسوار فعندها أعلنوا المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلما رأى الملك ارمانوس إلى ذلك حار فى أمره وجمع وجوه البطارقة وكذلك مارس ودارس واستشارهم فى أمر المسلمين فقال له مارس ودارس أيها الملك ما الذى تفعل والعساكر قد هلك أكثرها والملوك الذين كنا نعتمد على قتالهم مضوا إلى بلادهم ونحن محصورون وعسكر الاسلام عازمين أن لا يبقوا من الروم أحد فقال ارمانوس ما بقالى خروج الى هؤلاء القوم مادام انى قد حصلت فى هذه البلد مابقا يقدر على أحد لأن المكان حصين والبلد أمين والزاد كثير ولو اقاموا علينا ماأقاموا ما باليناهم فقال مارس ودارس ما كنت ترى أيها الملك انك تصالحهم وتردهم عن أرضنا الى بلادهم قبل أن يخربون البلاد ويهلكون العباد وبعد ذلك ما تدرى ما يكون منهم لأنهم اذا لم يقدروا على البلد فانهم يخربون رستاقها ويقتلون أهلها ولا ترجع تعمر البلاد الى عشر سنين وان فتحوا البلد فهو البلاء الأكبر الذى ما يقوم لنا بعده قائمه والصواب انك ترسل اليهم البترك فى هذه الساعة ومعه جماعة من القسوس والرهبان حتى نبصر ايش فى نفس خليفتهم وتكون الرسالة مع أبونا البترك ونقول له على لسانك أنت تعلم أننى ما نقضت الهدنة وما كان ذلك باختيارى وما فعلها الا ولدى بيمند وقد أخرق بى

وضربنى وما أنت إلا قد علمت حالى معه فان كنت ترى انك ترجع إلى بلادك فافعل فانه يكون أحقن للدماالانكم تعلمون انكم إلى بلد القسطنطونيه لاتصلون ولو أقمتم عليها بقية الاعمار فلاتطمعون فى المقام لاجل المال فان خزائنى لم يبق فيها درهم لان بيمند فرق الجميع ولكن عندى مأسورين من المسلمين فعليهم يكون الصلح وان أبيتم فافعلوا مابرأيكم (ياساده) فلما سمع ارمانوس هذه المقاله رآها صواب وقال وحق المسيح نعم الرأى ثم أرسل البترك ومعه عشرين من القسوس والرهبان وحملهم الرساله كما ذكرنا وخرجوا إلى عسكر المسلمين واستأذنوا على الدخول اليهم وطلبوا الحضور بين يدى المعتصم فاذن لهم بذلك فدخلوا وقبلوا الأرض بين يديه وأعاد البترك الرساله عليه فقال هذا شيء لاأسمعه وأنا على ايمان وأقسام أنى لابدلى مما أفتح القسطنطونيه ولو أقمت باقى عمرى فعاد البترك طالب القسطنطونيه فقال الامير عبد الوهاب ارجعوا بنا إلى البلد حتى لا يرجعوا يخاطبونا فى الصلح وان رجعوا اشترطنا عليهم حقيقة الحال ونطلب منهم المال فعند ذلك زحفت الرجال وتقدمت الابطال وطلبوا القتال وضربوهم بالمنجنيقات والفرادات واشتد رمى الحجاره وبطل حرب النار ودام الحصار إلى أن قتل من المسلمين جماعة كثيره اكثر مما قتل من الكفار لانهم تحت مواقع الاحجار ولم يزال القتال طول النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وانفصلوا وعاد كل قوم إلى مواضعهم وأما عقبه الملعون فانه أقبل على شومدرس عند اقبال الظلام وقال له اسرع بنا نعمل ماقد عزلنا عليه قبل ان يقع الصلح ومانقع على محصول لانى أعلم ان أخبارى ماتخفا على المسلمين وأناأعلم ان هجام قد تحدث عند الخليفه انى أنا الذى نصرته ومايهمنى من هذا إذا لم أقع فى أيديهم والمعتصم فلا بد له مايطلبنى من ارمانوس ويحلفه بالايمان التى لايقدر يكذب فيها وأهلك أنا ان وقعت فى يديه وأنا الساعه أريد أشفى بقتل هؤلاء وقتل ابن عمى عمرو ابن عبيد الله ومن معه وضيغم والبطال وولده مذبحون وغلمانه وحجاف وابنته والراهب سمعان والامير ظالم الذى أخذنى من الدير لما ان أخذوا ماريه حتى لايبقى فى قلبى حسرة وان هلكت أكون قد أرحت الروم من هؤلاء الاشرار ويدعا لى فى سائر الاقطار وتكون انت ياشومدرس قد أخذت بثار الولد النحرير دهرشوم والزوجه الصالحة شوما فقال شومدرس وحق المسيح لقد صدقت وبالحق نطقت ولكن يريد الإنسان اذا عمل عملا ينظر كيف يكون الخروج منه ويريد نهرب

حتى لاتقع في يد ارمانوس ولافى أيدى المسلمين لانهم لوعرفوا اننا فعلنا هذه الفعال صلبونا وان علم بنا ارمانوس مايجبرنا منهم أحد لانه متى يصدق حتى ترحل المسلمين عنه وأنا أعلم انه كان يسلمنا اليهم فقال عقبه صدقت ولكن كيف السبيل الى النجاة فقال نخرج الى المينا فقد رأيت فيه مركب من بلاد انطاكيه وأنا أعطيه مائة دينار حتى يقلع بنا الى السويديه وأنا أقيم فى انطاكيه وتذهب انت الى العراق فقال عقبه هذا هو الصواب ثم انهم خرجوا الى المينا وشارطو الملاحين على المال وحمل اليهم شومدرس مائة دينار وقال امهلوا علينا الى وقت السحر فان لنا شغل نريد ان نقضيه ونأتى اليكم فقالوا لهم افعلوا مابدالكم وها نحن قيام فى انتظاركم فقام شومدرس وعقبه وقد أخذ كل منهما بيده سيف وساروا الى المطموره والسجان نائم فتقدم اليه شومدرس وذبحه من أذنه وعقبه يقول ويلك ياشومدرس هذه ليلة البطال وفيها تبلغ الآمال (ياساده) فهو يقول ذلك المقال واذا هو بلطمه قد وقعت على رأسه فظن انه السرداب قد وقع عليه فوقع الى الارض وقد داخ ونزل الماء الأصفر فى عينيه فقال شومدرس ماالعمل ثم انه التفت واذا هو برجل قد سد المكان بعظم هيكله وهو يقول أقدامكم ساقتكم الى عذابكم (ياساده) وكان هذا الشخص الامير حجاف وكان السبب فى خلاصه كان الامير أبو محمد البطال كان فى تلك الساعة كان قد فك قيده بصنعه لايقدر عليها أحدا سواه وفك قيود باقى أصحابه والراهب سمعان وكان عمرو بن عبيد الله وظالم وضيغم الذين أخذهم بيمند فى هذه النوبة ناحية عن المكان وكانوا هؤلاء لما خلصوا من القيود وعولوا على الصعود فرأوا القاضى عقبه وشومدرس قد فتحوا المكان ونزلوا فتسلم حجاف لعقبه أرماه وقاموا اليه باقى الرجال ولطموه حتى أشرف على الوبال وشخصت عيناه وقبضوا على شومدرس وأرادوا أن يعاقبوه فقال خلونى ياقوم وأنا أدلكم على خزانة السلاح وأرميكم على ابنة القانون وزحاف وأعطيكم مفاتيح باب الذهب وأملككم الليله البلد لان الملك مايبقى ان يسلم مفاتيحه الالى وأنا أسلمها اليكم (ياساده) وكان الملعون صدق فى قوله لانه علم انهم يقتلوه ففدى نفسه بأهل القسطنطونيه واشتراها بهذا الامر فلما سمع البطال منه ذلك المقال قال والله العظيم ان أنت فعلت هذه الفعال ماينالك منا مكروه ولاعذاب وأما عقبه فان لنا معه حساب وأى حساب ثم عادوا اليه وضربوه حتى مدد يديه ورجليه وأيسوا منه لما ان غاب سواد عينيه

فقال البطال هذا الساعه قبيل اتركوه فى هذا المكان حتى نرجع وإذا نحن دبرنا أخذناه ونريد أيضاً نبصر قول هذا الراهب ان كان صحيح أوفعلنا به أيشم فعال يعنى شومدرس شيخ الضلال (قال الراوى) وخرجوا من المطموره وهم دائرين به من كل جانب ومكان والبطال يقول له ياملعون وأين باقى أصحابنا ظالم وضيغم وملابط البغال وعمرو بن عبيد الله والسعيده وابنة القانون وزحاف فقال أما زحاف فنى حجرة قد أنزله الملك بيمند فيها لما أن تنصر وأعطاه ابنة القانون وأنا اعرفها وأمابقى أصحابكم فهم فى المطمورة الأخرى وأما السعيده فهى فى وسط دار الملك ما أقدر وحق المسيح على خلاصها فقال حجاف ماشاء الله كان ثم انهم ساروا إلى المطمورة الأخرى وقتلوا السجان الموكل بالباب ونزل البطال وولده مذبحون خلصوا ضيغم وظالم والأمير عمرو بن عبيد الله وملابط البغال وفرحوا بزيادة العدد وهنوا بعضهم بعضاً وأخبر البطال إلى ظالم فزاد فزعه وسار بين ايديهم إلى الحجرة التى فيها زحاف وهو نائم معانق لابنة القانون فأيقظه أخوه حجاف وقال له اقعد يامن غضب عليه الرحمن وطرد عن باب الرضوان وترك الجنة ورضى بالنيران (قال الراوى) فلما نظر زحاف إلى ذلك انبهر وطار النوم من عينيه واستوى جالس وقال ياأخى ان الهوى غاب على التقوى وأخرجنى عن دين الاسلام ومالى اليه سبيل ولا يطيب ان أترك هذا العروس التى ملكت قلبى وأنا أريد أكون معها أينما كانت فقال له ويلك أكلت لحم الخنزير فقال أى وحق الصليب فضحك البطال وغلمانه وقد تغيرت من العشق أحواله فقال له ويلك خذها وقوم معنا وعود إلى دين الإسلام فقال مابقى لى اليه من سبيل ولا يطيب قلبى لذلك فلما قال له البطال عود الى دين الاسلام فقال زحاف امضوا عنا ودعوا عنكم هذا الفضول والا وحق المسيح ناديت عليكم وأوقعتكم فى أيدى الروم حتى يضربون رقابكم فقال حجاف لما ان سمع كلامه هذا مايجىء منه خير أبدا ثم جذب سيفه وضربه أطاح رأسه عن جسده وأخذوا ابنة القانون وقد فزعت وخرجوا من الدار وقالوا للراهب شومدرس امشى الساعه معنا وافتح لنا باب الذهب وسر فى دعة الله تعالى فقال شومدرس وحق المسيح ما أفعل هذا حتى تحلفوا لى انكم لاتتعرضون لى بسوء أبدا فعند ذلك حلف له البطال ومن معه وهم لايصدقون بالنجاه وساروا وشومدرس

معهم الى المكان الذى يعرفه وقال خذوا المفاتيح واذهبوا الى حال سبيلكم فقال البطال هذا مالا أسمعه حتى تورينا موضع السلاح وتأخذ لنا عدة لان الباب اذا جئنا نفتحه نجد عنده مائة بطريق فما نأمن على نفوسنا منهم أن يتوروا علينا وان يقعوا بالسيوف فينا ونحن بلا عده ولا معنا شيء ندفع به عن نفوسنا فقال شومدرس صدقت يا أبا محمد تعالى معى حتى أوريكم وأدخلكم القصر وأسلم اليكم خزانة السلاح فى كرة ففعلوا ذلك وساروا وهو بين أيديهم وحجاف من خلفه حتى ان هو صاح أخذ رأسه ولم يزل هو سائر إلى أن أوصلهم الى المكان وقال دونكم وفتحه وخذوا منه جميع ما تحتاجون اليه فتقدم اليه البطال وعالجه ففتحه ودخلوا اليه وأخذوا منه سيوف هنديه ودرق حديد صينى وخشوت طوسيه وزرد سليمانيه وخوذ فولاذ مضيه (قال الراوى) فلما أن تكاملت عددهم طابت قلوبهم وقال ظالم دع ينتبه الساعه كل من فى القسطنطونيه ثم عادوا الى الباب فقال البطال قفوا مكانكم حتى أتقدم أنا وأفتح الباب فقال مذبحون هذا شيء ما تحتاجون اليه يا أبتاه ولا تتعب أصحابنا ولكن كن انت المفتاح وأنا الذباح فوالله ما تفتح أنت الباب حتى أضرب أنا الرقاب لأنى أراهم سكارى فعند ذلك ضحك البطال وقال يا بنى افعل ما تختار ثم تخطى رقاب النيام واشتغل بفتح الباب وابتدأ مذبحون بأولهم وكانوا سكارى من الشراب وهم نيام نوم من لايحسب حساب وقد شربوا من أول الليل الى ذلك الوقت وما فتح البطال الباب حتى ضربت منهم الرقاب ثم قال اخرجوا بارك الله فيكم فقال حجاف يا أبو محمد ما تستحى من هذا الكلام قال وكيف ذلك يا أمير وإيش عندك من الرأى والتدبير فقال الرأى أن تأخذ ابنة القانون وهذا الراهب سمعان الذى ما فيهم للقتال ونقف نحن هنا وشومدرس شيخ الضلال حتى لا ينذر بنا وينادى علينا وتمضى أنت إلى عسكر الاسلام والامير عبد الوهاب وتعلمه الاسباب وتأتى به الينا ومن أراد من بنى كلاب ونحن نمسك لهم الباب الى أن يأتون وتهجمون البلد وتنادون باسم الواحد الأحد الفرد الصمد وتضربون الكفار بالصارم المهند وتعطون من الله النصر والجلد وتأخذون من الأموال والرجال والعدد ونوقف عقبة بين يدى الخليفه على ما هو فيه من القتام ولا يبقى فى صلبه على باب القسطنطونية ملام ويكون صلبه أعظم من فتح مدينة القسطنطونية فقال

البطال لله درك هذا هو الرأى والتدبير ثم أخذ معه النساء والراهب سمعان وأخذ أيضا قيس بن عمرو وأصحابه وخرجوا من الباب وقدستر عليهم رب الأرباب وساروا طالبين خيام الأمير عبد الوهاب فلما وصلوا وجدوا الامير فى سرادقه والناس حواليه والمشاعل تقيد بين يديه وهو يقول ما أريد أصالح ملك الروم الا من شوقى إلى البطال فما بقى لى صبر عنه وكذلك العبد الصالح حجاف ومن معها من الأصحاب التى طالت غيبتهم فهو فى الكلام وإذا بالبطال وقد دخل عليه وقال له السلام عليك أيها الأمير الزاهد العابد فلما نظر الأمير الى البطـــال قام على قدميه واعتنقه وارتفع من الفرح بكاءه فاما ان هدى جنانه وتحقق معرفته وسأله عن ولده وغلمانه وحجاف فقال الكل سالمين وقد جرت علينا شدائد لا توصف ولو كتبت بمـــاء الدهب لكان قليل ولكن ما هذا وقت الحديث فاركب الساعه أنت وبنى كلاب والسودان الانجاب فقال له وما الخبر وكيف تريدان يكون التدبير وأين باقى الاسارى الذين كانوا معك فى حبس القسطنطونيه فقال له الكل خاصروهم على باب الذهب ونريد نفتح الليلة البلد بأمر الواحد الأحد فادركهم قبل الصباح فقـــال ومعهم الأمير عمرو بن عبد الله وأولادى ضيغم وظالم وحجاف فقال الكل هنالك ما خلا زحاف فان أخوه حجاف قد قتله فشق ذلك على الأمير فقال ولم ذلك يا أبا محمد فحدثه كيف تنصر من أجل ابنة القانون ثم أوراه اياه فعجب من ذلك وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله يا أبا محمد انظر إلى صنع الله عز وجل فى خلقة هذين الأخوين حجاف وزحاف عضوا واحدا عضوا فى الجنة وعضوا فى النار اللهم أنا نسألك حسن الخاتمة والموت على الاسلام ثم سأل البطال عن عقبه فقال وهو أيضا تحت قبضتنا وقد ضربته حتى أشرف على الموت وغدا ان شاء الله تعالى إذا أخذنا البلد انهتك ستره ففرح الأمـــير بذلك وأرسل الى كل طائفـــة الى أمراؤها وأمرهم بالمســير الى باب الذهب وسار هو فى أربعة آلاف أسود كلهم بصدور الزرد وفى اللتوت والعمد وكان قد أعلم الاميرة بما جرى وترك عندها ابنة القانون وقال لها يا أماه اذا اسمعتى الصياح عند الصباح ادركينا أنتى والمعتصم فى عساكر العراق ثم صار وهو يقول يا أبا محمد أن أنا ملكت باب الذهب بهذه الأربعة آلاف أسود فأنا آخذ القسطنطونية وأهلك كل من فيها من النصرانية ويكون هذا من بركتك فما كان يوم الا أراك فيه يا ابا محمد ثم انهم ساروا

الليل حتى وصلوا البلد واذا بالأمير حجاف واصحابه قيام كأنهم سباع الآجام فسلم عليهم الاميروضم اولاده الى صدره،والاميرحجاف وما كانت الا ساعة حتى وصلت بنى كلاب كلهم رجاله وهم غير خياله ودخلوا الى البلد ونادوا كلهم عن لسان واحد الله اكبر فتح الله ونصر فعند ذلك اجابتهم الاطلاع والربوع والمنازل وقد اختبطت القسطنطونية ونادت الروم والبطارقة وعوام البلد وقد اندهشوا خواص الملك الذين كانوا على الأسوار لما سمعوا توحيد الملك الجبار فنادوا ويماه ويماه هلك وحق المسيح الملك أرمانوس وبطل دين الصليب والناقوس (قال الراوى) وسمع المعتصم أيضا ذلك فاندهش وركب وركبت عساكره وسأل عن الخبر فأرسلت اليه الأميرة ذات الهمه وأعلمته بذلك بما دبر البطال وما فعل ولدها عبد الوهاب فقال لله درهم وما أعجلهم فى كسب الثواب ثم سار بالناس إلى الباب فوجد عنده السودان الأنجاب وقد امسكوه حذرا من الروم ان يتكاثروا عليه ويغلقوه فدخلوا الناس من عساكر العراق ووقع الصياح والزعاق وعمل السيف فى ظلام الآفاق وجرت الدماء فى الأسواق واندقت البطارقة متحيرين من كل درب وزقاق واما ارمانوس فانه انزعج غاية الانزعاج وخرج من القصر فى بطارقته والاعلاج وعمل الحسام فى الليل الداج وكثر الانزعاج واستبشرت المسلمين بعد ذلك الضيق بالانفراج ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل حتى طلع الصباح بالارهاج ووقعت العين على العـــين وبطل الاحتجاج وانتخت الروم لأجل حريمها وصاحت الاعلاج دونكم والمسلمين وطلعت النسوان فوق الاسطحة والحيطان وقاتلوا الرجال عن النسوان والصبيان وأرموا المسلمين بالاحجار والصخور الكبار ودام السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار هنالك خرجت القسوس والرهبان من البيع وعلى رؤوسهم الاناجيل فعند ذلك رمى البترك برنسه عن رأسه وكسر عكازه فلما رأته الروم انتخت وحملت على الصفوف وارمت نفسها الى شفار السيوف فقتلت من المسلمين جماعة كثيرة وارموهم الى الابواب واخرجوا اكثرهم ولم يبق إلا اقلهم ونادى الملك ارمانوس وقال ياقوم اغلقوا الباب على من

بقى منهم فما بقى فى البلد إلا القليل والباقى ما بين جريح وقتيل فعند ذلك كشف الأمير رأسه فبان شمطه الأبيض ونادى الله أكبر الله أكبر ثم قال يا معاشر المسلمين أفيكم من يشترى الجنة وبايع الله تعالى على نفسه ويربح المنة ثم صاح يا آل حام يا آل حام هذا يوم نصرة الإسلام (قال الراوى) فوالله ما سمعت السودان نداء مولاهم وانه قد ترك العرب وناداهم فبربرت مثل الأسود وزجرت بأصوات مثل الرعود وضربت بوقاتها وتمايلت ساداتها وضربت كاتها وتقدمت أقرانها ونشعت ألوانها ثم هجمت على الروم مثل الأفيلة وداستهم دوساً وكبسوهم كبساً ونظروا ارمانوس فقصدوه وأكبوا عليهم من كل جانب وأقبلت الروم تروم دفعهم ومنعهم وهم يخوضون فيهم خوض الذباب وقد ضربوا منهم الرقاب فعند ذلك عادت العرب دخلت وحملت وقاتلت فتحيرت الروم واندهلت (ياساده) وماغابت شمس النهار حتى احتووا السودان على ملوك الامصار وهم ينادون لورك لورك يعنون الامان الامان وصاحوا النســاء والصبيان وطلبوا أهل البلد الأمان وصاحت الشيوخ والشبان من كل جانب ومكان فرق لهم قلب الأمير عبد الوهاب وأمر برفع السيف فرفع وملكوا المسلمين البلد واحتــووا على مافى القصر وعلى دار الملك ودخل أمير المؤمنين المعتصم بالله والقراء بين يديه وكانوا خمسمائة مقرى فرفعــوا أصواتهم بالقرآن (قال الراوى) ونزل المعتصم وقد نشرت على رأسه الرايات والاعلام النصر والظفر ثم احضر ارمانوس بين يديه ووطى عنقه بقدميه وقال له ويلك يا ملعون لابد لى من ضرب عنقك فكم تحلف وتكذب وتعاهد وتغــدر ويلك ان الملك إذا أوعد وأخلف وعاهد ونكث لافرق بينه وبين النسوان لانهم ناقصات العقول ومالهن ثبات ولا محصول ثم هم بضرب رقبته فتقدم الأمير حجاف وباس الأرض وقال يامولاى ابنتى السعيده فى حبسه وما أدرى أين تركها هذا الملعون وكنا قد خلصناها وهى فى العذاب عند هذا الملعون فقال له المعتصم ويلك وأين السعيده احضرها الساعه فقال سمعا وطاعه ثم أنفذ ارمانوس البطارقه وأنفذ المعتصم معهم أمراء المسلمين فاخرجوا السعيده وهى فى ذلك العــذاب وقد ربطوا إلى رقبتها الكلاب ودمها يسيل مما فدنهشوها بالانياب ولسانها لايفتر عن توحيد رب الارباب الذى قضى عليها بهذا العذاب فلما رآها أبوها حجاف قال حجاف يابنيه

سبحان من حكم عليكي بهذا ولكن لا اعتراض عليه لانه يفعـــل مايشاء ويحكم مايريد فقالت السعيده وهي في ذلك الضر ياأبتاه مانكون أصبر من آل بيت المصطفى الذين صبروا على القضــــاء حتى وصلوا إلى جنات المأوى فعجب الخليفه من كلامها وخشع قلبه من حسن صبرها هذا والأمير أبو محمد البطال يحدث الخليفه بما قد جرى عليهم من الشدائد وما لاقوا من الاوابد في بلاد الاطراف ورجوعهم سالمين وماصنع بهم الملك بيمند من العقوبة والهوان إلى أن وصل إلى حديث عقبه ووصوله من اليمن ونزوله اليهم إلى المطموره وكيف عذبهم وعاد وطلع ونزل هو وشومدرس ليضربوا رقابهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلام البطـــال ازداد حنقه على عقبه وقال على الساعه به حتى أجعل هذه الليـله آخر لياليه من الدنيا وأول لياليه من الآخره فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد مابقى على مولانا أمير المؤمنين عتب ولا ملام احضروا الساعة عقبه فقد سهل الله هذه النوبه الصعبه فقد ثبت عند مولانا كفره سيما إذا عاين لباسه ورأى الشعر المركب على رأسه فعندها أخذ أبو محمد البطال غلمانه ومضى إلى المطموره وهو يقول أرجو ان نراه وهو فى الحياة وهذه مدينة القسطنطونيه وقد انفتحت وستره قد انهتك ومابقى لنا عائق وساروا إلى أن وصلوا إلى المطموره ونزلوا فيها فما رأوا أحدا فقامت على البطال القيامه ورجع وهو يأكل كفيه ندامة ودخل على المعتصم وأعلمه بهروب عقبه واشتد غيظه وأحضر الملك ارمانوس فقال له أريد عقبه فقال ارمانوس وحق المسيح انى مارأيته منذ ثلاث أيام ولكن أنا أنادى عليه ثم أمر بعض الحجاب ان ينزل إلى الأسواق وأمر ان ينادى فى أزقة القسطنطونيه معاشر النصرانيـــه من بنى ماء المعموديه ان أمير المؤمنين المعتصم والملك ارمانوس يطلبون الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فمن كان عنده وأخفاه نهب ماله وصلبه الملك على باب الذهب ومن أحضره فى الحال له الخلع والأموال وأقام النداء ثلاثة أيام وكان الذى تولاه أبو محمد البطال فلم يطلع لعقبه على على خبر (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه وذلك ان شومدرس لما وصلت السودان إلى باب الذهب ووقع القتال فى البلد واشتغلوا الناس بالمسلمين فهرب شومدرس اللعين ولم يخطى المطموره فوجد عقبه مغشى عليه من عقوبة البطال فحمله شومدرس على أكتافه وخرج به إلى باب الميـنـا وطرحه فى المركب

الذى أكراه وقال لاصحاب المركب اعلموا ان القسطنطونيه قد ملكوها المسلمين منا (ياساده) وفى تلك الساعه أفاق الملعون عقبه وقد انقطعت آماله من الحياة ووجد فى نفسه شدة من وجع الضرب وهو يظن انه فى المطموره فوجد نفسه فى المركب وشومدرس عند رأسه يبكى عليه فقال له ويلك أنا فى منام ومن أتى بى إلى ههنا من بعد ماوقعت فى قبضة الشيطان أبو محمد البطال فقال شومدرس ياويلك أنا خلصتك فقال عقبه كيف ذلك وأنت معهم تدلهم على المفاتيح فقال شومدرس لولم أقل ذلك المقال وأفعل ذلك الفعال لكانوا ضربوا رقبتك ورقبتى فى الحال ولكن أنا أشغلتهم بنفوسهم وتركتهم فى القتال وحملتك الى هذا المكان فلما سمع كلام شومدرس قال وحق المسيح والمذبح والذبيح بعد ان خلصت منهم ما أبالى ولو خربت الدنيا ماهمنى وقد كنت لك فى نية ميشومة لاجل ماقلت لهم هذه الفعال فقال شومدرس دعنا الساعه من هذا واعلم ان القسطنطونيه قد أخذت وهذا الصياح صياح الرجال والسيوف تعمل فى مفارق أهلها قال أين تقلع بالمركب الذى قاولته فقال عقبه نقلع إلى السويديه فعندها أدار الملاحين المركب وساروا طالبين السويديه (قال الراوى) هذا جرى (وأما ماكان) من المعتصم فانه أقام فى القسطنطونيه وطلب عقبه أيام فما وجده فأمر بجميع الأموال والرجال وعول على الارتحال وقال أريد ارمانوس فأحضره وأخبره بذلك فصار يتخضع بين يديه ويقول ياأمير المؤمنين ماأعود إلى مثلها أبداً وما بقيت أجرد فى وجهك سيفاً فقال له أريد أخرب الكنائس والبلد كله ولو اقمت عليه خمس سنين حتى لايبقى لك هنا أثر فقال ارمانوس ياأمير المؤمنين إذا أنت أخربت القسطنطونيه ماتقدر تقطع آثار الروم من الدنيا ولابد لهم من ملك غيرى فاعف عنى وعن البلد حتى أضاعف لك الخراج وأحمل اليك الأموال ثم ان الملك ارمانوس التفت إلى الأمير أبو محمد البطال وخضع له فى السؤال ففعل البطال ذلك ولم يزل بالمعتصم حتى أجاب بعد شدة شديدة واجتمعت البنات والأموال والرجال والسبايا والأطفال وأشرط المعتصم على ارمانوس عمارة الجامع واقامة الصلاة والاذان طول الزمان وهو الجامع الذى بناه الصحصاح ومسامه بن عبد الملك بن مروان وحلف ارمانوس على جميع ماطلب المعتصم ورحل طالب العراق وجد فى سيره يقطع البلاد حتى وصل إلى

ملطيه وكان يومه يوم عظيم نشرت الرايات وضربت البوقات وزينت البلد وأرسلت الرسل إلى العراق وكان موسم مثل قديم الحاج (قال الراوى) هذا جرى (وأما ما كان) من عقبة الكذاب فانه وصل إلى السويديه وخرج منها الى انطاكيه وأقام فيهـا ثلاثة أيام وقال لشومدرس اطلب أنت قمامة وأقيم فيها حتى تستقيم أحوال بلد القسطنطونيه فأنا أعلم ان المسلمين ما يقيمون فيهـا ولابد لهم ما يرحلون منها الى ملطيه وترجع أنت بعد ذلك الى القسطنطونيه واما أنا فانى أريد ان أمضى الى بغداد وأكشف وجهى عند المعتصم والعب بعقـول الكل (قال الراوى) وسار الملعون الى حلب وركب مع العرب وهو يعد المراحل والأيام حتى وصل الى الكوفه فكان يوم وصوله يوم وصول الحاج فقال للبدوى اخلطنى مع جمال الحجاج فأخلطه ودخل الى الكوفه وتباشروا أهلها بقدومه وخرجوا الناس الى لقائه وهم يقولون قدم القاضى عقبه من مكه ونريد نخرج الى لقائه حتى يشركنا فى صالح دعائه فعند ذلك أرسـل عقبه الى عامل له بالكوفه وأخذ منه أربعة الاف دينار ونزل فى دار كبيرة وجعل يشترى فيها الدجاج والحلوى ويدعو أهل الحاج عشرة بعد عشره فيأكلون عنده ويعطى كل واحد منهم عشرة ويقول ياأخوتى هذه صيانة لكم لانى كنت قد نذرت هذا وأنا معكم فى عرفات وقلت اذا وصلت الى الكوفه أنفق بعض مالى على الحجاج شكر الله تعالى ومع هذا كله فلى عند المعتصم من يفترى على الكذب والمحـال ويقولون انى كنت صحبتكم (قال الراوى) ياساده فما قولكم فى أقوام عوام وقد وصلوا من مكه جياع محتاجين وأكلوا لحم ودجاج وحلاوه وما شبه ذلك وأخذ كل واحد منهم عشرة دنانير وقد أبصروا عليه آثار السفر ودخل مع الحجاج فشهدوا انه كان معهم فى الطريق فى صلاة وعبادة فأخذ خط خمسمائه رجل حجاج وأخذ خطوط أهل الكوفه أيضاً وسبق الناس بعد ذلك الى بغداد ودخل اليها قبل دخول المعتصم بأيام وماحست به الست زبيده حتى استأذن عليها ودخل الى بين يديها فلما رأته قامت له قائمه وقالت له مرحبا بالشيخ الصالح الضعيف المشتت المبهدل فى البلاد المبتلى بكذب الاعادى والحساد فجعل عقبه يبكى ويقول لالو شوقى اليكى ما وطئت العراق ابدا فبكت السيده زبيده وقالت والله لقد كنت مشتاقة اليك وحزينة عليك وقد وصلت الينا الأخبار انك فى بلاد

اليمن وقد فتح الله على يديك مطالب الأرض وبانت العلامات والكرامات ونزلت عليك الأنوار فقال من أنا حتى أكون صاحب كرامات فاكتمى عنى هذا الامر ولا تفضحينى فيه فما أدرى من سبق اليكى بهذا ولا أعرف لى إلى أحد حسنه الا كذب عبد الوهاب وأبو محمد البطال على وإلا ما أنا شيخ ضعيف ومالى عمل يرضى ولكن أرجو المغفرة والتجاوز عن زلاتى ثم قرأ ومن يغفر الذنوب الا الله وبكى فقالت السيده زبيده اذا كنت انت تبكى على تقصيرك ولك كذا وكذا سنة فى طاعة الله تعالى فما الذى نقول نقول نحن (ياساده) وكانت السيده زبيده دينه رقيقة القلب رضى الله عنها وما كانت تتعصب لعقبه الا أنها تراه شيخ كبير وضعيف وتراه كثير الدين والخشوع والعلم والقراءة الحسنة وجريان الدموع ويحج ويصوم ويعظ الناس وكانت منه الظاهر والله تعالى متولى السرائر وفى ذلك اليوم نادى المنادى فى بغداد أن اخرجوا الى لقاء الخليفة فهو فى غداة غد يصل فخرج العالم وباتوا فى الطرقات وكان يوم دخوله يوم مشهود ونفق فيه مال ممدود وكان حوله إلى ملطيه وصعد إلى القصر وتصدق على صعاليك العراق شكر الله تعالى على ما أولاه من المنه والسلامة والنصر ودخل على السيده زبيدة فوثبت إليه قائمه وبكت وقالت والله يا ولدى لقد طار نومى مدة غيبتك من خوفى عليك فقال لهما ما كان إلا الخير بحمد الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين حدثنى ما جرى لك فى هذه الغزاة المباركة من العجائب فجعل يحدثها إلى أن وصل إلى حديث الهجام والاشكع وان عقبه نصرها وأنه كان فى القسطنطونية يعاقب البطال وغلمانه واننى لو كنت وقعت به لما فتحت القسطنطونية لضربت عنقه وصلبته على باب الذهب ولكن طلبناه فما وجدناه وبقيت متحيرا فى ذلك وقال ارمانوس وكل من كان فى القسطنطونية عندنا ولكن ما ندرى ما كان منه وربما يكون قد قتل أوفى جملة من قتل فقالت زبيده يا أمير المؤمنين ما هذا إلا شيطان يتمثل فى صورته أو يكون له أعداء يتقاتلون عليه فأنت ليلة عرفة أين كنت فقال كنا تلك الليلة قد أخرجنا هجام والاشكع وقتلناهما وأنه فى القسطنطونيه فقالت يا أمير المؤمنين فأنا قد وصلنى كتابه من مكة مع الحجاج يشهدون أنه وقف معهم الوقفه على جبل عرفة وكان معهم فى الطريق يصلى بهم إلى الكوفه ثم رمت اليه المحضر فقراه الخليفة وفيه ألف شاهد وأكثر يعرفهم بالثقة والامانة وقضاة الكوفه

يشهدون بما كان يدعو للخليفه فى مكة قال فبكا المعتصم وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كسبنا اثم هذا الشيخ الصالح لأن أهل مكة وصانى منهم انه ليس عندهم وهذا المحضر يشهد أنه وقف معهم بعرفات فلعن الله الوشاة لأنهم بالباطل فشاه وكنت أريد من الله تعالى أعلم فى أى موضع هو حتى اسير خلفه واستحضره تحلل منه قالت يا أمير المؤمنين وتعطينى عليه الامان بأنك لا تسلمه إلى الأعداء فقال لا والله بل أكشف وجهه ويركب فى الموكب ويرجع كما كان فلما سمعت ذلك قالت اخرج يا قاضى يا مظلوم يا متهوم فخرج عقبة وقد احدودب ظهره ونحل جسمه وجرت عبرته وعليه قميص بتراب الحجاز والاحرام على أكتافه وأخذ يد المعتصم وهو يقرأ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير فرحب به المعتصم واعتنقه وبكا عليه فقال له أهلا وسهلا بالمتهوم ولكن فى سبيل الله تعالى ولقد طال شوقنا إليك بعد ما قست قلوبنا عليك فقال له عقبه يا أمير المؤمنين مقصودى رضاك (قال الراوى) وان المعتصم أخرج عقبة الى مجلسه وقد دخلت الأمم لتهنى أمير المؤمنين بالسلامة من الاشراف والقضاة والعلماء وعقبه بتلك الصفة فقال الخليفة سلموا عليه وتبركوا به فبكوا عند مشاهدته على تلك الاطاله وقد حفر بين عينيه حفره حيلة منه حتى أنه ما كان ينام الا ساجدا أو راكعا فقالوا ما هذا الا عبد صالح فتحللوا منه وقالوا جعلنا فى حل فقال أنا مفتقر اليكم والى دعائكم لعل ان أعبر العقبة والناس يدعون على ظالمه وخلع المعتصم عليه ثيابه كلها وقد ركب فى بغداد ونزل فى داره ولقيه ولده عبد الصليب وولده عبد مريم ففرحوا به وقالوا قد طال شوقنا اليك فقال لهم بعد أن خلا بهم ما ضاعت غيبتى وقد قتلت من المسلمين بعدد التراب ونصرت جماعة وأهلكت سيف الحنيفية والأمير عبد العزيز العلوى ففرحوا بذلك واشتدت ظهورهم ووصل الخبر إلى ملطية بأنه قد صار عمدة العراق فى العقود والأحكام فقال عبدالوهاب ما غير عقل الخليفة الا محضر فيه ألف شاهد وما ألومه فى هذا فقال أبو محمد لقد طال تعبنا معه والله لاذبحنه فى بيته ثم صار أبو محمد يطلب العراق الى ان وصل بغداد هو وغلمانه متنكرين واقام إلى المساء ورصد عقبه حتى ينزل الى داره ليلا ونصب عليهم سلم وصار هو وغلمانه فى أعلا الدار واذا عقبه واولاده بين يديه وعليهم شمع ينور وهو يقول لأولاده المسيح يكفينى فيكم البلا من أبو محمد فانى خايف أن يفجعنى فيكم

كما فجع عبد الوهاب فى سيف الحنيفيه فقالوا له طب نفسا وقر عينا فان أبو محمد يفزع منك أكثر مما تفزع منه ولم يزالوا فى الحديث الى أن غلبهم النوم ثم أن عقبه أطفأ الشمعه وقال الصواب ان الانسان اذا أنام لا يكون عليه ضوء مشعول حتى لا يكون يعلم به عدوه ثم ناموا وعلا غطيطهم فقال أبو محمد لغلمانه انزلوا فنزلوا وحصلوا فى الدار فأول من وقعت يده عليه عبد الصليب فذبحه من أذنه الى أذنه وحط يده على عبد المسيح فذبحه من أذنه الى أذنه وذبح جوهر عبد مريم فقال أبو محمد بقى الرابع فحط يده على شخص ملصق بالحائط فوقعت على العمامة وقال لغلمانه اخرجوا بنا فقد بلغنا المقصود بعد ما نضجت منهم الجلود ولو درينا كنا نجينا من زمان ولا كنا نقاسى ما قاسينا فخرجوا من الدار لطلب دار صديق البطال وكان عارفا بكفر عقبه لأن البطال قد أطلعه على كفره وكثير من أحواله فلما دخلوا عليه قال لهم ماورا كم فاخبروه بذبح عقبه وأولاده ففرح وقال لقد أصبتم وما قصرتم الذى جئتما ها هنا فان الطلب لابد أن يقع عليكم فى سائر الطرقات وتهلكون وعقبه اليوم عند الخليفة فى منزلة عظيمة ولما أصبح الصباح خرج صديق أبو محمد ليكشف الخبر واذا بالدنيا منقلبة وعقبه مكشوف الرأس وعليه حلة سوداء وهو ينادى واديناه والأولاداه وامعتصماه واحزناه فلم يبق قلبا الا جرحه ولا كبدا الا اقرحه حتى وصل الى قصر الخليفة فانقلب القصر ودخل من غير اذن وطرح أولاده الثلاثة وكان الرابع العجوز أمهم لعنة الله عليهم أجمعين وكان عقبه اللعين يوعدها ويقول ما نموت أنا وانتى حتى تدق النواقيس على رؤس الاشهاد ونملك البلاد ونهلك العباد (قال الراوى) ولما نظر الى ذلك الخليفة وعقبه وأولاده وزوجته على تلك الحالة بكا وانزعج وسأله عن الخبر قال ياأمير المؤمنين كنا قد صلينا الفرض وقلت أريد أنام والساعة أقوم لوردى وكنت لما يريده الله تعالى من سلامتى قد قمت من مرضعى وتركت زوجتى وأولادى فذبحوهم وظنوا أنى زوجتى أنا لان العمامة كانت عند رأسها والا كنت قد هلكت وهذه قصتى يا مولاى ثم بكا ولطم على رأسه وأنشد يقول

ألا يا أمير المؤمنين ومن به * نجاة الورى من كل امر دهانيا
اجرنى فقد أصبحت فردا محيرا * وحيدا وأولادى صراعا كما هيا

فرق لأولادى وخذ لكبيرة * بحق فما للحق غيرك قاضيا
فياليتنى لم آت من أرض مكة * ولم أر هذا اليوم قبل وفاتيا
ألا يا امير المؤمنين بحق من * يجود على كل الورى بمراديا
تحنن على عبد بلى بفراقهم * تراهم صراعا فى الدما ببلائيا
فإن كنت ما تأخذ بثارى فمن لهم * اذا وقفوا يوم الحساب عواريا

(قال الراوى) فبكى المعتصم وقال لئن لم انتقم منهم الله ينتقم منى وسوف اطلبهم وكتب فى ساعة الحال كتاب وارسله على جناح الطائر الى ملطية ويقول لصاحب الخبر اذا قرأت كتابى هذا تبصر خبر ابو محمد البطال ان كان حاضر فى ملطية او غائب فان اولاد القاضى عقبه وزوجته قد ذبحوا وقتلوا وقيل لى ما قتلهم الا ابو محمد البطال واريد الجواب منك عن يقين ان كان حاضرا هو وغلمانه أو غائب هو وأيام فقال له عقبة الآن يا أمير المؤمنين قد علمت ان قاتل أولاد عقبة ظهر فارسل الساعة الى سائر الطرقات والجهات ونادى فى بغداد معاشر المسلمين أمر الخليفة المعتصم من علم بأبو محمد البطال وكتمه فقد أباح الخليفة دمه وماله ولا يقبل فيه شفاعة شافع والمعتصم على شك من أمر البطال ويقول ما كان أبو محمد مستحيل أن يفعل هذا ويقتل أربعه من المسلمين يقرؤن القرآن العظيم حتى إذا كان فى غداة غد جاءه الجواب من ملطيه على جناح الطائر بأن أبو محمد البطال قد فقد من مطليه من أيام متوالية وسألنا عنه فقيل لنا مضى من مدة إلى بغداد دارالسلام والذى أخبرنى بعض اخوان الأمير عبد الوهاب وهو الذى علمت به وبعثت أعلم به أمير المؤمنين المعتصم ثم طالعه عليه (قال الراوى) لهذا الكلام فلما أن سمع الخليفة ما فى الكتاب تيقن أن أبو محمد البطال هو الذى قد قتل أولاد عقبه فحلف بالله العظيم وبنبيه الكريم الا طلبته ولو ذهب إلى السرى الأقصى وخرجت السيدة زبيده وبكت عند المعتصم وقالت يا أمير المؤمنين صح الآن انهم له أعداء وكلما يقولون عليه ظلم وعدوان فقال المعتصم لقد قدم أبو محمد على أمر عظيم وما هذا الا الخرق بى وبحرمتى والله وانى لآخذن عليه حق الله منه ثم أنه أمر الغفرة ان يدوروا حول بغداد وأن يحفظوا الطرقات من جميع العيارين والجند وأرباب الدرك وقال معلوم أن أبو محمد ما فعل هذه الفعال الا قد قدم على هلاك نفسه وهو على أمر شديد ماهو

صادق أم هو حاسد هذا الرجل فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال عقبه يا أمير المؤمنين ما يقدر يخرج إلى ظاهر بغداد أبدا من الحرس الشديد وما هو إلا اختفى عند بعض أصدقائه وعدايا أمير المؤمنين تنادى فى أزقة بغداد وفى شوارعها كل من خبا أبو محمد البطال ما خصمه إلا الخليفة وعقبه راكب وراء المنادى والشهود بين يديه ويحلف عن من خباه وعلمت به صلبته أو أضرب رقبته هو واهل بيته وأخذت ماله وخربت بيته ولو كان ولدى (قال الراوى) ومن الغد نادى المنادى والمشاعلى ومعه الشهود كما ذكرنا ومن جاء به فله خمسة آلاف دينار ومن غمز عليه فله ذلك فجاء صديق البطال لبيته وقال له يا أبو محمد اعلم أن الخليفة قد قامت عليه القيامة وقد أرسل الخليفة إلى ملطيه وأتاه الخبر بأنك غائب وقد قال عقبه هو الذى فعل هذه الفعال بأولادى وقد صح عند الخليفة المعتصم ذلك الأمر وقد جعل خمسة آلاف دينار لمن يدله عليك أو يغمز عليك وقد أوعد بالقتل والهلاك لمن كتمك أو اخباك وما اوثق على نفسى وأخاف انى ارغب فى المال وابيع ما بيننا من الصداقه بخسمة آلاف دينار ذهب وانت تعلم ان النفس امارة بالسوء فهذا وجه من الأول والوجه الاخر اننى اخشى من جار سوء او جاسوس قد علم بك وبالحال فيبلغ غرضه منى فى هذا اليوم ويخرب ديارى ويقتل اولادى فاخرج من عندى سالم على كل حال واطلب الستر من الله تعالى فهو الستار على عباده فتحير ابو محمد من ذلك وقال لا إله الا الله محمد رسول الله لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون وحسب فى تلك الساعة الف حساب وعلم أن الطلب عليه عظيم فقال لصديقه أمهلنى الى الليل فقال له لا أقدر على ذلك ولا بد من خروجك فى هذه الساعة والسلام فقال أبو محمد البطال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم رفع أبو محمد البطال رأسه الى السماء وقال اللهم أنت تعلم أنى ما أفعل فعلا إلا ولك فيه رضا يا سيدى وما قتلت هؤلاء الكلاب الكفرة إلا أنهم يكفرون بك ويأكلون رزقك ويعبدون غيرك وأريد سترك الحصين الجميل عوائدك على أوليائك يا الله وخرج أبو محمد البطال باكى العين وغلمانه وقال لهم تفرقوا ويكون الملتقى غدا فى خرائب سامر فأخذ كل واحد طريق ولسانهم لايفترعن قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فأما أبو محمد البطال فانه خرج

من سوق الثــلاث وطلب الشارع وأتى إلى الجسر وقت الظهر وقد حميت الرمضا واكفهر الحصى وأوى كل طير إلى وكره فاغتنم أبو محمد خلو الطريق فلمــا توسط الجسر وإذا بفارس يركض بين يديه وبيده سيف مشهور صــقيل أخضر يأخذ بالبصر ونادى برفيع من صوته ياأبو محمد من يفعل هذه الفعال ويقتل أولاد القضاه يمشى هذا الوقت ويعلم ان الخليفـه لا يأ كل الطعام ولايشرب الماء من شدة طلبه لك استعد الآن للمسائله والجواب والخليفه والقاضى عقبه وللبلاء بجلبـاب نلا القاضى عقبه لك فى استنظـار ياأبو محمد فضحك أبو محمد فى وجهه وقال له ياويلك هذا من هوس الطمع لأن أمير المؤمنين خلد الله ملـكه ونصره على الـكافرين قد بذل لمن يأتى بالبطال خمسة آلاف دينار ذهب وأنت فى هذه الساعه من هوس المال كل من تراه تقول هذا أبو محمد البطال وأنا عابر طريق وخاصم السلطان على التحقيق فاذهب لحال سبيلك فالله يرشدك على من يكون لك من جانبه منفعه فذهل الرجل عن طلبه وبهت من قلبه وسار الهوينا إلى ان صار إلى جانبه ونظر اليه وتحقق معرفته وقال له ياويلك ماأنت أبو محمد البطال وتهتنى أنت فقال له أبو محمد تـكذب ودفع الفرس وهو يقول ياقوى بحيله فوقع الفارس والفرس فى الدجله وسار أبو محمد يهرول وقد وقع الصوت من أجل وقوع الراكب إلى الدجله وسار أبو محمد وقد جاء الناس اليه ليخرجوه وقد سبح به الفرس حتى أخرجوه من قدام واشتغل بنفسه عن طلب غيره (قال الراوى) وفرغ من الطلب فدخل إلى بعض ذلك الدروب ولمـا دخل اليه وقد ظن انه ينفذ واذابه غير نافذ الاانه طويل فقصد إلى آخره فرأى باب دار صفائحها ساج وعليه ستر مليح فى حمرة الشقائق ودهليز كبير مار وفى وسطه جارية واقفــه بقميص أحمر كانها الشمس الضاحيه بعيون تركيه وجهة مضيه وقامه الفيه قامه بوجه جميل وطرف كحيل وخد أسيل وردف ثقيل كانها ظبية القناص فقال لها خبرينى ياابنة الـكرام ثم اخفينى عندك لله تعالى فقالت له ادخل ولا تخاف فدخل أبو محمد إلى وسط الدارفوجدها دار مليحهوفيها جوار كانهن الاقمار فقالوا ماهذا فقالت هذا رجل خائف قد استجار فينا وهو مطلوب وقد أمنتهوأجرته فلا فيكم من يذيع أمره ثم لايفشى سره فقلن لهـا يامولاتنا وكيف يكون ذلك وهو فى جوارك ولو أخفيناه فى أحداقنا لانعلم به مولانا ولا غيره قال أبو محمد

ورفعونى إلى غرفة داخل الدار وجاءتنى بمائده عليها ألوان الطعام فلم أقدر آكل لقمة واحده من شغل قلبى فقالت لى كل فوالله لن يصيبك إلا ماكتب الله عليك وكل مقدر كائن وان كان لك أجل فلواجتمعوا على قتلك أهل الدنيا بأجمع لم يصلوا اليك وجعلت تلقمه لقمة بلقمه وتقول له بحياتى كل هذه وقدفعلت معى منها جميل فلما اكلت وكنت جيعان إلى ان اكتفيت وشبعت وقلت الحمد لله فوالله ما استقربى المقام بمقدار ما أكلت حتى اننى سمعت صياح فى الدار من الغلمان فخرجت الجاريه من عندى وجعلوا النسوان يقولوا لها يهنيكى السلامه فى الفائد فقالت لهم يهنيكم الخير فما الخبر وجعلت تتحدث معهم إذ سمعت صوت صاحب هذه الدار والغلمان فى خدمته قيام فنظرت أنا من فوق الغرفة حتى أبصر ان كان صاحب الدار محتشم أو غير ذلك حتى أجازيهم ببعض ماعملوا معى فلما ان طليت فنظرته واذابه صاحبى الذى كنت واياه على الجسر وقد دفعته وأرميته من على الدجله وقد سبحت به الفرس وطلع وقال له بعض الناس ماوراك فقال لهم وقع بى الفرس فى الماء ولم يتحدث بحديثى لهم حتى انه لايطالبنى أحدا غيره ويظفر بالفائده قال أبو محمد البطال فأيقنت انى هالك معه ثم انه قلع ثيابه التى ابتلت ولبس غيرهم وجلس فقدموا له الطعام فضله ماكان بين يدى فقال والله ماأقدر آكل لقمة من قهرى قالت له زوجته ولم لاتأكل منه ياسيدى فقال لها اننى مهموم مغموم فقالت له سألتك بالله تعالى الذى سلمك وسلم فرسك إلا ماقلت لى ماقد أصابك من الضرر فقال لها فاتنى بهذا اليوم خمسة آلاف دينار ذهب فكنت إذا أخذتها من الخليفه أشترى لكى بألف منهم كسوه وعقد بألف دينار ذهب وأصلح حالى بالثلاثة آلاف دينار وكان يقضى لى كل يوم ثلاثة حوائج عند الخليفه ويبقى لى عند القاضى عقبة مقام (قال الراوى) ثم انها قالت هذا كله بم كنت تناله فقال لها وقع فى يدى أبو محمد البطـــال وصدمنى ثم ألقانى فى الدجله أنا والفرس فكيف ان آكل وقد رجعت هذا اليوم خائب فقالت له صف لى أبو محمد حتى كاننى أراه قال أبو محمد فجعل يصفنى لها فقلت فى نفسى من ههنا دنت وفاتى وهلاكى وكيف ساقتنى المقادير والقضا إلى بيت خصمى ثم انى قلت انا لله وأنا اليه راجعون ثم جعل يصفنى لها حتى انه وصف القوة والشجاعه وعلائم حتى قلت انه لواشترانى من حجر النخاس ماكان وصفنى بهذه الصفه فقالت له خرب الله بيتك

يامقلوب الدماغ أرماك إلى الدجله وفيك من القوة إلى هذا الحد فخل عليه من كلامها أمر عظيم فجعل يصفني بالقوة وجاء هو عندها فسكتت عنه ساعه مقدار ماقد نام ثم انها طلعت الى وقالت بالذى يسترك أسألك عن شيء ثم تصدقنى فقلت نعم فقالت أنت أبو محمد البطال صاحب زوجى الذى أرميته فى الدجله قلت لها نعم وماذلك وقد دخلت دارك وأكلت زادك ولى عليك حق بذلك فلا تفعلى الا ما أنتى اهلاله فقالت لى عليك مطر السماء ولك الأمان وما نعلم بك صاحب الدار ولا غيره ولى اليك حاجة ان أنت فعلتها فانت تصير عندى فى المحل الاعلى فقال لها وما هى فقالت اعلم ان مافى بغداد امرأة أحسن منى ولاأجمل من وجهى وأنا من بنات الملوك وهذا زوجى قدكان زوجنى به الخليفه من غير رضاى وتقدم إلى وابلغ منى غرض وانزل الى عند زوجى اقتله وتسلم الدار بما فيها وتبقى ههنا تأكل وتشرب وتنام عندى سنة كاملة ولايعلم بك أحد واذا أردت ان تخرج أخرجتك الى ان ينصلح أمرك مع الخليفه وتكون هذه الدار دارك فى بغداد وما فيها من الأموال ولى أملاك كثيرة تساوى خمسة آلاف دينار وبساتين نأكل من ثمرها ونأخذ أجرتها فى كل سنة فلما سمع أبو محمد البطال هذا الكلام قال لها ياحره اعلمى انك أول ما أمرتينى بالدخول الى دارك ما كان الاالله ولو علمت انه لعله ما كنت دخلت دارك ولو قطعتينى اربا وبضعتنى بضعا فلا تفسدى ما كان فى الأول الى الله تعالى لا فعلت ذلك أبدا فقالت له ان لم تفعل ذلك والاصحت الساعه لزوجى ويأخذك وللخليفه يحملك وتصبح على خشبه مصلوب مضروب الرقبة فقال لها أبو محمد والله هذا الذى تقوليه أهون على من ان أقدم على معصية الله تعالى وأقتل النفس التى حرم الله قتلها فقالت له سبحان الله كيف تحلله عاما وتحرمه عاما وكيف تستحل قتل زوجى وهو يريد قتلك وتسليمك إلى من لايرحمك وهو المعتصم وكيف استحليت أنت قتل أولاد عقبه وهم الصائمون القائمون فبين لى ماهذا قبل ان أهتك سترك وأبدى لزوجى ماقد كان من امرك فقال لها ان عقبه كافر وأولاده يشركون بالملك القادر وذلك شيء علمته منه والملتقى بين يدى الله عز وجل يوم يكون فيه الجزاء وان الزنا عند الله عظيم وان فى جهنم توابيت من نار فيهاقوم ينادون ياصوماه واصلاتاه فقالت ومن هؤلاء فقال هم الذين ينكحون الفروج

حرام واعلمى أن قاتل النفس التى حرم الله من قتلها بغير حق يأتى يوم القيامه وعلى جبهته مكتوب أيس من رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) فقالت وان لم تفعل ما قلت لك أتولى انا قتل زوجى بيدى فقال لها والله هذا شيء لا أفعله أبدا هنالك وثبت وأنا أظن أنها تعلم بي زوجها فدنت منى ثم قبلت رأسى وقالت لى احسنت ايها العبد الصالح ثم قالت والله العظيم لو قبلتنى لى قبلة واحدة كانت تكون سبب ضرب رقبتك ومعاذ الله انى كنت أعصيه معك أو مع غيرك وأنا والله أردت أن اختبرك ولو انعمت لى بما قلت لك لعلمت أنك ظلمت أولاد عقبه فى قتلهم فلا يحق لى ان اخبيك والآن قد علمت منك التقى وذلك الصبر على هذا البلاء لأن الله تعالى يقول (ان النفس لأمارة بالسوء) وإن أنت لم تفعل علمت أنك ما فعلت شيء الا عن حقيقة الأمر وعليك ستر الله ثم انها غطت وجهها وذهب ذلك الضحك والابتسام الذى كانت نصبته لى شرك فلما ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقلت لها كيف بالخروج فقالت على مهلك فلا سبيل لك الى ذلك لأن الطلب عليك عظيم فاصبر ثلاثة أيام حتى ينقطع عنك الاياس ويقل عنك الطلب وما الدار إلا بحكمك فدعا لها أبو محمد وشكرها وقد أبهرته بجمالها وعقلها ثم اقبل عليها وقال لها اريد من فضلك تكتمين خبرى وتكشفى خبر غلمانى وتلتمسين اخبارهم فقالت فى غداة غد إن شاء الله تعالى فلما ان أصبح الصباح وخرج زوجها ورجع اليها وأخبرها أن الخليفة قد وقع له غلامين من غلمان البطال وقد ضربهم ضرب شديد وأقروا بالقتل وجمع الفقهاء والعلماء وقال لا أعمل شيء الا بقولكم فما الذى يجب عليهم فقالوا أنت أعلم منا وتريد ان لا يبقى عليك حجة وإنما تعمل بالظاهر والظاهر أنهم قتلوا واقروا بالقتل وقولهم ما هو إلا كافر فلا يصدقون فى القول ولو اجتمعوا أهل ربيعة ومضر على قتل مسلم لقتلوا شرعا عن بكرة أبيهم فعندها سلم الخليفة الغلمان إلى عقبه فقتلهم وصلبهم على الدجلة وهو يقول ما أريد إلا أبو محمد وهو الذى قتل ولدى الصغير وزوجتى (قال الراوى) فرجعت الجاريه إلى أبو محمد البطال واعلمته بالخبر وقالت له إن الدنيا قائمة على قدم وساق وعقبه يحث الخليفة على طلبك أنت فبكى الأمير أبو محمد البطال على غلمانه وقال لكل أجل كتاب إنا لله وإنا إليه راجعون والله

ما كان مجيئنا إلى ههنا صواب وما ظننت إلا أن عقبه قد قتل واسترحت منه ولكن لا مفر من القضاء والقدر وصبر إلى أن مضى ثلاثة أيام فلما ان كان فى الليلة الرابعة قال للجارية وكان اسمها أم الحيا أريد الرواح ولا بدلى من ذلك وما بقى لى صبر فقالت له سمعا وطاعه لا تحمل على قلبك هم وتقول فى نفسك أنك قد تقلت علينا ياسيدى فالى كثير وخيرى غزير وصاحب الدار لا يعلم بك ولو أقمت عندى سنة كاملة كنت على قلبي طبيب فلا ترمى نفسك إلى الهلاك وما يحملك إلى البلاء والارتباك فقال لها أبو محمد لا والله ما هو من هذا الوجه فانت غمرتينى بجودك وفضلك فقالت له إذا كان ولا بد من ذلك ففى هذه الليلة أخرج أنا وأنت كانى أريد الحمام بالليل وأقول لزوجى أنا أدخل الحمام الفلانى أخليها خلوه فقال لها افعلى ثم أنها أعلمت زوجها بذلك فأرسل إلى تلك الحمام وأخلاها زوجها وصبرت الى الليل ولبست هى والجوار وأبو محمد لبس لبس النساء وأخرجته من الدار فى زى الجوار وهو فى كل خطوة يقول يا ستار يا عالم الخفيات والأسرار حتى جاؤا الى حارس الدرب ففتح لهم وكان الحارس يجل قدرها فلما أن وصلت اليه دعا لها وخرجوا من الدرب وستر عليهم الرب ووصلت أم الحيا الى الحمام هى وجوارها وخلع أبو محمد ماكان عليه من الثياب وودعهم وسار الى وقت السحر وقصد الى خراب سامر الذى أوصى غلمانه أن يأووا اليها فدخل أبو محمد فوجد غلمانه لؤلؤ وجوهر يبكيان على مولاهم فلما دخل عليهم الأمير أبو محمد فرحوا به وقالوا الحمد لله على سلامتك أيها السيد فقد والله حملنا همك فقال لهم أحسن الله لكم العزاء فى اخوانكم ثم عاد عليهم القصة وأعادوا عليه قصتهم وكيف قاسوا حتى أتوا الى هذا المكان فقالوا له كيف سلمت أنت فحدثهم بحديث أم الحيا فتعجبوا من فعلها وقالوا هذه السنة تكون عجيبة فى هذا الزمان تتحدث بها الناس جيلا بعد جيل (قال الراوى) ثم أقبل أبو محمد عليهم وقال لهم يا أولادى ما نقدر نمضى الى ملطيه لأن الخليفة قد كتب اليها كما ذكرت لكم ولا بد ما يطلبنى ويقول اقبضوا عليه وعلى غلمانه وما هذه مثل كل نوبة وأنا ما أقع فى يده الا ويضرب رقبتى وقد كتب أيضا لسائر الاقاليم وأى مدينه دخلت اليها أو خرجت منها قبضونى ويد الخليفة لا تطاولها يد ولو احتمالى كل من فى الدنيا وشهدوا انى ما قتلت فما يصدق لأن غلمانى قد أقروا علينا بالقتل ولا بقى لى الا

الغربة الى بلاد لا يسمع الخليفة لى خبر فيها ولا يعرفنى فيها أحد ولقد كانت نوبة غير صالحة وهى مذمومة ولكن ما أحد يدفع القضاء والقدر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوا له غلمانه الى أين تمضى فقال لهم الى مصر وادخل منها الى بلاد الغرب وأقيم فيها الى أن أموت أو يموت عقبه أو يموت الخليفة والا أموت غريبا والله مابى الا فراق الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ولكن لكل أجل كتاب ومن قضى عليه يموت فى الغربة مايموت الا غريب (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما عقبه) فانه دخل على المعتصم وقال له يا مولاى أقول أن أبو محمد البطال مابقى له فى بلاد الاسلام مطمع وما أقول الا انه دخل الى بلاد الروم وتنصر كما انه يقول عنى وانا لا استحل ان ارميه بالكفر مثل ما يفعل فى حقى وان كان قتل اولادى فانى اخاف من الوقوف بين يدى الله تعالى يوم ترجف الأرض وتمور الجبال وتطوى السماء كطى السجل للكتاب (قال الراوى) فبكى المعتصم وقال هكذا تكون الناس ما اسلم قلبك وما اجودك للمسلمين ثم قال والله لآخذن بحقك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) وسار ابو محمد وقد علق عليه لحيه بيضاء طولها ذراع وفعل الى غلمانه كذلك كل واحد ذقن خلاف الأخرى وقال لهم اتبعونى يا اولادى ودخل بهم الى سامر وقصدوا الى خانقة الصوفية ونزلوا اليها وسرق منها ثلاث مرقعات وثلاث مناديل صوف وثلاث سجادات ومصحف وثلاث عكاكيز ولبس ابو محمد لبس الشيخ وغلمانه ايضا قد لبسوا لبس الصـــوفية ونزلوا اليها ومشى ابو محمد البطال وغلمانه من وراءه بالعكاكيز فكان كل من رآه ينطرح عليه ويقبل يديه من المتقدمين ومحبين الفقراء ويصافحوه ويطلبوا منه الدعاء وكان البطال حاذق عارف كل من كان شيخ كبير يقول له الله يختم لك بخير والفقير الصغير يدعى له بالرزق وطول العمر والمتوسط يقول له الله يعافيك ويساعدك على وقتك ويغفر ذنبك وهو سائر على الطريق وسار ابو محمد وغلمانه الى ان وصل الى الموصل فعبر على رجل يقال له حسن ابن على الكاتب فى الموصل وكان أصدق الناس له وبينهم محبة فلما أن رآه مقبل عليه فوثب اليه وسلم عليه وقبل يديه وقال له يا أخى ادعى لى فجعل أبو محمد يدعو له فحمل له الرجل نفقة فامتنع أبو محمد من أخذها وقال له ما أريد مال ولكن أريد شيء من الزاد الحلال وخلاه ثم مضى الى الجامع ونزل فيه وقال لغلمانه ما دام

صديق ابن على الكاتب ما عرفنى ما بقى أحد يعرفنى غيره انشاء الله تعالى ولو وقعت فى عين الخليفة المعتصم ما عرفنى أبدا وأقام ابو محمد ينتظر الى وقت الظهر واذا هو بأكثر من خمسين فارس من بنى سليم قد دخلوا الى الجامع ومعهم شخص مسلسل مقيد وهم به موكلون فظن الامير أبو محمد أنه عبد الوهاب فأظهر المشى فى الجامع وهو يقرأ القرآن العظيم وغلمانه من وراءه إلى أن دنا منهم وإذا بالذى معهم مذبحون ولده وهو فى أسوأ حال وجماعه يقولون ادخلوا بنا البلد وناس يقولون ما نقدر نبات فى البلد لأن الخليفه قد كتب إلى ملطيه بالقبض على ولد البطال وان يحمل اليه وان دخل الى بغداد فى هذه الجرارة تضرب رقبته ثم أن الامير أبو محمد البطال دنا منهم وسلم عليهم فردوا له السلام فقال لهم من هذا الذى معكم فقالوا هذا يقال له مذبحون ابن البطال فلما أن سمع كلامهم قال الله أكبر مما أخاف وأحذر هـذا ولد الذى قتل أولاد عقبه الذى كان معنا فى الحجاز فبكوا بنى سليم وقالوا نعم هذا ولد البطال فقال لهم والله لقد تعرض لى طريق فى موضع ولكن أريد أن أعود معكم الى العراق وأحرض الخليفه على قتله فان للمسلمين فى قتله ثواب عظيم ثم قال لهم نبات الليـلة ونقوم نصف الليل نسير فقالوا هذا هو الصواب وأقاموا باقى نهارهم إلى أن مضى من الليل ساعه وهؤلاء تعابا وقد ناموا فوثب ابو محمد البطال ودخل بينهم وسرق ولده مذبحون وحمله على أكتافه ثم خرج هو وغلمانه وكسر قيده وحل كتافه فقال مذبحون من أنت الذى من الله على بك فقال أنا والدك أبو محمد البطال فقام مذبحون قبل يديه وبكى وقال لقـد نهبت دارك وأخذ مالك وسبى حريمك ولولا عبد الوهاب رفع نساءك الى عنده وحماهم من بنى سليم وسير المعتصم كتاب إلى عند عبد الوهاب يطايب فيه قلبه ويقول بحق قرابتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل بيننا ولا يكون أبو محمد عندك أكرم منى وقتل كذا كذا نفس وشهدوا عليه غلمانه بذلك وأنت تعلم أن الناس مالهم الا الظاهر ولو سكت عن عقبه فى هذه النوبة لكان قد أقلق أهل العراق فسكت الأمير على غيظ وقال والله ما عمل مع نفسه ومعنا خير وما للإنسان أن يعمل عملا يجعل لخصمه عليه سلطان لأن عقبه يفرح بذلك ويتمنى أن يذبح فى كل يوم الف ولد حتى يصير عند الخليفة مظلوم وأخذونى عن إذن

المعتصم فالحمد لله الذى من الله على بك حتى خاصتنى فلا بد لى ما أذبح بنى سليم كلهم فقال له البطال هؤلاء بنى عمك ولحمك ومن دمك ولا يعلمون ان عقبة نصرانى ثم ساروا طالبين سنجار وأعمالها وأما العرب فان الله ارمى عليهم النوم والسبات الى وقت الصباح ثم استيقظوا من النوم فوجدوا الدنيا بلاقع فطارت عقولهم من ذلك خوفا من الخليفة ومن الأمير عمرو بن عبيد الله ووقع فيهم الصياح وجاءوا الى صاحب البلد وقالوا لقد سرق منا واحد زاهد عابد له ذقن طولها ذراع وما لعب بعقولنا الا بكبر ذقنه وتسبيحه وتقديسه فما كانت الا ساعة ميشومة التى رأيناه فيها وقال آخر منذ ان رأيته وقد وثب الى مذبحون ولطمه كف ويهدده علمت انه عيار ولكن اين له مهرب ونحن له فى الطلب ثم بعد ذلك سيروا الخيل فى كل مكان وكان ابو محمد يكمن فى النهار ويسير الليل حتى وصل إلى سنجار وما أقام بها غير يوم واحد وسار إلى الرحبة فى زى الصوفيه وهو يقول اللهم اشغل اعدائنا عنا يا ألله بحرمة من كان من عبادك الصادقين الصالحين فوجد النداء عليه فى هذه الأماكن اكثر من بغداد فضاقت عليه الأرض بما رحبت وسار الى مدينـــة الرياض وهى دمشق فوجد جماعة على الباب لايقدروا على الدخول من ابوابها فسأل عن الخبر فقيـــل له من طلب أبو محمد البطال ما يقدر احداً أن يدخل حتى يحمل الى النائب والدنيا قائمة على ساق فقال ابو محمد كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هلكت والطلب على اين ما مشيت فقالوا غلمانه والله لولا اننا على زى الصوفيه لكنا اخذنا من زمان فما ندخل دمشق فصار بهم ابو محمد الى باياس فوجد الطلب عليه اكثر من دمشق ووجد مركب فنزل فيه وقد سار الى ان وصل اتنس لى فيوجد الطلب وفيها قد طارت الطيور الى مصر وقد ارسل إلى سائر النواحى من البلاد فقال ابو محمد والله ما طلبنى الخليفة هذا الطلب الا وقصده ضرب عنق فعرج الى ارض يقال لها المحله فنزل بها وقصد الى الجامع وكان بهم من الجوع اقصى نهاية فتوضأ وبسطوا السجادات ووقف يصـــلى هو وغلمانه واذا بامرأة قد دخلت عليهم وقالت والله هؤلاء القوم الصالحين احباب الله الذين انقطعوا عن الدنيـــا وهجروها فى طلب مرضاة الله تعالى وأهل المحلة يدخلوا عليهم فلما فرغوا من صلاتهم والعجوز تنظر اليهم وتبكى فاقبل أبو محمد على غلمانه وقال لولا انها جابت لنا شيء ناكل لكان خيرا

لنا من هذا البكاوان العجوز لما فرغت من بكائها قالت أيها العبد الصالح هل لك ان تربح ثوابى وتقضى حاجتى فقال لها أبو محمد وما حاجتك فقالت تقوموا معى إلى منزلى وتأكلوا طعامى فلعل الله ببركتكم يجمع شملى بأخى فان لى أخ غائب من مدة ستين سنه وأنا ههنا غريبة منقطعة فى هذه الأرض وأنا بحمد الله فى كل عافيه ومات زوجى وخلف لى ذهب كثير وكان لى ثلاث أولاد وماتوا وبقيت فريدة وحيدة ثم أقسمت عليهم بالله تعالى فقاموا معها وبهم ألم من الجوع وقداشتهوا طعاما حارافساروا معها إلى دار حسنه ونعمة ظاهره وقدمت لهم الطعام وكشفت وجهها وكانت عجوز طاعنه فى السن فتبينوها وإذا بها أشبه الناس بعقبه اللعين فقال أبو محمد لغلمانه ويلكم ألا تروا ماأرى قالوا نعم لولا انها صالحه لما دعتنا إلى منزلها فقال أبو محمد أراها كان بينها وبين عقبه نسبه فسبحان الخالق وان العجوز خرجت عنهم وعادت وهى متغيرة اللون فقالوا لها ماوراك قالت والله مالى شغل قلب الا أنتم فقال أبو محمد وكيف ذلك فقالت والله انى رأيت والى البلد وقد ركب بين يديه مائة رجل وهم ينادوا ياأهل المحلة من رأى الجماعة الذين دخلوا من ساعه إلى البلد وبعض التجار عرفهم وقال ان الكبير اللحيه هو أبو محمد البطال والباقى غلمانه ولا أن أشتهى بعد أكلتم طعامى يتم عليكم مكروه وعليكم مطر السماء يوم وعشره حتى ينقطع عنكم الطلب وأكرى لكم بعض المراكب إلى قرضوان ان أردتم فدعوا لها فقالت قوموا من ههنا إلى هذا البيت الثانى فهو أحسن لكم من يطلبكم ليلا يدخل عليكم بعض الناس يراكم وينذر بكم لان الناس كلهم قد سمعوا المنادى فدخلوا إلى البيت الذين أمرتهم بدخوله فوجدوا حصير مفروشه فمشوا عليها وإذا به انخسف بهم فنزلوا فى جب ثلاث قامات والماء فيه إلى أوساطهم مالح مر فلما صاروا فيه اطلعت عليهم وقالت ياويلى وقع القوم الصالحون فى الجب ايش انتم فلم يتكلموا وحملت حجر وزنه عشر أرطال وقالت تكلموا والاطرحت هذا الحجر على رؤسكم فقالوا ياعجوز السوء بئس مافعلتى ايش نتكلم وقد فعلت بنا هذا الفعل الميشوم ونحن غرباء فضحكت وقالت ياأبو محمد مايليق بكم ان من يذبح أولاد القضاة مايكون هذا شكواه ويلك أصدقنى فيما أسألك عنه فقال وماهو فقالت كيف أخى فى جسمه فقال ومن أخوكى لاستر الله عليكم فقالت أخى عقبه صاحب

العمامة والطرحة والطيلسان صاحب الدست عند السلطان والعمل الذى قهر به كل إنسان ثم أنشدت تقول :

رياح الصبا بالله سيرى وبلغى ... سلامى على من أصبح اليوم قاضيا
أخى وابن أمى والمراد من الورى ... ومن لم يزل بين البرية وافيا
أخى عقبة القاضى الذى شاع ذكره ... له شرف بين البرية عاليا
كريم شفوق ماجد ذو حمية ... ودين وعقل بالعلوم كما هيا
ترى تجمع الأيام بينى وبينه ... ويصبح عيشى بالتواصل صافيا
ويعلم أنى قد أخذت عداته ... وهم تحت أمرى مالهم من محاميا

فبهت أبو محمد البطال وغلمانه وقال ما يمكن فى الدنيا أعجب من هذه الاحوال فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكانت هذه العجوز أخت عقبه واسمها عاقبه وكان أبوها زوجها برجل من بنو مره وسار بها الى أرض مصر وقضا نحبه وخلف لها أولاد فماتوا وأقامت هى بأرض مصر وكانت أخبار عقبه تأتى اليها وإذا جرى نايبه من عبد الوهاب أو من أبو محمد البطال كاتبها بذلك وانها لما سمعت انهم يتهموه بالتنصر كتبت إلى عقبه تسأله عن أحواله فكتب اليها يقول تعالى إلى العراق ولا تجى الا وانتى نصرانيه فأنا أعرف الناس كلهم بالاديان ولو كان فى دين الاسلام خير لما تركه عقبه فان عولتى على ذلك فادخلى إلى كنيسة تنيس وتنصرى فلما وصل كتابه دخلت الكنيسة وتنصرت وأرادت المضى إلى العراق فبلغها انه هرب إلى بلاد اليمن فاقامت مكانها الى أن وصل اليها خبرانه رجع إلى بغداد وبعد أيام سمعت الندا فى سائر البلاد بان أمير المؤمنين يطلب البطال لانه قتل أولاد عقبه وزوجته وكانت هذه العجوز ألعن من عقبه وأمكر وأخبث منه شراً فلما سمعت بذلك ماهان عليها قتل أولاد أخوها وقالت لابد ما أكشف خبر البطال ان هو أتى إلى هذه الديار ثم انها صارت كل يوم تأخذ ايزارها على رأسها وتخرج وترقب الطرقات وتسأل السفار فلما كان فى هذه الايام وإذا بها رأت أبو محمد البطال وغلمانه وهم مشتاقين فقالت ان فاتنى حذرى أبو ذقن كبيره هو البطال وهؤلاء غلمانه ثم تبعتهم إلى ان دخلوا الجامع وهجمت عليهم ودبرت الحيله فى تحصيلهم وانها لما أوقعتهم فى الجب اقامت ثلاثة أيام لا تطعمهم ولا تسقيهم بل أنها كانت يزنقها البول فتأتى وتقعد على فم الجب وتبول له

فينزل بولها عليهم فيقول لها لؤلؤ لا ستر الله عليكى فما رأيت أنتن من بولك فقال أبو محمد ليت كانوا ضربوا رقابنا وتخلصنا من هذه الحميقة الذى نحن فيها من أخت عقبه لا أحسن الله لها عاقبه هذا وأخت عقبه مضت الى والى البلد وقالت له اعلم أنى حصلت لك أبو محمد وغلمانه فتعالى خذه وأرسله إلى مصر يرسلوه إلى بغداد للخليفه وأنا معهم فلما سمع الوالى ذلك فرح وركب وساق معها وقد أخذ معه الرجال ومازالوا إلى أن دخلوا دار تلك العجوز وأوقفتهم على الجب وأخرجوهم منه فلما رأوه الناس قالوا هذا هو البطال فقال له الوالى كيف وقعت وأنت من شطار هذا الزمان والله لو كان لك خصم غير أمير المؤمنين لما كنت أقبض عليك لأن الأخبار تأتى عندى عنك من أهل الروم ولكن هذه أخت من تعرفه وهو القاضى عقبه وهذا أمر لا ينكتم ثم شال الكل فى المراكب وطلعت عاقبه معهم وقد رفعت عزالها وكانت الملعونه ثقلتهم بالقيود الثقال وكل ساعة تقوم إلى أبو محمد وتلطمه على وجهه وكذلك تفعل بغلمانه ومذبحون وهو يقول أين كانت هذه العجوز السوء مخبية لنا وكانت إذا اشتد غيظها عليهم تقوم وتضربهم حتى يسيل دماهم وتقول وحياة أخى لا بد ما أشرب من دماءكم إذا وصلت العراق ولؤلؤ يقول أكتب هذه فى جريدتك فى الدار والجب والبول والجوع وفى المركب اللطم والقيد فقال أبو محمد أنا والله تركت بدنى قوارير قوارير ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قرية يقال لها صفد وهى على الجانب الغربى فارسوا عندها وكان الطائر سبقهم بأن البطال وقع ففرح صاحب مصر بقضا حاجة أمير المؤمنين وأمر أصحابه أن يرقبوا المركب وآن المركب وصل الى صفد فادركهم المسا وباتوا هناك وطلعوا أصحاب المركب الى البر ولم يبق إلا البطال ومن معه وعاقبه قال أبو محمد البطال فما أحسيت الا وشخص أسود قد طلع الى المركب ودنا منى وحملنى على أكتافه وأنا فزعان منه ومن عظم خلقته حتى أبعدنى وطرحنى وعاد رجع ومعه العجوز عاقبه وقد شد رأسها الى بين رجليها ورجع أخذ غلمانى وولدى مذبحون ونقلنا جميعا الى داره وفتح مغارة كبيرة تحت الأرض ثم طرحنا وغلق علينا ولم يفك قيودنا حتى أصبح الصباح وصار الظهر والعصر وقد أشرفنا على الهلاك والجوع واذا به أقبل وهو قدر البعير عظيم الخلقة كبير الأذنين طويل الساقين وأنه لما نزل الينا فك قيودنا وأنزل الينا الطعام والماء قال أبو محمد فاكلنا وشربنا ولما

عادت أرواحنا الينا قلت أيها السيد من أنت الذى من الله علينا بك قال أنا يقال لى اللملمان بن أبي القراطيس ابن الشيطـــان الذى تفزع منه الأباليس والجان فلما سمع لؤلؤ ذلك تبسم فغمزه البطال وقال يا لملمان كيف عرفتنا فى هذا المكان حتى عملت معنا هذا الاحسان فقال اعلم يا أخى أن مافى ديار مصر أحدا أقوى منى فى الصراع والحرب ولكنى صعلوك وكل أحد يقول لو أنك تمضى الى الأمير عبد الوهاب كنت تلقا كل خير لأنه أسود بنو كلاب ويحب السودان لاسيما اذا كانوا مثلك شجعان وكنت عولت أن أمضى اليه واستريح من لبس الصوف واركب عنده الخيل فقلت فى نفسى أريد من يعرف بينى وبينه فبقيت متفكرا فى هـــذا الحال الى أن سمعت الناس يقولوا قد وصل الى صفد مركب وفيه البطال وهو صاحب عبد الوهاب وله عنده منزلة كبيرة ومطرود من الخليفة وقد عرفته امرأة عجوز يقال لها عاقبه وقد سلمتهم للوالى فقلت أنا فى نفسى مالى أحسن من هذا أخلصه وآخذ به يد عند الأمير عبد الوهاب ثم جئت اليكم وقد حملتكم من هاهنا وأريد تكون بينى وبينه واسطة فلما سمع أبو محمد ذلك فرح بكلامه وقال يا هذا أبشر بما تريد وأنا أكتب معك كتاب تكون عنده أعز الأحباب ثم كتب له كتاب يوصيه باللملمان ويقول له أنا طالب الغرب لما ينقطع عنى هذا الطلب وذكر له ماجرى عليه من عاقبه أخت عقبه ثم أقبل على اللملمان وقال له ان كنت تقدر تحمل معك هذه العجوز السوء الى الأمير عبد الوهاب يشتفى بعذابها فافعل فانها أخت عدوه فقال اللملمان وحياتك ان حملتها الا على أكتافى من هاهنا الى ملطيه فضحك ابو محمد من كلامه وصبر الى الليل وشد عليه وعلى ولده وغلمانه ثم ودع اللملمان وسار طالب اسكندرية وطلب بلاد الغرب واما اللملمان فانه شال العجوز على اكتافه وسار وقد طرح فى فمها اكره وكل من يسأله عنها يقول هذه امرأة كبيرة غريبة ولها أولاد فى الشام وقد بزلت لى المال فى حملها فانها لا تطيق ركوب الدابة فما كان أحد يشك فى قوله ولم يزل يقطع البلاد حتى وصل الى غزة فبات برا البلد وقد اطمأنت نفسه إلا أنه خبره قد شاع بأنه هو الذى خلص البطال وكان والى المحلة كتب الكتب الى العريش وغزه وعسقلان فلما وصل الكتاب الى صاحب عسقلان جرد سبعين ألف فارس خلف اللملمان وكان عبر قبل وصول الكتاب بيوم فسارت الخيل خلفه فادركوه وكان قد اقتنص أسد وذبحه

وسلخه وأضرم النـــار وهو يشوى ويأكل وسيفه ودرقته بجانبه ففرحوا بذلك وصاحوا عليه ويلك ياعبد السوء جاءك البلا فلم يعبأبهم وصار يقطع ويشوى ويأكل وعاقبه تنظر اليه وكانت فرحت بالخيل وكان أزال الاكره من فمها ليطعمها ولما نظرت إلى الخيل صاحت يامسلمين خاصونى من هذا العبد فهو الذى خاص البطـــال فلما سمعوا كلامها قالوا بشرى بخلاصك منه وأما البطال فلا بد ان يطلع خبره ويؤخذ ثم حمات الرجال عليه فعندها وثب اللملمان كالجمل والسيف فى يمينه والدرقه بشماله واستقبلهم وقد طار الزبد على أشداقه وهو يصيح فيهم ثم هجم على فارس قتله والثانى والثالث ولم يكن غير ساعة حتى قتل منهم ثلاثين وانهزم الباقى وقعد يأكل بقية الأسد وشال العجوز على بعض الخيل وساق البـــاقى قدامه وشد عليهم الاسلاب وتعمم وتدرع وتلثم وترك على رأسه بيضه واعتقل بناه وسار حتى وصل إلى بيت المقدس وكان المتولى عليه رجل يقال له ظالم ابن غانم وكان قاطع طريق فلم يدخل اللملمان اليه بل نزل فى بعض المروج وأطاق الخيل بين يديه ترعى وباع العدد التى كانت معه واشترى له خيمه كبيره وضربها فى ذلك المكان وأقام العبيد فى خدمته وقد عزم على الرحيل إلى دمشق الشام وبلغ الخبر إلى صاحب بيت المقدس وانه باع عدد كثيره فقـــال وهذا الكلب باع الكل ولا أهدى لى وحياة رأسى لآخذن كل مامعه ولكن بعد ماأجتمع به لئلا يكون له عذر ثم ركب فى أربعمائة فارس وسار إلى المرج وقام فيه ساعه ثم أرسل حاجبه إلى اللملمان يقول له ان الوالى شكرك اذ قويت جنده بالعدد والخيل ولكن يريد الاجتماع بك فسار الحاجب اليه وبلغه الرساله فقال له اللملمان ان كان صاحبك يريد الاجتماع بى فانا أسير اليه فسار الحاجب إلى ظالم وأعلمه بذلك فلما سمع ظالم من الحاجب ذلك تأهب للقاء فلما وصل اللملمان اللملمان إلى ظالم قام له ورحب به وبعدها قال له يافتى من أين لك هذه الخيول والعدد فقال له أنا رجل تاجروا نقل الخيل والعدد من مكان وما أقصد بذلك إلا الملوك والشجعان فقال له ظالم كان يجب عليك ان تهدى لى حصان لأجل مابعت الخيل والعدة فى بلدى بهذه الأموال (قال الراوى) فعند ذلك قال له اللملمان قد أعزلت لك سيفان قيمتهما ألف دينار فلما سمع ظالم ذلك أخذه الطمع وقال لغلمانه احملوا لنا الطعام وقعد وأكل هو واللملمان وقام وقدم له السيفان وقال يامولاى اقبل

هؤلاء منى لقد أكلت طعامت وصرت فى ذمامك فظن ظالم انه فعل ذلك من خوفه منه ونظر إلى السيفين عرفهم فقال لاصحابه خذوا هذا العبد السوء ثم قال ياعبد الخنا هذا الواحد لصاحب عسقلان ومالانت إلا قاطع طريق وربما قد عملت فى عسقلان مصيبه فلما رأى اللملمان ذلك أيقن انه هالك فرجع إلى الخداع وقال يامولاى ماهذا شيم الكرام وأنا عابر سبيل إلى بلاد الشام وان كنت طمعت فى مالى فانا آخذ الحق منك يوم القيامة وأنا عبد لاقيمة لى وهذه العجوز مولاتى والمال لها ولم يزل يرفق له فى الكلام حتى رق له قلوب الحاضرين (قال الراوى) لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الكرام ماغرد القمرى وناح الحمام فعند ذلك قال له ظالم خذ لك سيف ورمح وبرذون لك وآخر لمولاتك وانطلق فقال له اللملمان سمعا وألفين طاعه ثم أخذ البرذونين وشال عاقبه على أحدهما ثم ركب الآخر بعد ماباس يد ظالم ثم تقلد بالسيف واعتقل بالرمح وحرك على الجواد فجال ومال تحته الحصان ثم صاح اللملمان بعد ذلك صيحة أذهل بها كل من هناك وقال ياظالم كم مضى من عمرك قال له خمسين فقال له اللملمان ابشر فهذه آخر أعوامك من الدنيا ان لم ترد على مالى وبضاعتى وتكفى شرى وإلا تركتك قتيلا وفى دمك جديلا (قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك الكلام صاح بقومه وقال لهم ياويلكم خذوه ورجلوا هذا العبد ولد الزنا وتربية الأمة اللخنا وبسيوفكم قطعوه فحملت عليه منهم مائة فارس من كل بطل مداعس فالتقاهم اللملمان بصدر الحصان وضرب فيهم بالسيف والسنان وبعد قليل حصد الجميع حصد ثم همهم ودمدم وطلب بحملته جيش ظالم هذا وظالم يقول له والله ياابن الزانيه لئن حملت عليك لاخطف رأسك من بين جنبيك فقال له رجل من بنى عمه يقال حسان ياظالم دع عنك هذا الهذيان ودونك والميدان (قال الراوى) وبعد ذلك دعس اللملمان فيهم وقد أوسع فى الميدان وقتل واحد وحسان يقول جود الطعن ياقرنان وقد صرخ ظالم فى قومه وقال لهم احملوا عليه كلكم بجمعكم فحملوا عليه فالتقاهم اللملمان والتقطهم بالسيف والسنان هذا وظالم قد أخذه الحنق وصرخ وزعق وحمل على اللملمان وأطبق عليه وقال ياندل العرب سوف ترى العبر إذا رأيت الليث اليك قد بدر

يقطع عمرك بالسيف الذكر (قال الراوى) فلمارآه اللملمان قد زحف اليه صرخ فى وجهه فنفرت الخيل من حوله وأخذ معه فى الجولان هذا واللملمان أنشد يقول هذه الأبيات:

رأسك عن قريب تراه قد طيرت　　من بين كتفيك كما طار الحجر
أنا الذى أضرب بالسيف الذكر　　وأنااللملمان ليس أخشى من حذر

(قال الراوى) ثم انهما تجاولا وخاف اللملمان من المطاوله فطعنه فى قلبه فخر صريعا فلما نظروا أصحابه إلى ذلك حملوا عليه فالتقاهم برأس السحنان وكان فيهم رجل يقال له ذويب بن فهر فنادى ياقوم العبد أخذه الطمع فطاولوه بالحرب وقد أخذتموه هذا واللملمان كلما يأتى إلى زياده ولم يزل الحرب بينهم حتى ولى النهـار وتعب جواد اللملمان فترجل ودعس فيهم وقد حس بالتعب والانبهار فعاد ووثب على بعض الخيول الشارده واستلب رمحا من بعض الفرسان وحمل عليهم بقوة ساعده فلمارآه ذويب وقد عاد إلى ظهر الجواد قال لأصحابه خلوا الرجل يمضى لحال سبيله ودعوا عنكم هذا فان مالكم طاقه بهذا العبد الافطس خلوه يمضى لحال سبيله وإلا أفنا كم وملك بيت المقدس فعندها صاحت الفرسان ياسيد بنو حام خذ مالك ورحالك وارحل عنا بسلام فعليك مطر السماء ولك منا الذمام والذى تعرض لمالك سقيته كاس الحمام ونحن فما بيننا وبينك كلام فقال اللملمان وحق من أذهب عنى الويل وقوانى عليكم بالحيـل لولا اننى طالب الثغور وراغب فى خدمة الأمير عبد الوهاب المنصور لكنت ملكت بيت المقدس جمعا وصنعت فيكم صنعا ثم أخذ خيله وخيل بيت المقدس جميعا وأمواله وعبيده وكان اشترامم وعادت عنه جماعة ظالم بالخيبه والويل ونزل اللملمان فى مضربه حتى أظلم الليل ورحل طالب دمشق وقد شال عاقبه على بعض الخيل وركب من حوله عبيده وقد وقعت هيبته فى قلوب الرجال لما نظروا له من الفعال فصار فرحان عما وصل اليه من الأموال حتى وصل إلى دمشق فخرج اليه صاحبها وهو الأمير سوار وكان يحب الأمير عبد الوهاب ففرح باللملمـان وسأله عن حاله فشرح له قصته وأخبره انه سائر إلى خدمة الأمير عبدالوهاب ففرح سوار بذلك وأخرج الاقامات والعلوفات وأقام اللملمان فى ذلك المكان ثلاثة أيام وبعدها ارتحل طالب ملطيه ومازال سائر الى ان قرب منها ونزل

براها وضرب ثلاث مضارب كبار وكان الأمير عبد الوهاب ارتحل منها إلى قلعة الكوكب وتفرقت السودان فى سائر القلاع وأصبح عمرو وبنو سليم وحده فى ملطيه فقال عمرو لبنى سليم ما يحب عبد الوهاب مجاورتنا لما قبضنا على مذبحون وأنفذناه إلى العراق وما لنا ذنب وقد امتثلنا أمر الخليفه (قال الراوى) ووصل الخبر إلى الأمير عبد الوهاب بوصول اللملمان وانه قد نزل بالقرب من ملطية وقد ضرب له ثلاث مضارب كبار وأظهر ما معه من المال (يا ساده) وان اللملمان قال لبعض عبيده ويلك امضى واستخبر عن عبد الوهاب الذى جئنا اليه واذا وصلت قل له يا أمير اركب أنت ومن معك من خواص الفرسان واسرع الى لقاء اللملمان فقال العبد ولم لا تركب أنت اليه لا تتحامق فى أول قدومك عليه وعلى كل حال هو صاحب هذه الأرض واسمه كبير فى سائر البلدان فقال اللملمان ويلك اذهب إلى ما أمرتك به ودع عنك الهذيان فان العبد إذا أعطى سعاده كان فى أمان فلما سمع العبد مقاله سار حتى أتى إلى ملطيه وسأل عن الأمير عبد الوهاب فأرشدوه إلى قلعة الكوكب فسار اليها (يا ساده) وكان الأمير عبد الوهاب قد أصبح كثير الهم والافتكار يتمنى يسمع لأبو محمد البطال خبر وكان قد سمع بخلاص مذبحون من الموصل فبقى متحير من ذلك وقال سبحان من إذا أراد السعادة للعبد هيأ له أسباب فهو كذلك وإذا بغلمانه قد دخلوا عليه وقالوا يا مولانا قد وصل الينا عبد أسود وعليه أثر السفر وذكر انه يريد الوصول اليك فقال الأمير احضروه فعاد الغلام وأحضر عبد اللملمان فلما رآه الأمير سأله عن حاله فقال أيها الأمير اركب فى جماعة من دولتك والتقوا مولاى أمير السودان وسيد أبطال هذا الزمان فقد أتى إلى زيارتك من أبعد مكان فتعجب الامير من هذا الخطاب وقال يا فتى ومن هو مولاك الذى نخرج إلى لقائه ومن يقال له من السودان حتى نسير اليه ونلقاه فقال هو البطل النفيس ابن الفلفيس ابن أبو الفراطيس فارس ديار مصر وعسقلان وتنيس وقد أتى من صاحب لك بكتاب وقاسى حتى وصل إلى أمور صعاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب بذلك الكتاب طار قلبه من الفرح وعلم أنه من البطال فأحضر الأميرة ذات الهمه وأعاد عليها ما سمع وقال لها يا أماه متى نطلع على الخبر ونسمع إيش الذى ورد وما جرى للامير

أبو محمد البطـال (قال الراوى) فركبت الأميرة ذات الهمه والأمير وساروا فى خمسين فارس من بنى كلاب هذا وعبد اللملمان قد سبقهم إلى مولاه وقال له قم إلى لقاء القوم فقد أتوا اليك فأقام اللملمان السودان بين يديه وحول مضاربه بالسيوف ورتبهم فى كل مكان وجلس فى خيمته ولم يركب الى الأمير من نفسه وشدة نخوته إلا أن ما استقر به المكان حتى وصل الأمير عبد الوهاب وحوله سادات بنى كلاب وفى ركابه عشرين عبد من السودان الأنجاب وفى أوائلهم أبو الموت كأنه عقاب فلما ترجل الأمير عبد الوهاب وقصد المضرب وثب اللملمان اليه وباس يده فباسه الأمير فى صدره وأقعده ونظر الأمير الى شخص هائل المنظر وعينيه تتقد فى وجهه مثل المشعل ففرح به وسأله عن حاله فقال يامولاى أنا رجل من أهل مصر ولى مدة طويله أطلب المهاجرة اليك والقدوم عليك فيقطعنى عن ذلك قلة المعرفة بك والخبرة بأرضك حتى ظفرنى الله تعالى بصاحبك البطال وخلصته من القيود والأغلال وحدثنى بكل ما جرى عليه من الأهوال وسألته أن يكون الواسطه بينى وبينك فكتب معى هذا الكتاب وقال سر به إلى أخى عبد الوهاب فأنا ما بقيت أقدر أدوس تلك البلاد والديار ولا أظهر فى تلك الأمصار وودعنى وسار طالب الإسكندرية وعدت أنا أقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار حتى وصلت اليك وقدمت عليك ثم أخرج اليه كتاب البطـال فلما سمع فيه من عاقبه أخت عقبه وأنها مثل أخيها عقبه نصرانيه وقد اتحفتك بها فاشتفى منها ومن عذابها إذا هى وصلت اليك والسلام منى اليك والملتقى بين يدى الله تعالى يوم الحساب أن أخرجوا النـاس من تحت التراب (ياساده) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هـذا المقال وقع به الاياس من أبو محمد البطال وقال للملمان يا أخى وأين هذه العجوز فقال معى يا مولاى ثم أن اللملمان قال تحضر يا مولاى فأحضروها السودان وهى مكتوفة مشمعة الفم فحلوا كتافها وفتحوا فمها وأجلسوها قدام الأمير عبد الوهاب وهى تقول سبحان من جعل الدنيا سجن المؤمن السلام عليكم يا حماة الدين والإسلام عسى عنـدكم فرج لعجوز مقروحة الأجفان والكبد قليلة الناصر والجلد وقد بليت فى آخر عمرها بهذا الأسود واتهمت فى شريعة محمد ولاقت من العـذاب ما لم يلقاه أحد ثم تقدمت وباست يد الأمير والأميرة وقالت ياسادات الاسلام أنا بكم مستجيره هذا والأميرة

تتميز وجهها وتتبسم والأمير يقول يا أماه ما أشبه هـــذه العجوز بأخيها عقبه فقالت لها الأميرة ذات الهمه ويحك يا عجوز أنتى على دين أخوكى قالت لا والله يا أميره فقال اللملمان لا تسمع كلامها لانى أنا الذى خلصت الأمير أبو محمد وغلمانه من يدها بعد ما سلمتهم لوالى المحله فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام أمر بها فسجنت فسمع بذلك بعض من بنى سليم فأتى الى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال يا أمير قد وصل أسود الى ديار مصر ومعه عجوز كبيره يقال لها عاقبه وهى أخت عقبه القاضى ابن عمنا وقد قال عنها أنها نصرانية وأنها قد قبضت أبو محمد البطال وولده وغلمانه فى المحله وأن الأسود هو الذى خلصهم منها وأتى إلى قلعة الكوكب وهى تنادى واشوقاه الى أخى عقبه يا قوم بحق دين الأسلام أرونى وجه أخى القاضى عقبه لأن لى ستين سنه ما أبصرته ولا اجتمعت به وقد قتلنى الشوق اليه فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك الحال بكى هو وجميع من حواليه من بنى سليم وقد أخبرهم الامير عمرو بالحال وقال لهم قدظهرت لكم ابنة عم يقال لها عاقبه وقد وقعت عندبنى كلاب وهم يعذبونها أشدالعذاب ويقولون عنها كما يقولوا عن القاضى عقبه انه نصرانى وان توانيتم عنهاهلكت وصرنا معيرة عند سائر العرب وعندكل من ضرب فى البيداءوتد او طنب وأريدغدا أركب وأمضى الى الأمير عبد الوهاب وأطلبها منه فان سلمها لى وإلا كاتبت الخليفه بسببها وأطلعته على حالها فقالوا بنى سليم ولم نكاتب الخليفة ونحن نخلص بنت عمنا بقوائم سيوفنا ورماحنا ونقتل هذا العبد الأسود الذى قد أتى بها وجرأ على عذابها ومن يؤمن ان كان عذبها فى الطريق أم لا ثم أقاموا إلى أن أصبح الصباح وركبوا وكثروا من العدد وتظاهروا بالزرد وكان الأمير عبد الوهاب أيضاً قد ركب الى الميدان وحوله جماعة من السودان والى جانبه اللملمان وهم يسيرون ويتحدثون فى حديث البطال وقدعول الأميرعبدالوهاب أن يختبر اللملمان فى المجال وإذا بموكب بنى سليم قد أقبل ولهم زجل عالى الى أن وصلوا الى الأمير عبد الوهاب وهو فى الميدن ن وسلم بعضهم على بعض وعادوا إلى التسيير هذا والأمير عمرو بن عبيد الله مد عينه الى اللملمان وهو كأنه الأسد الغضبان فقال لا شك أن هذا هو الأسود الذى قد أتى الى هذه الديار ثم تميزه فرأى خلقته هائله فقال الامير عبد الوهاب قد بلغنى أيها الأمير أنه جاء رجل أسود ومعه

بنت عم لنا اسيره وهى عجوز كبيره وقد قيل لى أنكم عذبتموها وأنت تعلم أن عذاب
بنات الأعمام هوان بالرجال الكرام ونريد أن تحضرها حتى أراها وأسمع حديثها
وشكواها وآخذ لها حقها ممن أذاها وتعدى عليها وما رعاها وسلم إلى أيضا هذا
الأسود القوى الذى أتى بها حتى أعذبه كما بالغ فى عـــذابها (يا سادة) فلما سمع
اللملمان كلام الأمير عمرو بن عبيد الله صرخ صرخة عظيمة ارتجفت لها قلوب
الحاضرين وكادت ان تنفطر لها مرائر الناظرين وخيل لهم ان السماء قد وقعت
على الأرض وان الارض بهم انخسفت وقال للأمير عمرو اسكت يا أوبش العرب
واخس من ركب قتب والا رحلتك الساعة بما تحتك من المركب ودرست رأسك
كدرس الحرمل ورفصت فى بطنك حتى ترجع أحول وقلعت عينك وتركتك أعور
ودرستك فى قرن عبيد الله الا كبر وأنا أقسم بسواد الليل الديجور وسخام المراجل
والقدور وسقف الأفران ودخان التنور وكل سواد فى الأرض من زفت وقير
والاعانى لونى مثل لون الكافور والانفيت عن أبى فراطيس ولا كنت من نسل
جدى غلغيس ولعنت كما لعن ابليس وانقلب جلدى أبيض بعد ما هو أسود وآكل
لحم الخروف بعد أكل لحم الأسد أن أمرنى هذا الأمير عبد الوهاب لأجعلن
منازلك خراب ولا فنين بنى سليم جمعا ولاقطعن رقابكم قطعا ولا صفعنكن صفعا
(قال الراوى) فعندها صاح عليه رجل من بنى سليم وقطع عليه كلامه وقال له اسكت
ياكلب السودان واون الغربان قل من هذا الهذيان فان الأمير عبد الوهاب
لا يرتضى بهذا الخطاب ثم أشهر حسامه وطلب اللملمان وهجم عليه هجمة الاسد
الغضبان فصرخ به اللملمان ومد اليه يده وقد أرخى منها السيف الى كتفيه وشاله
على ساعده بعد ما بطـــل عليه ضربته وأداره على يديه وكتفه وضرب به الأرض
أخرج مخه من أنفه وسقاه كاس حتفه وزاد به ياساده الغضب والصخب من
سكوت الأمير عبد الوهاب فقال وحق السودان الانجاب لئن حاما أحدا عن بنى سليم
لاصبن عليه العذاب والضيم يا ويلكم أما سمعتم حديثى فى البيت المقدس أما قد
عرفتم اننى الأسد المختلس والضيغم المفترس والليث الشرس ثم جال اللملمان
وصال فعندها صاح الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم وقال دونكم وهذا العبد
الذى هذا كساكم العار والذل والشفار وسبا ابنة عمكم وفضحكم فى الأقطار

خذوه على رؤس الأسنة وانهبوا لحمه بالشنار فعندها صاحت بنو سليم وزعقت وعلى اللملمان أطبقت وجردت السيوف فى يديها فأبرقت وجردي اللملمان أيضا حسامه وقد انعجم لسانه وتغير حاله وأظهر بلباله وأوسع فى مجاله وبذل فيهم المضارب ونكس الرجال عن المراكب وتسامعت بنى سليم بذلك فركبت عن بكرة أبيها وأقبلت من كل جانب وتدفقت المواكب وازدحمت الكتائب وأيقن اللملمان أنه عاطب حتى لم يرى له معين ولا صاحب ولا نصير ولا محارب وبقى على الأمير عبد الوهاب عاتب فقال لعن الله من يقول عن هذا الأمير أنه صاحب ولعن من أشار على بالقدوم إلى ملطيه ولما ضاق عليه الأمر وكثر عليه الصياح بذل حسامه فى بنى سليم ونادى يا آل حام يا آل حام فأجابه أبو الموت وقال لبيك لبيك ابشر بمن ناديت ثم أنه حمل وصاح فى السودان وقال ويلكم كيف نتخلا عمن قدم الينا زائرا ونتركه وحيدا حائرا وقد بلى بهذه العساكر وهو يصيح يا آل حام ونحن عنه نيام احملوا على هؤلاء اللئام الذين ليس لهم زمام فعند ذلك حملت السودان على بنى سليم وكشفوهم عن اللملمان ونادى ملابط البغال وأبو فرمان وسابق وسجال وأبو كارع والديال وقعقع وأبو طحال وعملت السيوف الصقال وزادت الاهوال واتسع على اللملمان المجال فجعل يضرب ضربا يقطع الأوصال ونظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك فقال للاميرة كيف ترى يا أماه هذه المصائب فقالت الأميرة ياولدى أنا فى هذا متعكرة لأننا إذا ساعدنا السودان توجه علينا العتب من السلطان وأحوجوه بنى سليم أن يغزونا وان قعدنا عن السودان وسلموا فما فيهم من يرجع يعن علينا ولا يلتفت الينا فقال الأمير عبد الوهاب مابنا والله إلا هذا الذى قصدنا الينا وطلب مصاحبتنا وما رأى منا خير إلا من أول يوم تركناه طعاما للسيوف ولو لم يعنوه السودان كان قد شرب شراب الحتوف وبالله أحلف لئن قتلوه بنى سليم لا عدت جاورتهم أبدا ولا بدلى مما أحمل عليهم وأترك الأرض ملآنه بالدماء وها أنا صابر حتى أبصر الحال وعلى أى شىء يقع الانفصال ثم جعل ينادى بالسودان وهى لا ترجع ويأمرها بقلة القتال وهى لا تسمع بل تهجم على المواكب وتفرق الخيل والجنائب وتجول فى بنى سليم طولا وعرض والدماء قد فاضت على وجه الأرض والخيول بالجماجم تتعثر والرماح فى الزرد تتكسر والنجيج قد جرى

منهم وانهمر والجبان قد تعب وقصر والشجاع قد انتخى وتبصر ولم يزالوا كذلك حتى أقبل الليل وولى النهار وقد ولت بنى سليم الأدبار وطلبت ملطيه والأصوار ورؤسهم تطير بالبتار وزعقات بنو حام فى أعقابهم واللملمان قد أطال عذابهم ولما وصلت إلى ملطيه ازدحمت فى أبوابها فهلك منهم خلق كثير من شيوخها وشبابها والتقتهم النسوان ببكاها وانتحابها وعادت السوادان لما رأت الليل قد أقبل وعولت أن تنزل وترجل فصاح فيها اللملمان وقال لا فيكم من ينزل يا عبيد الشيطان أما شبعتم من خدمة البيضان والذل والهوان كيف تحمون بسيوفكم من لا يحميكم وتخدموا من لا يراعيكم وتفتحون لهم البلاد والقلاع ويتركوكم اليوم طعاما لبنى سليم الجياع ولا ما فيكم من القوة والشدة كنتم قد صرتم طعاما للرجال الأندال فاقصدوا بنا بلاد الروم حتى نفتح لنا بسيوفنا مكان وتعود دولة السودان كما كانت فى أول الزمان

فقال أبو الموت سر بنا ايها السيد إلى أى مكان اردت

وها نحن بين يديك كما أشرت وهو

الصواب ودعنا من خدمة

عبد الوهاب

تم الجزء التاسع والخمسون ويليه الجزء الستون